KURUOSU KÜTÜPH N.S.
Kısmı . Nuruosmaniye
Yeni Kayıt No 2934/2
Eski Kayıt No. 3441
Tasnif No.

١

٣٤٤١

وقف اكرم السلاطين من طبقات الملوك واٰبهى الخواقين بحسن السيرة والسلوك
السلطان ابن السلطان السلطان ابو المواهب عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان
ادام الله ايام دولته وادام نصفته في بوارج حشمته
وانا الداعي الحاج ابرهيم حنيف المفتش باوقاف
الحرمين المحترمين
عفي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

المقصد الخامس في تخصيصه عليه الصلاة والسلام

بخصائص المعراج والاسرا وتعميمه بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالكلام
والمشاهده والايات الكبرى اعلم منحني الله واياك الترقي في معارج
السعادات واوصلنا به في حظائر الكرامات. ان قصة الاسرا والمعراج
من اشهر المعجزات. واظهر البراهين والبينات. واقوى الحجج المحكمات واصدق
الانبا واعظم الايات. واتم الدلالات الدالة على تخصيصه عليه الصلاة والسلام
بعموم الكرامات وقد اختلف العلماء في الاسرا هل هو اسرا واحد في ليلة
واحدة يقظة او مناما او اسراان كل واحد في ليلة مرة بروحه او بدنه يقظة
ومرة مناما او يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
ثم مناما من المسجد الاقصى الى العرش او هي اربع اسراات احتج القائلون بانه رويا
منام مع اتفاقهم ان رويا الانبيا وحي بقوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك
الا فتنة للناس لان الرويا مصدر الحلمية واما البصرية فالروية بالتا وقد انكر
ابن مالك والحريري وغيرهما كما افاده الشيخ بدر الدين الزركشي ورود الرويا
للبصرية ولحنوا المتنبي في قوله وروياك احلى في العيون من الغمض واجيب بانه انما قال الرويا لوقوع
ذلك في الليل وسرعة تقضيه كانه منام وبان الرويا والروية واحدة كقربى وقربة ويشهد له
قول ابن عباس في الاية كما عند البخاري هي رويا عين اريها صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به وزاد سعيد بن
عن سفيان في اخر الحديث وليس رويا منام ولم يصرح في رواية البخاري بالمرى وعند سعيد بن منصور
ايضا من طريق ابن مالك قال الموما اري في طريقه الى بيت المقدس وهذا مما يستدل به على اطلاق لفظ الرويا
على ما يرى بالعين في اليقظة وهو يرد على من خطا المتنبي وانما اختلف المفسرون في هذه الاية فقيل اي الرويا
التي اريناك ليلة المعراج قاله البيضاوي فسر الرويا بالروية وقيل رويا عام الحديبية حين راى انه
دخل مكة فصده المشركون واصبح بذلك ناس وقيل رويا وقعة بدر وسال ابن المنير شيخه ابا العباس القرطبي
عن الاية فقال الصحيح انها روية عن يقظة اراه جبريل مصارع القوم ببدر فارى النبي صلى الله عليه وسلم الناس
مصارعهم التي اراه جبريل فتسامعت به قريش فاستسخروا منه انتهى واحتج القائلون انه رويا منام ايضا بقول
عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسده الشريف واجيب بان عائشة لم تحدث به عن
مشاهدة لانها لم تكن اذ ذاك زوجا ولا في سن من يضبط او لم تكن ولدت بعد على

الخلاف

2

الخلاف في الاسرا متى كان وقال التفتازاني اي ما فقد جسده عن الروح بل كان مع روحه
وكان المعراج للجسد والروح جميعا انتهى واحتج القائلون بانه بالجسد يقظة الى بيت
المقدس والى السما بالروح بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى فجعل المسجد غاية الاسرا التي وقع التعجب به بعظيم القدرة والتمدح بتشريف
النبي صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسرا فلو كان الاسرا بجسده الى زائد
على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح واجيب بان حكمة التخصيص بالمسجد
الاقصى سوال قريش له على سبيل الامتحان على ما شاهدوه وعرفوه من صفة بيت المقدس
وقد علموا انه لم يسافر اليه فيجيبهم بما عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك
وقع ولهذا لم يسالوه عما راى في السما اذ لا عهد لهم بذلك وقال النووي في فتاويه
وكان الاسرا به عليه الصلاة والسلام مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظه وذكر
السهيلي تصحيح هذا المذهب عن شيخه القاضي ابي بكر ابن العربي وان مرة في النوم توطئة
له وتيسيرا عليه كما كان بدو نبوته الرويا الصادقة ليسهل عليه بالرويا لان هوله
عظيم فجاء في اليقظة على توطئة وتقدمة رفقا من الله بعبده وتسهيلا عليه وقد جوز
بعض قائلي ذلك ان يكون قصة المنام قبل المبعث لاجل قول شريك في روايته وذلك
قبل ان يوحى اليه بتعدد الروايات في الاسرا واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم
يذكر شيا لم يذكره الاخر وبعضهم يسقط شيا ذكره الاخر واجيب بانه لا يدل على
التعدد لان بعض الرواة قد يحذف بعض الخبر للعلم به او بنسيانه وقال الحافظ
ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فاثبت اسراات متعددة
فقد ابعد واغرب وهرب الى غير مهرب ولم يحصل على مطلب ولم ينقل ذلك عن احد
من السلف ولو تعدد هذا التعدد لاخبر النبي صلى الله عليه وسلم به امته ولنقله الناس
على التعدد والتكرار انتهى وقد وقع في رواية عبثر ابن القسم بموحدة ثم مثلثة بوزن
جعفر في روايته عن حصين ابن عبد الرحمن عند الترمذي والنسائي لما اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم جعل يمر بالنبي عليه الصلاة والسلام ومعه الواحد الحديث
فان كان ذلك محفوظا كان فيه قوة لمن ذهب الى تعدد الاسرا وانه وقع بالمدينة
ايضا غير الذي وقع بمكة قال في فتح الباري والذي يتحرر من هذه المسالة ان الاسرا
الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح ابواب السما بابا بابا ولا من
التقا الانبيا كل واحد في سما ولا المراجعة معهم ولا المراجعة مع موسى فيما يتعلق
بفرض الصلوات ولا في طلب تخفيفها وساير ما يتعلق بذلك وانما تكررت قضايا
كثيرة سوا ذلك راها النبي صلى الله عليه وسلم فمنها بمكة البعض ومنها بالمدينة بعد

الحجج البعض ومعظمها في المنام والله اعلم انتهي **وقال بعض العارفين** ان له صلى الله عليه وسلم
اربعة وثلاثين مرة الذي اسري به منها اسرا واحدا بجسمه والباقي بروحه رؤيا راها صلى
الله عليه وسلم فالحق انه اسرا واحدا بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والي هذا ذهب
الجمهور من علما المحدثين والفقها والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا
ينبغي العدول عن ذلك اذ ليس في العقل ما يحيله **قال الرازي** قال اهل التحقيق الذي
يدل عليه انه تعالي اسري بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الي المسجد الاقصى
القران والخبر اما القران فهو قوله تعالي سبحان الذي اسري بعبده ليلا من المسجد الحرام
الي المسجد الاقصى **وتقرير الجواب** الدليل ان العبد اسم للجسد والروح فوجب ان
يكون الاسرا حاصلا لجميع الجسد والروح ويدل عليه قوله تعالي ارايت الذي ينهي عبدا
اذا صلى ولا شك ان المراد هنا مجموع الروح والجسد وايضا قال سبحانه وتعالي في
سورة الجن وانه لما قام عبد الله يدعوه والمراد مجموع الروح والجسد وكذلك ها هنا
انتهي واحتجوا ايضا بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام اسري بي لان الاصل في
الافعال ان تحمل علي اليقظة حتي يدل دليل علي خلافه وبان ذلك لو كان مناما
لما كان فيه فتنة للضعفا ولا استبعده الاغبيا وبان الدواب لا تحمل الارواح
وانما تحمل الاجساد **وقد تواترت الاخبار** بانه اسري به علي البراق **فان قلت**
ما الحكمة في كونه تعالي جعل الاسرا ليلا **اجيب** بانه انما جعل ليلا تمكينا للتخصيص
بمقام المحبة لانه تعالي اتخذه عليه الصلاة والسلام حبيبا وخليلا والليل اخص
زمانا للمحبين لجمعهما فيه والخلوة بالحبيب محققة بالليل **وقال** ابن المنير
ولعل تخصيص الاسرا بالليل ليزداد الذين امنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين
كفروا زيادة علي فتنتهم اذ الليل اخفا حالا من النهار قال ولعله لو عرج به نهارا
لفات المومن فضيلة الايمان بالغيب ولم يحصل ما وقع من الفتنة علي من شقي
وجحد انتهي وفي ذلك حكمة اخري علي طريقة اهل الاشارات ذكرها العلامة ابن
مرزوق وهي انه قيل لان الله تعالي لما محا اية الليل وجعل اية النهار مبصرة انكسر
الليل فجبر بان اسري فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل افتخر النهار علي الليل بالشمس
فقيل له لا تفتخر ان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج بشمس الوجود في الليل
الي السما وقيل لانه صلى الله عليه وسلم سراج والسراج انما يوقد في الليل •

وانشد

• قلت يا سيدي لم تؤثر الليل • علي بهجة النهار المنير •
• قال لا استطيع تغيير رسمي • هكذا الرسم في طلوع البدور •

انما زرت في الظلام لكيما • يشرق الليل من اشعة نوري •

فان قلت ايما افضل ليلة الاسرا ام ليلة القدر **فالجواب** كما قاله الشيخ
ابو امامة ابن النقاش ان ليلة الاسرا افضل في حق النبي صلى الله عليه وسلم وليلة القدر
افضل في حق الامة لان نفعها لهم خير من عمل في ثمانين سنة لمن قبلهم واما ليلة الاسرا
فلم يات في ارجحية العمل فيها صحيحا ولا ضعيفا ولذلك لم يعينها النبي صلى الله عليه
وسلم لاصحابه ولا عينها احد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الي الان والي ان تقوم
الساعة فيها شي ومن قال فيها شيا فانما قاله من كيسه لمرجح ظهر له استانس به ولهذا
تصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت الامر فيها علي شي ولو تعلق بها نفع للامة
ولو ذرة لبينه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم انتهي **فان قلت** هل وقع الاسرا لغيره
صلى الله عليه وسلم من الانبيا **اجاب** العارف عبد العزيز المهدوي بان مرتبة
الاسرا بالجسم الي تلك الحضرات العلية لم تكن لاحد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وانما قال تعالي اسري بعبده اشارة الي انه تعالي هو المسافر به ليعلم ان الامر من
عنده عز وجل هبة الهية • وعناية ربانية • سبقت له عليه الصلاة والسلام حما لم
يخطر بسره • ولا اختلج في ضميره • ودل بالمصاحبة في قوله بعبده ليفيد انه تعالي
صحبه في مسيره • صحبة بالالطاف • والعناية والاسعاف • ويشهد له قوله عليه السلام
اللهم انت الصاحب في السفر وتامل قوله تعالي يسيركم في البر والبحر وقوله اسري
بعبده يلح لك خصوصية مصاحبة الرسول عليه السلام للحق دون عموم الخلق •
وقرن سبحانه وتعالي التسبيح بهذا المسري لينفي بذلك عن قلب صاحب الوهم
ومن تحكم عليه خياله من اهل التشبيه والتجسيم ما يتخيله في حق الحق تعالي من الجهة
والحد والمكان ولذا قال لنريه من اياتنا ما راي في تلك الليلة من عجايب الايات
كانه تعالي يقول ما اسريت به الا لروية الايات لا الي فاني لا يحدني مكان
ونسبة الامكنة الي نسبة واحدة فكيف اسري به الي وانا عنده وانا معه اين ما كان

ولله در القايل

• سبحان من اسري اليه بعبده • ليري الذي اخفاه من اياته •
• لحضوره في غيبه ولسكره • في صحوه والمحو في اثباته •
• ويري الذي عنه تكون ستره • في منعه ان شاه وهباته •
• ويزيد ما ابدي له من جوده • بوجوده والفقد من هيئاته •
• سبحانه من سيد ومهيمن • في ذاته وسماته وصفاته •

واكده بقوله ليلا مع ان الاسرا لا يكون في اللسان العربي الا ليلا لا نهارا ليدفع

الاشكال حتى لا يتخيل انه اسري بروحه فقط ويزيل من خاطر من يعتقد من الناس ان
الاسرا ربما يكون نهارا فان القران وان كان بلغة العرب فانه خاطب به الناس جميعا
اصحاب اللسان وغيرهم **وقال البيضاوي** تبعا لصاحب الكشاف وفايدته الدلالة
بتنكيره على تقليل مدة الاسرا ولذلك قري من الليل اي بعضه كقوله تعالى ومن
الليل فتهجد به نافلة لك وتعقب القطب في حاشيته على الكشاف كما نبهت عليه
في حاشية الشفا والمعاريج ليلة الاسرا عشرة سبع الى السموات والثامن الى سدرة
المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصريف الاقدار والعاشر
الى العرش والرفرف والروية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي **وقد وقع**
له عليه الصلاة والسلام في سني الهجرة العاشرة ما كان فيه مناسبات لطيفة
بهذه المعاريج العشرة وهذا اختتمت سني الهجرة بالوفاة وهي لقا الحق جل جلاله والانتقال
من دار الفنا الى دار البقا والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق والى الموعد
الحق والى الوسيلة والى المنزلة الرفيعة كما ختمت معاريج الاسرا باللقا والحضور
بحظيرة القدس **وقد افاد** الامام الذهبي ان الحافظ عبد الغني جمع احاديث الاسرا
في جزءين ولم يتيسر لي الوقوف عليهما بعد الفحص **وقد صنف** الشيخ ابو اسحق
النعماني رحمه الله في الاسرا والمعراج كتابا جامعا للاطناب بزيادة الدقايق
والاستحسان بفواصل الحقايق ولم اقف عليه حالة كتابتي هذا المقصد الشريف والله
تعالى يرحم شيخ الاسلام والحفاظ الشهاب ابن حجر العسقلاني فانه قد جمع في كتابه
الفتح كثيرا مما تشتت من طرق حديث الاسرا وغيره من الاحاديث مع مباحث والكشف
عن اسرار معاني كلمه وبدايع الفاظه وحكمه وكل من صنف شيا من المنح النبويه والمناقب
المحمديه لا يستغني عن استجنا ثمار اللطايف من رياض عياض والا تنشقا
من اروا المشكلات بدوا واشفى به المريض لمعضل الامراض والله تعالى يفيض عليه
وعلى ساير علما الامة سجال رحمته ورضوانه ويسكننا معهم في بحبوحة جنانه **وقد
وردت** احاديث الاسرا من حديث انس وابي ابن كعب وجابر ابن عبد الله وبريدة
وسمرة ابن جندب وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وحذيفة ابن اليمان وشداد
ابن اوس وصهيب وعلي ابن ابي طالب وعمر ابن الخطاب ومالك ابن صعصعة وابي
امامة وابي ايوب وابي حية وابي ذر وابي سعيد الخدري وابي سفين ابن
حرب وابي هريرة وعايشة واسما بنت ابي بكر وام هاني وام سلمة وغيرهم
وفي تفسير الحافظ ابن كثير من ذلك ما يكفي ويشفي وبالجملة فحديث الاسرا اجمع عليه
المسلمون واعرض عنه الملحدون يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم والله متم نوره

ولو كره الكافرون **وقد روى البخاري** عن قتادة عن انس ابن مالك عن مالك بن صعصعة
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به بينما انا نايم في الحطيم وربما قال
في الحجر مضطجعا اذ اتاني ات فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه
فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج
قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد **ثم اتيت**
بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود وهو البراق يا ابا حمزة قال
انس نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السما الدنيا
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال
نعم قيل مرحبا فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت فاذا فيها ادم قال هذا ابوك ادم فسلم
عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح **ثم صعد**
الى السما الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح لنا فلما خلصنا اذا يحيى
وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح **ثم صعد** بي الى السما الثالثة فاستفتح فقيل من
هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا
به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت اذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح **ثم صعد** بي الى السما الرابعة فاستفتح قيل من
هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به
فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت اذا ادريس قيل هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه
فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح **ثم صعد** بي حتى اتى السما الخامسة
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال
نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا هو هارون قال هذا هرون فسلم عليه
فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى فقيل له
ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من
امتي **ثم صعد** الى السما السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت
اذا هو موسى قيل هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ
الصالح والنبي الصالح **ثم صعد** بي الى السما السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا

فلما خلصت فاذا هو ابرهيم قال هذا ابوك فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام فقال
مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الي سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر
واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان
ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما
الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك
ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخترت اللبن فقال هي الفطرة التي انت
عليها وامتك ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم قال فرجعت فمررت على موسى
فقال بما امرت قال امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة
كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الي
ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الي موسى فقال مثله
فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الي موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت
الي موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فقال مثله فرجعت فامرت
بخمس صلوات كل يوم فرجعت الي موسى فقال بما امرت فقلت امرت بخمس صلوات كل
يوم قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني جربت الناس قبلك وعالجت
بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الي ربك فسأله التخفيف لامتك قال سالت ربي
حتى استحييت منه ولكني ارضى واسلم قال فلما جاوزت ناداني مناد امضيت فريضتي
وخففت عن عبادي وفي رواية له ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست
من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغه في صدري ثم اطبقه وفي رواية شريك فحشي
به صدره ولغاديده وهي بلام مفتوحة وغين معجمة اي عروق حلقه وفي النهاية
جمع لغدود وهي لحمة مشرفة عند اللهاة والشك في قوله وربما قال في الحجر عن
قتادة كما بينه احمد عن عفان عند البخاري في اول بدء الخلق بلفظ بينا انا عند
البيت وهو اعم وفي رواية الزهري عن انس عن ابي ذر فرج سقف بيتي وانا بمكة
وفي رواية الواقدي باسانيده انه اسري به من شعب ابي طالب وفي حديث ام هاني
عند الطبراني انه بات في بيتها قال ففقدته من الليل فقال ان جبريل اتاني والجمع
بين هذه الاقوال كما في فتح الباري انه بات في بيت ام هاني وبيتها عند شعب ابي
طالب ففرج سقف بيته واضاف البيت اليه لكونه كان يسكنه فنزل منه الملك
فاخرجه من البيت الي المسجد فكان به مضطجعا وبه اثر النعاس ثم اخذ الملك فاخرجه
من المسجد فاركبه البراق قال ووقع في مرسل الحسن عند ابن اسحق ان جبريل اتاه
فاخرجه الي المسجد فاركبه البراق وهو يؤيد هذا الجمع فان قيل لم فرج سقف

بيته عليه الصلاة والسلام ونزل منه الملك ولم يدخل من الباب مع قوله واتوا البيوت
من ابوابها اجيب بان الحكمة في ذلك ان الملك انصب من السما انصبابة واحدة ولم
يعرج على شي سواه مبالغة في المناجات وتنبيها على ان الطلب وقع على غير ميعاد
كرامة له صلى الله عليه وسلم وهذا بخلاف موسى عليه السلام فانه حمل عنه الم الانتظار
كما حمل عنه الم الاعتذار ويوخذ من هذا ان مقام نبينا عليه الصلاة والسلام بالنسبة
الي مقام موسى عليه السلام مقام المراد بالنسبة الي مقام المريد ويحتمل ان يكون توطية
وتمهيدا لكونه فرج عن صدره فاراه الملك بافراجه عن السقف ثم التام السقف
على الفور كيفية ما يصنع وقرب له الامر في نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفا
في حقه عليه السلام وتثبيتا للصبر والله تعالي اعلم وقوله مضطجعا زاد في بدء الخلق
بين النايم واليقظان وهو محمول على ابتداء الحال ثم لما خرج به الي باب المسجد فاركبه
البراق استمر في يقظته واما ما وقع في رواية شريك عنده ايضا فلما استيقظت
فان قلنا بالتعدد فلا اشكال والا حمل على ان المراد استيقظت يعني افاق مما كان
فيه من شغل البال لمشاهدة الملكوت ورجع الي العالم الدنيوي فالمراد الافاقة
البشرية من الغمرة الملكية وقوله اذا تاني آت هو جبريل عليه السلام وفي رواية
شريك انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحي اليه وهو نايم في المسجد الحرام فقال اولهم
ايهم هو قال اوسطهم هو خيرهم فقال اخرهم خذوا خيرهم وكانت تلك الليلة اي
كانت القصة الواقعة تلك الليلة ما ذكر هنا فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما
يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
فلم يكلموه حتى احتملوه وقد انكر الخطابي قوله قبل ان يوحي اليه وكذا القاضي عياض
والنووي وغيرهما وعبارة النووي وقع في رواية شريك يعني هذه اوهام انكرها
العلما احدها قوله قبل ان يوحي اليه وهو غلط لم يوافق عليه واجمع العلما على ان فرض
الصلاة كانت ليلة الاسرا فكيف يكون قبل الوحي انتهى فقد صرح هولا بان شريكا
تفرد بذلك لكن قال الحافظ ابن حجر في دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن
خنيس بالمعجمة ونون مصغرا عن انس كما اخرجه سعيد ابن يحيى بن سعيد الاموي
في كتاب المغازي من طريقه قال ولم يقع التعيين بين المجيين فيحمل على ان المجي
الثاني كان بعد الوحي وحينئذ وقع الاسرا والمعراج واذا كان بين المجيين مدة
فلا فرق بين ان يكون تلك المدة ليلة واحدة او ليالي او عدد سنين وبهذا يرتفع
الاشكال من رواية شريك ويحصل به الوفاق ان الاسرا كان في اليقظة بعد
البعثة وقبل الهجرة وسقط تشنيع الخطابي وغيره بان شريكا خالف الاجماع في قوله

في قوله ان المعراج كان قبل البعثة واقوى ما يستدل به على ان المعراج كان بعد البعثة قوله
في هذا الحديث نفسه ان جبريل قال لبواب السما اذ قال له ابعث قال نعم فانه ظاهر في ان
المعراج كان بعد البعثة ووقع في رواية ميمون بن سياه عند الطبراني فاتاه جبريل
وميكايل فقالا لا ايهم وكانت قريش تنام حول الكعبة فقال امرنا بسيدهم ثم ذهبا
ثم جاوه وهم ثلاثه وفي رواية مسلم سمعت قايلا يقول احد الثلاثه بين الرجلين
فاتيت فانطلق بي والمراد بالرجلين حمزة وجعفر وكان النبي صلى الله عليه وسلم نايما
بينهما وقوله فقد بالقاف والدال المهملة الثقيلة من ثغره بضم المثلثة وسكون
الغين المعجمة وهو الموضع المنخفض الذي بين الترقوتين الى شعرته بكسر الشين المعجمة
اي شعر العانة الشريفه وفي رواية مسلم الى اسفل بطنه وفي رواية للبخاري الى
مراق البطن وفي رواية شريك عنه فشق جبريل ما بين نحره الى لبته بفتح اللام
وتشديد الموحدة هو موضع القلادة من الصدر وقد انكر القاضي عياض في الشفا
وقوع شق صدره الشريف ليلة الاسرا وقال انما كان وهو صبي وقبل الوحي يعني في بني
سعد ولا انكار في ذلك كما قاله الحافظ ابو الفضل العسقلاني رحمه الله فقد
تواترت الاخبار والروايات به وثبت شق الصدر ايضا عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم
في الدلايل ولكل منهما حكمة فالاول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من الطفولية
حديث انس فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن
الطفولية فنشا على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ولعل هذا الشق كان
سببا في اسلام قرينه المروي عند البزار من حديث ابن عباس ويحتمل ان يكون اشارة
الى حظ الشيطان كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته وامكنه الله منه
واما شق الصدر عند البعث فلزيادة الكرامة وليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي
على اكمل الاحوال من التطهير واما شقه عند ارادة العروج الى السما فللتهي للترقي
الى الملا الاعلى والثبوت في المقام الاسنى والتقوي لاستجلا الاسما الحسنى ولهذا لما
لم يتفق لموسى عليه السلام مثل هذا التهي لم يتفق له الروية وكيف يثبت الرجل بما
لا يثبت له الجبل ويحتمل ان تكون الحكمة في هذا الغسل ليقع المبالغة في الاسباغ
بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه عليه السلام ثم ان جميع ما ورد من شق
الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة مما يجب التسليم
له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شي من ذلك
قال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل على ان قدرة الله تعالى لا يعجزها ممكن ولا
تتوقف لعدم شي ولا لوجوده وليست مربوطة بالعادة الا حيث شاته القدرة

لانه على

لانه على ما يعهد ويعرف ان البشر مهما شق بطنه كله واخرج القلب مات ولم يعش وهذا
النبي صلى الله عليه وسلم قد شق على بطنه المكرمة حتى اخرج القلب فغسل وقد شق بطنه
كذلك ايضا وهو صغير وشق قلبه واخرجت منه نزغة الشيطان ومعلوم ان القلب
مهما وصل اليه الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم شق بطنه في هاتين المرتين
ولم يتالم بذلك ولم يمت لما اراد الله تعالى ان لا يوثر ما اجرى به العادة وان يوثر
بها موت صاحبها فابطل تلك العادة وقد رمي ابرهيم عليه السلام في النار فلم تحرقه
وكانت عليه بردا وسلاما انتهى وقد حصل من شق صدره الكريم اكرامه عليه السلام
بتحقيق ما اوتي من الصبر فهو جنس مما اكرم به اسمعيل الذبيح بتحقيق صبره على مقدمات
الذبح شدا وكتفا وتلا للجبين واهوى بالمدية الى المنحر فقال ستجدني ان شا الله من
الصابرين ووفى بما عاهد وعد الله فاكرمه الله بالثنا على صبره الى الابد ولا مرية ان
الذي حصل من صبر نبينا صلى الله عليه وسلم على شق الصدر اشد واجل لان تلك مقدمات مات
وهذه نتيجة وتلك مما ربض وهذه حقيقة والنحر مقتل وما اصاب منه اسمعيل
الا صورة القتل لا فعله وشق صدر نبينا عليه الصلاة والسلام واستخراج قلبه
ثم شقه ثم كذا ثم كذا امقاتل عديدة وقعت كلها ولكن انخرقت العادة ببقا الحياة فهذا
الابتلا اعظم من ابتلا الذبيح بما ذكر فان قلت انما يتحقق الصبر ان لو كانت
هناك مشقة فلعل العادة لما انخرقت في ابقا الحياة انخرقت في رفع المشاق وحمل
الالام اجيب بانه ورد في حديث شق صدره فاقبل وهو منتقع اللون او
ممتقع بالميم بدل النون وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكوره محقق
قال القاضي عياض واصل انتقع صار كلون النقع والنقع الغبار وهو شبيه بلون
الاموات وهذا يدل على ان غاية المشقه واما قول ابن الجوزي فشقه وما شق عليه
فيحمل على انه صبر صبر من لم يشق عليه انتهى وكذلك الابتلا ايضا من حديث السن
فان ذلك وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم بعد ما فطم وايضا فانه كان منفردا عن امه
ويتيما من ابيه واختطف من بين الاطفال وفعل به ما فعل من الافعال تسهيلا لما
يلقاه في المال وتعظيما لما يلقاه فيما له على الصبر من التطاب والثنا ولهذا لما شج وجرح
انكسرت رباعيته قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون زاده الله شرفا وقوله ثم
اتيت بطست من ذهب انما اوتي بالطست لانه اشهر الات الغسل عرفا فان قلت
ان استعمال الذهب حرام في شرعه عليه الصلاة والسلام فكيف استعمل الطست
الذهب هنا اجاب العارف ابن ابي جمرة بان تحريم الذهب انما هو لاجل الاستمتاع
به في هذه الدار واما في الاخرة فهو للمومنين خالصا لقوله عليه الصلاة والسلام

هو لهم في الدنيا واما في الاخرة فهو للمومنين وهو لنا في الاخرة قال ثم ان الاستمتاع بهذا
الطست لم يحصل منه عليه الصلاة والسلام وانما كان غيره هو السابق له والمتناول
لما كان فيه حتى وضعه في القلب المبارك فسوقان الطست من هناك وكونه كان من ذهب
دال على ترفيع المقام فانتفى التعارض بدليل ما قررناه انتهى **وتعقبه** الحافظ ابن حجر
بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممالم يحرم عليه ذلك من الملائكة لانه اذا كان قد
حرم عليه استعماله لنزه ان يستعمله غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم ويمكن ان يقال
ان تحريم استعماله مخصوص باحوال الدنيا وما وقع في تلك الليلة كان الغالب انه
من احوال الغيب فيلحق باحكام الاخرة ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه
الشريعة وتظهر ها هنا مناسبات **منها** انه من اواني الجنة **ومنها** انه لا ياكله
النار ولا التراب **ومنها** انه لا يلحقه الصدى **ومنها** انه اثقل الجواهر فناسب ثقل قلبه
عليه الصلاة والسلام لانه من اواني الجنة ولا تاكله النار ولا التراب ان الله حرم
على الارض ان تاكل اجساد الانبيا ولا يلحقه الصدى وانه اثقل من كل قلب عدل
به وفيه مناسبة اخرى وهو ثقل الوحي عليه انتهى قلت قوله ولعل ذلك قبل ان يحرم
استعمال الذهب في هذه الشريعة قد جزم هو في اول الصلاة من كتابه فتح الباري
بان تحريم الذهب انما وقع للمدينة **وقال** السهيلي وابن دحية ان نظر الى لفظ
الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه
وان نظر الى معناه فلوضائته ونقايه وصفايه انتهى والمراد بقوله ملي حكمة وايمانا
ان الطست جعل فيها شي يحصل به كمال الايمان والحكمة فسمي حكمة وايمانا مجازا
ويحتمل ان يكون على حقيقته وتجسد المعاني جايز كما ان سورة البقرة تجي يوم
القيمة كانها ظلة والموت في صورة كبش وكذلك الاعمال وغير ذلك **وقال**
البيضاوي لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما مثلت له
صلى الله عليه وسلم الجنة والنار في عرض الحايط وفايدته كشف المعنوي بالمحسوس
وقال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات
لا معاني لانه عليه الصلاة والسلام قال عن الطست انه اتي به مملوا حكمة وايمانا
ولا يقع الخطاب الا على ما نفهم ونعرف والمعاني ليس لها اجسام حتى تملا وانما تملا
الانا بالاجسام والجواهر وهذا نص من الشارع عليه الصلاة والسلام بضد
ما ذهب اليه المتكلمون في قولهم ان الايمان والحكمة اعراض والجمع بين الحديث
وما ذهبوا اليه هو ان حقيقة اعيان المخلوقات التي ليس للحواس اليها ادراك
ولا من النبوة اخبار عن حقيقتها غير محققة وانما هو غلبة ظن لان للعقل

بالاجماع

بالاجماع من اهل العقل المويدين بالتوفيق حدا يقف عنده ولا يتسلط فيما عدى ذلك ولا
يقدر ان يصل اليه فهذا وما اشبهه منها لانهم تكلموا على ما ظهر لهم من الاعراض الصا
عن هذه الجواهر التي ذكرها الشارع عليه الصلاة والسلام في الحديث ولم يكن للعقل
قدرة ان يصل الى هذه الحقيقة التي اخبر بها عليه الصلاة والسلام فيكون الجمع بينهما
ان يقال ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن الجواهر وهو الذي يدرك بالعقل
والحقيقة ما ذكره عليه الصلاة والسلام في الحديث ولهذا نظاير كثيرة بين المتكلمين
واثار النبوة ويقع الجمع بينهما على الاسلوب الذي قررناه وما اشبهه ثم مثل بمجي
الموت في هيئة كبش املح ثم بالاذكار والتلاوة ثم قال لان ما ظهر منها هنا معان
ويوجد يوم القيمة جواهر محسوسات لانها توزن ولا يوزن في الميزان الا الجواهر
قال وفي ذلك دليل لاهل الصوفية واصحاب المعاملات والتحقيق القايلين بانهم
يرون قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم وايمان اخوانهم باعين بصايرهم جواهر
محسوسات **ومنهم** من يعاين بانه مثل المصباح **ومنهم** من يعاينه مثل الشمعة **ومنهم**
من يعاينه مثل المشعل وهو اقواها ويقولون بانه لا يكون المحقق محققا حتى
يعاين قلبه بعين بصيرته كما يعاين كفه بعين بصره فيعرف الزيادة فيه من
النقصان **فان قيل** ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم ملي ايمانا وحكمة ولو لم
يوجد الله تعالى ذلك فيه من غير ان يفعل به ما فعل اجاب العارف ابن ابي جمرة
بانه عليه الصلاة والسلام لما اعطي كثرة الايمان والحكمة وقوي التصديق اذ ذاك
اعطي برويته شق البطن والقلب عدم الخوف من جميع العادات الجارية بالهلاك
فحصلت له عليه الصلاة والسلام قوة الايمان من ثلاثة اوجه بقوة التصديق
والمشاهدة وعدم الخوف من العادات المهلكات فكمل له عليه الصلاة والسلام
بذلك ما اريد منه من قوة الايمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه ولاجل
ما اعطيه مما اشرنا اليه كان عليه الصلاة والسلام في العالمين اشجعهم واثبتهم
واعلاهم حالا ومقالا ففي العلوي كان كما اخبر عليه السلام ان جبريل لما وصل
معه الى مقامه قال ها انت وربك هذا مقامي لا اتعداه فزج في النور زجة
ولم يتوانا ولم يلتفت وكان هنالك في الحضرة كما اخبر عنه ربه عز وجل بقوله ما زاغ
البصر وما طغى **واما حاله** عليه الصلاة والسلام في هذا العالم فكان اذا احمي الوطيس
في الحرب ركض بغلته في نحو العدو وهم شاكين في سلاحهم ويقول انا ابن عبد
المطلب انا النبي لا كذب ثم ان في العناية بتطهير قلبه المقدس وافراغ الايمان
والحكمة فيه اشارات الى مذهب اهل السنة في ان محل العقل ونحوه من اسباب

الادراكات كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة ه
واما الحكمة في غسل قلبه المقدس بماء زمزم فقيل لان ماء زمزم يقوي القلب ويسكن
الروع قال الحافظ الزين العراقي وكذلك غسل به قلبه ليلة الاسرا صلى الله عليه
وسلم ليقوى على روية الملكوت واستدل شيخ الاسلام البلقيني بغسل قلبه الشريف
به على انه افضل من ماء الكوثر قال لانه لم يكن ليغسل قلبه المكرم الا بافضل المياه
واليه يومي قول العارف ابن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس واما قوله عليه الصلاة
والسلام فغسل صدري فالظاهر ان المراد به القلب كما في الرواية الاخرى وقد
يحتمل ان يحمل كل رواية على ظاهرها ويقع الجمع بان يقال اخبر عليه الصلاة والسلام
مرة بغسل صدره الشريف ولم يتعرض لذكر قلبه واخبر مرة اخرى بغسل قلبه ولم
يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما معا مبالغة في تنظيف المحل
المقدس ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقى اليه
من الخير وقد غسل اولا وهو عليه الصلاة والسلام طفل واخرجت من قلبه
نزغة الشيطان وانما كان ذلك اعظاما وتاهبا لما يلقى هنا وقد جرت الحكمة
بذلك في غير ما موضع مثل الوضوء للصلاة لمن كان متنظفا لان الوضوء في حقه
انما هو اعظام وتاهب للوقوف بين يدي الله تعالى ومناجاته فلذلك غسل
جوفه الشريف هنا وقد قال الله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى
القلوب فكان الغسل له عليه الصلاة والسلام من تعظيم شعائر الله واشارة ه
لامته بالفعل بتعظيم شعائر الله كما نص عليه بالقول واما قوله ثم اوتيت بدابة
دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق
بي جبريل حتى السما الدنيا وفي رواية عنده في الصلاة ثم اخذ بيدي فعرج به
الى السما فظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السما قال العارف ابن ابي
جمرة افاد ذلك انهم كانوا يمشون في الهوا وقد جرت العادة بان البشر لا يمشي في
الهوا سيما وكان راكبا على دابة من ذوات الاربع لكن لما ان شات القدرة ذلك
كان فكما بسط تعالى لهم الارض يمشون عليها كذلك يمشيهم في الهوا كل ذلك
بيد قدرته لا ترتبط قدرته تعالى بعادة جارية وقد سئل عليه الصلاة والسلام
حين اخبر عن الاشقيا الذين يمشون على وجوههم يوم القيمة كيف يمشون فقال
عليه الصلاة والسلام الذي امشاهم في الدنيا على اقدامهم قادر ان يمشيهم
يوم القيمة على وجوههم انتهى وقد استدل بعضهم بهذا الحديث على ان
المعراج كان في ليلة غير ليلة الاسرا الى بيت المقدس لكون الاسرا اليه لم

يذكر هنا واما المعراج ففي غير هذه الرواية من الاخبار انه لم يكن على البراق بل رقي في
المعراج وهو السلم كما وقع التصريح به في حديث عند ابن اسحق والبيهقي في الدلايل كما سياتي
ان شا الله تعالى ويمكن ان يقال ما وقع هنا اختصار من الراوي والاتيان بثم المقتضيه
للتراخي لا ينافي وقوع الاسرا بين الامرين المذكورين وهما الاطلاق والعروج وحاصله
ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الاخر وثابت البناني قد حفظ الحديث ففي رواية عند
مسلم انه اتى بيت المقدس فصلى به ثم عرج الى السما كما سياتي ان شا الله تعالى فان قيل
ما الحكمة في الاسرا به راكبا مع القدرة على طي الارض له اشارة الى ان ذلك وقع تانيسا
له بالعادة في مقام خرق العادة لان العادة جرت ان الملك اذا استدعى من يختص به
بعث اليه بمركوب سني يحمله عليه في وفادته اليه وفي كلام بعض اهل الاشارات لما كان صلى
الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسر معنى كلمة كن ولم يكن بد من عرض
هذه الثمرة بين يدي مثمرها رفعها الى حضرة قربه والطواف بها على ندمان حضرته ارسل
اليه اعز خدام الملك عليه فلما ورد عليه قادما وافاه على فراشه نايما فقال قم يا نايم
فقد هيئت لك الغنايم • قال يا جبريل الى اين • قال يا محمد ارفع الاين من البين
انما انا رسول القدم • ارسلت اليك من جملة الخدم • يا محمد انت مراد الاراده •
الكل مراد لاجلك وانت مراد لاجله • انت صفوة كاس المحبه • انت درة هذه الصدفه
انت شمس المعارف • انت بدر اللطايف • ما مهدت الدار الا لاجلك • ما حمي ذلك
الحمى الا لوصلك • ما روق كاس المحبة الا لشربك • فقال عليه الصلاة والسلام يا جبريل
فالكريم يدعوني اليه فما الذي يفعل بي قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك • وما
تاخر قال يا جبريل هذا لي فما لعيالي واطفالي قال ولسوف يعطيك ربك فترضى
قال يا جبريل الان طاب قلبي ها انا ذاهب الى ربي ثم قال جبريل يا محمد انما جي
بي اليك الليلة لاكون خادم دولتك • وحاجب حاشيتك • وعامل غاشيتك •
وجي بالمركوب اليك لاظهار كرامتك لان من عادة الملوك اذا استزادوا حبيبا •
واستدعوا قريبا • وارادوا اظهار كرامته واحترامه ارسلوا اخص خدامهم واعز
نوابهم • لنقل اقدامهم فجيناك على رسم عادة الملوك • واداب السلوك • ومن اعتقد
انه يوصل اليه بالخطا • فقد وقع في الخطا • ومن ظن انه محجوب بالغطا • فقد حرم
العطا • انتهى والحكمة في كون البراق دابة دون البغل وفوق الحمار ابيض ولم
يكن على شكل الفرس اشارة الى ان الركوب كان في سلم وامن لا في حرب وخوف او
لاظهار المعجز بوقوع الاسرا الشديد بدابة لا توصف بذلك في العادة وذكره
بقوله ابيض باعتبار كونه مركوبا او عطفا على لفظ البراق واختلف في تسميته

بذلك فعيل من البريق وقال القاضي عياض لكونه ذا لونين يقال شاة رقطا اذا كان
في خلال صوفها الابيض طاقات سود وقيل من البرق لانه وصف بسرعة السير
ويحتمل ان لا يكون مشتقا ووصفه بانه يضع خطوه عند اقصى طرفه بسكون الرا
وبالفا اي يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره قال ابن المنير يقطع ما ينتهي اليه بصره
في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع الارض الى السما في خطوة واحدة لان بصر
الذي في الارض يقع على السما فبلغ اعلا السموات في سبع خطوات انتهى وفي رواية
ابن مسعود عند ابي يعلى والبزار كما افاده في الفتح اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه
واذا هبط ارتفعت يداه وفي رواية لابن سعد عن الواقدي باسانيده له جناحان
قال الحافظ ابن حجر ولم ارها لغيره وعند الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس في صفته
البراق له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالابل واظلاف وذنب
كالبقر وكان صدره ياقوتة حمرا وفي رواية ابن سعد في شرف المصطفى وكان الذي
امسك بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل وفي رواية معمر عن قتادة عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به مسرجا ملجما فاستصعب
عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط اكرم على الله منه قال
فارفض عرقا اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وصححه ابن حبان وذكر ابن اسحق
عن قتادة انه لما شمس وضع جبريل عليه السلام يده على معرفته وقال اما تستحي
وذكر نحوه لكنه مرسل لانه لم يذكر انسا وفي رواية وثيمة عند ابن اسحق نفست
حتى لصقت بالارض فاستويت عليها وفي رواية للنسائي وابن مردويه من طريق
يزيد ابن ابي مالك عن انس نحوه موصولا وزاد وكانت تسخر للانبيا قبله ونحوه
في حديث ابي سعيد عند ابن اسحق وفيه دلالة على ان البراق كان معدا لركوب
الانبيا خلافا لمن نفى ذلك كابن دحية واول قول جبريل فما ركبك اكرم على الله منه
اي ما ركبك احد قط فكيف يركبك اكرم منه فيكون مثل قول امرء القيس على لاحب
لا يهتدى بمناره فيفهم ان له منارا لا يهتدى به وليس المراد الا انه لا منار له البتة
فكيف يهتدى به فتامله وقد جزم السهيلي بان البراق انما استصعب عليه
لبعد ركوب الانبيا قبله وقال النووي قال صاحب مختصر العين وتبعه صاحب
التحرير كان الانبيا يركبون البراق قال وهذا يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد
تقدم النقل بذلك قال في الفتح ويؤيده ظاهر قوله فربطته بالحلقة التي
يربط بها الانبيا انتهى فليتامل فانه ليس فيه فربطته بالحلقة التي يربطها
الانبيا وانما قال تربطه بها الانبيا وسكت عن المربوط ما هو فيحتمل كما قال ابن

المنير

المنير ان يكون غير البراق ويحتمل ان يريد ارتباط الانبيا انفسهم بتلك الحلقة اي تمسكهم بها
ويكون من جنس العروة الوثقى انتهى لكن وقع التصريح بذلك في حديث ابي سعيد عند البيهقي
ولفظه فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبيا تربطها فيه وقد وقع عند ابن اسحق
من رواية وثيمة في ذكر الاسرا فاستصعب البراق وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم
تكن ركبت في الفترة وفي مغازي ابن عايذ من طريق الزهري عن سعيد ابن المسيب قال
البراق هو الدابة كان يزور ابرهيم عليها اسمعيل وعلى هذا فلا يكون ركوب البراق من
خصايصه صلى الله عليه وسلم نعم قيل ركوبه مسرجا ملجما لم يرو لغيره من الانبيا عليهم السلام
فان قلت ما وجه استصعاب البراق عليه اجيب بانه تنبيه على انه لم يذلل قبل
ذلك ان قلنا انه لم يركبه احد قبله او لبعد العهد به ان قلنا انه ركب قبله ويحتمل ان
يكون استصعابه تيها وزهوا بركوبه صلى الله عليه وسلم واراد جبريل ابمحمد تستصعب
استنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه زهوا لمكان الرسول عليه
عليه الصلاة والسلام منه ولهذا قال فارفض عرقا فكانه اجاب بلسان الحال متبريا
من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب ومثل هذا رجفة الجبل به حتى قال اثبت
فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فانها هزة الطرب لا هزة الغضب وكذا
البراق لما قال له جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم على الله منه فاستقر وخجل من ظاهر
الاستصعاب وتوجه الخطاب فعرق حتى غرق ووقع في حديث حذيفة عند الامام
احمد قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فلم يزل على ظهره هو وجبريل حتى
انتهينا الى بيت المقدس وهذا لم يسنده حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل
انه قاله عن اجتهاد ويحتمل ان يكون قوله هو وجبريل يتعلق بمرافقته في السير لا في
الركوب وقال ابن دحية معناه وجبريل قايدا او سايقا او دليلا قال وانما جزمنا
بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه قال عن اجتهاد
ويحتمل ان يكون قوله هو وجبريل يتعلق بمرافقته في السير لا في الركوب قال وانما جزمنا
بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها
وقد تعقب الحافظ ابن حجر التاويل المذكور بان في صحيح ابن حبان من حديث ابن
مسعود ان جبريل حمله على البراق رديفا له وفي رواية الحارث في مسنده اتي بالبراق
فركبه خلف جبريل فسار بهما فهذا صريح في ركوبه معه والله اعلم وقد وقع في غير هذه
الرواية بيان ما راه ليلة الاسرا فمن ذلك ما وقع في حديث شداد ابن اوس عند
البزار والطبراني وصححه البيهقي في الدلايل انه اول ما اسري به مر بارض ذات نخل
فقال له جبريل انزل فصل فصلى فقال صليت بيثرب ثم مر بارض بيضا فقال

انزل فصل فصلى فقال صليت بمدين ثم مر ببيت لحم فقال انزل فصل فنزل فصلى فقال
صليت حيث ولد عيسى وفي حديث انس عند البيهقي في الدلايل لما جاء جبريل بالبراق
الى النبي صلى الله عليه وسلم وكانما اخرت اذنيها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك
مثله فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بعجوز على جنب الطريق فقال ما هذا
يا جبريل قال سر يا محمد فسار ما شا الله ان يسير فاذا هو بشيخ يدعوه متنحيا عن الطريق
يقول هلم يا محمد فقال له جبريل سر وانه مر بجماعة فسلموا عليه فقالوا السلام عليك
يا اول السلام عليك يا حاشر فقال جبريل اردد عليهم السلام فرد الحديث وفي اخره فقال
له جبريل اما العجوز الذي رايت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا ما بقي من
عمر تلك العجوز والذي دعاك ابليس والعجوز الدنيا اما لو اجبتها لاختارت امتك
الدنيا على الاخرة واما الذي سلموا عليك فابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام قال
الحافظ عماد الدين ابن كثير في الفاظه نكارة وغرابة وفي رواية انه مر بموسى عليه
السلام وهو يصلي في قبره قال انس ذكر كلمة فقال اشهد انك رسول الله ولا مانع
ان الانبيا عليهم السلام يصلون في قبورهم لانهم احيا عند ربهم يرزقون فهم
يتعبدون بما يجدون من دواعي انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر
وستاتي الاشارة لذلك في حجة الوداع ان شا الله تعالى وفي رواية ابي هريرة عند
الطبراني والبزار انه عليه الصلاة والسلام مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم
كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام ما هذا قال هولا المجاهدون
في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة الى سبعماية ضعف وما انفقوا من شي فهو يخلفه
وهو خير الرازقين ثم اتى على قوم ترضخ روسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت
ولا يفتر عنهم من ذلك شي فقال ما هذا يا جبريل قال هولا الذين تتثاقل روسهم
عن الصلاة المكتوبة ثم اتى على قوم على اقبارهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون
كما تسرح الانعام يا كلون الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال ما هولا يا جبريل قال
هولا الذين لا يودون زكاة اموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد
ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدر ولحم ني في قدر خبيث فجعلوا يا كلون من
الني ويدعون النضيج قلت ما هذا يا جبريل قال جبريل هذا الرجل من امتك تكون
عنده المراة الحلال الطيب فياتي امراة خبيثة فيبيت حتى يصبح والمراة تقوم من
عند زوجها حلالا طيبا فتاتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح ثم اتى على رجل
قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا
الرجل من امتك تكون عليه امانات الناس لا يقدر على ادايها وهو يريد ان يحمل عليها

ثم اتى

ثم اتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر
عنهم من ذلك شي قال من ما هذا يا جبريل قال هولا خطبا الفتنة قال ثم اتى على حجر صغير
يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل
قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها ثم اتى على واد
فوجد فيه ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت
الجنة تقول يا رب ايتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي
وعبقريي ولولوي ومرجاني وفضتي وذهبي واكوابي وصحافي واباريقي ومراكبي وعسلي
ومايي ولبني وخمري فاتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومومن ومومنة ومن
امن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي ولم يتخذ من دوني اندادا ومن خشيني فهو
امن ومن سالني اعطيته ومن اقرضني جزيته ومن توكل علي كفيته اني انا الله لا اله
الا انا لا اخلف الميعاد قد افلح المومنون وتبارك الله احسن الخالقين قالت قد
رضيت ثم اتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة فقال ما هذا يا جبريل
قال هذا صوت جهنم تقول رب ايتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي واغلالي وسعيري
وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فاتني بما وعدتني
قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار لا يومن بيوم الحساب قال قد
رضيت قال فسار حتى اتى بيت المقدس وفي رواية ابي سعيد عن البيهقي دعاني
داع عن يميني انظرني اسالك فلم اجبه ثم دعاني اخر عن يساري كذلك فلم
اجبه وفيه اذا امراة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت
يا محمد انظرني اسالك فلم التفت اليها وفيه ان جبريل قال له اما الداعي الاول
فهو داعي اليهود ولو اجبته لتهودت امتك واما الثاني فداعي النصارى ولو اجبته
لتنصرت امتك واما المراة فالدنيا وفيه انه صعد الى السما الدنيا وراى فيها ادم
وانه راى اخونة عليها لحم طيب ليس عليها احد واخرى عليها لحم منتن عليها ناس
ياكلون قال جبريل هولا الذين يتركون الحلال وياكلون الحرام وانه مر بقوم
بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر وان جبريل قال له هم اكلة الربا وانه
مر بقوم مشافرهم كالابل يلتقمون جمرا فيخرج من اسافلهم وان جبريل قال له ان
هولا الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما وانه مر بنسا يتعلقن بثديهن وانهن الزواني
وانه مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمونه وانهم الغمازون اللمازون وفي حديث
ابي هريرة عند البزار والحاكم انه صلى الله عليه وسلم صلى ببيت المقدس مع الملايكة وانه
اتي هناك بارواح الانبيا فاثنوا على الله وفيه قول ابرهيم لقد فضلكم محمد وفي رواية

عبد الرحمن بن هشام عن انس ثم بعث له ادم فمن دونه فامهم تلك الليلة **وفي حديث**
ام هاني عند ابي يعلى ونشر لي رهط من الانبيا منهم ابرهيم وموسى وعيسى **وفي رواية**
ابي سلمة ثم حانت الصلاة فاممتهم اخرجه مسلم **وفي حديث** ابي امامة عند الطبراني
في الاوسط ثم اقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم **وفي رواية**
ثابت البناني عن انس عند مسلم قال فربطته يعني البراق بالحلقة وهي باسكان اللام
على التي تربط بها الانبيا بضمير المذكر اعادة على معنى الحلقة وهو الشي والمراد حلقة
باب مسجد بيت المقدس **قال صاحب التحرير** قال عليه الصلاة والسلام ثم دخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن
فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة اي اخترت اللبن الذي عليه نبتت الخلقة
وبه نبت اللحم ونشز العظم واخترته لانه الحلال الدايم في دين الاسلام بخلاف الخمر
فحرام فيما يستقر عليه الامر **وقال النووي** المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة
قال ومعناه والله اعلم اخترت علامة الاسلام والاستقامة **قال** وجعل
اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سايغا للشاربين سليم العاقبة **واما الخمر**
فانها ام الخبايث وجالبة لانواع الشر في الحال والمال انتهى **وقال القرطبي**
يحتمل ان يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه اول شي يدخل جوف المولود ويشق
امعاه والسر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم اليه دون غيره لكونه كان مالوفا له اولا
انتهى واذا كانت الخمر مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسرا كان بمكة فما وجه
تنفيره عليه السلام لاحد المباحين وما وجه عد ذلك صوابا وعد الاخر خطا وهما سوا
في الاباحة فيحتمل ان يكون توقاها تورعا وتعريضا بانها ستحرم وانه لما وافق الصواب
في علم الله تعالى قال له جبريل اصبت الفطرة اصبته واصاب الله بك كما روينا واذا قلنا
بانها كانت من خمر الجنة فيكون سبب تجنبها صورتها ومضاهات الخمر المحرمة اي في علم
الله تعالى وذلك ابلغ في الورع ويستفاد منه ان من اتخذ من ما الرمان او غيره ولو شرابا
قراحا شبيها او ضاهى به الخمر في الصورة وهياه في الهيات التي يتعاطاها اهل الشهوات من
الاجتماعات والالات فقد اتى منكرا وان كان لا يحد عليها قاله ابن المنير وينظر فيما عمله
كثير من فقرا اليمن وغيرهم بمكة المشرفة وجدة وغيرهما من ما قشر البن ويسمونه بالقهوه
وهي اسم من اسما الخمر **وفي حديث** ابن عباس عند احمد فلما اتى المسجد الاقصى قام يصلي فلما
انصرف جي بقدحين في احدهما لبن وفي الاخر عسل فاخذ اللبن **وفي رواية** البزار
بثلاثة اواني وان الثالث كان خمرا وان ذلك وقع ببيت المقدس وان الاول كان ما
ولم يذكر العسل **وفي حديث** شداد ابن اوس فصليت من المسجد حيث شا الله واخذني

من العطش

من العطش اشد ما اخذني فاتيت باناين احدهما لبن والاخر عسل ثم هداني الله فاخذت
اللبن فقال شيخ بين يدي يعني لجبريل اخذ صاحبك الفطرة **وقد كان اتيانه**
بالاواني مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورويته
الانهار الاربعة وممن صرح بانه كان مرتين الحافظ عماد الدين ابن كثير وعلى هذا فيكون
تكرار جبريل عليه السلام للتصويب حيث اختار اللبن تاكيد التحذير مما سواه وقد
انكر حذيفة ربط البراق بالحلقة فروى احمد والترمذي من حديث حذيفة قال
يحدثون بانه ربطه خاف ان يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة وكذا انكر
حذيفة ايضا صلاته عليه الصلاة والسلام ببيت المقدس **وتعقبه** البيهقي وابن كثير
بان المثبت مقدم على النافي يعني من اثبت ربط البراق والصلاة في بيت المقدس
معه زيادة علم على من نفى ذلك فهو اولى بالقبول ووقع في رواية بريدة عند البزار لما
كان ليلة اسري به فاتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها
فشد بها البراق ونحوه للترمذي **وفي حديث** ابي سعيد عند البيهقي حتى اتيت
بيت المقدس فاوثقته بالحلقة فصلى كل واحد منا ركعتين **وفي حديث**
ابن مسعود نحوه وزاد ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قايم وراكع وساجد ثم
اذن موذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يومنا فاخذ بيدي جبريل
فقدمني فصليت بهم **وفي حديث** ابن مسعود ايضا عند مسلم وحانت الصلاة فاممتهم
وفي حديث ابن عباس عند احمد فلما اتى صلى الله عليه وسلم الاقصى قام يصلي فاذا
النبيون اجمعون يصلون معه **وعن** ابي سعيد ثم سار حتى اتيت المقدس فنزل
فربط فرسه الى صخرة ثم دخل فصلى مع الملايكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من
هذا الذي معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال
نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا
فاثنوا على ربهم فقال ابرهيم عليه السلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني
ملكا عظيما وجعلني امة قانتا يوتم بي وانقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما
ثم ان موسى عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي كلمني تكليما واصطفاني
وانزل علي التورية وجعل هلاك فرعون ونجاة بني اسرايل على يدي وجعل من امتي
قوما يهدون بالحق وبه يعدلون **ثم ان داود** عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد
لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور والان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن
معي والطير واتاني الحكمة وفصل الخطاب **ثم ان سليمان** عليه السلام اثنى على ربه
فقال الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون ما شيت من محاريب

وتماثيل وعلمني منطق الطير واتاني ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وجعل لي ملكا طيبا
ليس علي فيه حساب ثم ان عيسى عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعلني
كلمته وجعلني مثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتورية
والانجيل وجعلني اخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وجعلني
ابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله ورفعني وطهرني واعاذني وامي من
الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال وان محمدا صلى الله عليه وسلم
اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
وكافة للناس اجمعين بشيرا ونذيرا وانزل علي القران فيه تبيانا لكل شي وجعل امتي
امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري
ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا افضلكم محمد ثم ذكر
انه عرج به الى السما ومن سما الى سما ذكره القاضي عياض في الشفا مختصرا من حديث
ابي هريرة من غير عزو ورواه البيهقي من حديث ابي سعيد الخدري وهذا لفظه
وفي رواية ابي حاتم في تفسيره عن انس فلما بلغ بيت المقدس فبلغ المكان الذي يقال
له باب محمد اتى الى الحجر الذي به فغمز جبريل باصبعه فنقبه ثم ربطها فلما استويا
في صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سالت ربك ان يريك الحور العين قال نعم
قال فانطلق الى اولئك النسوة فسلم عليهن قال فسلمت عليهن فرددن علي السلام
فقلت لهن من انتن فقلن خيرات حسان نسا قوم ابرار نقوا فلم يدرنوا واقاموا فلم
يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت فلم البث الا يسيرا حتى اجتمع ناس
كثير ثم اذن موذن واقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا فانتظر من يومنا فاخذ
جبريل بيدي فقدمني فصليت بهم فلما انصرفت قال لي جبريل اتدري من صلى
خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله قال القاضي عياض يحتمل ان يكون صلى
الله عليه وسلم صلى بالانبيا جميعا في بيت المقدس ثم صعد منهم الى السما من ذكر انه
صلى الله عليه وسلم راه ويحتمل ان يكون صلى بهم بعد ان اهبط من السما فهبطوا ايضا
والاظهر ان صلاته بهم ببيت المقدس وبعده فان في الحديث كان قبل العروج انتهى
وقال ابن كثير صلى بهم ببيت المقدس وبعده فان في الحديث ما يدل على ذلك ولا
مانع منه انتهى وقد اختلف في هذه الصلاة هل هي فرض او نفل واذا قلنا انها
فرض فاي صلاة هي قال بعضهم الاقرب انها الصبح ويحتمل ان تكون العشا وانما
يتاتى على قول من قال صلى بهم قبل عروجه الى السما واما على قول من قال انه صلى بهم
بعد العروج فيكون الصبح قال ابن كثير ومن الناس من يزعم انه امهم في السما

ظاهر ما يرد به الروايات انه بيت المقدس والظاهر انه بعد رجوعه اليه لانه لما مر
بهم في منازلهم جعل يسال جبريل عنهم واحدا واحدا الى الجناب العلوي ليفرض
الله عليه وعلى امته ما يشا ثم لما فرغ مما اريد به اجتمع هو واخوانه من النبيين
ثم اظهر شرفه عليهم بتقديمه في الامامة • وفي رواية ابن اسحاق انه عليه الصلاة
والسلام قال لما فرغت مما كان في بيت المقدس اتي بالمعراج ولم ار شيئا احسن
منه وهو الذي يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر فاصعدني صاحبي فيه حتى انتهى
الى باب من ابواب السماء • وفي رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة
من ذهب حتى عرج هو وجبريل وفي شرف المصطفى انه اتي بالمعراج من جنة الفردوس
وانه منضد عن يمينه ملايكة وعن يساره ملايكة • وفي رواية ابي سعيد عند
البيهقي ثم اتيت بالمعراج الذي تعرج عليه ارواح بني ادم فلم ير الخلايق احسن
من المعراج اما رايتم الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء فان ذلك عجبه
بالمعراج وذكره البيهقي في الدلايل وابو جعفر بن جرير مطولا من طريق ابي
هارون العبدي وهو ضعيف عن ابي سعيد مطولا وقد تقدم في حديث البخاري
السابق فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قيل جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم ولم يقل جبريل عليه السلام
انا جبريل قيل لانه من انما سمي نفسه نفذا جبريل لان لفظ انا فيه اشعار بالعظمة
وفي الكلام السائر اول من قال انا ابليس فشقي • وايضا فقوله انا مبهمة لا تنفك
الضمير الى الغير فهي غير في البيان • وعلى هذا فينبغي للمستاذن اذا قيل له من
ان لا يقول انا بل يقول فلان وفي رواية للبخاري ومسلم فعرج وهو بفتح العين
بمعنى صعد • وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي حتى انتهى الى باب من ابواب السما
يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسماعيل تحت يده اثني عشر الف ملك
وفي رواية شريك عند البخاري ايضا ثم صعد به عرج الى السماء الدنيا فضرب بابا
من ابوابها فناداه اهل السماء الدنيا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك
قال محمد قالوا اوقد بعث اليه قال نعم قالوا فمرحبا واهلا فيستبشر
به اهل السماء لا يعلم اهل السماء بما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم على اي
لسان من شا كجبريل • ووقع في هذه الرواية انه راى في سماء الدنيا النيل والفرات
عنصرهما وظاهره يخالف حديث مالك بن صعصعة فان فيه بعد ذكر سدرة
المنتهى فاذا في اصلها اربعة انهار ويجمع بان اصل نبعهما من تحت سدرة
المنتهى ومقرهما في السماء الدنيا ومنها ينزلان الى الارض • ووقع في هذه الروا(ية)
ايضا ثم مضى به في سما الدنيا فاذا هو بنهر اخر عليه قصور من لولو وزبرجد
وانه الكوثر وهو مما استشكل من رواية شريك فان الكوثر في الجنة والجنة

فوق السماء السابعة ويحتمل ان يكون تقديره ثم مضى في السماء الدنيا ومنها
ينزل الى الارض ووقع في هذه الرواية ايضا ثم مضى به في السماء الدنيا فاذا هو
بنهر اخر عليه الى السابعة فاذا هو بنهرين • ثم ان في قوله في الحديث استفتح دلالة
على انه صادف ابواب السماء مغلقة والحكمة في ذلك والله اعلم التنويه بقدره
عليه الصلاة والسلام وتحقيق ان السموات لم تفتح ابوابها الا من اجله ولو
وجدها مفتوحة لم يتحقق انها فتحت لاجله فلما فتحت له تحقق عليه الصلاة والسلام
ان المحل مصون وانه فتحه له كرامة وتبجيل • واما قوله في الحديث ارسل اليه •
وفي رواية وقد بعث اليه فيحتمل ان يكون استفهم عن الارسال اليه للعروج الى
السماء وهو الاظهر لقوله اليه لان اصل بعثته قد اشتهر في الملكوت الاعلى وقيل
سألوا تعجبا من نعمة الله عليه بذلك واستبشارا به وقد علموا انه بشر لا يترقى
هذا الترقي الا باذن من الله تعالى وان جبريل لا يصعد بمن لم يرسل اليه وفي
رواية قد بعث اليه • وقيل ان الله تعالى اراد اطلاع نبيه على انه معروف عند
الملأ الاعلى لانهم قالوا او بعث اليه او ارسل اليه فدل على انهم كانوا يعرفون
ان ذلك سيقع له ولا بد انهم يقولون ومن محمد مثلا • ولذلك اجابوا بقولهم مرحبا
به ولنعم المجيء جاء • وكلامهم بهذه الصيغة ادل دليل على ما ذكرناه مع معرفتهم
بجلالته وتحقق رسالته لان هذا اجل ما يكون من حسن الخطاب والترفيع على
المعروف من عادة العرب واما قوله من معك فيشعر بانهم احسوا به عليه الصلاة
والسلام والا لكان السؤال بلفظ امعك احد وهذا الاحساس اما بمشاهدة
لكون السماء شفافة واما بامر معنوي كزيادة انوار ونحوها وقال الحافظ
ابن حجر ولعله اخذه من كلام العارف ابن ابي جمرة حيث قال في بهجته الثاني
ان يكون سؤالهم لما راوا اجيز اليه وانبا له عليهم زيادة الانوار وغيرها من
المآثر الحسان زيادة على ما يعهدونه منه قال وهذا هو الاظهر لانهم قالوا
من الشخص الذي من اجله هذه الزيادة التي معك فاخبرهم بما ارادوا وهو تعيين
الشخص باسمه حتى عرفوه انتهى وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى لقد راى
من ايات ربه الكبرى انه راى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس
المملكة واما قولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء فيحتمل ان يكونوا قالوه لما عاينوه
من بركاته عليه الصلاة والسلام التي سبقته للسماء مبشرة بقدومه • وفيه
تقديم وتأخير والتقدير جاء ولنعم المجيء مجيئه وانما لم يقل الخازن مرحبا بك
بصيغة الخطاب بل قال بصيغة الغيبة تعظيما له لانه حياه قبل ان يفتح الباب
وقبل ان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم خطاب ويحتمل ان يكون حياه بصيغة
الغيبة تعظيما له لان هاء الغيبة ربما كانت افخم من هاء الخطاب • واما قوله

في الحديث فاذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك
واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من
هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل
الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل
شماله بكى فالاسودة بوزن ازمنة هي الاشخاص • والنسم بالنون والسين المهملة
المفتوحتين جمع نسمة وهي الروح • وقد قال القاضي عياض جاء ان ارواح الكفار
في سجين وان ارواح المؤمنين منعمة في الجنة يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء
الدنيا واجاب بانه يحتمل انها تعرض على آدم اوقاتا فوافق وقت عرضها
مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على ان كونهم في النار انما هو في اوقات
دون اوقات قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا واعترض بان
ارواح الكفار لا تفتح لها ابواب السماء كما هو نص القرآن والجواب
ما ابداه هو احتمالا لان الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار كانت في جهة شماله
وكان يكشف له عنهما ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء ان تفتح لها ابواب
ولا تلجها وفي حديث ابي هريرة عند البزار فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح
طيبة وعن شماله باب يخرج ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن
شماله حزن وهذا لو صح لكان المصير اليه اولى من جميع ما تقدم ولكن سنده
ضعيف قاله الحافظ ابن حجر واما قوله في الحديث ثم صعد حتى السماء الثانية
فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم
قيل مرحبا فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصنا اذا بيحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا
ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح الى قوله ثم صعد بي الى السماء السابعة
فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا
ابوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح
والنبي الصالح هذه الرواية موافقة لرواية ثابت عن انس عند مسلم ان في السماء
الاولى آدم وفي الثانية يحيى وعيسى • وفي الثالثة يوسف • وفي الرابعة ادريس
وفي الخامسة هارون • وفي السادسة موسى • وفي السابعة ابراهيم وخالف
في ذلك ابن شهاب الزهري وفي روايته عن انس عن ابي ذر كما في اول الصلاة من
البخاري ايضا انه لم يثبت كيف منازلهم وقال فيه ابراهيم في السماء السادسة
وفي رواية شريك عن انس ان ادريس في الثانية وهارون في الرابعة واخر
في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل
كلام الله وسيأتي ما يدل على انه لم يضبط منازلهم ايضا كما صرح به الزهري ورواية

من يضبط اولى ولاسيما من اتفاق قتادة وثابت وقد وافقهما يزيد بن ابى مالك
عن انس الا انه خالف فى ادريس وهارون فقال هارون فى الرابعة وادريس
فى الخامسة ووافقهم ابن سعيد الا ان فى رواية يوسف فى الثالثة وعيسى ويحيى
فى الثانية **والمشهور** فى الروايات ان الذى فى السابعة هو ابراهيم واكد
ذلك فى حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان موسى فى السابعة بانه كان
مسندا ظهره الى البيت المعمور فمع التعدد لا اشكال ومع الاتحاد فى السابعة
على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان موسى فى السابعة لانه
لم يذكر فى القصة ان ابراهيم كلمه فى شى مما يتعلق بما فرض على امته من الصلاة
كما كلمه موسى عليه السلام والسماء السابعة هى اول شى انتهى اليه حالة الهبوط
فناسب ان يكون موسى بها لانه هو الذى خاطبه فى ذلك كما ثبت فى جميع الروايات
ويحتمل ان يكون لقاء موسى فى السادسة فاصعد معه الى السابعة تفضيلا له على
غيره من اجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك فى كلامه مع نبينا فيما يتعلق
بامر امته فى الصلاة قاله فى فتح البارى **وقال** النووى اشارا الى شى
من ذلك ٠ وفى رواية شريك عن انس فى قصة موسى لم اظن احدا يرفع على **قال**
ابن البطال فهم موسى عليه السلام من اختصاصه بكلام الله تعالى انى اصطفيتك
على الناس برسالاتى وبكلامى ان المراد بالناس هنا البشر كلهم وانه استحق
بذلك الا يرفع عليه احد فلما فضل الله تعالى محمدا عليهما الصلاة والسلام بما
اعطاه من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى وغيره بذلك **وفى حديث**
ابى سعيد قال موسى يزعم بنو اسرائيل انى اكرم على الله وهذا اكرم على منى
زاد الاموى فى روايته ولو كان هذا وحده هان ولكن معه امته وهم افضل
الامم عند الله **وفى حديث** مالك بن صعصعة فلما جاوزته بكى موسى فنودى
ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدى يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل
من امتى ولم يكن بكاء موسى عليه السلام حسدا معاذ الله فان الحسد
فى ذلك العالم منزوع من آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى بل كان
اسفا على ما فاته من الاجر الذى يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من
امته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة لتنقيص اجره
لان لكل نبى مثل اجر من اتبعه ولهذا كان من اتبعه فى العدد دون من اتبع نبينا
صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة **قال** العارف
ابن ابى جمرة قد جعل الله تعالى فى قلوب انبيائه عليهم السلام الرأفة والرحمة
لاممهم وانهم على ذلك وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فقيل له ما يبكيك قال
هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء والانبياء عليهم الصلاة والسلام

فقد اخذوا

فقد اخذوا من رحمة الله اوفر نصيب فكانت الرحمة فى قلوبهم لعباد الله اكثر من غيرهم
فلاجل ما كان لموسى عليه السلام من الرحمة واللطف بكى اذ ذاك رحمة منه لامته لان
هذا وقت افضال وجود وكرم فرجا لعل ان يكون وقت القبول والافضال فيرحم الله
امته ببركة هذه الساعة فان قال قائل كيف يكون هذا وامته لا تخلو من قسمين قسم
قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر لم يدخل الجنة ابدا فبكاؤه لاجل ما
ذكر لا يسوغ لان الحكم فيهم قد تم ونفذ **قيل** ان الله تعالى قد قدر قدره
على قسمين فقدر قدرا وقدر ان ينفذ على كل الاحوال وقدر قدرا وقدر ان
لا ينفذ ويكون رفعه بسبب دعاء او صدقة او غير ذلك فلاجل ما ركب فى
موسى عليه السلام من اللطف والرحمة بالامة طمع لعل ان يكون ثم ما يتقوى
من القدر الذى قدره الله تعالى وقدر ارتفاعه بسبب الدعاء والتضرع اليه
وهذا وقت يرجى فيه التعطف والاحسان من الله تعالى لانه وقت اسرى
نبيه بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع القرب والفضل العظيم فطمع الكليم لعل
ان يحصل لامته نصيب من هذا الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم
ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله وهذه نفحة من النفحات فتعرض لها موسى
فكان امر قد قدر بالاسباب لا تؤثر الا بما سبقت القدرة بانها فيه تؤثر وما كان
نقضا نافذا لا ترده الاسباب حتم قد لزم وفى بكائه عليه الصلاة والسلام وجه
اخر وهو البشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم وادخال السرور عليه وذلك ان
موسى عليه السلام الذى هو اكثر الانبياء اتباعا ان الذين يدخلون الجنة من امة
محمد صلى الله عليه وسلم اكثر ممن يدخلها من امتى **واما قول** موسى عليه الصلاة
والسلام لان غلاما لم يقل غير ذلك من الصفة فاشارة الى صغر سنه بالنسبة اليه
وفى القاموس والغلام الطار الشارب والكهل ضد **وقال** الخطابى العرب
تسمى الرجل المستجمع السن غلاما ما دامت فيه بقية من القوة قال فى فتح البارى
ويظهر لى ان موسى عليه السلام اشار الى ما انعم الله به على نبينا من استمرار القوة
فى الكهولة الى ان دخل فى اول سن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعترا
فى قوته نقص حتى ان الناس فى قدومه المدينة لما رأوه مردفا ابا بكر اطلقوا
عليه اسم الشاب وعلى ابى بكر اسم الشيخ مع كونه عليه الصلاة والسلام فى العمر
اسن من ابى بكر والله اعلم **وقد ذكرت** ذلك فى الهجرة من المقصد الاول وقد
وقع فى حديث ابى هريرة عند الطبرى فى ذكر ابراهيم فاذا هو برجل اشمط
جالس عند باب الجنة على كرسى **وفى رواية** مسلم من حديث ثابت عن انس
ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاذا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا
ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا

بعود وزاليه وفيه عند البيهقي وابي هريرة عند الطبري فاذا انا
برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر
على سائر الكواكب وهذا ظاهره ان يوسف عليه الصلاة والسلام
كان احسن من جميع الناس لكن روى الترمذي من حديث انس ما بعث
الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها
واحسنهم صوتا فعلى هذا يحمل حديث المعراج على ان المراد غير النبي صلى
الله عليهما وسلم ويؤيده قول من قال ان المتكلم لا يدخل في عموم
خطابه **وحمل** ابن المنير حديث الباب على ان المراد ان يوسف
اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم **واما قوله**
في الحديث عن ادريس ثم قال مرحبا بالاخ الصالح فيحتمل على
اخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الولد والوالد **وقال**
ابن المنير وفي طريق شاذة مرحبا بالابن الصالح وهذه هي
القياس لانه جده الاعلى **وقيل** ان ادريس الذي لقيه
ليس هو الجد المشهور ولكنه الياس فان كان كذلك ارتفع
الاشكال **فان قلت** لم كان هؤلاء الانبياء في
السموات دون غيرهم من الانبياء وما وجه اختصاص كل واحد
منهم بسماء تخصه ولم كان في السماء الثانية مخصوصها اثنان
اجيب عن الاقتصار على هؤلاء دون غيرهم من الانبياء
بانهم امروا بملاقاة نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من ادركه
في اول وهلة ومنهم من تاخر فلحقه ومنهم من فاته **وقيل**
اشارة الى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع
لكل منهم فاما ادم عليه السلام فوقع التنبيه بما وقع له من
الخروج من الجنة الى الارض بما سيقع لنبينا صلى الله عليه وسلم
من نفس الهجرة الى المدينة والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة
وكراهة فراق ما الفه من الوطن ثم كان عاقبة كل منهما ان
يرجع الى وطنه الذي خرج منه وبيحيى وعيسى على ما وقع
له اول الهجرة من عداوة اليهود وتماليهم على البغي
عليه وارادتهم السوء به وبيوسف على ما وقع له مع اخوته
بما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من قريش في نصبهم
الحرب له وارادتهم اهلاكه وكانت العاقبة له وقد
اشار عليه الصلاة والسلام

عليه الصلاة والسلام الى ذلك يوم الفتح بقوله لقريش اقول كما قال يوسف لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقاء وبادريس على رفيع
منزلته عند الله تعالى وبهرون على ان قومه رجعوا الى محبته بعد ان اذوه
وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه **وقد اشار الى ذلك** عليه الصلاة والسلام
بقوله لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر وبابراهيم في استناده الى البيت المعمور
بما ختم له صلى الله عليه وسلم في اخر عمره من اقامة نسك الحاج وتعظيم البيت الحرام
واجاب العارف ابن ابي جمرة عن وجه اختصاص كل واحد منهم بسما بان
الحكمة في كون ادم في السما الدنيا لانه اول الانبيا واول الابا وهو الاصل ولاجل
تانيس البنوة بالابوة واما عيسى فانما كان في السما الثانية لانه اقرب الانبيا
الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا انمحت شريعة عيسى عليه السلام الا بشريعة محمد صلى الله
عليه وسلم ولانه ينزل في اخر الزمان لامة محمد صلى الله عليه وسلم على شريعته ويحكم
بها ولهذا قال عليه الصلاة والسلام انا اولى بعيسى فكان في الثانية لاجل
هذا المعنى وانما كان يحيى عليه السلام معه هناك لانه ابن خالته وهما كالشي
الواحد فلاجل التزام احدهما بالاخر كانا هناك معا **وانما كان** يوسف عليه
السلام في السما الثالثة لان على حسنه تدخل امة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة
فاري له هناك لكي يكون ذلك بشارة له عليه الصلاة والسلام فيسر بذلك
وانما كان ادريس عليه السلام في السما الرابعة فانه هناك توفي ولم يكن له
تربة في الارض على ما ذكر **وانما كان** هرون عليه السلام في السما الخامسة فلا
ملازم لموسى عليه السلام لاجل انه اخوه وخليفته في قومه وكان هناك لاجل
هذا المعنى وانما لم يكن مع موسى عليه السلام في السما السادسة لان لموسى
مزية وحرمة وهي كونه كليما واختص باشيا لم تكن لهارون فلاجل هذا المعنى لم
وانما كان موسى عليه السلام في السما السادسة لاجل ما اختص به من الفضايل
ولانه الكليم وهو اكثر الانبيا اتباعا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم **وانما كان** ابرهيم
عليه السلام في السما السابعة لانه الخليل والاب الاخير فناسب ان يتجدد للنبي
صلى الله عليه وسلم بلقياه انس لتوجهه بعد عالم اخر وهو اختراق الحجب وايضا
لانه الخليل ولا احد افضل من الخليل الا الحبيب والحبيب ها هو قد علا ذلك
المقام فكان الخليل فوق الكل لاجل خلته وفضله وارتفع الحبيب فوق الكل
لاجل ما اختص به مما زاد به عليهم قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فحصل لهم الكمال والدرجة

الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة ورفعوا بعضهم فوق بعض بمقتضى الحكمة ترفيعا
للمرفوع دون تنقيص بالمنزول انتهى فليتامل وقد اختلف في رؤية نبينا صلى
الله عليه وسلم لهولا الانبيا عليهم السلام فحمله بعضهم على رؤية ارواحهم الا عيسى
لما ثبت انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس ايضا ذلك واما الذين صلوا معه
في بيت المقدس فيحتمل الارواح خاصة ويحتمل الاجساد بارواحها وقيل يحتمل
ان يكون عليه السلام عاين كل واحد منهم في قبره في الارض على الصورة التي اخبر
بها من الموضع الذي ذكر انه عاينه فيه ليكون الله عز وجل قد اعطاه من القوة
في البصر والبصيرة ما ادرك به ذلك ويشهد له رؤيته عليه الصلاة والسلام
الجنة والنار في عرض الحايط والقدرة صالحة لكليهما وقيل يحتمل ان يكون الله
عز وجل لما اراد باسرا نبينا عليه السلام رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما
لنبيه عليه الصلاة والسلام وتعظيما له حتى يحصل له من قبلهم ما اشرنا اليه
من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه نحن وكل هذه
الوجوه محتملة ولا ترجيح لاحدها على الاخر اذ القدرة صالحة لكل ذلك انتهى
واما قوله في الحديث ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر
واوراقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران
باطنان ونهران ظاهران فقلت وما هذه يا جبريل قال اما الباطنان فنهران
في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات وفي رواية عند البخاري ايضا
واذا في اصلها اي سدرة المنتهى اربعة انهار وعند مسلم يخرج من اصلها وعنده
ايضا من حديث ابي هريرة اربعة انهار من الجنة النيل والفرات وسيحان وجيحان
فيحتمل ان يكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والانهار تخرج من اصلها
فيصح انها من الجنة ووقع في رواية شريك كما عند البخاري في التوحيد انه
راى في سما الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل هما النيل والفرات والجمع
بينهما انه راى هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع نهري الجنة وراهما في
السما الدنيا دون نهري الجنة واراد بالعنصر عنصر انتشارهما بسما الدنيا
كذا قاله ابن دحية وروى ابن ابي حاتم عن انس انه صلى الله عليه وسلم بعد ان
راى ابرهيم قال ثم انطلق بي على ظهر السما السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام
الياقوت واللولو والزبرجد وعليه طير خضر انعم طير رايت قال جبريل هذا
الكوثر الذي اعطاك الله فاذا فيه انية الذهب والفضة يجري على رضراض
من الياقوت والزمرد ماوه اشد بياضا من اللبن قال فاخذت من انيته

فاغترفت من ذلك الما فشربت فاذا هو احلا من العسل واشد رايحة من المسك وفي حديث
ابي سعيد عند البيهقي فاذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران
احدهما الكوثر والاخر يقال له نهر الرحمة وسياتي مزيد لذلك لما ذكر هنا من الكوثر
في المقصد الاخير ان شا الله تعالى وقد وقع في حديث ثابت عن انس عند مسلم ثم
ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال
فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها
من حسنها وقد جا في حديث ابن مسعود عند مسلم ايضا بيان سبب تسميتها بسدرة
المنتهى ولفظه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال انتهي بي الى سدرة المنتهى
وهي في السما السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها وهو معنى قول
ابن ابي جمرة لان اليها تنتهي الاعمال ومن هناك ينزل الامر وتتلقى الاحكام وعندها
يقف الحفظة وغيرهم ولا يتعدونها فكانت منتهى لان اليها ينتهي ما يصعد
من السفل وما ينزل من العالم العلوي من امر العلي وقال النووي لان علم
الملايكة ينتهي اليها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعارض
قوله في حديث ابن مسعود هذا انها في السادسة ما دل عليه بقية الاخبار انه
وصل اليها بعد ان دخل في السما السابعة لانه يحمل ان اصلها في السما السادسة
واغصانها وفروعها في السابعة وليس في السادسة الا اصلها قاله في فتح
الباري وجا في حديث ابي ذر عند البخاري في الصلاة فغشيها الوان لا ادري
ما هي وفي حديث يزيد ابن ابي مالك جراد من ذهب وفي حديث ابن مسعود المذكور
عند مسلم قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وقال
البيضاوي وذكروا الفراش وقع على سبيل التمثيل لان من شان الشجر ان يسقط عليه
الجراد وشبهه وجعلها من ذهب حقيقة والقدرة صالحة لذلك وفي حديث
ابي سعيد وابن عباس فغشاها الملايكة وفي حديث على كل ورقة منها ملك وفي
رواية ثابت عن انس عند مسلم فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من
خلق الله يستطيع ان ينعتها وفي رواية عن حميد عن انس عند مردويه نحوه لكن
قال تحولت ياقوتا ونحو ذلك قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها
لان فيها ثلاثة اوصاف ظل مديد • وطعم لذيذ • ورايحة زكية • فكانت
بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل • والطعم
بمنزلة النية • والرايحة بمنزلة القول وقال العارف ابن ابي جمرة
وهل الشجرة مغروسة في شي ام لا يحتمل الوجهين معا لان القدرة صالحة لكليهما

فكما جعل الله تعالى في هذه الدار الارض مقر الاشجار كذلك يجعل الهوا لتلك مقرا
وكما رجع صلى الله عليه وسلم يمشي في الهوا كما كان يمشي في الارض ولانه بالقدرة استقرت
الارض مع انها على الما فلا مانع من ان يكون الشجرة في الهوا ويحتمل ان تكون مغروسة
بارض وان تكون من تراب الجنة والله قادر على ما يشا **واما قوله** صلى الله عليه
وسلم في الحديث ثم اتيت بانا من خمر وانا من لبن وانا من عسل فاخذت اللبن
فقال هي الفطرة التي انت عليها فيدل على انه عرض عليه الانية مرتين مرة
ببيت المقدس ومرة عند وصوله سدرة المنتهى ورويته الانهار الاربعة **واما
الاختلاف** في عدد الانية وما فيها فيحمل على ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره
الاخر ومجموعها اربعة اواني فيها اربعة اشيا من الانهار الاربعة التي راها
تخرج من اصل سدرة المنتهى **ووقع** في حديث ابي هريرة عند الطبراني سدرة
المنتهى يخرج من اصلها انهار من ما غير اسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة
للشاربين ومن عسل مصفى فلعله عرض عليه من كل نهر انا وجا عن كعب ان نهر
العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الما نهر سيحان
ونهر النيل فضايل ولطايف افردها بالتاليف غير واحد من الايمة ووقع في بعض
الطرق انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا في السموات **واما قوله** عليه الصلاة والسلام
في الحديث ثم رفع لي البيت المعمور فمعناه انه اري البيت المعمور له ويحتمل
ان يكون المراد المرفوع والروية معا لانه قد يكون بينه وبين البيت المعمور
عوالم حتى لا يقدر على ادراكه فرفع اليه وامد في بصره وبصيرته حتى راه وروى
الطبري من حديث سعيد ابن ابي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا النبي صلى
الله عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد في السما بحذا الكعبة لو خر عليها يدخله
سبعون الف ملك كل يوم اذا خرجوا منه لم يعودوا **وفي هذا** دليل على عظم قدرة
الله وانه لا يعجزه ممكن لان هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم هذا العدد
العظيم منذ خلق الله الخلق الى الابد ثم طايفة هذا اليوم لا ترجع اليه ابدا
ومع انه قد روي ان ليس في السما ولا في الارض موضع شبر الا وملك واضع
جبهته هناك ساجد ثم البحار ما من قطرة الا وبها ملك موكل فاذا كانت السموات
والارض والبحار هكذا فهولا الملايكة الذين يدخلون اين يذهبون هذا من
عظيم القدرة التي لا يشبهها شي **وفي هذا دليل** على ان الملايكة اكثر
المخلوقات لانه اذا كان سبعون الف ملك كل يوم يصلي في البيت المعمور على
ما تقدم ثم لا يعودون مع ان الملايكة في السموات والارض والبحار وفي حديث

ابي هريرة عند ابن مردويه وابن ابي حاتم ان في السماء نهرا يقال له الحيوان
يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه ثم يخرج فينتفض فيخرج منه سبعون الف
قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا فهم الذين يصلون فيه اي في البيت المعمور
ثم لا يعودون اليه واسناده ضعيف **وذكر الامام** فخر الدين الرازي عند
تفسيره قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون اندرا اي عن عطا ومقاتل والضحاك
عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع
والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر
ويغتسل فيه فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله
تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم
سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة وذكر ان ثم ملايكة
يسبحون الله تعالى فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا هذا ما وعد الملايكة
التي للتعبد واما عدد الملايكة الموكلين بالنبات والارزاق والحفظة والملك
الموكل بتصوير بني ادم والملايكة الذين ينزلون في السحاب والملايكة
الذين يكتبون الناس يوم الجمعة وخزنة الجنة والملايكة الذين يتعاقبون
والذين يومنون على قراة المصلي والذين يقولون ربنا ولك الحمد والذين
يدعون لمنتظر الصلاة والذين يلعنون فراش من هجرت زوجها **وروي**
ان في السماء الدنيا وهي من ماء ودخان ملايكة خلقوا من ماء وريح عليهم
ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والرعد القطر يقولون
سبحان ذي الملك والملكوت وان في السماء الثانية ملايكة على الوان شتى رافعين
اصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت وان فيها ملكا نصفه
جسده من نار ونصف جسده من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفي
النار وهو يقول يا من الف بين الثلج والنار الف بين قلوب عبادك وان في
الثالثة وهي من حديد ملايكة ذو اجنحة ووجوه شتى واصوات شتى رافعون
اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحانك انت الحي الذي لا يموت وهم صفوف قياما
كانهم بنيان مرصوص لا يعرف احدهم لون صاحبه من خشيته وان في الرابعة
وهي من نحاس ملايكة يضعفون على ملايكة الثالثة وكذلك كل سماء اكثر
عددا من السماء التي تليها وان ملايكة السماء الرابعة قيام وركوع وسجود
على الوان شتى من العبادة يبعث الله الملك منهم الى امر من اموره فينطلق الملك
ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي جنبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح
قدوس ربنا الرحمن الذي لا اله الا هو وان في الخامسة وهي من فضة ملايكة
يزيدون على ملايكة الاربع سموات ومنهم سجود وركوع لم يرفعوا ابصارهم

الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا لم نعبدك حق عبادتك وان في السماء
السادسة وهي من ذهب جند الله الاعظم الكروبيون لا يحصى عددهم الا الله وعليهم
ملك له سبعون الف ملك جنده وكل ملك منهم جنده سبعون الف ملك وهم
الذين يبعثهم الله في اموره الى اهل الدنيا رافعوا اصواتهم بالتسبيح والتقديس
والتهليل وان في السماء السابعة وهي من ياقوتة حمراء من الملائكة ما
يزيدون على ما تقدم وعليهم ملك مقدم على سبعمائة الف ملك منهم
جنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والرمل والسهل وعدد الحصى والورق
وعدد كل خلق في السموات والارض ويخلق الله تعالى في كل يوم ما يشاء وما
يعلم جنود ربك الا هو وان حملة العرش لكل ملك منهم وجوه شتى واعين
شتى في جسده لا يشبه بعضها بعضا رافعة اصواتهم بالتهليل ينظرون الى
العرش لا يفترون لو ان الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه
لا يعلم عددهم الا الله وحملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت
حسن رخيم يقول اربعة منهم سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك
ويقول اربعة سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك وقد روى الطبراني
من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل على اي شيء
انت قال على الريح والجنود وعلى اي شيء ميكائيل قال على النبات والقطر
وعلى اي شيء ملك الموت قال على قبض الارواح الحديث وفي اسناده محمد
ابن عبد الرحمن بن ابي ليلى وقد ضعف بسوء حفظه ولم يترك وروى الترمذي
من حديث ابي سعيد مرفوعا وزيراي من اهل السماء جبريل وميكائيل الحديث
وروى النقاش ان اسرافيل اول من سجد من الملائكة لآدم وانه جوزي
بولاية اللوح المحفوظ وفي كتاب العظمة لابي الشيخ بن حيان من ذلك العجب
العجاب ومنه عند الجزء الثاني وقد وقع في غير رواية البخاري هنا زيادات منها
ما وقع في رواية ابي سعيد الخدري عند البيهقي في دلائله ثم صعدت الى
السماء السابعة فاذا بابراهيم الخليل ساند ظهره الى البيت المعمور كاحسن
الرجال ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي واذا بامتي شطرين شطر
عليهم ثياب بيض كانهم القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد قال فدخلت
البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الاخرون الذين
عليهم ثياب رمد فصليت انا ومن معي في البيت المعمور وفي رواية
الطبراني فاذا انا برجل اشمط جالس عند باب الجنة على كرسي وعنده قوم
جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في الوانهم شيء فدخلوا نهرا
فاغتسلوا فيه وقد خلص الوانهم وصارت مثل الوان البيض الوجوه فقال

من هذا

من هذا ومن هؤلاء الذين في الوانهم شيء وما هذه الانهار التي دخلوا
فيها فجاء وقد صفت الوانهم قال هذا ابوك ابراهيم اول من شمط
على الارض واما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما
هؤلاء النفر الذين في الوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فتابوا
فتاب الله عليهم واما الانهار فاولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث
وسقاهم ربهم شرابا طهورا وفي رواية البخاري في الصلاة ثم عرج
بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام الحديث والمستوى
المصعد وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة والمراد
ما تكتبه الملائكة من اقضية الله تعالى والقدر المكتوب قديم وانما
الكتابة حادثة وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف
القلم بما فيه قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة في صحف الملائكة
كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما ذكر في الاثر
وذكر ابن القيم ان الاقلام اثنا عشر قلما وانها متفاوتة في الرتب
فاعلاها واجلها قدرا قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلائق
كما في سنن ابي داود عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال رب وما
اكتب قال اكتب مقادير الخلق كل شيء حتى تقوم الساعة فهذا القلم
اول الاقلام واجلها وقد قال غير واحد من اهل التفسير انه القلم الذي
اقسم الله به والقلم الثاني قلم الوحي والثالث قلم التوقيع عن الله
ورسوله والرابع قلم طب الابدان الذي يحفظ بها صحتها والخامس
قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وبه تساس الملوك والسادس قلم
الحساب وهو الذي تضبط به الاموال مستخرجها ومصروفها ومقاديرها
وهو قلم الارزاق والسابع قلم الحكم الذي يثبت به الحقوق
وتنفذ به القضايا والثامن قلم الشهادة الذي يحفظ به الحقوق
والتاسع قلم التعبير وهو كاتب وحي المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر
قلم تواريخ العالم ووقائعه والحادي عشر قلم اللغة وتفاصيلها والثاني
عشر قلم الجامع وهو قلم الرد على المبطلين ودفع شبه المحرفين فهذه الاقلام
التي بها مصالح انتظام العالم قال ويكفي في جلالة القلم انه لم تكتب
كتب الله الا به وانه تعالى اقسم به في كتابه انتهى ملخصا في كتاب اقسام القرآن
وقد وقع في رواية ابي ذر عند مسلم وغيره من الزيادة ايضا ثم ادخلت
الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك الحديث والجنابذ بالجيم

ثم النون المفتوحتين ثم الف ثم موحدة ثم ذال معجمة هي القباب ويؤيده
ما في التفسير من البخاري من حديث قتادة عن انس لما عرج به صلى الله عليه وسلم
قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ واما ما في كتاب الصلاة من البخاري
واذا فيها حبايل اللؤلؤ بالمهملة والموحدة واخره لام فقال القاضي عياض
وغيره هو تصحيف وفي حديث الامام احمد من رواية حذيفة ففتحت لهما
ابواب السماء قال فرايت الجنة والنار وفي حديث ابي سعيد انه عرضت
عليه الجنة وان رمانها كانه الدلا واذا طيرها كانه البخت • وانه عرضت
عليه النار فاذا فيها لو طرح فيها الحديد والحجارة لاكلتها • ووقع عند
مسلم من طريق همام عن قتادة عن انس بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر
حافتاه قباب الدر المجوف واذا طينه مسك اذفر فقال جبريل هذا الكوثر
وفي رواية ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن ابيه ان ابراهيم عليه
السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا بني انك لاق ربك الليلة وان امتك
اخر الامم واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك في امتك فافعل ووقع
في حديث ابي سعيد الخدري عند البيهقي ثم صعد بي الى السماء السابعة
قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تغطي هذه الامة واذا
فيها عين تجري يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران احدهما الكوثر والاخر
يقال له الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر ثم
دفعت الى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن انت يا جارية قالت لزيد
ابن حارثة وجنبه واذا رمانها كانه الدلاء عظما • ثم عرضت علي النار فاذا
فيها غضب الله ورجزه ونقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها
ثم اغلقت دوني وفي الطبري من حديث عايشة لما كان ليلة اسري بي
الى السماء ادخلت الجنة فوقفت على شجرة من اشجار الجنة لم ار في الجنة
شجرة احسن منها ولا ابيض منها ولا اطيب منها ثمرة فتناولت ثمرة من
ثمرها فاكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة
فحملت بفاطمة وهو حديث ضعيف وفيه التصريح بان الاسرى كان قبل ولادة
فاطمة وهي ولدت قبل النبوة بسبع سنين ولا شك ولا ريب ان الاسرا كان
بعد النبوة • وذكر ابو الحسن بن غالب فيما تكلم به على احاديث الحجب السبعين
والسبعماية والسبعين الف وعزاها الى الربيع بن سبع في شفاء الصدور
من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد ان ذكر
مبتدا حديث الاسرا كما ورد في الامهات اتاني جبريل • وكان السفير بي الى ان
انتهى الى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يترك الخليل

خليله

خليله فقال ان تجاوزته احترقت بالنور فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل
هل لك من حاجة الى ربك قال يا محمد سل الله لي ان ابسط جناحي على الصراط
لامتك حتى يجوزوا عليه • قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم زج بي في
النور زجا فخرق بي سبعين الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع
عني حس كل ملك وانس فلحقني عند ذلك استيحاش فعند ذلك ناداني
مناد بلغة ابي بكر قف ان ربك يصلي فبينما انا اتفكر في ذلك فاقول هل
سبقني ابو بكر فاذا النداء من العلي الاعلى ادن يا خير البرية ادن يا احمد
ادن يا محمد ليدن الحبيب فادناني ربي حتى كنت كما قال الله تعالى ثم
دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى • قال وسالني ربي فلم استطع ان
اجيبه فوضع يده على كتفي بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها فاورثني
علم الاولين والاخرين وعلمني علوما شتى فعلم اخذ علي كتمانه اذ علم ربي
انه لا يقدر على حمله احد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القران فكان
جبريل عليه السلام يذكرني به وعلم امرني بتبليغه الى العام والخاص من
امتي قال ولقد عاجلت جبريل عليه السلام في اية نزل بها فعاتبني ربي وانزل
علي ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ثم
قلت اللهم انه لما لحقني استيحاش قبل قدومي عليك سمعت مناديا ينادي
بلغة تشبه لغة ابي بكر فقال لي قف فان ربك يصلي فعجبت من هاتين هل
سبقني ابو بكر الى هذا المقام وان ربي لغني عن ان يصلي فقال تعالى انا
الغني عن ان اصلي لاحد وانما اقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي غضبي •
اقرا يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم من الظلمات
الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتي رحمة لك ولامتك واما امر
صاحبك يا محمد فان اخاك موسى كان انسه بالعصا فلما اردنا كلامه قلنا
وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وشغل بذكر العصا عن عظيم
الهيبة وكذلك انت يا محمد لما كان انسك بصاحبك ابي بكر وانك خلقت
وهو من طينة واحدة وهو انيسك في الدنيا والاخرة خلقنا ملكا على
صورته يناديك بلغته ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من عظيم
الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد منك ثم قال الله تعالى واين حاجة جبريل
فقلت اللهم انك اعلم فقال يا محمد قد اجبته فيما سال ولكن فيمن
احبك وصحبك وفي رواية فتقدمت وجبريل على اثري حتى انتهى بي الى حجاب
فراش الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال انا جبريل ومعي محمد صلى الله
عليه وسلم قال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني فوضعني

بين يديه في اسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة خمسمائة عام فقال لي
تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بي الملك في اسرع من طرفة عين الى حجاب
اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال انا فلان صاحب
حجاب الذهب وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة معي
فقال الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين
يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوز بي سبعين حجابا
غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلي لي رفرف اخضر يغلب ضوءه
ضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملني
حتى وصلت الى العرش فابصرت امرا عظيما لا تناله الالسن ثم دلي لي
قطرة من العرش فوقعت على لساني فما ذاق الذايقون شيئا قط احلى منها
فانباني الله بها نبأ الاولين والاخرين ونور قلبي وغشي نور عرشه
بصري فلم ار شيئا فجعلت ارى بقلبي ولا ارى بعيني ورايت من خلفي ومن
بين كتفي كما رايت امامي الحديث رواه والذي قبله في كتاب شفاء الصدر
كما ذكره ابن غالب والعهدة في ذلك عليه وتكثير الحجب لم يرد في طريق صحيح
ولم يصح ذلك غير ما في مسلم حجابه النور والرفرف البساط وانه في الاصل
ما كان من الديباج وغيره رقيقا حسنا في حق المخلوق لا في حق الخالق
عز وجل والله سبحانه وتعالى منزه عما يحجبه اذ الحجب انما يحيط بمقدر
محسوس فالخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعاني الاسماء والصفات والافعال
وساير المخلوقات من معاني الانوار والظلمات واقرب الخلق الى الله تعالى
الملايكة الحافون والكروبيون وهم محجوبون بنور المهابة والعظمة والكبريا
والجلال والقدس والقيومية حجب الذات بالصفات وهم في الحجب عنده
على طبقات مختلفات وكل على مقام معلوم ودرجات وبالجملة فالمخلوقات
كلها ما كانت حجابا عن الخالق فقوم حجبوا برؤية النعم عن المنعم وبرؤية
الاحوال عن المحول وبرؤية الاسباب عن المسبب وقوم حجبوا بالعلم عن العلم
وبالفهم عن الفهم وبالعقل عن العقل وذلك كله من معنى حجاب النعم عن
المنعم والمواهب عن الواهب وقوم حجبوا بالشهوات المباحة وقوم بالشهوات
المحرمات والمعاصي والشبهات وقوم حجبوا بالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا
اللهم لا تحجب قلوبنا عنك في الدنيا ولا ابصارنا في الاخرة يا كريم وقد ورد في الصحيح
عن انس قال عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة جل جلاله
فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى الى ما اوحى الحديث وهذا الدنو
والتدلي في نحو ما المذكور في هذا الحديث وغيره من احاديث المعراج غير الدنو والتدلي في

قوله

في قوله تعالى في سورة النجم ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى وان اتفقا في اللفظ
فالصحيح ان المراد في الاية جبريل لان الموصوف بما ذكر من اول السورة الى قوله ولقد راه
نزلة اخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح قالت
عايشة رضي الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال ذاك جبريل
لم اره في صورته التي خلق عليها الا مرتين ولفظ القران لا يدل على غيره لذلك من وجوه
احدها انه قال علمه شديد القوى وهذا جبريل الذي وصفه بالقوة في سورة التكوير
الثاني انه قال ذو مرة اي حسن الخلق وهو الكريم الذي في سورة التكوير الثالث
انه قال فاستوى وهو بالافق الاعلى وهو على ناحية السما العلي وهذا استوا جبريل
عليه السلام واما استوا الرب جل جلاله فعلى عرشه الرابع انه قال ثم دنا فتدلى
فكان قاب قوسين او ادنى فهذا دنو جبريل ونزل الى الارض حيث كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما الدنو والتدلي فحديث المعراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم
كان فوق السموات فهناك دنا الجبار جل جلاله منه وتدلى الخامس انه قال ولقد
راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى والذي عند سدرة المنتهى قطعا هو جبريل
وبهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذاك جبريل السادس ان نفس الضمير في قوله ولقد
راه وقوله دنى فتدلى وقوله فاستوى وقوله بالافق الاعلى واحد فلا يجوز ان يخالف
بين المفسرين من غير دليل السابع انه سبحانه اخبر ان هذا الذي دنا فتدلى
كان بالافق الاعلى وهو افق السما بل تحتها فدنى من الارض فتدلى من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ودنو الرب تبارك وتعالى وتدليه على ما في حديث شريك كان فوق العرش
لا الى الارض ثم نفى سبحانه وتعالى عن نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه ما زاغ
البصر وما طغى ما يعرض للراي الذي لا ادب له بين يدي الملوك والعظما من التفاته
يمينا وشمالا او مجاوزة بصره لما بين يديه واخبر عنه بكمال الادب في ذلك المقام
وفي تلك الحضرة اذ لم يلتفت جانبا ولم يمد بصره الى غير ما راى من الايات وما
هناك من العجايب بل قام مقام العبد الذي اوجب ادبه اطراقه واقباله على ما اراه
دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات الجاش
وسكون القلب وطمانينته وهذا غاية الكمال وقال في مدارج السالكين وفي
هذه الاية اسرار عجيبة هي من غوامض الادب اللايقة باكمل البشر صلوات الله
وسلامه عليه تواطا هناك بصره وبصيرته وتوافقا وتصادقا فيما شاهده بصره
فالبصيرة مواطية له وما شاهدته بصيرته فهو ايضا حق مشهود بالبصر فتواطا
في حقه اي ما كذب الفواد ما راه ببصره ولهذا قراها هشام وابو جعفر ما كذب

الفواد ما راي بتشديد الذال اي لم يكذب القلب البصر بل صدقه وواطاه بصحة الفواد
والبصر وكون المري المشاهد بالبصر والبصيرة حقا وقرا الجمهور ما كذب الفواد بالتخفيف
وهو متعد وما راي مفعوله اي ما كذب قلبه ما رات عيناه بل واطاه ووافقه فلموافقة
قلبه لقالبه وظاهره لباطنه وبصره لبصيرته لم يكذب الفواد البصر ولم يتجاوز البصر
حده فطغي ولم يمل عن المرئي فيزيغ بل اعتدل البصر علي المرئي ما جاوزه ولا مال عنه
كما اعتدل القلب في الاقبال علي الله تعالي واعراض عما سواه وانه اقبل علي الله بكليته
واعرض عما سواه بكليته للقلب زيغ وطغيان كما ان للبصر زيغا وطغيانا وكلاهما
منتف عن قلبه وبصره فلم يزغ قلبه التفاتا عن الله الي غيره ولم يطغ لمجاوزته
مقامه الذي اقيم فيه وهذا غاية الكمال والادب مع الله تعالي الذي لا يلحقه فيه
سواه فان عادت النفوس اذا اقيمت في مقام عال رفيع الي ان تطلع الي ما هو اعلا
منه وقوله الا تري الي موسي عليه السلام لما اقيم مقام التكليم والمناجات طلبت
نفسه الروية ونبينا صلي الله عليه وسلم لما اقيم في ذلك المقام وفاه حقه ولم
يلتفت بصره ولا قلبه الي غير ما اقيم فيه البته ولاجل هذا ما عاقه عايق ولا
وقف به مراد حتي جاوز السموات السبع فلم تعقه ارادة ولم يقف به دون
كمال العبودية همة ولهذا كان مركوبه في مسراه يسبق خطوه الطرف فيضع قدمه عند
منتهي طرفه مشاكلا لحال راكبه وبعد شاقه الذي سبق به العالم اجمع في سيره
وكان قدم البراق لا يتخلف عن موضع نظره كما كان قدمه صلي الله عليه وسلم
لا يتاخر عن محل معرفته فلم يزل صلي الله عليه وسلم في حضارة كمال ادبه مع الله تعالي
وتكميل مرتبة عبوديته حتي خرق حجب السموات وجاوز السبع الطباق وجاوز
سدرة المنتهي ووصل الي محل من القرب سبق به الاولين والاخرين فانصبت
له هناك اقسام القرب انصبابا وانقشعت سحايب الحجب ظاهرا وباطنا
حجابا حجابا واقيم مقاما غبطه فيه الانبيا والمرسلون فاذا كان في المعاد اقيم
مقاما من القرب ثانيا تغبطه الاولون والاخرون واستقام هناك علي صراط
مستقيم من كمال ادبه مع الله تعالي ما زاغ البصر وما طغي فاقامه في هذا العالم
علي اقوم صراط علي الحق والهدي واقسم بكلامه القديم علي ذلك في الذكر الحكيم
فقال يس والقران الحكيم • انك لمن المرسلين علي صراط مستقيم • فاذا كان يوم
المعاد اقامه علي الصراط فنسال السلامة لاتباعه واهل سنته حتي يجوزوا
الي جنات النعيم • وذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم • ثم
ان ما ذكر هنا من القرب والدنو والمراد به تاكيد المحبة والقربة ورفع

المنزلة

ورفع المنزلة والرتبة **قال** جعفر الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب
نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالي بغاية اللطف وذلك قوله جل جلاله فاوحي
الي عبده ما اوحي اي ما كان وجري ما جري وقال الحبيب للحبيب ولطف به الطاف
الحبيب بالحبيب فخفي السر ولم يطلع عليه احد ولا يعلم احد ما اوحي الا الذي اوحي
وقال غيره في قوله فاوحي الي عبده ما اوحي ابهمه لعظمه فان الابهام قد يقع للتعظيم
فهو مبهم لا يطلع عليه بل نتعبد بالايمان به وقيل بل هو مفسر بالاخبار الواردة
قال سعيد ابن جبير اوحي الله تعالي اليه صلي الله عليه وسلم الم اجدك
يتيما فاويتك • الم اجدك ضالا فهديتك • الم اجدك عايلا فاغنيتك • الم اشرح
لك صدرك • ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك • ورفعنا لك ذكرك
وقيل اوحي الله تعالي اليه ان الجنة حرام علي الانبيا حتي تدخلها يا محمد وعلي
الامم حتي تدخلها امتك ذكره الثعلبي والقشيري وقيل اوحي الله اليه خصصتك
بحوض الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالما ولهم الخمر • واللبن • والعسل •
ذكره القشيري وذكر ايضا انه اوحي اليه ما اوحي الي الرسل لقوله تعالي ما يقال
لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك **وقيل اوحي اليه** الصلوات الخمس ذكره
النقاش وفيه رواية ابي سعيد الخدري عند البيهقي ان الله تعالي **قال** له
صلوات الله وسلامه عليه سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا
عظيما وكلمت موسي تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت
له الرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسي التوراة والانجيل
وجعلته يبري الاكمه والابرص ويحيي الموتي باذنك • واعذته وامه من
الشيطان الرجيم • فلم يكن له عليهما سبيل فقال ربه تعالي قد اتخذتك حبيبا
فهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن وارسلتك الي الناس كافة بشيرا ونذيرا
وشرحت لك صدرك • ووضعت عنك وزرك • ورفعت لك ذكرك • فلا اذكر
حتي تذكر معي وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتي يشهدوا انك عبدي ورسولي
وجعلت امتك قواما قلوبهم اناجيلهم وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم
بعثا واولهم يقضي له واعطيتك سبعا من المثاني لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك
الكوثر واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك
واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام • والهجرة • والجهاد • والصلاة • والصدقة
وصوم رمضان • والامر بالمعروف • والنهي عن المنكر • وجعلتك فاتحا وخاتما
وفي اسناده ابو جعفر الرازي ضعفه بعضهم وقال ابو زرعه منهم **وقال** ابن

كثير الاطهار انه سي الحفظة وذكر الفخر الرازي عن والده قال سمعت ابا القاسم
سليمان الانصاري يقول لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العاليه والمراتب
الرفيعة في المعارج اوحى الله اليه يا محمد بم اشرفك قال رب بنسبتي اليك بالعبوديه
فانزل الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام فسماه الله تعالى بهذا
الاسم لتحققه صلى الله عليه وسلم بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته فلا يصلح هذا
الاسم بالحقيقة الا له عليه الصلاة والسلام وللاقطاب من بعده بتبعيته لا بالحقيقه
وان الطلوع على غير مجاز ورحم الله الاديب برهان الدين القراطيسي
فقد اجاد • ودعنني بالعبد يوما فقالوا • قد دعته باشرف الاسما •
ولبعض اهل الاشارات كان الله تعالى قال له يا محمد اعطيتك نورا تنظر
به جمالي • وسمعا تسمع به كلامي • يا محمد اني اعرفك بلسان الحال معنى عز وجل
الي يا محمد ارسلتك الى الناس كافة شاهدا ومبشرا ونذيرا والشاهد مطالب
بحقيقة ما يشهد به فاريك جنتي لتشاهد ما اعددت فيها لاوليائي واريك
ناري لتشاهد فيها ما اعددت فيها لاعدائي • ثم اشهدك جلالي • واكشف
لك عن جمالي لتعلم اني منزه في كمالي عن التشبيه • والنظير والوزير والمشير
فراه صلى الله عليه وسلم بالنور الذي قواه من غير ادراك ولا احاطة فردا
صمدا لا في شي ولا من شي ولا قايما بشي • ولا مفتقرا الى شي • ليس كمثله شي •
فلما كلمه شفاها • وشاهده كفاحا • فقيل له يا محمد لا بد لهذه الخلوة من سر
لا يذاع • ورمز لا يشاع • فاوحى الى عبده ما اوحى • وكان سرا من سر لم يقف عليه
ملك مقرب ولا نبي مرسل وانشد لسان الحال يقول

• بين المحبين سر ليس يفشيه • قول ولا قلم في الكون يحكيه •
• سر يمازجه انس يقابله • نور تحير في بحر من التيه •

ولما انتهى الى العرش تمسك العرش باذياله وناداه بلسان الحال • يا محمد
انت في صفاء وقتك • امنا من مقتك • اشهدك جمال احديته • واطلعك على
جلال صمديته • وانا الظمآن اليه • اللهفان عليه • المتحير فيه • لا ادري
من اي وجه اتيه • جعلني اعظم خلقه فكنت اعظم منهم هيبه • واكثرهم منه
حيره • واشدهم منه خوفا يا محمد خلقني فكنت ارعد لهيبة جلاله
فكتب على قايمتي لا اله الا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا
فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي وهدا روعي فكان اسمك لقاحا
لقلبي وطمانينة لسري فهذه بركة اسمك علي فكيف اذا وقع جميل نظرك الي

يا محمد

22

جيبي
يا محمد انت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة ونصيبي يا
ان تشهد لي بالبراءة مما نسبه اهل الزور الي • وتقوله اهل الغرور علي • زعموا
اني اسع من لا مثل له واحيط بمن لا كيفيه له يا محمد من لا حد لذاته • ولا عد
لصفاته • كيف يكون مفتقرا الي • او محمولا علي • اذا كان الرحمن اسمه والاستوا
صفته • وصفته متصلة بذاته • فكيف يتصل بي او ينفصل عني يا محمد
وعزته لست بالقريب منه وصلا • ولا بالبعيد عنه فصلا • ولا بالمطيق له
حملا • اوجدني منه رحمة وفضلا • ولو محقني لكان حقا منه وعدلا • يا محمد انا
محمول قدرته • ومعمول حكمته فاجاب لسان حال سيدي زاده الله
شرفا وفضلا لديه • والى صلواته وسلامه عليه • ايها العرش اليك عني
انا مشغول عنك فلا تكدر علي صفوتي • ولا تشوش علي خلوتي • فما اعاره منه
طرفا ولا اقراه من مسطور ما اوحي اليه حرفا • ما زاغ البصر وما طغى وقد ورد
في بعض اخبار الاسرا مما ذكره العلامة ابن مرزوق في شرحه لبردة المديح
انه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه قاب قوسين قال اللهم انك عذبت الامم
بعضهم بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ فما انت فاعل بامتي قال
انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعاني منهم لبيته • ومن
سالني اعطيته • ومن توكل علي كفيته • وفي الدنيا استر على العصاه • وفي
الاخرة اشفعك فيهم • ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه ما حاسبت
امتك ولما اراد صلى الله عليه وسلم الانصراف قال رب لكل قادم من سفره
تحفة فما تحفة امتي قال الله تعالى انا لهم ما عاشوا • وانا لهم اذا ماتوا •
وانا لهم في القبور • وانا لهم في النشور واعلم انه قد اختلف العلما
ليلة الاسرا ففي البخاري من حديث مسروق قال قلت لعايشه يا امتاه هل
راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من
حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته الايه
ولكنه راى جبريل في صورته مرتين وفي رواية مسلم من حدثك ان محمدا
راى ربه فقد اعظم الفريه وقولها فقف شعري اي قام من الفزع لما
حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك

قال النووي تبعا للغير لم تنف عايشة وقوع الروية بحديث مرفوع ولو كان معها
لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الاية وقد خالفها غيرها
من الصحابة والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول
حجة اتفاقا قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني بجزمه بان عايشة لم تنف
الروية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها في حديث
مسلم الذي شرحه الشيخ فعنده من طريق داود بن هند عن الشعبي عن مسروق
في الطريق المذكور قال مسروق وكنت متكيا فجلست فقلت الم يقل الله ولقد
راه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن هذا فقلت يا رسول الله هل رايت ربك قال لا انما رايت جبريل منهبطا
ثم احتجاج عايشة رضي الله عنها بالاية خالفها فيه ابن عباس فاخرج الترمذي
من طريق الحكم ابن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال راى محمد ربه قلت اليس يقول
الله لا تدركه الابصار قال ويحك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد راى ربه
مرتين وقال القرطبي الابصار في الاية جمع محلى بالالف واللام فيقبل
التخصيص وقد ثبت دليل ذلك سمعا في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالى في الاية الاخرى وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة واذا جازت في الاخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين
بالنسبة الى المرئي انتهى وهو استدلال جيد وقال القاضي عياض
روية الله جايزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها سوال موسى
عليه السلام ثم قال وليس في الشرع دليل قاطع استحالتها ولا امتناعها اذ كل
موجود فرويته جايزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى
لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في الاية انتهى وقد روى ابن
ابي حاتم بسنده عن اسمعيل ابن علية في تاويل هذه الاية قال هذا في الدنيا
وقال اخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الاية انه لا يرى في الدنيا
ولا في الاخرة فخالفوا اهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل مع
ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اما الكتاب فقوله تعالى
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
قال الامام الشافعي رحمه الله فدل هذا على ان المومنين لا يحجبون عنه
تبارك وتعالى واما السنة فقد تواردت الاخبار عن ابي سعيد وابي هريرة
وانس وجرير وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم

ان المومنين يرون الله تعالى في الدار الاخرة في العرصات وفي روضات الجنات
جعلنا الله منهم وفي المنفي في الاية ادراك العقول قال الحافظ ابن كثير وهو غريب
جدا وخلاف ظاهر الاية وقال اخرون لا منافاة بين اثبات الروية ونفي الادراك
فان الادراك اخص من الروية ولا يلزم من نفي الاخص انتفاء الاعم ثم اختلف هولاء
في الادراك المنفي ما هو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو وان راه
المومنون كما ان من راى القمر فانه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالعظيم
اولى بذلك وله المثل الاعلى وقال اخرون المراد بالادراك الاحاطة قالوا
ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الروية كما لا يلزم من عدم الاحاطة بالعلم عدم العلم
وفي صحيح مسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولا يلزم من هذا
عدم الثناء فكذلك هذا وروى ابن ابي حاتم عن ابي سعيد الخدري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قوله لا تدركه الابصار قال لو ان الجن والانس والشياطين
والملايكة منذ خلقوا الى ان فنوا اصطفوا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا قال
ابن كثير غريب لا يعرف الا من هذا الوجه ولم يروه احد من اصحاب الكتب
الستة والله اعلم ومما ينسب لامام الحرمين في لمع الادلة انه قال من اصحابنا
من قال ان الرب تعالى يرى ولا يدرك لان الادراك ينبي عن الاحاطة ودرك
الغاية والرب جل جلاله تقدس عن الغاية والنهاية ثم قال فان عارضوا
بقوله تعالى في جواب موسى عليه السلام لن تراني وزعموا ان لن تفيد النفي
على التابيد قلنا هذه الاية اوضح الادلة في جواز الروية فانها لو كانت مستحيلة
لكان معتقد جواز الروية ضالا او كافرا وكيف يعتقد ما لا يجوز على الله
من اصطفاه الله لرسالته. واختاره لنبوته. وخصه بكرامته. وشرفه
بتكليمه. وجعله افضل اهل زمانه. وايده ببركاته. وكيف يجوز على الانبيا
الريب في امر يتعلق بعلم الغيب فيجب حمل الاية على ان ما اعتقد موسى عليه
السلام جوازه جايز لكن ظن ان ما اعتقد جوازه ناجز فرجع النفي في الجواب
الى الانجاز وما سال موسى عليه السلام ربه في المال فصرف النفي اليه والجواب
يدل على فقه الخطاب انتهى وقال البيضاوي في هذه الاية دليل على ان
رويته تعالى جايزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبيا محال وخصوصا
ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى انتهى
وقال القاضي عياض عن ابي بكر الهذلي في الاية ان المراد ليس لبشر ان يطيق
ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات قال وقد رايت لبعض السلف

والمتأخرين ما معناه ان رويته تبارك وتعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا
وقواهم وكونها متغيرة عرضا للآفات والفنا فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان
في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية قال وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله تعالى قال
لم يُر في الدنيا لانه باق ولا يُرى الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة رزقوا ابصارا
باقية روي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا
من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرسالة
لم يمتنع في حقه انتهى والاستثناء في قوله الا من حيث ضعف القوة والا فضعف
القوة ينبغي ان يكون منقطعا على معنى لكن من حيث ضعف القوة والا فضعف
القوة وقصاراه ان يكون مانعا اي امتنع من جهة ضعف القوة لا من جهة كونه
مستحيلا ويدل على هذا قوله فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء
الرؤية لم يمتنع في حقه وقد وقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث
مرفوع **واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا** واخرجه ابن خزيمة ايضا من
حديث ابي امامة ومن حديث عبادة ابن الصامت فبان جازت الرؤية في الدنيا
عقلا فقد امتنعت سماعا لكن من اثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم له ان يقول ان
المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وفي تفسير ابن كثير في بعض كتب الله المتقدمة ان الله تعالى
قال لموسى لما ساله الرؤية يا موسى انه لن يراني حي الا مات **وقد** جزم القشيري في
الرسالة بانها لا تجوز في الدنيا على جهة الكرامة وادعى حصول الاجماع عليه وحكى القاضي
عياض امتناعها عن جماعة من المحدثين والفقها والمتكلمين **وقال** القشيري
ايضا سمعت الامام ابو بكر ابن فورك يحكي عن ابي الحسن الاشعري في ذلك قولين في كتاب
الرؤية الكبير انتهى **وقد ذهبت** عايشة وابن مسعود الى انه عليه الصلاة والسلام
لم ير ربه ليلة الاسرا واختلف عن ابي ذر وذهب جماعة الى اثباتها **وحكى** عبد
الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا راى ربه **واخرج** ابن خزيمة عن
عروة ابن الزبير اثباتها وبه قال ساير اصحاب ابن عباس وجزم به ابن كعب الاحبار
والزهري وصاحبه معمر واخرون وهو قول الاشعري وغالب اتباعه ثم اختلفوا
هل راه بعينه حملا مطلقها على مقيدها **فمن ذلك** ما اخرجه النسائي باسناد
صحيح وصححه الحاكم ايضا من طريق عكرمة عن ابن عباس قال تعجبون ان تكون
الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم **ومنها** ما اخرجه مسلم
من طريق ابي العالية عن ابن عباس قال راه بقلبه واصرح من ذلك ما اخرجه

ابن

ابن مردويه من طريق عطا عن ابن عباس قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه وانما
راه بقلبه وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عايشة بان يحمل نفيها على
رؤية البصر واثباته على رؤية القلب لكن روى الطبراني في الاوسط باسناد رجاله
الصحيح خلا جمهور بن منصور الكوفي وجمهور بن قد ذكره ابن حبان في الثقات عن
ابن عباس انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه مرتين مرة ببصره
ومرة بفؤاده ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى
الله عليه وسلم كان عالما بالله تعالى على الدوام بل مراد من اثبت له انه راه بقلبه
ان الرؤيا التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤيا بالعين لغيره
والرؤية لا يشترط لها شي مخصوص عقلا ولو جرت العادة خلقها في العين
وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن انس قال راى محمد ربه **وفي** مسلم من حديث
ابي ذر انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نور انى اراه اي حجابه
نور فكيف اراه ومعناه ان النور منعني من الرؤية **وعند** احمد قال رايت نورا
ومن المستحيل ان تكون ذات الله تعالى نورا اذ النور من جملة الاقسام والله
تعالى يتعالى عن ذلك وعند ابن خزيمة عنه قال راه بقلبه ولم يره بعينيه
وبهذا يتبين مراده في حديث ابي ذر بذكر النور اي ان النور حال بينه
وبين رؤيته له ببصره وجنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات
واطنب في الاستدلال بما يطول ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس على ان الرؤية
وقعت مرتين مرة بقلبه ومرة بعينه ومما يعزى للاستاذ عبد العزيز
المهدوي انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من سفره لاسرا اخبر العوالم من حيث
فلكهم ومراتبهم وسقا كل واحد من كاسه وعلى قدر عقله فخاطب الكفار وهم
اخر العوالم بما راى في الطريق وما كان في المسجد على العيان وبما يعرفون لانهم
في فلك الاجساد حتى صدقوا بالاسرا ثم ارتقى حتى حدث عن فلك السما ولذلك
في كل سما واخبر عما شاهد وراى كل ملك وما يليق ان يحدث به اعني الصحابة
كلا على قدر مرتبته بلا ضيق ولا مزاحم الى السما السابعة ولما وصل مقام جبريل
تحدث عن الافق المبين وعما فوق والى الدنو والى التدلي الى موضع الايحا
عند حضرة اسقاط الصور والخلق واخبر بذلك اصحابه فمنهم من قال
راى جبريل بالافق المبين وبالافق الاعلى وصدق ومنهم من قال برؤية الفؤاد
والبصيرة وصدق وهي عايشة ومن معها ومنهم من قال بعيني راسه راى وصدق
فكل اخبر بما حدثه صلى الله عليه وسلم من مقامه وسقاه من كاسه وما يليق به

فاذا صح هذا المعراج عرفت الاسرا ومقامات الروية والقايلين به فاذا صح بذلك م
واختلافهم وقولهم الجميع الحق انتهى ومن اثبت الروية لنبينا صلى الله عليه وسلم الامام
احمد وروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لاحمد انهم يقولون
ان عايشه قالت من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية فباي شيء
يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رايت ربي قول النبي صلى الله عليه وسلم
اكبر من قولها وقد انكر صاحب الهدي على من زعم ان احمد قال راى ربه بعيني
راسه قال وانما قال مرة راى محمد ربه وقال مرة بفواده وحكى عن بعض
المتاخرين انه راي بعيني راسه وهذا من تصرف الحاكي فان نصوصه موجودة
انتهى وقد رجح القرطبي في المفهم قول الوقف في هذه المسالة وعزاه لجماعة
من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به
الطايفتين ظواهر متعارضة قابلة للتاويل قال وليست المسالة من العمليات
فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل
القطعي والله اعلم واما قوله في الحديث ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة
كل يوم ففي رواية ثابت البناني عن انس عند مسلم ففرض الله علي خمسين
صلاة كل يوم وليلة ونحوه في رواية مالك ابن صعصعه عند البخاري ايضا
يحتمل ان يقال ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على الامة وبالعكس الا ما يستثنى
من خصايصه وفي حديث ثابت عن انس عند مسلم فنزلت الى موسى فقال
ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف
فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرايل وخبرتهم قال
فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى
موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى
ربك فاساله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى
حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك
خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت
له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيا فان عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاساله
التخفيف فقلت رجعت الى ربي حتى استحييت منه وفي رواية النساي
عن انس فقيل لي اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك
خمسين صلاة فقم بها انت وامتك وذكر مراجعته مع موسى وفيه فانه فرض

على بني اسرايل صلاتان فما قاموا بها وقال في اخره فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك قال
فعرفت انها عزمة من الله فرجعت فقال ارجع فان قلت لم قال موسى عليه السلام
لنبينا صلى الله عليه وسلم ان امتك لا يطيقون ذلك ولم يقل انك وامتك لا تطيقون
اجيب بان العجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو لما
رزقه الله تعالى من الكمال يطيق ذلك واكثر منه وكيف لا وقد جعلت قرة عينه
في الصلاة قال العارف ابن ابي جمرة والحكمة في فرض تخصيص الصلاة بليلة
الاسرا انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به راى في تلك الليلة تعبد الملايكة وان
منهم القايم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله تعالى له
ولامته تلك العبادات كلها في ركعة يصليها العبد بشرايطها من الطمانينة
والاخلاص وقد وقع من موسى عليه السلام من العناية بهذه الامة في امر
الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الاشارة بذلك في حديث ابي هريرة عند الطبراني
والبزار قال صلى الله عليه وسلم كان موسى اشدهم علي حين مررت وخيرهم
لي حين رجعت وفي حديث ابي سعيد فاقبلت راجعا فمررت بموسى عليه
السلام ونعم الصاحب كان لكم فسالني كم فرض عليك ربك الحديث قال
السهيلي واما اعتنا موسى عليه السلام بهذه الامة والحاجة على نبيها ان يشفع
لهم ويسال التخفيف عنها فلقوله تعالى والله اعلم حين قضا اليه الامر
بجانب الغربي وراى صفات محمد صلى الله عليه وسلم في الالواح وجعل يقول
اني اجد في الالواح امة صفتهم كذا اللهم اجعلهم امتي فيقال له تلك امة
احمد وهو حديث مشهور وقد تقدم ذكره في خصايص هذه الامة قال
وكان اشفاقه عليهم واعتناوه بامرهم كما يعتني بالقوم من هو منهم لقوله
اللهم اجعلني منهم انتهى قال القرطبي الحكمة في امر موسى بمراجعة النبي صلى
الله عليه وسلم في امر الصلوات يحتمل ان يكون لكون امة موسى عليه السلام كلفت
من الصلوات ما لم تكلف به غيرها من الامم قبلها فثقلت عليهم فاشفق
موسى على امة محمد صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك ويشير اليه قوله اني جربت الناس
من قبلك انتهى ووقع في كلام بعض اهل الاشارات لما تمكنت نار المحبة من
قلب موسى عليه السلام اضات له انوار الطور فاسرع اليها ليقتبس فاحتبس
فلما نودي في النادي وكان يطوف في بني اسرايل من يحملني رسالة الى ربي ومراده
ان يطول مناجاته مع الحبيب فلما مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
ردده في امر الصلوات ليسعد برؤية حبيب الحبيب وفي الاخر لما سال موسى

عليه السلام الرؤية ولم يحصل له البغية بقي الشوق يقلقه والامل يعلله فلما تحقق ان
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الحبيب منح الرؤية وفتح له باب المزية اكثر السؤال
ليسعد برؤية من راى كما قيل

شعر

واستنشق الارواح من نحو ارضكم • لعلي اراكم او ارى من يراكم
واسال من لاقيت عنكم عساكم • تجودون لي بالعطف منكم عساكم
فانتم حبابي ان جفيتم وان امنتم • فيا حبذا ان مت عبد هواكم

وقال اخر

وانما السر في موسى يردده • ليجتلي حسن ليلى حين يشهده
يبدو سناها على وجه الرسول فيا • لله در رسول حين اشهده

وقال اخر

لما جلس الحبيب في مقام القرب • ودارت عليه كؤوس الحب
عاد وهلالا لما كذب الفواد ما راى بين عينيه وسر واوحى الى عبده ما اوحى
ملو قلبه واذنيه فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان حاله • يا واردا
من اهيل الحي يخبرني • عن جيرتي شنف الاسماع بالخبر • ناشدتك الله يا
راوي حديثهم • حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري **فاجاب**
لسان الحال نبينا صلى الله عليه وسلم •

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا • سر ارق من النسيم اذا سرا
واباح طرفي نظرة املتها • فغدوت معروفا وكنت منكرا

فكل قوم يلحظون مذهبهم وقد علم كل اناس مشربهم والله تعالى بفضله واحسانه
يوالي انسجام سحائب عفوه ورضوانه على العارف الرباني الشيخ ابي عبد الرحمن
السلمي فلقد اجاد اذا افاد بما افرده من لطائف المعراج حسبما جمعه من كلام
اهل الاشارات يا قوم منهاج وقد استدل العلما بقوله في الحديث وهي خمسون
على عدم فرضية ما زاد على الصلوات الخمس كالوتر وعلى دخول النسخ قبل الفعل
قال ابن بطال وغيره الا ترى انه عز وجل نسخ الخمسين بالخمس قبل ان يصلى
ثم تفضل عليهم بان اكمل لهم الثواب **وتعقبه** ابن المنير فقال هذا ذكره طوائف
من الاصوليين والشراح وغيرهم وهو مشكل على من اثبت النسخ قبل الفعل
كالاشاعرة او منعه كالمعتزلة لكونهم اتفقوا جميعا على ان النسخ لا يتصور
قبل البلاغ وحديث الاسرا وقع فيه النسخ قبل البلاغ وهو مشكل عليهم جميعا
فان اراد قبل البلاغ لكل احد فممنوع وان اراد البلاغ الى بعض الامة فمسلم

لكن

لكن قد يقال ليس هو بالنسبة اليهم نسخا لكن هو نسخ بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم
لانه كلف بذلك قطعا ثم نسخ بعد ان بلغه وقبل ان يفعله فالمسالة صحيحة التصوير
في حقه صلى الله عليه وسلم **ولما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسرا** مر في بعض
طريقه بعير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان غرارة سودا وغرارة بيضا
فلما حاذا البعير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير وفي رواية اضلوا بعيرا لهم
قد جمعه فلان قال صلى الله عليه وسلم فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم
اتى مكة قبل الصبح واخبر قومه بما راى وقال لهم اية ذلك ان اقول لكم اني مررت
بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون
بمكان كذا وكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل ادم عليه مسح اسود وغرارتان
فلما كان ذلك اليوم اشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار
اقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه عليه الصلاة والسلام وفي رواية
سالوه اية فاخبرهم بقدوم العير يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا
حتى كادت الشمس ان تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف •
وعن عائشة لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم اصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس
كانوا امنوا وسعى رجال من المشركين الى ابي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه
اسري به الليلة الى بيت المقدس وجا قبل ان يصبح فقال نعم اني لاصدقه فيما هو
ابعد من ذلك في خبر السما في غدوة وروحة فلذلك سمي الصديق رواه الحاكم في
المستدرك وابن اسحق وزاد ثم اقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا نبي الله حدثت هولا انك جيت بيت المقدس الليلة قال نعم فقال يا نبي الله صفه
لي فاني قد جيته **قال** الحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لي حتى
نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر فيقول ابو بكر صدقت
اشهد انك رسول الله كلما وصف له منه شيا **وقول** ابي بكر صفه لي لم تكن عن شك
فانه صدقه من اول وهلة ولكنه اراد اظهار صدقه عليه السلام لقومه فانهم كانوا
يثقون بابي بكر فاذا طابق خبره عليه الصلاة والسلام ما كان يعلم ابو بكر وصدقه
كان حجة ظاهرة عليهم **وفي رواية** البخاري فجلى الله لي بيت المقدس اي كشف الحجب
بيني وبينه حتى رايته **وفي** رواية مسلم فسالوني عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا شديدا
لم اكرب مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ما يسالوني عن شي الا انباتهم به فيحتمل
ان يكون حمل الى ان وضع حيث يراه ثم اعيد ففي حديث ابن عباس عند احمد والبزار
فجي بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وانا انظر اليه هذا

ابلغ في المعجز ولا استحالة فيه فقد احضر عرش بلقيس في طرفة عين واما ما وقع في حديث
ام هاني عند ابن سعد فخيل الي بيت المقدس وطفقت اخبرهم فان ثبت احتمل ان يكون
المراد مثل قريبا منه كما قيل في حديث اريت الجنة والنار ويؤول قوله جي بالمسجد حتي
بمثاله وفي حديث ام هاني المذكور انهم قالوا له كم للمسجد من باب قال ولم اكن
اعددتها قال فجعلت انظر اليه واعدها بابا بابا وعند ابي يعلي ان الذي ساله
عن صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدي والد جبير ابن مطعم واشار ابن ابي جمرة
الي ان الحكمة في الاسرا الي بيت المقدس اظهار الحق لانه لو عرج به من مكة الي
السما لم يجد لمعاندة الاعدا سبيلا الي البيان والايضاح حيث سالوه عن جزئيات
بيت المقدس كانوا راوها وعلموا انه لم يكن راها قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل التحقيق
الذي اسري به الي بيت المقدس فاذا صح البعض لزم تصحيح الباقي فكان ذلك سببا
لقوة ايمان المومنين وزيادة في اشقاء من عاند وجحد من الكافرين والله تعالى اعلم

المقصد السادس

فيما ورد في اي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى
بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى علي تحقيق رسالته وعلو
منصبه الجليل ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته واخذه تعالى
له الميثاق علي سائر النبيين فضلا ومنة ليومنن به ان ادركوه ولينصرنه
والتنويه به في الكتب السالفة كالتورة والانجيل بانه صاحب الشفاعة
والتبجيل وغير ذلك اعلم اطلعني الله واياك علي اسرار التنزيل ومنحنا بلطفه
تبصرة تهدينا الي سوا السبيل لانه لا سبيل لنا ان نستوعب الايات الدالة
علي ذلك وما فيها من التصريح والاشارة الي علو محله الرفيع ومرتبته ووجوب
المبالغة في حفظ الادب معه وكذلك الايات التي فيها ثناوه تعالى عليه واظهار
عظيم شانه لديه وقسمه تعالى بحياته وندااوه بالرسول والنبي ولم يناد باسمه بخلاف
غيره من الانبيا ناداهم باسمايهم الي غير ذلك مما يشير الي انافة قدره العلي عنده وانه
لا مجد يساوي مجده ومن تامل القران العظيم وجد طافحا بتعظيم الله تعالى
لنبيه صلي الله عليه وسلم ورحم الله ابن خطيب الاندلس حيث قال

مدحتك ايات الكتاب فما عسي • يثني علي علياك نظم مديحي
واذا كتاب الله اثني مفصحا • كان القصور قصار كل فصيح

وهذا المقصد الكريم اكرمك الله يشتمل علي عشرة انواع النوع الاول في اياته

تتضمن

تتضمن تعظيم قدره ورفعة ذكره وجليل رتبته وعلو درجته علي الانبيا وتشريف منزلته
قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض منهم من كلم الله قال المفسرون
يعني موسي عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس هذا من خصايص موسي عليه السلام بالكلام
فقد ثبت انه تعالى كلم نبينا ايضا كما مر فان قلت اذا ثبت انه عليه الصلاة والسلام
كلمه ربه وقام به هذا الوصف فلم لم يشتق له من الكلام اسم الكليم كما اشتق منه
لموسي اجيب بان اعتبار المعني قد يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم الفاعل فيطرد
بمعني ان كل من قام به ذلك الوصف اشتق له منه اسم وجوبا وقد يكون للترجيح فقط
كالكليم فلا يطرد وحينئذ فلا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف انه يشتق له منه
اسم كما حققه القاضي عضد الدين هذا ملخصه وتحريره كما قاله المولي سعد
الدين التفتازاني انتهي وقوله ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلي الله عليه وسلم
رفعه الله تعالى من ثلاثة اوجه بالذات في المعراج وبالسيادة علي جميع البشر
وبالمعجزات لانه عليه الصلاة والسلام اوتي بالمعجزات ما لم يوته نبي قبله قال
الزمخشري وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلا قدره ما لا يخفي لما فيه من
الشهادة علي انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا تلتبس انتهي وقد بينت
هذه الاية وكذا قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين علي بعض ان مراتب
الرسل والانبيا متفاوتة خلافا للمعتزلة القايلين بانه لا فضل لبعضهم علي
قف بعض وفي هاتين الايتين رد عليهم وقال قوم ادم افضل لحق الابوة وتوقف
بعضهم فقال السكوت افضل والمعتمد الذي عليه جماهير السلف والخلف
ان الرسل افضل من الانبيا وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض بشهادة
هاتين الايتين وغيرهما قال بعض اهل العلم فيما حكاه القاضي عياض
والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته
ومعجزاته اظهر واشهر او تكون امته ازكي واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر
وفضله في ذاته راجع الي ما خصه الله به من كراماته واختصاصه من كلام او
خلة او روية او ما شا الله من الطافه وتحفه وولايته واختصاصه انتهي
فلا مرية ان ايات نبينا صلي الله عليه وسلم ومعجزاته اظهر وابهر واكثر وابقي
واقوي ومنصبه اعلا ودولته اعظم واوفر وذاته افضل واظهر وخصوصيته
علي جميع الانبيا اشهر من ان تذكر فدرجته ارفع درجات جميع المرسلين •
وذاته ازكي وافضل من ساير المخلوقين • وتامل حديث الشفاعة في المحشر
وانتهايها اليه وانفراده هناك بالسودد كما قال صلي الله عليه وسلم انا سيد ولد

ادم واول من تنشق عنه الارض يوم القيمة رواه ابن ماجه وفي حديث انس عند الترمذي
انا اكرم ولد ادم بل اولاده فالاستدلال بذلك على مطلق افضليته عليه الصلاة
والسلام بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال لانه لا شك ان خيرية الامم
بحسب كمالها في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه واستدل
له الفخر الرازي في المعالم بانه تعالى وصف الانبيا بالاوصاف الحميدة ثم قال لمحمد
صلى الله عليه وسلم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فامره ان يقتدي
باثرهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون تاركا للامر واذا اتى بجميع ما اتوا
به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم فيكون افضل منهم
وبان دعوته عليه الصلاة والسلام في التوحيد والعبادة وصلت الى اكثر بلاد
العالم بخلاف سائر الانبيا انتهى فظهر انتفاع اهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه
وسلم اكمل من انتفاع سائر الامم وقد روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر
وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت لوائي وفي حديث
ابي هريرة مرفوعا عند البخاري انا سيد الناس يوم القيمة وهذا يدل على
انه افضل الانبيا بل افضل خلق الله كلهم وقد روى هذا الحديث ايضا
الحاكم في صحيحه عن ابن عباس لكن بلفظ انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب.
وقال انه صحيح ولم يخرجاه وله شاهد من حديث عروة عن عائشة وساقه
من طريق احمد بن عبيد ابن ناصح حدثنا الحسين ابن علوان وهما ضعيفان
عن هشام ابن عروة عن ابيه بلفظ ادعوا الى سيد العرب. قالت فقلت يا رسول
الله الست سيد العرب فقال ولدكم وكذا اورده من حديث عمر ابن موسى الوجيهي
وهو ضعيف ايضا عن ابن الزبير عن جابر مرفوعا ادعوا الى سيد العرب فقالت
عائشة الست بسيد العرب فذكره قال شيخنا وكلها ضعيفة بل جنح الذهبي
الى الحكم على ذلك بالوضع انتهى ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس عجبا
وافتخارا على من دونه حاشا الله من ذلك وانما قاله عليه الصلاة والسلام
اظهارا لنعمة الله تعالى واعلاما للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى
وعلو منزلته لديه لتعرف نعمة الله عليهم وعليه وكذلك العبد اذا لاحظ
ما هو فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك
فقره الى ربه في كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين انشا له ذلك في
قلبه سحايب السرور فاذا انبسطت هذه السحايب في سما قلبه وامتلا افقه

بها امطرت عليه وابل المطر بما هو فيه من لذيذ السرور فان لم يصبه وابل فطل وحينئذ
يجري على لسانه لا افتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله وبرحمته كما قال
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فالافتخار في ظاهره والافتقار
والانكسار في باطنه ولا ينافي احدهما الاخر والى هذا المعنى يشير قول
العارف الرباني سيدي علي الوفودي في قصيدته التي اولها
من انت مولاه حاشا علاه ان ينطاشا . والله يا روح قلبي لا مات من بك عاشا
قوم لهم انت ساق لا يرجعون عطاشا . عبد له بك عز فكيف لا يتحاشا .
ومن بحولك يقوى لن يضعف الدهر حاشا . حاشا وفاوك راشا من انت مولاه راشا
فان قلت فما الجمع بين هاتين الايتين وبين قوله تعالى قولوا امنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب. والاسباط وما
اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
والحديث الثابت في الصحيحين عن ابي هريرة قال استب رجل من المسلمين
ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسمه لا والذي اصطفى موسى على العالمين
فرفع المسلم يده فلطم اليهودي في قسمه لا والذي الحاخم فقال اي خبيث
وعلى محمد فجا اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى على المسلم فقال
صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على الانبيا وفي رواية لا تفضلوا بين الانبيا
وحديث ابي سعيد الخدري عند البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا
بين الانبيا وحديث ابن عباس عند مسلم مرفوعا ما ينبغي لعبد ان يقول
انا خير من يونس بن متى وحديث ابي هريرة عند الشيخين ومن قال انا خير من
يونس ابن متى فقد كذب اجاب العلما بان قوله عز وجل لا نفرق بين
احد منهم يعني في الايمان بما انزل اليهم والتصديق بهم والايمان بانهم رسل الله
وانبيائه والتسوية بينهم في هذا لا يمنع ان يكون بعضهم افضل من بعض واجابوا
عن الاحاديث باجوبة فقال بعضهم ان يعتقد ان الله تعالى فضل بعضهم على
بعض في الجملة ونكف عن الخوض في تفضيل التفضيل بارايتنا فصحيح واذا زاد
انا لا نذكر في ذلك مما فهمنا من كتاب الله وروي لنا من حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اخر تفضيل من رفع الله درجته بخصايص الخلق والترقي
ولا نخوض في تفضيل بعضهم على بعض في سياسة المنذرين والصبر على الدين
والنصيحة في ادا الرسالة والحرص على هدى الضلال فان كلا منهم بذل في
ذلك وسعه الذي لا يكلفه الله تعالى اكثر منه وقال اخر مما ذكره

القاضي عياض ان نهيه عليه الصلاة والسلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد
ادم فنهي عن التفضيل اذ يحتاج الي توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب **قال** الحافظ
عماد الدين ابن كثير وفي هذا نظر انتهي ولعل وجه النظر من جهة معرفة التقدم
تاريخا من ذلك **وقال** اخر انما قاله صلي الله عليه وسلم علي طريق التواضع ونفي التكبر
والتعجب **قال** القاضي عياض وهذا لا يسلم من الاعتراض وقيل لا تفضيل بينهم
تفضيلا يودي الي تنقيص بعضهم والغض منه وقيل منع التفضيل في حق النبوة
والرسالة فان الانبيا عليهم السلام فيها علي حد واحد لا يتفاضل وانما التفاضل
في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب واما النبوة في نفسها فلا تفاضل
وانما التفاضل بامور زايدة عليها وكذلك منهم رسل واولو عزم انتهي وهذا قريب
من القول الثاني **قال** ابن ابي حمزة في حديث يونس يريد بذلك نفي التكييف
والتحديد علي ما قاله ابن خطيب الري لانه قد وجدت الفضيلة بينهما في عالم
الحس لان النبي صلي الله عليه وسلم اسري به الي فوق السبع الطباق ويونس نزل
به الي قعر البحر **وقد قال** عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد ادم يوم
القيمة **قال** عليه السلام ادم ومن دونه تحت لواي وقد اختص صلي
الله عليه وسلم بالرسالة والشفاعة الكبري التي لم تكن لغيره من الانبيا عليهم
السلام فهذه الفضيلة وجدت بالضرورة فلم يبق ان يكون قوله عليه السلام
لا تفضلوني علي يونس ابن متي الا بالنسبة الي القرب من الله تعالي والبعد
فمحمد صلي الله عليه وسلم وان اسري به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب
ويونس وان نزل به لقعر البحر فهما بالنسبة الي القرب والبعد من الله علي
حد واحد انتهي وهو مروي عن امام الحرمين ما لك بن ابي الصيف وعزي نحوه الامام دار
الحرمين **وقال** ابن المنير قلت ان لم يفضل علي يونس باعتبار استوا الجهتين
بالنسبة الي وجود الحق تعالي فقد فضله باعتبار تفاوت الجهتين في تفضيل
الحق فانه تعالي فضل الملا الاعلي علي الحضيض الادني فكيف لا نفضله عليه
الصلاة والسلام علي يونس وان لم يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة بلا اشكال ل
ثم قال قلت لم ينه عن مطلق التفضيل وانما نهي عن تفضيل مقيد بالمكان
يفهم منه القرب المكاني فعلي هذا يحتمل جمعا بين القواعد انتهي **واختلف**
هل البشر افضل من الملايكة فقال اهل السنة والجماعة خواص بني ادم وهم
الانبيا افضل من خواص الملايكه وهم جبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل وحملة
العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص الملايكه افضل من عوام

بني ادم

بني ادم قال التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة وعوام بني ادم افضل من عوام الملايكة ه
فالمسجود له افضل من الساجد فاذا ثبت تفضيل الخواص علي الخواص ثبت تفضيل
العوام علي العوام فعوام الملايكة خدم عمال الخير والمخدوم له فضل علي الخادم ولان
المومنين ركب فيهم الهوا والعقل مع تسليط الشيطان عليهم بوسوسته والملايكه
ركب فيهم العقل دون الهوا ولا سبيل للشيطان عليهم فالشيطان كما قاله في العقا يد
يحصل الفضايل والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوايق والموانع من
الشهوة والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن اكتساب الكمالات
ولا شك ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف اشق وادخل في الاخلاص
فيكون افضل والمراد بعوام بني ادم هنا الصلحا لا الفسقه كما نبه عليه العلامة
كمال الدين ابن ابي شريف المقدسي **قال** ونص عليه البيهقي في الشعب وعبارته قد تكلم
الناس قديما وحديثا في الملايكة والبشر فذهب ذاهبون الي ان الرسل من البشر
افضل من الرسل من الملايكه والاوليا من البشر افضل من الاوليا من الملايكة
انتهي وذهبت المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة الي تفضيل الملايكه وهو
اختيار القاضي ابي بكر ابن الباقلاني وابي عبد الله الحليمي وتمسكوا بوجوه الاول
ان الملايكة ارواح مجرده كاملة بالفعل مبراة عن مبادي الشرور والافات
كالشهوة والغضب وعن ظلمات الهيولا والصورة قوية علي الافعال العجيبة
عالمة بالكواين ماضيها واتيها من غير غلط **والجواب** ان مبني ذلك علي الاصول
الفلسفيه دون الاصول الاسلاميه الثاني ان الانبيا مع كونهم افضل البشر
يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالي علمه شديد القوي وقوله تعالي
نزل به الروح الامين علي قلبك ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم **والجواب**
ان التعليم من الله تعالي والملايكة انما هو مبلغون الثالث انه اطرد في الكتاب
والسنة تقدم ذكرهم علي ذكر الانبيا وما ذلك الا لتقدمهم في الشرف والرتبة
والجواب ان ذلك لتقدمهم في الوجود او لان وجودهم اخفا فالايمان بهم
اقوي وبالتقديم اولي الرابع قوله تعالي لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله
ولا الملايكة المقربون فان اهل اللسان يفهمون من ذلك افضلية الملايكه
من عيسي اذ القياس في مثله الترقي من الادني الي الاعلا يقال لا يستنكف
من هذا الامر الوزير ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير
ثم لا قايل بالفضل بين عيسي عليه السلام وغيره من الانبيا عليهم السلام
والجواب ان النصاري استعظموا المسيح بحيث يرتفع من ان يكون عبدا من عباد الله

بل ينبغي ان يكون ابنا له لانه مجرد لا اب له وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى
بخلاف ساير العباد من بني ادم فرد عليهم بانه لا يستنكف من ذلك المسيح ولا من هو اعلا منه
في هذا المعنى وهم الملايكة الذين لا اب لهم ولا ام ويقدرون باذن الله على
افعال اقوى واعجب من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله فالترقي
والعلو انما هو في امر التجرد واظهار الاثار القوية لا في مطلق الشرف والكمال
فلا دلالة على افضلية الملايكة انتهى ثم ان الملايكة بعضهم افضل من بعض وافضلهم
الروح الامين جبريل المذكى من رب العالمين المقول فيه من ذي العزة انه
لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فوصفه بسبع
صفات وهو افضل الملايكة الثلاثة الذين هم افضل الملايكة على الاطلاق
وهم ميكايل واسرافيل وعزرايل وكذلك الرسل كما تقدم واول الانبيا ادم
واخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاما نبوة ادم فبالكتاب الدال على انه قد
امر ونهي مع القطع بانه لم يكن في زمنه نبي اخر فهو بالوحي لا غير وكذا السنة
والاجماع فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا وقد اختلف
في عدد الانبيا والمرسلين والمشهور في ذلك ما في حديث ابي ذر عند ابن
مردويه في تفسير قال قلت يا رسول الله كم الانبيا قال ماية الف
واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله من كان اولهم قلت ادم
ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون ادم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس
وهو اول من خط بقلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا ابا
ذر واول بني اسرايل موسى واخرهم عيسى واول النبيين ادم واخرهم
نبيك وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم ابن حبان في كتابه
الانواع والتقاسيم وقد وسمه بالصحيح وخالفه ابن الجوزي فذكره في
الموضوعات واتهم به ابرهيم ابن هشام قال الحافظ ابن كثير ولا شك
انه قد تكلم فيه غير واحد من ايمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث
فالله اعلم وروى ابو يعلى عن انس مرفوعا كان فيمن خلا من اخواني من الانبيا
ثمانية الاف نبي ثم كان عيسى ابن مريم ثم كنت انا والذي نص الله تعالى
على اسمايهم في القران ادم • وادريس • ونوح • وهود • وصالح • وابرهيم • ولوط
واسمعيل • واسحق • ويعقوب • ويوسف • وايوب • وشعيب • وموسى • وهرون
ويونس • وداود • وسليمن • والياس • واليسع • وزكريا • ويحيى • وعيسى •
وذو الكفل عند كثير من المفسرين والله اعلم وقال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك

وروى ابن جرير من حديث ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل
عليه السلام فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله اعلم
قال اذا ذكرت ذكرت معي وذكره الطبري وصححه ابن حبان وروينا عن الامام
الشافعي قال اخبرنا ابن عيينه عن ابن ابي نجيح معناه لا اذكر الا ذكرت معي
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال الامام الشافعي
يعني والله اعلم ذكره عند الايمان بالله والاذان قال ويحتمل ذكره عند تلاوة
القران وعند العمل بالطاعة والوقوف عند المعصية انتهى وقيل رفعه
بالنبوة قاله يحيى ابن ادم وعن ابن عطا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني
وعنه ايضا جعلت تمام الايمان بذكري معك وعن جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك
احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية وقال البيضاوي واي رفعة مثل ان قرن
اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته انتهى يشير الى قوله تعالى من
يطع الرسول فقد اطاع الله والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله
واطيعوا الله ورسوله وقول قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس
خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله انتهى فهو مذكور معه في الشهادة والتشهد ومقرون ذكره بذكره في القران
والخطب والاذان وينوه باسمه في موقف القيمة رواه واخرج ابو نعيم
في الحلية عن ابي هريرة رفعه لما نزل ادم عليه السلام بالهند استوحش فنزل
جبريل عليه السلام فنادى بالاذان الله اكبر الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله
مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين الحديث وكتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل
سما وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر واخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا لما
عرج بي الى السما ما مررت بسما الا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله وفي الحلية
عن ابن عباس رفعه ما في الجنة شجرة عليها ورقة الا مكتوب عليها لا اله الا الله محمد
رسول الله واخرج الطبراني من حديث جابر مرفوعا كان نقش خاتم سليمان ابن داود
عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله وعزاه للحافظ ابن رجب في كتاب احكام
الخواتيم له الجزري ابن علي الخالدي وقال انه باطل موضوع وشق اسمه الكريم من اسمه
تعالى • كما قال •

• وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد •

وسماه من اسمايه الحسنى بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك في اسمايه صلوات الله وسلامه
عليه وصلى عليه في ملايكته وامر المومنين بالصلاة عليه تعالى فقال تعالى ان الله وملايكته

يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فاخبر عباده بمنزلة
نبيه عنده في الملا الاعلى بانه يثني عليه عند الملايكة المقربين وان الملايكة تصلي
عليه ثم امر العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه فيجتمع الثنا عليه من اهل العالمين
العلوي والسفلي جميعا وكتبه نبيا وادم بين الروح والجسد وختم به النبوة والرسالة
واعلن بذكره الكريم في الاولين والاخرين ونوه بقدره الرفيع حين اخذ الميثاق
على جميع النبيين وجعل ذكره في فواتح الرسايل وخاتمها وشرف به المصامع على المنابر
وزين بذكره ارباب الاقلام والمحابر • ونشر ذكره في الافاق شرقا وغربا برا وبحرا
حتى في السموات السبع وعند المستوى وصريف الاقلام والعرش والكرسي وساير
الملايكة المقربين من الكروبيين والروحانيين والعلويين والسفليين وجعله في
قلوب المومنين بحيث يستطيبون ذكره فترتاح ارواحهم وربما تميل من طرب •
سماع اسمه اشباحهم •

• واذا ذكرتكموا اميل كانني • من طيب ذكركموا سقيت الراحا •

كانه تعالى يقول املا الوجود كله من اتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك
ويحفظون سنتك بل ما من فريضة من فريضة الصلاة الا ومعها سنة فهم
متمسكون في الفريضة بامري وفي السنة بامرك • وجعلت طاعتي طاعتك • وبيعتي
بيعتك • فالقرا يحفظون الفاظ منشورك • والمفسرون يفسرون معاني فرقانك
والوعاظ يبلغون بليغ وعظك • والملوك والسلاطين يقفون في خدمتك •
ويسلمون عليك من ورا الحجاب ويمسحون روسهم بتراب روضتك • ويرجون شفاعتك
فشرفك باق ابد الابدين • الى يوم الدين • والحمد لله رب العالمين **وقال**
تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى **اعلم** ان للمفسرين في طه قولين احدهما
انهما من حروف التهجي والثاني انها كلمة مفيدة وعلى القول الاول قيل معناها
يا مطيع في الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الملة وقيل الطا في الحساب تسعة
والها خمسة فالجملة اربعة عشر ومعناها يا ايها البدر وهذه الاقوال لا يعتمد عليها
اذ هي كما قاله المحققون من بديع التفاسير ومثلها قول الواسطي فيما حكاه القاضي
عياض في الشفا اراد يا طاهر يا هادي واما على قول من قال انها كلمة مفيدة ففيه
وجهان احدهما ان معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد
وسعيد ابن جبير وقتادة وعكرمه قال سعيد ابن جبير بلسان النبطية وقال
قتادة بلسان السريانيه وقال عكرمة بلسان الحبشه **وقال** البيضاوي
ان صح ان معناه يا رجل فلعل اصله يا هذا او تصرفوا فيه بالقلب والاختصار

لا يجيا انم

انتهي قال

انتهى **قال** الكلبي لو قلت في عك يا رجل لم يجب حتى تقول طه وقال السدي معنى
طه يا فلان **وقال** الزمخشري لعل عكا تصرفوا فيه يا هذا كانهم في لغتهم قالبون
اليا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت
المستشهد به ان السفاهة طه في خلايقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين انتهى
قال في البحر وكان قد قدم ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ثم تخوض وخرز
على عك بما لا يقوله نحوي وهو انهم قلبوا اليا طا وكذا لكحذف اسم الاشارة في الندا
واقرب ها التي للتنبيه انتهى وقيل معناه يا انسان وقرى طه اي باسكان الها
حتى انه امر له صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض بقدميه فقد روي انه صلى
الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر ان يطا الارض
بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته ها كما قالوا هياك في اياك وهرقت
ويجوز ان يكون الاصل من وطي على ترك الهمزة فيكون اصله طا يا رجل ثم اثبت
الها فيها للوقف وعلى هذا يحتمل ان يكون اصله طه طاها والالف مبدلة
من الهمزة والها كناية عن الارض لكن يرد ذلك كتبهما على صورة الحرف **واما قوله**
تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى فذكروا في سبب نزولها اقوالا احدها
ان ابا جهل والوليد ابن المغيرة ومطعم ابن عدي قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت دين ابايك فقال له صلى الله عليه وسلم بل بعثت
رحمة للعالمين بان دين الاسلام والقران هو السلم الى نيل كل فوز والسبب
في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وثانيها انه صلى الله
عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان
لها عليك حقا اي ما انزلنا عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة
العظيمة وما بعثت الا بالحنيفية السمحا وروي انه كان اذا قام من الليل
ربط صدره بحبل حتى لا ينام **وقال** بعضهم كان يسهر طول الليل وتعقب
بانه بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل شيا من ذلك فلا بد وان يكون قد
فعله بامر الله تعالى واذا فعله عن امره فهو من باب السعادة لا من باب الشقا
ثالثها قال بعضهم يحتمل ان يكون المراد لا تشق نفسك وتعذبها بالاسف على
كفرهم فانما انزلنا عليك القران لتذكر به من امن فمن امن واصلح فلنفسه
ومن كفر فلا يحزنك كفره فما عليك الا البلاغ وهذا كقوله لعلك باخع نفسك
على اثارهم ان لا يكونوا مومنين ولا يحزنك كفرهم ورابعها ان هذه السورة من
اوايل ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا مع اعدائه

وكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى على هذه الحالة بل يعلو امرك ويظهر قدرك
فانا ما انزلنا عليك القران لتبقى شقيا بل تصير معظما مكرما زاده الله تعالى
تعظيما وتكريما وتشريفا قال تعالى انا اعطيناك الكوثر السورة قال
الامام فخر الدين بن الخطيب في هذه السورة كثير من الفوايد منها انها كالمتممة
لما قبلها من السور وذلك لان الله تعالى جعل سورة الضحى في مدح نبينا صلى الله
عليه وسلم وتفصيل احواله فذكر في اولها ثلاثة اشيا تتعلق بنبوته وهي
قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك
ربك فترضى ثم ختمها كذلك باحوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى
الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا اي عن علم الحكم والاحكام فهدى ووجدك
عايلا فاغنى ثم ذكر في سورة الم نشرح انه تعالى شرفه عليه الصلاة والسلام
بثلاثة اشيا وهي الم نشرح لك صدرك اي الم نفسحه حتى وسع مناجاة
الحق ودعوة الخلق ووضعنا عنك وزرك اي عناك الثقيل الذي انقض
ظهرك ورفعنا لك ذكرك وهكذا سورة بسورة حتى قال انا اعطيناك
الكوثر اي اعطيناك هذه المناقب المتكاثرة التي كل واحد منها اعظم من
ملك الدنيا بحذافيرها واذا انعمنا عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا
ولا تبال بقولهم ثم ان الاشتغال بالعبادة اما ان يكون بالنفس وهي
قوله فصل لربك واما بالمال وهو قوله وانحر وتامل قوله انا اعطيناك
كيف ذكره بلفظ الماضي ولم يقل سنعطيك ليدل على ان هذا الاعطا حصل
في الزمان الماضي قال عليه الصلاة والسلام كنت نبيا وادم بين
الروح والجسد ولا شك ان من كان في الزمان الماضي عزيزا مرعي الجانب
اشرف ممن سيصير كذلك كانه تعالى يقول يا محمد قد هيانا اسباب سعادتك
قبل دخولك في هذا الوجود فكيف بعد وجودك واشتغالك بعبودية يتنا يايها
العبد الكريم انا لم نعطك هذا الفضل العميم لاجل طاعتك وانما اخترناك
بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب واختلف المفسرون في تفسير
الكوثر على وجوه منها انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف
والخلف روي انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا اسير في الجنة
اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا
الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينه مسك اذفر رواه البخاري وقيل الكوثر
الاولاد لان هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام

بعدم

32

بعدم الاولاد وعلى هذا فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على ممر الزمان فانظر كم
قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلي منهم ولم يتفق ذلك لنبي من الانبيا غيره وقيل
الكوثر الخير الكثير وقيل النبوة وهي الخير الكثير وقيل علما امته وقيل الاسلام
ولا ريب انهما من الخير الكثير فالعلما ورثة الانبيا كما رواه احمد وابو داود والترمذي
واما علما امتي كانبيا بني اسرايل فقال الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميري
والزركشي انه لا اصل له نعم روى ابو نعيم في فضل العالم العفيف بسند ضعيف
عن ابن عباس رفعه اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد وقيل الكوثر
لكثرة الاتباع والاشياع وعن بعضهم المراد بالكوثر العلم وحمله عليه اولى لوجوه
احدها ان العلم هو الخير الكثير والثاني اما ان يحمل الكوثر على نعم الاخرة او على
نعم الدنيا قال والاول غير جايز لانه قال انا اعطيناك الكوثر والجنة سيعطيها
لا انه اعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا واشرف الامور الواصلة
اليه في الدنيا هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم والثالث انه لما قال
انا اعطيناك الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشي الذي يتقدم على
العبادة هو المعرفة ولان الفا في قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان الموجب
للعبادة ليس الا العلم وقيل الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جميع
نعم الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وبالجملة فليس حمل الاية على بعض هذه
النعم اولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل وكذا روي ان سعيد بن جبير
لما روى هذا القول عن ابن عباس قال له بعضهم ان ناسا يزعمون انه نهر الجنة
فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه قال الامام
فخر الدين بن الخطيب قال بعض العلما ظاهر قوله تعالى انا اعطيناك
الكوثر يقتضي انه تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر فيجب ان يكون الاولى حمله على
ما اتاه الله من النبوة والقران والذكر العظيم والنصر على الاعدا واما
الحوض وساير ما اعد له من الثواب فهو وان جاز ان يقال انه داخل فيه
لان ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع الا ان الحقيقة ما قدمناه لان
ذلك وان اعد له فلا يصح ان يقال على الحقيقة انه اعطاه الكوثر في حال
نزول هذه السورة بمكة ويحتمل ان يجاب عنه بان من اقر لولده بشي له يصح ان
يقال اعطاه ذلك الشي مع ان الصبي في ذلك الحال ليس اهلا للتصرف فانتهى
وقد روينا في صحيح مسلم من حديث انس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما يضحكك

اضحكك الله سنك يا رسول الله قال نزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر ثم قال اتدرون
ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير
وهو حوض ترد عليه امتي يوم القيمة انيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم
فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدثوا بعدك وهذا تصريح منه
صلي الله عليه وسلم بان المراد بالكوثر هنا الحوض والمصير اليه اولي وهو المشهور
كما تقدم فسبحان من اعطاه هذه الفضايل العظيمة • وشرفه بهذه الخصال
العميمة • وحباه بما افاضه عليه من نعمه الجسيمة • وقد جرت عادة الله مع
انبيايه عليهم الصلاة والسلام ان يناديهم باسمايهم الاعلام نحو يا ادم
اسكن يا نوح اهبط يا موسي اني انا الله يا عيسي ابن مريم اذكر نعمتي عليك واما
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فناداه بالوصف الشريف من الانبيا والارسال
فقال يا ايها الرسول يا ايها النبي **ولله در القايل** •
• فدعا جميع الرسل كلا باسمه • ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي •
قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ولا يخفي علي احد ان السيد اذا دعا
عبيده بافضل ما اوجد لهم من الاوصاف العليه • والاخلاق السنيه •
ودعا اخرين باسمايهم الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق
من الاخلاق ان منزلة من دعاه بافضل الاسما والاوصاف اعز عليه واقرب
اليه ممن دعاه باسمه العلم وهذا معلوم بالعرف ان من دعي بافضل اوصافه
واخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه انتهي **وانظر** ما في نحو قوله
تعالي واذ قال ربك للمليكة اني جاعل في الارض خليفة من ذكر الرب تعالي
فاضافته اليه صلي الله عليه وسلم وما في ذلك من التنبيه علي شرفه
واختصاصه بخطابه وما في ذلك من الاشارة اللطيفة وهي ان المقبل عليه
بالخطاب له الحظ الاعظم والقسم الاوفر من الجملة المخبر بها اذ هو في الحقيقة
اعظم خلفايه الا ترى الي عموم رسالته ودعايه وجعله افضل انبيايه
اقربهم ليلة الاسرايه وجعل ادم فمن دونه تحت لوايه فهو المقدم في ارضه
وسمايه وفي داري تكليفه وجزايه • وبالجملة فقد تضمن الكتاب العزيز
من التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره وعلو منصبه ورفعة ذكره ما يقضي
بانه استولي علي اقصي درجات التكريم ويكفي اخباره تعالي بالعفو عنه
ملاطفة قبل ذكر العتاب في قوله تعالي عفا الله عنك لم اذنت لهم وتقديم

ذكره

تفسير صح

33

ذكره علي الانبيا تعظيما له مع تاخره عنهم في الزمان في قوله تعالي ومنك ومن نوح وابرهيم
وموسي وعيسي بن مريم واخباره بتمني اهل النار طاعته في قوله تعالي يوم تقلب
وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول وهذا بحر لا ينفد
وقطر لا يعد **النوع الثاني في اخذ الله الميثاق علي النبيين فضلا
ومنه ليومنن به ان ادركوه ولينصرنه قال الله تعالي واذ اخذ الله
ميثاق النبيين** لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول مصدق لما معكم
لتومنن به ولتنصرنه الاية اخبر تعالي انه اخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن
ادم عليه السلام الي محمد صلي الله عليه وسلم ان يصدق بعضهم بعضا قاله
الحسن وطاووس وقتادة وقيل معناه انه تعالي اخذ الميثاق من النبيين
واممهم واستغني بذكرهم عن ذكر الامم **وعن علي بن ابي طالب** وابن عباس ما بعث
الله نبيا من الانبيا الا اخذ عليه الميثاق لين بعث محمد صلي الله عليه وسلم وهو
حي ليومنن به ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاووس لا يضاد ما قاله
علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد صلي الله عليه
وسلم ان يومنوا به وان ينصروه واحتج له بان الذين اخذ الله الميثاق منهم
يجب عليهم الايمان بمحمد صلي الله عليه وسلم عند مبعثه وكان الانبيا عند مبعثه
محمد صلي الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون مكلفا فتعين ان
يكون الميثاق ماخوذا علي الامم قالوا ويويد هذا انه تعالي حكم علي الذين اخذ
عليهم الميثاق انهم لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبيا
وانما يليق بالامم **واجاب الفخر الرازي** بان يكون المراد من الاية ان
الانبيا لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلي الله عليه وسلم ونظيره
قوله تعالي لين اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالي انه لا يشرك قط
ولكن خرج هذا الكلام علي سبيل التقدير والفرض **وقال** تعالي ولو تقول
علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين **وقال**
في المليكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم مع انه تعالي
اخبر عنهم انهم لا يسبقونه بالقول وبانهم يخافون ربهم من فوقهم فكل ذلك
خرج علي سبيل الفرض والتقدير واذا نزلت هذه الاية علي ان الله تعالي
لما اوجب علي جميع الانبيا ان يومنوا بمحمد صلي الله عليه وسلم لو كانوا في الاحيا
وانهم لو تركوا ذلك لصاروا في زمرة الفاسقين فلا يكون الايمان بمحمد صلي

الله عليه وسلم واجبا على اممهم من باب اولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبيا اقوى
في تحصيل المقصود **وقال** السبكي في هذه الاية انه عليه الصلاة والسلام على
تقدير مجيئه في زمانه يكون مرسلا اليهم فيكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق
من زمن ادم الى يوم القيمة وتكون الانبيا وامهم كلهم من امته ويكون قوله
عليه السلام وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيمة
بل يتناول من قبلهم ايضا وانما اخذ له الميثاق على الانبيا ليعلموا انه المقدم
عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي اخذ المواثيق وهي في معنى الاستحلاف ولذلك
دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه **لطيفه** وهي كانها ايمان البيعة
التي توخذ للخلفا ولعل ايمان الخلفا اخذت من ههنا فانظر هذا التعظيم
العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى فاذا عرف هذا فالنبي محمد صلى
الله عليه وسلم نبي الانبيا ولهذا اظهر ذلك في الاخرة جميع الانبيا تحت لوائه
وفي الدنيا كذلك ليلة الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن ادم ونوح
وابرهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك
اخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليه الصلاة والسلام ورسالته اليهم
معنى حاصل له وانما امره يتوقف على اجتماعهم معه فتاخر ذلك لامر راجع
الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول
المحل وتوقفه على اهلية الفاعل فههنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من
جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر
المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا ياتي عيسى عليه السلام
في اخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه ياتي
واحد من هذه الامة نعم هو واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبي
صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقران والسنه
وكلما فيهما من امر ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر هذه الامة وهو نبي كريم
على حاله لم ينقص منه شي وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه او
زمان موسى وابرهيم ونوح وادم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم
والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم
واشمل واعظم ومتفق مع شرايعهم في الاصول لانها لا تختلف وتتقدم
شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص
واما على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله عليه

وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى اوليك الامم مما جاءت به الانبيا وهم وفي هذا
الوقت بالنسبة الى هذه الامة الشريفة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص
والاوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين كان خفيا عنا احدهما قوله صلى الله عليه
وسلم بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انه جميع
الناس اولهم واخرهم والثاني قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح
والجسد كنا نظن انه بالعلم فبان انه زايد على ذلك وانما يفترق الحال بين
ما بعد وجود جسده الشريف صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك
بالنسبة الى المبعوث اليهم وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم
لو تاهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط بحسب المحل القابل وقد يكون
بحسب الفاعل المتصرف فههنا التعلق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث
اليهم وقبول سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا
كما يوكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل
اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود الكفو ولا
يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة واهلية الوكيل انتهى

النوع الثالث في وصفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بالشهادة وشهادته له بالرسالة

قال الله تعالى حكاية عن ابرهيم
واسمعيل عليهما السلام عند بنا البيت الحرام ربنا تقبل منا انك انت السميع
العليم الى قوله العزيز الحكيم فاستجاب الله دعاهما وبعث في اهل مكة منهم
رسولا بهذه الصفة من ولد اسمعيل الذي دعا مع ابيه ابرهيم عليهما السلام
بهذا الدعا **فان قلت** من اين علم ان الرسول ههنا المراد به محمد صلى الله عليه
وسلم **فالجواب** من وجوه احدها اجماع المفسرين وهو حجة الثاني قوله
عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشارة عيسى قالوا واراد بالدعوة هذه
الاية وبشارة عيسى وهي ما ذكر في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اسمه احمد **الثالث** ان ابرهيم انما دعا بهذا الدعا بمكة لذريته الذين كانوا
بها وبما حولها ولم يبعث الله تعالى الى من بمكة الا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد
امتن الله على المومنين ببعث هذا النبي منهم على هذه الصفة فقال تعالى لقد
من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة الاية فليس لله منة على المومنين اعظم من ارساله
محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وانما كانت النعمة على هذه

الامة بارسالة اعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح
الدنيا والاخرة وكمل بسببها دين الله تعالى الذي رضيه لعباده **وقوله**
من انفسهم يعني انه بشر مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي وقرئ في الشواذ انفسهم
بفتح الفاء يعني من اشرفهم لانه من بني هاشم وبنو هاشم افضل من قريش
وقريش افضل من العرب والعرب افضل من غيرهم **ثم قيل** لفظ المومنين
عام ومعناه خاص في العرب لانه ليس حي من احيا العرب الا وقد ولده
وخص المومنين بالذكر لانهم المنتفعون به اكثر فالمنة عليهم اعظم
فان قلت هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط في صحة
الايمان او هو من فروض الكفايات **اجاب** الشيخ ولي الدين بن
العراقي بانه شرط في صحة الايمان قالوا فلو **قال** شخص ومن برسالة
محمد الى جميع الخلق ولكني لا ادري هل هو من البشر او من الملائكة او من
الجن او لا ادري هل هو من العرب او من العجم فلا شك في كفره لتكذيبه
للقران وجحده وما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما
بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف
ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى **فان قلت**
هل هو عليه الصلاة والسلام باق على رسالته الى الان **اجاب** ابو المعين
النسفي بان الاشعري قال انه عليه الصلاة والسلام الان في حكم رسالته
وحكم الشي يقوم مقام اصل الشي الا ترى ان العدة تدل على ما كان من احكام
النكاح انتهى **وقال غيره** ان النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه الصلاة
والسلام حقيقة كما يبقى وصف الايمان للمومن بعد موته لان المتصف بالنبوة
والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى
وتعقب بان الانبيا احيا في قبورهم فوصف النبوة باق للروح والجسد
معا **وقال** القشيري كلام الله تعالى لمن اصطفاه ارسلتك ان بلغ
عني وكلامه تعالى قديم فهو صلى الله عليه وسلم قبل ان يوجد كان رسوله وفي حال
نبوته والى الابد رسولا لبقا الكلام وقدمه واستحالة البطلان على الارسال
الذي هو كلام الله تعالى **ونقل السبكي** في طبقاته عن ابن فورك انه قال عليه
الصلاة والسلام حي في قبره رسول الله ابد الاباد على الحقيقة لا المجاز
انتهى **وقال** تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم
اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين

والمراد

كتاب

والمراد بالاميين العرب تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا اميين لا
لهم وليس عندهم شي من اثار النبوات كما عند اهل الكتاب فمن الله تعالى عليهم بهذا
الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا افضل الامم واعلمهم وعرفوا ضلال من
ضل قبلهم من الامم وفي كونه عليه الصلاة والسلام منهم فايدتان احداهما ان هذا
الرسول كان ايضا اميا كامته المبعوث اليهم لم يقرا كتابا قط ولم يخط بيمينه
كما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ولا خرج
عن ديار قومه فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم بل لم يزل اميا بين امة امية
لا يكتب ولا يقرا حتى كمل لاربعين من عمره حتى جا بعد ذلك بهذا الكتاب
المبين وهذه الشريعة الباهرة وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق
الارض ونظارها انه لم يقرع العالم ناموس اعظم منه وفي هذا برهان عظيم
على صدقه عليه الصلاة والسلام **الفايدة الثانية** التنبيه على ان المبعوث
منهم وهم الاميون خصوصا اهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وامانته
وعفته وانه نشا بينهم معروفا بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع
الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على الله عز وجل هذا هو الباطل ولذلك
سال هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من
النبوة والرسالة **وقد** قال الله تعالى خطابا له فانهم لا يكذبونك ويروى
ان رجلا قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك
نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس وعن
مقاتل كان الحارث ابن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا
خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب **وروي** ان المشركين كانوا
اذا راوه عليه الصلاة والسلام قالوا انه لنبي **وعن علي** قال ابو جهل
للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جيت به فانزل الله تعالى
الاية وروي والمعنى انهم ينكرونه مع العلم بصحته اذ الجحد لغة هو الانكار
مع العلم **فان قلت** فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل من
قبلك **فالجواب** بانه على طريق الجحد وهو يختلف باختلاف احوالهم في الجهل
فمنهم من وقع منه ذلك لجهله فحيث علم امن ومنهم من علم وانكر كفرا وعنادا
كابي جهل فيكون المراد بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين منهم لا كلهم
وحينئذ فلا تعارض **وروي** ان ابا جهل لقيه صلى الله عليه وسلم فصافحه
فقيل له اتصافحه فقال والله اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف

فانزل الله الايه رواه ابن ابي حاتم والقران كله مملو كا بالايات الدالة على صدق هذا
الرسول الكريم وتحقيق رسالته وكيف يليق بكمال الله تعالى ان يقرهن يكذب عليه
اعظم الكذب ويخبر عنه بخلاف ما الامر عليه ثم ينصره على ذلك ويويده ويعلي كلمته ويرفع
شانه ويجيب دعوته ويهلك عدوه ويظهر علي يديه من الايات والبراهين والادلة
ما يضعف عن مثله قوى البشر وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع في الارض بالفسا
ومعلوم ان شهادته سبحانه على كل شي وقدرته على كل شي وحكمته وعزته وكماله المقدس
يابي ذلك كل الابا ومن ظن ان ذلك به وجوزه عليه فهو من ابعد الخلق من معرفته
ان عرفه من بعض صفاته كصفة القدرة وصفة المشية والقران كله مملو من
هذه الطريق وهذه طريق الخاصة بل خاصة الخاصة الذين يستدلون بالله على
افعاله وما يليق به ان يفعله وما لا يفعله واذا تدبرت القران رايته ينادي
على ذلك ويبديه ويعيده لمن له فهم وقلب واع عن الله تعالى قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد
عنه حاجزين افتراه سبحانه وتعالى يخبر ان كماله وحكمته وقدرته تابى ان يقر
من تقول عليه بعض الاقاويل بل لا بد ان يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك
سنته في المتقولين عليه وقال تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا
الله يختم على قلبك ههنا انتهى جواب الشرط ثم اخبر اخبارا جازما غير معلق انه يمحو الباطل
ويحق الحق وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره ولا عرفه كما ينبغي
ولا عظمه كما يستحق فكيف من ظن انه ينصر الكاذب المفتري عليه ويويده ويظهر
على يديه الايات والادلة وهذا في القران كثير يستدل به على كماله تعالى
المقدس واوصافه وجلاله على صدق رسوله وعلى وعده ووعيده ويدعو عباده
الى ذلك وقال تعالى لمن طلب اية تدل على صدق رسوله اولم يكفهم انا انزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يومنون قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم يعلم ما في السموات والارض والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله
اولئك هم الخاسرون فاخبر سبحانه ان الكتاب الذي انزله يكفي من كل اية ففيه
الحجة والدلالة على انه من الله تعالى وانه سبحانه ارسل به رسوله وفيه
بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة وينجيه من العذاب ثم قال كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم يعلم ما في السموات والارض فاذا كان سبحانه عالما بجميع الاشيا
كانت شهادته اصدق شهادة واعدلها فانها شهادة بعلم تام محيط بالمشهود
به وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته وقدرته وملكه عند مجازاته

وحكمته

وحكمته عند خلقه وامره ورحمته عند ذكر ارسال رسله وحلمه عن ذنوب عباده فتامل
ورود اسمايه الحسنى في كتابه وارتباطها بالخلق والامر والثواب والعقاب انتهى
وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا اي شاهدا على الوحدانيه وشاهدا في الدنيا باحوال الاخرة من الجنة والنار
والميزان والصراط وشاهدا في الاخرة باحوال الدنيا بالطاعة والمعصية والصلاح
والفساد وشاهدا على الخلق يوم القيمة كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا
كانه تعالى يقول يا ايها المشرف من قبلنا اذا ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا
ومشاهدا كمال فردانيتنا ٠ تبشر عبادنا عنا ٠ وتحذرهم مخالفة امرنا ٠ وتعلمهم
مواضع الخوف منا ٠ وداعيا الخلق الينا ٠ وسراجا يستضيون بك ٠ وشمسا تنبسط
شعاعك على جميع من صدقك وامن بك ٠ ولا يصل الينا الا من اتبعك وخدمك
وقدمك ٠ فبشر بفضلنا وطولنا عليهم واحساننا اليهم ولما كان الله تعالى
قد جعله عليه الصلاة والسلام شاهدا على الوحدانيه والشاهد لا يكون
مدعيا فالله تعالى لم يجعل النبي في مسئلة الوحدانيه مدعيا لها لان المدعي
من يقول شيا على خلاف الظاهر والوحدانية اظهر من الشمس والنبي صلى الله عليه
وسلم كان ادعى النبوة فجعل الله تعالى نفسه شاهدا له في مجازاته كونه شاهدا
له تعالى فقال سبحانه والله / انك لرسوله ومن هذا قوله تعالى ويقول الذين يشهد
كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
فاستشهد على رسالته بشهادة الله وكذلك قوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة
قل الله شهيد بيني وبينكم وقوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملايكه
يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله والله يعلم انك لرسوله وقوله محمد رسول
الله فهذا كله منه تعالى شهادة لرسوله قد اظهرها وبينها وبين صحتها غاية
البيان بحيث قطع العذر بينه وبين عباده واقام الحجة عليهم بكونه سبحانه
شاهدا لرسوله وقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وكفى بالله شهيدا فيظهر ظهورين ظهورا بالحجة والبيان وظهورا
بالنصر والغلبة والتاييد حتى يظهر على مخالفيه ويكون منصورا ومن شهادته
تعالى ايضا ما اودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت
والطمانينة بكلامه ووحيه فان الله تعالى فطر القلوب على قبول الحق
والانقياد له والطمانينة والسكون اليه ومحبته وفطرها على بغض الكذب
والباطل والنفور عنه وعدم السكون اليه ولو بقيت الفطر على حالها لما اثرت

الحق سواه ولما سلكت الا اليه ولا اطمانت الا به ولا احبت غيره ولهذا ندب الحق
سبحانه وتعالى الى تدبير القران فان كل من تدبره اوجب له علما ضروريا ويقينا
جازما انه حق بل احق كل حق واصدق كل صدق قال الله تعالى افلا يتدبرون
القران ام على قلوب اقفالها فلو رفعت الاقفال عن القلوب لباشرتها حقايق
القران واستنارت فيها مصابيح الايمان وعلمت علما ضروريا كساير الامور
الوجدانية كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به حقا وبلغه رسوله جبريل
الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الشاهد في القلب اعظم الشواهد انتهى
ملخصا من مدارج السالكين وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا ففي هذه الاية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث
الى كافة الثقلين وقالت العيسوية من اليهود وهم اتباع عيسى الاصفهاني
ان محمدا صادق مبعوث الى العرب غير مبعوث الى بني اسرايل ودليلنا على
ابطال قولهم هذه الاية لان قوله يا ايها الناس اني رسول الله اليكم خطابا
يتناول كل الناس ثم قال اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا
الى جميع الناس ايضا فلانا نعلم بالتواتر انه كان يدعي انه مبعوث الى
الثقلين واما ان نقول انه كان رسولا حقا او ما كان كذلك فان كان
رسولا حقا امتنع الكذب عليه ووجب الجزم بكونه صادقا في كل ما يدعيه
فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الاية انه كان يدعي كونه مبعوثا الى جميع
الثقلين وجب كونه صادقا وذلك يبطل قول من يقول انه كان مبعوثا
الى العرب فقط لا الى بني اسرايل واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى قل
يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا من الناس من قال انه عام دخله
التخصيص ومنهم من انكر ذلك اما الاولون فقالوا دخله التخصيص من وجهين
الاول انه رسول الى الناس اذا كانوا من جملة المكلفين فاما اذا لم يكونوا من
جملة المكلفين لم يكن رسولا اليهم وذلك لانه عليه السلام قال رفع القلم
عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النايم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى
يفيق رواه والثاني انه رسول الله الى كل من وصله خبر وجوده
وخبر معجزاته وشرايعه حتى يمكنه عند ذلك متابعته اما لو قدرنا حصول
قوم من اطراف الارض لم يبلغهم خبر وجوده ومعجزاته وشرايعهم حتى لا يمكنهم
عند ذلك متابعته فلا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من

هذه

هذه الامة يهودي ولا نصراني ومات ولم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب
النار رواه مسلم ومفهومه ان من لم يسمع به صلى الله عليه وسلم ولم تبلغه دعوة
الاسلام فهو معذور على ما تقدم في الاصول لانه لا حكم قبل ورود الشرع على
الصحيح وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالته صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير خاطب تعالى اهل
الكتاب من اليهود والنصارى بانه قد ارسل اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين
الذي لا نبي بعده ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم وكذا قال تعالى على فترة
من الرسل اي بعد مدة متطاولة ما بين ارساله عيسى ابن مريم وقد اختلفوا
في مقدار هذه الفترة كم هي فقال النهدي وقتادة في رواية عنه ستماية سنة
ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وعن قتادة خمس ماية سنة وستون سنة وقال
الضحاك اربع ماية سنة وبضع وثلاثون سنة وعن الشعبي فيما ذكره ابن
عساكر تسع ماية سنة وثلاثة وثلاثون سنة قال الحافظ عماد الدين ابن كثير
والمشهور انه ستماية سنة قال وكانت هي الفترة بين عيسى ابن اخر الانبيا
ببني اسرايل وبين محمد محمد اخر النبيين من بني ادم على الاطلاق كما في البخاري
من حديث ابي هريرة مرفوعا ان اولى الناس بابن مريم لانه ليس بيني وبينه
نبي وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن سنان
كما حكاه القاضي وغيره والمقصود ان الله تعالى بعث محمدا على فترة من الرسل
وطموس من السبل وتغير الاديان وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان
وكانت النعمة به اتم والنفع به اعم وفي حديث عند الامام احمد مرفوعا
ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من بني اسرايل وفي
لفظ مسلم من اهل الكتاب وكان الدين قد التبس على اهل الارض كلهم حتى
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى به الخلايق واخرجهم الله به من الظلمات
الى النور وتركهم على المحجة البيضا والشريعة الغرا صلوات الله وسلامه
عليه وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
اي عزيز عليه عنتكم اي اثمكم بالشرك والمعاصي حريص الاية وقال الحسن
عزيز عليه ان تدخلوا الجنة حريص عليكم ان تدخلوا الجنة ومن حرصه صلى
الله عليه وسلم انه لم يخاطبنا بما يريد ابلاغه الينا وفهمنا اياه على قدر منزلته
بل على قدر منزلتنا والى هذا اشار صاحب البرده

لم يمتحنا بما تعيى العقول به • حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم •

أي لم نتحير ولم نشك فيما القاه الينا وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم وقال عليه السلام على هدايتنا كان
كثيرا ما يضرب المثل بالمحسوس ليحصل الفهم وهذه سنة القران ومن تتبع الكتاب
والسنة راى من ذلك العجب العجاب ولما ساوى سبحانه وتعالى بين الناس في حرص
رسوله عليه السلام على اسلامهم خص المومنين برافته ورحمته لهم وقال تعالى
من انفسكم ولم يقل من ارواحكم فقيل يحتمل ان يكون مراده منا بجسده المقدس
لا بروحه المقدس ورحم الله القائل •

• اذا رمت مدح المصطفى شغفا به • تلبث ذهني هيبة لمقامه •
• فاقطع ليلي ساهر الجفن مطرقا • هوى فيه احلاه لذيذ مقامه •
• اذا قال فيه الله جل جلاله • رووف رحيم في سياق كلامه •
• فمن ذا يحاذي الوحي والوحي معجز • لمختلقيه نثره ونظامه •

تنبيه واما قول القاضي عياض بعد ذكره الاية ثم وصفه بعد باوصاف
حميدة • واثنى عليه بمحامد كثيرة • من حرصه على هدايتهم ورشدهم
واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه
فهو وان كان المقصد منه صحيحا ففي ظاهره شي لانه يوهم ان قوله وشدة
ما يعنتهم معطوف على متعلق المصدر الذي هو الحرص فيكون مخصوصا به
ومما يقوي هذا التوهم قوة اعطا الكلام لان الضمير الاول من قوله
وعزته عليه عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والضمير الثاني عائد على الله
تعالى فلا تبقى للشدة الا ان تكون معطوفة على متعلق المصدر ولا يخفى
ما في هذا وقد تاوله بعض العلما على حذف مضاف اي وكراهة شدة ما يعنتهم
او نحو ذلك من المضافات والاولى والصواب ان شا الله تعالى ان تكون
الشدة معطوفة على نفس المصدر الذي هو الحرص ويكون قوله وعزته
معطوفة على رشدهم والضمير فيه راجع الى الموصول وهو ما في قوله ما يعنتهم
والها الثانية في عليه عائدة على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز ان تكون رحمة مفعولا له اي
لاجل الرحمة ويجوز ان ينتصب على الحال مبالغة في ان جعله نفس الرحمة
واما على حذف مضاف اي ذا رحمة او بمعنى راحم قاله السمين وقال ابو بكر
ابن طاهر فيما ذكره القاضي عياض زين الله تعالى محمدا بزينة الرحمة فكان

كونه

كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شي من تلك الرحمة فهو الناجي في
الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب انتهى وقال ابن عباس رحمة للبر
والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه
الى الموت او القيامة واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة وقال السمرقندي
رحمة للعالمين يعني الجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومنين رحمة للهداية
ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب فذاته عليه
السلام كما قيل رحمة تعم المومن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وقال عليه السلام انما انا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي
في الشعب من حديث ابي هريرة وقال بعض العارفين الانبيا خلقوا كلهم
من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة ولقد احسن القائل •

• غنيمة عمر الكون بهجة عيشه • سرور حياة الروح فايدة الدهر •
• هو النعمة العظمى هو الرحمة التي • تجلى بها الرحمن في السر والجهر •

فبيانه عليه الصلاة والسلام ونصحه رحمة ودعاوه واستغفاره رحمة فرزق
ذلك من قبله وحرمه من رده فان قلت كيف كان رحمة وقد جا بالسيف
واستباحه فالجواب من وجهين احدهما انه انما جا بالسيف لمن استكبر
وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن اوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو منتقم
من العصاة وقال تعالى وانزلنا من السما ما مباركا ثم يكون سببا للفسا
وثانيهما ان كل نبي من الانبيا قبل نبينا اذا كذبه قومه اهلك الله المكذبين
بالخسف والمسخ والغرق وقد اخر الله تعالى عذاب من كذب نبينا الى الموت
او الى القيامة لا يقال انه تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقال
ليعذب المنافقين لانا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه وفي الشفا للقاضي
عياض وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة
شي قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثنا الله تعالى علي بقوله ذي قوة عند
ذي العرش مكين مطاع ثم امين انتهى وهذا يقتضي ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل
من جبريل وهو الذي عليه الجمهور خلافا لمن زعم ان جبريل افضل واستدل بان
الله تعالى وصف جبريل بسبعة اوصاف من صفات الكمال في قوله انه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ووصف محمدا صلى الله عليه
وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم مساويا لجبريل
في صفات الفضل ومقاربا له لكان وصف محمد بمثل ذلك واجب بانا

متفقون على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضايل اخرى سوى ما ذكر في هذه الايه وعدم
ذكر الله تعالى لتلك الفضايل هنا لا يدل على عدمها بالاجماع واذا ثبت ان لمحمد صلى
الله عليه وسلم فضايل اخرى ايضا فيكون افضل من جبريل وبالجملة فافرادا احد
الشخصين بالوصف لا يدل البته على انتفا تلك الاوصاف عن الثاني واذا ثبت
بالدليل القراني انه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والملايكة من جملة العالمين
وجب ان يكون افضل منهم والله اعلم **وقال** تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين وهذه الايه نص على انه لا نبي بعده واذا كان لا نبي
بعده فلا رسول بطريق الاولى لان مقام الرساله اخص من مقام النبوه فان كل
رسول نبي ولا ينعكس كما قدمنا ذلك في اسمايه الشريفه من المقصد الثاني وبذلك
وردت الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم فروى احمد من حديث ابي بن كعب ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا فاحسنها واكملها
وترك فيها موضع لبنه لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون
لو تم موضع هذه اللبنه فانا في النبيين موضع تلك اللبنه رواه الترمذي عن بندار
عن ابي عامر العقدي وقال حديث حسن صحيح **وفي حديث** انس بن مالك مرفوعا
ان الرسالة والنبوه قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي رواه الترمذي وغيره
وفي حديث جابر مرفوعا مثلي ومثل الانبيا كمثل رجل بنى دارا فاكملها واحسنها
الا موضع لبنه وكان من دخلها فنظر اليها قال ما احسنها الا موضع هذه اللبنة
فانا موضع اللبنه ختم بها الانبيا عليهم السلام رواه ابو داود الطيالسي وكذا
البخاري ومسلم **وفي حديث** ابي سعيد الخدري فجيت انا فاتممت تلك اللبنه رواه
مسلم **وفي حديث** ابي هريره عند مسلم وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون
فمن تشريف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ختم الانبيا والمرسلين به واكمال الدين
الحنيف له وقد اخبر الله تعالى في كتابه ورسوله في السنة المتواتره عنه انه لا نبي بعده
ليعلموا ان كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب • افاك • دجال • ضال • مضل
ولو تخرق وتشعبذ واتى بانواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلاله
عند اولي الالباب ولا يقدح في هذا نزول عيسى عليه السلام بعده لانه اذا نزل
كان على دين نبينا صلى الله عليه وسلم ومنهاجه مع ان المراد انه اخر من نبي قال
ابو حيان ومن ذهب الى ان النبوه مكتسبة لا تنقطع او الى ان الولي افضل من
النبي فهو زنديق يجب قتله والله اعلم **النوع الرابع في التنويه به صلى الله عليه**
وسلم في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بانه صاحب الرسالة

والنجيل

39

والنجيل قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوره والانجيل وهذا يدل على انه لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا
الكلام من اعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لان الاصرار على الكذب
والبهتان من اعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس
عن قبول مقاله فلما قال لهم عليه الصلاة والسلام هذا دل على ان ذلك النعت
كان مذكورا في التوره والانجيل وذلك من اعظم الدلايل على صحة نبوته لان اهل
الكتاب كما قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه والا فهم
قاتلهم الله تعالى قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا ابناهم ووجدوه مكتوبا
عندهم في التوره والانجيل لكنهم حرفوها وبدلوها ليطفيوا نور الله بافواههم
ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فدلايل نبوة نبينا في كتابيهم
بعد تحريفهما طافحة • واعلام شرايعه ورسالته فيها لايحه • وكيف يغني عنهم
انكارهم وهذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانيه مشفحا فمشفح محمد بغير شك
واعتباره انهم يقولون شفحا لاها اذا ارادوا ان يقولوا الحمد لله واذا كان
الحمد شفحا فمشفح محمد ولان الصفات الذي اقروا بها هي وفاق لاحواله
وزمانه ومخرجه ومبعثه وشريعته صلى الله عليه وسلم فلا بد لونا على من هذه
الصفات له • ومن خرت له الامم من بين يديه وانقادت له • واستجابت
لدعوته • ومن هو صاحب الجمل الذي هلكت بابل واصنامها به على انا لو لم ناتي
بهذه الانبا والقصص من كتبهم الحرمكين فيما اودع الله عز وجل القران دليل على ذلك
وفي تركهم جحد ذلك وانكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له فانه يقول
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوره والانجيل
ويقول حكايه عن المسيح اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يديه من التوراة
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ويقول يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون **ويقول** الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون ابناهم وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد اظل زمانه
ويذكرون من صفته ما يجدون في كتابهم فلما جاءهم بنو اسرايل ما عرفوا كفروا به
حسدا وخوفا على الرياسة ويحتمل انهم كانوا يظنون انه من بني اسرايل فلما
بعثه الله من العرب من نسل اسمعيل عظم ذلك عليهم واظهروا التكذيب فلعنة
الله على الكافرين **وقد كان** صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه وتصديقه
فكيف يجوز ان يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك على ما عندهم وما في ايديهم

ويقول من علامة نبوتي وصدقي انكم تجدوني مكتوبا وهم لا يجدون كما ذكر
اولسوء لكم ما يزيدهم عنه بعدا وقد كان غنيا عنهم ان يدعوهم بما ينفرهم
ويستميلهم بما يوحشهم وكم اسلم من علمايهم كعبد الله ابن سلام وتميم
الداري وكعب وقد وقفوا على مثل هذه الدعاوي وقد روى ابن عساكر في
تاريخ دمشق من طريق محمد بن حمزة بن عبد الله ابن سلام عن جده ابن سلام
انه لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فلقيه فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال ناشدتك
الله الذي انزل التوراه على موسى هل تجد صفتي في كتاب الله قال انسب
ربك يا محمد فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام اشهد
انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد
صفتك في كتاب الله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب
في الاسواق ولا تجزي بالسيئة مثلها ولكن تعفو وتصفح ولن يقبضه
الله حتى يستقيم به الملة المعوجة حتى يقولون لا اله الا الله وتفتح به اعينا
عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وقوله ليس بفظ ولا غليظ موافق لقوله
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك ولا يعارض قوله واغلظ عليهم لان المنفي محمول على طبعه الكريم
الذي جبل عليه والامر محمول على المعالجة او النفي بالنسبة الى المومنين
والامر بالنسبة الى الكفار والمنافقين كما هو مصرح في نفس الاية
وقلوبا غلفا اي مغشاة مغلظة واحدها اغلف ومنه غلاف السيف
وغيره واخرج البيهقي وابو نعيم عن ام الدردا امراة ابي الدردا قالت
قلت لكعب كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورة
قال كنا نجده موصوفا فيها محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا
غليظ ولا سخاب في الاسواق واعطي المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا
ويسمع به اذانا صما ويقيم به السنة معوجة حتى تشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه من ان يستضعف وفي البخاري
عن عطا ابن يسار قال لقيت عبد الله ابن عمرو ابن العاص قلت
اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في

التورة ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح
به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وعند ابن اسحق ولا صخب في الاسواق
ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده بكل جميل واهب له كل خلق
كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة
معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل
سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه
اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة
واسمي به بعد النكرة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة
واولف به بين قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل
امته خير امة اخرجت للناس واخرج البيهقي عن ابن عباس قال
قدم الجارود فاسلم وقال والذي بعثك بالحق لقد وجدت وصفك
في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول واخرج ابن سعد قال لما امر
ابرهيم باخراج هاجر حمل على البراق فكان لا يمر بارض عذبة سهلة الا
قال انزل ههنا يا جبريل فيقول لا حتى اتى مكة فقال جبريل انزل يا ابرهيم
قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ها هنا يخرج النبي الذي من ذرية
ابنك الذي تتم به الكلمة العليا وفي التوراة مما اخطاروه بعد
الحذف والتبديل والتحريف مما ذكره ابن ظفر في البشر وابن قتيبة
في اعلام النبوة تجلى الله من سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال
فاران فسينا هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى وساعير هو الجبل الذي
كلم الله فيه عيسى وظهرت فيه نبوته وجبال فاران وهو اسم عبراني وليس الفه
الاولى همزة وهي جبال بني هاشم التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتحنث في احدها وفيه فاتحة الوحي وهي احد ثلاثة جبال احدها ابو قبيس
والمقابل له قيقعان الى بطن الوادي والثالث الشرقي فاران ومنفجره
التي تلي قيقعان الى بطن الوادي هو شعب بني هاشم وفيه مولده صلى الله
عليه وسلم على احد الاقوال قال ابن قتيبة وليس بهذا غموض لان
مجي الله من سينا انزاله التوره على موسى عليه السلام بطور سينا ويجب ان

يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وكان المسيح يسكن من ساعير
ارض الخليل بقرية تدعى ناصره وباسمها سمي من اتبعه نصاري وكما وجب ان
يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح فكذلك يجب ان يكون استعلا له من جبال
فاران بانزاله القران على محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكه ليس بين المسلمين
واهل الكتاب في ذلك اختلاف في ان فاران هي مكة وان ادعي انها غير مكه قلنا اليس
في التوريه ان الله اسكن هاجر واسمعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي
استعلن الله منه واسمه فاران والذي انزل عليه كتابا بعد المسيح او ليس استعلن
وعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام
وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه **وفي التوراة** ايضا مما ذكر ابن
ظغريل خطابا لموسى والمراد به الذي اختارهم لميقات ربه الذين اخذتهم
الرجفة خصوصا ثم بني اسرايل عموما والله ربك يقيم نبيا من اخوتك فاسمع
له كالذي سالت ربك في حوريب يوم الاجتماع حتى قلت لا اعود اسمع صوت
الله ربي لئلا اموت فقال الله تعالى نعم ما قالوا وساقيم لهم نبيا مثلك
من اخوتهم واجعل كلامي في فمه فيقول لهم كل شي امرته به وايما رجل لم
يطع من تكلم باسمي فاني انتقم منه قال وفي هذا الكلام ادلة على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بني اسحق واخوتهم
بنوا اسمعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحق لكان من انفسهم
لا من اخوتهم **واما قوله** نبيا مثلك وقد قال في التوره لا يقوم في بني
اسرايل احد مثل موسى وفي ترجمة اخرى مثل موسى لا يقوم في بني اسرايل
ابدا فذهبت اليهود الى ان هذا النبي الموعود به يوشع بن نون وذلك
باطل لان يوشع لم يكن كفوا لموسى عليه السلام بل كان خادما له في حياته
ومؤكدا لدعوته بعد وفاته فتعين ان يكون المراد به محمدا صلى الله عليه
وسلم فانه كفو موسى لانه يماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجز وشرع
الاحكام واجرا النسخ على الشرايع السالفة **وقوله** تعالى اجعل كلامي في
فمه فانه واضح في ان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه اوحي اليه
بكلامي فينطق به على نحو ما سمعه ولا انزل صحفا ولا الواحا لانه امي لا يحسن
ان يقرا المكتوب **وفي الانجيل** مما ذكر ابن ظغريل في الدرا المنتظم
قال يوحنا في انجيله عن المسيح انه قال انا اطلب لكم من الاب ان
يعطيكم فارقليطا اخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذي لا يطيق العالم

ان يعلمكوه

ان يقتلوه وهو عند ابن ظغريل بلفظ ان احببتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى ابي
فيعطيكم فارقليطا اخر ما يكون معكم الدهر كله قال فهذا تصريح بان الله سيبعث اليهم من يقوم
مقامه وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه وتكون شريعته باقية مخلدة ابدا فهل
هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى ولم يذكر فصول الفارقليط كما افاده ابن ظغريل بسوى يوحنا
دون غيره من نقلة الاناجيل **وقد اختلف** النصارى في تفسير الفارقليط فقيل هو
الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص افضى بنا الامر الى ان المخلص رسول ياتي
لخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح في الانجيل
اني جيت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذي وصف نفسه بانه مخلص العالم وهو الذي
سال الاب ان يعطيهم فارقليطا اولا حتى ياتي فارقليط اخر وان تنزلنا معهم على القول
بانه الحامد فاي لفظ اقرب الى احمد ومحمد من هذا قال ابن ظغريل في الانجيل مما ترجموه
مما يدل على ان الفارقليط الرسول لغا انه قال ان هذا الكلام الذي يسمعونه ليس هو
لي بل الاب الذي ارسلني بهذا الكلام لكم واما البارقليط روح القدس الذي يرسله
ابي باسمي فهو يعلمكم كل شي وهو يذكركم كلما قلته لكم فهل بعد هذا بيان اليس هذا صريح
في ان البارقليط رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو يصدق بالمسيح ويظهر اسمه انه
رسول الله حق من الله وليس باله وهو يعلم الخلق كل شي ويذكرهم كلما قاله المسيح عليه السلام لهم وكلما
امرهم به من توحيد الله واما قوله ابي فهذه اللفظة مبدلة محرفة وليست مستنكرة
الاستعمال عند اهل الكتابين اشارة الى الرب سبحانه وتعالى لانه عندهم لفظة تعظيم
يخاطب بها المتعلم معلمه الذي يستمد منه العلم ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم
بالاباء الروحانية ولم تزل بنوا اسرايل وبنوا عيصوا يقولون نحن ابنا الله لسوء فهمهم
عن الله تعالى **واما قوله** يرسل ابي باسمي فهو اشارة الى شهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم
بالصدق والرسالة واما تضمنه القران من مدحه عما افتري في امه وفي ترجمة اخرى
الانجيل انه قال الفارقليط اذا جا وبخ العالم على الخطية ولا يقول من تلقا نفسه ما يسمع
يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث وهو عند ابن ظغريل بلفظ فاذا جا روح القدس
ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكلما يسمع ويخبركم بكلما ياتي وهو يمجدني لانه ياخذ بما هو
لي ويخبركم فقوله ليس ينطق من عنده وفي الرواية الاخرى ولا يقول من تلقا نفسه بل
يتكلم بكلما يسمع اي من الله الذي ارسله وهذا كما قال الله في حقه صلى الله عليه وسلم وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقوله وهو يمجدني فلم يمجده حق تمجيده الا محمد صلى
الله عليه وسلم لانه وصفه بانه رسول الله وبراه وبرا امه عليهما السلام مما نسب اليهما واما
بذلك قال ابن ظغريل فمن ذا الذي وبخ العالم على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه

وبيع الدين بالثمن البخس ومن الذي انذر بالحق ادث واخبر بالغيوب الا محمدا صلى الله عليه وسلم

ولله در ابي محمد الشقراطيسي حيث قال في قصيدته

توراة موسى اتت عنه فصدقها ✱ انجيل عيسى بحق غير مفتعل

اخبار احبار اهل الكتب قد وردت ✱ عما راوا وروا في الاعصر الاول

ويعجبني قول العارف ابي عبد الله ابن النعمان

هذا النبي محمد جاءت به ✱ توراة موسى للانام تبشر

وكذاك انجيل المسيح موافق ✱ ذكرا لاحمد معرب ومذكر

ورحم الله ابن جابر حيث قال

لمبعثه في كل جيل علامة ✱ على ما جلته الكتب من امره الجلي

فجاء به انجيل عيسى باخر ✱ كما قد حضت توراة موسى باول

وفي الدلايل للبيهقي عن الحاكم بسند لا باس به عن ابي امامة الباهلي عن هشام ابن العاص الاموي قال بعثت انا ورجل اخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وانه ارسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشي كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج حريرة سودا فنشرها فاذا فيها صورة حمرا واذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ار مثله طول عنقه واذا له ضفيرتان احسن ما خلق الله وقال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا ادم عليه السلام ثم فتح بابا اخر فاستخرج حريرة سودا واذا فيها صورة بيضا احمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام قال ثم فتح بابا اخر واخرج حريرة فيها صورة بيضا واذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله وبكينا والله انه قام قايما ثم جلس وقال انه لهو قلنا نعم انه لهو كانك تنظر اليه فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال اما والله انه لاخر البيوت ولكن عجلته لكم لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صور الانبيا ابرهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم فقال فقلنا له من اين لك هذه الصور فقال ان ادم سال ربه ان يريه الانبيا من ولده فانزل عليه صورهم فكان في خزانة ادم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال **وفي زبور** داود عليه السلام في مزمور اربعة واربعين فاضت النعمة من شفتيك من اجل هذا باركك الله الى الابد تقلد ايها الجبار بالسيف فان شرايعك وسننك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك فهذا المزمور بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هي القول الذي يقوله وهو الكتاب الذي انزل عليه والسنة التي سنها **وفي قوله**

تقلد سيفك ايها الجبار دلالة على انه النبي العربي اذ ليس يتقلد بالسيف امة من الامم سوى العرب فكلهم يتقلد وبها على عواتقهم **وفي قوله** فان شرايعك وسننك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف ويصرفهم عن الكفر جبرا **وعن وهب** ابن منبه قال قرات في بعض الكتب القديمة قال الله تعالى وعزتي وجلالي لانزلن على جبال العرب نورا يملا ما بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسمعيل نبيا عربيا اميا يومن به عدد نجوم السما ونبات الارض كلهم يومن بي ربا وبه رسولا يكفرون بملك ابايهم ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست اسماوك لقد كرمت هذا النبي وشرفته **قال الله تعالى** يا موسى اني انتقم من عدوه في الدنيا والاخرة واظهر دعوته على كل دعوة وادا من خالفه شريعته بالعدل زينته وللقسط اخرجته وعزتي لاستنقذن به امما من النار فتحت الدنيا بابرهيم وختمتها بمحمد فمن ادركه ولم يومن به ولم يدخل في شريعته فهو مني بري ذكره ابن ظفر بل وغيره والله اعلم

النوع الخامس في ايات تتضمن اقسامه تعالى على تحقيق رسالته وثبوت ما اوحي اليه من اياته وعلو رتبته الرفيعة ومكانته

وهذا النوع اعزك الله لخصت اكثره من اقسام القران للعلامة ابن القيم مع زيادات من فوايد الفوايد **واعلم انه تعالى** اقسم بامور على امور وانما اقسم بنفسه الموصوفة بصفاته واياته المستلزمة لذاته وصفاته واقسامه ببعض مخلوقاته دليل على انه من عظيم اياته ثم انه تعالى تارة يذكر جواب القسم وهو الغالب وتارة يحذفه وتارة يقسم على ان القران حق وتارة على ان الرسول حق وتارة على الجزا والوعد والوعيد حق فالاول كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون والثاني كقوله تعالى يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم والثالث كقوله تعالى والذاريات ذروا الى قوله وان الدين لواقع وهذه الامور الثلاثة متلازمة فمتى ثبت ان الرسول حق ثبت ان القران حق وثبت المعاد ومتى ثبت ان القران حق ثبت صدق الرسول الذي جا به ومتى ثبت ان الوعيد والوعد حق ثبت صدق الرسول الذي جا به

وفي هذا النوع خمسة فصول الفصل الاول في قسمه تعالى على ما خصه من الخلق العظيم وحباه من الفضل العميم قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم **ن** من اسما الحروف كالم والمص وق **واختلف** فيها فقيل هي اسما للقران وقيل اسما للسور وقيل اسما لله ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق كما قيل ولعله اراد يا منزلهما وقيل انه سر استاثر الله بعلمه **وقد روي** عن الخلفا الاربعة وغيرهم من الصحابة

ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد
الخطاب بما لا يفيد وهل المراد به الدواة وهو مروي عن ابن عباس ويكون هذا اقسامًا بالدواة
والقلم فان المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة
بالكتابة وقيل ان نون لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يامرهم به رواه معاوية ابن مرة
مرفوعا واقسم تعالى بالكتاب وآلته وهو القلم الذي هو احدى اياته واول مخلوقاته
الذي جرى به شرعه وقدره وكتب به الوحي وقيد به الدين واثبت به الشريعة
وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش وقام في الناس ابلغ خطيب
وافصحه وانفعه لهم وانصحه وواعظا تشفي مواعظه القلوب من السقم وطبيبا يبري
باذن باريه من انواع الالام على تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود في كل افعاله واقواله
مما غمصه اعداؤه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون
وكيف يرمى بالجنون من اتى بما عجزت العقلاء قاطبة عن معارضته. وكلت عن مماثلته
وعرفهم من الحق ما لا يهتدي اليه عقولهم بحيث اذعنت له عقول العقلاء وخضعت
له الباب الاولياء وتلاشت في جنب ما جاء به بحيث لم يسعها الا التسليم والانقياد
والاذعان طايعة مختارة فهو الذي كمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع الثدي
ثم اخبر تعالى عن كمال حالتي نبيه صلى الله عليه وسلم في دنياه واخرته فقال وانك لعلى
خلق عظيم اي ثواب غير منقطع بل هو دائم مستمر ونكر الاجر للتعظيم اي لاجرا عظيما
لا يدركه الوصف ولا يناله التعبير ثم اثنى عليه بما منحه فقال وانك لعلى خلق عظيم
وهذه من اعظم ايات نبوته ورسالته ولقد سيلت عايشه رضي الله عنها عن خلقه
صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران ومن ثم قال ابن عباس وغيره اي على
دين عظيم وسمى الدين خلقا لان الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة. وارادات
زاكية. واعمال ظاهرة وباطنة. موافقة للعدل والحكمة والمصلحة واقوال مطابقة
للحق تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك العلوم والارادات فتكتسب النفس
بها اخلاقا هي ازكى الاخلاق واشرفها وافضلها وهذه كانت اخلاقه صلى الله عليه وسلم
المقتبسة من القران وكان كلامه مطابقا للقران تفصيلا وتبيينا وعلومه علوم
القران وارادته واعماله ما اوجبه وندب اليه القران واعراضه وتركه لما منع
القران ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهته ومحبته لما احبه وسعيه
في تنفيذ اوامره فترجمت ام المومنين لكمال معرفتها بالقران وبالرسول وحسن تعبيرها
عن هذا كله بقولها كان خلقه القران وفهم السايل عنها هذا المعنى فاكتفى به واشتفى
ولما وصفه تعالى بانه على خلق عظيم قال فستبصر ويبصرون بايكم المفتون اي فسترى

يا محمد

يا محمد ويرى المشركون كيف عاقبة امرك فانك تصير معظما في القلوب ويصيروا اذلاء مغلوبين
وتستولي عليهم بالقتل والنهب

الفصل الثاني في قسمه تعالى على ما انعم به عليه واظهره من قدره العلي لديه

قال الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما
قلى السورة اقسم الله تعالى على انعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه له واعطائه
ما يرضيه وذلك متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزايه في اياته الدالة
على ربوبيته ووحدانيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار وفسر بعضهم كما حكاه
الامام فخر الدين الضحى بوجهه صلى الله عليه وسلم والليل بشعره قال ولا استبعاد فيه
وتامل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو
نور الضحى الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال اعداؤه ودع محمدا ربه فاقسم بضوء
النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وايضا. فان
الذي اقتضت رحمته ان لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا بل هداهم بضوء النهار
الى مصالحهم ومعايشهم لا يتركهم في ظلمة الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة
الى مصالح دنياهم واخرتهم فتامل حسن ارتباط القسم بالمقسم عليه وتامل هذه الجزالة
والرونق الذي على هذه الالفاظ والجلالة التي على معانيها ونفى سبحانه ان يكون
ودع نبيه او قلاه فالتوديع الترك والقلا البغض اي ما تركك منذ اعتنى بك. ولا
ابغضك منذ احبك. وحذف الكاف من قلا اكتفا بكاف ودعك ولان رووس الايات
بالياء فاوجب اتفاق الفواصل حذفها وهذا يعم كل احواله وان كل حالة يرقيه اليها
هي خير له مما قبلها كما ان الدار الاخرة هي خير له مما قبلها ثم وعده بما يقر به عينه ويفرح
به نفسه ويشرح به صدره وهو ان يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القران
والهدى والنصر والظفر باعدايه يوم بدر وفتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا
والغلبة على بني قريظة والنضير وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفايه
الراشدين في اقطار الارض من المداين وما قذف في قلوب اعدايه من الرعب ونشر
الدعوة ورفع ذكره واعلا كلمته وما يعطيه في الجنة من الوسيلة والدرجة الرفيعة
والكوثر قال ابن عباس يعطيه الف قصر من لولو ابيض ترابها المسك وفيها
ما يليق بها وبالجملة فقد دلت هذه الاية على انه تعالى يعطيه عليه السلام كل ما يرضيه
واما ما يغتر به الجهال من انه لا يرضى وواحد من امته في النار او لا يرضى ان يدخل
احد من امته النار فهو من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فانه صلوات الله وسلامه
عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه وتعالى يدخل النار من يستحقها
من الكفار والعصاة ثم يحد لرسوله صلى الله عليه وسلم حدا يشفع فيهم كما سياتي

ان شا الله تعالى في المقصد الاخير ورسوله عليه السلام اعرف به وبحقه من ان يقول
لا ارضى ان يدخل احدا من امتي النار او تدعه فيها بل ربه تعالى ياذن له فيشفع فيمن شا الله
ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذن له ورضيه ثم ذكر سبحانه وتعالى بنعمة عليه
من ايوايه بعد يتمه فقال الم يجدك يتيما فاوى وذهب بعضهم الى ان معنى اليتيم من
قولهم درة يتيمة اي الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاواك اليه واغناك بعد
الفقر ثم امر سبحانه ان يقابل هذه النعم الثلاثة بما يليق بها من الشكر فنهاه ان يقهر
اليتيم وان ينهر السايل وان يكتم النعمة بل يحدث بها فان من شكر النعمة الحديث بها
وقيل المراد بالنعمة والتحدث بها تبليغها

الفصل الثالث في قسمه تعالى على تصديقه عليه الصلاة والسلام فيما اتا به من وحيه وكتابه وتنزيهه عن الهوى في خطابه

قال الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اقسم تعالى بالنجم على تنزيه رسوله وبراءته مما نسب اليه
اعداؤه من الضلال والغي واختلف المفسرون في المراد بالنجم باقاويل معروفة
منها النجم على ظاهره ويكون ال للتعريف العهد في قوله والتعريف الجنس في اخر وهي
النجوم التي يهتدى بها فقيل الثريا اذا سقطت وغابت وهو مروي عن ابن عباس
في رواية علي ابن ابي طلحة وعطية والعرب اذا اطلقت النجم تريد بها الثريا وعن ابن
عباس في رواية عكرمة النجوم التي ترمى بها الشياطين اذا سقطت به اثارها عند
استراق السمع وقيل المراد به النبت الذي لا ساق له وهوى اي سقط على الارض
وقيل القران رواه الكلبي عن ابن عباس انه نزل نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك **وقال** جعفر ابن محمد ابن علي ابن الحسين هو
محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى اذا نزل من السما ليلة المعراج والظهر الاقوال كما
قاله ابن القيم انها النجوم التي ترمى بها الشياطين ويكون سبحانه قد اقسم بهذه الاية
الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله تعالى اية وحفظا للوحي من استراق الشياطين
على ما اتى به رسول حق وصدق ولا سبيل للشيطان ولا طريق اليه بل قد حرس بالنجم
اذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا له وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم
عليه في غاية الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه وليس بالبين تسمية القران
عند نزوله بالنجم اذا هوى ولا تسمية نزوله هويا ولا عهد في القران بذلك فيحمل
هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها اذا غابت
وليس بالبين ايضا القسم بالنجوم عند انتشارها يوم القيمة بل هذا مما يقسم
الرب عليه ويدل عليه باياته فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا

سيما

سيما منكروا البعث فانه سبحانه انما يستدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه ثم انه
بين المقسم به والمقسم عليه ما لا يخفى **فان قلنا ان المراد النجوم** التي هي للاهتدا
فالمناسبة ظاهرة وان قلنا ان المراد الثريا فلانه اظهر النجوم عند الرائي لانه
لا يشتبه بغيره في السما بل هو ظاهر لكل احد والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بما منح
من الايات البينات ولان الثريا اذا ظهرت من المشرق حان ادراك الثمار واذا
ظهرت من الغرب قرب اوايل الخريف فتقل الامراض والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن
الكل لما ظهر قبل الشرك والامراض القلبية وان قلنا ان المراد بها القران فهو
استدلال بمعجزته صلى الله عليه وسلم على صدقه وبرائته وانه ما ضل وما غوى وان
قلنا المراد النبات فالنبات به نبات القوى الجسمانية وصلاحها والقوى العقلية
اولى بالصلاح وذلك بالرسل وايضاح السبل وتامل كيف قال تعالى ما ضل صاحبكم
وما غوى ولم يقل ما ضل محمد تاكيدا لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبهم وهو اعلم
الخلق به وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذاب ولا غي ولا ضلال
ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل
ام لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم ان يصدر عن هوى
فقال تعالى وما ينطق عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى
واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن نفي الامرين نفي الهوى عن مصدر
النطق ونفيه عن النطق نفسه فنطقه بالحق ومصدره الهوى والرشاد
لا الغي والضلال ثم قال تعالى ان هو الا وحي يوحى فاعاد الضمير على المصدر
المفهوم من الفعل اي ما نطقه الا وحي يوحى وهذا احسن من جعل الضمير عا بدا
الى القران فان نطقه بالقران والسنة وان كليهما وحي يوحى **قال تعالى**
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القران والسنة **وذكر** الاوزاعي عن
حسان بن عطية **قال** كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة
كما ينزل عليه بالقران يعلمه اياها ثم اخبر تعالى عن وصف من علمه الوحي والقران
وبما يعلم انه مضاد لاوصاف الشيطان معلم الضلال والغواية فقال علمه شديد
القوى وهو جبريل اي قواه العلمية والعملية كلها شديدة ولا شك ان مدح المعلم
مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ولم يصفه لم يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة
ظاهرة وهذا نظير قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين كما سياتي البحث فيه
ان شا الله تعالى **ثم اخبر سبحانه وتعالى** عن تصديق فواده لما راته عيناه
وان القلب صدق العين وليس كمن راى شيا على خلاف ما هو به فكذب فواده

بصر بل ما راه ببصره صدقه الفواد وعلم انه كذلك وفي حديث قصة الاسرا مزيد لما
ذكرته هنا والله الموفق والمعين وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس
الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم اي لا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او اقسم
ولا مزيدة للتاكيد وهذا قول اكثر المفسرين بدليل قوله تعالى وانه لقسم لو
تعلمون عظيم قال الزمخشري والوجه ان يقال هي للنفي اي لا يقسم بالشي الا
اعظاما له فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي باقسامي به كلا اعظام يعني
انه يستاهل فوق ذلك اقسم تعالى بالنجوم في احوالها الثلاثة في طلوعها وجريانها
وغروبها وبانصرام الليل واقبال النهار عقيبه من غير فصل فذكر سبحانه حالة
ضعف هذا وادباره وحالة قوة هذا وتنفسه واقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه
فكلما تنفس هرب الليل وادبر بين يديه وذلك من اياته ودلايل ربوبيته ان القران
قول رسول كريم وهو هنا جبريل لانه ذكر صفته قطعا بعد ذلك مما يعينه به
واما الرسول الكريم في الحاقة فهو محمد صلى الله عليه وسلم فاضافه الى الرسول الملكي
تارة والى البشري اخرى واضافته اليهما اضافة تبليغ لا اضافة انشا من
عندهما ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول هو الذي يبلغ كلام من
ارسله فهذا صريح في انه كلام من ارسل جبريل ومحمدا صلى الله عليه وسلم فجبريل
تلقاه عن الله ومحمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن جبريل وقد وصف الله تعالى به رسوله
الملكي في هذه السورة بانه كريم معطي افضل العطايا وهي العلم والمعرفة والهداية
والبر والارشاد وهذا غاية الكرم ذو قوة كما قال في النجم علمه شديد القوى
فيمنع بقوته الشياطين ان تدنو منه وان يزيدوا فيه وينقصوا منه وروي
انه رفع قريات قوم لوط الاربع على قوادم جناحه حتى سمع اهل السما نباح كلابها
واصوات بنيها عند ذي العرش مكين اي متمكن المنزلة وهذه العندية عندية
الاكرام والتشريف والتعظيم مطاع في ملائكة الله المقربين يصدرون عن امره
ويرجعون الى رايه امين على وحي الله ورسالته فقد عصمه الله من الخيانة والزلل
فهذه خمس صفات تتضمن تزكية سند القران وانه سماع محمد صلى الله عليه وسلم
من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علوا وجلالة فقد
تولى الله تزكيته بنفسه ثم نزه رسوله البشري وزكاه مما يقول فيه اعداوه فقال
وما صاحبكم بمجنون وهذا امر يعلمونه ولا يشكون فيه وان قالوا بالسنتهم
خلافه فهم يعلمون انهم كاذبون ثم اخبر عن رويته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام
وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان ويدرك بالبصر خلافا لقوم

وحقيقته عندهم انه خيال موجود في الاذهان لا في الاعيان وهذا مما خالفوا فيه
جميع الرسل واتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل ولهذا كان تقرير روية
النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل اهم من تقرير رويته لربه تبارك وتعالى فان روية
عليه السلام لجبريل هي اصل الايمان الذي لا يتم الا باعتقادها ومن انكرها
كفر قطعا واما رويته لربه تعالى فغايتها ان تكون مسيلة نزاع لا يكفر جاحدها
بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة بانه لم يره فنحن الى تقرير رويته
لربه تعالى وان كانت روية الرب سبحانه اعظم من روية جبريل فان النبوة
لا تتوقف ثبوتها عليها البتة ثم نزه تعالى رسوليه كليهما صلى الله عليه وسلم
احدهما بطريق النطق والثاني بطريق اللزوم عما يضاد مقصود الرسالة
من الكتمان الذي هو الضنة والبخل والتبديل والتغيير الذي يوجب
التهمة فقال وما هو على الغيب بضنين فان الرسالة لا يتم مقصودها الا
بالامرين اداوها من غير كتمان واداوها على وجهها من غير زيادة ولا نقصان
والقراتان كالايتين فتضمنت احداهما وهي قراة الضاد تنزيهه عن
البخل فان الضنين البخيل يقال ضننت به اضن بوزن بخلت ابخل
ومعناه وقال ابن عباس ليس ببخيل بما انزل الله وقال مجاهد
لا يضن عليهم بما يعلم واجمع المفسرون على ان الغيب ههنا القران والوحي
وقال الفرا يقول تعالى ياتيه غيب من السما وهو منفوس فيه فلا يضن
به عليكم وهذا معنى حسن جدا فان عادة النفوس الشح بالشي النفيس
ولا سيما عن من لا يعرف قدره ومع هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يبخل
عليكم بالوحي الذي هو انفس شي واجله وقال ابو علي الفارسي المعنى
ياتيه الغيب فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده
ويخفيه حتى ياخذ عليه حلوانا واما قراة من قرا بظنين بالظا فمعناه
المتهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته وليس هو من الظن الذي هو الشعور
والادراك فان ذلك يتعدى الى مفعولين والمعنى وما هذا الرسول على
القران بمتهم بل هو امين عليه لا يزيد ولا ينقص منه وهذا يدل على ان
الضمير فيه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه قد تقدم وصف الرسول الملكي
بالامانة ثم قال وما صاحبكم بمجنون ثم قال وما هو اي وما صاحبكم بمتهم
ولا بخيل فنفى سبحانه عن رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك كله وزكى سند
القران اعظم تزكية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وقال

تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم الايتين
اقسم تعالى بالاشيا كلها ما يبصر منها وما لا يبصر وهذا اعظم قسم وقع في القران
فانه يعم العلويات والسفليات والدنيا والاخره وما يرى وما لا يرى
وتدخل في ذلك الملايكة كلهم والجن والانس والعرش والكرسي وكل مخلوق وذلك من
ايات قدرته وربوبيته ففي ضمن هذا القسم ان كل ما يرى وما لا يرى ايه ودليل
على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وان ما جا به من عند الله تعالى وهو كلامه
تعالى لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن وانه حق ثابت كما ان ساير الموجودات
ما يرى منها وما لا يرى حق كما قال تعالى فورب السما والارض انه لحق مثل
ما انكم تنطقون فكانه سبحانه وتعالى يقول انه اي القران حق كما ان ما تشاهدونه
من الخلق وما لا تشاهدونه حق موجود ويكفي الانسان من جميع ما يبصره
وما لا يبصره نفسه ومبدا خلقه ومشاهدته وما يشاهد من احواله
ظاهرا وباطنا ففي ذلك ابين دلالة على وحدانية الرب سبحانه وتعالى
وثبوت صفاته وصدق ما اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ومن لم يباشر
قلبه ذلك حقيقة لم يحيا لطيب بشاشة الايمان قلبه **ثم اقام سبحانه**
البرهان القاطع على صدق رسوله وانه لم يتقول عليه فيما قاله وانه لو
تقول عليه وافترى لما اقر عليه ولعاجله بالهلاك فان كمال علمه وقدرته
وحكمته تابى ان تقر من تقول عليه وافترى عليه واضل عباده واستباح
دما من كذبه وحريمهم واموالهم فكيف يليق باحكم الحاكمين واقدر
القادرين ان يقر على ذلك بل كيف يليق به ان يويده وينصره ويعليه ويظفره
بهم ليسفك دماهم ويستبيح اموالهم ونساهم قايلا ان الله امرني بذلك
واباحه لي بل كيف يليق به ان يصدقه بانواع التصديق كلها فيصدقه
باقرارها وبالايات المستلزمة لصدقه ثم يصدقه بانواعها كلها على
اختلافها فكل اية على انفرادها مصدقة له ثم يقيم الدلالة القاطعة
على ان هذا قوله وكلامه فيشهد له باقراره وفعله وقوله فمن اعظم المحال
وابطل الباطل وابين البهتان ان يجوز على احكم الحاكمين ان يفعل ذلك
والمراد بالرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قدمته لانه لما
قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون
ما كانوا يصفون جبريل بالشعر والكهانة **ومن ذلك قوله تعالى فلا**
اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم في

كتاب

كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون قيل المراد بالكتاب المكنون اللوح المحفوظ
قال ابن القيم والصحيح انه الكتاب الذي بايدي الملايكة وهو المذكور في قوله
تعالى في صحف مطهرة بايدي سفرة كرام بررة **قال** مالك احسن ما سمعت
في هذا انها مثل التي في عبس قال ومن المفسرين من قال ان المراد ان الصحف
لا يمسه الا طاهر والاول ارجح لان الاية سيقت تنزيها للقران ان يتنزل
به الشياطين وان محله لا يصل به كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما
ينبغي لهم وما يستطيعون وايضا فان قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا
ومعنى ولو كان نهيا لكان مفتوحا ومن حمل الاية على النهي احتاج الى صرف
الخبر عن ظاهره الى معنى النهي والاصل في الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته
وليس ههنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهي انتهى ملخصا وهذا
الذي قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بانه يجوز مس المصحف
للمحدث **وقد اجاب** ابن الرفعة في الكفاية عن دليلهم المزخرفة
فقال ما نصه القران لا يصح مسه فعلم ان المراد به الكتاب الذي هو
اقرب المذكورين ولا يتوجه النهي الى اللوح المحفوظ لانه غير منزل
ومسه غير ممكن ولا يمكن ان يكون المراد بالمطهرين الملايكة لانه قد
نفى واثبت وكانه قال يمسه المطهرون ولا يمسه غير المطهرين والسما
ليس فيها غير مطهر بالاجماع فعلم انه اراد المطهرين من الادميين ويبين
ذلك ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال في كتاب عمرو بن حزم المروي
في الدارقطني وغيره ولا يمس القران الا وانت طاهر ثم قال فان
قيل قد قال الواحدي ان اكثر اهل التفسير على ان المراد اللوح المحفوظ
وان المطهرين الملايكة ثم لو صح ما قلتم لم يكن فيها دليل لان قوله لا يمسه
بضم السين ليس بنهي عن المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا
خبر قلنا اما قول اكثر المفسرين فهو معارض بقول الباقين والمرجع
الى الدليل واما كون المراد بالاية الخبر فجوابه انا نقول اللفظ لفظ
الخبر ومعناه النهي وهو كثير في القران **قال الله تعالى** لا تضار والدة
بولدها والمطلقات يتربصن انتهى **واجاب** العلامة البساطي
في شرحه لمختصر الشيخ خليل بانه لا يمسه مجذوم وضم السين لاجل
الضمير كما صرح به جماعة وقالوا انه مذهب البصريين ومنهم ابن الحاجب
في شافيته انتهى وقد ذكر هذه العلامة شهاب الدين احمد بن يوسف الحلبي

المشهور بالسمين مع زيادة ايضاح وفوايد فقال في لا هذه وجهان الثاني انها ناهية
والفعل بعدها مجذوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم
سو ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره بالضمة لاجل ها الضمير المذكر الغايب ولم يحفظ
سيبويه في نحو هذا الا الضم وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم وان كان
القياس جواز فتحه تخفيفا قالوا بهذا الذي ذكرته نظهر فساد رد من رد لو كان
نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه ضم ما قبل الها في هذا النحو لا سيما
على راي سيبويه فانه لا يجيز غيره والله اعلم

الفصل الرابع في قسمه تعالى على تحقيق رسالته

قال الله تعالى يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم اعلم ان كل سورة بدا الله تعالى فيها بحروف التهجي كان في اوايلها الذكر والكتاب او القران الا ان في ذكر هذه
الحروف في اوايل السور امور تدل على انها على غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان
لا يصل اليها الا ان كشف الله سر ذلك واختلف المفسرون في معنى يس على اقوال
احدها انه يا انسان بلغة طي وهذا قول ابن عباس والحسن وعكرمه والضحاك
وسعيد ابن جبير وقيل بلغة الحبشه وقيل بلغة كلب وحكي الكلبي انها بالسريانيه
قال الامام فخر الدين وتقريره هو ان تصغير انسان انيسين وكانه حذف
الصدر منه واخذ العجز وقال هذا فيكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم
ويدل عليه قوله تعالى انك لمن المرسلين وتعقبه ابو حيان بان الذي نقل عن
العرب في تصغير انسان انيسان بيا بعدها الف فدل على ان اصله انيسان
لا التصغير يرد الاشيا الى اصولها ولا يعلم انهم قالوا في تصغيره انيسين وعلى
تقديرانه يصغر كذلك فلا يجوز ذلك الا ان يبنى على الضم لانه منادي
مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوه انتهى قال
السمين وهذا الاعتراض الاخير الصحيح فقد نصوا على ان المصغر لا يدخل في
الاسما المعظمة شرعا ولذلك لا يحكى ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر من
مومن والاصل مويمن فابدلت الهمزة ها قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق
الله قايله انتهى وقيل معنى يس يا محمد قاله ابن الحنفية والضحاك وقيل يا رجل
قاله ابو العاليه وقيل هو اسم من اسما القران قاله قتادة وعن ابي بكر
الوراق يا سيد البشر وعن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة للنبي
صلى الله عليه وسلم وفيه من تعظيمه وتمجيده ما لا يخفى وعن طلحة عن ابن عباس انه
قسم اقسم الله به وهو من اسمايه وعن كعب اقسم الله به قبل ان يخلق السموات

والارض

والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين وهو
رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا فاقسم الله باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه
الى عباده وعلى طريق مستقيم من ايمان اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال
النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيايه بالرسالة في كتابه الا له صلى الله عليه وسلم

الفصل الخامس في قسمه تعالى بمدة حياته عليه الصلاة والسلام وعصره وبلده

قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون العمر والعمر واحد
ولكنه في القسم يفتح لكثرة الاستعمال فاذا اقسموا قالوا لعمرك القسم قاله النحويون
ارتفع قوله لعمرك بالابتدا والخبر محذوف والمعنى قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دليلا
عليه وباب القسم يحذف منه الفعل نحو تالله لافعلن والمعنى لا احلف بالله فتحذف
احلف لعلم المخاطب بانك حالف قال الزجاجي من قال لعمر الله كانه حلف ببقا الله
ومن ثم قال المالكيه والحنفيه ينعقد بها اليمين لان بقا الله من صفات ذاته وعن
مالك لا يعجبني الحلف بذلك وقال الامام الشافعي واسحق لا يكون يمينا الا
بالنية وعن احمد كالمذهبين والراجح عنه كالشافعي واختلف فيمن المخاطب
في الاية على قولين احدهما ان الملكة قالت للوط عليه السلام لما وعظ قومه وقال
هولا بناتي لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اي يتحيرون فكيف يعقلون قولك ويلتفتون
اليه نصيحتك والثاني ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه تعالى اقسم
بحياته وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض قال ابن عباس ما خلق
وما برا نفسا اكرم من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره
قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون يقول وحياتك وعمرك وبقايك
في الدنيا انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه ابن جرير ومراده بقوله وما سمعت الله المتلو
في الكتب المنزله ورواه البغوي في تفسيره بلفظ وما اقسم الله بحياة احد غيره
وذلك يدل على انه اكرم خلق الله على الله وعلى هذا فيكون قسمه تعالى بحياة محمد
صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة لوط قال القرطبي واذا اقسم الله تعالى
بحياة نبيه فانما اراد بيان التصريح لنا انه يجوز لنا ان نحلف بحياته وقد قال
الامام احمد فيمن اقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم ينعقد به يمينه وتجب الكفارة
بالحنث واحتج بكونه صلى الله عليه وسلم احد ركني الشهادة وقال ابن خويزمنداد
واستدل من جوز الحلف به عليه الصلاة والسلام بان ايمان المسلمين جرت من
عهده صلى الله عليه وسلم فسلم ان يحلفوا به صلى الله عليه وسلم حتى ان اهل المدينة
الى يومنا هذا اذا حاصمه وقال احلف لي بحق ما حواه صاحب هذا القبر

وبحق ساكن هذا القبر ويعني النبي صلى الله عليه وسلم **وقال تعالى** لا اقسم بهذا البلد وانت
حل بهذا البلد الاية اقسم الله تعالى بالبلد الامين وهو مكة ام القرى وهو بلده عليه
السلام وقيد بحلوله عليه السلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان
بشرف اهله قاله البيضاوي ثم اقسم بالوالد وما ولد وهو فيما قبل ابرهيم واسمعيل وما
ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فتضمن السورة القسم به في موضعين وقيل المراد
به ادم وذريته وهو قول الجمهور من المفسرين وانما اقسم تعالى بهم لانه اعجب خلق الله على
وجه الارض لما فيهم من البيان والنظر واستخراج العلوم وفيهم الانبيا والدعاه
الى الله تعالى والانصار لدينه وكل ما في الارض من مخلوق خلق لاجلهم وعلى هذا
فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان فمرجع البلاد الى مكة ومرجع العباد الى
ادم **وقوله** وانت حل بهذا البلد حل هو من الحلول عند الظفر فيتضمن اقسامه
تعالى ببلده المشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع واشتمل على خير العباد فقد جعل
الله تعالى بيته هدى للناس ونبيه اماما وهاديا لهم وذلك من اعظم نعمه واحسانه
الى خلقه وقيل المعنى وانت مستحل قتلك واخراجك من هذا البلد الامين الذي يامن فيه
الطير والوحش وقد استحل فيه قومك حرمتك وهذا مروي عن شرحبيل بن سعد **وعن
قتادة** وانت حل اي لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى
يفتح عليه مكة ولهلها وما فتحت على احد قبله فاحل ما شا وحرم ما شا فقتل ابن خطل
وهو متعلق باستار الكعبة وغيره وحرم دار ابي سفيان فان قلت هذه السورة مكية
وانت حل بهذا البلد اخبار عن الحال بالواقعة التي ذكرت في اخر مدة هجرته الى المدينة
فكيف الجمع بين الامرين **اجيب** بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلا
كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وعلى كل حال فهذا متضمن للقسم ببلد رسوله
عليه الصلاة والسلام ولا يخفى ما فيه من زيادة التعظيم وقد روي ان عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من
فضيلتك عند الله ان اقسم بحياتك دون ساير الانبيا ولقد بلغ من فضيلتك
عنده ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر اختلف في تفسير العصر على اقوال فقيل
هو الدهر لانه مشتمل على الاعاجيب لانه يحصل فيه السرا والضرا والصحة والسقم
وغير ذلك وذكر العصر الذي بمضيه فينقضي عمرك فاذا لم يكن في مقابلته كسب
صار ذلك عين الخسران **ولله در القايل حيث قال**

انا لنفرح بالايام نقطعها • وكل يوم مضى نقص من الاجل

وفي

وفي تفسير الامام فخر الدين والبيضاوي وغيرهما انه قسم بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم قال
الامام الرازي واحتجوا له بقوله صلى الله عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم كمثل من
استاجر اجيرا فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي
من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين
فعملتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله تعالى
وهل نقصتكم من اجوركم شيئا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشا فكنتم اقل عملا
واكثر اجرا رواه البخاري قالوا فهذا الحديث دل على ان العصر هو عصره الذي هو فيه
فيكون على هذا القسم تعالى بزمانه في هذه الاية وبمكانه في قوله وانت حل بهذا البلد
وبعمره في قوله لعمرك فكانه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف له فاذا وجب
تعظيم الظرف فكيف حال المظروف قال ووجه القسم كانه تعالى قال ما اعظم خسرانهم
اذا اعرضوا عنك انتهى والله اعلم **النوع السادس في وصفه تعالى له عليه
الصلاة والسلام بالنور والسراج المنير اعلم ان الله تعالى قد وصف رسوله
صلى الله عليه وسلم بالنور** في قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا والمراد كونه هاديا مبينا كالسراج يرى الطريق ويبين
الهدى والرشاد فبيانه اقوى واتم وانفع من نور الشمس واذا كان كذلك وجب ان تكون
نفسه القدسية اعظم في النورانية من الشمس وكما ان الشمس في عالم الاجساد تفيد النور
لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار لساير الانفس
البشرية وكذلك وصف الله تعالى رسوله بانه نور ووصف الشمس بانها سراج حيث قال
وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وكما وصف الله تعالى رسوله بانه نور وصف نفسه المقدسة
بذلك فقال الله نور السموات والارض فليس فيهما نور الا الله ونوره القدسي هو سر
الوجود والحياة والجمال والكمال وهو الذي اشرق على العالم الروحانية وهم الملايكة فصار
سراجا منيرا يستمد من نورها بجود الله ثم سرى النور الى عالم النفوس الانسانية ثم
طرحته النفوس على صفات الجسوم فليس في الوجود الا نور الله الى الشي منه بقدر
قبوله ووسع استعداده ورحب تلقيه والنور في الاصل كيفية يدركها الناظر
جرام اولاه وبوساطتها ساير المبصرات كالكيفية الفايضة من النيرين الشمس والقمر على الاجرام
الكثيفة المحاذية لهما وهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير
مضاف كقوله زيد كرم بمعنى ذو كرم او بمعنى منور السموات والارض فانه تعالى نورهما
بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار وبالملايكة والانبيا من قولهم للرئيس الفايق في
التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور ويؤيد هذا التاويل قراءة علي ابن ابي

طالب وزيد بن علي وغيرهما نور فعلا ماضيا والارض بالنصب وقوله مثل نوره اي مثل هداه
سبحانه وتعالى واضاف النور الى السموات والارض اما دلالة على سعة اشراقه وفشو اضائته
حتى تضي له السموات والارض واما لارادة اهل السما والارض وانهم يستضيئون به وعن
مقاتل اي مثل الايمان في قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة نظير صدر عبد الله والزجاجة
نظير جسد محمد صلى الله عليه وسلم والمصباح نظير الايمان والنبوة في قلب محمد صلى الله عليه وسلم
وعن غيره المشكاة نظير ابرهيم والزجاجة نظير اسمعيل عليهما السلام والمصباح جسد محمد
صلى الله عليه وسلم والشجرة النبوة والرسالة وعن ابي سعيد الخراز المشكاة جوف محمد صلى
الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل الله في قلب محمد صلى الله عليه وسلم
وعن كعب بن جبير النور الثاني هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم كمشكاة صفتها وعن سهل
ابن عبد الله مثل نور محمد اذا كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا وكذا واراد
بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من
شجرة مباركة اي من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها
يضي اي يكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه حكى هذا القول الاخير
القاضي ابو الفضل اليحصبي والفخر الرازي لكنه عن كعب الاحبار وعن الضحاك
يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي قال عبد الله بن رواحة لو لم يكن فيه ايات مبينة
كانت بديهته تنبيك بالخبر لكن التفسير الاول في هذه الاية هو المختار لانه تعالى
ذكر قبل هذه الاية ولقد انزلنا اليك ايات مبينات واذا كان المراد بقوله مثل
نوره اي مثل هداه كان ذلك مطابقا لما قبله النوع السابع في ايات تتضمن
وجوب طاعته واتباع سنته قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله
وقال تعالى واطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين قال
القاضي عياض فجعل طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثوا
وا ووعد على مخالفته بسوء العقاب وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله يعني
من اطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق احكام الله فهو في الحقيقة ما اطاع ع
الا الله وذلك في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم
حفيظا فان من اعماه الله عن الرشد واضله عن الطريق فان احدا من الخلق لا يقدر
على ارشاده وهذه الاية من اقوى الادلة على ان الرسول معصوم في جميع الاوامر
والنواهي وفي كلما يبلغه عن الله لانه لو اخطا في شي منها لم تكن طاعته طاعة الله ه
وايضا وجب ان يكون معصوما في جميع افعاله لانه تعالى امر بمتابعته في قوله
واتبعوه والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير فثبت ان الانقياد له في جميع

اقواله وافعاله الا ما خصه الدليل طاعة له وانقياد الحكم الله تعالى وقال تعالى
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهدا والصالحين الاية وهذا عام في المطيعين لله من اصحاب الرسول ومن بعدهم
وعام في المعية في هذه الدار وان كانت فيها معية الابدان وقد ذكروا في سبب
نزول هذه الاية ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل
جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال
يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقتك واستوحشت وحشة
عظيمة حتى القاك فذكرت الاخرة بحيث لا اراك هنا لاني ان دخلت الجنة فانت
تكون في درجات النبيين وان انا لم ادخل الجنة فحينئذ لا اراك ابدا فنزلت
هذه الاية وذكر ابن ابي حاتم عن ابي الضحى عن مسروق قال اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم يا رسول الله ما ينبغي لنا ان نفارقك فانك لو تقدمت لرفعت
فوقنا ولم نرك فانزل الله هذه الاية وذكر عن عكرمة مرسلا قال اتى
فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لنا منك نظرة في الدنيا
ويوم القيمة لا نراك لانك في الجنة في الدرجات العلى فانزل الله هذه الاية
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت معي في الجنة وذكر ايضا في رواية
اخرى تاتي ان شا الله تعالى في مقصد محبته صلى الله عليه وسلم لكن قال
المحققون لا ننكر صحة هذه الروايات الا ان سبب نزول هذه الاية يجب ان
يكون شيا اعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها فانا نعلم ان خصوص
السبب لا يقدح في عموم اللفظ فهذه الاية عامة في حق جميع المطيعين وهو ان
كل من اطاع الله واطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفه
عند الله تعالى ثم ان ظاهر قوله ومن يطع الله والرسول انه يكفي الاكتفا بالطاعة
الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفي في جانب الثبوت حصول ذلك
المسمى مرة لكن لا بد ان نحمل على غير ظاهره وان نحمل الطاعة على فعل المامورات
وترك المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة لدخل فيه الفساق والكفار
لانهم قد ياتون بالطاعة الواحدة قال الرازي قد ثبت في اصول الفقه ان
الحكم المذكور عقيب الصفة مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف واذا
ثبت هذا فنقول قوله من يطع الله اي في كونه الها وطاعة الله في كونه الها هي
معرفته والاقرار بجلاله وعزته وكبريائه وصمديته فصارت هذه الاية

تنبيهًا على امرين عظيمين من احوال المعاد فالاول ان منشا جميع السعادات يوم القيمة
اشراق الروح بانوار معرفة الله فكل من كانت هذه الانوار في قلبه اكثر وصفاؤها
اقوى كان الى السعادة اقرب والى الفوز وبالنجاة اوصل والثاني ان الله تعالى
ذكر في هذه الاية السابقه وعد اهل الطاعة بالاجر العظيم • والثواب الجسيم
ثم ذكر في هذه الاية وعدهم بكونهم مع النبيين وليس المراد ان يكون من اطاع الله
فاطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة واحدة لان هذا
يقتضي التسوية في الدرجه بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم
في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من روية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب
اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا اراد والروية والتلاقي قدروا على ذلك
فهذا هو المراد من هذه المعية وقد ثبت وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
المرء مع من احب وثبت ايضا انه قال ان بالمدينه اقواما ما سرتم مسيرا ولا
نزلتم منزلا الا وهم معكم حبسهم العذر فالمعية والصحبة الحقيقية انما هي
بالسر والروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ولهذا كان النجاشي معه
صلى الله عليه وسلم وهو اقرب الناس اليه وهو بين النصارى بارض الحبشه وعبد الله
ابن ابي من ابعد الخلق عنه وهو معه في المسجد وذلك ان العبد اذا اراد بقلبه
امرا من طاعة او معصيه او شخص من الاشخاص فهو بارادته وصحبته معه لا يفارقه
فالارواح تكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وبينها
وبينهم من المسافة الزمانيه والمكانيه بعد عظيم وقال تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذه الاية الشريفة
تسمى اية المحبة وقال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله اية المحبة
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وقال يحببكم الله اشارة الى دليل المحبة
وثمرتها وفايدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفايدتها وثمرتها
محبة المرسل لكم فما لم يحصل المتابعة فلا محبة لكم حاصلة ومحبته لكم منتفية
فجعل سبحانه اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام مشروطا بمحبتهم لله وشرطا
لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود تحقق شرطه فعلم انتفا
المحبة عند انتفا المتابعة فلا محبة لكم حاصله بانتفا محبتهم لله لازم
لانتفا المتابعة ولرسوله وانتفا المتابعة ملزوم لانتفا محبة الله
لهم فتستحيل حينيذ ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودل على ان متابعة الرسول هي حب الله ورسوله

وطاعة امره ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فلا
يكون شي احب اليه من الله ورسوله ومتى كان عنده شي احب اليه منهما فهذا هو الشرك
الذي لا يغفر لصاحبه البته ولا يهديه الله قال الله تعالى قل ان كان اباوكم
وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي
الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين فكل من قدم طاعة احد من هولاء
على طاعة الله ورسوله او قول احد منهم على قول الله ورسوله او مرضاة احد منهم على
مرضاة الله ورسوله او خوف احد منهم او رجاه والتوكل عليه على خوف الله ورجاه
والتوكل عليه او معاملة احد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله
ورسوله احب اليه مما سواهما وان قال بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو
عليه انتهى ملخصا من كتاب المدارج وسياتي مزيد لذلك ان شا الله تعالى في مقصد
محبته عليه الصلاة والسلام وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اي الى الصراط المستقيم
فجعل رجا الاهتدا اثر الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان من
صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة فكل ما اتى به الرسول يجب
علينا اتباعه الا ما خصه الدليل وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور
الذي انزلنا يعني القران فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم
ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه وقال تعالى ومن لم يومن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي ومن لم يومن بالله ورسوله فهو من
الكافرين وانا اعتدنا للكافرين سعيرا وقال تعالى فلا وربك لا يومنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية معناه فوربك لقوله فوربك لنسئلنهم اجمعين
ولا مزيدة للتاكيد لمعنى القسم كما في ليلا يعلم ولا يومنون جواب اقسم الله تعالى
لنفسه الكريمة المقدسة انه لا يومن احد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم
في جميع اموره ويرضى بجميع ما حكم به وينقاد له ظاهرا وباطنا سوا كان الحكم
بما يوافق اهواهم او يخالفها كما ورد في الحديث والذي نفسي بيده لا يومن احدكم
حتى يكون هواه تبعا لما جيت به وهذا يدل على ان من لم يرض بحكم الرسول
صلى الله عليه وسلم لا يكون مومنا وعلى انه لا بد من حصول الرضى بحكمه في القلب
وذلك بان يحصل الجزم واليقين في القلب بان الذي يحكم به عليه الصلاة والسلام
هو الحق والصدق فلا بد من الانقياد ظاهرا وباطنا وسياتي مزيد بيان لذلك

في مقصد محبته عليه الصلاة والسلام ثم ان ظاهر هذه الاية تدل على انه لا يجوز تخصيص
النص بالقياس لانه يدل على انه يجب متابعة قوله وحكمه وانه لا يجوز العدول
عنه الى غيره فقوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت مشعر بذلك لانه متى
خطر بقلبه قياس يقتضي ضد مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس فبين
تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعد ان يلتفت الى ذلك الحرج ويسلم الى النص تسليما
كليا قاله الامام فخر الدين وجوز غيره تخصيص الكتاب والسنة بالقياس وبه صرح
العلامة التاج السبكي في جمع الجوامع وغيره **النوع الثاني ما يتضمن الادب**
معه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين
يدي الله ورسوله فمن الادب ان لا يتقدم بين يديه بامر ولا نهي ولا اذن
ولا تصرف حتى يامر هو وينهى وياذن كما امر سبحانه وتعالى بذلك في هذه الاية
وهذا باق الى يوم القيمة لم ينسخ فالتقدم بين يديه سنته بعد وفاته
كالتقدم بين يديه في حياته لا فرق بينهما عند ذي عقل سليم **وقال** مجاهد
لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء يقضيه الله على لسانه **وقال**
الضحاك لا تقضوا امرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال** غيره
لا تامروا حتى يامر ولا تنهوا حتى ينهى وانظر ادب الصديق رضي الله عنه معه
عليه الصلاة والسلام ان يتقدم بين يديه كيف تاخر وقال ما كان لابن
ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اورثه مقامه
والامامة بعده فكان ذلك التاخر الى خلفه وقد اومى اليه ان اثبت
مكانك سعيا الى قدام بكل خطوة الى وراء مراحل الى قدام تنقطع فيها اعناق
المطي **ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع الاصوات فوق**
صوته كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض **قال الرازي** افاد انه ينبغي ان لا
يتكلم المومن عنده صلى الله عليه وسلم الا كما يتكلم العبد عند سيده لان العبد
داخل في قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض لانه للعموم فلا ينبغي ان يجهر
المومن للنبي صلى الله عليه وسلم كما يجهر العبد للسيد والا كان قد جهر له
كما يجهر بعضكم لبعض **قال** ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى النبي اولى بالمومنين من
انفسهم والسيد ليس اولى عند عبده من نفسه حتى لو كان في مخمصة
ووجد العبد ما لو لم ياكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل للنبي
صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد ان بموته ينجو سيده لا يلزمه ان يلقي بنفسه

في التهلكة

في التهلكة لانجاء سيده ويجب لانجاء النبي صلى الله عليه وسلم وكما ان العضو الرئيس اولى
بالرعاية من غيره لان عند خلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين استقامة
فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبي صلى الله عليه وسلم هلك هو ايضا بخلاف العبد
والسيد انتهى **واعلم ان في الرفع والجهر** استخفافا قد يودي الى الكفر المحبط وذلك
اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة **وروي** ان ابا بكر رضي الله عنه
لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك الا كاخي السرار وان عمر
رضي الله عنه كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الاية حتى يستفهمه **وقد روي** ان ابا جعفر امير المومنين ناظر مالكا
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع صوتك
في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية وذم
قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته
حيا فاستكان لها ابو جعفر واذا كان رفع الاصوات فوق صوته يوجب
لحبوط الاعمال فما الظن برفع الاراء ونتايج الافكار على سنته وما جاء به
ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يجعل دعاوه كدعا بعضنا بعضا
قال تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا وفيه قولان
للمفسرين احدهما انكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا وقولوا يا رسول الله
يا نبي الله مع التوقير والتواضع فعلى هذا المصدر مضاف الى المفعول اي دعاوكم
الرسول والثاني ان المعنى لا تجعلوا دعاه لكم بمنزلة دعا بعضكم بعضا ان شا
اجاب وان شا ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته ولم يسعكم التخلف
عنها البتة فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة فعلى
هذا المصدر مضاف الى الفاعل اي دعاوه اياكم وقد تقدم في الخصايص من المقصد
الرابع عن مذهب الشافعي ان الصلاة لا تبطل باجابته صلى الله عليه وسلم **ومن**
الادب معه صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا معه على امر جامع من خطبة او
جهاد او رباط لم يذهب احد مذهبا في حاجة له حتى يستاذنه كما قال تعالى انما
المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا
حتى يستاذنوه فاذا كان هذا مذهبا مقيد الحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه
الا باذنه فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين اصوله وفروعه دقيقه
وجليله هل يشرع الذهاب اليه بدون استيذانه فاسالوا اهل الذكر ان

كنتم لا تعلمون ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يستشكل قوله بل يستشكل
الاراء لقوله ولا يعارض نصه بقياس بل يهدر الاقيسه ويلقي لنصوصه ولا يحرف كلامه
عن حقيقته لخيال مخالفة تسميه اصحابه معقولا لانه هو مجهول وعن الصواب معزول
ولا يوقف قبول ما جا به على موافقة احد فكل هذا من قلة الادب معه وهو عين
الجراة ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم كمال التسليم له والانقياد لامره وتلقي
خبره بالقبول والتصديق دون ان يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولا او يسميه
شبهة او شكا او يقدم اليه ارا الرجال وزبالات اذهانهم فيوحده بالتحكيم والتسليم
والانقياد والاذعان كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والانابة والتوكل
فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد المرسل وتوحيد متابعة
الرسول ولا يحاكم الى غيره ولا يرضى بحكم غيره انتهى ملخصا من المدارج والقران
مملو بالايات المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم فليراجع والله اعلم

النوع التاسع في ايات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة على عدوه صلى الله عليه وسلم تنزيها لشانه قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون لما قال المشركون يا ايها الذي نزل عليه الذكر
انك لمجنون اجاب الله تعالى عنه عدوه بنفسه من غير واسطة وهكذا سنة الاحباب
فان الحبيب اذا سمع من يسب حبيبه تولى بنفسه منتصرا له جوابه فههنا تولى
الحق سبحانه جوابهم بنفسه منتصرا له لان نصرته تعالى له اتم من نصرته
وارفع لمنزلته ورده ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده فاقسم تعالى بما اقسم به
من عظيم اياته على تنزيه رسوله وحبيبه وخليله مما عصمته اعداوه الكفرة به
وتكذيبهم له بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون وسيعلم اعداوه المكذبون له انهم
المفتون هو او هم وقد علموا هم والعقلا ذلك في الدنيا ويزداد علمهم به في البرزخ
وتنكشف وتظهر كل الظهور في الاخرة بحيث يتساوي الخلق كلهم في العلم به
ولما راى العاصي بن وايل السهمي النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل
فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد كلما
دخل العاص قالوا له من ذا الذي كنت تحدث معه قال ذلك الابتر يعني النبي صلى
الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة فرد الله
تعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك
هو الذليل الحقير ولما قالوا افترى على الله كذبا قال الله تعالى بل الذين
لا يومنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد ولما قالوا لست مرسلا

قال

قال الله تعالى ردا عنه فقال يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين ولما قالوا اينا لتاركوا
الهتنا لشاعر مجنون رد الله تعالى عنه فقال بل جا بالحق وصدق المرسلين فصدقه
ثم ذكر وعيد اعدايه فقال انكم لذايقوا العذاب الاليم ولما قالوا ام يقولون شاعر نتربص
به ريب المنون رد الله عليهم بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر
وقران مبين ولما حكى الله تعالى عنهم قولهم ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه
قوم اخرون سماهم الله تعالى كاذبين بقوله فقد جاوا ظلما وزورا وقال قل انزله
الذي يعلم السر في السموات والارض ولما تلي عليهم نبا الاولين قال النضر بن
الحارث لو نشا لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين قال الله تعالى تكذيبا
لهم قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله
ولما قال الوليد بن المغيرة ان هذا الا سحر يوثر ان هذا الا قول البشر قال الله تعالى
كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون تسلية له صلى الله
عليه وسلم ولما قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق قال الله تعالى
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
ولما حسدته اعدا الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا ما همه الا
النكاح رد الله عليهم عن رسوله ونافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما اتاهم
الله من فضله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما
ولما استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر بقولهم الذي حكاه الله عنه
وما منع الناس ان يومنوا اذ جاهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا
وجهلوا ان التجانس يورث التوانس وان التخالف يورث التباين قال الله تعالى
قل لو كان في الارض مليكة يمشون مطمينين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا
اي لو كانوا مليكة لوجب ان يكون رسولهم من المليكة لكن لما كان اهل الارض من
البشر وجب ان يكون رسولهم من البشر فما اجل هذه الكرامة وقد كانت الانبيا
انما يدافعون عن انفسهم ويردون على اعدايهم كقول نوح عليه السلام يا قوم ليس بي
ضلالة وقول هود ليس بي سفاهة واشباه ذلك والله اعلم **النوع العاشر في ازالة
الشبهات عن ايات وردت في حقه صلى الله عليه وسلم** مشكلات قال الله تعالى
ووجدك ضالا فهدى اعلم انه قد اتفق العلما على انه صلى الله عليه وسلم ما ضل لحظة
واحدة قط وهل هو جايز عقلا على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم قبل النبوة
قالت المعتزلة هو غير جايز عقلا لما فيه من التنفير وعند اصحابنا انه جايز في
العقول ثم يكرم الله من اراده بالنبوة الا ان الدليل السمعي قام على ان هذا الجايز لم

يقع **قال الله تعالى** ما ضل صاحبكم وما غوى قاله الامام فخر الدين **وقال** الامام ابو الفضل
اليحصبي في الشفا والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك
في شي من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار على ان الانبيا تنزيههم عن هذه النقيصة
منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات
الطاف السعادة ولم ينقل احد من اصحاب الاخبار ان احد نبي واصطفي ممن عرف بكفر
واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل ثم قال وقد استبان لك بما قررناه
ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم
بشي من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشي مما قرره
من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف
القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا
ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه على الكباير اجماعا وعن
الصغاير تحققا وعن استدامة الغفلة والسهو واستمرار الغلط والنسيان عليه
فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضي وغضب وجد ومزح ما يجب لك ان
تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
او يجوز او يستحيل عليه ولا ينزهه عما لا يجوز ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري
ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه
يحل بصاحبه دار البوار **وقد استدل بعض** الايمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير
الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقها على ذلك
من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم
وان اختلفوا في حكم ذلك فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن الاقتدا بهم في افعالهم
اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة والاباحة والحظر والمعصية
انتهى **واختلف** في تفسير هذه الاية على وجوه كثيرة احدها اي وجدك ضالا عن
معالم النبوة وهو مروي عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب ويؤيده قوله
تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا
القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان قاله السمرقندي **وقال** بكر القاضي
ولا الايمان الذي هو الفرايض والاحكام فقد كان عليه الصلاة والسلام قبل مومنا
بتوحيده ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا وسياتي
اخر هذا النوع مزيد لذلك ان شا الله تعالى **الثاني** من معنى قوله تعالى ضالا
ما روي مرفوعا مما ذكره الامام فخر الدين انه قال عليه الصلاة والسلام ضللت عن

جدي

جدي عبد المطلب وانا صبي حتى كاد الجوع يقتلني فهداني الله **الثالث** تقول العرب ضل الما في
اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الاية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى اظهرت
دينه **الرابع** ان العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة فكانه تعالى يقول كانت تلك
البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة
فريدة في مفازة الجهل **الخامس** قد يخاطب السيد والمراد قومه اي وجد قومك ضالين
فهداهم بك وبشرعك **السادس** اي محبا لمعرفتي وهو مروي عن ابن عطا والضلال المحبة كما
قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو
قالوا ذلك في نبي الله لكفروا **السابع** اي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج نسي
ما يجب ان يقال بسبب الهيبة فهداه الله تعالى الى كيفية الثنا حتى قال لا احصي ثنا
عليك **الثامن** اي وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى
ارشادهم **التاسع** اي وجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا
اليك الذكر وهذا مروي عن الجنيد **العاشر** عن علي انه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت
بشي مما كان من امر الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد
ثم ما هممت بعدهما بشي حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى
باعلى مكة لو حفظت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت حتى اتيت
اول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فجلست انظر اليهم وضرب الله
على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس ثم ما هممت بعدهما بشي حتى اكرمني الله تعالى
برسالته **واما قوله** تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقد احتج بها
جماعة من الفقها والمحدثين والمتكلمين المجوزين للصغاير على الانبيا صلوات الله
وسلامه عليهم وبظواهر كثيرة من القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم
كما قال القاضي عياض الى تجويز الكباير وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكلما
احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجات
الاقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان
الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه
والمعتبر ما صح انتهى **وقد اختلف** في تفسير هذه الاية فقال اهل اللغة الاصل فيه
ان الظهر اذا اثقله الحمل سمع له نقيض اي صوت كصوت المحامل والرحال وهذا
مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم اقدامه وقيل المراد منه تخفيف اعبا النبوة
التي يثقل الظهر القيام بامرها وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله
تعالى ذلك عليه وحط عنه ثقلها بان يسرها عليه حتى تيسرت له وقيل الوزر ما كان

يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل عليه السلام وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه الله تعالى
وقال له اتبع ملة ابرهيم حنيفا وقيل معناه عصمناك من الوزر الذي انقض ظهرك لو كان
ذلك الذنب حاصلا فسمي العصمة وضعا مجازا ومن ذلك ما في الحديث انه عليه السلام حضر
وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة فضرب الله على اذنه فما ايقظه الا حر الشمس من الغد
وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا لك ذلك وقيل معناه خففنا
عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحط عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه وقال
القاضي فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور
فعلها قبل النبوة وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها
وقيل انها ذنوب امته صارت كالوزر عليه فامنه الله تعالى من عذابهم في العاجل بقوله
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ووعده الشفاعة في الاجل واما قوله تعالى ليغفر
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ابن عباس اي انك مغفور لك غير مواخذ بذنب
ان لو كان وقال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقيل المراد
ما كان من سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري والسلمي عن ابن عطا
وقيل المراد امته وقيل المراد بالذنب ترك الاولى وما يقابله مشتركان في اباحة الفعل
وقال السبكي قد تاملتها يعني الاية مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل
الا وجها واحدا وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم من غير ان يكون هناك ذنب ولكنه
اريد ان يستوعب في الاية جميع انواع النعم من الله تعالى على عباده الاخروية وجميع
الاخروية شيئان سلبية وهي غفران الذنوب وثبوتيه وهي لا تتناهى اشار اليها
بقوله ويتم نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيئان دينية واشار اليها بقوله
ويهديك صراطا مستقيما ودنيوية وينصرك الله نصرا عزيزا فانتظم بذلك تعظيم
قدر النبي صلى الله عليه وسلم باتمام انواع نعم الله تعالى عليه المتفرقة في غيره ولهذا
جعل ذلك غاية للفتح المبين الذي عظمه وفخمه باسناده اليه بنون العظمة وجعله
خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله لك وقد سبق الى نحو هذا ابن عطيه فقال وانما
المعنى التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة ثم قال وعلى تقدير الجواز لا شك ولا
ارتياب انه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وكيف يتخيل خلاف ذلك وما ينطق عن الهوى ان
هو الا وحي يوحى واما الفعل فاجماع الصحابة على اتباعه والتاسي به في كل ما يفعله
من قليل او كثير او صغير او كبير لم يكن عندهم في ذلك توقف ولا بحث حتى اعماله في السر
والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم ومن تامل احوال
الصحابة معه صلى الله عليه وسلم استحيا من الله ان يخطر بباله خلاف ذلك انتهى

واما قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فلا امرية انه صلى الله عليه
وسلم اتقى الخلق والامر بالشي لا يكون الا عند عدم اشتغال المامور به اذ لا يصلح ان
يقال للجالس اجلس ولا للساكت اسكت ولا يجوز عليه ان لا يبلغ ولا ان يخالف امر
ربه ولا ان يشرك ولا ان يطيع الكافرين والمنافقين حاشاه الله من ذلك وانما امره
الله بتقوى توجيه استدامة الحضور واجاب بعضهم عن هذا ايضا بانه
صلى الله عليه وسلم كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله عليه الصلاة والسلام فيما مضى
بالنسبة الى ما هو فيه تركا للافضل فكان له في كل ساعة تقوى تتجدد وقيل المراد
دم على التقوى فانه يصح ان يقال للجالس اجلس ههنا الى ان اتيك وللساكت
قد اصبت فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه
وسلم والمراد امته ويدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما
تعمل واما قوله تعالى فلا تطع المكذبين فاعلم انه تعالى لما ذكر ما عليه من الكفار
في امره صلى الله عليه وسلم ونسبته الى ما نسبوه اليه مع ما انعم الله به عليه من الكمال
في امر الدين والخلق العظيم اتبعه بما يقوي قلبه ويدعوه الى التشدد مع قومه
وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل ما نزل
فقال فلا تطع المكذبين والمراد رؤسا الكفار من اهل مكة وذلك انهم دعوه الى دينهم
ونهاه الله ان يطيعهم وهذا امر الله لهيج للتشديد في مخالفتهم واما قوله تعالى
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الايه
فاعلم ان المفسرين اختلفوا فيمن المخاطب بهذا فقال قوم المخاطب به النبي صلى
الله عليه وسلم وقال اخرون المخاطب غيره فاما من قال بالاول فاختلفوا على وجوه
الاول ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد غيره كقوله تعالى اذا
طلقتم النسا وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكقوله لعيسى ابن مريم عليهما السلام
أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ومثل هذا معتاد فان السلطان
اذا كان له امير وكان تحت رايته ذلك الامير جمع فاذا اراد ان يامر الرعية مخصوص فانه
لا يوجه خطابه اليهم بل يوجه الى ذلك الامير ليكون ذلك اقوى تاثيرا في قلوبهم الثاني
قال الفرا علم الله تعالى ان رسوله صلى الله عليه وسلم غير شاك ولكن هذا كما يقول الرجل
لولده ان كنت ابني فبرني ولعبده ان كنت عبدي فاطعني الثالث انه يقال للضيق الصدر
شاك يقول ان ضقت ذرعا بما تعاني من تعنتهم واذاهم فاصبر واسئل الذين يقرؤن
الكتاب من قبلك كيف صبر الانبيا على اذى قومهم وكيف كان عاقبة امرهم من النصر
والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيه

او تهييج الرسول عليه الصلاة والسلام وزيادة تثبيته او يكون على سبيل الفرض والتقدير لامكان
وقوع الشك له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية والله لا اشك ولا اسال
واما الوجه الثاني وهو ان المخاطب غيره صلى الله عليه وسلم فتقديره ان الناس كانوا في زمانه صلى
الله عليه وسلم فرقا ثلاثة المصدقون له والمكذبون له والمتوقفون في امره الشاكون فيه فخاطبهم
الله تعالى بهذا الخطاب فقال فان كنت ايها الانسان مما انزلنا اليك من الهدى على لسان
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فسئل اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وهذا امثل قوله يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم و يا ايها الانسان انك كادح واذا مس الانسان ضر فان المراد
بالانسان هنا الجنس لا انسان بعينه فكذا ههنا ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك
الشك عنهم حذرهم من ان يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين **واما قوله** والذين اتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في انهم لا يعلمون ذلك او يكون المراد
قل لمن اهتدى يا محمد لا تكونن من الممترين وانه صلى الله عليه وسلم يخاطب به غيره وقيل عنه
ذلك **واما قوله** تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين فقال القاضي
عياض لا يلتفت الى قول من قال لا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى
اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم
ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين وليس في الاية دليل على كونه على تلك الصفة التي
نهاه عن الكون عليها فامره صلى الله عليه وسلم بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يخرج عن
ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامته
صلى الله عليه وسلم اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي قال ومثله في القران كثير وكذلك
قوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال تعالى ان تطيعوا الذين كفروا وقوله
تعالى ان يشا الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبه ذلك فالمراد غيره وان هذه
حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا والله تعالى ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء
كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما طردهم عليه الصلاة والسلام وما كان
من الظالمين **واما قوله** وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله والذين هم عن
اياتنا غافلون وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك
قط فلم تعلمها الا بوحينا **واما قوله** واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه
سميع عليم الاية فمعناه يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم والنزغ ادنى حركة تكون
كما قال الزجاج فامره تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغوائه به
وخواطر ادنى وسوسة مما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ به تعالى منه فيكفى امره ويكون سبب

تمام

تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وكذلك لا يصح ان
يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها بل لا يشك
النبي ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان
يظهر لديه كما قدمته في المقصد الاول عند البعثة لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل
لكلماته **واما قوله** تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الاية فاحسن ما قيل فيها ما عليه جمهور المفسرين ان التمني المراد هنا التلاوة
والقاء الشيطان فيها اشتغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم
والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل وما
يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته قاله القاضي عياض وقد تقدم في المقصد
الاول مزيد لذلك قال في الشفا **واما قوله** عليه الصلاة والسلام حين نام عن الصلاة
يوم الوادي ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلط عليه ولا وسوسة له بل
ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا
فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي
انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان
تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي
وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا
الباب لبيانه وارتفاع اشكاله **واما قوله** عبس وتولى الايات فليس فيها اثبات
ذنب له عليه الصلاة والسلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان
الصواب والاولى كان لو كشف له عن حال الرجلين لاختار الاقبال على الاعمى وفعل
النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله تعالى وتبليغا
عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من
ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله
وما عليك الا يزكى اي ليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام اي لا يبلغن بك الحرص
على اسلامهم ان تعرض عمن اسلم بالاشتغال بدعوتهم ان عليك الا البلاغ وقد كان
ابن ام مكتوم يستحق التاديب والزجر لانه وان فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول
صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات شدة
اهتمامه عليه السلام بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام
ايذاء له عليه الصلاة والسلام وذلك معصية عظيمة فثبت ان فعل ابن ام مكتوم كان
ذنبا ومعصية وان الذي فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو الواجب المتعين

وقد كان عليه الصلاة والسلام مأذونا له في تاديب اصحابه لكن ابن ام مكتوم بسبب عماه
استحق مزيد الرفق واما قوله تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم الايه فروى ابن ابي
حاتم عن مسعر عن عون قال هل سمعتم بمعاتبة احسن من هذا ابدا بالعفو قبل المعاتبة
وكذا قال مورق العجلي وغيره وقال قتادة عاتبه كما تسمعون ثم انزل التي في سورة
النور فرخص له ان ياذن لهم ان شا فقال تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم
فاذن لمن شئت منهم ففوض الامر الى رايه عليه الصلاة والسلام وقال عمرو بن
ميمون اثنتان فعلهما الرسول صلى الله عليه وسلم لم يومر فيهما بشي اذنه للمنافقين
واخذه الفدا من الاسرى فعاتبه الله كما تسمعون واما قوله ان هذه
الايه تدل على انه وقع من الرسول ذنب لانه قال تعالى عفا الله عنك والعفو
يستدعي سابقة الذنب وقوله الاخر لم اذنت لهم استفهام بمعنى الانكار فاعلم
انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب ذنبا ولم لا يقال ان ذلك يدل
على مبالغة الله تعالى في توقيره وتعظيمه كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما
عنده عفا الله عنك ما صنعت في امري ورضي عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك
الله لا عرفت حقي فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا زيادة التبجيل والتعظيم
وليس عفى ههنا بمعنى غفر كما قال صلى الله عليه وسلم عفى الله لكم عن صدقة الخيل
والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال ومعنى عفا الله
عنك اي لم يلزمك ذنبا واما الجواب عن الثاني فيقال اما ان يكون صدر عن
الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب ام لا فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير ان
يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا انه قد صدر عنه ذنب وحاشاه
الله من ذلك فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو
يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فثبت انه على جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله
لم اذنت لهم يدل على كون الرسول مذنبا وهذا جواب كاف شاف قاطع وعلى هذا
يحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والاكمل بل لم يعد هذا اهل العلم معاتبة
وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه ذهب ناس من اهل العلم الى ان النبي صلى
الله عليه وسلم معاتب بهذه الايه وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم
اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن
لهم واما قوله تعالى في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن
في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة الى قوله عظيم فروى مسلم
في افراده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما هزم الله المشركين

يوم بدر وقتل منهم سبعون واسر سبعون استشار النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا
فقال ابو بكر يا نبي الله هولا بنو العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان ناخذ منهم الفدية
فيكون ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما ارى ما راى
ابو بكر ولكن ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل
فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان اخيه يضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليس في
قلوبنا هوادة للمشركين فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو
ما قلت فاخذ منهم الفدا فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو قاعد وابو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني ما ذا يبكيك
انت وصاحبك فان اجد بكا بكيت وان لم اجد تباكيت فقال النبي صلى الله عليه
وسلم للذي عرض على اصحابك من الفدا لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة فانزل الله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى الى قوله عظيم وقوله
حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر وتقل حزبه ويعز
الاسلام ويستولي اهله وليس في هذا الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه
بيان ما خص به وفضل من بين ساير الانبيا عليهم السلام فكانه قال ما كان هذا
لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي واما قوله تعالى
تريدون عرض الدنيا فقيل المراد بالخطاب من اراد ذلك منكم وتجرد غرضه لغرض
الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه
بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل
الناس بالسلب وجمع الغنايم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو
ثم قال لولا كتاب من الله سبق واختلف المفسرون في معنى هذه الايه فقيل
معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان
يكون امر الاسرا معصية وقيل لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستو جبتم
به الصفح لعوقبتم على الغنايم وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم
لعوقبتم وهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال
الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير
في ذلك وقد روي عن علي قال جا جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاوا القتل وان شاوا الفدا
على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفدا ويقتل منا وهذا دليل على انهم

لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من
الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وتبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم
غير عصاة ولا مذنبين **قال** القاضي بكر ابن العلا اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتب له من احلال الغنايم والفدا وقد كان قبل هذا
فادى في سريه عبد الله ابن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم ابن كيسان وصاحبه فما عتب
الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم
في شان الاساري كان على تاويل وبصيرة على ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله
تعالى اراد تعظيم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم
ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب قاله القاضي
عياض **واما قوله** تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات الاية فالمعنى لولا ان ثبتناك لقاربت ان تميل
الى اتباع مرادهم لكن ادركك عصمتنا فمنعت ان تقرب فضلا عن ان تركن اليهم
وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها فالعصمة بتوفيق
الله وحفظه ولو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف ما نعذب
به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطا الخطير اخطر وقد اعاذه الله من الركون
الى اعدايه بذرة من قلبه **ومما يعزى للحريري مما يويد ذلك قوله**

انحو هذا العصر ما هي لفظة • جرت في لساني جرهم وثمود •
اذا استعملت في صورة الجحد اثبتت • وان اثبتت قامت مقام جحود •

وفسر الاول وهو النفي المثبت بنحو بحولهم وما كادوا يفعلون وقد فعلوا والثاني
وهو الثبوت المنفي بنحو قوله تعالى لقد كدت تركن قالوا وهو صلى الله عليه وسلم ثبت
قلبه ولم يركن **واما قوله** تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه
باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فالمعنى لو افترى علينا بشي من عند نفسه لاخذناه
بيمينه وقطعنا نياط قلبه وتم اهلكناه وقد اعاذه الله من التقول عليه **فان قلت**
لا مرية ان يعفي للمحب ولصاحب المحاسن والاحسان العظيم ما لا يعفي لغيره ويسامح
بما لا يسامح به غيره • **كما قال الشاعر** •

واذا الحبيب اتى بذنب واحد • جاءت محاسنه بالف شفيع •

ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم ذو المحاسن والاحسان الاكبر
فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد الشديد الوارد ان وقع منه ما يكون من راكن الى
اعدايه ومتقول عليه من قبل نفسه لم يعبا به كارباب البدع ونحوهم **فالجواب**

انه لا تنافي بين الامرين فان من كملت عليه نعمة الله وخصه منها بما لم يخص به غيره واعطاه منها
ما لم يعط غيره فحباه بالانعام وخصه بمزيد القرب والاكرام اقتضت حالته من حفظ مرتبته
القرب والولاية والاختصاص ان تراعي مرتبته من ادنى مشوش وقاطع فلشدة الاعتناء به
ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفايه على غيره تكون حقوق وليه وسيده عليه اتم ونعمه
عليه اكمل فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره فهو اذا اغفل واخل بمقتضى مرتبته نبه بما لم
ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح بما لا يسامح به ذلك ايضا فيجتمع في حقه الامران واذا
اردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما فالواقع شاهد بذلك فان الملك يسامح حاشيته
واولياءه بما لا يسامح به من ليس في منزلتهم ويواخذهم بما لم يواخذ به غيرهم وانت اذا كان
لك عبدان او ولدان احدهما احب اليك من الاخر واقرب الى قلبك واعز عليك عاملته
بهذين الامرين واجتمع في حقه المعاملتان بحسب قربه منك وحبك له وعزته فاذا نظرت
الى كمال احسانك اليه واتمام نعمك عليه اقتضت معاملته بما لا تعامل به من هو دونه
من التنبيه وعدم الاهمال واذا نظرت الى محبته لك وطاعته وخدمته وكمال عبوديته
ونصحه وهبت له وسامحته وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره فالمعاملات بحسب ما بينك
وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى في الشرع حيث جعل حد من انعم عليه بالتزويج اذا تعدى
الى الزنا الرجم وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد وكذلك ضاعف الحد على الحر الذي قد
ملكه نفسه واتم عليه نعمته ولم يجعله مملوكا لغيره وجعل حد العبد المنقوص بالرق
الذي لم يحصل له هذه النعمة نصف ذلك فسبحان من بهرت حكمته في خلقه •

فلله سر تحت كل لطيفة • فاخو البصاير غايص متعقل •

انتهى ملخصا **واما قوله** تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقيل معناه ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان على التفصيل الذي شرع لك في القران **وقال**
ابو العالية هو بمعنى الدعوة الى الايمان لانه كان قبل الوحي لا يقدر ان يدعو الى الايمان
بالله تعالى وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان حين كان في المهد وقبل البلوغ حكاه •
الماوردي والواحدي والقشيري وقيل انه من باب حذف المضاف اي ما كنت تدري
اهل الايمان اي من الذي يومن ابو طالب او العباس وغيرهما وقيل المراد به شرايع الايمان
ومعالمه وهي كلها ايمان وقد سمى الصلاة ايمانا بقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم
اي صلاتكم الى بيت المقدس فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص قاله ابن قتيبة وابن
خزيمة وقد اشتهر في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يوحد الله ويبغض الاوثان ويحج
ويعتمر وروى ابو نعيم وابن عساكر عن علي قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا
قط قال لا قال فهل شربت الخمر قط قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري

منا الكتاب ولا الايمان وقد ورد ان العرب لم يزالوا على بقايا من دين اسمعيل كحج البيت
والختان والغسل من الجنابة وكان عليه الصلاة والسلام لا يقرب الاوثان ويعيبها
ولا يعرف شرايع الله التي شرعها لعباده على لسانه فذلك قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولم يرد الايمان الذي هو الاقرار بالله لان اباه الذين ماتوا على الشرك
كانوا يومنون بالله ويحجون مع شركهم انتهى والله اعلم

المقصد السابع

في وجوب محبته واتباع سنته والاهتدا بهديه وطريقته وفرض محبة
اله واصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا
لديه وفيه ثلاث فصول الاول في وجوب محبته واتباع سنته والاهتدا بهديه

وسيرته صلى الله عليه وسلم اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج التي هي المنزلة التي
فيها تنافس المتنافسون والبها يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون وعليها
يتفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهي قوت القلوب وغذا الارواح
وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذي من فقده
فهو في بحار الظلمات والشفا الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التي
من لم يظفر بها فعيشه كله هموم والام وهي روح الايمان والاعمال والمقامات
والاحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل اثقال السايرين الى
بلد لم يكونوا الا بشق الانفس بالغيها وتوصلهم الى منازل لم يكونوا
بدونها ابدا واصليها وتبوئهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولا هي
داخليها وهي مطايا القوم التي سراهم في ظهورها دايما الى الحبيب وطريقهم الاقوم
الذي تبلغهم الى منازلهم الاولى من قريب تالله لقد ذهب اهلها بشرف الدنيا
والاخرة اذ لهم من معية محبوبهم اوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير
الخلايق بمشيته وحكمته البالغة ان المرء مع من احب فيا لها نعمة على المحبين سابغة
لقد سبق القوم السعادة وهم على ظهور الفرش نايمون ولقد تقدموا الركب
بمراحل وهم في سيرهم واقفون من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويدا وتجي في
الاول اجابوا موذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح وبذلوا انفسهم في
طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضى والسماح وواصلوا اليه المسير بالادلاج
والغدو والرواح ولقد حمدوا عند الوصول مسراهم وانما يحمد القوم السرى عند
الصباح وقد اختلفوا في المحبة وعباراتهم وان كثرت فليست في الحقيقة ترجع

الي

الى اختلاف مقال وانما هي اختلاف احوال واكثرها يرجع الى ثمراتها دون حقيقتها وقال
بعض المحققين حقيقة المحبة عند اهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وانما يعرفها
من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه وكذا قول صاحب مدارج السالكين تبعا
لغيره لا تحد بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفا وجفا فحدها وجودها ولا توصف
المحبة بوصف اظهر من المحبة وانما يتكلم الناس في اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها
وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة وتنوعت بهم العبارات
وكثرة الاشارات بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا لمعناها حرفين مناسبين
للمسمى غاية المناسبة الحا التي من اقصا الحلق والبا الشفهية التي هي نهايته فللحا
الابتدا وللبا الانتها وهذا شان المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداها منه
وانتهاها اليه واعطوا المحبة حركة الكسر لخفتها من الضمة وخفة المحبوب وذكره على
قلوبهم والسنتهم فتامل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ
والمعاني تطلعك على قدر هذه اللغة وان لها شانا ليس لساير اللغات وهذه
بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب اثارها وشواهدها والكلام على ما يحتاج
الى الكلام منها فمنها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب وهذا موجبها ومقتضاها ومنها
محو المحب لصفاته واثبات المحبوب لذاته وهذا من احكام الفنا في المحبة وهو ان تمحى
صفات المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته وهذا يستدعي بيانا اتم من هذا
لا يدركه الا من افناه وارد المحبة عنه واخذه منه ومنها استقلال الكثير من نفسك
واستكثار القليل من حبيبك وهو لابي يزيد وهو ايضا من احكامها وموجباتها وشواهدها
والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيا منه ولو ناله من
محبوبه ايسر شي استكثره واستعظمه ومنها استقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من
الاول لكنه مخصوص بما من المحب ومنها معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وهو
لسهل ابن عبد الله وهو ايضا حكم المحبة وموجبها ومنها ان تهب كلك لمن احببت
فلا يبقى لك منك شي وهو لسيدنا ابي عبد الله القرشي وهو ايضا من موجبات المحبة واحكامها
والمراد ان تهب ارادتك وعزماتك وافعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه
وتجعلها حبسا في مرضاته ومحابه ولا تاخذ منها لنفسك الا ما اعطاكه فتاخذه له منه
ومنها ان تمحو من القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة يقتضي ذلك فانه ما دامت
في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة ومنها ان تغار على المحبوب ان
يحبه مثلك وهو للشبلي ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها ان يكون مثلك
من يحبه ومنها غض طرف المحب عما سوى المحبوب غيرة وعن المحبوب هيبة وهذا يحتاج

استكثار القليل من جنايتك

الى ايضاح اما الاول فظاهر واما الثاني فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال المحبة كالمستحيل
ولكن عند استيلا سلطان المحبة يقع مثل هذا او ذلك من علامة المحبة المقارنة للهيبة
والتعظيم **ومنها** ميلك الى الشي بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم
موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه **قال** الجنيد سمعت الحرث المحاسبي
يقول ذلك **ومنها** سكر لا يصحا صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل
عند المشاهدة لا يوصف **وانشد بعضهم يقول**

فاسكر القوم دور الكاس بينهم ● لكن سكري نشا من روية الساقي ●

ومنها سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره على الدوام واما سفر القلب في
طلبه فهو الشوق الى لقايه واما لهج اللسان بذكره فلا ريب ان من احب شيا اكثر من
ذكره **ومنها** الميل الى ما يوافق الانسان كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة وغير
ذلك من الملاذ الذي لا يخلو كل طبع سليم عن الميل اليها لموافقتها او لاستلذاذه
بادراكه بحاسة او يكون حبه لذلك لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه
عليه فقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها كما رواه ابو نعيم في الحلية وابو الشيخ
وغيرهما واذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا فانيا منقطعا
او استنقذه من هلكة او مضرة لا يدوم فما بالك من منحه منحا لا تبيد ولا تزول
ووقاه من العذاب الاليم ما يفني ولا يحول واذا كان المرء يحب غيره على ما فيه
من صورة جميلة ● وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم ● والرسول العظيم الجامع
لمحاسن الاخلاق والتكريم ● المانح لنا جميع المكارم والفضل العميم ● فقد اخرجنا
الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف
والايقان فهو المسبب لبقا مهجتنا البقا الابدي ● في النعيم السرمدي ● فاي احسان
اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الينا فلا منة فاستحق ان يكون حظه من محبتنا
له اوفى وازكى من محبتنا لانفسنا واولادنا واهلينا واموالنا والناس اجمعين
بل لو كان في منبت شعره منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان بعض
ما يستحقه علينا **وقد روي** انس انه صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون
احب اليه من والده وولده رواه البخاري وقدم الوالد للاكثرية لان كل واحد
له والد من غير عكس **وفي رواية** النساي تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد
الشفقة وزاد في رواية عبد العزيز بن صهيب عن انس والناس اجمعين **وفي صحيح**
ابن خزيمة من اهله وماله بدل من والده وولده وذكر الوالد والولد ادخل في
المعنى لانهما اعز على العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسه ولذلك

لم

لم يذكر النفس في حديث ابي هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص
قال الخطابي والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع **وقال** النووي فيه تلميح الى
قصة النفس الامارة بالسوء والمطمينة فان من رجح جانب المطمينة كان حبه للنبي صلى الله عليه
وسلم راجحا ومن رجح جانب الامارة كان حبه بالعكس **وفي كلام** القاضي عياض ان ذلك
شرط في صحة الايمان لانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال **وتعقبه** صاحب
المفهم بان ذلك ليس مرادا هنا لان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد
يجد الانسان اعظام شي مع خلوه من محبته قال فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك
الميل لم يكمل ايمانه والى هذا يومي قول عمر في الحديث الذي رواه البخاري في الايمان
والنذور من حديث عبد الله بن هشام ان عمر ابن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وسلم
لانت يا رسول الله احب الي من كل شي الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لن يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب
لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر فهذه
المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط لانها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا
وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك
من نفسك **وقال** بعض الزهاد تقدير الكلام لا تصدق في حبي حتى توثر رضاي
على هواك وان كان فيه الهلاك واما وقوف عمر في اول امره واستثناوه نفسه فلان حب
الانسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الاسباب وانما اراد عليه الصلاة والسلام
منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه وعلى هذا فجواب
عمر اولا كان بحسب الطبع ثم تامل فعرف بالاستدلال ان النبي صلى الله عليه وسلم احب
اليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والاخرة فاخبر بما اقتضاه
الاختيار فلذلك حصل الجواب بقوله الان يا عمر اي الان عرفت فنطقت بما يجب
واذا كان هذا شان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله في محبتنا له ووجوب
تقديمها على محبة انفسنا واولادنا والدنيا والناس اجمعين فما الظن بمحبة الله تعالى ووجوب
تقديمها على محبة ما سواه ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها
وافراده سبحانه تعالى بها فان الواجب له من ذلك ان يكون احب الى العبد من ولده
ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده
احب اليه من ذلك كله والشي قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس
شي يحب لذاته من كل وجه الا الله وحده ولا تصلح الالوهية الا له تعالى والتاله
هو المحبة والطاعة والخضوع **ومن علامات الحب المذكور** لرسول الله

صلى الله عليه وسلم ان يعرض الانسان على نفسه انه لو خير بين فقد غرض من اغراضه او فقد
رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كانت ممكنة فان كان فقدها ان لو كانت ممكنة اشد
عليه من فقد شيء من اغراضه فقد اتصف بالاحبية المذكورة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن لا فلا **قال** القرطبي كل من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو
عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون فمنهم من اخذ من تلك المرتبة
بالحظ الاوفى ومنهم من اخذ بالحظ الادنى كمن كان مستغرقا في الشهوات محجوبا بالغفلات
في اكثر الاوقات لكن الكثير منهم اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته بحيث
يؤثرها على اهله وماله وولده ويبذل نفسه في الامور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من
نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية
مواضع اثاره على جميع ما ذكر ولما قر في قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال
لتوالي الغفلات انتهى فكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله لا يدخل في الاسلام الا بها
والناس متفاوتون في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل
اليهم من جهته عليه الصلاة والسلام من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن
ذلك ولا شك ان حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى اتم لان هذا ثمرة المعرفة
وهم بها اعلم **وقد روى** ابن اسحق مما حكاه في الشفا ان امراة من الانصار قتل
ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين فقالت ارونيه حتى
انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعني صغيرة ورواه البيهقي
في دلائله وذكر صاحب اللباب بلفظ لما قتل يوم احد قتل محمد عليه الصلاة
والسلام وكثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امراة من الانصار فاستقبلت باخيها
وابنها وزوجها وابيها قتلى لا تدري بايهم استقبلت وكلما مرت بواحد منهم
صريعا قالت من هذا قالوا اخوك وابوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبي صلى
الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت
بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابي انت وامي يا رسول الله لا ابالي اذ سلمت من عطب
وكذا رواه ابن ابي الدنيا بنحوه مختصرا وقال عمرو بن العاص ما كان احد احب
الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه **وقال** علي ابن ابي
طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الينا من اموالنا واولادنا واباينا
وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما ولما اخرج اهل مكة زيد ابن الدثنة بفتح الدال
المهملة وكسر المثلثة وتشديد النون من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب

انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك فقال
زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في
اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا
وروى مما ذكره القاضي عياض ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجي فانظر اليك واني
ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
فدعا به فقراها عليه قال وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر
اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي انت وامي تمتع بالنظر اليك فاذا كان
يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية **وذكره** البغوي في تفسيره
بلفظ نزلت اي الاية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد
الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير
لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك
فقال يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة
شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين
واني ان دخلت الجنة في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا
فنزلت هذه الاية وكذا ذكره الواحدي في اسباب النزول وعزاه الكلبي عن ثوبان
وقال قتادة قال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال
في الجنة وانت في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله هذه
الاية **وذكره** ابن ظفر في ينبوع الحياة بلفظ ان عامر الشعبي قال ان رجلا
من الانصار اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له والله لانت يا رسول الله احب الي
من نفسي ومالي وولدي واهلي ولولا اني اتيك فاراك لرايت ان اموت وقال
ان سوف اموت وبكى الانصاري فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابكاك
قال بكيت ذكرت انك ستموت ونموت فترفع مع النبيين ونحن ان دخلنا الجنة
دونك فلم يحر النبي صلى الله عليه وسلم اليه بمعنى اي لم يرجع اليه بقول فانزل الله
الاية **قال** وذكر مقاتل ابن سليمان مثل هذا وقال هو عبد الله ابن زيد
الانصاري الذي راى الاذان **وذكر** ايضا ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل
في جنة له فاتاه ابنه فاخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي فقال اللهم اذهب

بصري حتى لا ارى بعد حبيبي محمد احدا فكف بصره واعلم انه لا يمكن ان يجتمع في القلب
حبان فان المحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب فالبحر المرء لنفسه احدى المحبتين
فانهما لا يجتمعان في القلب والانسان عند محبوبه كاينا ما كان كما قيل

• انت القتيل باي من احببته • فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي •

وللبعض الحكما كما ان الغمد لا يتسع لغضبين • فكذلك القلب لا يتسع لحبيبين •
وكذلك لا تزال مراقبا لك على من تهواه اعراضك عن كل شي سواه فمن داهن في المحبة او داجا
فقد عرض لمدا الغيره اوداجا فمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام بل تقديمه في القلب
الحب على النفس والابا والابنا لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وقد حكي
عن ابي سعيد الخراز مما ذكره القشيري في رسالته انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام فقال لي يا مبارك من احب الله فقد احبني وقيل ان ذلك وقع لامراة من
الانصار معه صلى الله عليه وسلم بيقظة ولابن ابي المجد

• الا يا محب المصطفى زد صبابة • وضمخ لسان الذكر منك بطيبه •
• ولا تعبان بالمبطلين فانما • علامة حب الله حب حبيبه •

وكذلك كل حب في الله ولله كما في الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار
فعلق ذوق الايمان بالرضى بالله ربا وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه
ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه احب الاشيا الى العبد هو ورسوله فمن رضي الله ربا
رضيه الله له عبدا ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات
في الدين ويوثر ذلك على اعراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك
مخالفته وكذلك الرسول قاله النووي وقال غيره معناه ان من استكمل الايمان علم
ان حق الله ورسوله اكد عليه من حق والده وولده وجميع الناس لان الهدى من الضلال
والخلاص من النار انما كان بالله على لسان رسوله وفي قوله عليه الصلاة والسلام
حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المومن في الايمان بشي حلو واثبت
له لازم الشي واضافه له وفيه تلميح الى قصة المريض والصحيح ان المريض الصفراوي
يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق حلاوته على ما هي وكلما نقصت الصحة شيا
ما نقص ذوقه بقدر ذلك وقال العارف ابن ابي جمرة واختلف في الحلاوة
المذكورة هل هي محسوسة او معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقها وحملها قوم على
المحسوس وابقوا اللفظ على ظاهره من غير ان يتاولوه وهم اهل الصفة او قال

الصوفة قال والصواب معهم في ذلك والله اعلم لان ما ذهبوا اليه ابقوا به لفظ الحديث
على ظاهره غير تاويل قال ويشهد اليه ما ذهبوا اليه احوال الصحابة والسلف الصالح واهل
المعاملات فانه حكي عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال حين صنع به ما صنع
في الرمضا اكراها على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك
ايضا عند موته واهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبه محمدا وصحبه فمزج
مرارة الموت بحلاوة اللقا وهي حلاوة الايمان ومنها حديث الصحابي الذي سرق فرسه
بليل وهو في الصلاة فراى السارق حين اخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال
ما كنت فيه الذ من ذلك ولا ذاك الا للحلاوة التي وجدها محسوسة في وقته ذلك ومنها
حديث الصحابيين اللذين جعلهما صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه من قبل العدو وقد اقبل
فراهما وكل الجاسوس القوس ورمى الصحابي فاصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها ثم رماه
ثانية فاصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثه فاصابه فعند ذلك ايقظ صاحبه
وقال لولا اني خفت على المسلمين ما قطعت صلاتي ولا ذاك الا للشدة ما وجد فيها
من الحلاوة حتى اذهب عنه ما يجده من الم السلاح قال ومثل هذا حكي عن كثير من اهل
المعاملات انتهى وحديث هذين الصحابيين ذكرها البخاري في صحيحه في باب من لم ير
الوضوء الا من المخرجين بلفظ ويذكر عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة
ذات الرقاع فرمى رجل بسهم فنزف الدم فركع وسجد ومضى في صلاته وقد وصله ابن
اسحق في المغازي قال حدثني صدقة ابن يسار عن عقيل عن جابر عن ابيه مطولا
واخرجه احمد وابو داود والدارقطني وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم كلهم من طريق
ابن اسحق قال في فتح الباري وشيخه صدقة ثقة وعقيل بفتح العين لا اعرف لا راويا
عنه غير صدقة ولهذا لم يجزم به البخاري او لكونه اختصره او للخلاف في ابن اسحق واخرجه
البيهقي في الدلائل من وجه اخر وسمى احدهما عباد بن بشر الصحابي وعمار بن ياسر من المهاجرين
والسورة الكهف وانما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل وفي
قوله وان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما دليل على انه لا باس بهذه التثنية
واما قوله للذي خطب فقال ومن يعصهما بيس الخطيب انت فليس من هذا لان المراد
في الخطب الايضاح واما هنا فالمراد الايجاز في اللفظ ليحفظ ويدل عليه ان النبي صلى
الله عليه وسلم حيث قال في موضع اخر قال ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه وقيل انه من
الخصايص فيمتنع من غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لان غيره اذا جمع اوهم
اطلاق التسوية بخلافه هو فان منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك والى هذا مال ابن
عبد السلام ومن محاسن الاجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الحديث ان تثنية الضمير

هنا للايما الى ان المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فان وجدهما لا غنية
اذا لم يرتبط بالاخرى فمن يدعي حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك ويشير اليه قوله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاوقع متابعته مكتنفة بين قطري محبة
العباد لله ومحبة الله للعباد واما امر الخطيب بالافراد فان كل واحد من العصيانين مستقل
باستلزام الغواية اذ العطف في تقدير التكرير والاصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم
ويشير اليه قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فاعاد اطيعوا في
الرسول ولم يعده في اولي الامر منكم لانهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال
الرسول انتهى ملخصا من كلام البيضاوي والطيبي كما حكاه في فتح الباري **وفي الصحيح**
ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا قال في المدارج
فاخبر ان للايمان طعما وان القلب يذوق كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب وقد عبر
النبي صلى الله عليه وسلم عن ادراك حقيقة الايمان والاحسان وحصوله للقلب ومباشرته
له بالذوق تارة وبالطعام والشراب اخرى وبوجد الحلاوة تارة كما قال ذاق وقال
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ولما نهاهم عن الوصال قالوا انك تواصل
قال اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى وقد غلظ حجاب من ظن ان هذا طعام وشراب
حسي للفم وسياتي تحقيق الكلام على هذا ان شا الله تعالى في الصوم في مقصد
عباداته عليه الصلاة والسلام والمقصود ان ذوق حلاوة الايمان امر يجده القلب
تكون نسبته اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم وذوق حلاوة الجماع الى اللذة كما قال
عليه الصلاة والسلام حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وللايمان طعم وحلاوة
يتعلق بهما ذوق ووجد ولا تزول الشبه والشكوك الا اذا وصل العبد الى هذا
الحال فباشر الايمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد حلاوته وقال
العارف الكبير تاج الدين بن عطا الله فيه يعني في هذا الحديث اشارة الى ان القلوب
السليمة من امراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم النفوس
بملذوذات النعم الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي بالله ربا
استسلم له وانقاد لحكمه والقى قياده اليه فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض
ولما رضي بالله ربا كان الرضى له من الله واذا كان الرضى له من الله اوجده الله حلاوة ذلك
ليعلم ما من به عليه وليعرف احسان الله اليه **ولما سبقت لهذا العبد العناية**
خرجت له العطايا من خزاين المنن فلما واصلته امداد الله وانواره عوفي قلبه من الامراض
والاسقام فكان سليم الادراك فادرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة
ذوقه **وقوله** صلى الله عليه وسلم دينا لانه اذا رضي بالاسلام دينا فقد رضي بما رضي

به المولى ولازم من رضي بمحمد نبيا ان يكون له وليا وان يتادب بادابه ويتخلق باخلاقه
زهدا في الدنيا وخروجا عنها وصفحا عن الجناة وعفوا عمن اسا اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة
قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضي بالله استسلم له ومن رضي بالاسلام عمل له ومن
رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال ان يرضى بالله ربا ولا
يرضى بالاسلام دينا او يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفا به
انتهى **واعلم ان محبة الله** على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال
الاوامر والانتها عن المعاصي والرضى بما يقدره فمن وقع في معصية من فعل محرم او
ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال
في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجا فيقدم على المعصية
والندب ان يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع في الشبهات والمتصف بذلك في عموم
الاوقات والاحوال نادر **وفي البخاري** من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى انه قال ما تقرب الي عبدي بمثل ما افترضته عليه
وفي رواية بشي احب الي من ادا ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش
بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولين سالني لاعطينه
ولين استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي
المومن يكره الموت واكره مسالته ويستفاد من قوله وما تقرب الي عبدي بشي احب الي
ان ادا الفرايض احب الاعمال الى الله تعالى وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج
المحبة ولا تنتجها الفرايض **واجيب** بان المراد من النوافل ما كانت مع الفرايض
مشتملة عليها ومكملة لها ويويده ان في رواية ابي امامة ابن ادم انك لن تدرك ما عندي
الا باداء ما افترضته عليك او يجاب بان الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب
على الترك بخلاف الفرايض **وقال** الفاكهاني معنى الحديث انه اذا ادى الفرايض
ودام على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله تعالى
وقد استشكل ايضا كيف يكون الباري جل جلاله سمع العبد وبصره الى اخره
اجيب باجوبة منها ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره في ايثاره امري
فهو يحب طاعتي ويوثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح **ومنها** ان المعنى ان كليته مشغولة بي
فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره الا الى ما امرته به **ومنها** ان المعنى
كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه **ومنها** انه على حذف
مضاف اي كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك

الي اخره قاله الفاكهاني قال ويحتمل معني اخر ادق من الذي قبله وهو ان يكون بمعني مسموعه
لان المصدر قد جا بمعني المفعول مثل فلان املي بمعني مامولي والمعني انه لا يسمع الا ذكري
ولا يلتذ الا بتلاوة كتابي ولا يانس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجايب ملكوتي ولا يمد يده
الا فيما فيه رضاي ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلما ممن يعتد بقوله على ان هذا
مجاز وكناية عن نصرة العبد وتاييده واعانته حتى كانه سبحانه ينزل عبده منزلة الالات التي
يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي قال والاتحاد
يه زعموا انه على حقيقته وان الحق عين العبد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال
الخطابي عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعا والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها
انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن ابي عثمان الجيزي احد ايمة الطريق قال معناه
كنت اسرع الي قضا حوايجه من سمعه في الاسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله
في المشي كذا اسنده عنه البيهقي في الزهد وحمله بعض اهل الزيغ على ما يدعونه من ان
العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات انه يصير في معنى
الحق تعالى الله عن ذلك وانه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه
الموحد لنفسه المحب لنفسه وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا وعلى الاوجه
كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القايلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث
ولين سالني زاد في رواية عبد الواحد عبدي انتهى ملخصا وقال ابن القيم تضمن
هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد
به حصر اسباب محبته في امرين اداء فرايضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال
يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله فاذا صار محبوبا لله وجبت محبة الله له محبة اخرى
منه لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر والاهتمام بغير محبته
وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله
الاعلا مالكا لزمام قلبه مستوليا عليه روحه استيلا المحبوب على محبة الصادق في
محبته التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان
ابصر ابصر به وان نطر نطر به وان مشى مشى به فهو في قلبه ونفسه وانيسه وصاحبه
والباء هنا بالمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم
فالمسئلة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه
حصلت موافقة الرب لعبده في حوايجه ومطالبه فقال ولين سالني لاعطينه ولين
استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي بامتثال اوامري • والتقرب الي
بمحابي • فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسالني ان افعله به ويستعيذني

ان

ان يناله وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين • حتى اقتضى تردد العبد سبحانه في اماتة عبده
لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي ان لا
يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه • ولا امرضه الا ليصحه • ولا
افقره الا ليغنيه • ولا منعه الا ليعطيه • ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده
اليها على احسن احواله فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه انتهى وقال الخطابي التردد
في حق الله غير جايز والبدا عليه في الامور غير سايغ ولكن له تاويلان احدهما ان العبد
قد يشرف على الهلاك في ايام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها
ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد امرا ثم يبدو له فيه فيتركه
ويعرض عنه ولا بد له من لقايه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قد كتب الفنا على خلقه
واستاثر بالبقا لنفسه والثاني ان يكون معناه ما رددت رسلي في شي انا فاعله كترديدي
اياهم في نفس المومن كما روي في قصة موسى عليه السلام وما كان من لطمة عين ملك
الموت وتردده اليه مرة بعد اخرى قال وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد
ولطفه به وشفقته عليه وقال الكلاباذي ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة
الذات يعني باعتبار متعلقها اي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف
احوال العبد من ضعف ونصب الي ان تنتقل محبته في الحياة الي محبته للموت فيقبض
على ذلك قال وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقا
ما يشتاق معه الي الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه انتهى وبالجملة فلا حياة للقلب
الا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت اعينهم بحبيبهم فسكنت
نفوسهم اليه واطمانت قلوبهم به واستانسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب فاقة
لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم والام وحسرات
قال صاحب المدابح ولم تصل العبد الي هذه المنزلة العليه • والرتبة السنية • حتى
يعرف الله ويهتدي اليه بطريق توصله اليه ويحرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم
بقلبه شاهد من شواهد الاخرة فينجذب اليها بكليته ويزهد في التعلقات الفانية
ويداب في تصحيح التوبة والقيام بالمامورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة
والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ولا بخطرة
فضول لا ينفعه فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين
بيوت طبعه ونفسه الي فضا الخلوة بربه وذكره كما قال

• واخرج من بين البيوت لعلني • احدث عنك النفس بالسر خاليا •

فحينيذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا

صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله امامه واستاده
ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع سيرته ومبادي
اموره وكيفية نزول الوحي عليه ويعرف صفاته واخلاقه وادابه وحركاته وسكونه
ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لاهله واصحابه الى غير ذلك مما منحه الله
به مما ذكرت بعضه حتى يصير كانه معه من بعض اصحابه فاذا رسخ في قلبه ذلك فتح
عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرا السورة شاهد قلبه ماذا انزلت
فيه وماذا اريد بها وحظه المختص به منها من الصفات في الاخلاق والافعال المذمومة
فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفا من المرض المخوف ولمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم
علامات اعظمها الاقتدا به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتدا بهديه
وسيرته والوقوف مع ما حد لنا من شريعته **قال الله تعالى** قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم اية محبة العبد
ربه وجعل جزا العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى اياه وقد قال
الحكيم وهو محمود الوراق كما افاده المحاسبي في كتاب القصد والرجوع

في كل يوم يبتديك بنعمة ۔ منه وانت لشكر ذاك تضيع
تعصي الاله وانت تظهر حبه ۔ هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ۔ ان المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشا عن مطالعة العبد منة الله عليه من نعمه الظاهرة والباطنة
فبقدر مطالعه ذلك تكون قوة العبد ومن اعظم مطالعة منة الله على عبده
منة تاهله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم واصل هذا
نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فاذا دار ذلك النور اشرقت له ذاته
فراى في نفسه وما املت له من الكمالات والمحاسن فعلت به همته ۔ وقويت
عزيمته ۔ وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان
الا ويطرد احدهما الاخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس الى الحبيب
الاول ۔

نقل فوادك حيث شئت من الهوى ۔ ما الحب الا للحبيب الاول
كم من منزل في الارض يالفه الفتى ۔ وحنينه ابدا لاول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس
الشان ان تحب الله بل الشان ان يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه
ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا واطعته امرا واجبته دعوة واثرته طوعا وفنيت
عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق وعن طاعة غيره بطاعته وان لم يكن

لذلك

64

لذلك فلا تتعنى فلست على شي وتامل قوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله اي الشان في الله
يحبكم لا في انكم تحبونه وهذا لا ينال لو نه الا باتباع الحبيب وقال المحاسبي في كتاب
القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله عز وجل اتباع مرضات الله والتمسك بسنن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة
ذلك على لسانه وجوارحه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه واسرعت
الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان في القلب كما يدخل حب الما البارد
الشديد برده في اليوم الشديد الحر للظمان الشديد عطشه فيرتفع عنه تعب
الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات غذا لقلبه وسرورا له وقرة عين
في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها اعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد في اوراد
العبادة كلفة **وفي الترمذي** عن انس مرفوعا ومن احيى سنتي فقد احبني ومن احبني
كان معي في الجنة **وعن عطا** من الزم نفسه اداب السنة نور الله قلبه بنور
المعرفة ولا مقام اشرف من مقام متابعة الحبيب في اوامره وافعاله واخلاقه
وقال ابو اسحق الرقي من اقران الجنيد علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة
نبيه صلى الله عليه وسلم وعن غيره لا يظهر على احد شي من نور الايمان الا باتباع
السنة ومجانبة البدعة فاما من اعرض عن الكتاب والسنة ولم يتعلق العلم
من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام بدعواه علما لدنيا روحانيا بموافقته ملجا
به الرسول عن ربه تعالى فالعلم اللدني نوعان لدني رحماني ولدني شيطاني
والمحك هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم **واما قصة موسى**
مع الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغنا عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر يخرج
عن الاسلام موجب لاراقة الدم والفرق ان موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا
الى الخضر ولم يكن الخضر مامورا بمتابعته ولو كان مامورا بها لوجب عليه ان
يهاجر الى موسى ويكون معه ولهذا قال له انت موسى بني اسرايل قال نعم ومحمد صلى
الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين فرسالته عامة للجن والانس في كل زمان
ولو كان مع موسى وجوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه وليتشهد بشهادة
الحق فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اوليا
الله تعالى وانما هو من اوليا الشيطان وخلفايه ونوابه والعلم اللدني الرحماني
هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه ازكى الصلاة واتم التسليم
وبه يحصل الفهم في الكتاب والسنة بامر يختص به صاحبه كما قال علي ابن ابي طالب
وقد سيل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي دون الناس فقال لا

الا فهما يوتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي فاتباع هذا النبي الكريم
حياة القلب ونور البصاير وشفا الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وانس
المستوحشين • ودليل المتحيرين ومن علامة محبته ان يرضى مدعيها بما شرعه حتى
لا يجد في نفسه حرجا مما قضى الله قال الله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم
الايمان عن من وجد في نفسه حرجا من قضايه ولم يسلم قال شيخ المحققين
وامام المعرفين • تاج الدين ابن عطا الله الشاذلي اذاقنا الله حلاوة مشربه
في هذه الايه دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك
على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مومن في كليهما فاحكام
التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد واحكام التعريف
هو ما اورده عليك من فهم المراد فتبين من هذا انه لا يحصل لك حقيقة الايمان
الا بامرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه وتعالى لم يكتفي
بنفي الايمان عن من لم يحكم او حكم او وجد الحرج في نفسه حتى اقسم على ذلك بالر بوبيه
الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم رافة وعناية وتخصيصا ورعايه ولانه لم
يقل فلا والرب انما قال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك
تاكيد بالقسم وتاكيد في علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة
ووجوب النصر سوا كان الحق لها او عليها وفي ذلك اظهار العناية برسوله صلى الله
عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاه قضاه فاوجب على العباد الاستسلام لحكمه
والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان بالاهيته حتى يذعنوا لاحكام رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه به ربه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
فحكمه حكم الله وقضاوه قضا الله كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
يد الله فوق ايديهم وفي الاية اشارة اخرى الى تعظيم قدره وتفخيم امره صلى
الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وربك فاضاف نفسه اليه كما قال في الاية الاخرى
كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا فاضاف الحق نفسه سبحانه الى محمد صلى الله عليه
وسلم واضاف زكريا اليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين • وتفاوت ما بين المر
تبتين • ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مومنين بل اشترط
فقدان الحرج وهو الضيق والمومنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملا قلوبهم
فاتسعت وانشرحت وكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله

العظيم مهياة لواردات احكامه • مفوضة له في نقضه وابرامه • انتهى قال سهل
ابن عبد الله من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق
حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
وروينا عن سيدنا العارف الكبير ابي عبد الله القرشي انه قال حقيقة المحبة ان
تهب كلك لمن احببت ولا يبقى لك شي منك انتهى فمن اثر هذا النبي الكريم على نفسه
كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خفايا حقايق
اسرار نفسه ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام نصرة دينه بالقول
والفعل والذب عن شريعته والتخلق باخلاقه في الجود والايثار والحلم والصبر
والتواضع وغيرها مما ذكرته في اخلاقه العظيمة وتقدم في كلام العارف بن عطا الله
مزيد لذلك قريبا فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها
استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين واثر ذلك على اغراض الدنيا ومن
علامات محبته صلى الله عليه وسلم التسلي عن المصايب فان المحب يجد في لذة
المحبة ما ينسيه المصايب ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كانه قد اكتسى طبيعة
ثانيه ليست طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصايب
اعظم التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته والذوق والوجود شاهدان بذلك
فكرب المحبة ممزوج بالحلاوة فاذا فقد تلك الحلاوة اشتاق الى ذلك الكرب

كما قيل

• تشكى المحبون الصبابة ليتني • تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
• وكانت لقلبي لذة الحب كلها • فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره فمن احب شيا اكثر
ذكره وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس
ولغيره للمحب ثلاث علامات ان يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه وعمله
طاعة له وقال المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام
لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون وقد اجمع الحكما على ان من احب شيا
من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون
عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشي
الذ من ذكر المحبوب انتهى فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب
عن اللذات • وانقطعت اوهامهم عن دواعي الشهوات • ورقت الى معادن
الذخاير وبغية الطلبات • وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين • وباح الانين

وتحركت المواجيد وتغيرا اللون واستبسلت الجوارح وفتر البدن واقشعر الجلد وربما
صاح وربما بكا وربما شهق وربما وله وربما سقط ولسيدي محمد وفا

اذا اباح دم المهجور هاجره • باح المحب بما تخفي ضمائره
ايكتم الحب صب باح مدمعه • لما جرى بالذي تخفي سرائره
كانما قلبه اجفان مقلته • ودمعه في اماقيه خواطره
يا جيرة الجذع هل من جيرة لفتى • عليه في حكمه قد جار جائره
اه وكم لي على خطب الهوى خطب • من الغرام به تتلو منابره
مهفهف ابلج بدر على غصن • تخفى البدور اذا لاحت بوادره
مطرز الخد بالريحان في ضرج • مورد اسه تزهو ازاهره
مكمل الخلق ما تحصى خصائصه • منضر الحسن قد قلت نظائره

وربما زاد الوجد على المحب فقتله اول نقد من اثمان المحبة بذل الروح فما
للمفلس الجبان وسومها بدم المحب يباع وصلهم تالله ما هزلت فيستامها المفلسون
ولا كسدت فينفقها بالنسيئة المعسرون • لقد اسيمت للعرض في سوق من يزيد
فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس فتاخر البطالون • وقام المحبون ينظرون
ايهم يصلح ان يكون ثمنا فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد اذلة على المومنين
اعزة على الكافرين ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم تعظيمه عند ذكره
واظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه فكل من احب شيا خضع له
كما كان كثير من التابعين الصحابة بعده اذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم
وبكوا ولذلك كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقا او تهيبا
وتوقيرا قال ابو ابرهيم التجيبي واجب على كل مومن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع
ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان ياخذ به نفسه
لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا الله به وكان ايوب السختياني اذا ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم بكا حتى نرحمه وكان جعفر ابن محمد كثير الدعابة والتبسم فاذا
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى لونه كانه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه
في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله ابن الزبير اذا ذكر
عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكا حتى لا يبقى في عينيه دموع وكان الزهري من
اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانك ما عرفته
ولا عرفك وكان صفوان بن سليم من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده
النبي صلى الله عليه وسلم بكا فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركونه وكان

قادة

قتادة اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل اشار الى ذلك القاضي عياض ومن علامات
محبته صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق الى لقايه اذ كل حبيب يحب لقا حبيبه وبعضهم
المحبة الشوق الى المحبوب • وعن معروف الكرخي المحبة ارتياح اللذات المشاهدة
الصفات او مشاهدة اسرار الصفات فيرى بلوغ المسول ولو بمشاهدة الرسول ولهذا
كان الصحابة رضي الله عنهم اذا اشتد بهم الشوق وازعجهم لواعج المحبة قصدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واستشفوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه
والتبرك به صلى الله عليه وسلم وعن عبدة ابن خالد ابن معدان ما كان خالد ياوي
الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من
المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي
اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم ولما احتضر بلال نادت
امراته فقالت واحزناه • فقال واطرباه • غدا القا الاحبه • محمدا وصحبه •
اذا ذاق القلب طعم المحبة اشتاق وتاججت نيران المحبة والطلب في قلبه
ولا يجد صبرا عن محبوبه من اعظم كبايره • كما قيل
والصبر يحمد في المواطن كلها • الا عليك فانه لا يحمد •
وعن زيد ابن اسلم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فراى مصباحا
في بيت فاذا عجوز تنفش صوفا • وتقول •
على محمد صلاة الابرار • صلى عليه الطيبون الاخيار •
قد كنت قواما بكا بالاسحار • يا ليت شعري والمنايا اطوار
هل يجمعني وحبيبي الدار يعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي ثم اقام على
باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات فقال اعيدي على قولك فاعادته
بصوت حزين فبكا وقال لا تنسيه يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار
ويحكى انه رايت امراة فقالت عفرلي قيل لما ذا قال المحنتي لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا •
نستحي ان نذله بعتابنا • بل نجمع بينه وبين من يحبه ومن علامات
محبته صلى الله عليه وسلم حب القران الذي اوتي به وهدى واهتدى به وتخلق
به واذا اردت ان تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ورسوله فانظر محبة
القران من قلبك والتلذذ بسماعه اعظم من التلذذ بسماع الملاهي والغنا
والطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه احب شي
اليه كما قيل ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي • اما تاملت ما فيه من لذيذ خطابي

ويروي ان عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله
وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه • وهو غاية مطلوبه **قال النبي** صلى الله عليه وسلم لعبد
الله ابن مسعود اقرا علي قال اقرا عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري
فاستفتح وقرا سورة النساء حتى اذا ابلغ فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك
على هولا شهيدا قال حسبك ورفع راسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان
من البكا رواه البخاري وهذا انحد من سمع الكتاب العزيز باذن قلبه **قال الله تعالى**
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال
صاحب عوارف المعارف اذا اقنا الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق
الذي لا يختلف فيه انسان من اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع
ترد حرارته على برد اليقين فيفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن
حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يورث ندما والندم حار فاذا اثار
السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملو ببرد اليقين ابكى وادمع لان الحرارة
والبرودة اذا اصطدمتا عصرتا فاذا الم السماع بالقلب تارة يخف الما منه
فيظهر اثره في الجسد ويقشعر منه الجلد **قال** الله تعالى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويتصوب اثره اي يصعد نحو الدماغ
فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب اثره الى الروح فيموج منه الروح
موجا يكاد يضيق عنه نطاق القلب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب
وهذه كلها احوال تجدها اربابها من اصحاب الاحوال **وقد كان** ابن عمر رضي الله
عنهما يمر باية في ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين
حتى يعاد ويحسب مريضا **وكان** الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا
موسى ذكرنا ربنا فيقرا وهم يسمعون فللمحبين السماع القراني من الوجد والذوق
واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما للمحبين السماع الشيطاني فاذا رايت ذوقه
ووجده وطربه ونشاته في سماع الابيات دون سماع الالحان دون سماع القران

• **كما قيل** •

• تقرا عليك الختمة وانت جامد كالحجر • وبيت من الشعر يميل كالنشوان •

فاعلم ان هذا من اقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله ادام الله تعالى
لنا حلاوة محبته • ولا سلك بنا في غير سبيل سنته • بمنه ورحمته • **ومن
علامات محبته صلى الله عليه وسلم** محبة سنته وقراة حديثه فان
من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله او من حديث رسوله

صلى الله

67

صلى الله عليه وسلم تشعر بها روحه ونفسه وقلبه

• **ويقول** •

• اشم منك نسيما لست اعرفه • اظن لمياء جرت فيك اردانا •

فتعمه تلك الكلمة وتشمله فيصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل
بالكل ويبصر الكل بالكل •

• **ويقول** •

• لي حبيب خياله نصب عيني • سره في ضمايري مدفون •
• ان تذكرته فكلي قلوب • او تاملته فكلي عيون •

فحينئذ يستنير قلبه • ويشرق سره • وتتلاطم عليه امواج التحقيق عند ظهور
البراهين ويرتوي بري عطف محبوبه الذي لا شي اروى لقلبه من عطفه عليه ولا
شي اشد للمهيبة وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب اهل النار باحتجاب
ربهم عنهم اشد عليهم من العذاب الجسماني كما ان نعيم اهل الجنة برويته تعالى وسماع
خطابه ورضاه واقباله اعظم من النعيم الجسماني لا احرمنا الله ذوق حلاوة
هذا المشرب **ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم** ان يلتذ محبه بذكره
الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه
وروحه وسمعه وسببه هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك
المحبوب عليه الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا
كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فاذا كان العقل قويا مستحكما
لم يتغير لذلك وان كان ضعيفا احدث السكر المخرج له عن حكمه وقد حد السكر بانه
بانه سقوط التمالك في الطرب كانه يبقي في السكران بقية يلتذ بها ويطرب فلا
يتمالك صاحبها ولا يقدر ان يفني معها وقد يكون سبب السكر قوة الفرح بادراك
المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير افعاله بحيث يزول عقله ويعربد اعظم
من عربدة شارب الخمر وربما قتله سكر هذا الفرح بسبب طبيعي وهو انبساط دم
القلب وهلة واحدة انبساطا غير معتاد والدم هو الحار الغريزي فيبرد القلب
بسبب انبساط الدم فيحدث الموت **ومن هذا قول** سكران الفرح بوجود
راحلته في المفازة بعد ان استشعر الموت اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من
شدة فرحه وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب فصور في نفسك حال فقير معدم
عاشق للدنيا اشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه امنا مطمينا كيف يكون
سكرته او من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى اضر به العدم فقدم
عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب اضعافه **ومن اقوى** اسباب ما نحن
فيه سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المطربة المعربة اذا

صادفت محلا قابلا فلا تسال عن سكرة السامع وهذا السكر يحدث عند لامن جهتين احداهما
انها في نفسها توجب لذة قوية يتغمر منها العقل الثانية انها تحرك النفس الي نحو محبوبها وجهته
فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل للمحبوب واحضاره في النفس وادناصورته
الي القلب واستيلا بها علي الفكر لذة عظيمة تغمر العقل فيجتمع لذة الالحان ولذة الاشجان
فسكر الروح سكرا عجيبا اطيب والذ من سكر الشراب ويحصل به نشاة الذ من نشاة
الشراب **وقد ذكر** الامام احمد وغيره ان الله تعالي يقول لداود مجدني بذلك الصوت
الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا ارده عليك فيقوم
عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة من ذلك
اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الي ذلك رؤية وجهه الكريم
التي يغنيهم لذة رؤيته عن الجنة ونعيمها فامر لا تدركه العبارة • ولا تحيط به الاشا ره
وهذه صفة لا تلج كل اذن وصب لا يجي به كل رمن وعين لا يشرب منها كل وارد
وسماع لا يطرب عليه كل سامع وموايد لا يجلس عليها كل طفيلي اسار اليه في المدارج فمن
اتصف بهذه العلامات التي ذكرتها فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالف بعضها
فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه السلام للذي حد في الخمر
لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يوتي به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فانه
يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه وفيه الرد علي من زعم ان من ارتكب الكبيرة
كافر لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الامر بالدعا له وفيه انه لا تنافي بين ارتكاب
النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب وان من تكررت منه المعصية
لا تنزع محبة الله ورسوله منه ويحتمل ان يكون استمرار ثبوت محبة الله ورسوله
في قلب العاصي مقيدا بما اذا ندم علي وقوع المعصية او اذا اقيم عليه الحد فكفر عنه
الذنب المذكور بخلاف من لم يقع منه ذلك فانه يخشي بتكرار الذنب ان يطبع
علي قلبه حتي يسلب منه ذلك اسال الله العفو والثبات علي محبته وسلوك
سنته بمنه ورحمته **تنبيه** وقد اختلف العلما ايما ارفع درجة درجة المحبة
او درجة الخلة **فحكي** القاضي عياض ان بعضهم جعلهما سوا فلا يكون الحبيب
الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم
بالمحبة **قال** بعضهم درجة الخلة ارفع واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام
لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها
واسامة انتهي وهذا هو الظاهر من المعني لا خص لان المحبة ماخوذة من
معني الخلة لكن يرد ما روي في قصة الاسرا في مناجاته صلى الله عليه وسلم

لربه تعالي حيث قال له تعالي يا محمد سل فقال يا رب انك اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت
موسي تكليما فقال له تعالي الم اعطك خيرا من هذا الي قوله واتخذتك حبيبا او ما في
معناه رواه البيهقي بنحوه وهذا يعطي ان درجة المحبة ارفع وقد احتج من قال بتفضيل
مقام المحبة علي الخلة بفروق كثيرة ذكر القاضي عياض في الشفا منها نقلا عن الامام
ابي بكر ابن فورك عن بعض المتكلمين نبذة **ومنها** ان الخليل يصل بالواسطة من قوله
تعالي وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات الي اخره والحبيب يصل اليه به من قوله تعالي
وكان قاب قوسين او ادني **ومنها** ان الخليل هو الذي تكون مغفرته ولا تخزني والحبيب قيل
له يوم لا يخزي الله النبي **ومنها** ان الخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له
يا ايها النبي حسبك الله **ومنها** ان الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع من
قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد
اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر **وفي كتابي تحفة**
السامع والقاري بختم صحيح البخاري وجوه اخري غير ما حكاه القاضي عياض وفي
كلها نظر واضح كما بينته في حاشية الشفا وذلك ان مقتضي الفرق بين الشيئين
ان تكون في حد ذاتهما يعني باعتبار ما صدق لولي خليل وحبيب وما حكاه القاضي عياض
وذكرته في التحفة يقتضي تفضيل ذات محمد صلى الله عليه وسلم علي ذات ابرهيم
عليهما السلام لا يقال باعتبار ثبوت وصف الخلة له فيلزم لذلك لانا نقول
كل منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة اذ لا يسلب عن ابرهيم عليه السلام وصف
المحبة لا سيما والخلة اخص من المحبة ولا يسلب عن نبينا صلى الله عليه وسلم وصف الخلة
لا سيما وقد ثبت في حديث ابي هريرة قول الله تعالي له اني اتخذتك خليلا وقد قام
الاجماع علي افضل نبينا صلى الله عليه وسلم علي جميع الانبيا بل هو افضل خلق الله مطلقا
واما قوله ان الخليل يصل بواسطة فلا يفيد غرضا في هذا المقام الذي هو بصدده
وليس المراد به قطعا الا الوصول الي المعرفة اذ الوصول الحسي يمتنع علي الله تعالي
واما قوله والحبيب يصل اليه به فالوصول الي الله لا يكون الا به حبيبا كان او
خليلا **واما قوله** والخليل هو الذي يكون مغفرته في حد الطمع الي اخره فانه لا يصح
ان تكون علي جهة التفسير للخليل ولا تعلق له بمعناه وقصاري ما ذكر انه يعطي
تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم علي ابرهيم عليه السلام في حد ذاته من غير نظر الي
ما جعله علة معنوية في ذلك من وصف المحبة والخلة والحق ان الخلة اعلا
واكمل والافضل من المحبة **قال ابن القيم** واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة
اكمل من الخلة وان ابرهيم خليل الله ومحمدا حبيب الله فهو من جهله فان المحبة

عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة قال وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعايشة ولابيها ولعمر ابن
الخطاب وغيرهم وايضا فانه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين
ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلة خاصة بالخليلين قال انما
هذا من قلة العلم والفهم عن الله تعالى ورسوله انتهى قال الشيخ بدر الدين
الزركشي في شرحه لبردة الابوصيري وزعم بعضهم ان المحبة افضل من الخلة وقال
محمد حبيب الله وابرهيم خليل الله وضعف بان الخلة خاصة وهو توحيد المحب
والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين قال وقد صح ان الله تعالى
اتخذ نبينا خليلا فقال ان الله تعالى اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا انتهى

الفصل الثاني في حكم الصلاة عليه والتسليم فرضيته وفضيلة وصفة ومحلا

قال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال ابو العالية
معنى صلاة الله على نبيه ثناوه عليه عند الملايكة ومعنى صلاة الملايكة عليه الدعا
قال في فتح الباري وهذا اولى الاقوال فيكون معنى صلاة الله عليه ثناوه عليه
وتعظيمه وصلاة الملايكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة
لا طلب اصل الصلاة وعن ابن عباس ان معنى صلاة الرب الدعا بالبركة
وروى ابن ابي حاتم عن مقاتل ابن حيان قال صلاة الله مغفرته وصلاة
الملايكة الاستغفار وقال الضحاك ابن مزاحم صلاة الله رحمته وفي
رواية عنه مغفرته وصلاة الملايكة الدعا اخرجهما اسمعيل القاضي
عنه وكانه يريد الدعا بالمغفرة ونحوها وقال المبرد الصلاة من
الله الرحمة ومن الملايكة رقة تبعث على استدعا وتعقب بان الله تعالى
غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه وتعالى اوليك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة ولذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى صلوا
عليه وسلموا تسليما حتى سالوا عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة
في تعليم السلام حيث جا بلفظ السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
واقرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم
قد علمتم ذلك في السلام وجوز الحليمي ان تكون الصلاة بمعنى السلام عليه
وفيه نظر وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته
على انبيايه هي ما تقدم من الثنا والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة

فهي

فهي التي وسعت كل شي وحكى القاضي عياض عن بكر القشيري انه قال الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دونه النبي رحمة
وبهذا انظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين ساير المومنين حيث قال
ان الله وملايكته يصلون على النبي وقال قبل ذلك في السورة المذكورة هو الذي
يصلي عليكم وملايكته ومن المعلوم ان القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك ارفع مما يليق بغيره والاجماع منعقد على ان في هذه الاية من تعظيم
النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها وقال الحليمي في الشعب
معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على
محمد اعظم محمدا المراد تعظيمه في الدنيا باعلا ذكره واظهار دينه وابقا شريعته
وفي الاخرة باجزال مثوبته وتشفيعه في امته وابدا فضيلته بالمقام المحمود
وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما ادعوا ربكم بالصلاة
على النبي ولا ينكر عليه عطف اله وازواجه وذريته عليه فانه لا يمتنع
ان يدعى لهم بالتعظيم اذ تعظيم كل احد بحسب ما يليق به وما تقدم عن
ابي العالية اظهر فانه يحصل به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة الى الله
والى ملايكته والى المومنين المامورين بذلك بمعنى واحد ويويده انه لا خلاف
في جواز الترحم على غير الانبيا واختلف في جواز الصلاة على غير الانبيا
ولو كان معنى قول اللهم صل على محمد ارحم محمدا او ترحم على محمد لجاز لغير الانبيا وكذا
لو كان بمعنى البركة وكذلك الرحمة لسقط الوجوب في التشهد عند من يوجبه
بقول المصلي في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ويمكن
الانفصال عنه بان ذلك وقع بطريق التعبد فلا بد من الاتيان به ولو سبق
الاتيان بما يدل عليه فان قلت فاي وقت وقع الامر بالصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم فالجواب كما قاله ابو ذر الهروي انه وقع في السنة الثانية
من الهجرة وقيل في ليلة الاسرا وقيل ان شهر شعبان شهر الصلاة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم لان اية الصلاة يعني ان الله وملايكته يصلون على النبي
نزلت فيه والله اعلم قال الحليمي والمقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال امره تعالى وقضاء حق النبي صلى الله عليه
وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال في كتابه المسمى شجرة المعارف
ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله
ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا فان عجزنا عنها كافاناه بالدعا فارشدنا

الله تعالى لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا الى الصلاة عليه وذكر نحوه عن الشيخ ابي محمد المرجاني
وقال ابن المغربي فايدة الصلاة عليه ترجع الى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك
على نصوح العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام
للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم واختلف في حكم الصلاة عليه • صلوات الله وسلامه
عليه • على اقوال احدها انها تجب في الجملة بغير حصر لكن اقل ما يحصل به الاجزاء مرة
الثاني يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد قاله القاضي ابو بكر ابن بكير من المالكيه
وعبارته كما قاله القاضي عياض افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه صلى الله
عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا
يغفل عنها الثالث تجب كلما ذكر قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة
من الشافعيه وقال ابن العربي من المالكيه انه الاحوط وكذا قال الزمخشري.
واستدلوا لذلك بحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فمات فدخل النار فابعده الله
اخرجه ابن حبان من حديث ابي هريرة وحديث رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي رواه
الترمذي من حديث ابي هريرة وصححه الحاكم وحديث شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل علي
اخرجه الطبراني من حديث جابر لان الدعا بالرغم والابعاد والشقا يقتضي الوعيد
على الترك والوعيد على الترك من علامات الوجوب ومن حيث المعنى ان فايدة الامر بالصلاة
عليه مكافاة على احسانه واحسانه مستمر فيتاكد اذا ذكر واستدلوا ايضا بقوله
تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلى عليه
كان كاحاد الناس واجاب من لم يوجب ذلك باجوبة منها انه قول لا يعرف عن
احد من الصحابة ولا التابعين فهو قول مخترع ولو كان ذلك على عمومه للزم المؤذن
اذا اذن وكذا سامعه وللزم القاري اذا مر باية فيها ذكره عليه السلام في القران
وللزم الداخل في الاسلام اذا تلفظ بالشهادتين ولكان في ذلك من المشقة والحرج
ما جاءت الشريعة المطهرة السمحة بخلافه ولكان الثنا على الله تعالى كلما ذكر احق بالوجوب
ولم يقولوا به وقد اطلق القدوري وغيره من الحنفية ان القول بوجوب الصلاة
كلما ذكر مخالف للاجماع المنعقد قبل قايله لانه لا يحفظ عن احد من الصحابة
انه خاطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ولانه لو
كان كذلك لما تفرغ لعبادة اخرى واجابوا عن الاحاديث بانها خرجت مخرج
المبالغة في تاكيد ذلك وطلبه وفي حق من اعتاد ترك الصلاة عليه ديدنا وبالجملة
فلا دلالة على وجوب تكرره ذلك بتكرر ذكره صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد انتهى
ملخصا والله اعلم الرابع في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه الزمخشري الخامس

في كل

في كل مجلس مرة ولو تكرر ذلك مرارا حكاه الزمخشري دعا حكاه ايضا السادس انها من
المستحبات وهو قول ابن جرير الطبري وادعى الاجماع على ذلك واحتج على ذلك مع ورود
صيغة الامر بذلك بالاتفاق من جميع المتقدمين والمتاخرين من علما الامة على ان
ذلك غير مستلزم فرضيتها حتى يكون تارك ذلك عاصيا فدل على ان الامر فيه للندب
ويحصل الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلاة قال في فتح الباري وما
ادعاه من الاجماع معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية ذلك في الصلاة اما بطريق
الوجوب واما بطريق الندب ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف الا ما اخرجه ابن ابي
شيبه والطبري عن ابرهيم النخعي انه كان يرى ان قول المصلي في التشهد السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته يجزي عن الصلاة ومع ذلك انما ادعى اجزا السلام
عن الصلاة السابع تجب في العمر مرة في الصلاة او غيرها ككلمة التوحيد قاله
ابو بكر الرازي من الحنفيه الثامن تجب في الصلاة من غير تعيين للمحل ونقل
ذلك عن ابي جعفر الباقر التاسع تجب في التشهد وهو قول الشعبي واسحق
ابن راهويه العاشر تجب في القعود اخر الصلاة بين قول التشهد وسلام
التحلل قاله الشافعي ومن تبعه واستدل لذلك بما رواه اصحاب السنن وصححه
الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن ابي مسعود البدري انهم قالوا يا رسول الله اما السلام
عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا فقال قولوا اللهم
صلي على محمد وعلى ال محمد الحديث ومعنى قولهم اما السلام عليك فقد عرفناه هو
الذي في التشهد الذي كان قد علمهم اياه كما يعلمهم السورة من القران وفيه السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ورواه الشافعي في مسنده عن ابي هريرة بمثله
وقد احتج بهذه الزيادة جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة والبيهقي لايجاب الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد بعد التشهد وقبل السلام وقال الشافعي
في الام فرض الله الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملايكته
يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولم يكن فرض الصلاة
عليه في موضع اولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة عن النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك اخبرنا ابرهيم ابن محمد حدثنا صفوان ابن سليم عن ابي سلمة ابن عبد الرحمن عن
ابي هريرة انه قال يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال تقولون اللهم
صلى على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم الحديث اخبرنا ابرهيم بن محمد حدثني سعد
ابن اسحق ابن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى عن كعب بن عجرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم

وال ابرهيم الحديث **قال الشافعي** فلما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد
في الصلاة **وروي** انه علمهم كيف يصلون عليه في الصلاة لم يجز ان نقول التشهد
في الصلاة واجب والصلاة عليه وفيه غير واجبة **وقد تعقب** بعض المخالفين
هذا الاستدلال من اوجه احدها ضعف ابرهيم ابن محمد بن ابي يحيى والكلام فيه مشهور
الثاني على تقدير صحته فقوله في الاول يعني في الصلاة لم يصرح بالقايل يعني الثالث
قوله في الثاني انه كان يقول في الصلاة وان كان ظاهره ان المراد الصلاة المكتوبة
لكنه يحتمل ان يكون المراد بقوله في الصلاة اي في صفة الصلاة وهو احتمال
قوي لان اكثر الطرق عن كعب بن عجرة يدل على ان السوال وقع في صفة الصلاة
لا عن محلها **الرابع** ليس في الحديث ما يدل على تعيين ذلك في التشهد خصوصا
بينه وبين السلام وقد اطنب قوم من متاخري المالكية وغيرهم في التشنيع على
الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة وزعم انه قد تفرد بذلك **وحكى** الاجماع
على خلافه منهم ابو جعفر الطبري والطحاوي وابن المنذر والخطابي **وحكى** القاضي
عياض في الشفا مقالاتهم وقد عاب عليه غير واحد وقالوا كان ينبغي سكوته عنها
لان مبنى تاليفه الشفا على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم واداء حقوقه والقول
بوجوب الصلاة عليه في الصلاة من غرض المبالغة في تعظيمه وقد استحسن القول
بطهارة فضلاته مع ان الاكثر على خلافه لكنه استجاده لما فيه من الزيادة في تعظيمه
وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه وهي من جنس الصلاة ومقتضياتها واذا
شرع الاسلام فيها على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين فكيف لا تجب الصلاة على
سيد المرسلين وقد انتصر جماعة كثيرة من العلما الاعلام للشافعي كالحافظ عماد
الدين ابن كثير والعلامة ابن القيم وشيخ الاسلام والحفاظ ابي الفضل ابن حجر
وتلميذه شيخنا الحافظ وغيرهم ممن يطول عددهم واستدلوا لذلك بادلة نقلية
ونظرية ودفعوا دعوى الشذوذ فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة
منهم ابن مسعود وابو مسعود البدري وجابر بن عبد الله ونقله اصحاب
الشافعي عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومن التابعين الشعبي فيما رواه
البيهقي كما سياتي وكذا ابو جعفر الباقر ومقاتل واخرج الحاكم بسند قوي عن
ابن مسعود قال يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو
لنفسه **قال** الحافظ ابن حجر وهذا اقوى شي يحتج به للشافعي فان
ابن مسعود ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد في الصلاة وانه
قال ثم ليتخير من الدعا ما شا فلما ثبت عن ابن مسعود الامر بالصلاة

عليه

عليه قبل الدعا دل على انه اطلع على زيادة ذلك بين التشهد والدعا
واندفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب اليه الشافعي مثل ما ذكره
القاضي عياض قال وهذا التشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه
ذكر الصلاة وفي جزء الحسن ابن عرفة مرفوعا واخرج المعمري في عمل يوم وليلة
عن ابن عمر بسند جيد قال لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة علي واخرج البيهقي
في الخلافيات بسند قوي عن الشعبي وهو من كبار التابعين قال كنا نعلم التشهد
فاذا قال واشهد ان محمدا عبده ورسوله يحمد ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم يسال حاجته **وفي حديث** ابي جعفر عن ابن مسعود مرفوعا من
صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه **قال** الدارقطني الصواب انه
من قول ابي جعفر محمد بن علي ابن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه
وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم لكن راويه عن ابي جعفر جابر الجعفي وهو ضعيف
كذا في الشفا **وقد وافق** الشافعي من فقها الامصار احمد في احدى الروايتين عنه
وعمل به اخيرا كما حكاه عنه ابو زرعة الدمشقي فيما ذكره الحافظ ابن كثير
واوجب اسحاق ابن راهويه الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان **و**المشهور
عن احمد انها تبطل بتركها عمدا او سهوا وعليه اكثر اصحابه حتى ان بعض ايمة
الحنابلة اوجب ان يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم ان يقولوا
لما سالوه كما ذكره ابن كثير **ووافق** الخرقي اسحاق في التقييد بالعمد دون السهو
والخلاف ايضا عند المالكية كما ذكره ابن الحاجب في سنن الصلاة ثم قال على
الصحيح فقال شارحه ابن عبد السلام يريد ان في وجوبها قولان وهو ظاهر كلام
الامام ابن المواز وبه صرح عنه ابن القصار وعبد الوهاب كما في الشفا بلفظ
انه يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي **قال وحكى** ابو يعلى العبدي المالكي
عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب **ورايت**
فيما عزي للقاضي ابي بكر ابن العربي في سراج المريدين قال ابن المواز والشافعي
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من فرائض الصلاة وهو الصحيح انتهى
وقد يلزم القايل من الحنفية بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر كالطحاوي
ونقله السروجي في شرح الهداية عن اصحاب المحيط والعقد والتحفة
من كتبهم ان يقولوا بوجوبها في التشهد لتقدم ذكره صلى الله عليه وسلم
في اخر التشهد في قوله واشهد ان محمدا رسول الله لكن لهم ان يلتزموا
ذلك ولا يجعلونه شرطا في صحة الصلاة ولم يخالف الشافعي احد من
اصحابه في ذلك بل قال بعض اصحابنا بوجوب الصلاة على آله كما حكاه
البندنيجي والدارمي ونقله امام الحرمين والغزالي قولا عن الشافعي

قال الحافظ ابن كثير والصحيح انه وجه على ان الجمهور على خلافه وللقول
بوجوبه ظهور للحديث واما مخالفة الخطابي من اصحاب الشافعي للشافعي
فلا تعتد به لمقتضى الامر المحمول على الوجوب اجماعا واولى احواله الصلاة
ولا مانع من احتمال كونه مرادا واما قوله ولا اعلم له فيها قدوة فيقال عليه
لا ريب ان الشافعي قدوة يقتدى به والمقام مقام اجتهاد فلا افتقار له فيه
الى غيره واما قوله في الشفا والدليل على انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف
الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه ففيه نظر لانه ان اراد بالعمل الاعتقاد فيحتاج
الى نقل صريح عنهم بان ذلك ليس بواجب وانى يوجد ذلك واما قوله وقد
شنع الناس عليه يعني الشافعي هذه المسئلة جدا فلا معنى له واي شناعة في
ذلك ولم يخالف فيه نصا ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة بل القول بذلك
من محاسن مذهبه ولا ريب ان القايل بجواز ترك الصلاة على افضل خلق الله
في الصلاة التي هي راس العبادة المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها
والثنا عليه اولى بالتشنيع واما نقله الاجماع فقد تقدم ما فيه واما
قوله ان الشافعي اختار تشهد ابن مسعود فلم يقل به احد والشافعي انما
اختار تشهد ابن عباس كما ياتي ان شا الله تعالى في مقصد عباداته صلى
الله عليه وسلم وقد استدل للوجوب بما اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي
وصححه وكذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة بن عبيد قال سمع النبي
صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه اليه فقال اذا صلى احدكم فليبدا بالتحميد
لله والثنا عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شا
قلت ومما يعد من كرامات امامنا الشافعي وسره الساري ان القاضي
عياضا ساق هذا الحديث بسنده من طريق الترمذي من غير ان يطعن في سنده
بعد قوله فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد وقبل الدعا
وهذا الحديث كما ترى من اعظم الادلة لنا فان قال قايل ليس كلام فيه
دلالة لانه قال فيه سمع رجلا يدعو في صلاته ولم يقل في تشهده يجاب
بانه يلزم على هذا ان القاضي عياضا ساقه في غير محله لانه عقد الفصل
كما قدمته لبيان مواطن استحباب الصلاة ثم قال ومن ذلك في تشهد الصلاة
وفي مصابيح البغوي من حديث فضالة بن عبيد هذا ما يدل على انه كان
في التشهد ولفظه قال دخل رجل فقال اللهم اغفر لي وارحمني
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلي اذا صليت

فقعدت

فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل علي ثم ادعه وفي قوله عجلت استلواح
فوات الكمال عن الحقيقة المجزئه اذ لو كانت مجزئة لما حسن اللوم والتعليم
بصيغة الامر فان قال انه في مقام تعليم المستحبات اذ لو كان في الواجبات لامره بالاعادة
كامر المسيء صلاته يجاب بان في قوله هذه اغنية عن الامر بالاعادة لانه حيث
علمه ما هو الواجب علم قطعا انه لم يات به اولا فلم يكن اتيا به فوجب اعادته وهم
اهل الفهم والعرفان فان قال ان قوله فقعدت يحتمل ان يكون عطفا على مقدر تقديره
اذا صليت وفرغت فقعدت للدعا فاحمد الله يجاب بان الاصل عدمه وانما هو عطف
على المذكور اي اذا كنت في الصلاة فقعدت للتشهد فاحمد الله اي اثن عليه بقولك
التحيات الخ والله تعالى اعلم وقال الجرجاني من الحنفية وغيره لو كان فرضا للزم
تاخير البيان عن وقت الحاجة لانه عليه الصلاة والسلام علمهم التشهد وقال فليتخير
من الدعا ما شا ولم يذكر الصلاة عليه واجيب باحتمال ان لا تكون فرضت
حينئذ وقال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي قد ورد هذا في الصحيح
بلفظ ثم ليتخير من الدعا وثم للتراخي فدل على انه كان هناك شي بين التشهد والدعا
انتهى وقد اطنب الشيخ ابو امامة ابن النقاش في تفسيره في الانتصار للشافعي
في هذه المسئلة بما يطول ذكره فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل واما
صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فعن عبد الرحمن ابن ابي ليلى قال لقيني
كعب ابن عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا
فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى ال محمد كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد رواه البخاري ومسلم والترمذي
وابو داود والنسائي فان قلت كيف يطابق قوله اللهم صل على محمد قوله كما صليت
على ال ابراهيم اجاب القاضي عياض بان الال مقحم كما في قوله
عليه الصلاة والسلام في ابي موسى انه اعطي مزمارا من مزامير ال داود ولم يكن
له ال مشهور بحسن الصوت وقد روى هذا الحديث ابن ابي حاتم بلفظ لما نزلت
ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
قال قلنا يا رسول الله فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وبارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
وقال عبد الرحمن ابن ابي ليلى يقول وعلينا معهم وعن ابي حميد الساعدي
انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد
وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته

كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد رواه الامام احمد وعن ابي مسعود الانصاري
اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له
بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يساله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام
كما قد علمتم رواه مالك ومسلم وغيرهما فان قلت ما موقع التشبيه في قوله
كما صليت على آل ابراهيم مع ان المقرر ان المشبه دون المشبه به والواقع هنا
عكسه لان محمدا صلى الله عليه وسلم وحده افضل من آل ابراهيم ومن ابراهيم ولا سيما
وقد اضيف اليه آل محمد وقضيته كونه افضل ان تكون الصلاة المطلوبة افضل
من كل صلاة حصلت او تحصل لغيره فقد اجاب العلماء عنه باجوبة كثيرة منها
انه عليه الصلاة والسلام قال ذلك قبل ان يعلم انه افضل من ابراهيم وقد
اخرج مسلم من حديث انس ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية
قال ذاك ابراهيم وتعقب بانه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه بعد ان
علم انه افضل ومنها انه قال ذلك تواضعا وشرع ذلك لامته ليكتسبوا
بذلك الفضيلة ومنها ان التشبيه انما هو لاصل الصلاة باصل الصلاة لا للقدر
بالقدر فهو كقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وهو كقول القائل
احسن الى ولدك كما احسنت الى فلان ويريد بذلك اصل الاحسان لا قدره
ومنه قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك ورجح هذا القول القرطبي
في المفهم ومنها ان قوله اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه فيكون
متعلقا بقوله وعلى آل محمد وتعقب بان غير الانبياء لا يمكن ان يساووا الانبيا
فكيف يطلب لهم صلاة مثل الصلاة التي وقعت لابراهيم والانبيا من آله
ويمكن الجواب عنه بان المطلوب الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات
التي كانت سببا للثواب وقد نقل العمراني في البيان عن الشيخ ابي حامد
انه نقل هذا الجواب عن نص الشافعي واستبعد ابن القيم صحة ذلك عن
الشافعي لانه مع فصاحته ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا الكلام
المستلزم هذا التركيب الركيك البعيد من كلام العرب كذا قال وتعقبه
الحافظ ابن حجر فقال ليس التركيب المذكور ركيكا بل التقدير اللهم صل
على محمد وصل على آل محمد كما صليت الخ فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة
الثانية ومنها رفع المقدمة المذكورة اولا وهي ان المشبه به يكون
ارفع من المشبه وان ذلك ليس مطردا بل قد يكون التشبيه بالمثل

بل بالدون كما في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة وابن يقع نور المشكاة من نوره
تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به ان يكون شيئا ظاهرا واضحا للسامع حسن
تشبيه النور بالمشكاة وكذا هنا لما كان تعظيم ابراهيم وآل ابراهيم بالصلاة
عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوائف حسن ان يطلب لمحمد وآل محمد بالصلاة
عليهم مثل ما حصل لابراهيم وآل ابراهيم ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله
في العالمين اي كما اظهرت الصلاة على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين ولهذا
لم يقع في العالمين الا في ذكر ابراهيم دون ذكر آل محمد على ما وقع في الحديث الذي
وردت فيه وهو حديث ابي مسعود الانصاري الذي ذكرته وهذا معنى قول الطيبي
وليس التشبيه المذكور من باب الحاق الناقص بالكامل لكن من باب الحاق ما لم
يشتهر بما اشتهر وقال النووي احسن الاجوبة ما نسب الى الشافعي ان التشبيه
لاصل الصلاة باصل الصلاة او للمجموع بالمجموع وقال ابن القيم بعد ان زيف
اكثر الاجوبة الا تشبيه المجموع بالمجموع واحسن منه ان يقال هو صلى الله عليه وسلم
من آل ابراهيم وقد ثبت عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال محمد من آل ابراهيم فكانه امرنا ان نصلي على محمد
وعلى آل محمد خصوصا بقدر ما صلينا عليه مع ابراهيم وآل ابراهيم عموما فيحصل لآله
ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له وذلك القدر ازيد مما لغيره من آل ابراهيم
ويظهر حينئذ فائدة التشبيه وان المطلوب له بهذا اللفظ افضل من المطلوب
لغيره من الالفاظ وقال الحليمي سبب هذا التشبيه ان الملائكة قالت في بيت
ابراهيم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد وقد علم ان محمدا وآل محمد
من اهل بيت ابراهيم فكانه قال اجيبوا دعا الملائكة الذين قالوا ذلك في محمد
وآل محمد كما اجبتها عندما قالوها في آل ابراهيم الموجودين حينئذ ولذلك ختم
بما ختم به الاية وهو قوله انك حميد مجيد ومما يعزى للعارف الرباني بن محمد
المرجاني انه قال وسر قوله صلى الله عليه وسلم كما صليت على ابراهيم وكما باركت
على ابراهيم ولم يقل كما صليت على موسى لان موسى عليه الصلاة والسلام كان التجلي
له بالجلال فخر موسى صعقا والخليل عليه الصلاة والسلام كان التجلي
له بالجمال لان المحبة والخلة من آثار التجلي بالجمال فلهذا امرهم
صلوات الله وسلامه عليه ان يصلوا عليه كما صلى على ابراهيم ليسالوا له
التجلي بالجمال وهذا لا يقتضي التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات
الله وسلامه عليهما لانه انما امرهم ان يسالوا له التجلي بالوصف الذي
تجلى به للخليل عليه الصلاة والسلام فالذي يقتضيه الحديث المشاركة
في الوصف الذي هو التجلي بالجمال ولا يقتضي التسوية في المقامين ولا

الرتبتين فان الحق سبحانه يتجلى بالجمال للشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا
في وصف التجلي بالجمال فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده ورتبته
منه ومكانته فيتجلى للخليل عليه الصلاة والسلام بالجمال بحسب مقامه ويتجلى
لسيدنا صلى الله عليه وسلم بالجمال بحسب مقامه فعلى هذا الفهم الحديث انتهى.
فان قلت ما المراد بآل محمد في هذا الحديث فالجواب ان الراجح
انهم من حرمت عليهم الصدقة كما نص عليه الشافعي واختاره الجمهور ويؤيده
قوله عليه الصلاة والسلام للحسن بن علي انا آل محمد لا تحل لنا الصدقة وقيل المراد بآل
محمد ازواجه وذريته وقيل المراد بهم جميع الامة امة الاجابة حكاه ابو الطيب الطبري
عن بعض الشافعية ورجحه النووي في شرح مسلم وقيده القاضي حسين بالاتقياء منهم
وعليه يحمل كلام من اطلق ويؤيده ما رواه تمام في فوائده والديلمي عن انس قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي من امة محمد صلى الله عليه وسلم
زاد الديلمي ثم قرأ ان اولياؤه الا المتقون واسنادهما ضعيف لكن ورد ما يشهد
لذلك في الصحيحين بحديث ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح
المومنين انتهى ملخصا وقد استدل العلماء بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه
هذه الكيفية بعد سؤالهم عنها بانها افضل كيفيات الصلاة عليه لانه لا يختار
لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك لو حلف ان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم افضل الصلاة فطريق البر ان ياتي بذلك هكذا صوبه النووي في
الروضة بعد ذكر حكاية الرافعي عن ابراهيم المروزي انه قال يبر اذا قال
كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عن ذكره الغافلون قال النووي وكانه اخذ
ذلك من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية يعني في خطبة الرسالة ولكن بلفظ
غفل بدل سهى وقال الاذرعي ابراهيم المذكور كثير النقل من تعليقه القاضي
حسين ومع ذلك فالقاضي قال في طريق البر ان يقول اللهم صل على محمد
كما هو اهله ويستحقه وكذا نقله البغوي في تعليقه ولو جمع بينها فقال ما في
الحديث واضاف اليه اثر الشافعي وما قاله القاضي لكان اشمل ولو قيل انه
يعمد الى جميع ما اشتملت عليه الروايات الثابتة فيستعمل منها ذكرا يحصل
منه البر لكان حسنا وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم وقد يستدل بهذا الحديث
من ذهب الى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول
الجمهور ويعضده حديث الاعرابي الذي قال اللهم ارحمني وارحم محمدا

ولا

ولا ترحم معنا احدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حجرت واسعا
وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه قال واجازه ابو محمد ابن ابي زيد انتهى
وسياتي ما في ذلك من البحث ان شاء الله تعالى في المقصد التاسع عند الكلام
على التشهد وعن سلامة الكندي ان عليا كان يعلم الناس هذا الدعاء وفي لفظ
يعلم الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحي المدحوات
وباري المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد
عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ
لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا
لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله
تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم ابهج موضحات
الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك
المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له
في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز
ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم
مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة
مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم حديث موقوف
رواه الطبراني لكن قال الحافظ ابن كثير في سنده نظر قال وقال شيخنا الحافظ ابو
الحجاج المزي سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا انتهى قال وقوله
داحي المدحوات اي باسط الارض وكل شيء بسطته ووسعته فقد دحوته
وباري المسموكات اي خالق السموات وكل شيء رفعته واعليته فقد سمكته
والدامغ لجيشات الاباطيل اي المهلك لما نجم وارتفع منها وفار واصل
الدمغ من الدماغ دمغه اصاب دماغه وجيشات من جاش اذا ارتفع
واضطلع افتعل من الضلاعة وهي القوة واورى قبسا لقابس اي اظهر نورا
من الحق لطالبه وآلاء الله نعم الله تصل باهله اي اهل ذلك القبس وهو الاسلام
والحق اسبابه واهله المومنون وبه هديت القلوب بعد خوضات الفتن
والاثم اي هديت بعد الكفر والفتن لموضحات الاعلام ونائرات والمنيرات
الواضحات يقال نار الشيء وانار اذا وضح وشهيدك يوم الدين بمعنى الشاهد
على امته يوم القيامة وبعيثك نعمة اي مبعوثك فعيل بمعنى مفعول وافسح
له اي وسع له وفي عدنك اي في جنتك جنة عدن والعلول من العلل
وهو الشرب بعد الشرب يريد ان عطاه مضاعف كانه يعل به عباده
اي يعطيهم عطا بعد عطا واعل على بناء الناس وفي رواية البانين اي

ارفع فوق اعمال العاملين عمله واكرم مثواه اي منزله ونزله رزقه والخطة بضم
الخا المعجمة الامر والقصة والفصل القطع وعن عبد الله ابن مسعود قال اذا صليتم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك
يعرض عليه فقالوا له علمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه الاولون والاخرون اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد حديث موقوف رواه
ابن ماجة وعن رويفع ابن ثابت الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من صلى على محمد وقال اللهم انزله المقعد الصدق المقرب عندك يوم القيامة وجبت له
شفاعتي رواه الطبراني قال ابن كثير واسناده حسن ولم يخرجوه وعن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال له بالمكيال الاوفى
اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وعلى الامي وازواجه امهات
المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد رواه ابو داود
وعن طاوس سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته
العليا واعطه سوله في الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى رواه اسماعيل
القاضي قال ابن كثير واسناده جيد قوي صحيح واما المواطن التي تشرع
فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فمنها التشهد الاخير وهي واجبة فيه
كما قدمناه وفي وجوبها في التشهد الاول قولان اظهرهما المنع لبنائه على التخفيف
بل سنة وفي استحباب الصلاة على الآل في التشهد الاول القولان وفي وجوبها
في الاخير رايان اصحهما المنع بل هي سنة تابعة واقلها اللهم صل على محمد وكذا
صلى الله على محمد واقلها على الآل وآله وقال في الكفاية باعادة على ومنها
خطبة الجمعة وكذا غيرها من الخطب فلا تصح خطبتا الجمعة الا بها لانها عبادة
وذكر الله فيها شرط فوجب ذكر الرسول فيها كالاذان والصلاة وهذا
مذهب الشافعي واحمد ومنها عقب اجابة المؤذن لما رواه الامام احمد
عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي
صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة
في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال
الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة واخرجه مسلم وابو داود والترمذي
والنسائي من حديث كعب ابن علقمة وذكره بلفظ الرجا وان كان

متحقق

متحقق الوقوع ادبا وارشادا تغليبا منه وتذكيرا بالخوف وتفويضا الى الله بحسب
مشيئته وليكون الطالب للشي بين الرجا والخوف وقوله حلت عليه الشفاعة اي وجبت
وقيل غشيته ونزلت به تنبيه قال شيخنا في المقاصد الحسنة حديث الدرجة
الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الاذان لم اره في شي من الروايات واصل الحديث عند
احمد والبخاري والاربعة عن جابر مرفوعا من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه
الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا
الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة قال وكان من زادها اغتر بما وقع في بعض
نسخ الشفا في حديث جابر المشار اليه لكن مع زيادتها في هذه النسخة المعتمدة علم عليها
كاتبها عا يشير الى الشك فيها ولم ارها في شي من نسخ الشفا بل في الشفا عقد لها فصلا
في مكان اخر ولم يذكر فيه حديثا صريحا وهو دليل لغلطها انتهى والله اعلم
ومنها اول الدعا واوسطه واخره لما روى احمد من حديث جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه
ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضا والا اهراقه ولكن اجعلوني
في اول الدعا واوسطه واخره ومنها وهو من اكدها عقب دعا القنوت
لما رواه احمد واهل السنن وابن جرير وابن حبان والحاكم من حديث ابي الحوراء عن الحسن
ابن علي قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني
فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت
وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت
ربنا وتعاليت وزاد النسائي في سننه وصلى الله على النبي وياتي في المقصد
التاسع البحث في ذلك ان شا الله تعالى ومنها اثنا تكبيرات العيدين لما
روى اسماعيل القاضي ان ابن مسعود وابا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد
ابن عقبة فقال ان هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه فقال عبد الله
تبدا فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر
وتفعل مثل ذلك ثم تقرا ثم تكبر وتركع ثم تقوم فتكبر وتحمد ربك وتصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال
حذيفة وابو موسى صدق ابو عبد الرحمن قال ابن كثير اسناده صحيح
ومنها عند دخول المسجد والخروج منه لما رواه احمد عن فاطمة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد ثم قال
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد ثم
قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك ومنها في صلاة الجنازة

فان السنة ان يقرا الفاتحة بعد احدي التكبيرات وبعد الاولي وان يصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم بعد الثانية ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده وفي حديث رواه الشافعي والنسائي ومنها عند التلبية لما رواه الشافعي والدارقطني عن القاسم بن محمد ابن ابي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تلبيته ان يصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم علي كل حال ومنها عند الصفا والمروة لما روي اسماعيل القاضي عن عمر ابن الخطاب انه قال اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم ايتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع تكبيرات بين حمد وثنا عليه وصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم ومسالة لنفسك وعلي المروة مثل ذلك قال ابن كثير اسناده حسن جيد قوي ومنها عند الاجتماع والتفرق لما روي الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا علي نبيه الا كان عليهم ترة فان شا عذبهم وان شا غفر لهم وروي اسماعيل القاضي عن ابي سعيد قال ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون علي النبي صلي الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب ومنها عند الصباح والمسا لما روي الطبراني من حديث ابي الدردا مرفوعا من صلي علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيامة ومنها عند الوضو لحديث ابن ماجة عن سهل ابن سعد قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم ومنها عند طنين الاذان لحديث ابي رافع عند ابن السني مرفوعا اذا طنت اذن احدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير ومنها عند نسيان الشي لحديث ابي موسى المديني بسند فيه ضعف عن انس يرفعه اذا نسيتم شيا فصلوا علي تذكروه ان شا الله تعالى ومنها بعد العطاس كما ذهب اليه ابو موسى المديني وجماعة ونازعهم في ذلك اخرون وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كالاكل والشرب والوقاع ونحو ذلك ومنها عند زيارة قبره الشريف لحديث ابي داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وروي ابن عساكر من صلي علي عند قبري سمعته وورد الامر بالاكثار منها يوم الجمعة وليلتها فعن اوس ابن اوس الثقفي قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة

علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني وقد بليت قال ان الله حرم علي الارض ان تاكل اجساد الانبيا رواه احمد وابو داود والنسائي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني قال الحافظ ابن كثير وقد روي البيهقي من حديث ابي امامة عن النبي صلي الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن اسناده ضعيف فان قلت ما الحكمة في خصوصية الاكثار من الصلاة عليه صلي الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها اجاب ابن القيم بان رسول الله صلي الله عليه وسلم سيد الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره مع حكمة اخري وهي ان كل خير نالته امته في الدنيا والاخرة فانما نالته علي يده صلي الله عليه وسلم فجمع الله لامته به بين خيري الدنيا والاخرة واعظم كرامة تحصل لهم فانها تحصل لهم يوم الجمعة فان فيه بعثهم الي منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وهو يوم عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوايجهم ولا يرد سايلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلي يده فمن شكره وحمده واداء القليل من حقه صلي الله عليه وسلم ان نكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته واما فضيلة الصلاة عليه صلي الله عليه وسلم فقد ورد التصريح بها في احاديث قوية لم يخرج البخاري منها شيا فمنها ما اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم من صلي علي واحدة صلي الله عليه عشرا وعن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم لحاجة فلم يجد احدا يتبعه فاتاه عمر بمطهرة من خلفه فوجد النبي صلي الله عليه وسلم ساجدا فتنحى عنه حتى رفع النبي صلي الله عليه وسلم راسه فقال احسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني ان جبريل اتاني فقال من صلي عليك من امتك واحدة صلي الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات رواه الطبراني قال ابن كثير وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضيا المقدسي في كتابه المستخرج علي الصحيحين وعن ابي طلحة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم جا ذات يوم والسرور يري في وجهه فقالوا يا رسول الله انا لنري السرور في وجهك فقال انه اتاني الملك فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قال بلي رواه الدارمي واحمد وابن حبان والحاكم والنسائي واللفظ له وعن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من صلي علي صلاة لم تزل الملايكة

يصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد وابن ماجة
من حديث شعبة وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص من صلى على رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقل عبد من ذلك
او ليكثر رواه احمد والتخيير بعد الاعلام بما فيه الخيرة في المخير فيه على جهة
التحذير من التفريط في تحصيله وهو قريب من معنى التهديد وروى الترمذي
ان ابي ابن كعب قال يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي
قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالنصف
قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت وان زدت
فهو خير لك قلت اجعل
لك صلاتي كلها قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك ثم قال هذا حديث حسن فهذا
ما يتعلق بالصلاة واما السلام فقال النووي يكره افراد الصلاة عن السلام
واستدل بورود الامر بهما معا في الاية يعني قوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وتعقبوه
بان النبي صلى الله عليه وسلم علم اصحابه التسليم قبل تعليم الصلاة كما هو مصرح
به في قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك وقوله عليه
الصلاة والسلام بعد ان علمهم الصلاة والسلام كما قد علمتم فافرد التسليم
مدة قبل الصلاة عليه لكن قال في فتح الباري انه يكره ان يفرد الصلاة ولا
يسلم اصلا اما لو صلى في وقت وسلم في وقت اخر فانه يكون ممتثلا وقال
الشيخ ابو محمد الجويني من اصحابنا السلام بمعنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب
ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلام سواء في هذا الاحياء والاموات
واما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك او عليكم او السلام عليك
او عليكم وهذا مجمع عليه انتهى وقد جرت عادة بعض النساخ ان يفردوا
عليا وفاطمة رضي الله عنهما بالسلام فيقولون عليه او عليها السلام
من دون سائر الصحابة في ذلك وهذا وان كان معناه صحيحا لكن
ينبغي ان يساوى بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم في ذلك فان هذا
من باب التعظيم والتكريم والشيخان وعثمان اولى بذلك منهما اشار
اليه ابن كثير واما الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم فاختلف
فيها واخرج البيهقي بسند واه من حديث بريدة رفعه لا تتركن
في التشهد الصلاة علي وعلى انبياء الله واخرج اسماعيل القاضي
بسند ضعيف من حديث ابي هريرة صلوا على انبياء الله واخرج الطبراني
من حديث ابن عباس رفعه اذا صليتم علي فصلوا على انبياء الله فان

الله

الله بعثهم كما بعثني وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم
اخرجه ابن ابي شيبة من طريق عثمان عن عكرمة عنه قال ما اعلم الصلاة تنبغي
على احد من احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم وسنده صحيح وحكي القول به عن
مالك وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي وعن
بعض شيوخ مذهب مالك لا يجوز ان يصلى الا على محمد قالوا وهذا غير معروف عن مالك
وانما قال اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به وخالفه
يحيى ابن يحيى فقال لا بأس به واحتج بان الصلاة دعاء بالرحمة فلا تمتنع الا بنص او اجماع
واما الصلاة على غير الانبياء فان كان على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث
اللهم صل على محمد وال محمد ونحوه فهذا جائز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير
الانبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم
وملائكته وبقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وبحديث عبد الله ابن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال
اللهم صل على ال ابي اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء
بالصلاة لان هذا قد صار شعارا للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال
ابو بكر صلى الله عليه وسلم او قال علي صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال
قال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا
ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعارا لال ابي اوفى
وهذا مسلك حسن وقال اخرون لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبياء قد صارت
من شعار اهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك ثم اختلف
المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم او كراهة التنزيه او خلاف الاولى على ثلاثة
اقوال حكاها النووي في كتاب الاذكار ثم قال والصحيح الذي عليه الاكثرون
انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم الفصل
الثالث في ذكر محبة اصحابه عليه الصلاة والسلام واله وقرابته
واهل بيته وذريته قال الطبراني اعلم ان الله تعالى لما اصطفى نبيه
صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما عمه به من فضله الباهر وحباه
اعلى مرتبة من انتمى اليه نسبا او نسبة ورفع من انطوى عليه نصرة وصحبة
والزم مودة قرباه كافة بريته وفرض محبة جملة اهل بيته المعظم
وذريته فقال تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وروي انها
لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناؤهما وقال
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقد

اختلف في المراد باهل البيت في هذه الاية فروى ابن ابي حاتم عن عكرمة عن
ابن عباس قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عكرمة
انه كان ينادي في السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال نزلت
في نساء النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن كثير وهذا يعني ما في الاية نص في دخول
ازواجه صلى الله عليه وسلم لانهن سبب نزول هذه الاية وسبب النزول داخل فيه قولا
واحدا اما وحده على قول او مع غيره على الصحيح وقيل المراد النبي صلى الله عليه
وسلم قال عكرمة من شاء باهلته انها نزلت في حق النبي صلى الله عليه وسلم وان كان
المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن ففي هذا نظر فانه قد وردت احاديث
تدل على ان المراد اعم من ذلك فروى الامام احمد عن واثلة ابن الاسقع ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء ومعه علي وحسن وحسين اخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل
بيده فادنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما
على فخذه ثم لف عليهم ثوبه او قال كساءهم ثم تلا هذه الاية انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي واهل بيتي
احق زاد في رواية ابن جرير فقلت وانا يا رسول الله من اهلك قال وانت من اهلي
قال واثلة وانها من ارجى ما ارتجي وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
في بيتها اذ جاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعي زوجك
وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا ياكلون من تلك
الخزيرة وتحته كساء قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله عز وجل هذه الاية انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت فاخذ فضل الكساء
فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي وحامتي
فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فادخلت راسي من البيت فقلت
وانا معكم يا رسول الله فقال انك الى خير انك الى خير رواه احمد وفي اسناده من لم
يسم وبقية اسناده ثقات وقوله وحامتي بالتشديد اي خاصتي وعن
ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية في خمسة فيّ وفي علي
وحسن وحسين وفاطمة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا رواه ابن جرير ورواه احمد في المناقب والطبراني وعن زيد ابن ارقم
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله واثنى عليه
ثم قال اما بعد ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول
ربي عز وجل فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله عز وجل
فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث فيه
ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله عز وجل في اهل بيتي ثلاث مرات

فقيل

فقيل لزيد من اهل بيته اليس نساؤه من اهل بيته قال بلى ان نساءه من اهل بيته
ولكن اهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل جعفر
وآل عقيل وآل عباس قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم خرجه مسلم والثقل محركة
كما في القاموس كل شيء نفيس مصون قال ومنه حديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله
وعترتي وهي بكسر المهملة وسكون المثناة الفوقية والاخذ بهذا الحديث احرى وليس
المراد بالاهل الازواج فقط بل هن مع اهله ولا يشك من تدبر القران ان نساء النبي
صلى الله عليه وسلم داخلات في الاية الكريمة فان سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا
كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وهذا اختيار ابن عطية
بعد ان نقل ان الجمهور على انهم علي وفاطمة والحسن والحسين قال وحجة الجمهور قوله تعالى
عنكم ويطهركم بالميم ولو كان للنساء خاصة لكان عنكن واجيب بان الخطاب وقع
بلفظ التذكير وقع على سبيل التغليب فيكون المراد به كالمراد بالال في حديث كيفية الصلاة
عليه السابق ذكره على قول من فسره به كما قدمته مع غيره قريبا في الفصل السابق والله
تعالى اعلم ولله در القائل

يا آل بيت رسول الله حبكم ۞ فرض من الله في القران انزله
يكفيكم من عظيم الفخر انكم ۞ من لم يصل عليكم لا صلاة له

واخرج احمد عن ابي سعيد معنى حديث زيد ابن ارقم السابق مرفوعا بلفظ اني
اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب
الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني
انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما وعترة الرجل كما قال
الجوهري اهله ونسله ورهطه الادنون اي الاقارب وعن ابي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه انه قال يا ايها الناس ارقبوا محمدا في اهل بيته رواه البخاري
والمراقبة للشيء المحافظة عليه يقول احفظوهم فلا تؤذوهم وقال ابو بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه كما في البخاري ايضا لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب الي من ان اصل من قرابتي وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة عن منعه
اياها ما طلبته منه من تركة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جرى منه على موجب
الايمان لانه عليه الصلاة والسلام شرط الاحبية فيه على النفس والمال والولد
كما ذكرته في الفصل الاول من هذا المقصد ثم انه صلى الله عليه وسلم ابتغى لاقاربه
ما ابتغى لنفسه من ذلك فقال من احبهم فبحبي احبهم وحثنا على ذلك شفقة
منه علينا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ولقد احسن القائل

رايت ولائي آل طه فريضة ۞ على رغم اهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث اجرا على الهدى ۞ بتبليغه الا المودة في القربى

عليهم

وفي الترمذي وقال حديث حسن غريب احبوا الله لما يغذوكم به واحبوني بحب الله
واحبوا اهل بيتي بحبي وفي المناقب لاحمد من ابغض اهل البيت فهو منافق
وروى ابن سعد من صنع الى احد من اهل بيتي معروفا فعجز عن مكافاته في الدنيا
فانا المكافي له يوم القيامة والمراد بالقرابة من ينتسب الى جده الاقرب وهو عبد
المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم او رآه من ذكر وانثى وهم علي واولاده
الحسن والحسين ومحسن وام كلثوم من فاطمة رضي الله تعالى عنها وجعفر واولاده عبد الله
وعون ومحمد ويقال انه كان لجعفر ابن ابي طالب ابن اسمه احمد وعقيل ابن ابي طالب
وولده مسلم ابن عقيل وحمزة ابن عبد المطلب واولاده يعلى وعمارة وامامة والعباس
ابن عبد المطلب واولاده الذكور العشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبيد
الله والحرث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضي الله
تعالى عنه

تموا بتمام فصاروا عشرة • يارب فاجعلهم كراما بررة •

ويقال ان لكل منهم رؤية وكان له من الاناث ام حبيبة وامنة وصفية وامهم
من لبابة ام الفضل ومعتب ابن ابي لهب والعباس ابن ابي لهب وكان زوج امنة
بنت العباس وعبد الله ابن الزبير بن عبد المطلب واخته ضباعة وكانت زوج
المقداد بن الاسود وابو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وابناه المغيرة وهند
و[illegible] ابن الحارث هذا رؤية وكان يلقب ببه بموحدتين الثانية مثقلة
وامنة واروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب اسلمت صفية وصحت في
الباقيات خلاف والله تعالى اعلم وفي البخاري من حديث سعد ابن ابي وقاص ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي
وفي لفظ اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى اي نازلا مني منزلة
هارون من موسى والباء زائدة وقال الطيبي معنى الحديث انت متصل بي نازل
مني منزلة هارون من موسى وفيه تشبيه مبهم بينه بقوله الا انه لا نبي
بعدي فعرف ان الاتصال بينهما ليس من جهة النبوة بل من جهة ما دونها وهو
الخلافة ولما كان هارون المشبه به انما كان خليفة في حياة موسى دل ذلك
على تخصيص خلافة علي للنبي صلى الله عليه وسلم بحياته والله اعلم واما
ما استدل به من هذا الحديث على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة
فان هارون كان خليفة موسى فاجيب بان هارون لم يكن خليفة موسى
الا في حياته لا بعد موته لانه مات قبل موسى باتفاق اشار الى ذلك الخطابي
واما حديث الترمذي والنسائي من كنت مولاه فعلي مولاه فقال
الشافعي رضي الله تعالى عنه يعني بذلك ولاء الاسلام لقوله تعالى

ذلك

ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول عمر اصبحت مولى كل
مؤمن اي ولي كل مؤمن وطرق هذا الحديث كثيرة جدا استوعبها ابن عقدة في
كتاب مفرد وكثير من اسانيدها صحاح وحسان وروي انه صلى الله عليه وسلم قال
من آذى عليا فقد آذاني خرجه احمد واخرج المخلص الذهبي من احب عليا فقد احبني
وقد ذكر النقاش ان قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا نزلت في علي رضي الله عنه وقال محمد ابن الحنفية لا تجد مؤمنا الا وهو يحب
عليا واهل بيته وقال ابو حيان في البحر ومن الغريب ما انشدنا الامام اللغوي
رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي ابن يوسف الانصاري الشاطبي لزينبا ابن اسحاق
النصراني الرسعني

عدي وتيم لا احاول ذكرهم • بسوء ولكني محب لهاشم •
وما تعتريني في علي ورهطه • واهل النهى من اعرب واعاجم •
فقلت لهم اني لاحسب حبهم • سرى في قلوب الخلق حتى البهائم •

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كانت فاطمة احب الناس الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وزوجها علي احب الرجال اليه رواه الترمذي وفي البخاري ان فاطمة بضعة
مني فمن اغضبها اغضبني والبضعة بفتح الباء الموحدة وحكي ضمها وكسرها ايضا
وسكون المعجمة اي قطعة لحم واستدل به السهيلي على ان من سبها فانه يكفر وفي الترمذي
من حديث اسامة ابن زيد وقال حسن غريب انه صلى الله عليه وسلم قال في حسن
وحسين اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما واخرجه مسلم من حديث ابي هريرة
في الحسن خاصة زاد ابو حاتم فما كان احد احب الي من الحسن بعد ما قال صلى الله عليه
وسلم ما قال وفي حديث ابي هريرة ايضا عند الحافظ السلفي قال ما رايت الحسن
بن علي قط الا فاضت عيناي دموعا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج يوما وانا في المسجد فاخذ بيدي واتكا علي حتى جئنا سوق قينقاع
فنظر فيه ثم رجع حتى جلس في المسجد ثم قال ادعوا ابني فاتى الحسن بن علي
يشتد حتى وقع في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم
يدخل فمه في فمه ويقول اللهم اني احبه فاحبه واحب من يحبه ثلاث مرات
وفي الترمذي من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يشمهما ويضمهما
اليه وقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي
يوم القيامة رواه احمد وقال الترمذي كان معي في الجنة وقال حديث غريب
وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب
وتقدم نحوه في قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين في المقصد
السادس وفي حديث ابي زهير ابن الارقم رجل من الازد انه صلى الله

عليه وسلم قال في الحسن من احبني فليحبه فليبلغ الشاهد الغايب وفي البخاري
هما ريحانتاي من الدنيا وكان عليه الصلاة والسلام يمص لسان الحسن او شفته
رواه احمد وعن عقبة ابن الحارث قال رايت ابا بكر وحمل الحسن وهو يقول
بابي شبيها بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وعن محمد بن سيرين عن انس كان يعني
الحسين اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما البخاري وعنده من رواية
الزهري عن انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن ابن علي وهذا انه
بجامع منه قول علي في صفة النبي صلى الله عليه وسلم لم ار قبله ولا بعده مثله اخرجه
الترمذي في الشمايل كما تقدم في المقصد الثالث **واجيب** بان يحمل النفي على عموم
الشبه والاثبات على معظمه وقول انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم
من الحسن ابن علي قد يعارضه رواية ابن سيرين عنه السابقة كان الحسين يعني ابن علي
اشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان يكون انس قال ما وقع في رواية الزهري
في حياة الحسن لانه كان يومئذ اشد شبها بالنبي صلى الله عليه وسلم من اخيه الحسين
واما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك او المراد بمن فضل عليه
الحسين في الشبه كان من عدا الحسن ويحتمل ان يكون كل منهما كان اشد شبها به في
بعض اعضايه فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هاني ابن هاني عن علي
قال الحسن اشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الراس الى الصدر
والحسين اشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من ذلك وقد عد
من كان له شبه بالنبي صلى الله عليه وسلم سوى الحسن والحسين جعفر ابن ابي
طالب وقد قال عليه الصلاة والسلام لجعفر اشبهت خلقي وخلقي وقال
الترمذي حسن صحيح وابنه عبد الله ابن جعفر وقثم بن العباس بن عبد المطلب
وابو سفيان ابن الحارث ابن عبد المطلب ومسلم ابن عقيل ابن ابي طالب ومن غير
بني هاشم السايب ابن يزيد المطلبي الجد الاعلى للامام الشافعي وعبد الله
ابن عامر بن كريز بضم الكاف وفتح الراء وكابس ابن ربيعة رجل من اهل البصرة
وجه اليه معاوية وقبل بين عينيه واقطعه قطيعة وكان انس اذا راه بكى
فهولاء عشرة ونظمهم شيخ الاسلام والحفاظ ابو الفضل ابن حجر فقال

شبه النبي لعشر سايب وابي ۞ سفين والحسنين الطاهرين هما
وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم ۞ ومسلم كابس يتلوه مع قثم

وعد منهم بعضهم سبعة وعشرين وممن كان يشبهه ايضا فاطمة ابنته وابراهيم
ولده وولدا جعفر عبد الله السابق ذكره واخوه عون وكان يشبهه
ايضا من اهل البيت غير هولا ابراهيم ابن الحسن ابو الحسن بن علي ابن ابي
طالب ويحيى ابن القاسم بن محمد بن جعفر ابو محمد بن علي ابن الحسين

بن

ابن علي وكان يقال له الشبيه قال الشريف محمد ابن اسعد النسابة في الزوار له نفيسة
لمشهد السيدة نفيسة انه كان ليحيى هذا موضع خاتم النبوة شامة قدر بيضة
الحمامة تشبه خاتم النبوة وكان اذا دخل الحمام وراه الناس صلوا على النبي
صلى الله عليه وسلم وازدحموا عليه يقبلون ظهره تبركا وكذا وصف
بالشبيه القاسم بن عبد الله بن محمد بن عقيل ابن ابي طالب وعلي ابن علي
ابن عباد بن رفاعة الرفاعي شيخ بصري من اتباع التابعين والمراد بالشبه
هنا الشبه في البعض والا فتمام حسنه صلى الله عليه وسلم منزه عن الشريك كما
قال الابوصيري واجاد

منزه عن شريك في محاسنه ۞ فجوهر الحسن فيه غير منقسم

كما اشرت اليه في المقصد الثالث **وقد اطلت** المقال وانما جرني الى ذلك حمل الصديق
للحسن على عاتقه المشعر بالاكرام من افضل البشر بعد النبيين لاهل البيت المحمدي
وحملهم على الاعناق لا سيما مع قوله رضي الله تعالى عنه لقرابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي فلما انضم هذا الحديث ذكر الشبه الكريم
جرني الكلام اليه وهذا اوقع لي كثيرا في هذا المجموع بل في غالبه لكنه لا يخلو عن فرايد
الفوايد **وقد روي** انه صلى الله عليه وسلم قال العباس ابن عبد المطلب مني وانا منه
لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني اخرجه البغوي في معجمه **وقال**
صلى الله عليه وسلم للعباس ايضا والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى
يحبكم لله ولرسوله ثم قال ايها الناس من اذى عمي فقد اذاني فانما عم الرجل
صنو ابيه رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي قوله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى
يحبكم الاشارة الى الايمان الحقيقي المنجي وهو التصديق القلبي وبين المحبة والايمان
ارتباط من جهة ان المحبة ميل القلب الى المحبوب والايمان التصديق القلبي
فيجتمعان في القلب وجعلهما متلازمين بحيث متى انتفى احدهما انتفى الاخر ثم علل
هذه المحبة بكونها لله ولرسوله فلا عبرة بمحبة تكون لغير ذلك ثم جعل اذاه
كاذى نفسه لانه عضوه وعصبه ثم عظم مقامه بتنزيله منزلة الاب فكما انه
يجب على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقه فكذلك عمه فقال وانما عم
الرجل صنو ابيه وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون اي مثل ابيه **قال**
ابن الاثير واصله ان تطلع نخلتان من عرق واحد يريد ان
اصل العباس واصل ابي واحد انتهى وجلله عليه الصلاة والسلام وبنيه
بكساء ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة
لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده رواه الترمذي وقال حسن غريب
وبين ابن السري في روايته ان بنيه الذين جللوا بالكساء كانوا ستة

الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن قال وغطاهم بشملة له سودا مخططة بحمرة وقال اللهم ان هولا اهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كسترهم بهذه الشملة قال فما بقي في البيت مدرة ولا باب الا امن وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل ابن طالب اني احبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت اعلم من حب عمي لك قال الطبري اخرجه ابو عمر البغوي وروي الدارقطني انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين ابو سفين ابن الحارث خير اهلي او من خير اهلي واخرج الحاكم وصححه عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا اهل البيت احد الا ادخله الله النار واعلم انه قد اشتهر استعمال الاربعة الفاظ يوصفون بها الاولى آله عليه الصلاة والسلام والثانية اهل بيته والثالثة ذو القربى والرابعة عترته فاما الاولى فذهب قوم الى انهم هم اهل بيته وقال اخرون هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس واما اللفظة الثانية وهي اهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من اجتمع معه في رحم وقيل من اتصل به بنسب وسبب واما اللفظة الثالثة وهي ذو القربى فروى الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هولا الذين امرنا الله تعالى بمودتهم قال علي وفاطمة وابناهما واما اللفظة الرابعة وهي عترته فقيل العشيرة وقيل الذرية فاما العشيرة فهي الاهل الادنون واما الذرية فنسل الرجل فالاولاد ثم الرجل وذريته ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته داود الى قوله وعيسى ولم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة امه مريم فهذه الذرية الطاهرة قد خصوا بمزايا التشريف وعموا بواسطة السيدة فاطمة بفضل منيف والبوا ردا الشرف ومنحوا بمزيد الاكرام والتحف وقد وقع الاصطلاح على اختصاصهم من بين ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بالشطفة الخضرا لمزيد شرفهم والسبب في ذلك كما قيل ان المامون لما اراد ان يجعل الخلافة في بني فاطمة فاتخذ لهم شعارا اخضر والبسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها والاحمر مختلف في كراهته والاصفر شعار اليهود باخرة ثم انثنى عزمه عن ذلك ورد الخلافة لبني العباس فبقي ذلك شعارا للاشراف العلويين من الزهرا لكنهم اختصروا الثياب الى قطعة من ثوب اخضر توضع على عمايمهم شعارا لهم ثم انقطع ذلك الى اواخر القرن الثامن فاتفق في حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبعماية من انبا الغمر بابنا العمر وفيها امر السلطان الاشراف ان يمتازوا عن الناس بعصايب خضر على العمايم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول الاديب ابو عبد الله

بن

بن جابر الاندلسي

جعلوا لابنا الرسول علامة ○ ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم ○ يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وللاديب شمس الدين المزين الدمشقي رحمه الله تعالى

اطراف تيجان اتت من سندس ○ خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها ○ شرفا ليفرقهم من الاطراف

والاشرف السلطان هو شعبان بن حسين ابن الناصر محمد ابن قلاوون واما اصحابه رضوان الله تعالى عليهم فقال سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم الى اخر السورة لما اخبر سبحانه وتعالى ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقا من غير شك ولا ريب فقال محمد رسول الله وهذا مبتدا وخبر قال البيضاوي وغيره جملة مبينة للمشهود به يعني قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى الى قوله وكفى بالله شهيدا قال ويجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة ومحمد خبر مبتدا محذوف انتهى وهذه الاية مشتملة على كل وصف جميل ثم يثني بالثنا على اصحابه فقال والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم كما قال تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين فوصفهم بالشدة والغلظة على الكفار والرحمة والبر بالاخيار ثم اثنى عليهم بكثرة الاعمال مع الاخلاص التام ومن نظر اليهم اعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن اعمالهم قال مالك بلغني ان النصارى كانوا اذا راوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهولا خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فان هذه الامة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال سبحانه وتعالى ههنا ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه اي افراخه فازره اي شده وقواه فاستغلظ اي شب فطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه وحسن منظره فكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ازروه وايدوه ونصروه فهم معه كالشطا مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الاية انتزع الامام مالك رحمه الله تعالى في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة فهو كافر وقد وافقه على ذلك جماعة من العلما والاحاديث في فضايل الصحابة كثيرة ويكفي ثنا الله تعالى عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة واجرا عظيما ووعد الله تعالى حق وصدق لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ومن في قوله منهم لبيان الجنس واختلف في تعريف الصحابي فقيل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او راه من المسلمين والبه

فكذلك

ذهب البخاري وسبقه اليه شيخه ابن المديني وعبارته كما قال شيخنا من صحب النبي
صلى الله عليه وسلم او رآه من المسلمين واليه ذهب البخاري وسبقه اليه شيخه ابن المديني
وعبارته كما قال شيخنا من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او رآه ولو ساعة من نهار فهو من
اصحابه انتهى وهذا هو الراجح والتقييد بالاسلام يخرج من صحبه او رآه من الكفار ولو
اتفق اسلامه بعد موته لكن يرد على التعريف من صحبه او رآه مؤمنا ثم ارتد بعد ذلك
ولم يعد الى الاسلام كعبد الله بن جحش فانه ليس بصحابي اتفاقا وكذلك ابن خطل
وربيعة ابن امية ابن خلف الجمحي وهو ممن اسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي
صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله في خلافة عمر فلحق بالروم
وتنصر بسبب شيء اغضبه وقد اخرج له الامام احمد في مسنده واخراجه له مشكل ولعله لم يقف
على قصة ارتداده فينبغي ان يزاد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد الى الاسلام
لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح انه معدود في الصحابة
لاطباق المحدثين على عد الاشعث ابن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم احاديثهم
في المسانيد لكن قال الحافظ زين الدين العراقي ان في ذلك نظرا كبيرا فان الردة محبطة
للعمل عند ابي حنيفة ونص عليه الشافعي في الام وان كان الرافعي قد حكى عنه انها تحبط
بشرط اتصالها بالموت وحينئذ فالظاهر انها محبطة للصحبة المتقدمة اما من
رجع الى الاسلام في حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله ابن ابي سرح فلا مانع من دخوله
في الصحبة بدخوله الثاني في الاسلام وهل يشترط في الرائي ان يكون بحيث يميز ما رآه
او يكتفي بمجرد حصول الرؤية قال الحافظ ابن حجر محل نظر وعمل من صنف في الصحابة
يدل على الثاني فانهم ذكروا مثل محمد ابن ابي بكر الصديق وانما ولد قبل وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم بثلاثة اشهر وايام كما ثبت في الصحيح ان امه اسماء بنت عميس
ولدته في حجة الوداع قبل ان يدخلوا مكة وذلك في اواخر ذي القعدة سنة عشر من
الهجرة ومنهم من بالغ فكان لا يعد في الصحابة الا من صحب الصحبة العرفية وروي
عن سعيد ابن المسيب انه كان لا يعد في الصحابة الا من اقام مع النبي صلى الله عليه
وسلم سنة فصاعدا او غزا معه غزوة فصاعدا والعمل على خلاف هذا القول
ومنهم من اشترط في ذلك ان يكون حين اجتماعه به بالغا وهو مردود ايضا لانه يخرج
مثل الحسن ابن علي ونحوه من احداث الصحابة واما التقييد بالرؤية
فالمراد به عند عدم المانع منها فان كان كابن ام مكتوم الاعمى فهو صحابي
جزما فالاحسن ان يعبر باللقي بدل الرؤية ليدخل فيه ابن ام مكتوم قال
الحافظ زين الدين العراقي وقولهم من رأى النبي صلى الله عليه وسلم هل المراد
رآه في حال نبوته او اعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبل
النبوة على دين الحنيفية كزيد بن عمرو بن نفيل فقد قال النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم انه يبعث امة وحده وقد ذكره في الصحابة ابو عبد الله ابن مندة
وكذلك لو رآه قبل النبوة ثم غاب عنه وعاش الى بعد زمن البعثة واسلم ثم مات
ولم يره ولم ار من تعرض لذلك ويدل على ان المراد رآه بعد نبوته انهم ترجموا في
الصحابة لمن ولد للنبي صلى الله عليه وسلم كابراهيم وعبد الله ولم يترجموا لمن ولد
قبل النبوة ومات قبلها كالقاسم انتهى وهل يختص جميع ذلك ببني ادم ام يعم غيرهم
من العقلاء محل نظر اما الجن فالراجح دخولهم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليهم
قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في
الصحابة وان كان ابن الاثير عاب على ابي موسى فلم يستند في ذلك الى حجة واما الملائكة
فيتوقف عدهم في ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم
الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله فيمن رآه في قيد الحياة الدنيوية اما من رآه
بعد موته وقبل دفنه فالراجح انه ليس صحابيا والا لعد من اتفق له انه رأى جسده
المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء
عنه صلى الله عليه وسلم فرآه كذلك على طريق الكرامة كما قدمت مباحثه في خصوصياته
عليه الصلاة والسلام من المقصد الرابع اذ حجة من اثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه
انه مستمر الحياة وهذه الحياة ليست دنيوية وانما هي اخروية لا تتعلق بها
احكام الدنيا فلذلك لا يعد صحابيا ولا يجب عليه ان يعمل بما امره به في تلك الحالة
وقد اجمع جمهور العلماء من السلف والخلف على انهم خير خلق الله تعالى وافضلهم
بعد النبيين وخواص الملائكة المقربين لما روى البخاري من حديث عبد الله ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وله
من حديث عمران بن حصين خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران
فلا ادري اذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثا قال في فتح الباري والقرن اهل
زمان واحد متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة ويطلق على مدة
من الزمان واختلفوا في تحديدها من عشرة اعوام الى مائة وعشرين
لكن لم ار من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال
به قائل وقال صاحب المحكم هو القدر المتوسط من اعمار اهل كل زمن وهذا
اعدل الاقوال والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحابة
وتقدم في اول المقصد الاول حديث بعثت من خير قرون بني ادم وفي
رواية بريدة عند احمد خير هذه الامة القرن الذي بعثت فيهم
وقد ضبط الائمة من الحفاظ آخر من مات من الصحابة على الاطلاق بلا
خلاف ابو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه
وكان موته سنة مائة على الصحيح وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة عشر ومائة

وهو الذي صححه الذهبي وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر
على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد وفي رواية مسلم
أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه ليس من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة **وأما** ما ذكر
أن عكراش ابن ذؤيب عاش بعد يوم الجمل مائة سنة فذاك غير صحيح وإن صح فمعناه
أنه استكمل المائة بعد الجمل لا أنه بقي بعدها مائة سنة كما نص عليه الأئمة **وأما ما ذكر**
الضامر وبابا رتن ونحوه فإن ذلك لا يروج على من له أدنى مسكة من العقل
كما قاله الأئمة **وأما آخر الصحابة** موتا بالإضافة إلى النواحي فقد أفردهم ابن منده
وأما قوله ثم الذين يلونهم فهم أهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون ثم الذين
يلونهم وهم أتباع التابعين واقتضى هذا الحديث أن يكون الصحابة أفضل من التابعين
والتابعون أفضل من أتباع التابعين لكن محل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد
والذي ذهب إليه ابن عبد البر هو الثاني وكما قدمت ذلك في خصائص هذه الأمة من
المقصد الرابع واحتج لذلك سوى ما تقدم بحديث مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله
خير أم آخره قال الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن له طرق وقد يرتقي بها
إلى درجة الصحة وقد روى ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير
أحد التابعين بإسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليدركن المسيح أقواما إنهم لمثلكم أو خير ثلاثا ولن يخزي الله أمة أنا أولها
والمسيح آخرها وروى أبو داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة رفعه تأتي
أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل منهم أو منا يا رسول الله قال بل منكم وهو شاهد
لحديث مثل أمتي مثل المطر لكن حديث للعامل منهم أجر خمسين منكم لا يدل
على أفضلية غير الصحابة على الصحابة لأن مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت
الأفضلية المطلقة وأيضا الأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله
في ذلك العمل فأما ما فاز به من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم من فضيلة
المشاهدة فلا يعدله فيها أحد ولا ريب أن من قاتل معه أو في زمانه بأمره
أو أنفق شيئا من ماله بسببه لا يعدله أحد في الفضل بعده كائنا من كان
قال الله تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم
درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكذلك من ضبط الشرع المتلقى
عنه وبلغه لمن بعده فمحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة
وقد ظهر أنه فاز بما لم يفز به من لم يحصل له ذلك وبهذا يمكن تأويل الأحاديث
المتقدمة ثم إن الصحابة على ثلاثة أصناف **الأول** المهاجرون الثاني
الأنصار وهم الأوس والخزرج وحلفاؤهم ومواليهم الثالث من أسلم يوم
الفتح قال ابن الأثير في الجامع والمهاجرون أفضل من الأنصار وهذا

على سبيل الإجمال وأما على سبيل التفصيل فإن جماعة من سابق الأنصار أفضل من جماعة
من متأخري المهاجرين وأما سابق المهاجرين أفضل من سابق الأنصار ثم هم
بعد ذلك يتفاوتون فرب متأخر في الإسلام أفضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب
وبلال بن رباح **وقد ذكر العلماء** للصحابة ترتيبا على طبقات وممن قسمهم كذلك
الحاكم في علوم الحديث الطبقة الأولى قوم أسلموا بمكة أول البعثة وهم سابق المسلمين
مثل خديجة بنت خويلد وعلي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق وزيد بن حارثة وبقية
العشرة وتقدم الخلاف فيمن أول من أسلم في المقصد الأول الطبقة الثانية أصحاب
دار الندوة بعد إسلام عمر بن الخطاب حمل النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين
إلى دار الندوة فأسلم لذلك جماعة من أهل مكة الطبقة الثالثة الذين هاجروا إلى
الحبشة فرارا بدينهم سوى المذكورين أهل مكة منهم جعفر بن أبي طالب وأبو سلمة بن عبد
الأسد الطبقة الرابعة أصحاب العقبة الأولى وهم سابق الأنصار إلى الإسلام وكانوا
ستة وأصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر وقد تقدمت أسماء أهل
العقبتين في المقصد الأول الطبقة الخامسة أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين
من الأنصار منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة
وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة الطبقة السادسة المهاجرون الذين وصلوا
إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وهو بقباء قبل أن يبني المسجد وينتقل إلى المدينة
الطبقة السابعة أهل بدر الكبرى قال صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة حاطب
ابن أبي بلتعة وما يدريك لعل الله اطلع على هذه العصابة من أهل بدر فقال اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم رواه مسلم الطبقة الثامنة الذين هاجروا بين بدر والحديبية
الطبقة التاسعة أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة
قال عليه الصلاة والسلام لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد
رواه مسلم الطبقة العاشرة الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح كخالد
ابن الوليد وعمرو بن العاص ومثل بعضهم بأبي هريرة لكن قال الحافظ العراقي
ولا يصح التمثيل به لأنه هاجر قبل الحديبية عقيب خيبر بل في أواخرها
الطبقة الحادية عشر الذين أسلموا يوم الفتح وهم خلق كثير فمنهم من أسلم
كارها ثم حسن إسلام بعضهم والله أعلم بهم الطبقة الثانية عشر صبيان
أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ورأوه يوم الفتح وبعده في حجة الوداع وغيرها
كالسائب بن يزيد ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح على الصحيح من الأقوال
وأما عدة أصحابه صلى الله عليه وسلم فمن رام حصر ذلك رام أمرا
بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله تعالى لكثرة من أسلم من أول
البعثة إلى أن مات النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان والبوادي

وقد روي البخاري ان كعب ابن مالك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك واصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعني الديوان لكن قد جا ضبطهم
في بعض مشاهده كتبوك وقد ورد انه سار عام الفتح في عشرة الاف من المقاتلة والى
حنين في اثني عشر الفا والى حجة الوداع في سبعين الفا والى تبوك في سبعين الفا
وقد روي انه قبض عن مائة الف واربعة وعشرين الفا والله اعلم بحقيقة ذلك
ثم ان افضلهم على الاطلاق عند اهل السنة اجماعا ابو بكر ثم عمر رضي الله تعالى عنهما عن ابن عمر
قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم
عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخاري وفي رواية عبيد الله بن عمر عن نافع كنا في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بابي بكر احدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فلا نفاضل بينهم رواه البخاري ايضا وقوله لا نعدل
بابي بكر اي لا نجعل له مثلا ولا ندا ولا بدا من طريق سالم عن ابن عمر كنا نقول ورسول
الله صلى الله عليه وسلم حي افضل امة النبي صلى الله عليه وسلم بعده ابو بكر ثم عمر
ثم عثمان زاد الطبراني في رواية فيسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولا
ينكره وروي خيثمة ابن سليمان في فضائل الصحابة من طريق سهيل ابن ابي صالح
عن ابيه عن ابن عمر كنا نقول اذا ذهب ابو بكر وعمر وعثمان استوى الناس
فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وفي ذكره تقديم عثمان بعد ابي
بكر وعمر واهل السنة على ان عليا بعد عثمان وذهب بعض السلف الى تقديم
علي على عثمان وممن قال به سفيان الثوري وقيل انه رجع وقيل تفضيل احدهما على الاخر ونقل
ذلك عن مالك في المدونة وتبعه جماعة منهم يحيى ابن القطان وقال
ابن معين من قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله
فهو صاحب سنة ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله
فهو مذموم وقد ادعى ابن عبد البر ان حديث الاقتصار على الثلاثة
ابو بكر وعمر وعثمان خلاف قول اهل السنة ان عليا افضل الناس بعد
الثلاثة وتعقب بانه لا يلزم من سكوتهم اذ ذاك عن تفضيله عدم
تفضيله فالمقطوع به بين اهل السنة القول بافضلية ابي بكر ثم عمر
ثم اختلفوا فيمن بعدهما فالجمهور على تقديم عثمان وعن مالك الوقف
والمسألة اجتهادية ومستندها ان هؤلاء الاربعة اختارهم الله لخلافة نبيه
واقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة وقال الامام ابو منصور
البغدادي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة تمام العشرة
يعني طلحة والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمن بن عوف وابا عبيدة
عامر ابن الجراح وقد روي الترمذي عن سعيد بن زيد انه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في الجنة ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان
في الجنة وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة ابن الجراح
وسعد ابن ابي وقاص فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك
الله من العاشر قال نشدتموني بالله سعيد ابن زيد في الجنة يعني نفسه وعن
ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه خرج الى المسجد فسال عن النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا وجه هاهنا فخرجت في اثره حتى دخل بير اريس فجلست عند
الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته
فتوضا فقمت اليه فاذا هو جالس على بير اريس وتوسط قفها فجلست عند الباب
فقلت لاكونن بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم اليوم فجا ابو بكر فدفع الباب فقلت
من هذا فقال ابو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
هذا ابو بكر يستاذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فاقبلت حتى قلت لابي بكر ادخل
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس عن يمين رسول الله
صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البير كما صنع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت اخي يتوضا ويلحقني
فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد اخاه يات به فاذا انسان يحرك الباب فقلت
من هذا قال عمر ابن الخطاب فقلت على رسلك ثم جيت الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت هذا عمر ابن الخطاب يستاذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فجيت
وقلت ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البير فرجعت فجلست
وقلت ان يرد الله بفلان خيرا يات به فجا انسان فحرك الباب فقلت من
هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك وجيت الى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبرته فقال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فجيت فقلت
له ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك
فدخل فوجد القف قد ملى فجلس وجاههم من الشق الاخر قال شريك
قال سعيد ابن المسيب فاولتها قبورهم رواه احمد ومسلم وابو حاتم واخرجه
البخاري واخرج ابو داود نحوه عن ابي سلمة عن نافع عن عبد الحارث
الخزاعي قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حايطا من حوايط المدينة
فقال لبلال امسك على الباب فجا ابو بكر يستاذن فذكر نحوه قال
الطبري وفي حديث ان نافع ابن الحارث هو الذي كان يستاذن وهذا يدل
على تكرر القصة لكن صوب الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر عدم التعدد
وانها عن ابي موسى ووهم القول بغيره وانه لقيه فقال •

لقد بشر الهادي من الصحب زمرة ۰ بجنات عدن كلهم فضله اشتهر ۰
سعيد زبير سعد طلحة عامر ۰ ابو بكر عثمان ابن عوف علي عمر ۰

ولابي الوليد ابن الشحنة

اسماء عشر رسول الله بشرهم ۰ بجنة الخلد ممن زانها وعمر ۰
سعد سعيد علي عثمان طلحة ابو ۰ بكر ابن عوف ابن جراح الزبير عمر ۰

فان قلت من اعتقد في الخلفاء الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن محبته لبعضهم تكون اكثر هل يكون اثما به ام لا اجاب شيخ الاسلام الولي ابن العراقي ان المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضلية فمن كان افضل كانت محبتنا الدينية له اكثر فمتى اعتقدنا في واحد منهم انه افضل ثم احببنا غيره من جهة الدين اكثر كان تناقضا نعم ان احببنا غير الافضل اكثر من محبة الافضل لامر دنيوي كقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه احب عليا اكثر من ابي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بافضلية ابي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه احبه محبة دينية زائدة على محبة ابي بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي او لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه والله تعالى اعلم انتهى

وقد روى الطبراني في الرياض وعزاه للملا في سيرته عن انس مرفوعا ان الله افترض عليكم حب ابي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن انكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج واخرج الحافظ السلفي في مشيخته من حديث انس مرفوعا حب ابي بكر واجب على امتي واخرج الانصاري عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا بكر ليت اني لقيت اخواني فقال ابو بكر يا رسول الله نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي اخواني الذين لم يروني وصدقوا بي واحبوني حتى اني لاحب الى احدهم من ولده ووالده قالوا يا رسول الله انا نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي الا تحب يا ابا بكر قوما احبوك بحبي اياك قال فاحبهم ما احبوك بحبي اياك فمحبة من احبه الرسول عليه الصلاة والسلام كال بيته واصحابه رضي الله تعالى عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان محبته عليه الصلاة والسلام علامة على محبة الله تعالى وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وابغض من يبغض قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله

محبة

فحب ال بيته عليه الصلاة والسلام واصحابه واولاده وازواجه من الواجبات المتعينات وبغضهم من الموبقات المهلكات ومن محبتهم وجوب توقيرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بان نمشي على سننهم وادابهم واخلاقهم والعمل باقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال وحسن الثناء عليهم بان يذكروا باوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد اثنى الله تعالى عليهم في كتابه المجيد ومن اثنى الله عليه فهو واجب الثناء والاستغفار لهم قالت عائشة امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم رواه مسلم وغيره وفائدة المستغفر لهم عائدة عليه قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامرهم ومما يجب ايضا الامساك عما شجر بينهم اي وقع بينهم من الاختلاف والاضطراب من اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا وان يلتمس لهم فيما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل لذلك كما هو مشهور في مناقبهم ومعدود من ماثرهم مما يطول ايراد بعضه وما وقع بينهم من المنازعات والمحاورات فله محامل وتاويلات فسبهم والطعن فيهم اذا كان مما يخالف الادلة القطعية كفر كقذف عائشة رضي الله تعالى عنها والا فبدعة وفسق قال عليه الصلاة والسلام ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم الله بمظلمة احد منهم فانها ليست مما يوهب رواه الخلعي وقال عليه الصلاة والسلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله فيوشك ان ياخذه الله رواه المخلص الذهبي وهذا الحديث كما قال بعضهم خرج مخرج الوصية باصحابه على طريق التاكيد والترغيب في حبهم والترهيب في بغضهم وفيه اشارة الى ان حبهم من الايمان وبغضهم كذلك اذ كان بغضهم لمقابلة كان كفرا بلا نزاع للحديث السابق لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وهذا يدل على كمال قربهم منه بتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان اذاهم واقع عليه وواصل اليه صلى الله عليه وسلم والغرض الهدف الذي يرمى فهو نهي عن رميهم مؤكد اذ تكرر تحذيرهم الله سنة وما ذاك الا لشدة الحرمة وروي مرفوعا من سب احدا من اصحابي فاجلدوه وخرجه تمام في فوائده وقال مالك ابن انس وغيره فيما ذكره القاضي عياض من ابغض الصحابة فليس له في فيء المسلمين حق قال ونزع باية الحشر والذين جاؤوا من بعدهم الاية وقال من غاظه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار والله تعالى اعلم ۰

المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات وتعبيره الرؤيا وانبائه بالانباء المغيبات

اعلم انه لا سبيل لاحد الى الاحاطة بنقطة من بحار معارفه
او قطرة مما افاضه الله تعالى عليه من سحايب عوارفه وانت اذا تاملت ما منحه
الله تعالى به من جوامع الكلم وخصه به من بدايع الحكم وحسن سيره وحكم حديثه
وانبائه بانباء القرون السالفة والامم البايدة والشرايع الداثرة كقصص
الانبيا مع قومهم وخبر موسى مع الخضر ويوسف مع اخوته واصحاب الكهف وذي
القرنين واشباه ذلك وبدء الخلق واخبار الدار الاخرة وما في التوراة والانجيل
والزبور وصحف ابراهيم وموسى واظهاره احوال الانبيا وامهم واسرار علومهم
ومستودعات سيرهم واعلامهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم وغير ذلك
مما صدقه العلما بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فضلا
عما افاضه من العلم ومحاسن الاداب والشيم والمواعظ والحكم والتنبيه على طرق
الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين الادلة الواضحات والاشارة
الى فنون العلوم الذي اتخذ اهلها كلامه فيها قدوة واشاراته حجة كاللغة والمعاني
والبيان والعربية وقوانين الاحكام الشرعية والسياسات العقلية ومعارف
عوارف الحقايق القلبية الى غير ذلك من ضروب العلوم وفنون المعارف
الشاملة لمصالح امته كالطب والعبارة والحساب وغير ذلك مما لا يعد ولا يحد
قضيت بان مجال هذا الباب في حقه عليه الصلاة والسلام ممتد تنقطع دون
نفاده الادلا وان بحر علمه ومعارفه زاخر لا تكدره الدلا وهذا المقصد اعزك
الله يشتمل على ثلاثة فصول.

الفصل الاول في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات

اعلم انه قد ثبت انه صلى الله
عليه وسلم كان يعود من مرض من اصحابه حتى لقد عاد غلاما كان
يخدمه من اهل الكتاب وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الاسلام فاسلم الاول
وكان يهوديا كما في البخاري وابي داود من حديث انس ان غلاما من اليهود كان
يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده صلى الله عليه وسلم فقعد عند راسه
فقال اسلم فنظر الى ابيه وهو عنده فقال اطع ابا القاسم فاسلم
فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي انقذه من النار وكان
صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند راسه ويسال عن حاله
ويقول كيف تجدك وفي حديث عند البخاري ومسلم والترمذي وابي داود قال
مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما
ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضا النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب

وضوءه

وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم وعند ابي داود فنفخ
في وجهي فافقت وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك
هذا وفي حديث ابي موسى عند البخاري مرفوعا اطعموا الجايع وعودوا المريض
وفكوا العاني وعنده من رواية البراء امرنا صلى الله عليه وسلم بسبع وذكر منها عيادة
المريض وعند مسلم خمس تجب للمسلم على المسلم فذكرها منها قال ابن بطال يحتمل ان
يكون الامر على الوجوب يعني الكفاية كاطعام الجايع وفك الاسير ويحتمل ان يكون
للندب على التواصل والالفة وعن الطبري يتاكد في حق من ترجى بركته ويسن فيمن
يراعي حاله ويباح فيما عدا ذلك وهو فرض كفاية عند ابي حنيفة كما قاله ابو الليث
السمرقندي في مقدمته واستدل بعموم قوله عودوا المريض على مشروعية العيادة
في كل مريض لكن استثنى بعضهم الارمد **ورد** بانه قد جا في عيادة الارمد بخصوصه
حديث زيد بن الارقم قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع كان
بعيني رواه ابو داود وصححه الحاكم واما ما اخرجه البيهقي والطبراني مرفوعا ثلاثة
ليس لهم عيادة الرمد والدمل والضرس فصحح البيهقي انه موقوف على يحيى بن
ابي كثير ويوخذ من اطلاقه ايضا عدم التقييد بزمان يمضي من ابتدا مرضه
وهو قول الجمهور **وجزم** الغزالي في الاحيا انه لا يعاد الا بعد ثلاث واستند
الى حديث اخرجه ابن ماجة عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضا
الا بعد ثلاث وهذا حديث ضعيف تفرد به مسلمة بن علي وهو متروك وقال ابو حاتم
هو حديث باطل ولا نطيل بايراد ما ورد في فضل العيادة **ويكفي** حديث
ابي هريرة مما حسنه الترمذي مرفوعا من عاد مريضا ناداه مناد من السما
طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا وهذا لفظ ابن ماجة وفي سنن
ابي داود وعن انس مرفوعا من توضا فاحسن الوضوء وعاد اخاه المسلم محتسبا
بوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفا وفي حديث ابي سعيد عند ابن حبان
في صحيحه مرفوعا خمس من عملهن في يوم كتبه الله تعالى من اهل الجنة من عاد
مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح الى الجمعة واعتق رقبة وعند
احمد عن كعب مرفوعا من عاد مريضا خاض في الرحمة فاذا جلس عنده استنقع
فيها زاد الطبراني فاذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج
ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص يوما من الايام بعيادة المريض ولا
وقتا من الاوقات فترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة ابتدعه
يهودي طبيب لملك قد مرض والزمه بملازمته فاراد يوم الجمعة ان
يمضي لسبته فمنعه فخاف على استحلال سبته ومن سفك دمه فقال له
فقال له ان المريض لا يدخل عليه يوم السبت فتركه الملك ثم اشيع ذلك

وعاد كثيرا من الناس بتعهده ومن الغريب ما نقله ابن الصلاح عن الفراوي ان العيادة تستحب في الشتا ليلا وفي الصيف نهارا ولعل الحكمة في ذلك ان المريض يتضرر بطول الليل في الشتا وبطول النهار في الصيف فيحصل له بالعيادة استرواح وينبغي اجتناب التطبب باعدا الدين من يهودي او نحوه فانه مقطوع بغشه سيما ان كان المريض كبيرا في دينه او علمه خصوصا ان كان هذا العدو يهوديا لان قاعدة دينهم ان من نصح منهم مسلما فقد خرج عن دينه وان من استحل السبت منهم فدمه عندهم حلال لهم سفك دمه ولا ريب ان من خاطر بنفسه يخشى عليه ان يدخل في عموم النهي فيمن قتل نفسه لشي وقد كثر الضرر في هذا الزمن باهل الذمة فلا حول ولا قوة الا بالله والله سبحانه وتعالى يرحم القايل

لعن النصارى واليهود فانهم • بلغوا بمكرهم بنا الامالا •
خرجوا اطبا وحسابا لكي • يتقسموا الارواح والاموالا •

ومما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويامر به تطييب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم ففي حديث ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا له في اجله فان ذلك يطيب لنفسه يريد مثل ان يقول له لا باس عليك طهور ان شا الله ووجهك الان حسن وما اشبه ذلك وقد يكون من هذا ان يذكر له الاجور الداخلة عليه في مرضه وان المرض كفارة فربما اصلح ذلك قلبه وامن من خوف ذلك ونحوه وقال بعضهم في هذا الحديث نوع شريف جدا من اشرف انواع العلاج وهو الارشاد الى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة وينبعث به الحار الغريزي فيساعده على دفع العلة او تخفيفها الذي هو غاية تاثير الطبيب وفي تفريح نفس المريض وتطييب قلبه وادخال السرور عليه تاثير عجيب في شفا علته وخفتها فان الارواح والقوى تقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي وقد شاهد الناس كثيرا من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورؤيتهم له ولطفهم بهم ومكالمتهم اياه قال في الهدي كان صلى الله عليه وسلم يسال المريض عن شكواه وكيف يجده وعما يشتهيه فان اشتهى شيا وعلم انه لا يضره امر له به ويضع يده على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته وربما توضا وصب على المريض من وضوئه كما في حديث جابر المتفق عليه وربما كان يقول للمريض لا باس عليك طهور ان شا الله وربما كان يقول كفارة وطهور وقالت عايشة كان صلى الله عليه وسلم اذا عاد مريضا يضع يده على المكان الذي يالم ثم يقول بسم الله رواه ابو يعلى بسند حسن واخرج الترمذي من حديث ابي امامة بسند لين رفعه تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده

على

على جبهته فيساله كيف هو وعند ابن السني بلفظ كيف اصبحت او كيف امسيت واذا علمت هذا فاعلم ان المرض نوعان مرض القلوب ومرض الابدان فاما طب القلوب ومعالجتها فخاص بما جا به الرسول الكريم صلى الله عليه عن ربه تعالى لا سبيل الى حصوله الا من جهته فان صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وفاطرها وباسمائه وصفاته وافعاله واحكامه وان تكون مؤثرة لرضاه ومحابه متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك ولا سبيل الى تلقي ذلك الا من جهة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واما طب الاجساد فمنه ما جا في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنه ما جا عن غيره لانه صلى الله عليه وسلم انما بعث هاديا وداعيا الى الله والى جنته ومعرفا بالله ومبينا للامة مواقع رضاه وامرا لهم بها ومواقع سخطه وناهيا لهم عنها ومخبرهم اخبار الانبيا والرسل واحوالهم مع اممهم واخبار تخليق العالم وامر المبدا والمعاد وكيف شقاوة النفوس وسعادتها واسباب ذلك واما طب الاجساد فجا من تكميل شريعته ومقصودا لغيره بحيث انما يستعمل للحاجة اليه فاذا قدر الاستغنا عنه كان صرف الهمم الى علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها مما يفسدها هو المقصود باصلاح الجسد واصلاح الجسد بدون اصلاح القلب لا ينفع وفساد البدن مع اصلاح القلب مضرته يسيرة جدا وهي مضرة زايلة تعقبها المنفعة الدايمة الثابتة واذا علمت هذا فاعلم ان ضرر الذنوب في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والاخرة شر وداء الا وسببه الذنوب والمعاصي فللمعاصي من الاثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والاخرة ما لا يعلمه الا الله تعالى فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله تعالى في القلب والمعصية تطفي ذلك النور وللامام الشافعي رضي الله تعالى عنه •

شكوت الى وكيع سوء حفظي • فارشدني الى ترك المعاصي •
وقال اعلم بان العلم نور • ونور الله لا يؤتاه عاصي •

ومنها حرمان الرزق ففي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله تعالى لا يوازنها ولا يقارنها لذة اصلا ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا دونه او متعسرا عليه ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراها كل احد ومنها انها توهن القلب والبدن ومنها حرمان الطاعة وتقصير

العمر وتمحق البركة ولا يمتنع زيادة العمر بأسباب كما ينقص بأسباب وقيل تأثير المعاصي في محق العمر إنما هو بأن حقيقة الحياة هي حياة القلب فليس عمر المرء إلا أوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعات تزيد في هذه الأوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد إذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية ومنها أن المعصية تورث الذل ومنها أنها تفسد العقل فإن للعقل نورا والمعصية تطفي نور العقل ومنها أنها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقد أحسن القائل

إذا كنت في نعمة فارعها • فإن الذنوب تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد • فرب العباد سريع النقم

ومن عقوباتها أنها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته فإن الذنوب هي أمراض متى استحكمت قتلت ولا بد وكما أن العبد لا يكون صحيحا إلا بغذاء يحفظ قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والأخلاط الرديئة التي متى غلبت عليه أفسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يؤذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب لا تتم حياته إلا بغذاء من الإيمان والأعمال الصالحة تحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح تستفرغ المواد الفاسدة والأخلاط الرديئة وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول لهذه الأمور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى بقدره وإذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الأمور الثلاثة فإنها تستجلب المواد المؤذية وتوجب التخليط المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر إلى بدن عليل قد تراكمت عليه الأخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف تكون صحته وبقاؤه ولقد أحسن القائل

جسمك بالحمية حصنته • مخافة من ألم طارئ
وكان أولى بك أن تحتمي • عن المعاصي خشية البارئ

فمن حفظ القوة بامتثال الأوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح إذ لم يدع للخير مطلبا ولا للشر مهربا وفي حديث أنس ألا أدلكم على دائكم ودوائكم ألا إن داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار فقد ظهر لك أن طب القلوب ومعالجتها لا سبيل إلى معرفته إلا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي وأما طب الأجساد فغالبه يرجع إلى التجربة ثم هو نوعان نوع لا يحتاج إلى فكر ونظر بل فطر الله عليه معرفة الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب

وهذا

وهذا لا يحتاج فيه إلى معالجة طبيب ونوع يحتاج إلى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال وهو إما حرارة أو برودة وكل منهما إما إلى رطوبة أو يبوسة أو إلى ما يتركب منهما وغالب ذلك يقاوم الواحد منها بضده والدفع قد يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو أعسرهما والطريق إلى معرفته تحقيق السبب والعلامة فالطبيب الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن جمعه أو عكسه أو في تنقيص ما يضر بالبدن زيادته أو عكسه ومدار ذلك على ثلاثة أشياء حفظ الصحة والاحتماء عن المؤذي واستفراغ المادة الفاسدة وقد أشير إلى الثلاثة في القرآن فالأول في قوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وذلك أن السفر مظنة النصب وهو من مغيرات الصحة فإذا وقع فيه الصيام ازداد فأبيح الفطر وكذا القول في المرض والثاني وهو الحمية من قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم فإنه استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد وقال تعالى في آية الوضوء وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب حمية له أن يصيب جسده ما يؤذيه وهو تنبيه على الحمية من كل مؤذ له من داخل أو خارج والثالث من قوله تعالى أو به أذى من رأسه ففدية فإنه أشير بذلك إلى جواز حلق الرأس الذي منع منه المحرم لاستفراغ الأذى الحاصل من البخار المحتقن في الرأس تحت الشعر لأنه إذا حلق رأسه تفتحت المسام فخرجت تلك الأبخرة منها فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذي احتباسه فقد أرشد تعالى عباده إلى أصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده وفي الصحيحين من حديث عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء أخرجه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود بلفظ إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء فتداووا وعند أحمد من حديث أنس إن الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا وعند البخاري في الأدب المفرد وأحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن أسامة بن شريك رفعه تداووا يا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحدا وهو الهرم وفي لفظ إلا السام وهو بسين مهملة الموت يعني إلا داء الموت أي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه واستثنى الهرم في الرواية الأولى إما لأنه جعله شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة أو لقربه من الموت وإفضائه إليه ويحتمل أن يكون الاستثناء منقطعا والتقدير لكن الهرم لا دواء له ولأبي داود عن أبي الدرداء رفعه إن الله جعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام وفي البخاري إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم

وانه يجوز التداوي بالمحرم وروي مسلم عن جابر مرفوعا لكل داء دوا فاذا اصيب
دوا الدا برئ باذن الله تعالى فالشفا متوقف على اصابة الدوا بالدا باذن
الله تعالى وذلك ان الدوا قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية او الكمية فلا ينجع
بل ربما احدث دا اخر وفي رواية علي عبد الحميدي في كتابه المسمى بطب اهل البيت ما من
داء الا وله دوا فاذا كان ذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر فجعله بين الدا
والدوا فكلما شرب المريض من الدوا لم يقع على الدا فاذا اراد الله برءه امر الملك فرفع
الستر ثم يشرب المريض الدوا فينفعه الله تعالى به وفي حديث ابن مسعود
رفعه ان الله لم ينزل دا الا انزل له شفا علمه من علمه وجهله من جهله رواه ابو نعيم
وغيره وفيه اشارة الى ان بعض الادوية لا يعلمها كل احد واما قوله لكل داء دوا
فيجوز ان يكون على عمومه حتى يتناول الادوا القاتلة والادوا التي لا يمكن طبيب معرفتها
ويكون الله قد جعل لها ادوية تبريها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لنا سبيلا
اليها لانه لا علم للخلق الا ما علمهم الله ولهذا اعلق صلى الله عليه وسلم الشفا على مصادفة
الدوا للدا وقد يقع لبعض المرضى انه يتداوى من دائه بدوا فيبرى ثم
يعتريه بعد ذلك الدا او الدوا بعينه فلا ينجع والسبب في ذلك الجهل
بصفة من صفات الدوا فرب مرضين تشابها ويكون احدهما مركبا لا ينجع
فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطا من هناك وقد يكون متحدا
لكن يريد الله ان لا ينجع وهنا تخضع رقاب الاطبا وفي مجموع ما ذكرناه من
الاحاديث الاشارة الى ابتغاء الاسباب وان ذلك لا ينافي التوكل كما لا ينافيه
دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعا بطلب
الشفا ودفع المضار وغير ذلك وقد سيل الحرث ابن اسد المحاسبي في كتاب القصد
من السنة هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من اين ذلك قال من وجود ذلك
عن سيد المتوكلين الذي لم يلحقه لاحق ولا سبقه في التوكل سابق محمد خير البرية
صلى الله عليه وسلم قيل له ما تقول في خبر النبي صلى الله عليه وسلم من استرقى
واكتوى برئ من التوكل قال يريد من توكل المتوكلين الذين ذكرهم
في حديث اخر فقال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب واما
سواهم من المتوكلين فمباح لهم الدوا والاسترقا فجعل المحاسبي التوكل بعضه
افضل من بعض وقال في التمهيد انما اراد بقوله برئ من التوكل اذا استرقا
الرقا المكروهة في الشريعة او اكتوى وهو يعلق رغبته في الشفا بوجود
الكي وكذلك قوله لا يسترقون الرقا المخالفة للشريعة ولا يكتوون
وقلوبهم معلقة بنفع الكي معترضة عن فعل الله تعالى وان الشفا من
عنده واما اذا فعل ذلك على ما جا في الشريعة وكان ناظرا الى رب

الدوا

الدوا وتوقع الشفا من الله تعالى وقصد بذلك استمساك بدنه اذ اصح بنيته تعالى
واتعاب نفسه وكدها في خدمة ربه فتوكله باق على حاله لا ينقص منه شيا
استدلالا بفعل سيد المتوكلين اذ عمل بذلك في نفسه وغيره انتهى فقد تبين ان التداوي
لا ينافي التوكل بل لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله
تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل
كما يقدح في الامر والحكمة وحكى ابن القيم انه ورد في خبر اسرائيلي ان الخليل
عليه الصلاة والسلام قال يا رب ممن الدا قال مني قال فممن الدوا قال مني قال
فما بال الطبيب قال رجل ارسل الدوا على يديه قال وفي قوله صلى الله عليه وسلم
لكل داء دوا تقوية لنفس المريض والطبيب وحث على طلب ذلك الدوا والتفتيش
عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه ان لدائه دوا يزيله تعلق قلبه بروح
الرجا وبرد من حرارة الياس وانفتح له باب الرجا وقويت نفسه وانبعثت
حرارته الغريزية وكان ذلك سببا لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية
والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح قويت القوى التي هي حاملة لها فقهرت
المرض ودفعته انتهى فان قلت ما المراد بالانزال في قوله في الاحاديث السابقة
الا انزل له دوا وفي الرواية الاخرى شفا فالجواب انه يحتمل ان يكون عبر
بالانزال عن التقدير ويحتمل ان يكون المراد انزال علم ذلك على لسان الملك
للنبي صلى الله عليه وسلم واين يقع طب حذاق الاطبا الذي غايته ان يكون ماخوذا
من قياس او منامات وحدس وتجربة من الوحي الذي يوحيه الله تعالى الى رسوله
صلى الله عليه وسلم بما ينفعه ويضره فنسبة ما عند حذاق الاطبا من
الطب الى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم الى ما جا به صلى الله عليه وسلم
بل ها هنا من الادوية التي تشفي من الامراض ما لم يهتد اليها عقول اكابر الاطبا
ولم تصل اليها علومهم وتجربتهم واقيستهم من الادوية القلبية الروحانية
وقوة القلب واعتماده على الله تعالى والتوكل عليه والانكسار بين يديه
والصدقة والصلاة والدعا والتوبة والاستغفار والاحسان الى الخلق
والتفريج عن المكروب فان هذه الادوية قد جربتها الامم على اختلاف اديانها
وملتها فوجدوا لها من التاثير في الشفا ما لم يصل اليه علم اعلم الاطبا
وقد جربت ذلك والله مرات فوجدته يفعل ما لا تفعل الادوية الحسية
ولا ريب ان طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن البرء لصدوره عن الوحي
ومشكاة النبوة وطب غيره اكثره حدس او تجربة وقد يتخلف الشفا
عن بعض من يستعمل طب النبوة وذلك لمانع قام بالمستعمل من ضعف
اعتقاد الشفا به وتلقيه بالقبول واظهر الامثلة في ذلك القران

الذي هو شفا لما في الصدور ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض الناس شفاؤه
به لقصوره في الاعتقاد والتلقي بالقبول بل لا يزيد المنافق الا رجسا الى رجسه
ومرضا الى مرضه فطب النبوة لا يناسب الا الابدان الطيبة كما ان شفا القران
لا يناسب الا الارواح الطيبة والقلوب الحية فاعراض الناس عن طب النبوة كاعراضهم
عن الاستشفا بالقران الذي هو الشفا النافع وكان علاجه صلى الله عليه
وسلم للمريض على ثلاثة انواع **احدها** بالادوية الالهية الروحانية **الثاني** بالادوية
الطبيعية **الثالث** بالمركب من الامرين **النوع الاول في طبه عليه الصلاة والسلام
بالادوية** الالهية اعلم ان الله تعالى لم ينزل من السما شفا قط اعم ولا انفع ولا اعظم
ولا انجع في ازالة الدا من القران فهو للدا شفا ولصدا القلوب جلا كما قال
تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين ولفظة من كما قال الامام فخر
الدين ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو
القران شفا من الامراض الروحانية وشفا ايضا من الامراض الجسمانية اما كونه
شفا من الامراض الروحانية فظاهر وذلك لان المرض الروحاني نوعان الاعتقادات
الباطلة واشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الالهية والنبوات
والمعاد والقضا والقدر والقران مشتمل على دلايل المذهب الحق في هذه المطالب
وابطال المذاهب الباطلة ولما كان اقوى الامراض الروحانية هو الخطا في هذه
المطالب والقران مشتمل على الدلايل الكاشفة عما في هذه المطالب الباطلة من العيوب
لا جرم كان القران شفا من هذا النوع من المرض فثبت ان القران شفا
من جميع الامراض الروحانية **واما الاخلاق المذمومة** فالقران مشتمل على
تفصيلها وتعريفها وما فيها من المفاسد والارشاد الى الاخلاق الفاضلة والاعمال
المحمودة فكان القران شفا من هذا النوع من المرض فثبت ان القران
شفا من جميع الامراض الروحانية واما كونه شفا من الامراض الجسمانية
فلان التبرك بقراته تنفع كثيرا من الامراض واذا اعتبر الجمهور من الفلاسفة
واصحاب الطلسمات بان لقراة الرقى المجهولة والعزايم التي لا يفهم منها
شيا اثارا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد افلا تكون قراة القران
العظيم المشتمل على ذكر جلال الله تعالى وكبريايه وتعظيم الملايكة
المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع في الدين والدنيا
ويتاييد ما ذكرناه بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم
يستشف بالقران فلا شفاه الله ونقل عن الشيخ ابو القاسم القشيري
رحمه الله تعالى ان ولده مرض مرضا شديدا حتى اشرف منه على الموت
واشتد عليه الامر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام

فشكوت

فشكوت اليه ما بولدي فقال اين انت من ايات الشفا فانتبهت فافكرت
فيها فاذا هي في ستة مواضع من كتاب الله وهي قوله تعالى ويشف صدور قوم مومنين
وشفا لما في الصدور ويخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس
وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين
امنوا هدى وشفا قال فكتبتها ثم حللتها بالماء وسقيته اياها فكانما انشط من عقال
او كما قال **وانظر رقية** اللديغ بالفاتحة وما فيها من السر البديع والبرهان الرفيع
وتامل قوله عليه الصلاة والسلام في بعض ادعيته وان يجعل القران العظيم ربيع قلبي
وشفا صدري فيكون له بمنزلة الدوا الذي يستاصل الدا ويعيد البدن الى صحته
واعتداله وفي حديث عند ابن ماجه مرفوعا خير الدوا القران وهاهنا امر ينبغي
ان يتفطن له نبه عليه ابو القيم وهو ان الايات والاذكار والادعية التي
يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة
همة الفاعل وتاثيره فمتى تخلف الشفا كان لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل
المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدوا كما يكون ذلك في الادوية والادوا
الحسية فان تاثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدوا وقد يكون
لمانع قوي يمنع من اقتضايه اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدوا بقبول تام
كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقى
والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة موثرة اثر ذلك في ازالة
الدا وكذلك الدعا فانه من اقوى الاسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب
ولكن قد يتخلف اثره عنه اما لضعفه في نفسه بان يكون دعا لا يحبه الله لما
فيه من العدوان واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته
عليه وقت الدعا واما لحصول المانع من الاجابة من اكل الحرام والظلم
ورين الذنوب على القلوب واستيلا الغفلة والشهوة واللهو وقد
روى الحاكم حديث واعلموا ان الله لا يقبل دعا من قلب غافل لاه **ومن
انفع الادوية** الدعا وهو عدو البلا يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله
ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المومن واذا اجتمع مع الدعا حضور
القلب والجمعية بالكلية على المطلوب وصادف وقتا من اوقات
الاجابة كثلث الليل الاخير مع الخضوع والانكسار والذل والتضرع
واستقبال القبلة والطهارة ورفع اليدين والبداة بالحمد والثنا على
الله تعالى والصلاة والتسليم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد التوبة
والاستغفار والصدقة والالحاح في المسلة واكثار التملق والدعا والتوسل
اليه باسمايه وصفاته والتوجه اليه بنبيه صلى الله عليه وسلم

فان هذا الدعاء لا يكاد يرد ابدا لاسيما ان دعا بالادعية التي اخبر صلى الله عليه
وسلم بانها مظنة الاجابة وانها متضمنة للاسم الاعظم ولا خلاف في مشروعية الفزع
الى الله والالتجاء اليه في كل ما ينوب الانسان **واما الرقى** فاعلم ان الرقى بالمعوذات
وغيرها من اسماء الله تعالى هو الطب الروحاني واذا كان على لسان الابرار من الخلق
حصل الشفا باذن الله تعالى لكن لما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني
وفي البخاري من حديث عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض
الذي مات فيه بالمعوذات وهي الفلق والناس والاخلاص فيكون من باب التغليب
او المراد الفلق والناس وكذلك كل ما ورد من التعويذ في القران كقوله تعالى وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين واما ما اخرجه الامام احمد وابو داود والنسائي
من حديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره عشر خصال فذكر منها
الرقى الا بالمعوذات ففي سنده عبد الرحمن بن حرملة قال البخاري لا يصح حديثه
وعلى تقدير صحته فهو منسوخ بالاذن في الرقية بالفاتحة واما حديث ابي سعيد
عند النسائي كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى
نزلت المعوذات فاخذ بهما وترك ما سواهما وحسنه الترمذي فلا يدل على المنع
من التعوذ بغير هاتين السورتين بل على الاولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ
بغيرهما وانما اجتزا بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من
كل مكروه جملة وتفصيلا **وقد اجمع** العلماء على جواز الرقى عند اجتماع
ثلاثة شروط ان يكون بكلام الله تعالى او باسمايه وصفاته وباللسان
العربي او بما عرف معناه من غيره وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها
بل بتقدير الله تعالى **واختلفوا** في كونها شرطا والراجح انه لا بد من
اعتبارها وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك كنا نرقي في الجاهلية
فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا باس
بالرقى اذا لم يكن فيه شرك وله من حديث جابر نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الرقى فجا ال عمرو بن حزم فقالوا يا رسول الله انها
كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب قال اعرضوا علي قال فعرضوا
عليه قال ما ارى باسا من اراد ان ينفع اخاه فلينفعه **وقد تمسك**
قوم بهذا العموم فاجاز وا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها
لكن دل حديث عوف انه مهما كان من الرقى يودي الى الشرك فيمنع
احتياطا والشرط الاخير لا بد منه وقال قوم لا تجوز الرقية الا من العين
واللدغة لحديث عمران بن حصين لا رقية الا من عين او حمة واجيب
بان معنى الحصر فيه انهما اصل كل ما يحتاج الى الرقية فيلتحق

بالعين جواز رقية من به خبل او مس ونحو ذلك لاشتراكهما في كونهما ينشان عن احوال
شيطانية من انس او جن ويلتحق بالسم كل عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية
وقد وقع عند ابي داود من حديث عمران وزاد ابو داود في مسلم من حديث انس ايضا
رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقى من العين والحمة والنملة وفي حديث اخر
والاذن ولابي داود من حديث الشفا بنت عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الا تعلمين هذه يعني حفصة رقية النملة والنملة قروح تخرج في الجنب وغيره
من الجسد **وقيل** المراد بالحصر يعني الافضل اي لا رقية انفع كما قيل لا سيف الا ذو
الفقار وقال قوم المنهي عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلا والماذون فيه
ما كان بعد وقوعه ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما **وروى** ابو داود وابن ماجه
وصححه الحاكم عن ابن مسعود رفعه ان الرقى والتمايم والتولة شرك والتمايم جمع تميمة
وهي خرزة او قلادة تعلق في الراس كانوا في الجاهلية يعتقدون ان ذلك يدفع الافات
والتولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا شي كانت المراة تستجلب به محبة زوجها
وهو ضرب من السحر وانما كان ذلك من الشرك لانهم ارادوا دفع المضار وجلب المنافع
من عند غير الله ولا يدخل في ذلك ما كان باسما الله وكلامه **فقد ثبت** في الاحاديث
استعمال ذلك قبل وقوعه كما ياتي ان شا الله تعالى ولا خلاف في مشروعية الفزع الى
الله تعالى والالتجا اليه في كل ما وقع وكل ما يتوقع **وقال** بعضهم المنهي عنه من الرقى هو الذي
يستعمله المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فياتي بامور مشتبهة مركبة من حق وباطل
يجمع الى ذكر الله تعالى واسمايه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ
بمردتهم ويقال ان الحية لعداوتها للانسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم اعدا
بني ادم فاذا عزم على الحية باسما الشياطين اجابت وخرجت من مكانها وكذلك اللديغ
اذا رقي بتلك الاسما سالت سمومها من بدن الانسان فلذلك كره من الرقى ما لم
يكن بذكر الله واسمايه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريا من شوب
الشرك وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله علما الامة **وقال** القرطبي الرقى ثلاثة اقسام
احدها ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه
شرك او يودي الى الشرك **الثاني** ما كان بكلام الله او باسمايه فيجوز فان كان ماثورا
فيستحب **الثالث** ما كان باسما غير الله من ملك او صالح او معظم من المخلوقات كالعرش
قال فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجا الى الله
تعالى به والتبرك باسمايه فيكون تركه اولى الا ان يتضمن تعظيم المرقي به فينبغي ان
يجتنب كالحلف بغير الله تعالى **وقال الربيع** سالت الشافعي عن الرقية فقال
لا باس ان ترقي بكتاب الله تعالى وبما يعرف من ذكر الله **قلت** ايرقي اهل
الكتاب المسلمين قال نعم اذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله انتهى وفي الموطا

ان ابا بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عائشة ارقيها بكتاب الله قال النووي
وقال القاضي عياض واختلف قول مالك في رقية اليهودي والنصراني للمسلم وبالجواز
قال الشافعي والله اعلم وروى ابن وهب عن مالك كراهية الرقية بالحديدة والملح
وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من امر الناس القديم
رقية الذي يصاب بالعين روى مسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين اي الاصابة بالعين شيء
ثابت موجود وهي من جملة ما تحقق كونه **قال** المازري اخذ الجمهور بظاهر الحديث
وانكره طوائف من المبتدعة لغير معنى لان كل شيء ليس محالا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة
ولا افساد دليل فهو من مجوزات العقول فاذا اخبر الشارع بوقوعه لم يكن لانكاره معنى
وهل من فرق بين انكارهم هذا وانكارهم ما يخبر به من امور الاخرة **وقد استشكل**
بعض الناس هذه الاصابة فقال كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون واجيب
بان طبائع الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العاين في الهوى الى بدن
المعيون وقد نقل عن بعض من كان معيانا انه قال اذا رايت شيئا يعجبني وجدت
حرارة تخرج من عيني ويقرب من ذلك بالمراة الحائض تضع يدها في اناء اللبن
فيفسد ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد **ومن ذلك** ان الصحيح قد ينظر الى العين
الرمدا فيرمد وقال المازري زعم بعض الطبائعيين ان العاين تنبعث
من عينيه قوة سمية تتصل بالعين فيهلك او يفسد وهو كاصابة السم من نظر
الافعى واشار الى منع الحصر في ذلك مع تجويزه وان الذي يتمشى على طريقة اهل السنة
ان العين انما تضر عند نظر العاين بعادة اجراها الله تعالى ان يحدث الضرر
عند مقابلة شخص اخر وهل ثم جواهر حقيقة او لا هو امر محتمل لا يقطع باثباته
ولا نفيه ومن قال ممن ينتمي الى الاسلام من اصحاب الطبائع بالقطع بان جواهر
لطيفة غير مرئية تنبعث من العاين فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه
فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم فقد اخطا
بدعوى القطع ولكنه جائز ان يكون عادة ليست ضرورية ولا طبيعية انتهى وهو كلام
سديد وليس المراد بالتاثير المعنى الذي تذهب اليه الفلاسفة بل ما اجرى
الله العادة من حصول الضرر للمعيون وقد اخرج البزار بسنده عن جابر
رفعه اكثر من يموت بعد قضاء الله وقدره بالنفس قال الراوي يعني العين
وقد اجرى الله تعالى العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الاجسام
والارواح كما يحدث لمن ينظر اليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه
حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك وكذا الاصفرار عند رؤية من يخافه وكثير
من الناس من يسقم بمجرد النظر اليه ويضعف قواه وكل ذلك بواسطة

ما خلق الله تعالى في الارواح من التاثيرات ولشدة ارتباطها بالعين وليست هي
المؤثرة وانما التاثير للروح والارواح مختلفة في طبايعها وكيفياتها وخواصها
فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك الروح
وكيفيتها الخبيثة **والحاصل** ان التاثير بارادة الله تعالى وخلقه ليس مقصورا
على الاتصال الجسماني بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة واخرى بمجرد الرؤية
واخرى بتوجه الروح كالذي يحدث من الادعية والرقى والالتجاء الى الله تعالى
وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل فالذي يخرج من عين العاين سهم معنوي ان صادف
البدن لا وقاية له اثر فيه والا لم ينفذ السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسي
سواء انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره **قال** ابن القيم والغرض العلاج النبوي
لهذه العلة فمن التعوذات والرقى الاكثار من قراءة المعوذتين والفاتحة واية الكرسي
ومنها التعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة
ومن كل عين لامة ونحو اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من
شر ما خلق وذرا وبرا ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن
شر ما ذرا في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر
طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن واذا كان يخشى ضرر عينه
واصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه كما قال صلى الله عليه وسلم
لعامر ابن ربيعة لما عان سهل بن حنيف الا باركت عليه **ومما** يدفع به اصابة
العين قول ما شاء الله لا قوة الا بالله **ومنها رقية جبريل** للنبي صلى الله عليه
وسلم كما رواه مسلم بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس
او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك وعنده ايضا من حديث عائشة
كان جبريل يرقي النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى بسم الله يبريك
ومن كل داء يشفيك ومن شر كل حاسد اذا حسد ومن شر كل ذي عين
واخرج مسلم من حديث ابن عباس رفعه العين حق ولو كان شيء سابق
القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وظاهر الامر للوجوب
وحكى المازري خلافا وصحح الوجوب وقال متى خشي الهلاك وكان
اغتسال العاين مما جرت العادة بالشفاء به فانه يتعين **وقد** تقرر
انه يجبر على بذل الطعام للمضطر وهذا اولى ولم يبين في حديث
ابن عباس صفة الاغتسال **قال** الحافظ ابن حجر وقد وقعت في حديث
سهل بن حنيف عند احمد والنسائي ان اباه حدثه ان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج وساروا معه نحو ماء حتى اذا كانوا بشعب الخرار من
الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان ابيض حسن الجسم والجلد

فنظر اليه عامر بن ربيعة فقال ما رايت كاليوم ولا جلد مخبأة فلبط سهل
اي صرع وسقط الى الارض فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون من
احد قالوا عامر بن ربيعة فدعى عامرا فتغيظ عليه فقال علام يقتل احدكم اخاه
هلا اذا رايت ما يعجبك بركت ثم قال اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه
وركبتيه واطراف رجليه وداخلة ازاره في قدح ثم يصب ذلك الماء عليه رجل
من خلفه على راسه وظهره ثم كفي القدح ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس
به باس **قال** المازري المراد بداخلة الازار الطرف المتدلي الذي يلي حقوه
الايمن قال وظن بعضهم انه كناية عن الفرج انتهى **وزاد** القاضي عياض ان المراد
ما يلي جسده من الازار وقيل اراد موضع الازار من الجسد وقيل اراد وركه لانه
معقد الازار ورايت مما عزي بخط شيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي قال ابن بكير
راويه عن مالك انه كناية عن الثوب الذي يلي الجلد **وقال** ابن الاثير في النهاية
كان من عادتهم ان الانسان اذا اصابته عين من احد جا الى العائن بقدح فيه ماء
فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه في القدح ثم يغسل وجهه فيه ثم يدخل يده اليسرى
فيصب على يده اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على يده اليسرى ثم يدخل
يده اليسرى فيصب على مرفقه الايمن ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الايسر
ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه
اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى
فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة ازاره ولا يوضع القدح بالارض ثم يصب
ذلك الماء المستعمل على راس المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة فيبرا باذن
الله تعالى انتهى **قال** المازري هذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه
من جهة العقل فلا يرد لكونه لا يعقل معناه **وقال** ابن العربي ان توقف فيه
متشرع قلنا له قل الله ورسوله اعلم وقد عضدته التجربة وصدقته المعاينة
او متفلسف فالرد عليه اظهر لان عنده ان الادوية تفعل بقواها وقد
تفعل بمعنى لا يدرك ويسمون ما هذا سبيله الخواص **قال** ابن القيم ومن علاج
ذلك والاحتراز منه ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه
كما ذكره البغوي في كتاب شرح السنة ان عثمان ابن عفان راى صبيا
مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين ثم قال في تفسيره
ومعنى دسموا نونته اي سودوا نونته والنونة النقرة
التي تكون في ذقن الصغير وذكر عن ابي عبد الله الساجي انه
كان في بعض اسفاره للحج والغزو على ناقة فارهة وكان في الرفقة
رجل عاين قل ما نظر الى شي الا اتلفه فقيل لابي عبد الله

احفظ

احفظ ناقتك من العائن فقال ليس له الى ناقتي سبيل فاخبر العائن بقوله
فتحين غيبة ابي عبد الله فجا الى رحله فنظر الى الناقة فاضطربت وسقطت
فجا ابو عبد الله فاخبر ان العائن قد عانها وهي كما ترى فقال دلوني عليه
فوقف عليه وقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين
العائن عليه وعلى احب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين
ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير فخرجت حدقتا العائن وقامت الناقة
لا باس بها انتهى وفي حديث هذا الباب من الفوائد ان العائن اذا عرف يقضى عليه
بالاغتسال وان الاغتسال من النشرة النافعة وان العين تكون مع الاعجاب ولو
بغير حسد ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح وان الذي يعجبه الشي يبادر الى الدعا
للذي يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية منه وان الاصابة بالعين قد تقتل **وقد اختلف**
في جريان القصاص بذلك فقال القرطبي لو اتلف العائن شيا ضمنه ولو قتل فعليه
القصاص او الدية اذا تكرر ذلك منه بحيث يصير عادة وهو في ذلك كالساحر
عند من لا يقتله كفرا انتهى ولم تتعرض الشافعية للقصاص في ذلك بل منعوه وقالوا
انه لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا **وقال** النووي في الروضة ولا دية فيه ولا كفارة
لان الحكم انما يترتب على منضبط عام دون ما يختص به بعض الناس وبعض الاحوال
مما لا انضباط له كيف ولم يقع منه فعل اصلا وانما غايته حسد وتمني لزوال
النعمة وايضا فالذي ينشا عن الاصابة بالعين حصول مكروه في زوال الحياة
فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من اثر العين انتهى **قال** الحافظ ابن حجر ولا يعكر
عليه الا الحكم بقتل الساحر فانه في معناه والفرق بينهما عسر ونقل ابن بطال
عن بعض اهل العلم انه ينبغي للامام منع العائن اذا عرف بذلك من مداخلة الناس
وان يلزم بيته فان كان فقيرا رزقه ما يقوم به فان ضرره اشد من ضرر المجذوم
الذي منعه عمر من مخالطة الناس واشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع
آكله من حضور الجماعة قال النووي وهذا القول صحيح متعين لا يعرف عن
غيره تصريح بخلافه **ذكر رقيته صلى الله عليه وسلم** التي كان يرقي
بها عن عبد العزيز قال دخلت انا وثابت على انس بن مالك فقال
ثابت يا ابا حمزة اشتكيت فقال انس الا ارقيك برقية رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال بلى قال قل اللهم رب الناس اذهب الباس اشف
انت الشافي لا شافي الا انت شفا لا يغادر سقما رواه البخاري وقوله
اذهب الباس بغير همز للمواخاة واصله الهمز وقوله لا شافي الا انت
اشارة الى ان كل ما يقع من الدا والدوا والتداوي ان لم يصادف تقدير
الله والا فلا ينجع وقوله لا يغادر بالغين المعجمة اي لا يترك وفي البخاري

ايضا عن مسروق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض اهله يمسح
بيده اليمنى ويقول اللهم رب الناس اذهب الباس واشفه وانت الشافي لا شفا
الا شفاؤك شفا لا يغادر سقما **وقوله** يمسح بيده اي على الوجع وقوله الا شفاؤك
بالرفع بدل من موضع لا شفا وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي
ويقول امسح الباس رب الناس بيدك الشفا لا كاشف له الا انت رواه البخاري ايضا
وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاص انه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده
في جسده منذ اسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذي يالم من جسدك وقل بسم
الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر وانما
كرره ليكون انجع وابلغ كتكرار الدوا لاخراج المادة **ذكر طبه صلى الله
عليه وسلم من الفزع** والارق المانع من النوم عن بريدة قال شكى خالد الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما انام الليل من الارق فقال صلى الله عليه وسلم
اذا اويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما اظلت ورب الارضين
وما اقلت ورب الشياطين وما اضلت كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا ان يفرط
علي احد منهم او يبغي علي عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك رواه الترمذي
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حر المصيبة بردا لرجوع الى الله تعالى
في المسند مرفوعا ما من احد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون
اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته واخلف
له خيرا منها قال في الهدي النبوي وهذه الكلمة من ابلغ علاج المصاب وانفعه
في عاجلته واجلته فانها تتضمن اصلين عظيمين اذا تحقق العبد بمعرفتهما
تسلى عن مصيبته **احدهما** ان العبد واهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة
وقد جعله الله عند العبد عارية فاذا اخذه منه فهو كالمعير ياخذ متاعه
من المستعير والثاني ان مصير العبد ومرجعه الى الله ولا بد ان يخلف
الدنيا وراء ظهره ويجي ربه فردا كما خلقه اول مرة بلا اهل ولا مال ولا عشيرة
ولكن بالحسنات والسيات فاذا كان هذا بداية العبد ونهايته فكيف يفرح
بموجود او ياسى على مفقود ففكره في مبداه ومعاده من اعظم علاج
هذا الداء **قال** ومن علاجه ان تطفئ نار مصيبته ببرد التاسي
التاسي باهل المصايب وانه لو فتش العالم لم ير الا مبتلى اما بفوات محبوب
او حصول مكروه وان سرور الدنيا احلام نوم او ظل زايل ان اضحكت
قليلا ابكت كثيرا وان سرت يوما اساءت دهرا وان متعت قليلا
منعت طويلا وما ملات دارا حبرة الا ملاتها عبرة ولا سرته بيوم سرور
الا خبات له يوم شرور وقال ابن مسعود لكل فرحة ترحة وما ملي

بيت فرحا الا ملي ترحا **ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من داء الهم والكرب**
ه والتوجه الى الرب عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب
لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض
ورب العرش الكريم رواه الشيخان **وقوله** عند الكرب اي عند حلول الكرب وعند
مسلم كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب وعنده ايضا كان اذا حزبه امر وهو
بفتح الحا المهملة والزاي والبا الموحدة اي هجم عليه او غلبه قال الطبري معنى
قول ابن عباس يدعو وانما هو تهليل وتعظيم يحتمل امرين **احدهما** ان المراد تقديمه
وذكره قبل الدعا كما عند عبد بن حميد كان اذا حزبه امر قال فذكر الذكر الماثور
وزاد ثم دعا قال الطبري ويؤيده هذا ما روي الاعمش عن ابراهيم قال كان يقال اذا
بدا الرجل بالثنا قبل الدعا استجيب له واذا بدا بالدعا قبل الثنا كان على
الرجا **ثانيهما ما اجاب** به ابن عيينة وقد سئل عن الحديث الذي فيه
اكثر ما كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة لا اله الا الله وحده
لا شريك له الحديث فقال سفيان هو ذكر وليس فيه دعا ولكن قال النبي صلى الله
عليه وسلم عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي
السايلين **وقال امية** ابن الصلت في مدح عبد الله ابن جدعان •

• اأذكر حاجتي ام قد كفاني • حياؤك ان شيمتك الحياء •
• اذا اثنى عليك المرء يوما • كفاه من تعرضه الثناء •

فهذا مخلوق حين نسب الى الكرم اكتفى بالثنا عن السوال فكيف بالخالق ثم ان
حديث ابن عباس هذا كما قاله ابن القيم قد اشتمل على توحيد الالهية والربوبية
ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة
والرحمة والاحسان والتجاوز ووصفه بكمال ربوبيته الشاملة للعالم العلوي
والسفلي والعرش الذي هو سقف المخلوقات واعظمها والربوبية التامة
تستلزم توحيده وانه الذي لا ينبغي العبادة والحب والخوف والرجا والاجلال
والطاعة الا له وعظمته المطلقة تستلزم اثبات كل كمال له وسلب كل نقص
وتمثيل عنه وحلمه يستلزم كمال رحمته واحسانه الى خلقه فعلم القلب ومعرفته
بذلك توجب محبته واجلاله وتوحيده فيحصل له من الابتهاج واللذة
والسرور ما يدفع عنه الم الكرب والهم والغم وانت تجد المريض
اذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوي نفسه كيف تقوى الطبيعة على دفع
المرض الحسي فحصول هذا الشفا للقلب اولى واحرى ثم اذا قابلت بين
ضيق القلب وسعته هذه الاوصاف التي تضمنها هذا الحديث وجدته
في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق وخروج القلب منه الى سعته

البهجة والسرور وانما تصدق هذه الامور من استنارت فيه انوارها وباشر قلبه حقايقها
قال ابن بطال حدثني ابو بكر الرازي قال كنت باصبهان عند ابي نعيم فقال الشيخ ان
ابا بكر ابن علي قد سعي به الى السلطان فسجن فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وجبريل
عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم قل لابي بكر
ابن علي يدعو بدعا الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه قال فاصبحت
فاخبرته فدعا به فلم يمكث الا قليلا حتى اخرج وفي حديث علي عند النساي وصحيح الحاكم
لقنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات وامرني ان اقولها اذا نزل بي كرب
او شدة لا اله الا الله الكريم العظيم سبحان الله تبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله
رب العالمين وفي لفظ الحليم الكريم في الاول وفي لفظ لا اله الا الله وحده لا شريك له
العلي العظيم لا اله الا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم وفي لفظ لا اله الا الله
الحليم الكريم سبحانه تبارك وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اخرجها
كلها النساي وروى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اهمه
الامر رفع طرفه الى السما فقال سبحان الله العظيم واذا اجتهد في الدعا قال يا حي
يا قيوم وعنده ايضا من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر
قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث قال العلامة ابن القيم وفي تاثير قوله
يا حي يا قيوم برحمتك استغيث في دفع هذا الدا مناسبة بديعة فان صفة
الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها وصفة القيومية متضمنة
لجميع صفات الافعال ولهذا كان اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب
واذا سيل به اعطى هو اسم الحي القيوم والحياة التامة تضاد جميع الالام
والاسقام ولهذا لما كملت حياة اهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن
ولا شي من الافات فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تاثير في ازالة ما يضاد
الحياة ويضر بالافعال فلهذا الاسم الحي القيوم تاثير عظيم خاص في
اجابة الدعوة وكشف الكربات ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد
في الدعا قال يا حي يا قيوم وروى ابو داود عن ابي بكر الصديق رضي الله
تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوات المكروب اللهم
رحمتك ارجوا فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت
وفي هذا الدعا كما قاله في زاد المعاد من تحقيق الرجا لمن الخير كله بيده
والاعتماد عليه وحده وتفويض الامر اليه والتضرع اليه ان يتولى
اصلاح شانه ولا يكله الى نفسه والتوسل اليه بتوحيده مما له
تاثير قوي في دفع هذا الدا وكذا قوله في حديث اسما بنت عميس عند ابي داود
ايضا تقول عند الكرب الله ربي لا اشرك به شيا وفي مسند الامام

احمد من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصاب عبدا هم
ولا حزن فقال اللهم اني عبدك بن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في
حكمك عدل في قضاوك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك
او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران العظيم
ربيع قلبي ونور صدري وجلا حزني وذهاب همي الا اذهب الله حزنه وهمه وابدله
مكانه فرحا وانما كان هذا الدعا بهذه المنزلة لاشتماله على الاعتراف بعبودية
الداعي وعبودية ابايه وامهاته وان ناصيته بيده يصرفها كيف يشا واثبات
القدر وان احكام الرب نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها
ولا حيلة له في دفعها وانه سبحانه وتعالى عدل في هذه الاحكام غير ظالم لعبده ثم
توسله باسما الرب تعالى التي سمى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا ومنها
ما استاثر به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وهذه
الوسيلة اعظم الوسايل واحبها الى الله واقربها تحصيلا للمطلوب ثم سال له
ان يجعل القران لقلبه كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان وان يجعله لصدره كالنور
الذي هو مادة الحياة وبه يتم معاش العباد وان يجعله شفا همه وغمه فيكون
بمنزلة الدوا الذي يستاصل الدا ويعيد البدن الى صحته واعتداله وان
يجعله لحزنه كالجلا الذي يجلو الطبوع والاصدية وغيرها فاذا صدق العليل
في استعمال هذا الدوا اعقبه شفا تاما وفي سنن ابي داود عن ابي سعيد
الخدري قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا هو برجل
من الانصار يقال له ابو امامة فقال يا ابا امامة ما لي اراك في المسجد في غير
وقت الصلاة فقال هموم لزمتني وديون يا رسول الله فقال الا اعلمك
كلاما اذا انت قلته اذهب الله عز وجل همك وقضى دينك قال قلت
بلى يا رسول الله قال قل اذا اصبحت واذا امسيت اللهم اني اعوذ بك من
الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل لعله العجز
واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت ذلك فاذهب الله همي
وقضى عني ديني وقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من ثمانية اشيا كل اثنين
منها قرينان مزدوجان فالهم والحزن اخوان والعجز والكسل اخوان
والجبن والبخل اخوان وضلع الدين وغلبة الرجال اخوان فتضمنت الاستعاذة
من كل شر وفي سنن ابي داود ايضا عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق
مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وانما كان الاستغفار له تاثير في دفع
الهم والضيق لانه قد اتفق اهل الملل نقلا وعقلا كل ملة ان المعاصي

والفساد يوجبان الهم والغم والحزن وضيق الصدر وامراض القلب **واذا كان** هذا تاثير الذنوب والاثام في القلوب فلا دوا لها الا التوبة والاستغفار **و**عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من كثرت همومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وثبت في الصحيحين انها كنز من كنوز الجنة وفي الترمذي انها باب من ابواب الجنة وفي بعض الاثار ما ينزل ملك من السما ولا يصعد الا بلا حول ولا قوة الا بالله **وروى** الطبراني من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كربني امر الا تمثل لي جبريل فقال لي يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وفي كتاب ابن السني من حديث ابي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب اغاثه الله عز وجل وعنده ايضا من حديث سعد ابن ابي وقاص قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وعند الترمذي لم يدع بها رجل مسلم في شي قط الا استجيب له وروى الديلمي في مسند الفردوس عن جعفر ابن محمد يعني الصادق قال حدثني ابي عن جدي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر دعا بهذا الدعا اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي فلا اهلك وانت رجائي فكم من نعمة انعمت بها علي قل لك بها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني ويا من راني على الخطايا فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي لا ينقضي ابدا ويا ذا النعما التي لا تحصى عددا اسالك ان تصلي على محمد وعلى ال محمد وبك ادرا في نحور الاعدا والجبارين اللهم اعني على ديني بالدنيا وعلى اخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي طرفة عين فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب ولا ينقصه العفو هب لي ما لا ينقصك واغفر لي ما لا يضرك انك انت الوهاب اسالك فرجا قريبا وصبرا جميلا ورزقا واسعا والعافية من البلايا وشكر العافية وفي رواية واسالك تمام العافية واسالك دوام العافية واسالك الشكر على العافية واسالك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من دا الفقر عن** عمران ان رجلا قال يا رسول الله ان الدنيا ادبرت عني وتولت قال له فاين انت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبه يرزقون قل عند طلوع الفجر سبحان الله وبحمده سبحان الله

العظيم

العظيم استغفر الله مائة مرة تاتيك الدنيا صاغرة فولى الرجل فمكث ثم عاد فقال يا رسول الله لقد اقبلت علي الدنيا فما ادري اين اضعها رواه الخطيب في رواية مالك **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من دا الحريق عن** عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفيه **فان قلت** ما وجه الحكمة في اطفاء الحريق بالتكبير **اجاب** صاحب زاد المعاد بانه لما كان الحريق سببه النار وهي مادة الشيطان التي خلق منها وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله وكان للشيطان اعانة عليه وتنفيذ له وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد وهذان الامران هما هدي الشيطان واليهما يدعو وبهما يهلك بني ادم فالشيطان والنار كل منهما يريد العلو في الارض والفساد وكبريا الله تعالى تقمع الشيطان وفعله فلهذا كان تكبير الله تعالى له اثر في اطفاء الحريق فان كبريا الله تعالى لا يقوم لها شي فاذا كبر المسلم ربه اثر تكبيره في خمود النار التي هي مادة الشيطان وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك انتهى **ولقد جربت** ذلك بطيبة في سنة خمس وتسعين وثمانمائة فوجدت له اثرا عظيما لم اجده لغيره وقد شاع وذاع رؤية طيور عند حريق طيبة الواقع في ثالث عشري رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة ومنه حديث ادرك بمكة فقه احترق نعله بالتكبير **ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يطب به من دا الصرع** في الصحيحين ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني اصرع واني اتكشف فادع الله لي فقال ان شيت صبرت ولك الجنة وان شيت دعوت الله ان يعافيك فقالت اصبر قالت فاني اتكشف فادع الله ان لا اتكشف فدعا لها **قال** العلامة ابن القيم ثم الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارضية وصرع من الاخلاط الردية والثاني هو الذي يتكلم فيه الاطبا فاما علاج صرع الارواح فيكون بامرين امر من جهة المصروع وامر من جهة المعالج فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه الى فاطر هذه الارواح وبارئها والتعوذ الصحيح الذي قد تواطا عليه القلب واللسان فان هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح الا بامرين ان يكون السلاح صحيحا في نفسه جيدا وان يكون الساعد قويا والثاني من جهة المعالج بان يكون فيه هذان الامران ايضا حتى ان من المعالجين من يكتفي بقوله اخرج منه او بقول بسم الله او بقول لا حول ولا قوة الا بالله **قال** وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم

لقول اخرج عدو الله انا رسول الله وكان بعضهم يعالج ذلك باية الكرسي وبا بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين قال ومن حدث له الفزع وله حشة وعزون سنة وخصوصا لسبب دماغي اي ليس من بريه وكذا اذا استمر به الي هذا السن قال فهذه المراة التي في الحديث انها كانت تصرع وتتكشف يجوز ان يكون صرعها من هذا النوع فوعدها صلى الله عليه وسلم بصبرها على هذا المرض بالجنة ولقد جربت الاقسام بالنبي صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه الي اخر سورة الكهف في ابنتين صغيرتين صرعتا فشفيتا ومن الغريب قصة غزال الحبشية خادمتنا لما صرعت بعد رب الحجاز الزيف واستغثت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فجي الي رصادعها في المنام باثره صلى الله عليه وسلم فوبخته واقسم لا يعود اليها فاستيقظت وما بها قلبة ومن ثم لم يعد اليها فلله الحمد ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء السحر قال النووي السحر حرام وهو من الكبائر بالاجماع وقد يكون كفرا وقد لا يكون كفرا بل معصية كبيرة فان كان فيه قول او فعل يقتضي الكفر كفر والا فلا واما تعلمه وتعليمه فحرام واذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر فاعله واستتيب منه ولا يقتل عندنا وان تاب قبلت توبته وقال مالك الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله والمسئلة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق لان الساحر عنده كافر كما ذكرناه وعندنا ليس بكافر وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق وقال القاضي عياض وبقول مالك قال احمد بن حنبل وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين قال اصحابنا فاذا قتل الساحر بسحره انسانا واعترف انه مات بسحره وانه يقتل غالبا لزمه القصاص فان قال مات به ولكنه قد يقتل وقد لا يقتل فلا قصاص وتجب الدية والكفارة وتكون الدية في ماله لا على عاقلته لان العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني قال اصحابنا ولا يتصور ثبوت القتل بالسحر بالبينة وانما يتصور باعتراف الساحر انتهى واختلف في السحر فقيل هو تخييل فقط ولا حقيقة له وهو اختيار ابو جعفر الاسترابادي من الشافعية وابي بكر الرازي من الحنفية وطايفة قال النووي والصحيح ان له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة قال شيخ الاسلام ابو الفضل العسقلاني لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين او لا فمن قال انه تخييل فقط منع ذلك والقايلون بان له حقيقة اختلفوا هل له تاثير

فقط

فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الامراض او ينتهي الي الاحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه فالذي عليه الجمهور هو الاول وقال المازري جمهور العلما على اثبات السحر ولان العقل لا ينكر ان الله تعالى قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق او تركيب اجسام او مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ونظير ذلك ما وقع من حذاق الاطبا من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعا وقيل لا يزيد تاثير السحر على ما ذكر الله تعالى في قوله يفرقون به بين المرء وزوجه لكون المقام مقام تهويل فلو جاز ان يقع به اكثر من ذلك لذكره الله تعالى قال المازري والصحيح من جهة العقل ان يقع به اكثر من ذلك قال والاية ليست نصا في منع الزيادة ولو قلنا انها ظاهرة في ذلك ثم قال والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة ان السحر يكون بمعاناة اقوال وافعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج الي ذلك انما تقع غالبا اتفاقا واما المعجزة فتمتاز على الكرامة بالتحدي ونقل امام الحرمين الاجماع على ان السحر لا يقع الا من فاسق وان الكرامة لا تظهر على يد فاسق ونقل نحوه النووي في زيادة الروضة عن المتولي وينبغي ان يعتبر حال من يقع منه الخارق فان كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يديه من الخوارق كرامة والا فهو سحر وقال القرطبي السحر حيل صناعية يتوصل اليها بالاكتساب غير انها لدقتها لا يتوصل اليها الا احاد الناس ومادته الوقوف على خواص الاشياء والعلم بوجوه تركيبها واوقاتها واكثرها تخييلات بغير حقيقة وايهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال تعالى عن سحرة فرعون وجاءوا بسحر عظيم مع ان حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالا وعصيا وقال ابو بكر الرازي في الاحكام اخبر الله تعالى ان الذي ظنه موسى انها تسعى لم يكن سعيا وانما كان تخييلا وذلك ان عصيهم كانت مجوفة قد مليت زيبقا وكذلك الحبال كانت من ادم محشوة زيبقا وقد حفروا قبل ذلك اسرابا وجعلوا لها ازاجا

عبله

وملوها نارا فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزيبق حركها لان من شان الزيبق اذا اصابته النار ان يطير فلما اثقلته كثافة الحبال والعصي صارت تتحرك بحركته فظن من راها انها تسعى ولم تكن تسعى حقيقة انتهى قال القرطبي والحق ان لبعض اصناف السحر تاثيرا في القلوب كالحب والبغض والقاء الخير والشر وفي الابدان بالالم والسقم وانما المنكر ان ينقلب الجماد حيوانا او عكسه بسحر الساحر وقد ثبت في البخاري من حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى انه كان ليخيل اليه انه يفعل الشي وما يفعله حتى اذا كان ذات ليلة عند عائشة دعا

ودعا ثم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان
فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما بال الرجل
قال مطبوب قال من طبه قال لبيد ابن الأعصم قال في أي شيء قال في مشط ومشاطة
وجف طلع نخلة ذكر قال وأين هو قال في بير ذروان فأتاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ناس من أصحابه فجاء فقال يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء
وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين فقلت يا رسول الله أفلا استخرجته قال قد
عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرا فأمر بها فدفنت وفي رواية للبخاري
أيضا فأتى البير حتى استخرجه فقال هذه البير التي أريتها قالت عائشة أفلا تنشرت
قال أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير على الناس شرا وفي حديث ابن عباس عند
البيهقي في الدلائل بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي صلى الله
عليه وسلم أنهم وجدوا وترا فيه إحدى عشرة عقدة وأنزلت سورة الفلق
والناس فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة وأخرجه ابن سعد بسند آخر منقطع
عن ابن عباس أن عليا وعمارا لما بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم لاستخراج السحر
وجدا طلعة فيها إحدى عشرة عقدة فذكر نحوه وفي رواية ذكرها في فتح
الباري فنزل رجل فاستخرجه وأنه وجد في الطلعة تمثالا من شمع تمثال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وإذا فيه إبر مغروزة وإذا وتر فيه إحدى عشرة
عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع
إبرة وجد لها ألما ثم يجد بعدها راحة وقد بين الواقدي السنة التي
وقع فيها السحر كما أخرجه عنه ابن سعد بسند له إلى عمر بن الحكم مرسلا قال
لما رجع صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة
سبع جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد ابن الأعصم وكان حليفا في بني زريق
وكان ساحرا فقالوا أنت أسحرنا وقد سحرنا فلم نصنع شيئا ونحن نجعل لك
جعلا على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير ووقع في رواية
أبي ضمرة عند الإسماعيلي فأقام أربعين ليلة وفي رواية وهيب عن هشام عند
أحمد ستة أشهر ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه
والأربعين يوما من استحكامه وقال السهيلي لم أقف في شيء من الأحاديث
المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها في السحر
حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري أنه لبث سنة قال الحافظ ابن
حجر وقد وجدناه موصولا بالإسناد الصحيح فهو المعتمد وقال المازري
أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة
ويشكك فيها قالوا وكلما أدى إلى ذلك فهو باطل وزعموا أن تجويز

هذا

هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى
جبريل وليس هو ثم وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء قال المازري وهذا
كله مردود لأن الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن
الله وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام
الدليل على خلافه باطل وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث
لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر
كالأمراض فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته
عن مثل ذلك في أمور الدين انتهى وقال غيره لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل
الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر
ولا يثبت فلا يبقى على هذا للملحد حجة وقال القاضي عياض يحتمل أن يكون المراد بالتخييل
المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء
فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود ويكون قوله في الرواية الأخرى
حتى كاد ينكر بصره أي صار كالذي ينكر بصره بحيث أنه إذا رأى الشيء يخيل
إليه أنه على غير صفته فإذا تأمله عرف حقيقته ويؤيد جميع ما تقدم أنه
لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولا فكان بخلاف ما أخبر به قال بعضهم
وقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي
الأسباب ففي أول الأمر فوض وسلم لأمر ربه واحتسب الأجر في صبره على بلائه
ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه أن يضعفه عن فنون عباداته
جنح إلى التداوي فقد أخرج أبو عبيد من مرسل عبد الرحمن بن أبي ليلى
قال احتجم النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه بقرن حين طب ثم جنح إلى
الدعاء وكل من المقامين غاية في الكمال وقال ابن القيم من أنفع الأدوية
وأقوى ما يؤخذ من النشرة مقاومة للسحر الذي هو من تأثيرات الأرواح
الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة فالقلب إذا كان
ممتلئا من الله معمورا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه
لا يخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له قال
وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة ولهذا غالب ما يؤثر
في النساء والصبيان والجهال لأن الأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح
تلقاها مستعدة لما يناسبها انتهى ملخصا ويعكر عليه حديث الباب
وجواز السحر على النبي صلى الله عليه وسلم مع عظيم مقامه وصدق توجهه
وملازمته ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذي ذكره محمول
على الغالب وإنما وقع به صلى الله عليه وسلم لبيان تجويز ذلك عليه

واما ما يعالج به من النشرة المقاومة للسحر فذكر ابن بطال ان في كتب ابن منبه
ان يأخذ سبع ورقات من سدر اخضر فيدق بين حجرين ثم يضرب ذلك بالماء ويقرا
فيه اية الكرسي والقلاقل ثم يحسو منه ثلاث حسيات ثم يغتسل به فانه يذهب
عنه ما كان به وهو جيد للرجل اذا احتبس عن اهله **وممن صرح** بجواز النشرة
المزني عن الشافعي وابو جعفر الطبري وغيرهما انتهى وقال ابن الحاج في المدخل كان الشيخ
ابو محمد المرجاني اكثر تداويه بالنشرة يعملها لنفسه ولاولاده ولاصحابه ويجدون
على ذلك الشفا واخبر رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاها له في المنام
وذلك انه راى النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما تعلم ما تعمل معك ومع اصحابك
في هذه النشرة نقلته عنه خادمه وهي هذه لقد جاءكم رسول من انفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الى اخر السورة وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
الى اخر السورة وسورة الاخلاص والمعوذتين ثم يكتب اللهم انت المحيي وانت
المميت وانت الخالق وانت البارئ وانت المبلي وانت المعافي وانت الشافي
خلقتنا من ماء مهين وجعلتنا في قرار مكين الى قدر معلوم اللهم اني اسالك
باسمائك الحسنى وصفاتك العليا يا من بيده الابتلاء والمعافاة والشفاء
والدواء اسالك بمعجزات نبيك محمد صلى الله عليه وسلم حبيبك وبركاتك
وبركات خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام وحرمة كليمك موسى عليه الصلاة
والسلام اللهم اشفه **ذكر رقية تنفع لكل شكوى** عن ابي الدرداء قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيئا فليقل ربنا الذي
في السماء تقدس اسمك امرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك
في الارض واغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين انزل رحمة من
عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرا باذن الله رواه ابو داود
في سننه **رقيته عليه الصلاة والسلام من الصداع روى**
الحميدي في الطب عن يونس ابن يعقوب عن عبد الله قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الصداع بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الكبير
واعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار رواه ابن
السني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما **واصاب** اسماء بنت ابي
بكر رضي الله تعالى عنهما ورم في راسها فوضع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يده على ذلك من فوق الثياب فقال بسم الله اذهب عنها
سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك بسم
الله صنع ذلك ثلاث مرات وامرها ان تقول ذلك فقالت ثلاثة ايام

فذهب

99

فذهب الورم رواه الشيخ ابن النعمان بسنده والبيهقي **رقيته صلى الله
عليه وسلم من وجع الضرس روى** البيهقي ان عبد الله بن رواحة
شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم وجع الضرس فوضع صلى الله عليه وسلم
يده على خده الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء ما يجد وفحشه
بدعوة نبيك المكين المبارك عندك سبع مرات فشفاه الله قبل ان يبرح **وروى**
الحميدي ان فاطمة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو ما تلقى من ضربان
الضرس فادخل سبابته اليمنى فوضعها على السن التي تالم فقال بسم الله
وبالله اسالك بعزك وجلالك وقدرتك على كل شيء فان مريم لم تلد غير عيسى
من روحك وكلمتك ان تكشف ما تلقى فاطمة بنت خديجة من الضر كله فسكن
ما بها ومن الغريب مما شاع وذاع عن شيخنا المحب الطبري امام مقام الخليل
بمكة ورايته يفعله غير مرة وضع يده على راس الموجوع من ضرسه وسواله عن اسمه واسم
امه وعن المدة التي يريد ان لا يالمه فيها فيقول سبع سنين او تسع سنين
مثلا بالوتر كما قالوا فلم يرفع يده الا وقد سكن المه ويمكث المدة المذكورة
لا يولمه كما اشيع ذلك واشتهر ومما جرب ان تكتب على الخد الذي يلي الوجع
بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
قليلا ما تشكرون وان شئت كتبت وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم
رقيته لعسر البول روى النسائي عن ابي الدرداء انه اتاه رجل يذكر ان
اباه احتبس بوله فاصابه حصاة البول فعلمه رقية سمعها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ربنا الذي في السماء تقدس اسمك امرك في السماء والارض كما
رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر ذنوبنا وخطايانا انت رب
الطيبين فانزل شفاء من شفائك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فيبرا
وامره ان يرقيه بها فرقاه بها فبرى وقد تقدم هذا في رقية الشكوى
العامة من حديث ابي الدرداء **رقية الحمى عن النبي** قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عائشة وهي موعوكة وهي تسب الحمى فقال
لا تسبيها فانها مامورة ولكن ان شئت علمتك كلمات اذا قلتيهن اذهبها
الله عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي
الدقيق من شدة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله العظيم فلا
تصدعي الراس ولا تنتني الفم ولا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي
الى من يزعم ان مع الله الها اخر قالت فقالتها فذهبت عنها رواه
البيهقي وقد جربته لكن كما رايته بخط شيخنا ولفظه اللهم ارحم عظمي
الدقيق وجلدي الرقيق واعوذ بك من فورة الحريق يا ام ملدم

فان

ان كنت امنت بالله واليوم الاخر فلا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم ولا تؤذي
على الفم وانتقلي الى من يزعم ان مع الله الها اخر فاني اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله ويكتب للحمى المثلثة مما ذكره صاحب الهدي على ثلاث
ورقات لطاف بسم الله فرت بسم الله مرت بسم الله قلت ويأخذ كل يوم ورقة
ويجعلها في فمه ويبلعها بماء **وقد رخص** جماعة من السلف في كتابة بعض القرآن
وشربه وجعل ذلك من الشفاء الذي جعل الله فيه **قال** ابن الحاج في المدخل
وقد كان الشيخ ابو محمد المرجاني لا تزال الاوراق للحمى وغيرها على باب الزاوية
فمن كان به الم اخذ ورقة منها فاستعملها فيبرا باذن الله تعالى وكان المكتوب
فيها ان في اللهم برئ فلا يبرا ان يزيل الزوال وهو لا يزال ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقال المروزي بلغ ابا
عبد الله اني حممت فكتب لي من الحمى رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله
وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا
فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل اشف صاحب
هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك اله الحق امين **ومما جرب** للخراج
ونقله صاحب زاد المعاد ان تكتب عليه ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها
ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا **ومما يكتب**
لعسر الولادة ما روى الخلال عن عبد الله ابن الامام احمد بن حنبل قال
رايت ابي يكتب للمراة اذا اعسر عليها ولادتها في جام ابيض او شي نظيف
حديث ابن عباس لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم
الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها **قال** الخلال اخبرنا ابو بكر
المروزي ان ابا عبد الله جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله تكتب لامراة قد
عسر عليها الولادة منذ يومين فقال قل له يجي بجام واسع وزعفران
قال ورايته يكتب لغير واحد وفي المدخل يكتب في اناء جديد اخرج ايها
الولد من بطن ضيق الى سعة هذه الدنيا اخرج بقدرة الذي جعلك
في قرار مكين الى قدر معلوم لو انزلنا هذا القرآن على جبل الى اخر
السورة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وتشربه النفساء
ويرش منها على وجهها **قال** الشيخ المرجاني اخذته عن بعض السادة
فاكتبه لاحد الا نجح في وقته انتهى وروي عن عكرمة عن ابن عباس
قال مر عيسى عليه الصلاة والسلام على امراة وقد اعترض ولدها
في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله لي ان يخلصني مما انا فيه فقال

يا خالق

يا خالق النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس
خلصها قال فرمت بولدها فاذا هي قائمة قال فاذا اعسر على المراة ولدها فاكتبا
لها **ومما يكتب ايضا لذلك** ويكون في اناء نظيف اذا السماء انشقت واذنت
لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت وتشرب الحامل منه ويرش على
بطنها **ومما يكتب للرعاف** على جبهة المرعوف وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي وغيض الماء وقضي الامر ولا يجوز كتابتها بدم الراعف كما يفعل بعض
الجهال فان الدم نجس فلا يجوز ان يكتب به كلام الله **ومما يكتب لعرق النسا**
بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شيء ومليك كل شيء وخالق كل شيء انت خلقتني
وخلقت النسا فلا تسلطه علي باذى ولا تسلطني عليه بقطع واشفني شفاء
لا يغادر سقما لا شافي الا انت **واما حفيظة رمضان** لا اله الا الله الاول بالله
انك سميع عليم محيط به علمك وبالحق انزلناه وبالحق نزل الى اخرها فاشتهرت
ببلاد اليمن يحفظ من الغرق والسرق والحرق وسائر الافات ويكتب في اخر جمعة
منه وجمهورهم يكتبها والخطيب يخطب على المنبر وبعضهم بعد صلاة العصر وهذه
بدعة لا اصل لها وان وقعت في كلام غير واحد من الاكابر بل اشتهر كلام بعضهم
ورودها في خبر ضعيف وكان الحافظ ابن حجر ينكرها جدا حتى وهو قائم
في اثناء خطبته حين يرى من يكتبها انتهى **ذكر ما يقي من كل بلاء عن** ابان
ابن عثمان عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال
بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم
ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجاة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح
لم تصبه فجاة بلاء حتى يمسي قال فاصاب ابان بن عثمان الفالج فجعل الذي
سمع منه الحديث ينظر اليه فقال ما لك تنظر الي فوالله ما كذبت على عثمان
ولا كذب عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اليوم الذي اصابني فيه
ما اصابني غضبت فنسيت ان اقولها رواه ابو داود ورواه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح وعنده فكان ابان قد اصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر اليه
فقال ابان ما لك تنظر الي اما ان الحديث كما حدثتك ولكن لم اقله يومئذ
ليمضي الله قدره **ذكر ما يستجلب به المعافاة من سبعين بلاء** ذكر
ابو محمد المالكي الافريقي في كتابه اخبار افريقية عن انس ابن مالك مرفوعا
من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
عشر مرات برئ من ذنوبه عشر مرات برئ من ذنوبه كيوم ولدته امه
وعوفي من سبعين بلاء من بلاء الدنيا منها الجنون والجذام والبرص
والريح **ويشهد له** ما رواه الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانها من كنز الجنة
قال مكحول من قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا منجا من الله الا اليه
كشف الله عنه سبعين بابا من الضراء ادناها الفقر وروى الطبراني عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله كانت دوا
من تسعة وتسعين دا ايسرها الهم ومن ذلك في الامان من الفقر
عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا
بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر ابدا رواه ابن ابي الدنيا وروى الطبراني عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابطا عليه رزقه فليكثر من
قول لا حول ولا قوة الا بالله وعن جعفر ابن محمد عن ابيه عن جده عن علي ابن ابي
طالب يرفعه من قال كل يوم وليلة لا اله الا الله الملك الحق المبين كان
له امانا من الفقر وانسا من وحشة القبر واستفتح به باب الغنا واستقرع به باب
الجنة قال بعض رواته لو رحلتم في هذا الحديث الى الصين ما كان كثيرا ذكره
عبد الحق في كتاب الطب النبوي ذكر دوا الطعام روى البخاري في تاريخه
عن عبد الله ابن مسعود من قال حين يوضع الطعام بسم الله خير الاسما في الارض
وفي السما لا يضر مع اسمه دا اجعل فيه رحمة وشفا لم يضره ما كان ذكر دوا ام
الصبيان عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد له مولود
فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى لم تضره ام الصبيان رواه ابن السني
وذكر عبد الحق في الطب النبوي وام الصبيان هي الريح التي تعرض لهم فربما
يخشى عليهم منها وسر التاذين كما قاله صاحب تحفة الودود باحكام المولود
ان يكون اول ما يقرع سمع المولود كلمات المتضمنة لكبريا الرب وعظمته والشهادة
التي اول ما يدخل بها في الاسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار الاسلام عند
دخوله الى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها مع ما في ذلك
من فائدة اخرى وهي هروب الشيطان من كلمات الاذان وهو كان يرصده حتى
يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاها فيسمع الشيطان ما يضعفه
ويغيظه اول اوقات تعلقه به **النوع الثاني في طبه صلى الله عليه وسلم**
بالادوية الطبيعية ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يعالج به
الصداع والشقيقة اعلم ان الصداع الم في بعض اجزا الراس او كله
فما كان منه في احد جانبي الراس لازما سمي شقيقة بوزن عظيمة وسببه
ابخرة مرتفعة او اخلاط حارة او باردة ترتفع الى الدماغ فان لم تجد
منفذا احدثت الصداع فان مال الى احد شقي الراس احدث
الشقيقة وان ملك كل الراس احدث دا البيضة تشبيها ببيضة السلاح

لعله كانت
اليسرها

التي

التي تشتمل على الراس كلها واسباب الصداع كثيرة منها ما تقدم ومنها ما يكون عن
ورم في المعدة او في عروقها او ريح غليظة فيها او لامتلائها ومنها ما يكون
من الحركة العنيفة كالجماع والقي والاستفراغ والسهر وكثرة الكلام ومنها
ما يحدث من الاعراض النفسانية كالهم والحزن والجوع والحمى ومنها ما يحدث
عن حادث في الراس كضربة تصيبه او ورم في صفاق الدماغ او حمل شي ثقيل يضغط
الراس او تسخينه بشي خارج عن الاعتدال او تبريده بملاقاة الهواء او
الما في البرد واما الشقيقة فهي في شريان الراس وحدها وتختص بالموضع
الاضعف من الراس وعلاجها شد العصابة وقد اخرج الامام احمد من
حديث بريدة انه صلى الله عليه وسلم كان ربما اخذته الشقيقة فيمكث اليوم
واليومين لا يخرج وفي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته وارأساه وانه
خطب وقد عصب راسه فعصب الراس ينفع في الشقيقة وغيرها من اوجاع
الراس وفي البخاري من حديث ابن عباس احتجم صلى الله عليه وسلم وهو محرم في
راسه من شقيقة كانت به وقد جات مقيدة بما في بعض طرق ابن عباس
نفسه فعند ابي داود الطيالسي في مسنده من حديث ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم احتجم في وسط راسه وقد قال الاطبا انها نافعة جدا
وورد انه صلى الله عليه وسلم احتجم ايضا في الاخدعين والكاهل اخرجه الترمذي
وحسنه وابو داود وابن ماجه وصححه الحاكم وقد قال الاطبا الحجامة على
الاخدعين تنفع من امراض الراس والوجه والاذنين والعينين والاسنان
والانف وقد ورد في حديث ضعيف جدا اخرجه ابن عدي من طريق عمر
ابن رباح عن عبد الله ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس رفعه الحجامة
في الراس تنفع من سبع من الجنون والجذام والبرص والنعاس والصداع
ووجع الضرس والعينين وعمر متروك ورماه الفلاس وغيره بالكذب
وروى ابن ماجه في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صدع
غلف راسه بالحنا ويقول انه نافع باذن الله من الصداع وفي صحته
نظر وهو علاج نافع ربما اذا كان الصداع من حرارة ملتهبة ولم يكن
من مادة يجب استفراغها واذا كان كذلك نفع منه الحنا نفعا ظاهرا
قالوا واذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن الصداع وهذا لا يختص
بوجع الراس بل يعم جميع الاعضا وفي تاريخ البخاري وسنن ابي داود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شكى اليه احد وجعا في راسه الا قال
له احتجم ولا شكى وجعا في رجليه الا قال له اختضب بالحنا وفي الترمذي
عن علي ابن عبيد الله عن جدته وكانت تخدم النبي صلى الله عليه

وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة ولا نكتة الا امرني
ان اضع عليها الحنا ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للرمد وهو ورم حار
يعرض في الطبقة الملتحمة من العين وهو بياضها وسببه انصباب احد الاخلاط
والابخرة تصعد من المعدة الى الدماغ فان اندفع الى الخياشيم احدث الزكام
او الى العين احدث الرمد او الى اللهاة والمنخرين احدث الخنان بالخاء المعجمة
والنون او الى الصدر احدث النزلة او الى القلب احدث الشوصة وان لم
ينحدر وطلب نفاذا فلم يجد احدث الصداع كما تقدم وروي انه عليه الصلاة
والسلام كان يعالج الرمد بالسكون والدعة وترك الحركة وفي سنن ابن
ماجة عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز
وتمر فقال ادن وكل فاخذت تمرا فاكلت فقال تاكل تمرا وبك رمد فقلت
يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد روي انه حمى عليا من الرطب لما اصابه الرمد وفي البخاري
من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الكماة من المن وماوها شفا للعين والكماة نبات لا ورق له ولا ساق
يوجد في الارض من غير ان يزرع وروى الطبري من طريق ابن المنكدر عن جابر
قال كثرت الكماة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع قوم من
اكلها وقالوا هو جدري الارض فبلغه ذلك فقال ان الكماة ليست
جدري الارض الا ان الكماة من المن واختلف في قوله من المن فقيل
من المن الذي انزل على بني اسرائيل وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع
ويوكل حلوا ومنه الترنجبيل فكانه شبه الكماة بجامع ما بينهما من وجود
كل منهما عفوا بغير علاج وقال الخطابي ليس المراد انها نوع من المن
الذي انزل على بني اسرائيل فان الذي انزل على بني اسرائيل كان كالترنجبيل
الذي يسقط على الشجر وانما المعنى ان الكماة شي ينبت من غير تكلف ببذر
ولا سقي وانما اختصت الكماة بهذه الفضيلة لانها من الحلال المحض
الذي ليس في اكتسابه شبهة ويستنبط منه ان استعمال الحلال
المحض يجلو البصر وقال ابن الجوزي في المراد بكونها شفا للعين
قولان احدهما ان ماها حقيقة الا ان اصحاب هذا القول اتفقوا
على انها لا تستعمل صرفا في العين لكن اختلفوا كيف تصنع بها على راين
احدهما ان تخلط في الادوية التي يكتحل بها حكاه ابو عبيد ثانيهما
ان تشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماوها ثم يوخذ بالميل فيجعل
في ذلك الشق وهو فاتر فيكتحل بمايها لان النار تلطفه

اللهاة هي اللحمة التي تكون في اعلى الحلق

وتذهب

وتذهب فضلاته الردية وتبقى النافع منه ولا يجعل الميل في مايها وهي باردة يابسة
فلا ينجع وقال آخر تجعل الكماة في قدر جديدة ويصب عليها الماء ولا يطرح فيها
ملح ثم يوخذ غطاها بيد نقية فيجعل على القدر فما جرى من الغطا من بخار الكماة
فذلك الماء الذي يكتحل به وقال ابن واقد ان ما الكماة اذا عصر وربي به الاثمد
كان ذلك من اصلح الاشيا للعين اذا اكتحل به يقوي اجفانها ويزيد الروح الباصرة
قوة وحدة ويدفع عنها نزول النوازل وقال ايضا اذا اكتحل بما الكماة وحده
بميل من ذهب تبين للفاعل له قوة عجيبة وحدة في البصر كثيرة وقال
ابن القيم اعترف فضلا الاطبا ان ما الكماة يجلو العين منهم المسيحي وابن سينا
وغيرهما قال والذي يزيل الاشكالات عن هذا الاختلاف ان الكماة وغيرها
خلقت في الاصل سليمة من المضار ثم عرضت لها الافات بامور اخرى من
مجاورة او امتزاج او غير ذلك من الاسباب التي ارادها الله تعالى فالكماة
في الاصل نافعة لما اختصت به من وصفها بانها من الله وانما عرضت لها المضار
بالمجاورة واستعمال كل ما وردت به السنة لصدق ينتفع به من يستعمله ويدفع
الله عنه الضرر بنيته والعكس بالعكس والله اعلم ذكر طبه صلى الله
عليه وسلم من العذرة وهي بضم المهملة وسكون الذال المعجمة وجع في الحلق
يعتري الصبيان غالبا وقيل هي قرحة تخرج بين الاذن والحلق او في الخرم
الذي بين الانف والحلق وهو الذي يسمى سقوط اللهاة وقيل هو اسم للهاة
والمراد وجعها سمي باسمها وقيل هو موضع قريب من اللهاة واللهاة بفتح
اللام اللحمة التي في اقصى الحلق وفي البخاري من حديث ام قيس بنت محصن
الاسدية اسد خزيمة وهي اخت عكاشة انها اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم بابن لها قد اعلقت عليه من العذرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
على ما تدغرن اولادكن بهذا العلاق عليكم بهذا العود الهندي
فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب يريد القسط وهو العود الهندي
قوله تدغرن خطاب للنسوة وهو بالغين المعجمة والدال المهملة والدغر
غمز الحلق وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على عائشة وعندها صبي يسيل منخراه دما فقال ما هذا
فقالوا انه العذرة او وجع في راسه فقال ويلكن لا تقتلن اولادكن
بهذا العلاق ايما امراة اصاب ولدها عذرة او وجع في راسه
فلتاخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه اياه فامرت عائشة
فصنع ذلك للصبي فبرئ الحديث وفي الغلط تغمز بيد اللهاة
ويرفعها الى مكانها وكانوا يعالجون اولادهم بغمز اللهاة وبالعلاق

وهو شي يعلقونه على الاطفال فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك وارشدهم الى ما هو
انفع للاطفال واسهل عليهم والسعوط ما يصب في الانف وقد استشكل معالجتها
بالقسط الهندي مع كونه حارا والعذرة انما تعرض في زمن الحر بالصبيان
وامزجتهم حارة لا سيما وقطر الحجاز حار **واجيب** بان مادة العذرة
دم يغلب عليه البلغم وفي القسط تجفيف للرطوبة وقد يكون نفعه في هذا
الدوا بالخاصية وايضا فالادوية الحارة قد تنفع من الامراض الحارة بالعرض
كثيرا بل وبالذات ايضا وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة بالقسط
مع الشب اليماني على انا لو لم نجد شيا من التوجيهات لكان المعجز خارجا عن
القواعد الطبية **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء استطلاق
البطن** في الصحيحين من حديث ابي المتوكل عن ابي سعيد الخدري ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه وفي رواية استطلق
بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه فقال اني سقيته فلم يزده الا استطلاقا
فقال صدق الله وكذب بطن اخيك وفي رواية مسلم فقال له ثلاث مرات
ثم جا الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا استطلاقا
فقال صدق الله وفي رواية احمد عن يزيد بن هارون فقال في الرابعة
اسقه عسلا قال فاظنه قال فسقاه فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الرابعة صدق الله وكذب بطن اخيك قال الخطابي وغيره
اهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطا يقال كذب سمعك اي
زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له فمعنى كذب بطنه اي لم يصلح لقبول الشفا
بل زل عنه وقال الامام فخر الدين الرازي لعله صلى الله عليه وسلم
علم بنور الوحي ان ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه
في الحال مع كونه عليه الصلاة والسلام كان عالما بانه سيظهر نفعه بعد
ذلك كان هذا جاريا مجرى الكذب فلهذا اطلق عليه هذا اللفظ وقد اعترض بعض
الملاحدة فقال العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به الاسهال واجيب
بان ذلك جهل من قائله بل هو كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فقد
اتفق الاطبا على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن
والعادة والزمان والغذا المالوف والتدبير وقوة الطبيعة وعلى
ان الاسهال يحدث من انواع منها الهيضة التي تنشا عن تخمة واتفقوا
على ان علاجها بترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى مسهل اعينت ما دام
بالعليل قوة فكان هذا الرجل كان استطلاق بطنه من تخمة اصابته
فوصف له النبي صلى الله عليه وسلم العسل لدفع الفضول المجتمعة

في

في نواحي المعدة من اخلاط لزجة تمنع من استقرار الغذا فيها وللمعدة خمل
كخمل المنشفة فاذا علقت بها الاخلاط اللزجة افسدتها وافسدت الغذا
الواصل اليها فكان دواؤها باستعمال ما يجلو تلك الاخلاط ولا شي مثل العسل في ذلك م
لا سيما ان مزج بالما الحار وانما لم يفده في اول مرة لان الدوا يجب ان يكون
له مقدار وكمية بحسب الدا ان قصر عنه لم يدفعه بالكلية وان جاوزه
اوهى القوة واحدث ضررا اخر فكانه شرب منه اولا مقدارا لا يفي بمقاومة
الدا فامره بمعاودة سقيه فلما تكررت الشربات بحسب مادة الدا برا باذن
الله تعالى وفي قوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن اخيك اشارة الى ان
هذا الدوا نافع وان بقا الدا ليس لقصور الدوا في الشفا ولكن لكثرة المادة
الفاسدة فمن ثم امره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها وقال بعضهم ان العسل
تارة يجري سريعا الى العروق وينفذ معه جل الغذا ويدر البول فيكون
قابضا وتارة يبقى في المعدة فيهيجها بلذعه حتى تدفع الطعام ويسهل
البطن فيكون مسهلا فانكار وصفه بالمسهل مطلقا قصور من المنكر وقال
ابن الجوزي في وصفه صلى الله عليه وسلم العسل لهذا المسهل اربعة اقوال
احدها ان حمل الاية على عمومها في الشفا والى ذلك اشار بقوله صدق الله
اي في قوله فيه شفا للناس فلما نبهه على هذه الحكمة تلقاها بالقبول
فشفي باذن الله تعالى الثاني ان الوصف المذكور على المالوف من عادتهم
من التداوي بالعسل في الامراض كلها الثالث ان الموصوف له ذلك كانت
به هيضة كما تقدم تقديره الرابع يحتمل ان يكون امره بطبخ العسل
قبل شربه فانه يعقد البلغم فلعله شربه اولا بغير طبخ انتهى والثاني
والرابع ضعيفان ويويد الاول حديث ابن مسعود عليكم بالشفايين العسل
والقران اخرجه ابن ماجه والحاكم مرفوعا واخرجه ابن ابي شيبة
والحاكم ايضا موقوفا ورجاله رجال الصحيح واثر علي اذا اشتكى احدكم
فليستوهب من امراته ثلاثة دراهم من صداقها فليشتر به عسلا ثم ياخذ ما
السما فيجمع هنيا مريا مباركا اخرجه ابن ابي حاتم في التفسير بسند حسن
وروينا عنه رضي الله تعالى عنه انه قال اذا اراد احدكم الشفا فليكتب
اية من كتاب الله في صحفة وليغسلها بما السما وليأخذ من امراته
درهما عن طيب نفس فليشتر به عسلا فليشربه فانه شفا **قال**
الحافظ ابن كثير بعد ان ذكره من وجوه قال الله تعالى وننزل من القران
ما هو شفا ورحمة للمومنين وقال وانزلنا من السما ما مباركا
وقال فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا وقال في العسل

فيه شفا للناس **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من يبس الطبيعة**
بما يمشيه ويلينه روى الترمذي وابن ماجه في سننه من حديث اسما بنت عميس
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين قالت بالشبرم
قال حار حار صنار صنار ثم قالت استمشيت بالسنا فقال صلى الله عليه وسلم
لو ان شيا كان فيه الشفا من الموت لكان في السنا **قال** ابو عيسى هذا حديث غريب
وقد ذكره البخاري في تاريخه الكبير من حديث اسما بنت عميس مثل ما ذكره الترمذي
وذكر ابو محمد الحميدي في كتاب الطب له انه صلى الله عليه وسلم قال اياكم والشبرم فانه
حار حار ضار ضار وعليكم بالسنا فتداووا به فلو دفع الموت شي لدفعه السنا
وحكى عبد الحق الاشبيلي في كتاب الطب النبوي له ان المحاسبي ذكر في كتابه المسمى
بالقصد الى الله ان النبي صلى الله عليه وسلم شرب السنا بالتمر وفي سنن ابن ماجه
من حديث ابراهيم بن ابي عبلة قال سمعت عبد الله بن ام حرام وكان ممن صلى
مع النبي صلى الله عليه وسلم الى القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفا من كل دا الا السام قيل يا رسول
الله وما السام قال الموت قالوا والشبرم قشر عرق شجرة وهو حار
يابس في الدرجة الرابعة وهو من الادوية التي منع الاطبا من استعمالها
لخطرها وفرط اسهالها واما السنا فهو نبت حجازي افضله المكي وهو
دوا شريف مامون الغايلة قريب من الاعتدال حار يابس في الدرجة الاولى
يسهل الصفرا والسودا ويقوي جرم القلب وهذه فضيلة شريفة فيه وخاصيته
النفع من الوسواس السوداوي قال الرازي السنا والشاهترج
يسهلان الاخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة قالوا والشربة
من كل واحد منهما من اربعة دراهم الى سبعة دراهم **واما** السنوت
فقيل هو العسل وقيل رب عكة السمن يخرج خطوطا سودا على السمن
وقيل حب يشبه الكمون وليس به وقيل هو الكمون الكرماني وقيل
انه الرازيانج وقيل انه الشبت وقيل انه العسل الذي يكون في زقاق السمن
قال بعض الاطبا وهذا اجدر بالمعنى واقرب الى الصواب اي يخلط
السنا مدقوقا بالعسل المخالط للسمن ثم يلعق فيكون اصلح من
استعماله مفردا لما في العسل والسمن من اصلاح السنا واعانته
على الاسهال **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للمفؤود وهو**
الذي اصيب فواده فهو يشتكيه كالمبطون **روى** ابو
داود عن سعد قال مرضت مرضا فاتاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فوادي

وقال

فقال انك رجل مفؤود فات الحارث ابن كلدة من ثقيف فانه رجل يتطبب
فلياخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجاهن بنواهن ثم ليلدك بهن الفواد وهذا
الحديث من الخطاب العام الذي اريد به الخاص كاهل المدينة ومن جاورهم والتمر لاهل
المدينة كالحنطة لغيرهم واللدود ما يسقاه الانسان من احد جانبي الفم
وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الدا سيما تمر المدينة ولاسيما العجوة وفي كونها سبعا
خاصية اخرى تدرك بالوحي وفي الصحيحين من تصبح بسبع تمرات عجوة من تمر
العالية لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر **ذكر طبه صلى الله عليه**
وسلم لدا ذات الجنب في البخاري مرفوعا عليكم بهذا العود الهندي
فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب وفي الترمذي من حديث زيد ابن
ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا من ذات الجنب
بالقسط البحري والزيت **اعلم** ان ذات الجنب ورم حار يعرض في الغشا
المستبطن للاعضا وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن
بين الصفاقات والعضل التي في الصدر والاضلاع فتحدث وجعا فالاول هو ذات
الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الاطبا قالوا ويحدث بسببه خمسة اعراض
الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض المنشاري ويقال لذات
الجنب الحقيقي ايضا وجع الخاصرة وهو من الامراض المخوفة لانها تحدث بين
القلب والكبد وهي من سي الاسقام والمراد بذات الجنب هنا الثاني
لان القسط وهو العود الهندي هو الذي يداوى به الريح الغليظة **وقد**
حكى الامام ابن القيم عن المسيحي انه قال العود حار يابس قابض يحبس
البطن ويقوي الاعضا الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد ويذهب فضل
الرطوبة نافع من ذات الجنب جيد للدماغ قال ويجوز ان ينفع من ذات
الجنب الحقيقية ايضا اذا كانت ناشية عن مادة بلغمية ولاسيما في وقت
انحطاط العلة **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لدا الاستسقا**
عن انس قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله
عليه وسلم فاجتووا المدينة فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لو خرجتم الى ابل الصدقة فشربتم من ابوالها والبانها
فلما صحوا عمدوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل وحاربوا
الله ورسوله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثارهم
فاخذوا فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم والقاهم في الشمس
حتى ماتوا رواه الشيخان واعلم ان الاستسقا مرض مادي سببه
مادة غريبة باردة تتخلل الاعضا فتربو لها اما الاعضا الظاهرة

كلها واما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والاخلاط واقسامه
ثلاثة لحمي وهو اصعبها وهو الذي يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشوا
مع الدم في الاعضاء وزقي وهو الذي يجتمع منه في البطن الاسفل مادة مائية
ذوبة يسمع لها عند الحركة خضخضة كالماء في الزق وهو اردى انواعه عند اكثر
الاطباء وطبلي وهو الذي ينتفخ معه البطن بمادة ريحية اذا ضربت عليه سمعت له صوتا
كصوت الطبل وانما امرهم عليه الصلاة والسلام بشرب ذلك لان في لبن اللقاح
جلاء وتليينا وادرارا وتلطيفا وتفتيحا للسدد اذ كان اكثر رعيها الشيح والقيصوم
والبابونج والاقحوان والاذخر وغير ذلك من الادوية النافعة للاستسقاء خصوصا
اذا استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج
من الحيوان فان ذلك مما يزيد في ملوحته ولين وتقطيعه الفضول واطلاقه البطن
واما ضعف المعدة فذكر ابن الحاج في المدخل ان بعض الناس مرض بمعدته
فرأى الشيخ الجليل ابو محمد المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا
الدواء وهو ان ياخذ كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربا ويكون
ممزوجا بالمصطكا بعد دقها ويجعل فيها سبع حبات من الشونيز يفعل ذلك
سبعة ايام ففعله فبرئ **ومرض** بعض الناس ببرد المعدة فرأى الشيخ المرجاني ايضا
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء اوقية ونصف اوقية عسل
نحل ودرهمين شونيز ومثلها انيسون ونصف اوقية من المغنع الاخضر
ومن القرنفل درهم ومن القرفا نصف درهم وشيء من قشر الليمون مع قليل
من الخل ويعقد ذلك على النار فاستعمله فبرئ **ومرض** اخر بسلس الريح
فرأى الشيخ المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء
شونيز ثلاثة دراهم ومن خزامى درهمين ونصف ومن الكمون الابيض
ثلاثة دراهم ومثله من الصعتر الشامي ومثله من العلك ووزن درهم
من البلوط وهو ثمر الفؤاد واوقية من الزيت المرقي يجعل ذلك في العسل
النحل ما يعقد به وهو ربع رطل ويوخذ منه غدوة النهار وزن
درهمين على الريق وعند النوم وزن درهم ونصف فاستعمله فبرئ
ثم انه عليه الصلاة والسلام بعد ذلك قال في النوم لذلك الشخص
الذي اخبره بهذا الدواء انه ينفع لداء وهن الريح وسلس الريح
والمعدة وبرودتها ووجع الفؤاد والم العصب والم النفاس
ولتعقد الرياح **والزيت** المرقي صفته ان تاخذ شيئا من الزيت
الطيب وتجعله في اناء نظيف وتحركه بعود وتقرأ عليه الاخلاص
والمعوذتين ولقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة وننزل من

القرآن

القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين لو انزلنا هذا القرآن على جبل الى اخر السورة
وحصل لاخر قولنج فرأى الشيخ المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم فاشار بهذا الدواء
وهو ان ياخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل ووزن درهم ونصف من الزيت المرقي
واحدى وعشرين حبة من الشونيز ويخلط الجميع ثم يفطر عليه ويفعل مثله عند النوم
فيفعل ذلك حتى يبرئ ونقل له التلبينة ويستعملها بعد ان يفطر على ذلك حساء والتلبينة
تعمل من دقيق او نخالة ويعمل فيه عسل ويكون غذاؤه مسلوقة الدجاج او لحم
الضان ففعله فبرئ بعد ان اعيا الاطباء **ومرض** اخر بوجع الظهر فشكى ذلك
للشيخ فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وهو عسل نحل
وشونيز ودهن الالية والزيت المرقي ودقيق البيضة ويخلط ذلك كله ويمده
على الموضع ويذر عليه دقيق العدس بقشره مع الكزمل بعد ما يدق دقا ناعما
حتى يعود مثل الدقيق ففعله فبرئ **وشكى** بعض الناس الدوخة في راسه فرأى
الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فاشار اليه بهذا الدواء قرنفل وزنجبيل وقرفا
وجوزة طيب وسنبل من كل واحد درهم ونصف وشونيز درهمين يدق الجميع
ثم يطبخ ويعقد بعسل النحل فاذا قرب استواؤه عصر عليه قليل ليمون فيكون
عسل النحل غالبا عليه ففعله فبرئ انتهى وهذا وان كان مناما فقد عضدته
التجربة مع ارشاد الشيخ المرجاني لذلك **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم**
من داء عرق النسا وهو بفتح النون والمهملة المرض الحال بالعرق
والاضافة فيه من باب اضافة الشيء الى محله فقيل وسمي بذلك لان
المه ينسي ما سواه وهذا العرق يمتد من مفصل الورك وينتهي
الى اخر القدم وراء الكعب **وعن** انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال دواء عرق النسا الية شاة اعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة اجزاء
ثم تشرب على الريق في كل يوم جزء رواه ابن ماجه وهذا الدواء خاص
بالعرب واهل الحجاز ومن جاورهم وهو انفعه لهم لان هذا المرض يحدث
عن يبس وقد يحدث من مادة غليظة لزجة فعلاجها بالاسهال
والالية فيها الخاصتان الانضاج والتليين وهذا المرض يحتاج علاجه
الى هذين الامرين وفي تعيين الشاة الاعرابية قلة فضولها وصغر مقدارها
ولطف جوهرها وخاصية مرعاها لانها ترعى اعشاب البر الحارة كالشيح
والقيصوم ونحوهما وهذه اذا تغذى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها
بعد ان يلطفها تغذيه ويكسبها مزاجا الطف منها ولا سيما الالية
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الاورام والخراجات
بالبط والبزل يذكر عن علي رضي الله تعالى عنه قال دخلت مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يعوده بظهره ورم فقالوا يا رسول الله
بهذه مدة قال بطوا عنه قال علي فما برحت حتى بطت والنبي صلى الله عليه وسلم
شاهد ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لقطع العروق والكي روى البخاري
ومسلم من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى ابي بن كعب
طبيبا فقطع له عرقا وكواه عليه واخرج مسلم عن جابر قال رمي سعد بن معاذ
في اكحله فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم وروى الطحاوي وصححه الحاكم عن انس قال كواني
ابو طلحة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الترمذي انه صلى الله عليه وسلم كوى
اسعد بن زرارة من الشوكة وروى مسلم عن عمران بن حصين كان يسلم علي حتى
اكتويت فتركت الكي فعاد وفي رواية ان الذي كان انقطع عني رجع الي يعني تسليم
الملائكة وروى احمد وابو داود والترمذي عن عمران نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الكي فاكتوينا فما افلحنا ولا انجحنا الحديث وانما يستعمل الكي في الخلط الباغي الذي
لا تنحسم مادته الا به ولهذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه وانما كرهه لما
فيه من الالم الشديد والخطر العظيم ولهذا كانت العرب تقول في امثالها
اخر الدواء الكي والنهي فيه محمول على الكراهة او على خلاف الاولى لما تقتضيه مجموع
الاحاديث وقيل انه خاص بعمران لانه كان به الباسور وكان موضعه خطرا فنهاه
فنهاه عن كيه فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح وقال ابن قتيبة الكي نوعان كي
الصحيح لئلا يعتل فهذا الذي قيل فيه لم يتوكل من اكتوى لانه يريد ان يدفع القدر
والقدر لا يدافع والثاني كي الجرح اذا فسد والعضو اذا قطع فهو الذي شرع
التداوي له فان كان الكي لامر محتمل فهو خلاف الاولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار
لامر غير محقق وحاصل الجمع ان الفعل يدل على الجواز وعدم الفعل لا يدل على المنع
بل يدل على ان تركه ارجح من فعله ولذا وقع الثناء على تاركه واما النهي
فهو على سبيل الاختيار والتنزيه واما عمن لا يتعين طريقا الى الشفاء وقال
بعضهم انما نهى عنه مع اثباته الشفاء فيه اما لكونهم كانوا يرون انه يحسم الداء
بطبعه فكرهه لذلك ولذلك كانوا يبادرون اليه قبل حصول الداء لظنهم
انه يحسم الداء فيتعجل الذي يكتوي التعذيب بالنار لامر مظنون قال
في فتح الباري ولم ار في اثر صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اكتوى الا
ان القرطبي نسب الى كتاب اداب النفوس للطبراني ان النبي صلى الله عليه
وسلم اكتوى وذكره الحليمي بلفظ روي انه اكتوى للجرح الذي اصابه
باحد قال الحافظ ابن حجر والثابت في الصحيح عن غزوة احد ان فاطمة
احرقت حصيرا فحشت به جرحه وليس هذا الكي المعهود انتهى ذكر طبه صلى
الله عليه وسلم من الطاعون قال الخليل الطاعون الوباء وقال

ابن

ابن الاثير الطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الامزجة
والابدان وقال القاضي ابو بكر ابن العربي الطاعون الوجع الغالب الذي يطفئ
الروح سمي بذلك لعموم مصابه وسرعة قتله وقال ابو الوليد الباجي هو مرض
يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات بخلاف المعتاد من امراض الناس وقال
القاضي عياض اصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد والوباء عموم الامراض فسميت
طاعونا لشبهها بها في الهلاك وقال النووي في تهذيبه هو بثر وورم مؤلم جدا
يخرج مع لهب ويسود ما حوله ويخضر او يحمر حمرة شديدة بنفسجية كدرة ويحصل
معه خفقان وقيء ويخرج غالبا في المراق والاباط وقد يخرج في الايدي والاصابع
وسائر الجسد وقال ابن سينا الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالا يحدث
في المواضع الرخوة والمغابن من البدن واغلب ما تكون تحت الابط او خلف الاذن
او عند الارنبة وسببه دم رديء يستحيل الى جوهر سمي يفسد العضو ويغير ما يليه
ويؤدي الى القلب كيفية ردية فيحدث القيء والغثيان والخفقان وهو لرداءته
لا يقبل من الاعضاء الا ما كان اضعف بالطبع وارداه ما يقع في الاعضاء الرئيسة
والاسود منه قل من يسلم منه واسلمه الاحمر ثم الاصفر والطواعين تكثر عند الوباء في البلاد
الوبئة ومن ثم اطلق على الطاعون وباء وبالعكس واما الوباء فهو فساد جوهر
الهواء الذي هو مادة الروح ومدده والحاصل ان حقيقته ورم ينشا عن هيجان الدم
وانصباب الدم الى عضو فيفسده وان غير ذلك من الامراض العامة الناشئة
عن فساد الهواء يسمى طاعونا بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم المرض به او كثرة
الموت والدليل على ان الطاعون يغاير الوباء ان الطاعون لم يدخل المدينة
النبوية وقد قالت عائشة دخلنا المدينة وهي اوبا ارض الله وقال بلال
اخرجونا الى ارض الوباء والطاعون من طعن الجن وانما لم يتعرض له الاطباء
لكونه من طعن الجن لانه امر لا يدرك بالعقل وانما عرف من الشارع فتكلموا
في ذلك على ما اقتضته قواعدهم ومما يؤيد ان الطاعون انما يكون من طعن
الجن وقوعه غالبا في اعدل الفصول وفي اصح البلاد هواء واطيبها ماء ولانه
لو كان بسبب فساد الهواء لدام في الارض لان الهواء يفسد تارة ويصح اخرى
وهذا يذهب احيانا ويجيء احيانا على غير قياس ولا تجربة فربما جاء سنة على
سنة وربما ابطا سنين وبانه لو كان كذلك لعم الناس والحيوان والموجود
بالمشاهدة انه يصيب الكثير ولا يصيب من هم بجانبهم ممن هو في مثل مزاجهم
ولو كان كذلك لعم جميع البدن وهذا يختص بموضع دون موضع من الجسد
لا يجاوزه ولان فساد الهواء يقتضي تغير الاخلاط وكثرة الاسقام وهذا
في الغالب يقتل بلا مرض فدل على انه من طعن الجن كما ثبت في الاحاديث

الواردة في ذلك منها حديث احمد والطبراني عن ابي بكر ابن ابي موسى الاشعري قال
سالت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو وخز اعدائكم من الجن وهو لكم
شهادة قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر لم يقع في الالسنة وهو في النهاية لغريبي الهروي
بلفظ وخز اخوانكم ولم اره بلفظ اخوانكم بعد التتبع الطويل البالغ في شيء
من كتب الحديث المشهورة ولا الاجزاء المنثورة وقد عزاه بعضهم لمسند احمد والطبراني
او كتاب الطواعين لابن ابي الدنيا ولا وجود لذلك في واحد منها والله اعلم انتهى
وفي الصحيح من حديث اسامة ابن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطاعون
رجز ارسل على طائفة من بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تدخلوا عليه
واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه وقد ذكر العلماء في النهي عن الخروج
حكما منها ان الطاعون في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع به فاذا وقع
فالظاهر مداخلة سببه لمن بها فلا يفيده الفرار لان المفسدة اذا تعينت حتى
لا يقع الانفكاك عنها كان الفرار عبثا فلا يليق بالعاقل ومنها ان الناس لو تواردوا
على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض المذكور او بغيره ضائع المصلحة لفقد من يتعهده
حيا وميتا وايضا لو شرع الخروج فخرج الاقوياء لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء
وقد قالوا ان حكمة الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر وادخال
الرعب عليه بخذلانه وقد جمع الغزالي بين الامرين فقال الهواء لا يضر من حيث ملاقاته
ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق فيصل الى القلب والرئة فيؤثر في
الباطن ولا يظهر على الظاهر الا بعد التأثير في الباطن فالخارج من البلد الذي
يقع به لا يخلص غالبا مما استحكم به وينضاف الى ذلك انه لو رخص للاصحاء في الخروج
لبقي المرضى لا يجدون من يتعاهدهم فتضيع مصالحهم ومنها ما ذكره بعض
الاطباء ان المكان الذي يقع به الوبا تتكيف امزجة اهله بهواء تلك البقعة
وتألفها وتصير لهم كالاهوية الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا الى الاماكن
الصحيحة لم توافقهم بل ربما استنشقوا هواءها استصحب معه الى القلب من الابخرة
الردية التي حصل تكيف بدنها بها فافسدته فمنع من الخروج لهذه النكتة
ومنها ان الخارج يقول لو اقمت لاصبت والمقيم يقول لو خرجت لسلمت
فيقع في اللو المنهي عنه وقال العارف ابن ابي جمرة البلاء انما يقصد به اهل
البقعة لا البقعة نفسها فمن اراد الله تعالى انزال البلاء به فهو واقع به لا محالة
فاين ما توجه يدركه فارشدنا الشارع الى عدم التعب وقال ابن القيم
جمع صلى الله عليه وسلم للامة في نهيه عن الدخول الى الارض التي هو بها ونهيه
عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه فان في الدخول في الارض التي
هو بها تعرضا للبلاء وموافاة له في محل سلطانه واعانة الانسان على نفسه

وهذا

وهذا مخالف العقل والشرع بل تجنب الدخول الى ارضه من باب الحمية التي ارشد
الله تعالى اليها وهي حمية عن الامكنة والاهوية المؤذية واما نهيه عن الخروج
من بلده ففيه معنيان احدهما حمل النفوس على الثقة بالله تعالى والتوكل عليه
والصبر على اقضيته والرضا والثاني ففيه ما قاله ائمة الطب انه يجب على من كان يحترز من
الوبا ان يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذا ويميل الى التدبير المجفف
من كل وجه والخروج من ارض الوبا والسفر منها لا يكون الا بحركة شديدة وهي مضرة جدا
وهذا كلام افضل المتاخرين من الاطبا فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي وما فيه من علاج
القلب والبدن واصلاحهما انتهى ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السلعة اخرج
البخاري في تاريخه والطبراني والبيهقي عن شرحبيل الجعفي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبكفي سلعة فقلت يا رسول الله هذه السلعة قد اذتني تحول بيني وبين قائم السيف
ان اقبض عليه وعنان الدابة فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها عنها وما ارى اثرها ومسح صلى الله عليه وسلم زوجة الابيض ابن حمال وكان به القوباء
فلم يمس من ذلك اليوم ومنها اثر رواه البيهقي وغيره ذكر طبه صلى الله عليه
وسلم من الحمى روى البخاري من حديث عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى
من فيح جهنم فاطفئوها بالماء البارد واختلف في نسبتها الى جهنم فقيل حقيقة
واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم وقدر الله ظهورها باسباب تقتضيها
ليعتبر العباد بذلك كما ان انواع الفرح واللذة من نعيم الجنة اظهرها في هذه الدار
عبرة ودلالة وقيل بل الخبر ورد مورد التشبيه والمعنى ان حر الحمى شبيه بحر جهنم
تنبيها للنفوس على شدة حر النار وان هذه الحرارة الشديدة شبهت بفيحها
وهو ما يصيب من قرب منها من حرها قوله فاطفئوها هو بهمزة قطع
امر بالاطفاء وروى الطبراني الحمى حظ المؤمن من النار وفي رواية نافع عن
ابن عمر عند الشيخين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمى او شدة الحمى
من فيح جهنم فابردوها بالماء بهمزة وصل والراء مضمومة على المشهور وحكى كسر
الراء وفي رواية ابن ماجه بالماء البارد وفي رواية ابي جمرة بالجيم عند البخاري
قال كنت اجالس ابن عباس بمكة فاخذتني الحمى فاحتبست اياما فقال
ما حبسك قلت الحمى قال ابردوها بماء زمزم فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء او بماء زمزم شك قال ابن
القيم قوله بالماء فيه قولان احدهما انه كل ماء وهو الصحيح والثاني انه من
ماء زمزم ثم قال بعد ان روى حديث ابي جمرة هذا انه شك فيه ولو جزم به
لكان امرا لاهل مكة بماء زمزم اذ هو متيسر عندهم واخبرهم بما عندهم من الماء
انتهى وتعقب بانه وقع في رواية احمد عن عفان عن همام فابردوها بماء زمزم

ولم يشك وكذا اخرجه النسائي وابن حبان والحاكم قال ابن القيم واختلف من قال انه
على عمومه هل المراد به الصدقة بالماء او باستعماله على قولين والصحيح انه استعماله
واظن الذي حمل من قال المراد به الصدقة به انه اشكل عليه استعمال الماء البارد
في الحمى ولم يفهم وجهه مع ان لقوله وجها حسنا وهو ان الجزا من جنس العمل فكما اخمد لهيب
العطش عن الظمان بالماء البارد اخمد الله لهيب الحمى عنه جزا وفاقا انتهى وقال الخطابي
وغيره اعترض بعض سخفا الاطبا على هذا الحديث بان قال اغتسال المحموم بالماء خطر
يقربه من الهلاك لانه يجمع المسام ويحقن البخار ويعكس الحرارة التي في داخل الجسم فيكون
ذلك سببا للتلف **وقد غلط** بعض من ينسب الى العلم فانغمس في الما لما اصابته الحمى
فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه فاصابته علة صعبة كادت تهلكه فلما خرج من علته
قال قولا سيئا لا يحسن ذكره وانما اوقعه في ذلك جهله بمعنى الحديث والجواب ان هذا
الاشكال صدر عن صدر مرتاب في صدق الخبر فيقال له اولا من اين حملت الامر على الاغتسال
وليس في الحديث الصحيح بيان الكيفية فضلا عن اختصاصها بالغسل وانما في الحديث
الارشاد الى تبريد الحمى بالما فان اظهر الوجود او اقتضت صناعة الطب ان انغماس
كل محموم في الما او صبه اياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد وانما قصد عليه
الصلاة والسلام استعمال الماء على وجه ينفع فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع
به وهو كما وقع في امره العاين بالاغتسال واطلق **وقد ظهر** من الحديث الاخر انه لم يرد مطلق
الاغتسال وانما اراد على كيفية مخصوصة واولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ما صنعته
اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما فانها كانت ترش على بدن المحموم
شيا من الماء بين يديه وثوبه فيكون ذلك من باب النشرة الماذون فيها
والصحابي ولا سيما مثل اسما التي هي ممن كان يلازم بيت النبي صلى الله عليه وسلم اعلم
بالمراد من غيرها وقد ذكر ابو نعيم وغيره من حديث انس يرفعه اذا حم احدكم
فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر **وقال** المازري لا شك ان علم
الطب من اكثر العلوم احتياجا الى التفصيل حتى ان المريض يكون الشي دواه في ساعة
ثم يصير داء في الساعة التي تليها لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه مثلا
فيتغير علاجه ومثل ذلك كثير فاذا فرض وجود الشفا لشخص بشي في حالة
ما لم يلزم منه وجود الشفا به له او لغيره في سائر الاحوال والاطبا مجمعون
على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذا
المتقدم والتاثير المالوف وقوة الطباع ويحتمل ان يكون هذا في وقت مخصوص
فيكون من الخواص التي اطلع عليها النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي ويضمحل
عند ذلك جميع كلام اهل الطب وجعل ابن القيم خطابه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
خاصا لاهل الحجاز وما والاهم اذ كان اكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع

الحمي

لعله الحار

الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس قال وهذه ينفعها الما البارد
شربا واغتسالا لان الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب وتنتشر منه بتوسط الروح
والدم في العروق الى جميع البدن وهي قسمان عرضية وهي الحادثة عن ورم او حركة او اصابة
حرارة الشمس او القيظ الشديد ونحو ذلك ومرضية وهي ثلاثة انواع وتكون عن مادة ثم منها
ما يسخن جميع البدن فان كان مبدا تعلقها بالروح فهي حمى يوم لانها تقلع غالبا في يوم ونهايتها
الى ثلاثة وان كان تعلقها بالاعضا الاصلية فهي حمى دق وهي اخطرها وان كان تعلقها
بالاخلاط سميت عفنية وهي بعدة الاخلاط الاربعة صفراوية سوداوية بلغمية
دموية وتحت هذه الانواع المذكورة اصناف كثيرة بسبب الافراد والتركيب انتهى
واذا تقرر هذا فيجوز ان يكون المراد النوع الاول فانها تسكن بالانغماس في الما البارد
وشرب الما المبرد بالثلج وبغيره ولا يحتاج الى علاج اخر وقد قال جالينوس لو ان شابا
خصب اللحم خصب البدن وليس في احشائه ورم استحم بما بارد وسبح فيه في وقت القيظ
عند منتهى الحمى لانتفع به ذلك وقد تكرر في الحديث استعماله صلى الله عليه وسلم
الماء البارد في علته كما في الحديث صبوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن **وفي السنن**
وغيرها من حديث الحسن عن سمرة يرفعه الحمى قطعة من النار فابردوها عنكم بالما البارد
وكان صلى الله عليه وسلم اذا حم دعا بقربة من ماء فافرغها على راسه فاغتسل وصححه
الحاكم وقال في اسناده راو ضعيف وعن انس رفعه اذا حم احدكم فليشن عليه
من الما البارد من السحر ثلاث ليال اخرجه الطحاوي وابو نعيم في الطب واخرج الطبراني
من حديث عبد الرحمن ابن المرقع رفعه الحمى رائد الموت وهي سجن الله في ارضه فبردوا لها
الما في الشنان وصبوه عليكم فيما بين الاذانين المغرب والعشا قال ففعلوا فذهب عنهم
وقد اخرج الترمذي من حديث ثوبان مرفوعا اذا اصاب احدكم الحما وهي قطعة من النار
فليطفها عنه بالماء يستنقع في نهر جار ويستقبل جريته وليقل بسم الله اللهم
اشف عبدك وصدق نبيك ورسولك بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس ولينغمس
فيه ثلاث غمسات فان لم يبرا فخمس والا فسبع فانها لا تكاد تجاوز تسعا
باذن الله قال الترمذي غريب وفي سنده سعيد ابن زرعة مختلف فيه **ذكر طبه**
صلى الله عليه وسلم من حكة الجسد وما يولد القمل لما كانت الحكة لا تكون
الا عن حرارة ويبس وخشونة رخص صلى الله عليه وسلم للزبير ابن العوام
وعبد الرحمن ابن عوف في لبس الحرير لحكة كانت بهما كما في البخاري عن قتادة
ان انسا حدثهم ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير
في قميص من حرير من حكة كانت بهما وفي رواية ان عبد الرحمن والزبير شكيا
الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني القمل فارخص لهما في الحرير فرايته عليهما في غزاة
وفي رواية رخص النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير ابن العوام

لكريه

في حرير وفي رواية رخص النبي صلى الله عليه وسلم او رخص لحكة كانت بهما ويحتمل
ان تكون العلتان باحد الرجلين وان الحكة حصلت من القمل فنسبت العلة تارة
الى السبب وتارة الى المسبب قال النووي صريح في الدلالة لمذهب الشافعي وموافقيه انه
يجوز لبس الحرير للرجل اذا كانت به حكة لما فيه من البرودة وكذا للقمل وما في معناه وقال
مالك لا يجوز وهذا الحديث حجة عليه انتهى وتعقب قوله لما فيه من البرودة
بان الحرير حار والصواب ان الحكة فيه لخاصة فيه تدفع الحكة وقال ابن القيم واذا
اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة في مزاجه مسخنا للبدن وربما برد البدن
بتسمينه اياه وقال الرازي الابريسم اسخن من الكتان وابرد من القطن يربي اللحم
وكل لباس فانه يهزل ويصلب البشرة فملابس الاوبار والاصواف تسخن وتدفي
وملابس الكتان والحرير والقطن تدفي ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة
وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة وثياب الحرير
الين من القطن واقل حرارة منه ولما كانت ثياب الحرير ليس فيها شي من اليبس
والخشونة كغيرها صارت نافعة من الحكة لان الحكة لا تكون الا عن حرارة ويبس
وخشونة فلذلك رخص عليه الصلاة والسلام لهما في لباس الحرير لمداواة الحكة

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السم

الذي اصابه بخيبر تقدم في غزوتها
قصة اليهودية التي اهدت اليه الشاة المسمومة وقد روى عبد الرزاق عن معمر
عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ان امراة يهودية اهدت الى النبي
صلى الله عليه وسلم شاة مصلية بخيبر فقال ما هذا قالت هدية وحذرت
ان تقول صدقة فلا يأكل فاكل النبي صلى الله عليه وسلم واكل اصحابه ثم قال امسكوا
ثم قال للمراة هل سممت هذه قالت من اخبرك قال هذا العظم لساقها وهو في
يده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان يستريح منك الناس
وان كنت نبيا لم يضرك قال فاحتجم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة على الكاهل
وقد ذكروا في علاج السم انه يكون بالاستفراغات وبالادوية التي تعارض
فعل السم وتبطله اما بكيفياتها واما بخواصها فمن عدم الدوا فليبادر
الى الدوا الكلي وانفعه الحجامة ولاسيما اذا كان البلد حارا والزمان
حارا فان القوة السمية تسري في الدم فتنبعث في العروق والمجاري حتى تصل
الى القلب والاعضا فاذا بادر المسموم واخرج الدم خرجت معه تلك الكيفية
السمية التي خالطته فان كان استفراغا تاما لم يضره السم بل اما ان يذهب
واما ان يضعف فتقوى عليه الطبيعة فتبطل فعله او تضعفه ولما احتجم
صلى الله عليه وسلم احتجم على الكاهل لانه اقرب الى القلب فخرجت المادة
السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي اثرها مع ضعفه لما يريد الله تعالى

من

من تكميل مراتب الفضل كلها له بالشهادة زاده الله شرفا وفضلا

النوع الثالث في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية المركبة من الالهية والطبيعية

ذكر طبه من القرحة والجرح وكل شكوى عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول للمريض بسم الله تربة ارضنا وريقة بعضنا تشفي سقيمنا وفي رواية كان
يقول في الرقية تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفي سقيمنا باذن ربنا رواه البخاري
وفي رواية مسلم اذا اشتكى الانسان او كانت به قرحة او جرح قال باصبعه هكذا ووضع
سفيان سبابته بالارض الحديث وقوله تربة ارضنا خبر مبتدا محذوف اي هذه
تربة ارضنا وقوله يشفي سقيمنا ضبط بالوجهين بضم اوله على البنا للمفعول وسقيمنا
بالرفع وبفتح اوله على ان الفاعل مقدر وسقيمنا بالنصب على المفعولية قال النووي
في معنى الحديث انه اخذ من ريق نفسه على اصبعه السبابة ثم وضعها على التراب فعلق
به شي منه ثم مسح به الموضع العليل او الجريح قايلا الكلام المذكور في حالة المسح
وقال القرطبي زعم بعض علماينا ان السر فيه ان تراب الارض لبرودته ويبسه
يبري الموضع الذي به الالم ويمنع انصباب المواد اليه ليبسه مع منفعته في
تجفيف الجراح واندمالها وقال في الريق انه يختص بالتحليل والانضاج وابرا
الجرح والورم لاسيما من الصايم الجايع وتعقبه القرطبي بان ذلك انما يتم اذا
وقعت المعالجة على قوانينها من مراعاة مقدار التراب والريق وملازمة
ذلك في اوقاته والا فالنفث ووضع السبابة على الارض انما يتعلق بها ما ليس
له بال ولا اثر وانما هذا من باب التبرك باسما الله تعالى واثار رسوله صلى
الله عليه وسلم واما وضع الاصبع بالارض فلعله لخاصية في ذلك او لحكمة
اخفا اثار القدرة بمباشرة الاسباب المعتادة وقال البيضاوي قد شهدت
المباحث الطبية ان للريق مدخلا في النضج وتعديل المزاج وتراب
الوطن له تاثير في حفظ المزاج ودفع الضرر فقد ذكروا انه ينبغي للمسافر
ان يستصحب تراب ارضه ان عجز عن استصحاب مايها حتى اذا ورد المياه
المختلفة جعل شيا منه في سقايه ليامن مضرة ذلك ثم ان الرقى والعزايم
لها اثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول الى كنهها وقال التوربشتي
كان المراد بالتربة الاشارة الى النطفة كانه تضرع بلسان الحال
انك اخترعت الاصل الاول من التراب ثم ابتدعته من ماء مهين فهين
عليك ان تشفي من كانت هذه نشاته وقال النووي وقيل
المراد بارضنا ارض المدينة لبركتها وبعضنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لشرف ريقه فيكون ذلك مخصوصا وفيه نظر وفي حديث
عايشة عند ابي داود والنسائي ان النبي صلى الله عليه وسلم

دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض فقال اكشف الباس رب الناس ثم
اخذ ترابا من بطحان فجعله في قدح ثم نفث عليه ثم صبه عليه قال الحافظ ابن حجر
هذا الحديث تفرد به الشيخ المنذري في **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من لدغة
العقرب** عن عبد الله بن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اذ سجد
فلدغته عقرب في اصبعه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعن الله
العقرب ما تدع نبيا ولا غيره ثم دعا باناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة
في الماء والملح ويقرا قل هو الله احد والمعوذتين حتى سكنت رواه ابن ابي شيبة
في مسنده وقال ابن عبد البر رقى صلى الله عليه وسلم من العقرب بالمعوذتين وكان
يمسح الموضع بماء فيه ملح وهذا الطب مركب من الطبيعي والالهي فان سورة الاخلاص قد
جمعت الاصول الثلاثة التي هي مجامع التوحيد وفي المعوذتين استعاذة من كل مكروه
جملة وتفصيلا ولهذا اوصى صلى الله عليه وسلم عقبة بن عامر ان يقراهما عقب كل
صلاة رواه الترمذي **وفي هذا سر** عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة الى الصلاة
وقال ما تعوذ المتعوذون بمثلهما واما الماء والملح فهذا الطب الطبيعي فان في الملح
نفعا لكثير من السموم ولا سيما من لدغة العقرب وفيه من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب
السموم ويحللها ولما كان في لسعها قوة نارية تحتاج الى تبريد وجذب استعمل
صلى الله عليه وسلم الماء والملح لذلك **ذكر الطب من النملة** وهي بفتح النون واسكان
الميم قروح تخرج في الجنب وسميت نملة لان صاحبه يحس في مكانه كان نملة تدب عليه
وتعضه وفي صحيح مسلم عن انس انه صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين
والنملة **وروى** الخلال ان الشفاء بنت عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة
فلما هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يا رسول الله
اني كنت ارقي في الجاهلية من النملة واريد ان اعرضها عليك فعرضتها فقالت
بسم الله ضلت حتى تعود من افواهها ولا تضر احدا اللهم اكشف الباس رب الناس
قال ترقي بها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر
حاذق وتطليه على النملة **ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من البثرة**
روى النسائي عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قال عندك ذريرة فقلت
نعم قال ادعي بها فوضعتها على بثرة بين اصبعين من اصابع رجليه ثم قال اللهم
مطفئ الكبير ومكبر الصغير اطفها عني فطفئت **ذكر طبه عليه الصلاة والسلام
من حرق النار** روى النسائي عن محمد بن حاطب قال تناولت قدرا فاصاب
كفي من مائها فاحترق ظهر كفي فانطلقت بي امي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اذهب الباس رب الناس واحسبه قال واشف انت الشافي
وتفل نفثا **ذكر طبه عليه الصلاة والسلام بالحمية** وهي قسمان

حمية

حمية الاصحاء والثانية حمية المرضى فان المريض اذا احتمى وقف مرضه عن التزايد
واخذت القوى في دفعه والاصل في الحمية قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر الى قوله
فتيمموا صعيدا طيبا فحمى المريض من استعمال الماء لانه يضره كما وقعت الاشارة
الى ذلك في اول هذا المقصد وقد قال بعض فضلاء الاطباء راس الطب الحمية والحمية
للصحيح عندهم في المضرة بمنزلة التخليط للمريض والناقه وانفع ما تكون الحمية للناقه
من المرض لان التخليط يوجب الانتكاس والانتكاس اصعب من ابتداء المرض والفاكهة
تضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم القوة
وفي سنن ابن ماجه عن صهيب قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه
خبز وتمر فقال ادن فكل فاخذت تمرا فاكلت فقال اتاكل تمرا وبك رمد فقلت
يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه الاشارة
الى الحمية وعدم التخليط وان الرمد يضر به التمر وعن ام المنذر بنت قيس الانصارية
قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وهو ناقه من مرض ولنا دوال
معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل منها وقام علي ياكل منها فطفق النبي
صلى الله عليه وسلم يقول لعلي انك ناقه حتى كف قالت وصنعت شعيرا وسلقا
وجئت به فقال صلى الله عليه وسلم لعلي من هذا اصب فانه انفع لك رواه ابن ماجه
وانما منعه صلى الله عليه وسلم من اكله من الدوالي لان في الفاكهة نوع ثقل على
المعدة ولم يمنعه من السلق والشعير لانه من انفع الاغذية للناقه ففي ماء الشعير التغذية
والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة فالحمية من اكبر الادوية للناقه قبل
الداء الكي يمنع تزايده وانتشاره **قال** ابن القيم ومما ينبغي ان يعلم ان كثيرا مما يحمى
عنه العليل والناقه والصحيح اذا اشتدت الشهوة اليه ومالت اليه الطبيعة
فتناول منه الشيء اليسير الذي لا تعجز الطبيعة عن هضمه لم يضره تناوله بل ربما
انتفع به فان الطبيعة والمعدة تتلقيانه بالقبول والمحبة فيصلحان ما يخشى
من ضرره وقد يكون انفع من تناول ما تكرهه الطبيعة وتدفعه من الدواء
ولهذا اقر النبي صلى الله عليه وسلم صهيبا وهو ارمد على تناول التمرات
اليسيرة وعلم انها لا تضره ففي هذا الحديث يعني حديث صهيب سر لطيف
فان المريض اذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق وكان فيه ضرر ما كان
انفع واقل ضررا مما لا يشتهيه وان كان نافعا في نفسه فان صدق شهوته
ومحبة الطبيعة له تدفع ضرره وكذلك بالعكس **ذكر حمية المريض
عن الماء** عن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
احب الله العبد حماه الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء قال الترمذي
حديث حسن غريب وروى الحميدي مرفوعا لو ان الناس قللوا من شرب الماء

لاستقامت ابراهيم للطبراني في الاوسط عن ابي سعيد مرفوعا من شرب الماء على الريق
انتقصت قوته وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف ذكر امره صلى الله عليه
وسلم بالحمية من الماء المشمس خوفا من البرص روى الدارقطني عن عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه قال لا تغتسلوا بالماء المشمس فانه يورث البرص وروى الدارقطني
هذا المعنى مرفوعا من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف وكذا اخرج
العقيلي نحوه عن انس بن مالك ورواه الشافعي عن عمر وقال في هذا يكره الماء المشمس شرعا
خوف البرص لكنهم اشترطوا شروطا ان يكون في البلاد الحارة والاوقات الحارة دون الباردة
وفي الاواني المنطبعة على الاصح دون الخزف والخشب ونحوهما واستثنى النقدان لصفائهما
وقال الجويني بالتسوية حكاه ابن الصلاح ولا يكره المشمس في الحياض والبرك قطعا وان يكون
الاستعمال في البدن لا في الثوب وان يكون مستعملا حال حرارته فلو برد زالت الكراهة
في الاصح في الروضة وصحح في الشرح الصغير عدم الزوال واشترط صاحب التهذيب
كما قاله الجيلي ان يكون راس الاناء منسدا لتنحبس الحرارة وفي شرح المهذب انها شرعية
يثاب تاركها وقال في شرح التنبيه ان اعتبرنا القصد فشرعية والا فارشادية واذا
قلنا بالكراهة فكراهة تنزيه لا تمنع صحة الطهارة وقال الطبري ان خاف الاذى حرم
وقال ابن عبد السلام لو لم يجد غيره وجب استعماله واختار النووي في الروضة عدم
الكراهة مطلقا وحكاه الروياني في البحر عن النص ذكر الحمية من طعام البخلاء
عن عبد الله ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طعام البخيل داء وطعام
الاسخياء شفاء رواه التنيسي وروى ابو داود عن مكرز في الموطأ كما ذكره عبد الحق
في الاحكام ذكر الحمية من داء الكسل روى ابو داود في المراسيل عن يونس عن ربيعة
ابن ابي عبد الرحمن انه راه مضطجعا في الشمس قال يونس فنهاني وقال بلغني ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها تورث الكسل وتثير الداء الدفين ذكر
الحمية من داء البواسير عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يجامع احدكم وبه حقن من خلاء فانه يكون منه البواسير رواه ابو احمد الحاكم
ذكر حماية الشراب من سم احد جناحي الذباب بانغماس الثاني عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وقع الذباب في اناء احدكم فليغمسه كله ثم
ليطرحه فان في احد جناحيه شفاء وفي الاخر داء وفي رواية لابي داود فانه يتقي بجناحه
الذي فيه الداء فليغمسه كله وفي رواية الطحاوي فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء
وفي قوله كله رفع توهم المجاز في الاكتفاء ببعضه قال شيخ مشايخنا لم يقع لي في شيء
من الطرق تعيين الجناح الذي فيه الشفاء من غيره لكن ذكر بعض العلماء انه تامله
فوجده يتقي بجناحه الايسر فعرف ان الايمن الذي فيه الشفاء واخرج ابو يعلى
عن ابن عمر مرفوعا عمر الذباب اربعون ليلة والذباب كله في النار الا النحل

وسنده

وسنده لا باس به قال الحافظ كونه في النار ليس تعذيبا له بل ليعذب اهل النار به ويتولد
من العفونة ومن عجيب امره ان رجيعه يقع على الثوب الاسود ابيض وبالعكس واكثر
ما يظهر في اماكن العفونة ومبدأ خلقه منها ثم من التوالد وهو اكثر الطيور سفادا
وربما بقي عامة اليوم على الانثى وحكي ان بعض الخلفاء سأل الشافعي لاي علة خلق الذباب
فقال مذلة للملوك وكانت الحت عليه ذبابة قال الشافعي سألني ولم يكن عندي جواب
فاستنبطت ذلك من الهيئة الحاصلة رحمة الله عليه ورضوانه ذكر امره صلى الله
عليه وسلم بالحمية من الوباء النازل في الآنية في الليل بتغطيتها عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم غطوا الاناء واوكوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء
ليس عليه غطاء او سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء رواه مسلم وفي صحيحه
قيل وذلك في اخر شهور السنة الرومية ذكر حمية الولد من ارضاع الحمقاء روى ابو
داود في المراسيل باسناد صحيح عن زياد السهمي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تسترضع الحمقاء فان اللبن يشبه وعند ابن حبيب يعدي وعند القضاعي
بسند حسن من حديث ابن عباس مرفوعا الرضاع يغير الطباع وعند ابن حبيب
ايضا مرفوعا انه نهى عن استرضاع الفاجرة وعن عمر بن الخطاب ان اللبن ينزع
لمن يسترضع واما الحمية من البرد فاشتهر على الالسنة اتقوا البرد فانه قتل
ابا الدرداء لكن قال شيخ الحفاظ ابن حجر لا اعرفه فان كان وارد فيحتاج الى تاويل
فان ابا الدرداء عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرا انتهى واما ما اشتهر ايضا
اصل كل داء البردة فقال شيخنا رواه ابو نعيم والمستغفري معا في الطب النبوي
والدارقطني في العلل كلهم من طريق تمام بن نجيح عن الحسن البصري عن انس
يرفعه وتمام ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه ابن معين وغيره ولابي نعيم
ايضا من حديث المكبر عن السائب ابو عبد الله بن علي بن زحر عن ابن عباس
مرفوعا مثله وحديث عمرو بن الحارث عن دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد
رفعه اصل كل داء البردة وقد قال الدارقطني عقب حديث انس من علله
عباد بن منصور عن الحسن من قوله وهو اشبه بالصواب وجعله الزمخشري في
الفائق من كلام ابن مسعود وقال الدارقطني في كتاب التصحيف قال اهل اللغة
رواه المحدثون البردة يعني باسكان الراء والصواب البردة يعني بالفتح وهي
التخمة لانها تبرد حرارة الشهوة او لانها ثقيلة على المعدة بطيئة الذهاب
من برد اذا ثبت وسكن وقد اورد ابو نعيم مضموما لهذه الاحاديث
حديث الحارث ابن نفيل عن زياد ابن سيما عن ابي هريرة رفعه استدفئوا
من الحر والبرد وكذا اورده المستغفري مع ما عنده منها حديث اصل
كل داء البرد وهما ضعيفان وذلك شاهد لما حكي عن اللغويين

في كون المحدثين رووه بالسكون انتهى **الفصل الثاني في تعبيره صلى الله عليه وسلم الرؤيا** يقال عبرت الرؤيا بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها بالتشديد للمبالغة في ذلك **واصلها** الرؤيا بالهمز بوزن فعلى وقد تسهل الهمزة وهو ما يراه الشخص في منامه قال القاضي ابو بكر ابن العربي الرؤيا ادراكات يخلقها الله تعالى في قلب العبد على يدي ملك او شيطان اما باسمائها اي حقيقتها واما بكناها اي بعباراتها واما تخليطا وذهب القاضي ابو بكر ابن الطيب الى انها اعتقادات واحتج بان الرائي قد يرى نفسه بهيمة او طائرا مثلا وليس هذا ادراكا فوجب ان يكون اعتقادا لان الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد قال ابن العربي والاول اولى والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل فالادراك انما يتعلق به لا باصل الذات وقال المازري كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا وقال فيها غير الاسلاميين اقاويل كثيرة منكرة لانهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت اقاويلهم فمن ينتمي الى الطب ينسب جميع الرؤيا الى الاخلاط فيقول من غلب عليه البلغم راى انه يسبح في الماء ونحو ذلك لمناسبة الماء طبيعة البلغم ومن غلبت عليه الصفراء راى النيران والصعود في الجو وهكذا الى اخره وهذا وان جوزه العقل وجاز ان يجري الله العادة به لكنه لم يقم عليه دليل ولا اطردت به عادة والقطع في موضع التجويز غلط ومن ينتمي الى الفلسفة يقول ان صور ما يجري في الارض هي في العالم العلوي كالنقوش فما حاذى منها بعض النفوس انتقش فيها قال وهذا اشد فسادا من الاول لكونه تحكما لا برهان عليه والانتقاش من صفات الاجسام واكثر ما يجري في العالم العلوي الاعراض والاعراض لا ينتقش فيها **قال** والصحيح ما عليه اهل السنة ان الله تعالى يخلق في النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان فاذا خلقها فكانه جعلها علما على امور اخرى يخلقها في ثاني الحال ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان ونظيره ان الله تعالى يخلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر وتارة بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر والعلم عند الله واخرج الحاكم والعقيلي من رواية محمد ابن عجلان عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال لقي عمر عليا فقال يا ابا الحسن الرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد ولا امة ينام فيمتلي نوما الا تخرج روحه الى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تكذب قال الذهبي في تلخيصه هذا حديث منكر ولم يصححه المولف وذكر ابن القيم حديثا مرفوعا غير معزو ان رؤيا

المومن

المومن كلام يكلم به ربه في المنام ووجد الحديث للترمذي في نوادر الاصول من حديث عبادة ابن الصامت اخرجه في الاصل الثامن والسبعين وهو من روايته عن شيخه عمر ابن ابي عمر وهو واه وفي سنده جنيد ابن ميمون عن حمزة ابن الزبير عن عبادة قال الحكيم قال بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب قال المومن ومن وراء حجاب اي في المنام ورؤيا الانبياء وحي بخلاف غيرهم فالوحي لا يدخله خلل لانه محروس بخلاف رؤيا غير الانبياء فانها قد يحضرها الشيطان **وقال** الحكيم ايضا وكل الله بالرؤيا ملكا اطلع على احوال بني ادم من اللوح المحفوظ فينسخ منها ويضرب لكل على قصته مثلا فاذا نام مثل تلك الاشياء على طريق الحكمة ليكون له بشرى او نذارة او معاتبة والادمي قد يسلط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما فهو يكيده بكل وجه ويريد افساد اموره بكل طريق فيلبس عليه رؤياه اما بتغليطه فيها او بغفلته عنها **وفي** البخاري من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والمراد غالب رؤيا الصالحين والا فالصالح قد يرى الاضغاث ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منهم بخلاف عكسهم فان الصدق فيها نادر لغلبة تسلط الشيطان عليهم وقد استشكل كون الرؤيا جزءا من النبوة مع ان النبوة قد انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم **واجيب** بان الرؤيا ان وقعت منه صلى الله عليه وسلم فهي جزء من اجزاء النبوة حقيقة وان وقعت من غير النبي صلى الله عليه وسلم فهي جزء من اجزاء النبوة على سبيل المجاز وقيل المعنى انها جزء من علم النبوة لان النبوة وان انقطعت فعلمها باق وتعقب بقول مالك كما حكاه ابن عبد البر انه سئل ايعبر الرؤيا كل احد فقال ابالنبوة يلعب ثم قال الرؤيا جزء من النبوة واجيب بانه لم يرد انها نبوة باقية وانما اراد انها لما اشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغي ان يتكلم فيها بغير علم وقيل ليس المراد ان الرؤيا الصالحة نبوة لان المراد تشبيه الرؤيا بالنبوة وجزء الشيء لا يستلزم ثبوت وصفه كمن قال اشهد ان لا اله الا الله رافعا صوته لا يسمى موذنا ونحو حديث ام كرز الكعبية عند احمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعند احمد من حديث عائشة مرفوعا لم يبق بعدي من المبشرات الا الرؤيا وفي حديث ابن عباس عند مسلم وابي داود انه عليه الصلاة والسلام كشف الستارة ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه والناس صفوف خلف ابي بكر فقال يا ايها الناس انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له والتعبير بالمبشرات خرج مخرج الغالب فان من الرؤيا ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله للمومن رفقا به ليستعد لما

يقع قبل وقوعه وقوله من الرجل الا مفهوم له فان المراة الصالحة كذلك وحكي ابن بطال
الاتفاق عليه وقوله جزء من ستة واربعين جزا من النبوة كذا في اكثر الاحاديث وروي مسلم
من حديث ابي هريرة جزء من خمسة واربعين جزا وعنده ايضا من حديث ابن عمر جزء من
سبعين جزا وعند الطبراني جزء من ستة وسبعين وسنده ضعيف وعند ابن عبد البر
من طريق عبد العزيز ابن المختار عن ثابت عن انس مرفوعا جزء من ستة وعشرين جزا ووقع في
شرح مسلم للنووي في رواية عبادة اربعة وعشرين والذي يحصل من الروايات عشرة اقوالها
ما عند النووي واكثرها من ستة وسبعين وامرينا عن باقيها خوف الاطالة قال القاضي ابو بكر
ابن العربي اجزا النبوة لا يعلم حقيقتها الا نبي او ملك وانما القدر الذي اراده النبي صلى
الله عليه وسلم ان الروية جزء من اجزا النبوة في الجملة لان فيها اطلاعا على الغيب من وجه
ما واما تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة وقال المازري لا يلزم العالم
ان يعرف كل شي جملة وتفصيلا فقد جعل الله تعالى للعالم حدا يقف عنده فمنه ما يعلم المراد
به جملة وتفصيلا ومنه ما يعلمه جملة لا تفصيلا وهذا من هذا القبيل وقد تكلم بعضهم
على الرواية المشهورة وابدا لها مناسبة فنقل ابن بطال عن ابي سعيد السفاقسي ان
بعض اهل العلم ذكر ان الله اوحي الي نبيه في المنام ستة اشهر ثم اوحي اليه بعد ذلك
في اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها الي الوحي في المنام جزء من ستة واربعين
جزءا لانه عاش بعد النبوة ثلاثة وعشرين سنة على الصحيح قال ابن بطال هذا التاويل
يبعد من وجهين احدهما انه قد اختلف في قدر المدة التي بعد بعثته صلى الله عليه وسلم
والثاني انه يبقي حديث السبعين جزا بغير معنى وهذا الذي قاله من الانكار في هذه المقالة
سبقه اليه الخطابي فقال كان بعض اهل العلم يقولون في تاويل هذا العدد قولا لا يكاد
يتحقق وذلك انه عليه الصلاة والسلام اقام بعد الوحي ثلاثا وعشرين سنة وكان يوحي
اليه في منامه ستة اشهر وهي نصف سنة فهو جزء من ستة واربعين جزا من النبوة
قال الخطابي وهذا وان كان وجها يحتمله قسمة الحساب والعدد فاول ما يجب على من
قاله ان يثبت ما ادعاه خبرا ولم نسمع فيه اثرا ولا ذكر مدعيه في ذلك خبرا فكانه
قاله على سبيل الظن والظن لا يغني من الحق شيئا وليس كل ما خفي علينا علمه يلزمنا
حجته كاعداد الركعات وايام الصيام ورمي الجمار فانا لا نصل من علمها الى امر يوجب
حصرها تحت اعدادها ولم نقدح ذلك في موجب اعتقادنا للزومها وقد ذكروا في
المناسبة غير ذلك مما يطول شرحه وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اصدق الرويا بالاسحار رواه الترمذي والدارمي وروي مسلم من حديث ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رويا المسلم
تكذب واصدقكم رويا اصدقكم حديثا قال الخطابي في المعالم في قوله اذا اقترب
الزمان قولان احدهما ان يكون معناه تقارب زمان الليل وزمان النهار

وهو

وهو وقت استوايهما ايام الربيع وذلك وقت اعتدال الطبايع الاربع غالبا قال
والمعبرون يقولون اصدق الرويا ما كان عند اعتدال الليل والنهار وادراك الثمار
والثاني ان اقتراب الزمان انتهاء مدته اذا دنى قيام الساعة وتعقب الاول بانه
يبعده التقييد بالمومن فان الوقت الذي يعتدل فيه الطبايع لا يختص به وجزم
ابن بطال بان الثاني هو الصواب واستدل بما اخرجه الترمذي من طريق معمر عن ايوب
في هذا الحديث بلفظ في اخر الزمان لا تكذب رويا المومن وقيل المراد بالزمان المذكور
زمان المهدي عند بسط العدل وكثرة الامن وبسط الخير والرزق فان ذلك الزمان
يستقصر لاستلذاذه فتتقارب اطرافه وقال القرطبي في المفهم المراد والله اعلم باخر
الزمان المذكور في هذا الحديث زمان الطايفة الباقية مع عيسى ابن مريم عليه الصلاة
والسلام بعد قتله الدجال فاهل هذا الزمان احسن هذه الامة حالا بعد الصدر
الاول واصدقهم اقوالا فكانت روياهم لا تكذب ومن ثم قال عقب هذا واصدقكم
رويا اصدقكم حديثا وانما كان كذلك لان من كثر صدقه تنور قلبه وقوي ادراكه
وانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة وكذلك من كان غالب احواله الصدق في يقظته
استصحب ذلك في نومه فلا يرى الا صدقا وهذا بخلاف الكاذب والمخلط فانه يفسد
قلبه ويظلم فلا يرى الا تخليطا واضغاثا وقد يندر المنام احيانا فيرى الصادق
ما لا يصح ويرى الكاذب ما يصح ولكن الاغلب الاكثر ما تقدم انتهى ملخصا وعن ابي
سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راى احدكم رويا يحبها
فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليتحدث بها واذا راى غير ذلك مما يكره فانما
هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره رواه البخاري
وفي رواية مسلم والرويا السوء من الشيطان فمن راى رويا فكره منها شيا فلينفث عن
يساره وليتعوذ بالله من الشيطان ولا يخبر بها احدا فان راى رويا حسنة فليبشر
ولا يخبر بها الا من يحب وقوله فليبشر بفتح التحتانية وسكون الموحدة وضم
المعجمة من البشرى وفي حديث ابي رزين عند الترمذي ولا يقصها الا على واد بتشديد
الدال اسم فاعل من الود او ذي راي وفي اخرى ولا يحدث بها الا لبيبا او حبيبا
وفي اخرى لا تقص الرويا الا على عالم او ناصح وفي حديث ابي سعيد عند مسلم
فليحمد الله عليها وليحدث بها وحاصل ما ذكر من ادب الرويا الصالحة ثلاثة
اشيا ان يحمد الله عليها وان يستبشر بها وان يحدث بها لكن لمن يحب دون
من يكره وحاصل ما ذكر من ادب الرويا المكروهة اربعة اشيا ان يتعوذ
بالله من شرها ومن شر الشيطان ويتفل حين يهب من نومه ولا يذكرها
لاحد اصلا وفي البخاري من حديث ابي هريرة خامسة وهي الصلاة ولفظه
فمن راى شيا يكرهه فلا يقصه على احد وليقم فليصل لكن لم يصرح البخاري

بوصله وصرح به مسلم وزاد مسلم سادسة وهي التحول من جنبه الذي كان عليه فقال عن جابر رفعه اذا راي احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق على يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول من جنبه الذي كان عليه قال النووي وينبغي ان يجمع هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته فان اقتصر على بعضها اجزاه في دفع ضررها كما صرحت به الاحاديث **وتعقبه** الحافظ ابن حجر بانه لم ير في شيء من الاحاديث الاقتصار على واحد ثم قال لكن اشار المهلب الى ان الاستعاذة كافية في دفع شرها انتهى ولا ريب ان الصلاة تجمع ذلك كله كما قاله القرطبي لانه اذا قام يصلي تحول عن جنبه وبصق ونفث عند المضمضة في الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله في اقرب الاحوال اليه فيكفيه الله شرها **وذكر** بعضهم سابعة وهي قراءة اية الكرسي ولم يذكر لذلك مستندا فان اخذه من عموم قوله في حديث ابي هريرة ولا يقربك شيطان فيتجه قال وينبغي ان يقراها في صلاته المذكورة **وحكمة** التفل كما قاله القاضي عياض الامر به طردا للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرا واستقذارا وخصت بها اليسار لانها محل الاقذار ونحوها والتثليث للتاكيد **وقد** ورد التفل والنفث والبصق **قال** النووي في الكلام على النفث في الرقية اختلف في التفل والنفث فقيل هما بمعنى واحد ولا يكونان الا بريق **وقال** ابو عبيدة يشترط في التفل ريق يسير ولا يكون في النفث وقيل عكسه وسئلت عائشة عن النفث في الرقية فقالت كما ينفث اكل الزبيب لا ريق معه قال ولا اعتبار بما يخرج معه من بله بغير قصد قال وقد جاء في حديث ابي سعيد في الرقية بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه قال القاضي عياض وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنفث للمباشر للرقية المقارنة للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والاسماء وقال النووي ايضا واكثر الروايات ~~في الروايات~~ في الرؤيا فلينفث وهو النفخ اللطيف بلا ريق فيكون التفل والبصق محمولين عليه مجازا **وتعقبه** الحافظ ابن حجر بان المطلوب في الموضعين مختلف لان المطلوب في الرقية التبرك برطوبة الذكر كما تقدم والمطلوب هنا طرد الشيطان واظهار احتقاره واستقذاره كما نقله هو عن عياض كما تقدم فالذي يجمع الثلاثة الحمل على التفل فانه نفخ معه ريق لطيف فبالنظر الى النفخ قيل له نفث وبالنظر الى الريق قيل له بصق واما قوله فانها لا تضره فمعناه كما قاله النووي ان الله تعالى جعل ما ذكر سببا للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا كما جعل الصدقة وقاية للمال واما فالتفاول بتحويل تلك الحال التي كان عليها والحكمة في قوله في الرؤيا الحسنة ولا يخبر بها الا من يحب لانه اذا احدث بها من لا يحب قد يفسرها له بما لا يحب اما بغضا واما حسدا فقد تقع على تلك الصفة او يتعجل لنفسه من ذلك حزنا ونكدا فامر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك وقد روي من

حديث انس مرفوعا الرؤيا لاول عابر وهو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشي ولكن له شاهد اخرجه ابو داود والترمذي وابن ماجة بسند حسن وصححه الحاكم عن ابي رزين العقيلي رفعه الرؤيا على رجل طاير ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت وعند الدارمي بسند حسن عن سليمان ابن يسار عن عايشة قالت كانت امراة من اهل المدينة لها زوج تاجر يختلف في التجارة فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي غايب وتركني حاملا فرايت في المنام ان سارية بيتي انكسرت واني ولدت غلاما اعور فقال خير يرجع زوجك ان شاء الله تعالى صالحا وتلدين غلاما برا فذكرت ذلك ثلاثا فجاءت ورسول الله صلى الله عليه وسلم غايب فسالتها فاخبرتني بالمنام فقلت لها لين صدقت رؤياك ليموتن زوجك وتلدين غلاما فاجرا فقعدت تبكي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مه يا عايشة اذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير فان الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها وعند سعيد ابن منصور من مرسل عطا ابن ابي رباح قال جاءت امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني رايت كان جايزة بيتي انكسرت وكان زوجها غايبا فقال رد الله زوجك عليك فرجع سالما الحديث **قال** ابو عبيدة وغيره معنى قوله الرؤيا لاول عابر اذا كان العابر الاول عالما فعبر واصاب وجه التعبير والا فهي لمن اصاب بعده اذ ليس المدار الا على اصابة الصواب في تعبير المنام ليتوصل بذلك الى مراد الله تعالى فيما ضربه من المثل فان اصاب فلا ينبغي ان يسال غيره وان لم يصب فليسال الثاني وعليه ان يخبر بما عنده ويبين ما جهل الاول هكذا قال وفيه بحث يطول ذكره **ومن اداب** المعبر ما اخرجه عبد الرزاق عن معمر انه كتب الى ابي موسى فاذا راى احدكم رؤيا فقصها على اخيه فليقل خيرا لنا وشرا لاعدائنا ورجاله ثقات ولكن سنده منقطع وفي حديث ابن زمل عند الطبراني والبيهقي في الدلايل لما قص على النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا فقال عليه الصلاة والسلام خير تلقاه وشر تتوقاه وخير لنا وشر لاعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك وسنده ضعيف جدا واني ان شاء الله تعالى **ومن اداب** العابر ان لا يعبرها عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا عند الزوال ولا في الليل وان لا يقصها على امراة لكن ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة يقول هل راى احد منكم الليلة رؤيا فيقص عليه ما شاء الله ان يقص ويعبر لهم ما يقصونه وبوب عليه البخاري باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح قالوا وفيه اشارة الى ضعف ما اخرجه عبد الرزاق عن معمر عن سعيد بن عبد الرحمن عن بعض علمايهم قال ولا تقصص رؤياك على امراة ولا تخبر بها حتى تطلع الشمس وفيه اشارة الى الرد على من قال من اهل التعبير ان المستحب

ان يكون التعبير من بعد طلوع الشمس الي الرابعة من العصر قبل الغروب فان الحديث
دال علي استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس ولا يخالف قولهم بكراهة تعبيرها في اوقات
كراهة الصلاة قال المهلب تعبير الرويا عند صلاة الصبح اولي من غيره من الاوقات لحفظ
صاحبها لها لقرب عهده بها وقبل ما يعرض له نسيانها ولحضور ذهن العابر وقلة شغله
بالفكر فيما يتعلق بمعاشه وليعرف الراي ما يعرض له بسبب روياه فيستبشر بالخير
ويحذر من الشر ويتاهب لذلك فربما كان في الرويا تحذير من معصية فيكف عنها وربما
كانت انذار الامر فيكون له مرتقبا قال فهذه عدة فوايد لتعبير الرويا اول النهار
قال في فتح الباري وذكر اهمية التعبير ان من اداب الرايي ان يكون صادق اللهجة
وان ينام علي وضوء علي جنبه الايمن وان يقرا عند نومه والشمس والليل والتين
وسورة الاخلاص والمعوذتين وان يقول اللهم اني اعوذ بك من سيي الاحلام واستجير
بك من تلاعب الشيطان في اليقظة والمنام اللهم اني اسالك رويا صالحة صادقة
نافعة حافظة غير منسية اللهم ارني في منامي ما احب وان لا يقصها علي عدو
ولا جاهل اذا علمت هذا فاعلم ان جميع المراي تنحصر في قسمين اضغاث احلام وهي
لا تنذر بشيء وهي انواع الاول تلاعب الشيطان ليحزن الراي كان يري انه قطع
راسه وهو يتبعه او يري انه واقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك وروي
مسلم عن جابر جا اعرابي فقال يا رسول الله اني حلمت ان راسي قطع فانا ابتعه
فزجره صلي الله عليه وسلم وقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام الثاني
ان يري ان بعض الملايكة يامره ان يفعل المحرمات مثلا ونحوه من المحال عقلا الثالث
ما يحدث به نفسه في اليقظة او يتمناه فيراه كما هو في المنام وكذا روية ما جرت
عادته في اليقظة او ما يغلب علي مزاجه ويقع علي المستقبل غالبا وعن الحال كثيرا
وعن الماضي قليلا القسم الثاني في الرويا الصادقة وهي روي الانبيا ومن تبعهم
من الصالحين وقد يقع لغيرهم بندور وهي التي تقع في اليقظة علي وفق ما وقعت في
النوم وقد وقع لنبينا صلي الله عليه وسلم من الرويا الصادقة التي كفلق الصبح
ما لا يعد ولا يحد قالت عايشة اول ما بدا به رسول الله صلي الله عليه وسلم
من الوحي الرويا الصادقة في النوم فكان لا يري رويا الا جات مثل فلق الصبح
الحديث رواه البخاري وفي رواية الرويا الصالحة وهما بمعني واحد بالنسبة الي
امور الاخرة في حق الانبيا واما بالنسبة الي امور الدنيا فالصالحة في الاصل اخص
فرويا النبي صلي الله عليه وسلم كلها صادقة وقد تكون صالحة وهو الاكثر وغير صالحة
بالنسبة للدنيا كما وقع في الرويا يوم احد فانه صلي الله عليه وسلم راي بقرا
تذبح وراي في سيفه ثلما فالبقر اصحاب اصحابه يوم احد والثلم
الذي في سيفه برجل من اهل بيته يقتل ثم كانت العاقبة للمتقين وكان

لعله ما اصاب

بعد

بعد ذلك النصر والفتح علي الخلق اجمعين واما رويا غير الانبيا فبينهما عموم وخصوص
ان فسرنا الصالحة بانها التي لا تحتاج الي تعبير واما ان فسرناها بانها غير الاضغاث فالصالحة
اخص مطلقا وقال الامام نصر بن يعقوب الدينوري في التعبير القادري الرويا الصادقة
ما يقع بعينه او ما يعبر في المنام ويخبر به من لا يكذب والصالحة ما تسر والله اعلم
واعلم ان الناس في الرويا علي ثلاث درجات الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم ورؤياهم
كلها صادق وقد يقع فيها ما يحتاج الي التعبير والصالحون والاغلب علي روياهم الصدق وقد
يقع فيها ما لا يحتاج الي التعبير ومن عداهم يقع في روياهم الصدق والاضغاث وهم علي
ثلاثة اقسام مستورون فالغالب استوا الحال في حقهم وفسقة والغالب علي روياهم
الاضغاث ويقل فيها الصدق وكفار ويندر في روياهم الصدق جدا ويشير الي ذلك قوله
صلي الله عليه وسلم واصدقهم رويا اصدقهم حديثا اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة وقد وقعت
الرويا الصادقة من بعض الكفار كما في رويا صاحبي السجن مع يوسف عليه الصلاة والسلام
ورويا ملكهما وغيره ذلك وقد روي الامام احمد مرفوعا وصححه ابن حبان من حديث
ابي سعيد اصدق الرويا بالاسحار وذكر الامام نصر بن يعقوب الدينوري ان الرويا
اول الليل يبطي تاويلها ومن النصف الثاني يسرع بتفاوت اجزاء الليل وان اسرعها
تاويلا رويا السحر ولا سيما عند طلوع الفجر وعن جعفر الصادق اسرعها تاويلا
رويا القيلولة وعن محمد بن سيرين رويا النهار مثل رويا الليل والنسا كالرجال
وعن القيرواني ان المراة اذا رات ما ليست له اهلا فهو لزوجها وكذا حكم العبد
لسيده كما ان رويا الطفل لوالديه ومن مرائيه الكريمة عليه الصلاة والسلام
شربه اللبن وتعبيره بالعلم كما في حديث ابن عمر عند البخاري قال سمعت رسول الله
صلي الله عليه وسلم يقول بينا انا نايم اتيت بقدح لبن فشربت منه حتي اني لاري
الري يخرج من اظفاري ثم اعطيت فضلي عمر قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم
وفي رواية الكشميهني اظفيري وفي رواية صالح ابن كيسان من اطرافي وهذه الروية
يحتمل ان تكون بصرية وهو الظاهر ويحتمل ان تكون علمية ويويد الاول ما اخرجه
الحاكم والطبراني من طريق ابي بكر ابن عبد الله بن عمر عن ابيه عن جده في هذا الحديث
فشربت حتي رايته يجري في عروقي بين الجلد واللحم علي انه يحتمل ايضا
قال بعض العارفين الذي يخلص اللبن من بين فرث ودم قادر علي
ان يخلق المعرفة من بين شك وجهل وهو كما قال لكن اضطردت العادة
بان العلم بالتعلم والذي ذكره قد يكون خارقا للعادة فيكون من باب
الكرامة وقال العارف ابن ابي جمرة تاول النبي صلي الله عليه وسلم اللبن
بالعلم اعتبارا بما بين له اول الامر حين اتي بقدح خمر وقدح لبن فاخذ
اللبن فقال له جبريل اخذت الفطرة انتهي وقد جا في بعض الاحاديث

المرفوعة تأويله بالفطرة كما أخرجه البزار من حديث أبي هريرة رفعه اللبن
في المنام فطرة وذكر الدينوري أن اللبن المذكور في هذا يختص بلبن الإبل وأنه
لشاربه مال حلال وعلم قال ولبن البقر خصب السنة ومال حلال وفطرة أيضا
ولبن الشاة مال وسرور وصحة جسم وألبان الوحش شك في الدين وألبان السباع
غير محمودة إلا أن لبن اللبوة مال مع عداوة لذي أمر وفي الحديث أن علم النبي صلى
الله عليه وسلم بالله لا يبلغ أحد درجته فيه لأنه شرب حتى رأى الري يخرج من أطرافه
وأما إعطاؤه فضله عمر ففيه إشارة إلى ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا يأخذه
في الله لومة لائم ووجه التعبير في الحديث بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم
في كثرة النفع وكونهما سببا للصلاح فاللغذا البدني والعلم للغذا المعنوي ومن
ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم القميص وتعبيره بالدين عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا نائم رأيت
الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك
ومر علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا ما أولته يا رسول الله قال الدين
رواه البخاري وفي رواية الترمذي من طريق أخرى في هذا الحديث فقال أبو بكر على ما أولت
هذا يا رسول الله والثدي بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد الياء جمع ثدي بفتح
ثم سكون والمعنى أن القميص قصير جدا بحيث لا يستر يصير من الحلق إلى نحو السرة
بل فوقها وقوله ومنها ما يبلغ دون ذلك يحتمل أن يريد به من جهة السفل وهو
الظاهر فيكون أطول ويحتمل أن يكون دونه من جهة العلو فيكون أقصر ويؤيد
الأول ما في رواية الترمذي الحكيم المذكورة فمنهم من كان قميصه إلى سرته ومنهم من
كان قميصه إلى ركبته ومنهم من كان قميصه إلى أنصاف ساقيه ويجوز النصب في قوله
والتقدير أولت ويجوز الرفع وفي رواية الحكيم المذكورة على الإيمان وقد قيل
في وجه تعبير القميص بالدين أن القميص يستر العورة في الدنيا والدين يستره
في الآخرة ويحجبها عن كل مكروه والأصل فيه قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير
واتفق أهل التعبير على أن القميص يعبر بالدين وأن طوله يدل على بقاء آثار صاحبه
من بعده وقال ابن العربي إنما أول النبي صلى الله عليه وسلم القميص بالدين
لأن الذي يستر عورة الجهل كما يستر القميص عورة البدن قال وأما غير
عمر فالذي كان يبلغ الثدي هو الذي يستر قلبه عن الكفر وإن كان يتعاطى
المعاصي والذي كان يبلغ أسفل من ذلك وفرجه باد هو الذي يستر رجله
عن المشي إلى المعصية والذي يستر رجله عن المشي إلى المعصية هو الذي احتجب
بالتقوى من جميع الوجوه والذي يجر قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص
وأشار العارف ابن أبي جمرة إلى أن المراد بالناس في هذا الحديث المؤمن

لتأويله

لتأويل القميص بالدين قال والذي يظهر أن المراد خصوص هذه الأمة المحمدية
بل بعضها والمراد بالدين العمل بمقتضاه كالحرص على امتثال الأوامر واجتناب
المناهي وكان لعمر في ذلك المقام العالي قال ويؤخذ من هذا الحديث أن كل ما يرى
في القميص من حسن أو غيره فإنه يعبر بدين لابسه قال والنكتة في القميص أن لابسه إذا
اختار نزعه وإذا اختار أبقاه فلما ألبس الله المؤمنين لباس الإيمان واتصفوا
به كان الكامل في ذلك سابغ الثوب ومن لا فلا وقد يكون نقص الثوب بسبب نقص الإيمان
وقد يكون بسبب نقص العمل وفي الحديث أن أهل الدين الذين يتفاضلون في الدين بالقلة
والكثرة وبالقوة والضعف وهذا من أمثلة ما يحمد في المنام ويذم في اليقظة شرعا
أعني جر القميص لما ورد من الوعيد في تطويله ومن ذلك رؤيته عليه الصلاة والسلام
السوارين الذهب في يده الزينة وتعبيرهما بالكذابين روى البخاري عن عبيد الله
بن عبد الله قال سألت عبد الله بن عباس عن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكر
فقال ابن عباس ذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رأيت
أنه وضع في يدي سواران من ذهب ففظعتهما وكرهتهما فأذن لي فنفختهما
فطارا فأولتهما كذابين يخرجان فقال عبيد الله أحدهما العنسي الذي قتله فيروز
باليمن والآخر مسيلمة وفي رواية أبي هريرة عند الشيخين بينا أنا نائم إذ أوتيت
خزائن الأرض فوضع في يدي سواران فكبرا علي وأهماني فأوحى الله إلي أن انفخهما
فنفختهما فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة قال
المهلب هذه الرواية ليست على وجهها وإنما هي ضرب من المثل وإنما أول النبي
صلى الله عليه وسلم السوارين بالكذابين لأن الكذب وضع الشيء في غير موضعه فلما رأى في
ذراعيه سوارين من ذهب وليسا من لبسه لأنهما حلية النساء عرف أنه سيظهر من يدعي
ما ليس له وأيضا ففي كونهما من ذهب والذهب منهي عن لبسه دليل على الكذب
وأيضا فالذهب مشتق من الذهاب فعلم أنه شيء يذهب عنه وتأكد ذلك
بالإذن له في نفخهما فطارا فعرف أنه لا يثبت لهما أمر وأن كلامه بالوحي الذي جاء به
يزيلهما عن موضعهما وقال ابن العربي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوقع
بطلان أمر مسيلمة والعنسي فأول الرؤيا عليهما ليكون ذلك إخراجا
للمنام عليهما فإن الرؤيا إذا عبرت خرجت ويحتمل أن يكون بوحي
والمراد بخزائن الأرض التي ذكرها ما فتح على أمته من الغنائم ومن
ذخائر كسرى وقيصر وغيرهما ويحتمل معادن الأرض التي فيها الذهب
والفضة وقال القرطبي إنما كبر عليه السواران لكون الذهب من حلية
النساء ومما حرم على الرجال وفي طيرانهما إشارة إلى اضمحلال أمرهما
ومناسبة هذا التأويل لهذه الرؤيا أن أهل صنعاء وأهل اليمامة كانوا

اسلموا وكانوا لها المساعدين للاسلام فلما ظهر فيهما الكذابان وبهرجا على اهلهما
بزخرف اقوالهما ودعاويهما الباطلة انخدع اكثرهم بذلك فكان اليدين بمنزلة البلدين
والسوارين بمنزلة الكذابين وكونهما من ذهب اشارة الى ما زخرفا والزخرف من اسماء
الذهب وقال اهل التعبير من راى انه يطير فان كان الى جهة السماء تعرضا نال ضررا فان
غاب في السماء ولم يرجع مات وان رجع افاق من مرضه وان كان يطير عرضا سافر ونال
رفعة بقدر طيرانه **ومن ذلك رؤيته عليه الصلاة والسلام المراة السوداء**
الثائرة الراس وتعبيرها بنقل وبا المدينة الى الجحفة روى البخاري من حديث
عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت امراة سوداء ثائرة الراس
خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة فاولت ان وبا المدينة نقل
اليها وهذا من قسم الرؤيا المعبرة وهي مما ضرب به المثل ووجه التمثيل انه شق من
اسم السوداء السوء والدا فتاول خروجها بما جمع اسمها وتاول من ثوران شعر راسها
ان الذي يسوء ويثير الشر يخرج من المدينة وقال القيرواني من اهل التعبير
كل شيء غلبت عليه السواد في اكثر وجوهها فهو مكروه **وقال** غيره ثوران الراس
يؤول بالحمى لانها تثير البدن بالاقشعرار وبارتفاع الراس لا سيما من السوداء
فانها اكثر استيحاشا **ومن ذلك رؤيته عليه الصلاة والسلام انه في درع
حصينة** وبقرا تنحر وتعبيره ذلك عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رايت في المنام اني اهاجر من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي الى انها اليمامة
او هجر فاذا هي المدينة يثرب ورايت فيها بقرا والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين
يوم احد واذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذي اتانا بعد
يوم بدر رواه البخاري ومسلم وروى الامام احمد وغيره عن جابر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال رايت كاني في درع حصينة ورايت بقرا تنحر فاولت
الدرع الحصينة المدينة والبقر بقرا وهذه اللفظة الاخيرة وهي بقر بفتح
الموحدة وسكون القاف مصدر بقره يبقره بقرا ولهذا الحديث سبب جا
بيانه في حديث ابن عباس عند احمد ايضا والنسائي والطبراني وصححه الحاكم من
طريق ابي الزناد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس في قصة احد
واشارة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ان لا يخرجوا من المدينة وابائهم
للخروج لطلب الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى
الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه
اني رايت اني في درع حصينة الحديث بنحو حديث جابر وانه منه
وقد تقدمت الاشارة اليه في غزوة احد من المقصد الاول والمراد
بقوله واذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي اتانا الله

به

117

به بعد يوم بدر فتح خيبر ثم مكة اي ما جاء الله به بعد بدر الثانية من تثبيت قلوب
المؤمنين **قال** في فتح الباري وفي هذا السياق اشعار بان قوله في الخبر والله خير من
جملة الرؤيا قال والذي يظهر لي ان لفظة والله خير لم يتحرر ايراده وان رواية ابن اسحاق
هي المحررة وانه راى بقرا وراى خيرا فاول البقر على من قتل من الصحابة يوم احد
واول الخير على ما حصل لهم من ثواب الصدق في القتال والصبر على الجهاد يوم بدر
وبعده الى فتح مكة والمراد بالبعدية على هذا لا يختص بما بين بدر وبعده الى
فتح مكة والمراد بالبعدية على هذا الاختصاص بما بين بدر واحد نبه عليه ابن بطال
ومن ذلك رؤيته عليه الصلاة والسلام انه اتي برطب روى
مسلم عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رايت الليلة فيما
يرى النائم كانا في دار عقبة بن رافع واتينا برطب من رطب ابن طاب فاولته
ان الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الاخرة وان ديننا قد طاب **ومن ذلك
رؤيته عليه الصلاة والسلام سيفا هزه وتعبيره** ما روي في حديث ابي موسى
المتفق عليه انه صلى الله عليه وسلم قال رايت في رؤياي هذه اني هززت سيفا
فانقطع صدره فاذا هو ما اصيب به المؤمنون يوم احد ثم هززته اخرى
فعاد احسن مما كان فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين رواه
البخاري وهذه ايضا من ضرب المثل **ولما كان** صلى الله عليه وسلم يصول بالصحابة
عبر عن السيف بهم وبهزه عن امره لهم بالحرب وعن القطع فيه بالقتل فيهم
وفي الهزة الاخرى لما عاد الى حالته من الاستواء عبر به عن اجتماعهم
والفتح عليهم وقال اهل التعبير السيف يتصرف على اوجه منها ان من نال
سيفا فانه ينال سلطانا اما ولاية واما وديعة واما زوجة واما ولدا فان
سله من غمده فانثلم سلمت زوجته واصيب ولده وان انكسر الغمد وسلم
السيف فبالعكس وان سلما او عطبا فكذلك وقائم السيف يتعلق بالاب والعصبة
ونصله بالام وذوي الارحام وان جرد السيف واراد قتل شخص فهو لسانه
يجرده في الخصومة وربما عبر السيف بسلطان جائر **وقال** بعض اهل
التعبير ايضا من راى انه اغمد سيفا فانه يتزوج او ضرب شخصا بالسيف
فانه يبسط لسانه فيه ومن راى انه يقاتل اخر وسيفه اطول من سيفه
فانه يغلبه ومن راى سيفا عظيما فهو فتنة ومن قلد سيفا قلد امرا
فان كان قصيرا لم يتم له امره **ومن ذلك رؤيته عليه الصلاة
والسلام انه على قليب** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بينا انا نائم رايتني على قليب وعليها دلو فنزعت
منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها ذنوبا او ذنوبين

او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فاخذها عمر ابن الخطاب
فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع ابن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن والعبقري القوم
سيدهم وكبيرهم وقويهم وفي رواية لم يزل ينزع حتى تولى الناس والحوض يتفجر وفي رواية
فاتاني ابو بكر فاخذ الدلو من يدي ليريحني وفي رواية موسى عن سالم عن ابيه
رايت الناس اجتمعوا فقام ابو بكر فنزع ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف
والله يغفر له ثم قام ابن الخطاب فاستحالت غربا فما رايت من الناس يفري فريه
حتى ضرب الناس بعطن رواه البخاري قال النووي قالوا هذا المنام مثال لما جرى للخليفتين
من ظهور اثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك ماخوذ من النبي صلى الله
عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به اكمل مقام وقرر قواعد الدين ثم خلفه ابو بكر
فقاتل اهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فاتسع الاسلام في زمنه فشبه امر المسلمين
بقليب فيه الماء الذي فيه حياتهم وصلاحهم واميرهم المستقي لهم منها وفي قوله فاخذ الدلو
من يدي ليريحني اشارة الى خلافة ابي بكر بعد موته صلى الله عليه وسلم لان الموت
راحة من كد الدنيا وتعبها فقام ابو بكر بتدبير امر الامة ومعاناة احوالهم واما قوله
وفي نزعه ضعف فهو اخبار عن حاله في قصر مدة ولايته واما ولاية عمر فانها لما طالت
كثر انتفاع الناس بها واتسعت دائرة الاسلام بكثرة الفتوح وتمصير الامصار
وتدوين الدواوين وليس في قوله عليه الصلاة والسلام ويغفر الله له
نقص ولا اشارة الى انه وقع منه ذنب وانما هي كلمة كانوا يقولونها وقوله فاستحالت
في يده غربا اي تحولت الدلو في يده غربا بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة
اي دلوا عظيما واخرج احمد وابو داود وعن سمرة ابن جندب ان رجلا قال يا رسول
الله رايت كان دلوا دلي من السماء فجاء ابو بكر فاخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا
ثم جاء عمر فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان فاخذ بعراقيها فشرب
حتى تضلع ثم جاء علي فانتشطت وانتضح عليه منها شيء والعراقي جمع عرقوة
الدلو وهي الخشبة المعروضة على فم الدلو وهما عرقوتان كالصليب
وقد عرقيت الدلو اذا ركبت العرقوة فيها وانتشطت اي جذبت ورفعت
فهذه نبذة من مرائيه الكريمة صلى الله عليه وسلم مع تعبيرها **واما**
ما راه غيره فعبره صلى الله عليه وسلم له فمنه مما يختص ببعض
من امور الدنيا والاخرة فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا انفتل من
صلاة الصبح اقبل على اصحابه فقال من راى منكم الليلة رؤيا فليقصها
علي اعبرها له فيقص الناس عليه مرائيهم وروى البخاري والترمذي
عن سمرة ابن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر ان يقول لاصحابه هل راى احد منكم رؤيا فيقص الناس عليه

ما شاء

ما شاء الله ان يقص وانه قال ذات غداة هل راى احد منكم رؤيا فقالوا ما منا
احد راى شيئا قال لكني اتاني الليلة اثنان وانهما ابتعثاني فقالا لي انطلق وانطلقت
فاتينا على رجل مضطجع واذا اخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لراسه
فيثلغ راسه الحديث وقال عليه الصلاة والسلام يوما لاصحابه هل راى منكم
الليلة احد رؤيا ما شاء الله ثم ترك السؤال فكان يعبر لمن يقص متبرعا **واختلف**
النقلة في سبب ترك السؤال فقيل سببه ذلك حديث ابي بكرة عند الترمذي وابي داود
انه صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم من راى منكم رؤيا فقال رجل انا يا رسول الله
رايت كان ميزانا نزل من السماء فوزنت انت وابو بكر فرجحت انت بابي بكر ووزن
ابو بكر وعمر فرجح ابو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فراينا الكراهة
في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى قالوا فمن حينئذ لم يسال النبي صلى الله عليه وسلم
احدا عن رؤيا قال بعضهم وسبب كراهته عليه الصلاة والسلام لذلك اشارة الى ستر العواقب
واخفاء المداينات فلما كانت هذه الرؤيا كاشفة لمنازلهم مبينة لفضل بعضهم
على بعض في التعيين خشي ان يتواتر ويتوالى ما هو ابلغ في الكشف من ذلك ولله
في ستر خلقه حكمة بالغة ومشيئة نافذة قال ابن قتيبة فيما ذكره ابن المنير
سبب تركه السؤال حديث ابن زمل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى
الصبح قال وهو ثان رجليه سبحان الله وبحمده واستغفر
الله انه كان توابا سبعين مرة ثم يقول سبعون بسبعمائة لا خير فيمن كانت
ذنوبه في يوم اكثر من سبعمائة ثم يستقبل الناس بوجهه فيقول هل راى
احد منكم شيئا قال ابن زمل فقلت ذات يوم انا يا رسول الله قال خيرا تلقاه
وشرا تتوقاه وخير لنا وشر على اعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك
قال رايت جميع الناس على طريق رحب لاحب سهل والناس على الجادة
منطلقون فبينما هم كذلك اشفى ذلك الطريق بهم على مرج لم تر عيني
مثله يرف رفيفا يقطر نداه فيه من انواع الكلا فكاني بالرعلة
الاولى حين اشرفوا على المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق فلم
يظلموه يمينا ولا شمالا ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدهم وهم اكثر منهم
اضعافا فلما اشرفوا على المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق
فمنهم المرتع ومنهم الاخذ الضغث ومضوا على ذلك قال ثم قدم عظم
الناس فلما اشرفوا على المرج كبروا وقالوا هذا خير المنزل فمالوا في المرج
يمينا وشمالا فلما رايت ذلك لزمت الطريق حتى اتيت اقصى المرج فاذا انا
بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وانت في اعلاها درجة واذا
عن يمينك رجل ادم اقنى اذا هو تكلم يسمو فيجاوز الرجال طولا واذا

عن يسار كان رجل ربعة تار احمر كثير خيلان الوجه اذا هو تكلم اصغيتم اليه اكراما
له واذا امام ذلك شيخ كانكم تقتدون به واذا امام ذلك ناقة عجفاء شارف واذا
انت كانك تبعثها يا رسول الله قال فانتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ساعة ثم سري عنه فقال اما ما رايت من الطريق الرحب اللاحب السهل فذلك
ما حملتكم عليه من الهدي فانتم عليه واما المرج الذي رايت فالدنيا ونضارة عيشها
لم تتعلق بها ولم تردنا ولم نردها واما الرجلة الثانية والثالثة وقص
كلامه فانا لله وانا اليه راجعون واما انت فعلى طريقة صالحة فلن تزال عليها
حتى تلقاني واما المنبر فالدنيا سبعة الاف سنة انا في اخرها واما الرجل الطوال الادم
فذلك موسى نكرمه بفضل كلام الله اياه واما الرجل الربعة التار الاحمر فذلك عيسى
ابن مريم عليه الصلاة والسلام نكرمه بفضل منزلته من الله واما الشيخ الذي رايت
كانكم تقتدون به فذلك ابراهيم صلوات الله عليه وسلم واما الناقة العجفاء الشارف
التي رايتني ابعثها فهي الساعة علينا اي على الامة تقوم لا نبي بعدي ولا امة بعدي
قال الراوي فما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا عن رؤيا الا ان يجي الرجل
متبرعا فيحدثه بها رواه ابن قتيبة والطبراني والبيهقي في الدلائل وسنده ضعيف
جدا ومن غرائب ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم من التعبير ان زرارة بن عمرو
النخعي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد النخع فقال يا رسول الله
اني رايت في طريقي هذا رؤيا رايت اتانا تركتها في الحي ولدت جديا اسفع
احوى فقال له صلى الله عليه وسلم هل لك من امة تركتها مصرة حملا
فقال نعم تركت امة اظنها قد حملت قال فقد ولدت غلاما وهو ابنك قال
فما باله اسفع احوى قال ادن مني فدنا منه قال هل بك برص تكتمه
قال نعم والذي بعثك بالحق ما رآه مخلوق ولا علم به قال هو ذاك قال
ورايت النعمان ابن المنذر وعليه قرطان ودملجان ومسكتان قال ذلك
ملك العرب عاد الى افضل زيه وبهجته قال ورايت عجوزا شمطاء تخرج من
الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورايت نارا خرجت من الارض فحالت
بيني وبين ابن لي يقال له عمرو ورايتها تقول لظى لظى بصير واعمى اطعموني
اكلكم اهلكم ومالكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون
في اخر الزمان قالوا وما الفتنة يا رسول الله قال يقتل الناس امامهم
ثم يشتجرون اشتجار اطباق الراس وخالف النبي صلى الله عليه وسلم
بين اصابعه يحسب المسي انه محسن ودم المؤمن عند المؤمن احلى من شرب
الماء البارد فانظر الى هذا التعبير البارز من مشكاة النبوة ممن شوا
حلاوة الحق فكسوا طلاوة الصدق فجلوا انوار الوحي والاسفع الذي

اصاب

اصاب بجسده لون اخر والاحوى الاسود ليس بالشديد والمسكتان الاسورة
والاشتجار الاختلاف والاشتباك فان قلت تعبيره عليه الصلاة والسلام السوارين
هنا يرجع الى البشرى وعبرهما بالكذابين فيما مر اجيب بان النعمان ابن المنذر كان ملك
العرب وكان مملكا من جهة الاكاسرة وكانوا يسورون الملوك ويحلونهم وكان السواران
من زي النعمان ليسا منكرين في حقه ولا موضوعين في غير موضعهما عرفا واما النبي
صلى الله عليه وسلم فنهي عن لباس الذهب لا سيما ذا منه محذيرا فيهم ذلك لانه
ليس من زيه فاستدل به على امر يوضع في غير موضعه ولكن حمدت العاقبة بذهابهما ولله
الحمد ومن ذلك ما روي عن قيس بن عباد بضم العين وتخفيف الموحدة كنت في
حلقة فيها سعد بن مالك وابن عمر فمر عبد الله ابن سلام فقالوا هذا رجل من اهل الجنة
فقلت له انهم قالوا كذا وكذا قال سبحان الله ما كان ينبغي لهم ان يقولوا ذلك ما ليس لهم
به علم انما رايت كانما عمودا وضع في روضة خضراء فنصب فيها وفي راسه عروة وفي
اسفله منصف والنصف الوصيف فقال ارقه فرقيته حتى اخذت بالعروة
فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يموت عبد الله وهو اخذ بالعروة الوثقى
رواه البخاري وفي رواية خرشة بينما انا نائم اتاني رجل فقال لي قم فاخذ بيدي
فانطلقت معه فاذا انا بجواد عن شمالي فاخذت لاخذ فيها اي اسير فقال لا تاخذ فيها فانها طريق اهل الشمال وفي
رواية النسائي من طريقه فبينا انا امشي اذ عرض لي طريق عن شمالي فاردت ان اسلكها
فقال انك لست من اهلها وفي رواية مسلم فاذا منهج عن يميني فقال لي خذ ههنا
فاتى بي جبلا فقال لي اصعد قال فجعلت اذا اردت ان اصعد خررت حتى فعلت
ذلك مرارا وفي رواية ابن عون فقال تلك الروضة روضة الاسلام وذلك العمود عمود
الاسلام وتلك العروة عروة الوثقى لا تزال متمسكا بالاسلام حتى تموت وفي رواية خرشة
عند النسائي وابن ماجة قال رايت خيرا اما المنهج فالمحشر واما الجبل فهو منزل
الشهداء ولن تناله وقد اعلم من اعلام نبوته نبينا صلى الله عليه وسلم
فان عبد الله ابن سلام لم يمت شهيدا وانما مات على فراشه في اول خلافة معاوية
بالمدينة وقولهم انه من اهل الجنة اخذوه من قوله لما ذكر طريق الشمال انك
لست من اهلها وانما قال ما كان ينبغي لهم ان يقولوا ما ليس لهم به علم على سبيل
التواضع وكراهية ان يشار اليه بالاصابع خشية ان يدخله العجب عافانا الله من
سائر المكاره وقال القيرواني الروضة التي لا يعرف نبتها تعبر بالاسلام لنضارتها
وحسن بهجتها وتعبر ايضا بكل مكان فاضل وقد تعبر بالمصحف وكتب العلم
والعالم ونحو ذلك انتهى وقال غيره من المعبرين الحلقة والعروة المجهولة
تدل لمن تمسك بها على قوته في دينه واخلاصه فيه ومن ذلك ما رواه البخاري

عن أم العلاء وهي امرأة من نسائهم بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت
لعثمان بن مظعون بعد موته في النوم عينا تجري فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرت ذلك له فقال ذلك عمله يجري له **وقد قيل** يحتمل أنه كان لعثمان شيء من عمله
بقي له ثوابه جاريا كالصدقة وأنكره مغلطاي وقال لم يكن له شيء من الأمور الثلاثة
التي ذكرها مسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث
وتعقبه شيخ الحفاظ ابن حجر بأنه كان له ولد صالح شهد بدرا وما بعدها وهو
السائب مات في خلافة أبي بكر فهو أحد الثلاثة **قال** وقد كان عثمان من الأغنياء
فلا يبعد أن يكون له صدقة استمرت بعد موته **وقال المهلب** العين الجارية
يحتمل وجوها فإن كان ماؤها صافيا عبرت بالعمل الصالح وإلا فلا **وقال**
غيره العين الجارية عمل جار من صدقة أو معروف لحي أو ميت وقال آخرون عين
الماء نعمة وبركة وخير وبلوغ أمنية إن كان صاحبها مستورا فإن كان غير
عفيف أصابته مصيبة يبكي لها أهل داره والله أعلم **فهذه** طرق من
تعبيره عليه الصلاة والسلام يهتدى إلى غيره مما يشابهه وإلا فالذي نقل عنه صلى الله
عليه وسلم من غرائب التأويل ولطائف التعبير كما قاله ابن المنير لا تحصره المجلدات
وأنت إذا تأملت أن كل كرامة أوتيها واحد من هذه الأمة في علم أو عمل هي من
آثار معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم وسر تصديقه وبركات طريقه وثمرات
الاهتداء بهديه وتوفيقه ولو استحضرت شيئا أوتيه الإمام محمد بن سيرين
من لطائف التعبير مما شاع وذاع واستلذت به الأسماع طبق الأرض صدقا وصوابا
وعجبا عجابا لأكبرت عجبا وقضيت بأن ما منحه صلى الله عليه وسلم من العلوم والمعارف
لا تحيط به العبارات ولا تدرك حقيقة كنهه الإشارات وإذا كان هذا
ابن سيرين واحدا من أمته عليه الصلاة والسلام نقل عنه من فن التعبير
ما لا يعد لكثرته فكيف به صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه
وأفاض علينا سحائب علومه ومعارفه وتعطف علينا بعواطفه

الفصل الثالث في إنبائه عليه الصلاة والسلام بالأنباء المغيبات

اعلم أن علم الغيب يختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان نبيه صلى الله
عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى إما بوحي أو بإلهام والشاهد لهذا قوله تعالى
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ليكون معجزة له
واستدل به على إبطال الكرامات **وأجيب** بتخصيص الرسول بالملك والإظهار
بما يكون بغير توسطه وكرامات الأولياء على المغيبات إنما تكون بردبا الملائكة
كاطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء وفي حديث أنه عليه الصلاة
والسلام قال والله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي فكلما ورد عنه صلى الله عليه

وسلم

120

وسلم من الأنباء المنبئة عن الغيوب ليس هو إلا من إعلام الله له به إعلاما على ثبوت
نبوته ودلائل على صدق رسالته وقد اشتهر وانتشر أمره عليه الصلاة والسلام
بين أصحابه بالاطلاع على الغيوب حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن
عندنا من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء ويشهد له قول ابن رواحة

وفينا رسول الله يتلو كتابه ۝ إذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ۝ به موقنات أن ما قال واقع

وقول حسان بن ثابت

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ۝ ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فإن قال في يوم مقالة غائب ۝ فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد

وهذا الفصل ينقسم قسمين الأول فيما أخبر به عليه الصلاة والسلام مما نطق به القرآن العظيم
من ذلك قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله
فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فقوله ولن تفعلوا إخبار عن غيب تقتضي العادة بخلافه **ومن**
ذلك قوله تعالى وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة
تكون لكم الآية فإنه قد كانت لقريش قافلتان أحدهما ذات غنيمة دون الأخرى
فأخبر الله تعالى عن ما في ضميرهم وأنجز لهم ما وعد ولا شك أن الوعد كان قبل اللقاء
لأن الوعد بالشيء بعد وقوعه غير جائز ومن ذلك قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون
الدبر وهذا إخبار عن المستقبل لأن السين بمعنى الاستقبال يعني كفار قريش يوم بدر
وقد كان عددهم ما بين التسعمائة إلى الألف وكانوا مستعدين بالمال والسلاح وكان
عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وليس معهم إلا فرسان أحدهما للزبير بن
العوام والأخرى للمقداد فهزم الله المشركين ومكن المسلمين من قتل أبطالهم واغتنام
أموالهم ومن ذلك قوله تعالى في كفار قريش سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد
حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل
إن شئت فقال عليه الصلاة والسلام إن شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق
ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم فألقى الله الرعب في قلوبهم ومن ذلك
قوله تعالى الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين
لله الأمر من قبل ومن بعد إلى قوله لا يخلف الله وعده وسبب نزول هذه الآية
أن كسرى وقيصر تقاتلا فغلب كسرى قيصر فساء المسلمين ذلك لأن الروم أهل كتاب
ولتعظيم قيصر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وتمزيق كسرى كتابه وفرح المشركون به
فأخبر الله تعالى بأن الروم بعد أن غلبوا سيغلبون في بضع سنين والبضع ما بين
الثلاث إلى العشرة فغلبت الروم أهل فارس يوم الحديبية وأخرجوهم من

بلادهم وذلك بعد تسع سنين ومن ذلك قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
ولا يتمنونه ابدا فاخبر انهم لا يتمنون الموت بالقلب ولا بالنطق باللسان مع قدرتهم
عليه ابدا فاخبر فوجد مخبره كما اخبر فلولا انهم علموا انما يلحقهم من الموت لسارعوا
الى تكذيبه بالتمني ولو لم يعلم ذلك لخشي ان يجيبوا اليه فيقضي عليه بالكذب قال
البيضاوي وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر
فان التمني ليس من عمل القلب فيخفى وروي مرفوعا لو تمنوا الموت لغص كل انسان
منهم بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ومن ذلك قوله تعالى وعد الله
الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
الاية هذا وعد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بانه سيجعل امته خلفاء الارض ايمة
الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلن بعد خوفهم
من الناس امنا وحكما فيهم وقد فعل الله تعالى ذلك ولله الحمد والمنة فانه لم يمت
صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب
وارض اليمن بكمالها واخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض اطراف الشام وهاداه
هرقل ملك الروم وصاحب مصر والاسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان
والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد اصحمة رحمه الله ثم لما مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامات قام بالامر بعده خليفته ابو
بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فلم شعث وهي عند موته عليه الصلاة والسلام واطد
جزيرة العرب ومهدها وبعث الجيوش الاسلامية الى بلاد فارس صحبة خالد
ابن الوليد ففتحوا طرفا منها وجيشا اخر صحبة ابي عبيدة الى ارض الشام وجيشا
ثالثا صحبة عمرو ابن العاص الى بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامي في ايامه
بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله واختار
له ما عنده ومن على الاسلام واهله بان الهم الصديق ان يستخلف عمر الفاروق
فقام في الامر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد الانبياء على مثله في قوة سيره
وكمال عدله وتم في ايامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر الى اخرها
واكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه غاية الهوان وتقهقر الى اقصى مملكته
وقصر قيصر وانتزع يده من بلاد الشام فانحاز الى قسطنطينية وانفق
اموالهما في سبيل الله كما اخبر بذلك ووعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الاسلامية الى اقصى مشارق
الارض ومغاربها ففتحت بلاد المغرب الى اقصى ما هنالك اندلس وقيروان وسبتة
مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق الى اقصى بلاد الصين وقتل كسرى
وباد ملكه بالكلية وفتحت مدائن العراق وخراسان والاهواز وقتل

المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا وجبي بالخراج من المشارق والمغارب الى
حضرة امير المومنين عثمان بن عفان وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه للامة على
حفظ القران فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومن ذلك
قوله تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة فاليهود اذل الكفار في كل مكان وزمان كما
اخبر ومن ذلك قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها فكان كما اخبر دخل الناس
في دين الله افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام
الى غير ذلك مما يطول استقصاؤه **القسم الثاني فيما اخبر به عليه الصلاة والسلام**
من الغيوب سوى ما في القران العزيز فكان كما اخبر به في حياته وبعد مماته اخرج الطبراني
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها
والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كما انظر الى كفي هذه وعن حذيفة قال قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به
حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هولاء وانه ليكون منه الشي فاعرفه فاذكره
كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري
انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة
الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا الا وقد سماه لنا باسمه واسم
ابيه وقبيلته رواه ابو داود وروى مسلم من حديث ابن مسعود في الدجال
فيبعثون عشرة فوارس طليعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف اسماءهم
واسماء ابائهم والوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الارض يومئذ فوضح للناس من
هذا الخبر وغيره مما ياتي من الاخبار ورسخ في خواطر الابرار الاخيار انه صلى
الله عليه وسلم عرفهم بما يقع في حياته وبعد موته وماته اعلم وتوعد فلا سبيل
الى فوته وقال ابو ذر ولقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه
في السماء الا ذكر لنا منه علما ولا نشك ان الله تعالى قد اطلعه على ازيد من ذلك
والقى عليه علم الاولين والاخرين واما علم عوارف المعارف الالهية فتلك
لا يتناهى عددها واليه صلى الله عليه وسلم ينتهي مددها **ومن ذلك**
ما رواه الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي للناس
في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى وصف بهم وصلى عليه وكبر
اربع تكبيرات وفي حديث انس عند احمد والبخاري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين صعد احدا ومعه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل فضربه
رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال له اثبت احد فانما عليك
نبي وصديق وشهيدان فكان كما اخبر عليه الصلاة والسلام ومن ذلك ما رواه
الشيخان من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك

كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده
لتنفقن كنوزهما في سبيل الله قال النووي قال الشافعي وسائر العلماء معناه
لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه عليه الصلاة والسلام فأعلمنا
صلى الله عليه وسلم بانقطاع ملكهما من هذين الإقليمين فكان كما قال فأما كسرى فانقطع ملكه
وزال بالكلية من جميع الأرض وتمزق ملكه كل ممزق واضمحل بدعوة النبي صلى الله عليه
وسلم وأما قيصر فانهزم من الشام ودخل أقصى بلاده فافتتح المسلمون بلاده واستقرت
للمسلمين ولله الحمد انتهى وقد وقع ذلك في خلافة عمر بن الخطاب كما فيه منه وقال لسراقة
كيف بك إذا لبست سواري كسرى فلما أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي
كسرى وألبسهما سراقة ومن ذلك إخباره عليه الصلاة والسلام بالمال الذي تركه عمه
العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما أعلمه غيري وغيرها وأسلم كما تقدم ذكره في
غزوة بدر من المقصد الأول وإخباره بشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة وبموضع ناقته حين
ضلت وكيف تعلقت بخطامها بالشجرة ولما رجع المشركون يوم الأحزاب قال النبي صلى
الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزونا فلم يغزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا إلى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة
فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب فعبد الله بن رواحة فلما التقى المسلمون
بمؤتة جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فكشف الله له حتى نظر إلى معتركهم
فقال أخذ الراية زيد بن حارثة حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا له ثم
أخذ الراية جعفر بن أبي طالب حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لأخيكم جعفر
ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا
لأخيكم فأخبر أصحابه بقتلهم في الساعة التي قتلوا فيها ومؤتة دون دمشق
بأرض البلقاء وعن أسماء بنت عميس قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
صبيحة اليوم الذي قتل فيه جعفر وأصحابه فقال يا أسماء أين بنو جعفر فجئت
بهم فضمهم وشمهم ثم ذرفت عيناه بالدموع فبكى فقلت يا رسول الله أبلغك
عن جعفر شيء قال نعم قتل اليوم رواه يعقوب الإسفرايني في كتاب دلائل الإعجاز
وخرجه ابن إسحاق والبغوي ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام زويت
لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها
وكان كذلك امتدت في المشارق والمغارب ما بين أقصى أرض الهند إلى أقصى
المغرب إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه أمة من
الأمم ومن ذلك إعلامه قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها
على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال
عليه الصلاة والسلام ومن ذلك ما رواه الطبراني في الكبير والبزار

من

من حديث ابن عمر قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى فأتاه رجل
من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا يا رسول الله جئنا نسألك فقال إن شئتما أخبرتكما
بما جئتما تسألاني عنه فعلت وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلت فقالا أخبرنا يا رسول
الله فقال الثقفي للأنصاري سل فقال أخبرني يا رسول الله فقال جئتني تسألني عن مخرجك
من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما
وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه
وعن رميك الجمار وما لك فيه وعن نحرك وما لك فيه مع الإفاضة فقال والذي
بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك ومن ذلك ما روي عن واثلة ابن الأسقع قال
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه يحدثهم فجلست وسط الحلقة
فقال بعضهم يا واثلة قم عن هذا المجلس فقد نهينا عنه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعوني وإياه فإني أعلم الذي أخرجه من منزله قلت يا رسول الله ما الذي
أخرجني قال أخرجك من منزلك لتسأل عن البر وعن الشك قال قلت والذي بعثك
ما أخرجني غيره فقال صلى الله عليه وسلم البر ما استقر في الصدر واطمأن إليه القلب
والشك ما لم يستقر في الصدر فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون
ومن ذلك قوله لفاطمة رضي الله تعالى عنها في مرضه إنك أول أهلي لحوقا بي فعاشت
بعده ثمانية ايام اشهر وقيل ستة أشهر وقوله عليه الصلاة والسلام لنسائه أسرعكن
لحوقا بي أطولكن يدا فكانت زينب بنت جحش لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق ومن
ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لعلي أتدري من أشقى الآخرين قلت الله ورسوله أعلم
قال قاتلك أخرجه أحمد في المناقب وعند ابن أبي حاتم يخضب هذه وأشار
إلى يافوخه وعند المحاملي قال علي عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخضبن
هذه من هذه وأشار إلى لحيته ورأسه وعند الضحاك الذي يخضب هذه على هذه
ويبلها بعده واحد بلحيته فضربه عبد الرحمن ابن ملجم وعند الطبراني
وأبي نعيم من حديث جابر مرفوعا أنك مؤمر مستخلف وإنك مقتول وإن هذه
مخضوبة من هذه وقال صلى الله عليه وسلم لمعاوية أما إنك ستلي أمر
أمتي بعدي فإذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم قال معاوية
فما زلت أرجو حتى قمت مقامي هذا رواه ابن عساكر وأخرج ابن عساكر أيضا
من حديث عروة ابن رويم مرفوعا لن يغلب معاوية أبدا وإن عليا
قال يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلت معاوية ومن ذلك
قوله عليه الصلاة والسلام يقتل هذا مظلوما وأشار إلى عثمان رضي
الله تعالى عنه خرجه البغوي في المصابيح من الحسان ورواه الترمذي
وقال حسن غريب وخرجه أحمد فكان كما قال عليه الصلاة والسلام

فاستشهد في الدار وبين يديه المصحف فنضح الدم على هذه الآية فسيكفيكهم
الله وهو السميع العليم وفي الشفا انه عليه الصلاة والسلام تنبأ بقتل عثمان وهو
يقرأ في المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر
دمه على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وقد اخرجه الحاكم عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل وانت تقرأ سورة البقرة فتقع قطرة من دمك
على فسيكفيكهم الله لكن قال الذهبي انه حديث موضوع وقد روى مسلم عن اسامة
ابن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرف على اطم من اطام المدينة ثم قال
هل ترون ما ارى اني لارى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر فوقعت فتنة
قتل عثمان وتتابعت الفتن الى فتنة الحرة وكانت لثلاث بقين من ذي الحجة
سنة ثلاث وستين من الهجرة وجرت فيها وقايع كثيرة موجودة في كتب التواريخ واخرج
البيهقي عن الحسن قال لما كان يوم الحرة قتل اهل حتى لا يكاد ينفلت منهم احد
واخرج ايضا عن انس بن مالك قال قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن
منهم ثلاثمائة من الصحابة وذلك في خلافة يزيد واخرج ايضا عن مغيرة
قال انهب ابو مسلم ابن عقبة المدينة ثلاثة ايام وافتض فيها الف عذرا
وقال عليه الصلاة والسلام لابي موسى وهو قاعد على قف بير اريس لما طرق
عثمان الباب ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه اشارة الى ما تقدم
من استشهاده يوم الدار بل اصرح من ذلك كله ما رواه احمد عن ابن عمر
قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فمر رجل فقال يقتل فيها
هذا يومئذ ظلما قال فنظرت فاذا هو عثمان واسناده صحيح واخبر
عليه الصلاة والسلام بوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير عليا
كما اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي عن ام سلمة قالت ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم خروج بعض امهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال انظري
يا حميراء ان لا تكوني انت ثم التفت الى علي فقال ان وليت من امرها شيئا
فارفق بها وعن ابن عباس مرفوعا ايتكن صاحبة الجمل الاحمر تخرج حتى تنبحها
كلاب الحوأب يقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعد ما كادت رواه البزار
وابو نعيم واخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن ابي الاسود قال شهدت الزبير
خرج عليا فقال له علي انشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول تقاتله وانت له ظالم فمضى الزبير منصرفا وفي رواية ابي
يعلى والبيهقي فقال الزبير بلى ولكن نسيت ومن ذلك قوله عليه الصلاة
والسلام في الحسن بن علي ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين
عظيمتين من المسلمين رواه البخاري فكان كما قال عليه الصلاة والسلام

لانه

لانه لما قتل علي ابن ابي طالب بايع الحسن اكثر من اربعين الفا فبقي سبعة اشهر
خليفة بالعراق وما وراء النهر من خراسان ثم سار الى معاوية وسار معاوية
فلما تراءى الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الانبار من ارض السواد
فعلم ان لن تغلب احدى الفئتين حتى يذهب اكثر الاخرى فكتب الى معاوية يخبره
انه يصير الامر اليه دون غيره على ان يشترط عليه ان لا يطلب احدا من اهل
المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في ايام معاوية فاجابه معاوية الا عشرة فلم
يزل يراجعه حتى بعث اليه برق ابيض وقال اكتب ما شئت فيه فانا التزمه واصطلحا
على ذلك فكان الامر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سيصلح به بين فئتين
عظيمتين من المسلمين وخرج الدولابي ان الحسن قال كانت جماجم العرب بيدي
يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن
دماء المسلمين **ومن ذلك اعلامه عليه الصلاة والسلام بقتل الحسين**
بالطف واخرج بيده تربته وقال فيها مضجعه رواه البغوي في معجمه
من حديث انس بن مالك ولفظه استأذن ملك القطر ربه ان يزور النبي
صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم ام سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ام سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل احد فبينما هي على الباب اذ دخل الحسين
فاقتحم فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلثمه ويقبله فقال له الملك اتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله وان
شئت اريتك المكان الذي يقتل به فاراه فجاء بسهلة او تراب احمر فاخذته ام سلمة
فجعلته في ثوبها قال ثابت كنا نقول انها كربلا واخرجه ابو حاتم في صحيحه ورواه
احمد بنحوه والسهلة بالكسر رمل خشن ليس بالدقاق الناعم وفي رواية
الملا قالت ثم ناولني كفا من تراب احمر وقال ان هذا من تربة الارض التي يقتل
بها فمتى صار دما فاعلمي انه قتل قالت ام سلمة فوضعته في قارورة عندي وكنت
اقول ان يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم الحديث فاستشهد الحسين كما قال
عليه الصلاة والسلام بكربلا من ارض العراق بناحية الكوفة ويعرف
الموضع بالطف قتله سنان ابن انس النخعي وقيل غيره ولما قتلوه
بعثوا برأسه الى يزيد فنزلوا اول مرحلة فجعلوا يشربون والرأس
فبينما هم كذلك اذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت
سطرا بدم

اترجو امة قتلت حسينا ° شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس خرجه منصور بن عمار وذكر ابو نعيم الحافظ
في كتاب دلائل النبوة عن نضرة الازدية انها قالت لما قتل الحسين

ابن علي امطرت السماء دما فاصبحنا وجرارنا مملوءة دما وكذا روي في احاديث
غير هذه وقال عليه الصلاة والسلام لعمار تقتلك الفئة الباغية فكان كما
قال عليه الصلاة والسلام ومن ذلك ما رواه ابو عمر بن عبد البر ان عبد
الله بن عمر رأى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ارأيته قال نعم قال ذاك جبريل اما انك ستفقد بصرك
فعمي في اخر عمره ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس
تعيش حميدا وتقتل شهيدا رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم فقتل يوم
مسيلمة الكذاب باليمامة ومن ذلك قوله لعبد الله بن الزبير ويل لك من الناس وويل
للناس منك فكان من امره مع الحجاج ما كان ومن ذلك حديث ابي هريرة انه صلى الله
عليه وسلم قال ان هذا الدين بدأ نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون
ملكا عضوضا ثم يكون سلطانا وجبرية وقوله ملكا عضوضا اي يصيب الرعية
فيه عسف وظلم كانهم يعضون فيه عضا وفي حديث سفينة عند ابي داود والترمذي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة في امتي ثلاثون سنة ثم ملك
بعد ذلك قال سعيد بن جمهان امسك خلافة ابي بكر وخلافة عمر وخلافة
عثمان وخلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة فقيل له ان بني امية يزعمون
ان الخلافة فيهم فقال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك
واخرج ابو نعيم عن ابن عباس ان ام الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم
فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فاتيني به قالت فلما ولدته اتيته
به فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى والباه من ريقه وسماه عبد
الله وقال اذهبي بابي الخلفا فاخبرت العباس فاتاه فذكر له فقال هو ما اخبرتك
هذا ابو الخلفا حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي حتى يكون
منهم من يصلي بعيسى بن مريم واخرج ابو يعلى عن معاوية سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لتظهرن الترك على العرب حتى تلحقها بمنابت
الشيح والقيصوم ومن ذلك اخباره عليه الصلاة والسلام بعالم المدينة
اخرج الحاكم وصححه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل فلم يجدوا عالما اعلم من
عالم المدينة قال سفيان بن عيينة نرى هذا العالم مالك ابن انس
وقال عبد الرزاق ولم يعرف بهذا الاسم غيره ولا ضربت اكباد الابل
الى احد مثل ما ضربت اليه وقال مصعب كان الناس يزدحمون على باب
مالك ويقتتلون عليه من الزحام يعني لطلب العلم وممن روى
عنه من الائمة المشهورين محمد بن شهاب الزهري والسفيانان والشافعي

والاوزاعي

124

والاوزاعي امام اهل الشام والليث ابن سعد امام اهل مصر وابو حنيفة
النعمان بن ثابت الامام وصاحباه ابو يوسف ومحمد ابن الحسن وعبد الرحمن
بن مهدي شيخ الامام احمد ويحيى بن يحيى شيخ البخاري وابو رجا قتيبة بن سعيد
شيخ البخاري ومسلم وذو النون المصري والفضيل بن عياض وعبد الله ابن المبارك
وابراهيم ابن ادهم كما نقله العلامة عيسى ابن مسعود الزواوي في كتابه المنهج
السالك الى معرفة قدر الامام مالك واخباره بعالم قريش عن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملا طباق الارض علما رواه
ابو نعيم الطيالسي في مسنده وفيه الجارود مجهول لكن له شواهد عن ابي هريرة من تاريخ
بغداد للخطيب وعن علي وابن عباس في المدخل للبيهقي قال الامام احمد وغيره هذا
العالم هو الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قرشي من الصحابة
وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي وكان الامام احمد لم يذكر حديثا موضوعا
يحتج به او يثبت به في امر شيخه الشافعي واما قوله وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال عالم قريش الخ بصيغة التمريض احتياطا للشك في ضعفه فان اسناده
لا يخلو من ضعف قاله العراقي ردا على الصاغاني في حكمه انه موضوع وقد جمع الحافظ
ابن حجر طرقه في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الائمة من قريش
كما افاده شيخنا واخبره عليه الصلاة والسلام بان طائفة من امته لا يزالون
ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة
وبان الله تعالى يبعث الى هذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها
دينها رواه الحاكم من حديث ابي هريرة وبذهاب الامثل فالامثل رواه الحاكم وصححه
بلفظ تذهبون الخير فالخير وبالخوارج رواه الشيخان من حديث ابي سعيد الخدري
بلفظ فبينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اذ اتاه
ذو الخويصرة فقال يا رسول الله اعدل فقال ويلك ومن يعدل ان لم اعدل
خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال
عليه الصلاة والسلام دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم
وصيامه مع صيامهم يقراون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام
كما يمرق السهم من الرمية ايتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي
المراة او مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس قال ابو سعيد
فاشهد اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان
علي بن ابي طالب قاتلهم وانا معه وامر بذلك الرجل فالتمس فوجد
فاتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي نعته واخبر عليه الصلاة والسلام ايضا بالرافضة اخرجه

البيهقي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي قوم يسمون
الرافضة يرفضون الاسلام وأخبر ايضا بالقدرية والمرجية وقال هم
مجوس هذه الامة رواه الطبراني في الاوسط عن انس وقد اخبر عليه الصلاة
والسلام اصحابه بان ما بين موته وبين الساعة وحذرهم من مفاجاتها كما يحذر من
حاد عن الطاعة وان الساعة لا تقوم حتى يظهر جملة من الامارات في العالم فاذا
جاءت الطامة الكبرى يطيش منها العالم والجاهل كما روي من رفع الامانة والقران
واشتهار الخيانة وحسد الاقران وقلة الرجال وكثرة النسوان الى غير ذلك مما
شهدت بصحته الاخبار وقضى بحقيقته وقوعه الاعتبار وقد تعين ان نعلم بذكر طرف
من الانباء الصحاح والحسان فروى البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما
مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين
كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان
وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم الرجل
من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا ارب لي فيه وحتى
يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه
وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا اطلعت وراها الناس اجمعون فذلك
حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولتقومن
الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة
وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه
فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه ولتقومن الساعة وقد
فلا يطعمها فهذه ثلاثة عشر علامة جمعها ابو هريرة في حديث واحد ولم يبق
هذا انما ينتظر من صحيح العلامات والاشراط وقد ظهر اكثر هذه العلامات
فاما قوله حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة فيريد فتنة معاوية
وعلي بصفين قال القاضي ابو بكر ابن العربي وهذا اول خطب طرق الاسلام
وتعقبه القرطبي بان اول امر دهم الاسلام موت النبي صلى الله
عليه وسلم ثم من بعد موته موت ابي بكر لان بموته صلى الله عليه وسلم
انقطع الوحي وكان اول ظهور الشر ارتداد العرب وغير ذلك وبموت
عمر سل سيف الفتنة فقتل عثمان وكان من قضاء الله وقدره ما كان
واما قوله دجالون كذابون قريب من ثلاثين فقد جاء عددهم معينا
من حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي
دجالون كذابون سبعة وعشرون منهم اربع نسوة واني خاتم النبيين

لا نبي

لا نبي بعدي اخرجه الحافظ ابو نعيم وقال هذا حديث غريب قال القاضي عياض هذا
الحديث قد ظهر فلو عد من تنبا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى الان ممن اشتهر
بذلك لوجد هذا العدد ومن طالع كتب التواريخ عرف صحة هذا وقوله
حتى يقبض العلم فقد قبض العلم ولم يبق الا رسمه واما الزلازل فوقع منها شيء
كثير وقد شاهدنا بعضها واما قوله حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب
المال من يقبل صدقته فهذا مما لم يقع وقوله حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول
يا ليتني مكانه لما يرى من عظيم البلاء ورياسة الجهلاء وخمول العلماء وغير ذلك
مما ظهر كثير منه وفي حديث ابي هريرة عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى وقد
خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة وكان بدوها زلزلة عظيمة في ليلة الاربعاء
بعد العشاء الثالث من جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين وستمائة وفي يوم الثلاثاء اشتدت
حركتها وعظمت رجفتها وتتابعت حطمتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات
لبارئها ودامت الحركة اثر الحركة حتى ايقن اهل المدينة بوقوع الهلكة وزلزلوا زلزالا
شديدا من جملة ثمانية عشر حركة في يوم واحد دون ليلة قال القرطبي
وكان يأتي المدينة ببركته صلى الله عليه وسلم نسيم بارد وشوهد من هذه النار
غليان كغليان البحر وانتهت الى قرية من قرى اليمن فاحرقتها قال وقال لي
بعض اصحابنا ولقد رايتها صاعدة في الهوى من مسيرة خمسة ايام قال وسمعت
انها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى وقال الشيخ قطب الدين القسطلاني واقامت
اثنين وخمسين يوما وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة
الاسراء والمعراج به صلى الله عليه وسلم وبالجملة فاستيفاء الكلام على هذه النار
يخرج عن المقصود وقد نبه عليها القرطبي في التذكرة وافردها بالتاليف
الشيخ قطب الدين القسطلاني في كتاب سماه جمل الايجاز في الاعجاز بنار الحجاز
فالى هنا من رقائق الحقائق بالعهد العجائب والله الموفق للصواب

المقصد التاسع في لطيفة من عبادته

صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد
ربك حتى ياتيك اليقين فامره تعالى بعبادته حتى ياتيه الموت وهو
المراد باليقين وانما سمي الموت باليقين لانه امر متيقن فان قلت ما الفائدة
في قوله حتى ياتيك اليقين وكان قوله واعبد ربك كافيا في الامر بالعبادة
اجاب القرطبي تبعا لغيره بانه لو قال واعبد ربك مطلقا
ثم عبده مرة واحدة كان مطيعا ولما قال حتى ياتيك اليقين اي

اعبد ربك في جميع زمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحيوة من هذه
العبادات كما قال العبد الصالح واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا
وهذا مصير منه الى ان الامر المطلق لا يفيد التكرار وهي مسيلة معروفة في كتب
الاصول اختلف فيها وهو هل الامر المطلق يفيد التكرار او المرة الواحدة او لا
يفيد شيا منهما على مذاهب الاول انه لا يفيد التكرار ولا ينافيه بل انما يفيد طلب فعل
المامور به من غير اشعار بالمرة او المرات لكن المرة ضرورية لاجل تحقق الاتيان
اذ لا توجد الماهية باقل منها وهذا المختار للامام مع نقله له عن الاقلين ورجحه الامدي
وابن الحاجب وغيرهما الثاني انه يفيد التكرار مطلقا كما ذهب اليه الاستاذ ابو
اسحاق الاسفرايني وابو حاتم القزويني فان عين للتكرار امد استوعبه والا استوعب
زمان العمر لكن بحسب الامكان فلا يستوعب زمان قضا الحاجة والنوم وغيرهما من الضرورات
الثالث انه يدل على المرة حكاه الشيخ ابو اسحاق في شرح اللمع عن اكثر اصحابنا
وابي حنيفة وغيرهم وان علق بشرط او صفة اقتضى التكرار بحسب تكرار المعلق
به نحو وان كنتم جنبا فاطهروا والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
انتهى ملخصا من شرح العلامة ابي الحسن الاشموني لمنظومة جمع الجوامع للعلامة ابن السبكي
وقد روى جبير ابن نفير مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اوحي الي
ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن
من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين رواه البغوي في شرح السنة
وابو نعيم في الحلية عن ابي مسلم الخولاني وقد امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
في هذه الاية باربعة اشيا التسبيح والتحميد والسجود والعبادة واختلف
العلماء في انه كيف صار الاقبال على مثل هذه الطاعات سببا لزوال ضيق القلب
والحزن فحكى الامام فخر الدين الرازي عن بعض المحققين انه قال اذا اشتغل
الانسان بمثل هذه الانواع من العبادات انكشفت له اضواء عالم الربوبية
ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة واذا صارت
حقيرة خف على القلب فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها
ولا يستريح لوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم قال اهل السنة
اذا نزل بالعبد بعض المكاره فزع الى الطاعات كانه يقول يجب علي
عبادتك سواء اعطيتني الخيرات او القيتني في المكروهات وقال تعالى
فاعبده واصطبر لعبادته فامره تعالى عليه الصلاة والسلام بالعبادة
والمصابرة على مشاق التكاليف في الانذار والابلاغ فان قلت
لم لم يقل واصطبر على عبادته بل قال واصطبر لعبادته فالجواب
ان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك

اي

126

اي اثبت له فيما يورد عليك من شدايد ومشاق فاثبت لها قاله الفخر الرازي
وكذا البيضاوي وقال تعالى ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر
كله فاعبده وتوكل عليه فاول درجات السير الى الله عبودية الله تعالى واخرها التوكل
عليه واذا كان العبد لا يزال مسافرا الى ربه لا ينقطع سيره اليه ما دام في قيد الحياة
فهو محتاج الى زاد العبادة لا يستغني عنها البتة ولو اتى باعمال الثقلين جميعا وكلما كان
العبد الى الله تعالى اقرب كان جهاده في الله اعظم قال الله تعالى وجاهدوا في الله
حق جهاده ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق اجتهادا وقياما بوظايف
العبادة ومحافظة عليها الى ان توفاه الله تعالى وتامل اصحابه رضي الله عنهم فانهم
كانوا كلما ترقوا من القرب مقاما عظم جهادهم واجتهادهم ولا تلتفت الى
ما نطق به بعض المنتسبين الى التصوف حيث قال القرب الحقيقي ينقل العبد من الاعمال
الظاهرة الى الاعمال الباطنة ويريح الجسد والجوارح من كد العمل زاعما بذلك سقوط
التكليف عنه وهو لا اعظم كفرا والحادا حيث عطلوا العبودية وظنوا انهم استغنوا
عنها بما حصل لهم من الخيالات الباطلة التي هي من اماني النفس وخدع الشيطان فلو
وصل العبد من القرب الى اعلى مقام يناله العبد لما سقط عنه من التكاليف مثقال
ذرة ما دام قادرا عليه وقد اختلف العلماء هل كان عليه الصلاة والسلام
قبل بعثته متعبدا بشرع من قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متعبدا بشيء وهو
قول الجمهور واحتجوا بانه لو كان كذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في
العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك
الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يوثر شي من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع
ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا والتعليل الاول
المستند الى النقل اولى وذهب اخرون الى الوقف في امره عليه الصلاة والسلام
وترك قطع الحكم عليه بشي في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل وهذا مذهب
الامام ابي المعالي امام الحرمين وكذا الغزالي والامدي وقال اخرون كان
عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم
عن التعيين واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة
فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى فهذه
جملة المذاهب في هذه المسالة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر
وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شي من ذلك لنقل كما قدمناه ولم
يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه الصلاة والسلام اخر الانبيا فلزمت
شريعته من جا بعده اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن
لنبي دعوة عامة الا نبينا صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من كلام القاضي

عياض وهو كلام حسن بديع لكن قوله فهذه جملة المذاهب فيه نظر لانه بقي عليه منها
شيء فقد قيل بشريعة آدم ايضا وهو محكي عن ابن برهان وقيل جميع الشرائع حكاه
صاحب المحصول عن المالكية واما قول من قال انه عليه الصلاة والسلام كان على
شريعة ابراهيم وليس له شرع منفرد به وان المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم
احيا شرع ابراهيم وعول في اثبات مذهبه على قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع
ملة ابراهيم حنيفا فهذا القول ساقط مردود لا يصدر مثله الا عن سخيف العقل كثيف
الطبع وانما المراد بهذه الاية الاتباع في التوحيد لانه لما وصف ابراهيم عليه الصلاة
والسلام في هذه الاية بانه ما كان من المشركين فلما قال ان اتبع كان المراد ذلك **ومثله**
قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم
يبعث ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول
وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها
فدل على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى فان قيل
النبي صلى الله عليه وسلم انما نفى الشرك واثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية
واذا كان كذلك لم يكن متابعا لاحد فيمتنع حمل قوله ان اتبع على هذا المعنى
فوجب حمله على الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها **اجاب**
الفخر الرازي بانه يحتمل ان يكون المراد الامر بمتابعته في كيفية الدعوى الى التوحيد
وهو ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلائل مرة بعد اخرى
بانواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القران وقد قال صاحب الكشاف
لفظة ثم في قوله ثم اوحينا اليك تدل على تعظيم منزلة رسول الله صلى الله
عليه وسلم واجلال محله فان اشرف ما اوتي خليل الله من الكرامة
واجل ما اوتي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل
ان هذه اللفظة دلت على تباعد النعت في المرتبة على سائر المدائح
التي مدحه الله بها انتهى ومراده بالمدائح المذكورة في قوله ان ابراهيم
كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه
وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين
وقال ابن العراقي في شرح تقريب الاسانيد وليت شعري كيف تلك
العبادة واي انواعها هي وعلى اي وجه فعلها يحتاج ذلك لنقل ولا استحضره
الان انتهى وقال شيخ الاسلام البلقيني في شرح البخاري لم يجي في الاحاديث
التي وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام لكن روى ابن
اسحاق وغيره انه عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى حرا في كل عام
شهرا من السنة يتنسك فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية ان يطعم

من

من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة
وحمل بعضهم التعبد على التفكر قال وعندي ان هذا التعبد يشتمل على انواع وهي الانعزال
عن الناس كما صنع ابراهيم عليه الصلاة والسلام باعتزاله قومه والانقطاع
الى الله تعالى فان انتظار الفرج عبادة كما رواه علي بن ابي طالب مرفوعا
وينضم الى ذلك الافكار **وعن** بعضهم كانت عبادته عليه الصلاة والسلام
في حرا التفكر انتهى وقد آن ان اشرع فيما قصدته على النحو الذي اردته
وقد اقتصر من عبادته صلى الله عليه وسلم على سبعة انواع **النوع الاول في**
الطهارة وفيه فصول الاول في ذكر وضوئه صلى الله عليه وسلم وسواكه
وصفة ما يتوضأ به **اعلم** ان الوضوء بالضم الفعل وبالفتح الماء الذي يتوضأ
به على المشهور فيهما وهو مشتق من الوضاءة وسمي به لان المصلي يتنظف به فيصير
وضيئا وقد استنبط بعض العلماء كما حكاه في فتح الباري ايجاب النية في الوضوء
من قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا لان التقدير اذا اردتم القيام الى الصلاة
فتوضؤوا لاجلها ومثله قولهم اذا رايت الامير فقم اي لاجله وقال ابن القيم
لم يرو انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في اول وضوئه نويت رفع الحدث
ولا غيرها ولا اصحابه البتة ولم يرو عنه بسند صحيح ولا ضعيف انتهى قلت
اما التلفظ هو بالنية فلا نعلم انه روي عنه صلى الله عليه وسلم واما كونه
اتى بها فنقول قال الامام فخر الدين الرازي في المعالم اعلم انا اذا اردنا
في امر من الامور انه هل فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فلنا الى اثباته
طريق الاول انا اذا اردنا ان نقول انه عليه الصلاة والسلام توضا مع النية
والترتيب قلنا لا شك ان الوضوء مع النية والترتيب افضل والعلم الضروري
حاصل بان افضل الخلق لم يواظب على ترك الافضل طول عمره فثبت انه
اتى بالوضوء المرتب المنوي ولم يثبت عندنا انه اتى بالوضوء العاري عن
النية والترتيب والشك لا يعارض اليقين فثبت انه اتى بالوضوء المرتب
المنوي فوجب ان يجب علينا مثله والطريق الثاني ان نقول
لو انه عليه الصلاة والسلام ترك النية والترتيب وجب علينا تركه
للدلائل الدالة على وجوب الاقتداء به ولما لم يجب علينا تركه ثبت
انه ما تركه بل فعله وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمر مرفوعا انما الاعمال
بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى قال البخاري فدخل فيه الايمان والوضوء
والصلاة والزكاة والحج والصوم والاحكام واشار بذكر الوضوء الى خلاف
من لم يشترط فيه النية كما نقل عن الاوزاعي وابي حنيفة وغيرهما
وحجتهم انه ليس عبادة مستقلة بل وسيلة الى العبادة كالصلاة ونوقضوا

بالتيمم فانه وسيلة الى العبادة وقد اشترط الحنفية فيه النية واستدل الجمهور على
اشتراط النية في الوضوء بالادلة الصحيحة المصرحة بوعد الثواب عليه فلا
بد من قصد يميزه عن غيره ليحصل الثواب الموعود به وقوله انما الاعمال
بالنيات ليس المراد منه نفي ذات العمل لانه قد يوجد بغير نية بل المراد نفي احكامها
كالصحة والكمال لكن الحمل على نفي الصحة اولى لانه اشبه بنفي الشيء نفسه ولان اللفظ
دل على نفي الذات بالتصريح وعلى نفي الصفات بالتبع فلما منع الدليل نفي الذات
بقيت دلالته على نفي الصفات مستمرة **قال** ابن دقيق العيد الذين اشترطوا النية
قدروا صحة الاعمال والذين لم يشترطوها قدروا كمال الاعمال والذين لم يشترطوها
قدروا كمال الاعمال ورجح الاول لان الصحة اكثر لزوما للحقيقة من الكمال فالحمل عليها
اولى وفي هذا الكلام ايهام ان بعض العلماء لا يرى باشتراط النية وليس الخلاف بينهم
في ذلك الا في الوسائل واما المقاصد فلا اختلاف بينهم في اشتراط النية لها
ومن ثم خالف الحنفية في اشتراطها للوضوء كما تقدم **وخالف** الاوزاعي في
اشتراطها في التيمم ايضا نعم بين العلماء اختلاف في اقتران النية باول العمل كما هو
معروف في مبسوطات الفقه واما قوله اي البخاري فيه فدخل فيه الايمان
فتوجيه دخول النية في الايمان على طريقة البخاري ان الايمان عمل واما الايمان
بمعنى التصديق فلا يحتاج الى نية كسائر اعمال القلوب من خشية الله وتعظيمه
ومحبته والتقرب اليه لانها متميزة لله فلا تحتاج الى نية تميزها لان
النية انما تميز العمل لله من العمل لغيره رياء وتميز مراتب الاعمال كالفرض
عن الندب وتميز العبادة عن العادة كالصوم عن الحمية وقوله ايضا
والاحكام اي المعاملات التي يدخل فيها الاحتياج الى المحاكمات فيشمل
البيوع والانكحة والاقارير وغيرها وكل صورة لم تشترط فيها النية فذلك
لدليل خاص وقد ذكر ابن المنير ضابطا لما يشترط فيه النية مما لا يشترط
فقال كل عمل لا يظهر له فائدة عاجلة بل المقصود به طلب الثواب
فالنية مشترطة فيه وكل عمل ظهرت فائدته ناجزة وتقاضته
الطبيعة قبل الشريعة لملائمة بينهما فلا تشترط النية فيه الا لمن قصد
بفعله معنى اخر يترتب عليه الثواب قال وانما اختلف العلماء
في بعض الصور من جهة تحقيق مناط التفرقة قال واما ما كان من
المعاني المحضة كالخوف والرجاء فهذا لا يقال باشتراط النية فيه
لانه لا يمكن ان يقع الا منويا ومتى فرضت النية مفقودة استحالت
حقيقته فالنية فيه شرط عقلي **واما** الاقوال فتحتاج الى النية في
ثلاثة مواطن احدها التقرب الى الله تعالى فرارا من الرياء والثاني

التمييز

التمييز عن الالفاظ المحتملة لغير المقصود والثالث قصد الانشاء ليخرج سبق اللسان
انتهى وذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري وقد اختلف العلماء في الوقت الذي فرض
فيه الوضوء فقال بعضهم اول ما فرض بالمدينة وتمسك بقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم الاية ونقل ابن عبد البر اتفاق اهل السير ان غسل الجنابة فرض عليه
صلى الله عليه وسلم وهو بمكة كما افترضت الصلاة وانه لم يصل قط الا بوضوء قال وهذا
مما لا يجهله عالم **وقال** الحاكم في المستدرك واهل السنة بهم حاجة الى دليل الرد على من
زعم ان الوضوء لم يكن قبل نزول اية المائدة ثم ساق حديث ابن عباس دخلت
فاطمة رضي الله تعالى عنها على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقالت هؤلاء الملا من قريش
قد تعاهدوا ليقتلوك فقال ائتوني بوضوء فتوضأ قال الحافظ ابن حجر وهذا يصلح ان
يكون ردا على من انكر وجود الوضوء قبل الهجرة لا على من انكر وجوبه حينئذ
وقد جزم ابن الجهم المالكي بانه كان قبل الهجرة مندوبا **وجزم** ابن حزم انه لم يشرع
الا بالمدينة **ورد** عليه بما اخرجه ابن لهيعة في المغازي التي يرويها عن ابي الاسود عن
عروة ان جبريل عليه الصلاة والسلام علم النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء عند نزوله
عليه بالوحي وهو مرسل ووصله احمد من طريق ابن لهيعة ايضا لكن قال عن الزهري
عن عروة عن اسامة ابن زيد عن ابيه واخرجه ابن ماجه من طريق رشدين بن سعد
عن عقيل عن الزهري نحوه ولكن لم يذكر زيد ابن حارثة في السند واخرجه الطبراني
في الاوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا ولو ثبت لكان على شرط الصحيح لكن
المعروف رواية ابن لهيعة وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتوضا لكل صلاة قيل له كيف كنتم تصنعون قال يجزي احدنا الوضوء ما لم
يحدث رواه البخاري وابو داود والترمذي وعن عثمان رضي الله تعالى عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا لكل صلاة رواه الدارمي وروى
مسلم عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا لكل صلاة
فلما كان يوم الفتح صلى صلوات بوضوء واحد فقال له عمر فعلت شيئا
لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر يعني لبيان الجواز وفي رواية
احمد وابي داود من حديث عبد الله ابن ابي عامر الغسيل انه صلى الله
عليه وسلم امر بالوضوء لكل صلاة طاهرا وغير طاهر فلما شق ذلك
عليه امر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء الا من حدث واختلف
العلماء في موجب الوضوء فقيل يجب بالحدث وجوبا موسعا **وقيل**
به وبالقيام الى الصلاة معا ورجحه جماعة من الشافعية وقيل بالقيام
الى الصلاة حسب ويدل له ما رواه اصحاب السنن عن ابن عباس
مرفوعا انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة وقد تمسك بحديث

عبد الله ابن ابي عامر هذا من قال بوجوب السواك عليه صلى الله عليه وسلم لكن
في اسناده محمد ابن اسحاق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس والخصائص لا تثبت
الا بدليل صحيح واخرج الطبراني في الاوسط والبيهقي في السنن عن عائشة رضي
الله تعالى عنها مرفوعا ثلاث هن علي فرائض وهن لكم سنة الوتر والسواك وقيام
الليل وقد روى احمد في مسنده باسناد حسن من حديث واثلة ابن الاسقع ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب علي وقد حكى
بعضهم الاجماع على انه ليس بواجب علينا لكن حكي عن بعض اهل الظاهر انه اوجبه للصلاة
ونوزع فيه واتفقوا على انه مستحب مطلقا ويتاكد في احوال منها عند الوضوء
وارادة الصلاة ومنها عند القيام من النوم لما ثبت في الصحيحين من حديث
حذيفة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك لكن
قد يقال المراد قام من الليل للصلاة فيكون المراد السواك للصلاة او عند الوضوء
ومنها قراءة القرآن كما جزم به الرافعي ومنها تغير الفم سوانه تغير الرائحة وتغير
اللون كصفرة الاسنان كما ذكره الرافعي ومنها دخول المنزل جزم به النووي
في زيادة الروضة لما روى مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة من حديث عائشة
انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل بيته بدا بالسواك ومنها ارادة النوم
ذكره الشيخ ابو حامد في الرونق وروي فيه ما رواه ابن عدي في الكامل
من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك اذا اخذ مضجعه
وفيه حزام بن عثمان متروك ومنها الانصراف من صلاة الليل لما روى
ابن ماجة من حديث ابن عباس باسناد صحيح قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي بالليل ركعتين ثم ينصرف فيستاك ويجزي بكل خشن
ولو باصبع غيره الخشنة وقد جزم النووي في شرح المهذب ودقائق المنهاج
انه يجزي بها قطعا قال في شرح تقريب الاسانيد وما ادري ما وجه
التفرقة بين اصبعه واصبع غيره وكونه جزءا منه لا يظهر منه ما يقتضي
منعه بل كونها اصبعه ابلغ في الازالة لانه يتمكن بها اكثر من تمكن غيره
ان يسوكه باصبعه لا جرم قال النووي في شرح المهذب المختار
اجزاؤه مطلقا قال وبه قطع القاضي حسين والمحاملي في اللباب
والبغوي واختاره في العراقيين وقد اطبق اصحاب الشافعي على
استحباب الاراك فروى الطبراني من حديث ابي خيرة الصباحي وله صحبة
حديثا قال فيه ثم امر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باراك فقال
استاكوا بهذا وفي مستدرك الحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها في دخول
اخيها عبد الرحمن ابن ابي بكر في مرضه صلى الله عليه وسلم ومعه

سواك

سواك من اراك فاخذته عائشة فطيبته واعطته رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستن به والحديث في الصحيح وليس فيه ذكر الاراك وفي بعض طرقه عند البخاري
ومعه سواك من جريد النخل وقد روى ابو نعيم في كتاب السواك من حديث عائشة
قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا وروى البيهقي ايضا من
حديث ربيعة ابن اكثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا الحديث
قال اصحابنا والمراد بقوله عرضا عرض الاسنان في طول الفم وهل الاولى
ان يباشر المستاك بيمينه او شماله قال بعضهم بيمينه لحديث كان يعجبه
التيمن في ترجله وتنعله وطهوره وسواكه وبناه بعضهم على انه هل هو من باب
التطهير والتطيب او من باب القاذورات فان قلنا بالاول استحب ان يكون
باليمين وان قلنا بالثاني فبشماله لحديث عائشة كانت يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليمنى لطهوره وطعامه واليسرى لخلائه وما كان من اذى رواه ابو داود
باسناد صحيح قال في شرح تقريب الاسانيد وما استدل به على انه يستحب
باليمين ليس فيه دلالة فان المراد منه بالشق الاول في الترجيل والبداءة
بلبس النعل والبداءة بالاعضاء اليمنى في التطهير والبداءة بالجانب
الايمن في الاستياك واما كونه يفعل ذلك بيمينه فيحتاج الى نقل والظاهر
انه من باب ازالة الاذى كالامتخاط ونحوه فيكون باليسرى وقد صرح ابو العباس
احمد القرطبي فقال في المفهم حكاية عن مالك انه لا يستاك في المساجد لانه
من باب ازالة القذر والله اعلم واما مقدار ما كان عليه الصلاة والسلام
يتوضا ويغتسل من الماء فعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يغتسل بالصاع الى خمسة امداد ويتوضا بالمد وفي رواية كان يغتسل
بخمسة مكاكيل ويتوضا بمكوك رواه البخاري ومسلم وابو داود وعنده يتوضا
باناء يسع رطلين ويغتسل بالصاع ورواه الترمذي وعنده انه صلى الله
عليه وسلم قال يجزي في الوضوء رطلان من ماء وعن عائشة قالت
كان صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع ويتوضا بالمد رواه ابو داود وعن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم وميمونة كانا يغتسلان من اناء
واحد والصاع خمسة ارطال وثلث بغدادي وهو على ما قاله النووي
ثمانية وثمانية وعشرون درهما واربعة اسباع درهم وحذر صلى
الله عليه وسلم امته من الاسراف فيه ومر بسعد وهو يتوضا فقال
ما هذا السرف يا سعد قال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت
على نهر جار رواه احمد باسناد لين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
وقال صلى الله عليه وسلم ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان

فاتقوا وسواس الماء رواه الترمذي من حديث ابي ابن كعب **الفصل الثاني**
في وضوئه صلى الله عليه وسلم مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا عن ابن عباس
قال توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مرة رواه البخاري وابو داود وغيرهما
وهو بيان لمجمل قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا الآية اذ الامر يفيد طلب
ايجاد الحقيقة ولا يتعين بالعدد فبين الشارع ان المرة الواحدة للايجاب وما زاد
عليها للاستحباب **واما حديث** ابي ابن كعب رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه
وسلم دعا بماء فتوضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ففيه
بيان بالقول والفعل معا لكنه حديث ضعيف اخرجه ابن ماجة وله طرق
اخرى كلها ضعيفة كما قاله في فتح الباري وعن عبد الله ابن زيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين وقال هو نور على نور ذكره رزين **وعن**
عثمان رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا
رواه احمد ومسلم وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وقال
هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء ابراهيم ذكره رزين وضعفه النووي
في شرح مسلم كما حكاه في مشكاة المصابيح ولم يأت في شيء من الاحاديث المرفوعة
في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم انه زاد على ثلاث بل روي عنه انه نهى عن
الزيادة على الثلاث فعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه
وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال من زاد على هذا او نقص فقد اساء وظلم رواه ابو داود
باسناد جيد لكن عده مسلم في جملة ما انكروه على عمرو بن شعيب لان ظاهره
ذم النقص من الثلاثة واجيب بانه امر نسبي والاساءة تتعلق بالنقص والظلم
بالزيادة وقيل فيه حذف تقديره من نقص من واحدة **ويؤيده**
ما رواه ابو نعيم ابن حماد من طريق المطلب ابن حنطب مرفوعا الوضوء
مرة ومرتين وثلاثا فان نقص من واحدة او زاد على ثلاث فقد اخطأ
وهو مرسل ورجاله ثقات **واجيب** عن الحديث ايضا ان الرواة لم يتفقوا
على ذكر النقص فيه بل اكثرهم يقتصر على قوله فمن زاد فقط كذا رواه
ابن خزيمة في صحيحه قال الشافعي لا احب ان يزيد المتوضئ على ثلاث
فان زاد لم اكرهه اي لم احرمه لان قوله لا احب يقتضي الكراهة
وهذا هو الاصح عند الشافعية انه يكره كراهة تنزيه وحكى الدارمي
من الشافعية عن قوم ان الزيادة على الثلاثة تبطل الوضوء كالزيادة
في الصلاة وهو قياس فاسد وقال احمد واسحاق وغيرهما لا يجوز
الزيادة على الثلاث وقال ابن المبارك لا امن ان ياثم ويلزمه
من القول بتحريم الزيادة على الثلاث او كراهتها انه لا يندب تجديد

الوضو

الوضوء على الاطلاق **الفصل الثالث في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم**
عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه انه دعا باناء فافرغ على يديه ثلاث
مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه
ثلاثا الى المرفقين ثم مسح رأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث
فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه رواه البخاري **وقد استدل بعضهم** بقوله
ثم ادخل يمينه على عدم اشتراط نية الاغتراف ولا دلالة فيه نفيا ولا اثباتا واما
اشتراط نية الاغتراف فليس في الحديث ما يثبتها ولا ما ينفيها قال الغزالي مجرد الاغتراف
لا يصير الماء مستعملا لان الاستعمال انما يقع في المغترف منه وبهذا قطع البغوي
وقد ذكروا في حكمة تاخير غسل الوجه انه لاعتبار اوصاف الماء لان اللون
يدرك بالبصر والطعم يدرك بالفم والريح بالانف فقدمت المضمضة والاستنشاق
قبل الوجه وهو مفروض احتياطا للعبادة قال النووي في قوله نحو وضوئي انما
لم يقل مثل لان حقيقة مماثلته لا يقدر عليها غيره لكن تعقبه
في فتح الباري بانه ثبت التعبير بها في رواية البخاري في الرقاق من طريق معاذ
بن عبد الرحمن عن حمران عن عثمان **ولفظه** من توضأ مثل وضوئي هذا وفي الصيام من
رواية معمر من توضأ وضوئي هذا ولمسلم من طريق زيد ابن اسلم عن حمران من توضأ
مثل وضوئي هذا قال وعلى هذا فالتعبير بنحو من تصرف الرواة لانها تطلق
على المثلية مجازا ولان مثل وان كانت تقتضي المساواة ظاهرا لكنها تطلق على
الغالب فبهذا تلتئم الروايات ويكون المتروك بحيث لا يخل بالمقصود انتهى
وعن عبد الله ابن زيد بن عاصم الانصاري انه قيل له توضأ لنا وضوء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فاكفأ منه على يديه فغسلهما ثلاثا ثم ادخل
يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه
الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فاقبل بيديه
وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي رواية فاقبل بهما وادبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما
الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدأ منه رواه البخاري ومسلم
ومالك وابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية لابي داود ثم مسح
برأسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما وفي اخرى له ومسح باذنيه ظاهرهما
وباطنهما وادخل اصابعه في صماخي اذنيه وفي رواية ابي داود والترمذي
والنسائي عن عبد خير ابي عمارة بن زيد بن خولي بفتح الخاء المعجمة
وسكون الواو وتشديد الياء الهمداني من كبار اصحاب علي ابن ابي طالب

قال أنا علي وقد صلى فدعى بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد إلا
ليعلمنا فأتي بإناء فيه ماء وطست فأفرغ من الإناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض
واستنثر ثلاثا فمضمض ونثر من الكف الذي يأخذ فيه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل
يده اليمنى وغسل يده اليسرى ثلاثا ثم جعل يده في الإناء فمسح برأسه مرة واحدة
ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله اليسرى ثلاثا ثم قال من سره أن يعلم وضوء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا قال ابن القيم والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم لم يكرر
مسح رأسه انتهى وقال النووي والأحاديث الصحيحة فيها المسح مرة واحدة وفي
بعضها الاقتصار على قوله مسح واحتج الشافعي بحديث عثمان رضي الله عنه في صحيح
مسلم أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وبالقياس على باقي الأعضاء انتهى ٥
وأجيب بأنه مجمل تبين في الروايات الصحيحة أن المسح لم يتكرر فيحمل على الغالب
ويخص بالمغسول وبأن المسح مبني على التخفيف فلا يقاس على الغسل الذي المراد
منه المبالغة في الإسباغ وبأن العدد لو اعتبر في المسح لصار في صورة الغسل
إذ حقيقة الغسل جريان الماء واحتج الشافعية أيضا بما رواه أبو داود في سننه
من حديث عثمان من وجهين صحح أحدهما ابن خزيمة أنه صلى الله عليه وسلم مسح رأسه ثلاثا
وفي رواية أبي داود أيضا والترمذي من حديث الربيع بنت معوذ فغسل كفيه ثلاثا
ووضأ وجهه ثلاثا وتمضمض واستنشق مرة ووضأ يديه ثلاثا ومسح برأسه
مرتين بدأ بمؤخر رأسه ثم بمقدمه وبأذنيه كلتيهما ظهورهما وبطونهما ووضأ
رجليه ثلاثا ثلاثا وقد أجاب العلماء عن أحاديث المسح مرة واحدة بأن ذلك
لبيان الجواز ويؤيده رواية مرتين هذه وقال السمعاني كما حكاه في فتح الباري
اختلاف الرواية يحمل على التعدد فيكون مسح تارة مرة وتارة ثلاثا فليس في رواية
مسح مرة حجة على منع التعدد ويحتج للتعدد بالقياس على المغسول لأن الوضوء
طهارة حكمية ولا فرق في الطهارة الحكمية بين الغسل والمسح قال ومن أقوى
الأدلة على عدم العدد الحديث المشهور الذي صححه ابن خزيمة وغيره من
طريق عبد الله بن عمرو بن العاص في صفة الوضوء بعد أن فرغ من زاد
على هذا فقد أساء وظلم فإن في رواية سعيد بن منصور التصريح بأنه مسح رأسه
مرة واحدة فدل على أن الزيادة في مسح الرأس على المرة غير مستحبة ويحمل
ما ورد من الأحاديث في تثليث المسح إن صحت على إرادة الاستيعاب بالمسح
لا أنها مسحات مستقلة لجميع الرأس جمعا بين الأدلة انتهى وفي حديث
عبد الله بن زيد المتقدم عند البخاري الذي ذكرته قبل ثم مسح رأسه
بيديه فأقبل بهما وأدبر وفي رواية بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما
إلى قفاه ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه وزاد ابن الصباغ بعد قوله

ثم

ثم مسح رأسه كله كما هو في رواية ابن خزيمة وفي رواية غيره كما تقدم برأسه بزيادة
الباء الموافقة لقوله تعالى وامسحوا برؤوسكم قال البيضاوي الباء في الآية تزيد
وقيل للتبعيض فإنه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه أن يقال إنها تدل
على تضمين الفعل معنى الإلصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب
بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فإنه كقوله واغسلوا وجوهكم انتهى وقال الشافعي احتمل
قوله تعالى وامسحوا برؤوسكم جميع الرأس وبعضه فدلت السنة على أن بعضه يجزي والفرق
بينه وبين قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم في التيمم أن المسح فيه بدل عن الغسل ومسح الرأس
أصل فافترقا ولا يرد كون مسح الخف بدلا عن غسل الرجل لأن الرخصة فيه ثبتت بالإجماع
وقد روي من حديث عطاء أنه صلى الله عليه وسلم توضأ فحسر العمامة عن رأسه ومسح مقدم
رأسه وهو مرسل لكنه اعتضد بمجيئه من وجه آخر موصولا أخرجه أبو داود من حديث
أنس وفي إسناده أبو معقل لا يعرف حاله لكن اعتضد كل من المرسل والموصول بالآخر
وحصلت القوة من الصورة المجموعة وهذا مثال لما ذكره الشافعي من أن المرسل
يعتضد بمرسل آخر أو مسند وفي الباب أيضا عن عثمان في صفة الوضوء قال ومسح
مقدم رأسه أخرجه سعيد بن منصور وفيه خالد بن يزيد بن أبي مالك مختلف فيه
وصح عن ابن عمر الاكتفاء بمسح بعض الرأس قاله ابن المنذر وغيره ولم يصح عن أحد
من الصحابة إنكار ذلك قاله ابن حزم قال الحافظ ابن حجر وهذا كله مما يقوي
به المرسل المتقدم ذكره انتهى واختلف في القدر الواجب في مسح الرأس فذهب
الشافعي في جماعة إلى أن الواجب ما ينطلق عليه الاسم ولو شعرة واحدة أخذا باليقين
وذهب مالك وأحمد وجماعة إلى وجوب استيعابه أخذا بالاحتياط وقال أبو حنيفة
في رواية الواجب ربعه لأنه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب
من الربع والله أعلم وعن طلحة ابن مصرف عن أبيه عن جده قال دخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ والماء يسيل من وجهه ولحيته على صدره
فرأيته يفصل بين المضمضة والاستنشاق رواه أبو داود وعنه أيضا قال
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا من كف
واحد رواه ابن ماجه وفي حديث مسلم أن عثمان دعا بإناء فأفرغ على كفيه
ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنثر ثم غسل
وجهه ثلاث مرات وفي حديث عبد الله بن زيد عند البخاري ثم غسل ومضمض
واستنشق من كف واحدة ثم قال هكذا وضوء رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال النووي فيه أن السنة في المضمضة والاستنشاق أن يأخذ الماء
لهما بيمينه قال وفي الأفضل في كيفية المضمضة والاستنشاق خمسة أوجه
الأصح يتمضمض ويستنشق بثلاث غرفات يتمضمض من كل واحدة ثم

يستنشق **والثاني** يجمع بينهما بغرفة واحدة يتمضمض من كل واحدة ثم يستنشق
منها ثلاثا **والثالث** يجمع ايضا بغرفة ولكن يتمضمض منها ثم يستنشق ثم يتمضمض
منها ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق **والرابع** يفصل بينهما بغرفتين فيتمضمض
من احداهما ثلاثا ثم يستنشق من الاخرى ثلاثا **والخامس** يفصل بست غرفات
يتمضمض بثلاث غرفات ثم يستنشق بثلاث غرفات قال والصحيح الاول وبه جاءت
الاحاديث الصحيحة وقد ذهب الامام احمد وابو ثور الى وجوب الاستنشاق وهو ان يبلغ
الماء الى خياشيمه مستدلين بقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابي هريرة اذا توضا احدكم
فليجعل احدكم في انفه ماء ثم لينتثر لظاهر الامر **وحمله** الجمهور مالك والشافعي واهل
الكوفة على الندب لقوله عليه الصلاة والسلام للاعرابي توضا كما امرك الله وليس في
الاية ذكر الاستنشاق والله اعلم وعند ابي داود كان عليه الصلاة والسلام يمسح الماقين
وعن عثمان انه صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته رواه الترمذي وابن ماجة وعنده من حديث
ابن عمر كان عليه الصلاة والسلام اذا توضا عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته
باصابعه من تحتها وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا توضا اخذ كفا من ماء فادخله
تحت حنكه فخلل به لحيته ويقول بهذا امرني ربي عز وجل رواه ابو داود وعن
المستورد بن شداد كان صلى الله عليه وسلم اذا توضا يدلك اصابع رجليه بخنصره
رواه الترمذي وابو داود وابن ماجة وعن عائشة قالت كانت يد رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت اليسرى لخلائه وما كان من اذى
وعن المغيرة بن شعبة انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وانه
ذهب لحاجة له وان مغيرة جعل يصب الماء عليه وهو يتوضا رواه البخاري ومسلم
وعن صفوان بن عسال صببت على النبي صلى الله عليه وسلم الماء في السفر
والحضر في الوضوء رواه ابن ماجة وفي ذلك جواز استعانة الرجل بغيره في صب
الماء في الوضوء من غير كراهة وكذا احضار الماء من باب اولى ولا دليل في هذين
الحديثين لجواز الاعانة بالمباشرة وقد روى الحاكم في المستدرك من حديث
الربيع بنت معوذ انها قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فقال
اسكبي فسكبت عليه وهذا اصرح في عدم الكراهة من الحديثين المذكورين
لكونه في الحضر ولكونه بصيغة الطلب والله تعالى اعلم وفي الترمذي
من حديث معاذ بن جبل كان صلى الله عليه وسلم اذا توضا مسح وجهه
بطرف ثوبه وعن عائشة كانت له عليه الصلاة والسلام خرقة ينشف
بها بعد الوضوء قال الترمذي هذا الحديث ليس بالقائم وابو معاذ
الراوي ضعيف عند اهل الحديث **وقد احتجم** صلى الله عليه وسلم
وصلى ولم يتوضا ولم يزد على غسل محاجمه رواه الدارقطني **واكل**

كتف

كتف شاة وصلى ولم يتوضا رواه البخاري ومسلم وللنسائي اخر الامرين من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما غيرت النار وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا فلم يتمضمض
ولم يتوضا وصلى رواه ابو داود واتي بالسويق فامر به فثري فاكل ثم قام الى المغرب
فتمضمض رواه البخاري ومالك والنسائي **وكان** صلى الله عليه وسلم اذا قام من النوم
ربما توضا وربما لم يتوضا لان عينيه تنام ولا ينام قلبه كما في البخاري وغيره وفيه
دليل على ان النوم ليس حدثا بل مظنة للحدث فلو احدث لعلم به لذلك فتكون الخصوصية
شعوره بالوقوع بخلاف غيره **قال** الخطابي وانما منع قلبه النوم ليعي الوحي الذي
ياتيه في منامه والله اعلم **الفصل الرابع في مسحه صلى الله عليه وسلم على الخفين**

اعلم انه قد صرح جمع من الحفاظ بان المسح على الخفين متواتر وجمع بعضهم
رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة وقال ابن عبد البر لا اعلم انه روي عن احد
من فقهاء السلف انكاره الا عن مالك مع ان الروايات الصحيحة عنه مصرحة باثباته
وقد اشار الشافعي في الام الى انكار ذلك على المالكية والمعروف المستقر عندهم الان
قولان الجواز مطلقا وثانيهما للمسافر دون المقيم وهذا الثاني مقتضى ما في المدونة
وبه جزم ابن الحاجب وقال ابن المنذر اختلف العلماء ايهما افضل المسح على الخفين
او نزعهما وغسل الرجلين والذي اختاره ان المسح افضل لاجل من طعن فيه
من اهل البدع من الخوارج والروافض وقال النووي مذهب اصحابنا ان الغسل افضل
لكونه الاصل لكن بشرط ان لا يترك المسح وقد تمسك من اكتفى بالمسح بقوله
تعالى وارجلكم عطفا على وامسحوا برءوسكم فذهب الى ظاهره جماعة من الصحابة والتابعين
وحكي عن ابن عباس في رواية ضعيفة والثابت عنه خلافه وعن عكرمة والشعبي
وقتادة الواجب الغسل او المسح وعن بعض اهل الظاهر يجب الجمع بينهما وحجة
الجمهور الاحاديث الصحيحة من فعله صلى الله عليه وسلم كما ياتي ان شاء الله
تعالى فانه بيان للمراد واجابوا عن الاية باجوبة منها انه قرئ وارجلكم
بالنصب عطفا على ايديكم وقيل معطوف على محل برءوسكم كقوله تعالى يا جبال
اوبي معه والطير بالنصب وقيل المسح في الاية محمول على مشروعية المسح
على الخفين فحملوا قراءة الجر على مسح الخفين وقراءة النصب على غسل الرجلين
وحمل البيضاوي الجر على الجوار قال ونظيره كثير في القران كقوله تعالى
عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب
خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد
في صب الماء عليها وتغسل غسلا يقرب من المسح انتهى وعن المغيرة بن
شعبة انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك قال فتبرز
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الغائط فحملت معه اداوة قبل

الفجر فلما رجع اخذت اهريق على يديه من الاداوة فغسل يديه ووجهه وعليه
جبة من صوف ذهب يحسر عن ذراعيه فضاق كم الجبة فاخرج يديه من تحت الجبة
والقى الجبة على منكبيه وغسل ذراعيه ثم مسح بناصيته وعلى العمامة ثم اهويت لانزع
خفيه فقال دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين فمسح عليهما ثم ركب وركبت الحديث رواه
مسلم وعند الترمذي من حديث المغيرة ايضا انه صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين على ظاهرهما
وعند ابي داود من حديثه ايضا ومسح عليه الصلاة والسلام على الجوربين والنعلين
وعنه قال مسح صلى الله عليه وسلم على الخفين فقلت يا رسول الله نسيت فقال بل انت
نسيت بهذا امرني ربي عز وجل رواه ابو داود واحمد وعن عمرو ابن امية الضمري
قال رايته عليه الصلاة والسلام يمسح على عمامته وخفيه رواه البخاري واحمد وقال
علي ابن ابي طالب جعل صلى الله عليه وسلم المسح على الخفين ثلاثة ايام ولياليهن للمسافر
ويوما وليلة للمقيم رواه مسلم الفصل الخامس في تيممه صلى الله
عليه وسلم اعلم ان التيمم ثابت بالكتاب والسنة والاجماع وهو من خصائص هذه
الامة واجمعوا على ان التيمم لا يكون الا في الوجه واليدين سواء كان من حدث اكبر او
عن حدث اصغر وسواء تيمم عن الاعضاء كلها او بعضها واختلف في كيفيته فمذهبنا
ومذهب الاكثرين انه لابد من ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين
وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث
جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها
لنا طهورا اذا لم نجد الماء رواه مسلم وفي رواية ابي امامة عند البخاري وجعلت
الارض كلها لي ولامتي مسجدا وطهورا وهذا عام وحديث حذيفة خاص فينبغي
ان يحمل العام عليه فتختص الطهورية بالتراب ومنع بعضهم الاستدلال
بلفظ التربة على خصوصية التيمم بالتراب بان قال تربة كل مكان ما فيه
من تراب او غيره واجيب بانه ورد في الحديث بلفظ التراب اخرجه ابن خزيمة
وغيره وفي حديث علي وجعل لي التراب طهورا اخرجه احمد والبيهقي باسناد حسن
وعن عمار قال جاء رجل الى عمر ابن الخطاب فقال اني اجنبت ولم اصب الماء فقال
عمار لعمر اما تذكر انا كنا في سفر انا وانت فاما انت فلم تصل واما انا
فتمعكت وصليت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انما كان يكفيك
هكذا وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الارض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه
وكفيه رواه البخاري ومسلم واستدل بالنفخ على استحباب تخفيف التراب
وسقوط استحباب التكرار في التيمم لان التكرار يستلزم عدم التخفيف
وعن ابي الجهيم ابن الحارث ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى جدار فحته بعصا

كانت

133

كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي رواه البغوي
في شرح السنة وقال احمد بن حسن وهذا محمول على ان الجدار كان مباحا او مملوكا
لانسان كان يعرف رضاه الفصل السادس في غسله صلى الله عليه وسلم
والغسل بضم الغين اسم للاغتسال وقيل اذا اريد به الماء فهو مضموم واما المصدر
فيجوز فيه الضم والفتح رواه ابن سيدة وغيره وقيل المصدر بالفتح والاغتسال بالضم
وقيل الغسل بالفتح فعل المغتسل وبالضم الماء الذي يغتسل به وبالكسر ما يجعل مع
الماء كالاشنان وحقيقة الغسل جريان الماء على الاعضاء مع تمييزها للعبادة عن
العادة بالنية ووجوب الغسل على الجنب مستفاد من قوله تعالى وان كنتم
جنبا فاطهروا وقوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ولا جنبا الا عابري سبيل
حتى تغتسلوا فنفي الاية الاولى اجمال وهو قوله تعالى فاطهروا وبينه قوله في الاية
الثانية حتى تغتسلوا ويؤيده قوله تعالى في الحائض ولا تقربوهن حتى يطهرن
فاذا تطهرن اي اغتسلن اتفاقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطوف على نسائه بغسل واحد رواه مسلم من حديث انس وعن ابي رافع طاف صلى
الله عليه وسلم ذات يوم على نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه قال فقلت له
يا رسول الله الا تجعله غسلا واحدا اخرا قال هذا ازكى واطيب واطهر رواه احمد
وابو داود والنسائي وقد اجمع العلماء على انه لا يجب الغسل بين الجماعين واما
الوضوء فاستحبه الجمهور وقال ابو يوسف انه لا يستحب واوجبه ابن حبيب
من المالكية واهل الظاهر بحديث اذا اتى احدكم اهله ثم اراد ان يعود فليتوضأ
بينهما وضوءا رواه مسلم وحمله بعضهم على الوضوء اللغوي فقال المراد به غسل
الفرج انتهى وقالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا اغتسل من الجنابة
بدا فغسل يديه ثم توضا كما يتوضا للصلاة ثم يدخل اصابعه في الماء فيخلل
بها اصول الشعر ثم يصب على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على جلده
كله رواه البخاري ويحتمل ان يكون غسلهما للتنظيف مما بهما ويحتمل ان يكون هو
الغسل المشروع عند القيام من النوم ويدل عليه زيادة ابن عيينة
في هذا الحديث عن هشام قبل ان يدخلهما في الاناء رواه الشافعي والترمذي
وزاد ايضا ثم يغسل فرجه وكذا لمسلم وابي داود وهي زيادة جليلة لان
تقديم غسله يحصل به الامن من مسه في اثناء الغسل ويحتمل ان يكون
الابتداء بالوضوء قبل الغسل سنة مستقلة بحيث يجب غسل اعضاء الوضوء
مع بقية الجسد ويحتمل ان يكتفى بغسلها في الوضوء عن اعادته وعلى هذا
فيحتاج الى نية غسل الجنابة في اول عضو وانما قدم اعضاء الوضوء تشريفا
لها ولتحصل له صورة الطهارتين الصغرى والكبرى ونقل ابن بطال

الاجماع علي ان الوضوء لا يجب مع الغسل وهو مردود فقد ذهب جماعة منهم ابو ثور وداود
وغيرهما الي ان الغسل لا ينوب عن الوضوء للمحدث وقوله فيخلل بها اصول الشعر اي شعر راسه
ويدل عليه رواية حماد ابن سلمة عن هشام عند البيهقي يخلل بها شق راسه الايمن فيتبع
بها اصول الشعر ثم يفعل بالشق الايسر كذلك وقال القاضي عياض احتج به بعضهم
علي تخليل شعر اللحية في الغسل اما لعموم قوله اصول الشعر واما بالقياس علي شعر الراس فائدة
التخليل ايصال الماء الي الشعر والبشرة ومباشرة الشعر باليد ليحصل تعميمه بالماء وهذا التخليل
غير واجب اتفاقا الا ان كان الشعر متلبدا بشي يحول بين الماء وبين الوصول الي اصوله
واختلف في وجوب الدلك فلم يوجبه الاكثر ونقل عن مالك والمزني وجوبه واحتج
ابن بطال بالاجماع علي وجوب امرار اليد علي اعضاء الوضوء عند غسلها فيجب ذلك في الغسل
قياسا لعدم الفرق بينهما وتعقب بان جميع من لم يوجب الدلك اجاز واغمس اليد
في الماء للمتوضي من غير امرار فبطل الاجماع وانتفت الملازمة وفي قوله في هذا الحديث
ثلاث غرفات استحباب التثليث في الغسل قال النووي ولا نعلم فيه خلافا
الا ما انفرد به الماوردي فانه قال لا يستحب التكرار في الغسل قال الحافظ
ابن حجر في فتح الباري وهو مخصوص بما ذكرته قلت وكذا قال الشيخ ابو علي السنجي
وكذا قال القرطبي وقالت ميمونة وضعت له صلي الله عليه وسلم ماء للغسل
فغسل يديه مرتين او ثلاثا ثم افرغ علي شماله فغسل مذاكيره ثم مسح يده بالارض
ثم مضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه ثم افاض علي جسده ثم تحول من
مكانه فغسل قدميه رواه البخاري ولم يقيد في هذه الرواية بعدد فيحمل علي
اقل مسمي الغسل وهو المرة الواحدة لان الاصل عدم الزيادة عليها وفيه مشروعية
المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة لقوله ثم مضمض واستنشق وتمسك به
الحنفية للقول بوجوبهما وتعقب بان الفعل المجرد لا يدل علي الوجوب الا اذا كان
بيانا لمجمل تعلق به الوجوب وليس الامر هنا كذلك وفيه التصريح بتاخير الرجلين في وضوء
وضوءه للصلاة غير رجليه وغسل فرجه وما اصابه من الاذي ثم افاض عليه
الماء ثم نحي رجليه فغسلهما رواه البخاري وفيه التصريح بتاخير الرجلين في وضوء
الغسل الي اخره وهو مخالف لظاهر رواية عائشة ويمكن الجمع بينهما
اما بحمل رواية عائشة علي المجاز واما بحمله علي حالة اخرى وبحسب
اختلاف هاتين الحالتين اختلف نظر العلماء فذهب الجمهور الي استحباب تاخير
غسل الرجلين وعن مالك ان كان المكان غير نظيف فالمستحب تاخيرهما
والا فالتقديم وعند الشافعي في الافضل قولان قال النووي اصحهما ومشهورهما
ومختارهما انه يكمل وضوءه قال ولم يقع في شي من طرق هذا الحديث
التنصيص علي مسح الراس في هذا الوضوء وتمسك به المالكية لقولهم

غير

ان

134

ان الوضوء في الغسل لا يمسح فيه الراس بل يكتفي عنه بغسله وعن جبير ابن مطعم قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اما انا فافيض علي راسي ثلاثا واشار بيديه
كلتيهما رواه البخاري وفيه عن ابي هريرة قال اقيمت الصلاة وعدلت الصفوف
قياما فخرج الينا رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما قام في مصلاه ذكر انه جنب
فقال لنا مكانكم ثم رجع فاغتسل ثم خرج الينا وراسه يقطر فكبر فصلينا معه
وقوله ذكر اي تذكر لا انه قال ذلك لفظا وعلم الراوي بذلك من قرائن او باعلامه
له بعد ذلك فظاهر قوله فكبر الاكتفاء بالاقامة السابقة فيؤخذ منه جواز التخلل
الكثير بين الاقامة والدخول في الصلاة وعنده ايضا من حديث ميمونة وضعت
للنبي صلي الله عليه وسلم غسلا فسترته بثوب وصب علي يديه فغسلهما ثم صب
بيمينه علي شماله فغسل فرجه فضرب بيده الارض فمسحها ثم غسلها فتمضمض
فاستنشق وغسل وجهه وذراعيه ثم صب علي راسه وافاض علي جسده ثم تنحي
فغسل قدميه فناولته ثوبا فلم ياخذه فانطلق وهو ينفض يديه وقد استدل
بعضهم بقولها فناولته ثوبا فلم ياخذه علي كراهة التنشيف بعد الغسل
ولا حجة فيه لانها واقعة حال يتطرق اليها الاحتمال فيجوز ان يكون عدم الاخذ
لامر اخر لا يتعلق بكراهة التنشيف بل لامر يتعلق بالخرقة او غير ذلك قال
المهلب يحتمل تركه الثوب لابقاء بركة بلل الماء او للتواضع او لشي راه في الثوب
من حرير او وسخ وقد وقع عند احمد في هذا الحديث عن الاعمش قال فذكرت ذلك
لابراهيم النخعي فقال لا باس بالمنديل وانما رده مخافة ان يصير عادة قال التيمي
في شرحه في هذا الحديث دليل علي انه كان يتنشف ولولا ذلك لم تاته
بالمنديل وقال ابن دقيق العيد نفضه الماء بيده يدل علي ان لا كراهة
في التنشيف لان كلا منهما ازالة وقال النووي اختلف اصحابنا فيه علي
خمسة اوجه اشهرها ان المستحب تركه وقيل مكروه وقيل مباح وقيل مستحب
وقيل مكروه في الصيف مباح في الشتاء وفي هذا الحديث جواز نفض اليدين
من ماء الغسل وكذا الوضوء وفيه حديث ضعيف اورده الرافعي وغيره
ولفظه لا تنفضوا ايديكم في الوضوء فانها مراوح الشيطان قال
ابن الصلاح لم اجده وتبعه النووي وقالت عائشة كان رسول الله
صلي الله عليه وسلم اذا اراد ان ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضا
للصلاة رواه البخاري وفيه رد علي من حمل الوضوء هنا علي التنظيف
وقوله وتوضا للصلاة اي وضوءا شرعيا لا لغويا وليس المراد انه توضا
لاداء الصلاة والحكمة فيه انه يخفف الحدث ولا سيما علي القول بجواز
تفريق الغسل فينويه فيرتفع الحدث عن تلك الاعضاء المخصوصة

على الصحيح ويؤيده ما رواه ابن ابي شيبة بسند رجاله ثقات عن شداد ابن اوس
الصحابي قال اذا اجنب احدكم من الليل ثم اراد ان ينام فليتوضا فانه نصف
غسل الجنابة وقيل الحكمة فيه انه احد الطهارتين فعلى هذا يقوم التيمم مقامه وقد
روى البيهقي باسناد حسن عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اجنب فاراد
ان ينام توضا او تيمم **ويحتمل** ان يكون التيمم هنا عند عسر وجود الما وقيل غير ذلك
انتهى ملخصا من فتح الباري **النوع الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه
وسلم اعلم** ان بالصلاة يحصل تحقيق العبودية واداء حق الربوبية وساير
العبادات وسايل الى تحقيق سر الصلاة **وقد جمع الله تعالى** للمصلي في كل ركعة
ما فرق على اهل السموات فلله ملايكة في الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون
من الركوع الى يوم القيامة وهكذا السجود والقيام والقعود واجتمع فيها
ايضا من العبوديات ما لم يجتمع في غيرها منها الطهارة والصمت واستقبال
القبلة واستفتاح بالتكبير والقراة والقيام والركوع والسجود والتسبيح في الركوع
والدعا في السجود الى غير ذلك فهي مجموع عبادات عديدة لان الذكر بمجرده عبادة
والقراة بمجردها عبادة وكذا كل فرد فرد ولذا امر الله تعالى نبيه بالصلاة في قوله
سبحانه اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة وقال تعالى وامر اهلك
بالصلاة واصطبر عليها وفي ذلك كما نبه عليه صاحب كتاب التنوير امدنا الله
بمدده اشارة الى ان في الصلاة تكليفا للنفوس شاقا عليها لانها تاتي في اوقات
ملاذ العباد واشتغالهم فتطالبهم بالخروج عن ذلك كله الى القيام بين يديه والفراغ
مما سوى الله تعالى فلذلك قال تعالى واصطبر عليها قال ومما يدل على ان في القيام
بالصلاة تكاليف العبودية وان القيام بها على خلاف ما تقتضيه البشرية
قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فجعل
الصبر والصلاة مقترنين اشارة الى انه يحتاج في الصلاة الى الصبر على
ملازمة اوقاتها والصبر على القيام بشروطها وواجباتها والصبر بمنع القلوب
فيها عن غفلاتها ولذلك قال تعالى بعد ذلك وانها لكبيرة الا على الخاشعين
فافرد الصلاة بالذكر ولم يرد الصبر به اذ لو كان كذلك لقال وانهما
لكبيران فذلك يدل على ما قلناه او لان الصبر والصلاة مقترنان ومتلازمان
فكان احدهما هو عين الاخر كما قال تعالى في الاية الاخرى والله ورسوله احق
ان يرضوه انتهى ملخصا ثم ان الكلام فيها ينقسم الى خمسة اقسام **القسم
الاول** في الفرايض وما يتعلق بها وفيه ابواب **الاول** في الصلوات الخمس وفيه
فصول **الاول في فرضها** عن انس قال فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة
الاسري به خمسين صلاة ثم نقصت حتى جعلت خمسا ثم نودي يا محمد انه لا يبدل

القول

القول لدي وان لك بهذه الخمس خمسين رواه الترمذي هكذا مختصرا ورواه البخاري
ومسلم في حديث طويل تقدم في مقصد الاسرا مع ما فيه من المباحث وعن ابن عباس قال
فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة
رواه مسلم وابو داود والنساي وقوله في الخوف ركعة محمول على ان المراد ركعة مع
الامام وينفرد بالاخرى وعن عايشة فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتمها
في الحضر واقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى رواه البخاري **وعنده** في كتاب الهجرة
من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عايشة قالت فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر
صلى الله عليه وسلم ففرضت اربعا فتعين في هذه الرواية ان الزيادة في قوله في الحديث
الذي قبله وزيد في صلاة الحضر وقعت بالمدينة **وقد اخذ** بظاهر هذا الحديث الحنفية
وبنوا عليه ان القصر في السفر عزيمة لا رخصة واحتج مخالفهم بقوله تعالى فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلاة لان نفي الجناح لا يدل على العزيمة والقصر انما يكون
في شي اطول منه ويدل على انه رخصة ايضا قوله عليه الصلاة والسلام صدقة تصدق
الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم واما خبر فرضت الصلاة ركعتين اي
في السفر فمعناه لمن اراد الاقتصار عليهما جمعا بين الاخبار قاله في المجموع **الفصل
الثاني في ذكر تعيين الاوقات التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم
الصلوات الخمس** عن جابر ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتى النبي صلى الله
عليه وسلم يعلمه مواقيت الصلاة فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم
خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت
الشمس واتاه حين كان الظل مثل شخصه فصنع كما صنع فتقدم جبريل ورسول
الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصلى العصر ثم اتاه حين وجبت الشمس فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله
عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى المغرب
ثم اتاه حين غاب الشفق فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم
خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى العشا ثم اتاه
حين انشق الفجر فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الغداة ثم اتاه في اليوم الثاني
حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع كما صنع بالامس فصلى الظهر
ثم اتاه حين كان ظل الرجل مثلي شخصه فصنع كما صنع بالامس فصلى
العصر ثم اتاه حين وجبت الشمس فصنع كما صنع بالامس فصلى المغرب
ثم اتاه حين غاب الشفق فصنع كما صنع بالامس فصلى العشا
ثم اتاه حين امتد الفجر واصبح والنجوم بادية مشتبكة وصنع

كما صنع بالامس فصلى الغداة ثم قال ما بين هاتين الصلاتين وقت رواه النسائي
وفي رواية قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس
وكان الفيء قدر الشراك ثم صلى العصر حين كان الفيء قدر الشراك وظل الرجل
ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشا حين غاب الشفق ثم صلى الفجر
حين طلع الفجر ثم صلى الغداة اي الظهر حين كان الظل طول الرجل ثم صلى العصر
حين كان ظل الرجل مثليه ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشا الى ثلث الليل
او نصف الليل شك احد رواته ثم صلى الفجر فاسفر **وعن** ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امني جبريل عند البيت مرتين
فصلى الظهر في الاولى حين كان الفيء مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان ظل كل
شيء مثليه ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وافطر الصائم ثم صلى العشا حين غاب
الشفق ثم صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم وصلى المرة
الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله كوقت العصر بالامس ثم صلى العصر
حين كان ظل كل شيء مثليه ثم صلى المغرب كوقته الاول ثم صلى العشا الاخرة حين
ذهب ثلث الليل ثم صلى الصبح حين اسفرت الارض ثم التفت الي جبريل فقال
يا محمد هذا وقت الانبياء من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين
رواه الترمذي وغيره وقوله صلى بي الظهر حين كان ظل كل شيء مثله اي فرغ منها
حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الاول وحينئذ فلا اشتراك بينهما في وقت
ويدل له حديث مسلم وقت الظهر اذا زالت الشمس ما لم يحضر العصر **وقوله**
في حديث جابر فصلى الظهر حين زالت الشمس يقتضي جواز فعل الظهر اذا زالت
الشمس ولا ينتظر بها وجوبا ولانه بالمصير الفيء مثل الشراك كما اتفق عليه الائمة
ودلت عليه الاخبار الصحيحة واما حديث ابن عباس فالمراد به انه
حين زالت الشمس كان الفيء حينئذ مثل الشراك لا انه اخرها الى ان صار مثل
الشراك ذكره في المجموع وقد بين ابن اسحاق في المغازي ان صلاة جبريل
به صلى الله عليه وسلم كانت صبيحة الليلة التي فرضت الصلاة فيها وهي
ليلة الاسرا ولفظه قال نافع ابن جبير وغيره لما اصبح صلى الله
عليه وسلم من الليلة التي اسري به لم يرعه الا جبريل نزل حين زاغت
الشمس لذلك سميت الاولى اي صلاة الظهر فامر فصيح بالصلاة جامعة
فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه وذكر
الحديث وفيه رد على من زعم ان بيان الاوقات انما وقع بعد الهجرة
والحق ان ذلك وقع قبلها ببيان جبريل وبعدها ببيان النبي صلى
الله عليه وسلم وانما دعاهم بقوله الصلاة جامعة لان الاذان

لم

لم يكن شرع حينئذ واستدل بهذا الحديث على جواز الائتمام بمن يأتم بغيره ويجاب
عنه بما يجاب عن قصة ابي بكر في صلاته خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة الناس
خلفه فانه محمول على انه كان مبلغا فقط كما يأتي تقريره ان شاء الله تعالى
وقد صلى صلى الله عليه وسلم العصر والشمس في حجرة عائشة لم يظهر الفيء من حجرتها
رواه البخاري ومسلم وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العصر والشمس
مرتفعة حية فيذهب الذاهب الى العوالي فياتيهم والشمس مرتفعة وبعض العوالي
من المدينة على اربعة اميال رواه البخاري **وفي ذلك** دليل على التعجيل صلى الله عليه
وسلم بصلاة العصر لوصف الشمس بالارتفاع بعد ان يمضي مسافة اربعة اميال والمراد بالشمس
ضوءها **وعن سلمة** ابن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي المغرب اذا غربت
الشمس وتوارت بالحجاب رواه البخاري ومسلم والترمذي وعن رافع ابن خديج كنا
نصلي المغرب معه صلى الله عليه وسلم فينصرف احدنا وانه ليبصر مواقع نبله رواه
البخاري ومسلم والنبل بفتح النون السهام العربية اي يبصر مواقع سهامه اذا
رمى بها ومقتضاه المبادرة بالمغرب في اول وقتها بحيث ان الفراغ منها يقع والضوء
باق **وكان** صلى الله عليه وسلم اذا كان الحر ابرد بالصلاة واذا كان البرد عجل رواه
النسائي من حديث انس ويؤخر العصر ما دامت الشمس بيضا نقية رواه ابو داود من
رواية علي ابن شيبان وقال عليه الصلاة والسلام اذا قدم العشا فابدوا به قبل
صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم رواه البخاري ومسلم وعند ابي داود ولا تؤخروا
الصلاة لطعام ولا لغيره واعتم صلى الله عليه وسلم بالعشا ليلة حتى ناداه عمر الصلاة
نام النسا والصبيان فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما ينتظرها
من اهل الارض احد غيركم قال ولا يصلى يومئذ الا بالمدينة وكانوا يصلون فيما
بين ان يغيب الشفق الى ثلث الليل الاول زاد في رواية وذلك قبل ان
يفشو الاسلام وفي رواية فخرج وراسه يقطر يقول لولا ان اشق على امتي
او على الناس لامرتهم بالصلاة بهذه الساعة رواه البخاري ومسلم وفي رواية
ابي داود من حديث ابي سعيد فلم يخرج حتى مضى نحو من شطر الليل فقال
خذوا مقاعدكم فاخذنا مقاعدنا فقال ان الناس قد صلوا واخذوا
مضاجعهم وانكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة ولولا ضعف الضعيف
وسقم السقيم لاخرت هذه الصلاة الى شطر الليل وفي حديث ابي هريرة
لولا ان اشق على امتي لامرتهم ان يؤخروا العشا الى ثلث الليل او نصفه
صححه الترمذي فعلى هذا من وجد به قوة على تاخيرها ولم يغلبه النوم
ولم يشق على احد من المأمومين فالتاخير في حقه افضل وقد قرر النووي ذلك
في شرح مسلم وهو اختيار كثير من اهل الحديث من الشافعية وغيرهم وقال

الطحاوي يستحب الى الثلث وبه قال مالك واحمد واكثر الصحابة والتابعين وهو
قول الشافعي في الجديد وقال في القديم التعجيل افضل وكذا قال في الاملا وصححه النووي
وجماعة وقالوا انه مما يفتى به على القديم وتعقبه بانه ذكره في الاملا وهو من كتبه
الجديدة والمختار من حيث الدليل افضلية التاخير قاله في فتح الباري **الفصل
الثالث في ذكر كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم وفيه فروع الاول**
في صفة افتتاحه صلى الله عليه وسلم روى ابو داود انه عليه الصلاة والسلام
سمع بلالا يقيم الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال اقامها الله وادامها **وكان**
صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير من حديث عائشة وروى البخاري عن ابن عمر
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم افتتح بالتكبير في الصلاة واستدل بهما على تعيين لفظ التكبير
دون غيره من الفاظ التعظيم وهو قول الجمهور ووافقهم ابو يوسف وعن الحنفية تنعقد
بكل لفظ يقصد به التعظيم وقد روى البزار باسناد صحيح على شرط مسلم عن علي ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة قال الله اكبر ولاحمد والنسائي من طريق
واسع ابن حبان انه سال ابن عمر عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
الله اكبر كلما وضع ورفع وليعلم ان تكبيرة الاحرام ركن عند الجمهور وقيل شرط وهو
مذهب الحنفية ووجه عند الشافعية وقيل سنة قال ابن المنذر ولم يقل به احد غير
الزهري ولم يختلف احد في ايجاب النية في الصلاة قال البخاري في اواخر الايمان
باب ما جا في قوله عليه الصلاة والسلام الاعمال بالنية فدخل فيه الايمان والوضو والصلاة
والزكاة **قال** ابن القيم في الهدي النبوي كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة
قال الله اكبر ولم يقل شيئا قبلها ولا تلفظ بالنية ولا قال اصلي صلاة كذا مستقبل
القبلة اربع ركعات اماما او ماموما ولا اداء ولا قضاء ولا فرض الوقت **قال** وهذه
عشرة بدع لم ينقل عنه احد قط باسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل
لفظة واحدة البتة بل ولا عن احد من الصحابة ولا استحبه احد من التابعين
ولا الايمة الاربعة وقول الشافعي في الصلاة انها ليست كالصيام فلا يدخل احد فيها
الا بذكر اي تكبيرة الاحرام ليس الا وكيف يستحب الشافعي امرا لم يفعله صلى الله عليه
وسلم في صلاة واحدة ولا احد من اصحابه انتهى **وعبارة** الشافعي في كتاب المناسك
ولو نوى الاحرام بقلبه ولم يلب اجزاه وليس كالصلاة لان في اولها نطقا
واجبا هذا نصه وقد قال الشيخ ابو علي السنجي في شرح التلخيص وابن الرفعة
في المطلب والزركشي في الديباج وغيرهم انما اراد الشافعي بذلك تكبيرة الاحرام
فقط انتهى وبالجملة فلم ينقل احد انه عليه الصلاة والسلام تلفظ بالنية
ولا علم احدا من اصحابه التلفظ بها ولا اقره على ذلك بل المنقول عنه
في السنن انه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم

وفي

وفي الصحيحين انه عليه الصلاة والسلام لما علم المسيء صلاته قال له اذا قمت الى
الصلاة فكبر ثم اقرا ما تيسر معك من القران فلم يامره بالتلفظ بشيء قبل التكبير
نعم اختلف العلما في التلفظ بها فقال قايلون بدعة لانه لم ينقل فعله **وقال**
اخرون هو مستحب لانه عون على استحضار النية القلبية وعبادة اللسان كما انه
عبودية للقلب والافعال المنوية عبودية الجوارح ونحو ذلك اجاب الشيخ تقي
الدين السبكي والحافظ عماد الدين بن كثير **واطنب** ابن القيم في غير الهدي في رد
الاستحباب وانكر في الاستدلال بما في ذكره طول يخرجنا عن المقصود لا سيما والذي استقر عليه
اصحابنا استحباب النطق بها وقاسه بعضهم على ما في الصحيحين من حديث انس انه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا يقول لبيك عمرة وحجا وفي البخاري
من حديث عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بوادي العقيق اتاني
الليلة ات من ربي فقال صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حج
وهذا تصريح باللفظ والحكم كما يثبت بالنص يثبت بالقياس لكن تعقب هذا بانه
عليه الصلاة والسلام قال ذلك في ابتدا احرامه تعليما للصحابة ما يهلون به وليعلمهم
من المناسك وامتثالا للامر الذي جاءه من ربه تعالى في ذلك الوادي **ولقد** صلى عليه
الصلاة والسلام اكثر من ثلاثين الف صلاة فلم ينقل عنه انه قال نويت اصلي
صلاة كذا وكذا وتركه سنة كما ان فعله سنة فليس لنا ان نسوي بين ما فعله
وتركه فناتي من القول في الموضع الذي تركه بنظير ما اتى به في الموضع الذي
فعله والفرق بين الحج والصلاة اظهر من ان يقاس احدهما على الاخر انتهى
ما قاله هذا المتعقب فليتامل **وكان** صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة
رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم يكبر فاذا اراد ان يركع فعل مثل ذلك
فاذا رفع راسه من الركوع فعل مثل ذلك وفي رواية واذا رفع راسه من
الركوع رفعهما كذلك ايضا وقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد وفي
اخرى نحوه وقال ولا يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع من السجود رواه البخاري
ومسلم وعند ابي داود من حديث علي انه كان صلى الله عليه وسلم اذا قام
من السجدتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع حين افتتح
وهو قطعة من حديث رواه ايضا الترمذي وكان يكبر في كل خفض ورفع
رواه مالك وقال النووي اجمعت الامة على استحباب رفع اليدين
عند تكبيرة الاحرام واختلفوا فيما سواها فقال الشافعي واحمد وجمهور
العلما من الصحابة يستحب ايضا رفعهما عند الركوع وعند الرفع منه وهو رواية
عن مالك وللشافعي قول انه يستحب رفعهما في موضع رابع وهو اذا قام
من التشهد الاول وهذا القول هو الصواب فقد صح فيه حديث ابن عمر

عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يفعله رواه البخاري وكان صلى الله عليه وسلم يضع
يده اليمنى على اليسرى رواه ابو داود ومذهب الشافعي والاكثرين ان المصلي اذا وضع
يديه حطهما تحت صدره فوق سرته وقال ابو حنيفة وبعض الشافعية تحت سرته
وكان عليه الصلاة والسلام يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة فقال له ابو هريرة
يا رسول الله بابي انت وامي اسكاتك بين التكبير وبين القراءة ما تقول قال اقول اللهم
باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من الخطايا
كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد رواه
البخاري ومسلم وعن علي كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة وفي رواية اذا
افتتح الصلاة كبر ثم قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من
المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا
من المسلمين اللهم انت الملك لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت
بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق انه
لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها الا يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك
والخير كله في يديك والشر ليس اليك انا بك واليك تباركت وتعاليت استغفرك
واتوب اليك الحديث رواه مسلم وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا افتتح
الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك رواه الترمذي
وابو داود وعن جبير ابن مطعم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة
قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا اعوذ بالله من الشيطان
ونفخه ونفثه وهمزه قال ابن عمر نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة رواه
ابو داود وعن محمد ابن مسلمة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام يصلي
تطوعا قال الله اكبر وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا
من المشركين وذكر الحديث مثل حديث جابر الا انه قال وانا من المسلمين ثم قال
اللهم انت الملك لا اله الا انت سبحانك وبحمدك ثم يقرا رواه النسائي **الفرع الثاني**

في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم البسملة في اول الفاتحة روي
عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن
الرحيم رواه ابو داود وقال الترمذي ليس اسناده بذاك ورواه الحاكم عن
ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
ثم قال صحيح وفي صحيح ابن خزيمة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرا البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها اية لكنه من رواية عمر
ابن هارون البلخي وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عنها وروى
الحافظ ابو بكر احمد ابن موسى ابن مردويه في تفسيره عن ابي هريرة قال

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم
احداهن وهي السبع المثاني والقران العظيم وهي ام الكتاب ورواه الدارقطني ايضا
عن ابي هريرة مرفوعا بنحوه او مثله وقال كلهم ثقات وروى البيهقي عن علي وابن عباس
وابي هريرة انهم فسروا قوله سبعا من المثاني بالفاتحة وان البسملة هي الاية السابعة
منها وعن شعبة عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا
يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين رواه البخاري اي كانوا يفتتحون بالفاتحة
وفي رواية مسلم فلم اسمع احدا منهم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم كذا اخرجه مسلم وغيره
لكنه حديث معلول اعله الحفاظ كما هو في كتب علوم الحديث وفي شرح الفقهية العراقي
لشيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي امتع الله بوجوده في باب العلل وعلة المتن القادحة
فيه كحديث نفي قراءة البسملة في الصلاة المروي عن انس اذ ظن راو من رواته حين سمع
قول انس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان رضي الله
تعالى عنهم فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين نفي البسملة فنقله مصرحا
بما ظنه وقال لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول القراءة ولا في اخرها وفي لفظ فلم
يكونوا يفتتحون القراءة ببسم الله وصار بمقتضى ذلك حديثا مرفوعا والراوي لذلك
مخطي في ظنه وكذا قال الشافعي رحمه الله في الام ونقله عنه الترمذي في جامعه المعنى
انهم يبتدون بقراءة ام القران قبل ما يقرا بعدها لا انهم يتركون البسملة اصلا
ويتايد بثبوت تسمية ام القران بجملة الحمد لله رب العالمين في صحيح البخاري وكذا
بحديث قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت
مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم اخرجه البخاري
في صحيحه وكذا صححه الدارقطني والحازمي وقال انه لا علة له لان الظاهر كما اشار
اليه ابو شامة ان قتادة لما سال انسا عن الاستفتاح في الصلاة باي سورة واجابه
بالحمد لله ساله عن كيفية قراءته فيها وكانه لم يرا ابهام السايل لما نقل عن تعيينه
بقتادة خصوصا وهو السايل اولا وقد اخرج ابن خزيمة في صحيحه وصححه الدارقطني
ان ابا سلمة سعيد ابن يزيد سال انسا اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح
بالحمد لله او ببسم الله الرحمن الرحيم فقال لا احفظ فيه شيا قال وهذا انما يتايد به
خطا النافي ولكن قد روي هذا الحديث عن الجماعة منهم حميد وقتادة
والتحقيق ان المعلل رواية حميد خاصة اذ رفعها وهم من الوليد ابن مسلم
عن مالك عنه بل قال دون بعض اصحاب حميد الطويل عنه فانها في ساير الموطات عن
مالك صليت وراء ابي بكر وعمر وعثمان فكلهم كان لا يقرا بسم الله لا ذكر للنبي
صلى الله عليه وسلم فيه وكذا الذي عند ساير حفاظ اصحاب حميد عنه انما
هو في الوقف خاصة وبه صرح ابن معين عن ابن ابي عدي حيث قال ان حميدا

كان اذا رواه عن انس لم يرفعه واذا قال فيه عن قتادة عن انس رفعه
واما رواية قتادة وهي من رواية الوليد ابن مسلم وغيره عن الاوزاعي
ان قتادة كتب اليه يخبره ان انسا حدثه قال صليت فذكره بلفظ لا يذكرون
بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في اخرها فلم يتفق اصحابه عنه على هذا اللفظ
بل اكثرهم لا ذكر عندهم للنفي فيه وجماعة منهم بلفظ فلم يكونوا يجهرون ببسم الله وممن
اختلف عليه فيه من اصحابنا شعبة فجماعة منهم غندر لا ذكر عندهم فيه للنفي وابو
داود الطيالسي فقط حسبما وقع من طريق غير واحد عنه بلفظ فلم يكونوا يفتتحون
القراءة ببسم الله وهي موافقة للاوزاعي وابو عمر الدوري وكذا الطيالسي عند
ايضا بلفظ فلم اسمع احدا منهم يقرا بسم الله وكذا اختلف عن قتادة من اصحاب
انس فاسحاق ابن ابي طلحة وثابت البناني باختلاف عليهما ومالك بن دينار ثلاثتهم
عن انس بدون نفي واسحاق وثابت ايضا ومنصور ابن زاذان وابو قلابة وابو
نعامة كلهم عنه باللفظ النافي للجهر خاصة ولفظ اسحاق منهم يفتتحون القراءة
بالحمد لله رب العالمين فيما يجهر فيه وحينئذ فطريق الجمع بين هذه الروايات كما
قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله ممكن بحمل نفي القراءة على نفي السماع
ونفي السماع على نفي الجهر ويؤيده ان لفظ رواية منصور ابن زاذان فلم يسمعنا
قراءة بسم الله واصرح منه رواية الحسن عن انس كما عند ابن خزيمة كانوا
يسرون ببسم الله وبهذا الجمع زالت دعوى الاضطراب كما انه ظهر ان الاوزاعي
الذي رواه عن قتادة مكاتبة مع كون قتادة ولد اكمه وكاتبه مجهول لعدم
تسميته لم ينفرد به وحينئذ فيجاب عن قول انس لا احفظه بان المثبت
مقدم على النافي خصوصا وقد تضمن النفي عدم استحضار انس رضي الله عنه
لاهم شي يستحضره وبامكان نسيانه حين سوال ابي سلمة له وتذكره له بعد فانه
ثبت ان قتادة ايضا سأله ايقرا الرجل في الصلاة بسم الله فقال صليت
وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلم اسمع احدا منهم يقرا بسم
الله ويحتاج اذا استقر محمل حديث انس على نفي الجهر الى دليله وان لم يكن من
صاحبنا وقد ذكر له الشارح دليلا وارشد شيخنا يعني الحافظ ابن حجر
لما يوخذ منه ذلك بل قال ان قول نعيم المجمر صليت وراء ابي هريرة فقرا
بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرا بام الكتاب القران حتى بلغ ولا الضالين
وقال الناس امين وكان كلما سجد واذا قام من الجلوس في الاثنتين يقول
الله اكبر واذا سلم يقول والذي نفسي بيده اني لاشبهكم صلاة برسول الله
صلى الله عليه وسلم اصح حديث ورد فيه ولا علة له وممن صححه ابن خزيمة
وابن حبان ورواه النسائي والحاكم وقد بوب عليه النسائي الجهر ببسم الله

الرحمن

الرحمن الرحيم ولكن تعقب الاستدلال به باحتمال ان يكون ابو هريرة اراد بقوله اشبهكم
في معظم الصلاة لا في جميع اجزائها لا سيما وقد رواه عنه جماعة غير نعيم بدون ذكر البسملة
واجيب بان نعيما ثقة فزيادته مقبولة والخبر ظاهر في جميع الاجزاء فيحمل على
عمومه حتى يثبت دليل يخصه ومع ذلك فيتطرق احتمال ان يكون سماع نعيم لها من ابي
هريرة حال مخافتته لقربه منه وقد قال الامام فخر الدين الرازي في تصنيف له
في الفاتحة روى الشافعي باسناده وكذا رواه الحاكم في مستدركه ان معاوية قدم المدينة
فصلى بهم ولم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم
ناداه المهاجرون والانصار يا معاوية اسرقت الصلاة اين بسم الله الرحمن الرحيم اين
التكبير عند الركوع والسجود فاعاد الصلاة مع التسمية والتكبير ثم قال الشافعي وكان
معاوية سلطانا عظيم القوة شديد الشوكة فلولا ان الجهر بالتسمية والتكبير كان كالامر
المقرر عند كل الصحابة من المهاجرين والانصار لما قدروا على اظهار الانكار عليه
بسبب تركه انتهى وهو حديث حسن اخرجه الحاكم في صحيحه والدارقطني وقال ان رجاله
ثقات ثم قال الامام بعد وقد بينا ان هذا يعني الانكار المتقدم يدل على ان الجهر
بهذه الكلمة كالامر المتواتر فيما بينهم وكذا قال الترمذي عقب ايراده بعد ان ترجم
بالجهر بالبسملة حديث معتمر ابن سليمان عن اسماعيل ابن حماد ابن ابي سليمان عن
ابي خالد الوالبي الكوفي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه يفتتح الصلاة
ببسم الله الرحمن الرحيم ووافقه على تخريجه الدارقطني وابو داود وضعفه بل وقال
الترمذي ليس اسناده بذاك والبيهقي في المعرفة واستشهد له بحديث سالم الافطس
عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه يجهر ببسم الله
الرحمن الرحيم يمد بها صوته الحديث وهو عند الحاكم في مستدركه ايضا بلفظه
وقد قال بهذا عدة من اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابو
هريرة وابن عمر وابن الزبير ومن بعدهم من التابعين راوا الجهر ببسم الله الرحمن
الرحيم به يقول الشافعي انتهى وقال الشيخ ابو شامة ابن النقاش والذي
يروم تحقيق هذه المسالة ينبغي ان يعرف ان هذه المسالة بعلم القراءات
اشبه وذلك ان من القراء الذين صحت قراءتهم وتواترت عن النبي صلى الله عليه
وسلم من كان يقراها اية من الفاتحة وهم عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير
وغيرهم من الصحابة والتابعين ومنهم من لا يعدها اية من الفاتحة كابن عامر
وابي عمرو ونافع في رواية عنه وحكم قراءتها في الصلاة حكم قراءتها خارجها
فمن قرا على قراءة من جعلها من ام القران لزمه فرضا ان يقراها ومن قرا
على قراءة من لم يرها من ام القران فهو مخير بين القراءة والترك تخفيفه م
الخلاف فيها كالخلاف في حرف من حروف القران وكلا القولين صحيح ثابت

لا مطعن على مثبته ولا على منفيه ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم تارة قرأ بها وتارة لم يقرأ بها هذا هو الانصاف ثم قال والمستيقن الذي يجب المصير اليه ان كلا من العملين ثابت لانه لا يختلف اثنان من اهل الاسلام ان هذه القراءات السبع كلها حق مقطوع بانها من عند الله وليست هذه اول كلمة ولا اول حرف اختلف في اثباته وحذفه وكل سورة من القرآن ليس فيها ذلك كلفظ هو في سورة الحديد وهو الغني الحميد ولفظ من في سورة التوبة في قوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار والفاظ عديدة وواوات وهاآت كذلك وكل هذا من نتيجة كون القرآن نزل على سبعة احرف وهذا هو الذي يدلك على بطلان قول من لم يجعلها من الفاتحة لموضع اختلاف الناس فيها وقوله ان الاختلاف لا يثبت معه قرآن فما ادري ما هذا الظن وهذا الذي ذكرناه هو الذي يريحك من تلك التقريرات من الجانبين ثم قال ولا ريب ان الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم كلا الامرين من الجهر والاسرار فجهر واسر غير ان اسراره كان اكثر من جهره **وقد صح** في الجهر احاديث لا مطعن فيها المنصف عن ثلاثة احاديث كما انه قد صح في الاسرار بها احاديث لا مطعن فيها لعار من العصبية ولا يلتفت لقول من يقول ان الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم كان الجهر فقط انتهى **وقيل** لبعض العارفين بماذا ترى ظهر اسم الامام الشافعي وعلا ذكره فقال الذي ذكره باظهار اسم الله في البسملة بكل صلاة انتهى

الفرع الثالث في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم الفاتحة

وقوله امين بعدها كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال امين ومد بها صوته وفي بعض رواية وخفض بها صوته رواه الترمذي وفي رواية ابي داود ورفع بها صوته وفي رواية له جهر بامين وقال ابن شهاب وكان صلى الله عليه وسلم اذا قال ولا الضالين جهر بامين اخرجه السراج ولابن حبان من رواية الزبيدي عن ابن شهاب كان اذا فرغ من قراءة ام القرآن رفع صوته وقال امين وللحميدي من طريق سعيد المقبري عن ابي هريرة بنحوه بلفظ اذا قال ولا الضالين ولابي داود وصححه ابن حبان من حديث وائل ابن حجر نحو رواية الزبيدي وفيه رد على من اومأ الى النسخ فقال انما كان صلى الله عليه وسلم يجهر بامين في ابتدا الاسلام ليعلمهم فان وائل ابن حجر انما اسلم في اواخر الامر

الفرع الرابع في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم بعد الفاتحة في صلاة الغداة عن ابي برزة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الغداة ما بين الستين الى المائة رواه النسائي وعن عمرو ابن حريث انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر والليل اذا عسعس رواه مسلم وفي رواية النسائي انه صلى الله عليه وسلم قرأ في الفجر اذا الشمس كورت وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر بق والقرآن المجيد ونحوها وكانت قراءته بعد تخفيفا رواه مسلم **وعن** عبد

الله ابن السائب قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنون حتى جاء ذكر موسى وهارون او ذكر عيسى شك الراوي او اختلف اخذت النبي صلى الله عليه وسلم سعلة فركع الحديث رواه مسلم **قال** النووي فيه جواز قطع القراءة ببعض السورة وكرهه مالك انتهى **وتعقب** بان الذي كرهه مالك ان على من يقتصر على بعض السورة مختارا والمستدل به ظاهر في انه كان للضرورة فلا يرد عليه وكذا يرد على من استدل به على انه لا يكره قراءة بعض الاية اخذا من قوله حتى جاء ذكر موسى وهارون او ذكر عيسى لان كلا من الموضعين يقع في وسط اية نعم الكراهة لا تثبت الا بدليل وادلة الجواز كثيرة وفي حديث زيد ابن ثابت انه صلى الله عليه وسلم قرأ الاعراف في الركعتين وام ابو بكر بالصحابة في صلاة الصبح بسورة البقرة قرأها في الركعتين وهذا اجماع منهم وقرأ في الصبح اذا زلزلت في الركعتين كلتيهما قال الراوي فما ادري انسي ام قرأ ذلك عمدا رواه ابو داود **وكان** صلى الله عليه وسلم يقرأ في صبح الجمعة الم تنزيل السجدة وهل اتى على الانسان حين من الدهر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي من حديث ابي هريرة وانما كان يقرأهما كاملتين وقراءة بعضهما خلاف السنة وانما كان يقرأ بهما لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق آدم ودخول الجنة والنار واحوال يوم القيامة لان ذلك يقع يوم الجمعة ذكره ابن دحية في العلم المشهور وقرره تقريرا حسنا كما افاده ابن حجر **قال** وقد ورد في حديث ابن مسعود التصريح بمداومته صلى الله عليه وسلم على قراءتهما في صبح الجمعة اخرجه الطبراني ولفظه يديم ذلك واصله في ابن ماجه لكن بدون هذه الزيادة ورجاله ثقات لكن صوب ابو حاتم ارساله قال وكان ابن دقيق العيد لم يقف عليه فقال في الكلام على حديث الباب ليس في الحديث ما يقتضي فعل ذلك دائما اقتضاء قويا وهو كما قال بالنسبة لحديث الباب فان الصيغة ليست نصا في المداومة لكن الزيادة المذكورة نص في ذلك ولهذه الزيادة شاهد من حديث ابن عباس بلفظ كل جمعة اخرجه الطبراني في الكبير واما تعيين السورة للركعة فورد من حديث علي عند الطبراني بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعة الاولى من صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل وفي الركعة الثانية هل اتى على الانسان وقد اختلف تعليل المالكية لكراهة قراءة السجدة في الصلاة **فقيل** لكونها تشتمل على زيادة سجود بالفرض **قال** القرطبي وهو تعليل فاسد بشهادة هذا الحديث وقيل لخشية التخليط على المصلين ومن ثم فرق بعضهم بين الجهرية والسرية لان الجهرية يؤمن معها التخليط لكن صح من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة فيها سجدة في صلاة الظهر فسجد بهم فيها رواه ابو داود والحاكم فتبطل التفرقة ومنهم من علل الكراهة بخشية اعتقاد العوام انها فرض **قال** ابن دقيق العيد اما القول بالكراهة مطلقا فيأباه الحديث

لكن إذا انتهى الحال إلى وقوع هذه المفسدة فينبغي أن تترك أحيانا لتندفع فإن
المستحب قد يترك لدفع المفسدة المتوقعة وهو يحصل في بعض الأوقات انتهى
قال المحيط من الحنفية يستحب قراءتهما في صبح يوم الجمعة بشرط أن يقرأ غير ذلك
أحيانا لئلا يظن الجاهل أنه لا يجزئ غيره قال ولم أر في شيء من الطرق التصريح
بأنه صلى الله عليه وسلم سجد لما قرأ سورة الم تنزيل في هذا المحل إلا في كتاب الشريعة لابن أبي
داود من طريق أخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غدوت على النبي صلى الله
عليه وسلم يوم الجمعة في صلاة الفجر فقرأ سورة فيها سجدة فسجد الحديث وفي إسناده من
ينظر في حاله انتهى وعن علي عند الطبراني في المعجم الأوسط أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سجد في الصبح يوم الجمعة في الم تنزيل وهذه الزيادة حسنة تدفع احتمال أن تكون
قراءة السورة ولم يسجد **الفرع الخامس في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم
في الصلاة في الظهر والعصر** عن أبي قتادة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأ في الظهر في الأوليين بأم الكتاب وسورتين وفي الركعتين الأخريين بأم الكتاب
ويسمعنا الآية أحيانا ويطول في الركعة الأولى ما لا يطول في الركعة الثانية
وهكذا في العصر وهكذا في الصبح رواه البخاري ومسلم قال الشيخ تقي الدين السبكي
كان السبب في تطويله الأولى على الثانية أن النشاط في الأولى يكون أكثر فناسب
التخفيف في الثانية حذرا من الملال انتهى وروى عبد الرزاق عن معمر عن يحيى
آخر هذا الحديث فظننا أنه يريد بذلك أن يدرك الناس الركعة الأولى وعن أبي
سعيد الخدري قال كنا نحزر قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهر والعصر
فحزرنا قيامه في الركعتين الأوليين من الظهر قدر الم تنزيل السجدة وفي رواية في
كل ركعة قدر ثلاثين آية وحزرنا قيامه في الأخريين قدر النصف من ذلك وحزرناه
في الركعتين الأوليين من العصر قدر قيامه في الأخريين من الظهر وفي الأخريين من
العصر على النصف رواه مسلم وعن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر
بالليل إذا يغشى وفي رواية بسبح اسم ربك الأعلى وفي العصر نحو ذلك الحديث رواه
مسلم وعنه كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء ذات البروج والسماء والطارق
رواه أبو داود والترمذي وعن البراء كنا نصلي خلفه صلى الله عليه وسلم الظهر
فنسمع منه الآية بعد الآيات من لقمان والذاريات رواه النسائي قال
ابن دقيق العيد فيه دليل على جواز الاكتفاء بظاهر الحال في الإخبار دون التوقف
على اليقين لأن الطريق إلى العلم بقراءة السورة في السرية لا يكون إلا بسماع كلها
وإنما يفيد يقين ذلك لو كان في الجهرية وكأنه مأخوذ من سماع بعضها مع قيام
القرينة على قراءة باقيها ويحتمل أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم
عقب الصلاة دائما أو غالبا بقراءة السورتين وهو بعيد جدا انتهى وعن أم

قرأ

قرأ صلى الله عليه وسلم في الظهر بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية
رواه النسائي وعن أبي سعيد كانت صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب إلى البقيع فيقضي
حاجته ثم يأتي أهله فيتوضأ ويدرك النبي صلى الله عليه وسلم في الركعة الأولى رواه مسلم
الفرع السادس في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب عن أم الفضل
بنت الحارث رضي الله عنها قالت سمعته صلى الله عليه وسلم يقرأ بالمرسلات عرفا رواه
البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي والنسائي وفي رواية أنها آخر ما سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرح عقيل في روايته عن ابن شهاب أنها آخر صلاة
صلاها صلى الله عليه وسلم ولفظه ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله أورده البخاري في باب
الوفاة وعنده في باب إنما جعل الإمام ليؤتم به من حديث عائشة أن الصلاة التي
صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه في مرض موته كانت الظهر وجمع بينهما بأن الصلاة
التي حكتها عائشة كانت في المسجد والتي حكتها أم الفضل كانت في بيته كما رواه
النسائي لكن يعكر عليه رواية ابن إسحاق عن ابن شهاب في هذا الحديث بلفظ خرج
إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب رأسه في مرضه فصلى المغرب الحديث رواه
الترمذي ويمكن حمل قوله خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي من مكانه الذي هو راقد
فيه إلى من في البيت فصلى بهم فتلتئم الروايات وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور رواه البخاري ومسلم زاد البخاري في الجهاد
وكان جبير بن مطعم جاء في أسارى بدر وزاد الإسماعيلي وهو يومئذ مشرك وللبخاري
في المغازي وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي وللطبراني وأخذني من قراءته الكرب
ولسعيد بن منصور فكأنما صدع قلبي وفي قوله سمعته صلى الله عليه وسلم
دليل على الجهر بها والله أعلم وعن مروان بن الحكم قال قال لي زيد بن ثابت
ما لك تقرأ في المغرب بقصار المفصل وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بطولى
الطوليين رواه البخاري زاد أبو داود قلت وما طولى الطوليين قال الأعراف
وفي رواية النسائي من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب بسورة الأعراف
فرقها في الركعتين وعن عبد الله بن عتبة قرأ صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب
بحم الدخان رواه النسائي وهذه الأحاديث في القراءة مختلفة المقادير
لأن الأعراف من السبع الطول والطور من طوال المفصل والمرسلات من
أوساطه قال الحافظ ابن حجر ولم أر حديثا مرفوعا فيه التنصيص
على القراءة فيها بشيء من قصار المفصل إلا حديثا في ابن ماجه عن ابن عمر نص فيه
على الكافرون والإخلاص ومثله لابن حبان عن جابر بن سمرة فأما حديث
ابن عمر فظاهر إسناده الصحة إلا أنه معلول قال الدارقطني أخطأ بعض رواته
فيه وأما حديث جابر بن سمرة ففيه سعيد بن سماك وهو متروك والمحفوظ

انه قرا بهما في الركعتين بعد المغرب واعتمد بعض اصحابنا وغيرهم حديث سليمان بن
يسار عن ابي هريرة قال ما رايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم
من فلان قال سليمان فكان يقرا في الصبح بطوال المفصل وفي المغرب بقصار المفصل
رواه النسائي وصححه ابن خزيمة وغيره وهذا يشعر بالمواظبة على ذلك لكن في الاستدلال
به نظر بعد حديث رافع انهم كانوا يتنفلون بعد صلاة المغرب يدل على تخفيف القراءة
فيها وطريق الجمع بين هذه الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان احيانا يطيل القراءة في
المغرب اما لبيان الجواز واما لعلمه بعدم المشقة على المأمومين وليس في حديث جبير
دليل على ان ذلك تكرر منه **واما** حديث زيد بن ثابت ففيه اشعار بذلك لكونه انكر
على مروان المواظبة على القراءة بقصار المفصل ولو كان مروان يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
واظب على ذلك لاحتج به على زيد لكن لم يرد زيد فيما يظهر المواظبة على القراءة بالطول
وانما اراد منه ان يتعاهد ذلك كما رآه من النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث ام الفضل
اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الصبح باطول من المرسلات لكونه كان في
حال شدة مرضه وهو مظنة التخفيف وهو يرد على ابي داود ادعاء نسخ التطويل
لانه روى عقب حديث زيد بن ثابت من طريق عروة انه كان يقرا في المغرب بالقصار
قال وهذا يدل على نسخ حديث زيد ولم يبين وجه الدلالة وكيف تصح دعوى
النسخ وام الفضل تقول ان اخر صلاة صلاها بهم قرا بالمرسلات قال ابن خزيمة
في صحيحه هذا من الاختلاف المباح فجائز للمصلي ان يقرا في المغرب وفي الصلوات كلها
بما احب الا انه اذا كان اماما استحب له ان يخفف القراءة انتهى والراجح عند النووي
ان المفصل من الحجرات الى اخر القران والله اعلم **الفرع السابع في ذكر ما كان**
صلى الله عليه وسلم يقرا في صلاة العشاء عن البراء كان صلى الله عليه وسلم
يقرا في العشاء والتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا او قراءة منه
صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا اتى على اية عذاب
وقف وتعوذ رواه الترمذي من حديث حذيفة وكان اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى
قال سبحان ربي الاعلى رواه احمد وابو داود من رواية ابن عباس وقال صلى الله
عليه وسلم من قرا منكم والتين والزيتون فانتهى الى اليس الله باحكم الحاكمين فليقل
بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرا لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى قوله
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرا والمرسلات عرفا
فبلغ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل امنا بالله رواه ابو داود والترمذي
الى قوله وانا على ذلك من الشاهدين وكان صلى الله عليه وسلم يسكت بين
التكبير والقراءة اسكاتة وعنها سأله ابو هريرة ويسكت بعد الفاتحة ويسكت
ثالثة بعد قراءة السورة وهي سكتة لطيفة جدا حتى يتراد اليه النفس

ولم

ولم يكن يصل القراءة بالركوع **واما** السكتة الاولى فانه كان يجعلها بقدر الاستفتاح
واما الثانية فلاجل قراءة المأموم الفاتحة فينبغي تطويلها بقدر ما ذكره في زاد المعاد
وعن سمرة بن جندب سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
في صلاته واذا فرغ ثم قال بعد ذلك واذا قرا ولا الضالين قال وكان يعجبه اذا فرغ
من القراءة ان يسكت حتى يتراد اليه نفسه رواه الترمذي **الفرع الثامن في**
ذكر صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم عن ابي حميد الساعدي كان صلى الله عليه
وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه فذكر الحديث الى ان قال
ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه
ثم يعتدل فلا يصوب راسه ولا يقنع رواه ابو داود والدارمي **الفرع**
التاسع في ذكر مقدار ركوعه صلى الله عليه وسلم عن جبير قال سمعنا انس
ابن مالك يقول ما صليت وراء احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه صلاة
بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز
قال فحزرنا ركوعه عشر تسبيحات وسجوده عشر تسبيحات رواه ابو داود وعن
البراء كان ركوع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجوده وبين السجدتين واذا رفع
من الركوع ما خلا القيام والقعود قريبا من السواء رواه البخاري ومسلم **قال**
النووي هذا الحديث محمول على بعض الاحوال والا فقد ثبت في الحديث تطويل
القيام فانه كان يقرا في الصبح بالستين الى المائة وفي الظهر بالم السجدة وانه
كان تقام الصلاة فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم يرجع الى اهله
فيتوضأ ثم ياتي المسجد فيدرك الركعة الاولى وانه قرا سورة المؤمنون حتى بلغ
ذكر موسى وهارون وانه قرا في المغرب بالطور والمرسلات وفي البخاري بالاعراف
وشبه هذا وكله يدل على انه كانت له في اطالة القيام احوال بحسب الاوقات وهذا
الحديث الذي نحن فيه جرى في بعض الاوقات انتهى وقال ابن القيم مراد البراء
ان صلاته صلى الله عليه وسلم كانت معتدلة فكان اذا اطال القيام اطال
الركوع والسجود واذا خفف خفف الركوع والسجود وتارة يجعل الركوع
والسجود بقدر القيام وهديه صلى الله عليه وسلم اعتدال الصلاة وتناسبها
انتهى **الفرع العاشر في ذكر ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم**
في الركوع والرفع منه عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول
في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران
رواه البخاري ومسلم ومعنى يتاول القران يعمل بما امر به في قوله تعالى فسبح
بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فكان صلى الله عليه وسلم يقول هذا
الكلام البديع في الجزالة المستوفي ما امر به في الاية **وعنها** كان صلى الله

عليه وسلم يقول في ركوعه سبوح قدوس رب الملائكة والروح رواه مسلم وعن حذيفة
انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى
وكان صلى الله عليه وسلم اذا ظهره من الركوع قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد رفعه
ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد رواه مسلم **قال النووي** يبدي
يعني المصلي بقوله سمع الله لمن حمده حين الشروع في الرفع من الركوع ويمده حتى ينتصب
قائما ثم يشرع في ذكر الاعتدال وهو ربنا لك الحمد الخ قال وفي هذا الحديث دلالة للشافعي
وطائفة انه يستحب لكل مصل من امام ومأموم ومنفرد ان يجمع بين سمع الله لمن حمده
وربنا لك الحمد في حال استوائه وانتصابه في الاعتدال لانه ثبت انه صلى الله عليه وسلم
فعلهما جميعا وقد قال عليه الصلاة والسلام صلوا كما رايتموني اصلي رواه البخاري انتهى
وقال ابن القيم كان عليه الصلاة والسلام اذا استوى قائما قال ربنا ولك الحمد وربما
قال ربنا لك الحمد وربما قال اللهم ربنا ولك الحمد صح عنه ذلك كله واما الجمع بين اللهم
والواو فلم يصح انتهى **قلت** وقع في صحيح البخاري من حديث ابي هريرة في رواية
الاصيلي مرفوعا اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد فجمع
بين اللهم والواو وهو يرد على ابن القيم كما ترى وقال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة
كان اثبات الواو دالا على معنى زائد لانه يكون التقدير ربنا استجب او ما قارب
ذلك ولك الحمد فيكون الكلام مشتملا على معنى الدعاء ومعنى الخبر واذا قيل باسقاط
الواو دل على احدهما انتهى وقال ابن العراقي اسقاط الواو حكاه الشافعي عن ابن
قدامة وقال ان الواو للعطف وليس هنا شيء يعطف عليه وعن مالك واحمد في ذلك
خلاف وقال النووي كلا جاءت به روايات كثيرة والمختار انه على وجه الجواز وان
الامرين جائزان ولا ترجيح لاحدهما على الاخر انتهى وعن ابي سعيد الخدري قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع قال اللهم ربنا
لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد
احق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت
ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه مسلم **قوله** ملء السموات وملء الارض
اي حمدا لو كان اجساما لملأ السموات والارض ومعنى سمع الله لمن حمده
اي اجاب يعني ان من حمد الله تعالى متعرضا لثوابه استجاب الله له واعطاه
ما تعرض له فانا اقول ربنا لك الحمد لتحصل ذلك وقوله اهل منصوب على
النداء وقوله وكلنا لك عبد بالواو يعني واحق قول العبد لا مانع لما اعطيت
الخ واعترض بينهما قوله وكلنا لك عبد ومثل هذا الاعتراض قوله تعالى
قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى
على قراءة من قرأ وضعت بفتح العين واسكان التاء والجد بفتح الجيم الاجتهاد

اي لا ينفع ذا الاجتهاد منك اجتهاده انما ينفعه رحمتك **وقيل** الغنى اي لا ينفع ذا
الغنى منك غناه وانما ينفعه الايمان والطاعة **وقيل** غير ذلك والله اعلم وفي رواية
ابن ابي اوفى عند مسلم كان صلى الله عليه وسلم يقول بعد قوله من شيء بعد اللهم طهرني
بالثلج والبرد والماء البارد **الفرع الحادي عشر في ذكر صفة سجوده صلى
الله عليه وسلم وما يقول فيه** كان صلى الله عليه وسلم اذا انتهى من ذكر قيامه عن
الركوع يكبر ويخر ساجدا ولا يرفع يديه وقد روي انه عليه الصلاة والسلام كان يرفع
يديه ايضا وصححه بعض الحفاظ كابن حزم والذي غره ان الراوي غلط من قوله
كان يكبر في كل خفض ورفع الى قوله كان يرفع يديه في كل خفض ورفع وهو ثقة ولم
يفطن لسبب غلطه وهو وهم فصححه نبه عليه في زاد المعاد **وكان** عليه الصلاة والسلام
يضع ركبتيه قبل يديه رواه ابو داود ثم جبهته وانفه وقال امرت ان اسجد على
سبعة اعظم الجبهة واليدين والركبتين واطراف القدمين رواه البخاري ومسلم من حديث
ابن عباس قال النووي فينبغي للساجد ان يسجد على هذه الاعضاء كلها وان يسجد على الجبهة
والانف جميعا فاما الجبهة فيجب وضعها مكشوفة على الارض ويكفي بعضها والانف
مستحب فلو تركه جاز ولو اقتصر عليه وترك الجبهة لم يجزه هذا مذهب الشافعي ومالك
والاكثرين وقال ابو حنيفة عليهما معا لظاهر الحديث قال الاكثرون بل ظاهر الحديث
انهما في حكم عضو واحد لانه قال فيه سبعة فلو جعلا عضوين لصارت ثمانية **وكان**
عليه الصلاة والسلام اذا سجد فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه رواه الشيخان
وقالت ميمونة جافى بين يديه حتى لو شاءت بهيمة ان تمر بين يديه لمرت رواه مسلم
ولم يذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه سجد على كور عمامته ولم يثبت عنه ذلك
في حديث صحيح ولا حسن ولكن روى عبد الرزاق في المصنف عن ابي هريرة قال كان
صلى الله عليه وسلم يسجد على كور عمامته وهو من رواية عبد الله بن محرر وهو
متروك وذكر ابو داود في المراسيل انه صلى الله عليه وسلم راى رجلا يصلي يسجد
بجبينه وقد اعتم على جبهته فحسر صلى الله عليه وسلم عن جبهته وكان صلى
الله عليه وسلم يقول في سجوده اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله واوله واخره
وعلانيته وسره رواه مسلم من حديث ابي هريرة وقوله دقه وجله بكسر اولهما اي
قليله وكثيره وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت فقدت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه
وهو في السجود وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من
سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك رواه مسلم قال الخطابي في هذا الحديث معنى لطيف وذلك
انه عليه الصلاة والسلام استعاذ بالله وسأله ان يجيره برضاه من سخطه

بمعافاته من عقوبته والرضا والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والمعاقبة
فلما صار الى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به منه لا غير ومعناه الاستغفار من
التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه وقوله لا احصي ثناء عليك اي لا اطيقه
ولا اتي عليه وقيل لا احيط به وقال مالك لا احصي نعمتك واحسانك والثناء بها عليك
وان اجتهدت في الثناء عليك وقوله انت كما اثنيت على نفسك اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء
فانه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد الثناء الى الجملة دون التفصيل والاحصاء والتعيين فوكل
ذلك كله الى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا وكما انه لا نهاية لصفاته لا نهاية
للثناء عليه لان الثناء تابع للمثنى عليه فكل ثنى اثني به عليه وان كثر وطال وبالغ فيه فقدر
الله اعظم وسلطانه اعز وصفاته اكثر واكبر وفضله واحسانه اوسع واسبغ انتهى

وههنا فائدة لطيفة ذكرها بعض المحققين في نهيه صلى الله عليه وسلم عن قراءة
القران في الركوع والسجود وهو ان القران اشرف الكلام وحالتا الركوع والسجود حالتا
ذل وانخفاض من العبد فمن الادب مع كلام الله تعالى ان لا يقرا في هاتين الحالتين
ويكون حالة القيام والانتصاب اولى به والله اعلم وروى ابو داود انه صلى الله
عليه وسلم سجد على الماء والطين **وكان** صلى الله عليه وسلم يرفع راسه من السجود مكبرا
غير رافع يديه ويرفع منه راسه قبل يديه ثم يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى
وكان عليه الصلاة والسلام يجلس للاستراحة جلسة لطيفة بحيث تسكن جوارحه
سكونا بينا ثم يقوم الى الركعة الثانية كما في صحيح البخاري وغيره **قال** النووي ومذهبنا
استحبابها عقب السجدة الثانية من كل ركعة يقوم عنها ولا تستحب في سجود التلاوة في
الصلاة وكان عليه الصلاة والسلام يقول في السجدتين اللهم اغفر لي وارحمني واهدني
وعافني وارزقني رواه ابو داود والدارمي من حديث ابن عباس **الفرع الثاني
عشر في ذكر صفة جلوسه صلى الله عليه وسلم للتشهد كان**
صلى الله عليه وسلم اذا جلس للتشهد يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى رواه
مسلم قال النووي معناه يجلس مفترشا وفيه حجة لابي حنيفة ومن وافقه ان الجلوس
في الصلاة يكون مفترشا سواء فيه جميع الجلسات وعند مالك يسن متوركا بان
يخرج رجله اليسرى من تحته ويفضي بوركه الى الارض وقال الشافعي رحمه الله السنة
ان يجلس كل الجلسات مفترشا الا الجلسة التي يعقبها السلام والجلسات عند
الشافعي اربع الجلوس بين السجدتين وجلسة الاستراحة كل ركعة يعقبها قيام والجلسة
للتشهد الاول والجلسة للتشهد الاخير والجميع يسن مفترشا الا الاخيرة
ولو كان على المصلي سجود سهو فالاصح انه يجلس مفترشا في تشهده فاذا سجد
سجدتي السهو تورك ثم سلم هذا تفصيل مذهب الشافعي واحتج ابو حنيفة
باطلاق حديث عائشة هذا واحتج الشافعي بحديث ابي حميد الساعدي

في

في صحيح البخاري وفيه التصريح بالافتراش في الجلوس الاول والتورك في اخر الصلاة **وحمل**
حديث عائشة على هذا الجلوس في غير التشهد الاخير ليجمع بين الاحاديث انتهى فليتامل مع قول
ابن القيم في الهدي انه لم ينقل احد عنه صلى الله عليه وسلم ان هذا كان صفة جلوسه في التشهد
الاول ولا اعلم احدا قال به انتهى وقال ابو حميد الساعدي في عشرة من اصحابه صلى الله عليه
وسلم انا اعلمكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فاعرض فذكر الحديث الى ان
قال حتى اذا كانت السجدة التي فيها التسليم اخرج رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه الايسر
ثم سلم قالوا صدقت هكذا كان يصلي رواه ابو داود والدارمي وفي رواية لابي داود فاذا قعد
في الركعتين قعد على بطن قدمه اليسرى ونصب اليمنى فاذا كان في الرابعة افضى بوركه اليسرى الى
الارض واخرج قدميه من ناحية واحدة الحديث **وكان** عليه الصلاة والسلام اذا قعد
في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد
ثلاثا وخمسين واشار بالسبابة وفي رواية مسلم وضع يديه على ركبتيه ورفع اصبعه اليمنى
التي تلي الابهام يدعو بها ويده اليسرى على ركبته باسطها عليها وعند ابي داود من
حديث وائل ابن حجر ثم وضع مرفقه الايمن على فخذه اليمنى وقبض ثنتين وحلق حلقة ثم رفع
اصبعه فرايته يحركها يدعو وفي حديث ابن الزبير عنده ايضا كان يشير بها ولا يحركها
الحديث وكان صلى الله عليه وسلم يستقبل باصابعه القبلة في رفع يديه وركوعه وفي سجوده
وفي التشهد ويستقبل باصابع رجليه القبلة في سجوده **الفرع الثالث عشر في ذكر
تشهده صلى الله عليه وسلم كان** صلى الله عليه وسلم يتشهد دائما في هذه الجلسة
ويعلم اصحابه ان يقولوا التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا عبده ورسوله رواه مسلم من رواية ابن عباس وهو الذي اختاره الشافعي لزيادة
المباركات لا تشهد ابن مسعود وان قاله القاضي عياض رحمه الله تعالى وعبارة الشافعي
فيما اخرجه البيهقي بسنده الى الربيع ابن سليمان انبانا الشافعي جوابا لمن ساله بعد ذكر
حديث ابن عباس فلما رايت الرواة اختلفت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فروى
ابن مسعود خلاف هذا فساق الكلام الى ان قال فلما رايته واسعا وسمعته يعني حديث
ابن عباس صحيحا ورايته اكثر لفظا من غيره يعني من المرفوعات اخذت به
غير معنف لمن اخذ بغيره هذا اخر كلامه وليس فيه تصريح بالافضلية والعلم عند
الله وقال ابو حنيفة واحمد وجمهور الفقها واهل الحديث تشهد ابن مسعود
افضل لانه عند المحدثين اشد صحة وقال مالك رحمه الله تشهد عمر ابن الخطاب
الموقوف عليه افضل لانه علمه للناس على المنبر ولم ينازعه احد فدل على
تفضيله ومذهب الشافعي ان التشهد الاول سنة والثاني واجب وجمهور
المحدثين انهما واجبان وقال احمد الاول واجب يجبر تركه بالسجود والثاني

ركن تبطل الصلاة بتركه وقال ابو حنيفة ومالك وجمهور الفقها واهل الحديث هي
سنة وعن مالك رواية بوجوب الاخير وقد كان عليه الصلاة والسلام ياتي بالتشهدين
وذكر الغيلانيات عن القاسم بن محمد قال علمتني عايشة قالت هذا تشهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم التحيات لله والصلوات الطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله وهو مثل
حديث ابن مسعود رواه البيهقي باسناد جيد قال النووي في هذا فايدة حسنة وهي ان
تشهده عليه الصلاة والسلام بلفظ تشهدنا انتهى **قال** الحافظ ابن حجر وكانه يشير
الى رد ما وقع في الرافعي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في التشهد واشهد اني رسول الله وتعقبوه
بانه لم يرد كذلك صريحا لكن وقع في البخاري من حديث سلمة ابن الاكوع قال خفت ازواد القوم
فذكر الحديث وفيه فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله ومن لطايف
التشهد ما قاله البيضاوي وعلمهم ان يفردوه صلى الله عليه وسلم بالذكر لشرفه ومزيد
حقه عليهم فان قيل كيف شرع هذا اللفظ وهو خطاب لبشر مع كونه منهيا عنه في الصلاة
فالجواب انه لذلك خصايصه صلى الله عليه وسلم **فان قلت**
ما الحكمة في العدول عن الغيبة الى الخطاب في قوله عليك ايها النبي مع ان لفظ الغيبة
هو الذي يقتضيه السياق كان يقول السلام على النبي فينتقل من تحية الله الى تحية
النبي ثم الى تحية النفس ثم الى الصالحين **اجاب** الطيبي بما محصله نحن نتبع
لفظ الرسول بعينه الذي علمه للصحابة **و**يحتمل ان يقال على طريق اهل المعرفة
بالله ان المصلين لما استفتحوا باب الملكوت بالتحيات اذن لهم بالدخول في
حريم الحي الذي لا يموت فقرت اعينهم بالمناجات فنبهوا على ان ذلك بواسطة
نبي الرحمة وبركة متابعته فالتفتوا فاذا الحبيب في حرم الحبيب حاضر فاقبلوا
عليه قايلين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته انتهى **وقال** الترمذي
الحكيم في قوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من اراد ان يحظى بهذا
السلام الذي يسلمه الخلق في صلاتهم فليكن عبدا صالحا والا حرم هذا الفضل العظيم
وقال القفال في فتاويه وترك الصلاة يضر جميع المسلمين لان المصلي يقول اللهم
اغفر لي وللمومنين والمومنات ولا بد ان يقول في التشهد السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين فيكون مقصرا في خدمة الله تعالى وفي حق رسوله وفي حق نفسه
وفي حق كافة المسلمين ولذلك عظمت المعصية بتركها واستنبط منه السبكي ان في الصلاة
حقا للعباد مع حق الله وان من تركها اخل بجميع حق المومنين من مضى ومن
يجي الى يوم القيامة لوجوب قوله فيها السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين انتهى
وتقدم الكلام على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الاخير
وما في ذلك من المباحث في فصل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم **وعند**

الطبراني

145

الطبراني مرفوعا عن سهل ابن سعد لا صلاة لمن لم يصل على نبيه وكذا عند ابن ماجة
والدارقطني وعن ابي مسعود الانصاري عند الدارقطني من صلى صلاة لم يصل فيها
علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد
وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد رواه الحاكم **و**اغتر قوم بتصحيحه فوهموا فانه من رواية يحيى ابن
ابي السباق وهو مجهول عن رجل مبهم **و**بالغ ابن العربي في انكار ذلك فقال حذار
مما ذكره ابن ابي زيد من زيادة وترحم فانه قريب من البدعة لانه صلى الله عليه وسلم
علمهم كيفية الصلاة بالوحي ففي الزيادة على ذلك استدراك عليه انتهى **قال**
الحافظ ابن حجر وابن ابي زيد ذكر ذلك في الرسالة في صفة التشهد لما ذكر ما يستحب
في التشهد ومنه اللهم صل على محمد وآل محمد فزاد وترحم على محمد وآل محمد وبارك على
محمد وآل محمد الخ فان كان انكاره لكونه لم يصح فمسلم والا فدعوى من ادعى انه لا يقال
وارحم محمدا مردود لثبوت ذلك في عدة احاديث اصحها في التشهد السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال ثم وجدت لابن ابي زيد مستندا فاخرج الطبري
في تهذيبه من طريق حنظلة ابن علي عن ابي هريرة رفعه من قال اللهم صل على محمد كما
صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
شهدت له يوم القيامة وشفعت له ورجال سنده رجال الصحيح الا سعيد بن
سليمان مولى سعيد ابن العاص الراوي له عن حنظلة ابن علي فانه مجهول وهذا
كله فيما يقال مضموما الى السلام او الصلاة وقد وافق ابن العربي الصيدلاني
من الشافعية على المنع ونقل القاضي عياض عن الجمهور الجواز مطلقا وقال القرطبي
في المفهم انه الصحيح لورود الاحاديث به وخالفه غيره ففي الذخيرة من كتب
الحنفية عن محمد يكره ذلك لايهامه النقص لان الرحمة غالبا انما تكون بفعل
ما يلام عليه وجزم ابن عبد البر بمنعه فقال لا يجوز لاحد اذا ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم ان يقول رحمه الله لانه عليه الصلاة والسلام قال من صلى علي ولم يقل
من ترحم علي ولا من دعا لي وان كان معنى الصلاة الرحمة ولكنه خص بهذا
اللفظ تعظيما له فلا يعدل عنه الى غيره انتهى **و**اخرج ابو العباس السراج عن
ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على
ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وفي حديث بريدة رفعه اللهم اجعل
صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على ابراهيم

وعلى آل ابراهيم ووقع في حديث ابن مسعود عند ابي داود والنسائي على محمد النبي
الامي وفي حديث ابي سعيد على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم ولم يذكر
آل محمد ولا آل ابراهيم وعند ابي داود من حديث ابي هريرة اللهم صل على محمد النبي
وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته ووقع في آخر حديث ابن مسعود في العالمين
انك حميد مجيد قال النووي في شرح المهذب ينبغي ان يجمع ما في الاحاديث الصحيحة
فيقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم
وبارك مثله وزاد في آخره في العالمين وقال في الاذكار مثله وزاد عبدك ورسولك
بعد قوله محمد في صل ولم يزدها في وبارك وقال في التحقيق والفتاوى مثله الا انه
اسقط النبي الامي وقد تعقبه الاسنوي فقال لم يستوعب ما ثبت في الاحاديث
مع اختلاف كلامه وقال الاذرعي لم يسبق الى ما قاله والذي يظهر ان الافضل لمن تشهد
ان ياتي باكمل الروايات ويقول كل ما ثبت هذا مرة وهذا مرة واما التلفيق فانه يستلزم
احداث صفة في التشهد لم ترد مجموعة في حديث واحد وسبقه الى معنى ذلك ابن
القيم وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو في الصلاة اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر
واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات اللهم
واعوذ بك من المأثم والمغرم فقال له قائل ما اكثر ما تستعيذ من المغرم فقال
ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلف رواه البخاري ومسلم من رواية
عائشة قال ابن دقيق العيد فتنة المحيا ما يعرض للانسان مدة حياته من
الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات واعظمها والعياذ بالله امر الخاتمة عند
الموت وفتنة الممات يجوز ان يراد بها الفتنة عند الموت اضيفت اليه لقربها
منه ويجوز ان يكون المراد بها فتنة القبر ولا يكون مع هذا الوجه متكررا
مع قوله عذاب القبر لان العذاب مرتب على الفتنة والسبب غير المسبب وروى
الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن سفيان الثوري ان الميت اذا سئل من ربك
تراءى له الشيطان فيشير الى نفسه اي انا ربك فلهذا ورد سؤال التثبيت له
حين يسال وقد استشكل دعاؤه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مع انه مغفور
له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واجيب باجوبة منها انه قصد التعليم لامته
ومنها ان المراد السؤال منه لامته فيكون المعنى هنا اعوذ بك لامتي ومنها
سلوك طريق التواضع واظهار العبودية والتزام خوف الله واعظامه
والافتقار اليه وامتثال امره في الرغبة اليه ولا يمتنع تكرير الطلب مع
تحقق الاجابة لان في ذلك تحصيل الحسنات ورفع الدرجات وفيه تحريض
لامته على ملازمة ذلك لانه اذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع
فمن لم يتحقق ذلك احرى بالملازمة والاستعاذة من فتنة الدجال مع

تحققه

تحققه انه لا يدركه فلا اشكال فيه على الوجهين الاولين وقيل على الثالث يحتمل
ان يكون ذلك قبل ان يتحقق عدم ادراكه ويدل عليه قوله في الحديث الاخر
عند مسلم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه الحديث والله اعلم وعن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد التشهد اللهم اني اعوذ بك من
عذاب جهنم واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة الدجال الاعور واعوذ
بك من فتنة المحيا والممات رواه ابو داود وعن علي ابن ابي طالب ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت
وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت
المؤخر لا اله الا انت رواه مسلم وغيره وفي رواية له واذا سلم قال اللهم اغفر لي ما قدمت
الخ ويجمع بينهما بحمل الرواية الثانية على ارادة السلام لان مخرج الطريقين واحد واورده
ابن حبان بلفظ كان اذا فرغ من الصلاة وسلم وهذا ظاهر في انه بعد السلام ويحتمل
انه كان يقول ذلك قبل السلام وبعده وياتي الجواب عما استشكل في دعائه صلى الله
عليه وسلم بهذا الدعاء في ادعيته صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى وحاصل
ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من المواضع التي كان يدعو بها في داخل صلاته ستة مواطن
الاول عقب تكبيرة الاحرام كما في حديث ابي هريرة في الصحيحين اللهم باعد بيني وبين
خطاياي الحديث ونحوه الثاني في الركوع كما في حديث عائشة عند الشيخين كان يكثر
ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي الثالث في
الاعتدال من الركوع كما في حديث ابن ابي اوفى عند مسلم انه كان يقول بعد قوله
من شيء بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد الرابع في السجود وهو اكثر
ما كان يدعو فيه وامر به الخامس بين السجدتين اللهم اغفر لي الخ السادس
في التشهد وكان ايضا يدعو في القنوت وفي حال القراءة اذا مر باية رحمة سال
واذا مر باية عذاب استعاذ وتقدم كل ذلك والله الموفق الفرع الرابع
عشر في ذكر تسليمه عليه الصلاة والسلام من الصلاة كان صلى الله
عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن شماله حتى يرى بياض خده رواه مسلم والنسائي
من حديث عامر ابن ربيعة عن ابيه وفي حديث ابن مسعود كان يسلم عن يمينه
وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله رواه الترمذي وزاد ابو داود حتى
يرى بياض خده وفي رواية النسائي حتى يرى بياض خده من ههنا وبياض
خده من ههنا الحديث وهذا الحال نقله الرواة رواه عنه خمسة عشر صحابيا
وهم عبد الله ابن مسعود وسعد ابن ابي وقاص وسهل بن سعد ووائل ابن حجر
وابو موسى الاشعري وحذيفة ابن اليمان وعمار بن ياسر وعبد الله بن عمر
وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وابو مالك الاشعري وطلق بن علي راوس

ابن اوس وابو ثور وعدي ابن عمر وهذا مذهب الشافعي وابو حنيفة واحمد والجمهور
ومذهب مالك في طائفة المشروع تسليمة ودليل مذهبنا ما تقدم **واما** ما روي
انه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه فلم يثبت من وجه صحيح
واجود ما في ذلك حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة
السلام عليكم يرفع بها صوته حتى يوقظنا فهو حديث معلول وهو في السنن لكنه في قيام
الليل والذين رووا عنه التسليمتين رووا ما شهدوا في الفرض والنفل وحديث
عائشة ليس هو صريحا في الاقتصار على تسليمة واحدة بل اخبرت انه كان يسلم تسليمة يوقظهم
بها ولم تنف الاخرى بل سكتت عنها وليس سكوتها عنها مقدما على رواية من حفظها
وضبطها وهم اكثر عددا واحاديثهم اصح والله اعلم **واختلف** في التسليم فقال
مالك والشافعي واحمد وجمهور العلماء انه فرض لا تصح الصلاة الا به وقال ابو حنيفة
والثوري والاوزاعي سنة لو ترك صحت صلاته وقال ابو حنيفة لو فعل منافيا للصلاة
من حدث او غيره في اخرها صحت صلاته **واحتج** بانه عليه الصلاة والسلام لم يعلمه
الاعرابي حين علمه واجبات الصلاة **واحتج** الجمهور بحديث ابي داود مفتاح الصلاة
الطهور وتحليلها التسليم **وكان** صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة طاطا راسه
رواه احمد وكان لا يجاوز بصره اشارته **وكان** قد جعل الله قرة عينه في الصلاة
كما قال وجعلت قرة عيني في الصلاة رواه النسائي ولم يكن يشغله عليه الصلاة
والسلام ما هو فيه عن مراعاة احوال المومنين مع كمال اقباله وقربه من ربه
وحضور قلبه بين يديه **وكان** يدخل في الصلاة فيريد اطالتها فيسمع بكاء الصبي
فيتجوز في صلاته مخافة ان يشق على امه رواه البخاري وابو داود والنسائي
وكان يوم الناس وهو حامل امامة بنت ابي العاص ابن الربيع على عاتقه
رواه مسلم وغيره **قال** النووي وهذا يدل لمذهب الشافعي رحمه الله تعالى
ومن وافقه انه يجوز حمل الصبي والصبية وغيرهما من الحيوان في صلاة
الفرض والنفل للامام والماموم والمنفرد وحمله اصحاب مالك رحمه الله
على النافلة ومنعوا جواز ذلك في الفريضة وهذا التاويل فاسد لان قوله
يوم الناس صريح او كالصريح في انه كان في الفرض وادعى بعض المالكية انه
منسوخ وبعضهم انه خاص به صلى الله عليه وسلم وبعضهم انه كان لضرورة
وكلها مردودة ولا دليل عليها ولا ضرورة اليها بل الحديث صحيح صريح في جواز
ذلك وليس فيه ما يخالف الشرع لان الادمي طاهر وما في جوفه من النجاسة
معفو عنها لكونه في معدته وثياب الاطفال واجسادهم على الطهارة
ودلائل الشرع متظاهرة على هذا والافعال في الصلاة لا تبطلها اذا قلت
او تفرقت وفعله عليه الصلاة والسلام للجواز وتنبيها على هذه القواعد
التي

التي ذكرتها وهذا يرد على ما ادعاه ابو سليمان الخطابي ان هذا الفعل يشبه ان
يكون بغير تعمد لحملها في الصلاة لكنها كانت تتعلق به عليه الصلاة والسلام فلم يدفعها
فاذا قام بقيت معه **قال** ولا يتوهم انه حملها ووضعها مرة بعد اخرى لانه عمل كثير
ويشغل القلب واذا كان علم الخميصة شغله فكيف لا يشغله هذا كلام الخطابي وهو باطل
ودعوى مجردة ومما يرده قوله في صحيح مسلم فاذا قام حملها واذا رفع من السجود اعادها
وقوله في رواية غير مسلم خرج حاملا امامة وصلى وذكر الحديث واما قضية الخميصة
فانها تشغل القلب بلا فائدة وحمل امامة لا نسلم انه يشغل القلب وان شغله فيترتب
عليه فوائد وبيان قواعد مما ذكرناه وغيره فاحلنا ذلك الشغل لهذه الفوائد بخلاف
الخميصة **والصواب** الذي لا يعدل عنه ان الحديث كان للبيان او التنبيه
على هذه القواعد فهو جائز لنا وشرع مستمر الى يوم الدين والله اعلم انتهى **وكان**
صلى الله عليه وسلم يصلي فيجي الحسن او الحسين فيركب ظهره فيطيل السجدة كراهية
ان يلقيه عن ظهره وكان يرد السلام بالاشارة على من يسلم عليه وهو في الصلاة قال
جابر بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فادركته وهو يصلي فسلمت عليه
فاشار الي رواه مسلم وقال عبد الله ابن مسعود لما قدمت من الحبشة اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فاومأ براسه رواه البيهقي **وكان**
يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة فاذا سجد غمزها بيده فقبضت رجليها
واذا قام بسطتهما رواه البخاري وكان عليه الصلاة والسلام لا يلتفت في صلاته
وفي البخاري عن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات
في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد **وروي**
ابو داود من حديث سهل ابن الحنظلية انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين
من يحرسنا الليلة قال انس ابن ابي مرثد الغنوي انا يا رسول الله قال اركب
فركب فرسا له فقال استقبل هذا الشعب حتى تكون في اعلاه فلما اصبحنا ثوب
بالصلاة فجعل صلى الله عليه وسلم يصلي وهو يلتفت الى الشعب حتى اذا قضى الصلاة
قال ابشروا قد جاء فارسكم فهذا الالتفات من الاشتغال بالجهاد في الصلاة
وهو يدخل في مداخل العبادات كصلاة الخوف وقريب منه قول عمر رضي الله
تعالى عنه اني لاجهز الجيش وانا في الصلاة فهذا جمع بين الصلاة والجهاد
ونظيره التفكر في معاني القران واستخراج كنوز العلم منه **وكان** صلى
الله عليه وسلم يصلي فتعرض له الشيطان ليقطع عليه صلاته فاخذه فخنقه
حتى سال لعابه على يديه وروى مطرف بن عبد الله ابن الشخير عن ابيه
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل
يعني يبكي وفي رواية ولصدره ازيز كازيز الرحا من البكا رواه احمد

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يغمض عينيه في صلاته وعن انس قال كان قرام لعائشة
سترت به جانب بيتها فقال صلى الله عليه وسلم اميطي عنا قرامك هذا فانه لا تزال
تصاوير تعرض لي في صلاتي رواه البخاري ولو كان يغمض عينيه لما عرضت له في صلاته
وقد اختلف الفقهاء في كراهيته والحق ان يقال ان كان تفتيح العين لا يخل
بالخشوع فهو افضل وان كان يحول بينه وبين الخشوع كان يكون في قبلته زخرفة
او غيرها مما يشغل قلبه فلا يكره التغميض قطعا بل ينبغي ان يكون مستحبا في هذه
الحالة وقد كانت صلاته صلى الله عليه وسلم متوسطة عارية عن الغلو بالوسوسة
في عقد النية ورفع الصوت بها والجهر بالاذكار والدعوات التي شرعت سرا وتطويل
ما السنة تخفيفه كالتشهد الاول وغير ذلك مما يفعله كثير ممن ابتلي بداء الوسوسة
عافانا الله منها وهي نوع من الجنون وصاحبها بلا ريب مبتدع مستنبط في
اقواله وافعاله شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا احد من اصحابه وقد
قال عليه الصلاة والسلام ان خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور
محدثاتها وعنه ايضا اياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
وكل ضلالة في النار ومما نسب لامام الحرمين الوسوسة نقص في العقل او جهل
باحكام الشرع ومن غرائب ما يقع لهولاء الموسوسين ان بعضهم يشتغل بتكرير
الطهارة حتى يفوته الجماعة وربما فات الوقت ومنهم من يشتغل في النية
حتى تفوته التكبيرة الاولى وربما يفوته ركعة او اكثر ومنهم من يحلف انه لا يزيد
على هذه التكبيرة ثم يكذب ثم من العجب ان بعضهم يتوسوس في حال قيامه حتى
يركع الامام فاذا خشي فوات الركوع كبر سريعا وادركه فمن لم يحصل له النية
في القيام الطويل حال فراغ باله فكيف حصلت له في الوقت الضيق مع شغل
باله بفوات الركعة ومنهم من يكثر التلفظ بالتكبير حتى يشوش على غيره من
المامومين ولا ريب ان ذلك مكروه ومنهم من يزعج اعضاءه ويحني جبهته
ويقيم عروق عينيه ويصرخ بالتكبير كانه يكبر على العدو ومنهم من يغسل
عضوه غسلا يشاهده ببصره ويكبر ويقرا بلسانه ويسمع باذنه ويعلمه بقلبه
ومع ذلك يصدق الشيطان في انكاره تيقن نفسه ويجحده لما راه ببصره
وسمعه باذنه وقد سال رجل ابا الوفاء ابن عقيل فقال اني اكبر واقول
ما كبرت واغسل العضو في الوضوء واقول ما غسلته فقال ابن عقيل دع
الصلاة فانها لا تجب عليك فقال له كيف ذلك فقال لان النبي صلى
الله عليه وسلم قال رفع القلم عن المجنون حتى يفيق ومن يكبر ثم يقول
ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة ثم اراد التخلص
من هذه البلية فليتبع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم السوية وليقتدي

بملة

بملته الحنيفية فان غلبه الامر وضاقت عليه المسالك فليتضرع الى الله
ويبتهل اليه في كشف ذلك **الفرع الخامس عشر في ذكر قنوته صلى الله
عليه وسلم** ليعلم ان القنوت يطلق على القيام والسكوت ودوام العبادة والدعاء
والتسبيح والخضوع كما قال تعالى وله من في السموات والارض كل له قانتون وقال تعالى
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما الاية وقال تعالى وصدقت بكلمات ربها
وكتبه وكانت من القانتين والمراد به هنا الدعاء في الصلاة في محل مخصوص من
القيام وعن انس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا يقال لهم القراء فعرض
لهم حيان من سليم رعل وذكوان عند بير يقال لها بير معونة فقتلوهم فدعا عليهم
النبي صلى الله عليه وسلم شهرا في صلاة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت
قال عبد العزيز ابن صهيب فسال رجل انسا عن القنوت ابعد الركوع او عند فراغ
القراءة قال بل عند فراغ القراءة وفي اخرى قنت شهرا بعد الركوع يدعو على احياء
من العرب وفي اخرى قنت شهرا بعد الركوع في صلاة الصبح يدعو على رعل وذكوان
ويقول عصية عصت الله ورسوله وفي اخرى بعث صلى الله عليه وسلم سرية
يقال لهم القراء فاصيبوا فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على شيء ما وجد
عليهم فقنت شهرا في صلاة الفجر هذه رواية البخاري ومسلم وللبخاري كان القنوت
في المغرب والفجر وفي رواية ابي داود والنسائي قنت في صلاة الصبح بعد الركوع
وفي اخرى قنت شهرا ثم تركه وفي اخرى للنسائي قنت شهرا يلعن رعلا وذكوان
ولحيان وعن ابن عباس قنت صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا في الظهر والعصر
والمغرب والعشاء وصلاة الصبح في دبر كل صلاة اذا قال سمع الله لمن حمده من
الركعة الاخيرة يدعو على احياء من سليم على رعل وذكوان وعصية ويؤمن
من خلفه رواه ابو داود وعن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا
وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فانزل عليه
ليس لك من الامر شيء الى قوله فانهم ظالمون رواه البخاري وعن ابي هريرة
لما رفع صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد
ابن الوليد وسلمة ابن هشام وعياش ابن ابي ربيعة والمستضعفين
بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف
وفي رواية في صلاة الفجر وفي رواية ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله
تعالى ليس لك من الامر شيء الاية رواه البخاري ومسلم وعن البراء ان
صلى الله عليه وسلم يقنت في الصبح والمغرب رواه مسلم والترمذي ولابي
داود في صلاة الصبح ولم يذكر المغرب وعن ابي مالك الاشجعي قال

فقلت لابي يا ابة انك قد صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
وعثمان وعلي ابن ابي طالب هاهنا بالكوفة خمس سنين اكانوا يقنتون قال اي
بني محدث رواه الترمذي **وعن** سعيد بن جبير قال اشهد اني سمعت ابن عباس يقول
ان القنوت في صلاة الفجر بدعة رواه الدارقطني **قال العلما** والصواب انه صلى
الله عليه وسلم قنت وترك وكان تركه للقنوت اكثر من فعله فانه انما قنت عند النوازل
للدعا لقوم وللدعا على اخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم وخلصوا من الاسر واسلم
من دعا عليهم فجاوا تايبين وكان قنوته لعارض فلما زال العارض ترك القنوت
ولم يكن مختصا بالفجر بل كان يقنت في صلاة الفجر والمغرب ذكره البخاري في صحيحه
عن انس وذكره مسلم عن البرا وصح عن ابي هريرة انه قال والله لانا اقربكم صلاة برسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقنت في الركعة الاخيرة من الصبح بعدما يقول سمع الله
لمن حمده وقال ابن ابي فديك ولا ريب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركه فهذا
رد على القايل بكراهة القنوت في الفجر مطلقا عند النوازل وغيرها ويقولون هو منسوخ
وفعله بدعة واهل الحديث متوسطون بين هولا ومن استحبه ويقولون فعله
سنة وتركه سنة ولا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة ولا
فاعله مخالفا للسنة من قنت فقد احسن ومن تركه فقد احسن انتهى **ومذهب**
الشافعي رحمه الله تعالى ان القنوت مشروع في صلاة الصبح دايما في اعتدال ثانية
الصبح لما رواه انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا
رواه احمد وغيره قال ابن الصلاح قد حكم بصحته غير واحد من الحفاظ منهم الحاكم والبيهقي
وابو عبد الله محمد بن علي البلخي وفي البيهقي العمل بمقتضاه عن الخلفا الاربعة وقال
بعضهم اجمعوا انه صلى الله عليه وسلم قنت في الصبح ثم اختلفوا هل ترك فيتمسك
بما اجمعوا عليه حتى يثبت ما اختلفوا فيه انتهى واما حديث ابن ابي فديك
عن عبد الله ابن سعيد ابن ابي سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الثانية من
صلاة الصبح يرفع يديه ويدعو بهذا الدعا اللهم اهدني فيمن هديت الخ فقال
ابن القيم ما ابين الاحتجاج به لو كان صحيحا او حسنا ولكن لا يحتج بعبد الله هذا
وان كان الحاكم صحح حديثه في القنوت انتهى وهذا الحديث رواه الحاكم وصححه
ورد عليه كما قاله ابن القيم وقد اتفقوا على ضعف عبد الله ابن ابي سعيد
وعن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل
بهولا الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت اخرجه محمد بن نصر في كتاب قيام الليل
والصحيح انه لا يتعين فيه دعا مخصوص بل يحصل بكل دعا وفيه وجه انه لا يحصل
الا بالدعا المشهور وهو اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني

فيمن

فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك
وانه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت رواه ابو داود والترمذي والنساي من
حديث الحسن ابن علي قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر
فذكره واسناده صحيح **قال** البيهقي صح ان تعليم هذا الدعا وقع لقنوت صلاة
الصبح ولقنوت الوتر انتهى **وقوله** فانك تقضي بالفا وبالوا وفي قوله وانه لا يذل وربنا
تباركت وتعاليت الا ان الفا لم تقع في رواية ابي داود وزاد البيهقي بعد قوله انه لا يذل من
واليت ولا يعز من عاديت وزاد ابن ابي عاصم في كتاب التوبة نستغفرك اللهم ونتوب اليك
ولتسن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخره لان النساي قد رواه من حديث
الحسن بسند صحيح او حسن كما قاله في شرح المهذب ولفظه اي النساي وصلى الله
على النبي وجزم في الاذكار باستحباب الصلاة على الال والسلام وخالفه صاحب الاقليد
فقال انما ما وقع في كتب اصحابنا من زيادة وسلم وما يعتاده الايمة الان من ذكر الال
والازواج والاصحاب فكل ذلك لا اصل له **قلت** عبارة النووي في الاذكار يستحب
ان يقول عقب هذا الدعا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وسلم فقد جا في رواية النساي باسناد
حسن وصلى الله على النبي انتهى **وتعقب** بان لفظ الدعوي خلاف الدليل ويزيد
عليه ذكر الال والتسليم لغير وثبتت الزيادة في الرافعي والروياني معزوه لحديث الحسن
ابن علي عند النساي لكنها ليست عنده في رواية احد من الرواة عن علي ان لفظ
وصلى الله على النبي زايد على رواية الترمذي وهي زيادة غريبة غير ثابتة لان عبد الله
بن علي احد رواته لانه غير معروف وعلى تقدير ان يكون هو عبد الله ابن الحسين
ابن علي فهو منقطع لانه لم يسمع من جده الحسن بن علي فقد تبين انه ليس من شرط الحسن
لانقطاعه او جهالة راويه ولم تنجبر الزيادة بمجيها من وجه اخر وحينيذ فقد
تبين شذوذها على ما لا يخفى بغير اصل الحديث الى اخره وتعاليت حسن لاعتضاده
برواية الترمذي وغيره بخلاف الزيادة اذ لم يجي في غيره وحيث سنت الصلاة
على الال على ما جزم به النووي فينبغي عدها في القنوت بعضا قال في المجموع
عن البغوي ويكره اطالة القنوت كالتشهد الاول وهو ظاهر على ما صححه
فيه وفي تحقيقه في باب سجود السهو من ان الاعتدال ركن طويل اما على ما صححه فيهما
في صلاة الجماعة من انه قصير وهو ما في المنهاج والروضة فقد يقال القياس
البطلان لان تطويل الركن القصير عمدا مبطل **ويجاب** بحمل ذلك على غير
محل القنوت اذ البغوي نفسه القايل بكراهة الاطالة قايل بان تطويل
الركن القصير مبطل عمده ويسن للمنفرد والامام برضى المحصورين الجمع
في قنوت الوتر بين القنوت السابق وبين قنوت عمر وهو اللهم
انا نستعينك الخ والاولى تاخيره عن القنوت السابق ويسن رفع يديه

رواه البيهقي باسناد جيد قال في المجموع وفي مسح وجهه بهما وجهان اشهرهما نعم
واصحهما لا قال البيهقي لا احفظ في مسحه هنا عن احد من السلف شيئا وان روي عن
بعضهم في الدعاء خارج الصلاة ومسح غير الصدر كالصدر مكروه وقال النووي
في الاذكار اختلف اصحابنا في رفع اليدين في القنوت ومسح الوجه بهما على ثلاثة
اوجه اصحها يستحب رفعهما ولا يمسح الوجه والثاني يرفع ويمسحه والثالث لا يمسح
ولا يرفع واتفقوا على انه لا يمسح غير الوجه من الصدر ونحوه بل قالوا ذلك مكروه انتهى
ويجهر الامام دون المنفرد بالقنوت وان كانت الصلاة سرية للاتباع رواه البخاري
قال الماوردي وليكن جهره به دون جهره بالقراءة فان سمعه المأموم امن
كما كانت الصحابة يؤمنون خلفه صلى الله عليه وسلم في ذلك رواه ابو داود باسناد
حسن ويوافقه في الثناء سرا او يسكت لانه ثناء وذكر لا يليق بالتامين والدعاء
يشمل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيؤمن فيها صرح به الطبري وان لم يسمع المأموم
قنوت الامام قنت معه سرا كبقية الاذكار والدعوات ولا قنوت لغير وتر وصبح
الا لنازلة من خوف او قحط او وباء او جراد او نحوها فيستحب ان يقنت في مكتوبة
غير الصبح لا منذورة وصلاة جنازة ونافلة وفي البخاري من حديث ابي هريرة انه
صلى الله عليه وسلم جهر بالقنوت في النازلة انتهى ملخصا من شرح البهجة لشيخ
الاسلام ابي يحيى زكريا الانصاري مع زيادة من غيره والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل الرابع في ذكر سجوده صلى الله عليه وسلم للسهو في الصلاة اعلم ان السهو هو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب
الى غيره قال الازهري وفرق بعضهم فيما حكاه القاضي بين السهو والنسيان من
حيث المعنى وزعم ان السهو جائز في الصلاة على الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم بخلاف النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات
الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها انتهى قال ابن كيكلدي وهو ضعيف
من جهة الحديث ومن جهة اللغة اما من جهة الحديث فلما ثبت في الصحيحين
من قوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون واما من جهة
اللغة فقول الازهري المتقدم ونحوه قول الجوهري وغيره قال في النهاية
السهو في الشيء تركه عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن
دقيق وبه يظهر الفرق بين السهو الذي وقع من النبي صلى الله عليه
وسلم غير مرة والسهو عن الصلاة الذي ذم الله فاعله **وقد كان** سهوه
صلى الله عليه وسلم من اتمام نعمة الله على امته واكمال دينهم
ليقتدوا به فيما يشرعه لهم عند السهو وهذا معنى الحديث المنقطع

الذي

الذي في الموطا الاتي التنبيه عليه ان شاء الله تعالى انما انسى او انسى لاسن
فكان صلى الله عليه وسلم ينسى فيترتب على سهوه احكام شرعية تجري على
سهو امته الى يوم القيامة **واختلف** في حكمه فقال الشافعية مسنون كله وعن
المالكية السجود للنقص واجب دون الزيادة وعن الحنابلة التفصيل بين الواجبات
فيجب لتركها سهوا وبين القولية فلا يجب وكذا يجب اذا سها بزيادة فعل او قول
يبطل عمده وعن الحنفية واجب كله وحجتهم قوله عليه الصلاة والسلام في حديث
ابن مسعود عند البخاري ليسجد سجدتين والامر للوجوب **وقد** ثبت من فعله عليه
الصلاة والسلام وافعاله في الصلاة محمولة على البيان وبيان الواجب ولا سيما
مع قوله عليه الصلاة والسلام صلوا كما رايتموني اصلي انتهى وقد ورد عنه صلى الله عليه
وسلم السجود على قسمين **الاول** السجود قبل التسليم فعن الاعرج عن عبد الله ابن بحينة
انه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من بعض الصلاة ثم قام
فلم يجلس فقام الناس معه فلما قضى صلاته فسجد سجدتين ثم سلم بعد ذلك
وفي رواية ايضا عن الاعرج عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في صلاة
الظهر وعليه جلوس فلما اتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل
ان يسلم وسجدهما الناس معه مكان ما نسي من الجلوس رواه مسلم ايضا وزاد
الضحاك عن الاعرج عند ابن خزيمة بعد قوله ثم قام فلم يجلس فسبحوا به فمضى
حتى فرغ من صلاته وفي رواية الترمذي قام في الظهر وعليه جلوس فلما اتم
صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم وفي هذا مشروعية
سجود السهو وانه سجدتان فلو اقتصر على سجدة واحدة ساهيا لم يلزمه شيء
او عامدا بطلت صلاته لانه تعمد الاتيان بسجدة زائدة ليست مشروعة
وانه يكبر لهما كما يكبر في غيرهما من السجود واستدل به على ان سجود السهو
قبل السلام ولا حجة فيه في كون جميعه كذلك نعم يرد على من زعم ان جميعه
بعد السلام كالحنفية واستدل به ايضا على ان المأموم يسجد مع الامام اذا سها
الامام وان لم يسه المأموم وان سجود السهو لا تشهد بعده وان محله اخر الصلاة
فلو سجد للسهو قبل ان يتشهد ساهيا اعاد عند من يوجب التشهد الاخير
وهم الجمهور وفيه ان من سها عن التشهد الاول حتى قام الى الركعة ثم
ذكر لا يرجع فقد سبحوا به صلى الله عليه وسلم كما في رواية ابن خزيمة
فلم يرجع فلو تعمد المصلي الرجوع بعد تلبسه بالركن بطلت صلاته عند الشافعي
القسم الثاني السجود بعد التسليم عن ابي سلمة عن ابي هريرة
قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر او العصر فسلم فقال
له ذو اليدين الصلاة يا رسول الله انقصت فقال النبي صلى الله عليه

وسلم لأصحابه أحق ما يقول هذا قالوا نعم فصلى ركعتين أخراوين ثم سجد سجدتين
قال ابن سعد ورواية عروة ابن الزبير صلى الله عليه وسلم المغرب ركعتين فسلم وتكلم
ثم صلى ما بقي وسجد سجدتين فعل النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري قوله
صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر في أن أبا هريرة حضر القصة وحمله
الطحاوي على المجاز فقال المراد به صلى بالمسلمين وسبب ذلك قول الزهري إن صاحب
القصة استشهد ببدر فإن مقتضاه أن تكون القصة وقعت قبل بدر وهو قبل إسلام
أبي هريرة بأكثر من خمس سنين لكن اتفق أئمة الحديث كما نقل ابن عبد البر وغيره على
أن الزهري وهم في ذلك وسببه أنه جعل القصة لذي الشمالين وذو الشمالين
هو الذي قتل ببدر وهو خزاعي واسمه عمير وأما ذو اليدين فتأخر بعد النبي
صلى الله عليه وسلم بمدة لأنه حدث بهذا الحديث بعد النبي صلى الله عليه وسلم
كما أخرجه الطبراني وغيره وهو سلمي واسمه الخرباق كما سيأتي فلما وقع عند الزهري
بلفظ فقام ذو الشمالين وهو يعرف أنه قتل ببدر قال لأجل ذلك إن القصة وقعت
قبل بدر وقد جوز بعض الأئمة أن تكون القصة وقعت لكل من ذي الشمالين وذي
اليدين وأن أبا هريرة يروي الحديثين فأرسل أحدهما وهو قصة ذي الشمالين
وشاهد الأخرى وهي قصة ذي اليدين **و**هذا محتمل في طريق الجمع **وروى**
البخاري أيضا عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم إحدى صلاتي العشي قال محمد بن سيرين وأكثر ظني العصر ركعتين ثم سلم
ثم قام إلى خشبة في مقدم المسجد فوضع يده عليها وفيهم أبو بكر وعمر فهابا أن
يكلماه وخرج سرعان الناس فقالوا أقصرت الصلاة ورجل يدعوه النبي صلى
الله عليه وسلم ذا اليدين فقال أنسيت أم قصرت الصلاة فقال لم أنس
ولم تقصر فقال بلى قد نسيت فصلى ركعتين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده أو
أطول ثم رفع رأسه وكبر ثم وضع رأسه فكبر وسجد مثل سجوده أو
أطول ثم رفع رأسه فكبر وعن عمران ابن الحصين أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلى العصر فسلم من ثلاث ركعات ثم دخل منزله فقام إليه
رجل يقال له الخرباق وكان في يديه طول فقال يا رسول الله فذكر
صنيعه وخرج غضبان يجر رداءه حتى انتهى إلى الناس فقال أصدق هذا
قالوا نعم فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم رواه مسلم وهو
من أفراده لم يروه البخاري ورواه أحمد وأبو داود والخرباق بكسر
الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة وآخره قاف هو اسم ذي اليدين
كما ذهب إليه الأكثر وطول يديه يمكن أن يحمل على الحقيقة أو كناية عن
طولهما بالعمل أو البذل قال القرطبي وقال ابن حجر الظاهر في نظري توحد

حديث

حديث أبي هريرة وإن كان قد جزم ابن خزيمة ومن تبعه إلى تعدد هذه القصة والحامل
لهم على ذلك اختلاف الواقع في السياقين ففي حديث أبي هريرة أن السلام وقع من اثنتين
وأنه صلى الله عليه وسلم قام إلى خشبة في المسجد وفي حديث عمران هذا أنه سلم من ثلاث
وأنه دخل منزله لما فرغ من الصلاة **فأما** الأول فقد حكى ابن كيكلدي العلائي أن بعض
شيوخه حمله على أن المراد به أنه سلم في ابتداء الركعة الثالثة واستبعده ولكن طريق الجمع
يكتفى فيها بأدنى مناسبة وليس بأبعد من دعوى تعدد القصة فإنه يلزم منه
كون ذي اليدين في كل مرة استفهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك واستفهم النبي صلى
الله عليه وسلم الصحابة عن صحة قوله **وأما** الثاني فلعل الراوي لما رآه تقدم من
مكانه إلى جهة الخشبة ظن أنه دخل منزله لكون الخشبة كانت في جهة منزله فإن كان
كذلك وإلا فرواية أبي هريرة أرجح لموافقة ابن عمر له على سياقه كما أخرجه الشافعي
وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة انتهى وعن معاوية ابن حديج بضم الحاء المهملة آخره
جيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوما فانصرف وقد بقي من الصلاة ركعة
فأدركه رجل فقال نسيت من الصلاة ركعة فرجع فدخل المسجد وأمر بلالا فأقام
الصلاة فصلى بالناس ركعة فأخبرت بذلك الناس فقالوا أتعرف الرجل قلت
لا إلا أن أراه فمر بي فقلت هو هذا فقالوا هذا طلحة ابن عبيد الله رواه أبو
داود والبيهقي في سننهما وابن خزيمة في صحيحه وعين الصلاة المغرب **وقال**
ابن خزيمة وهذه القصة غير قصة ذي اليدين لأن المعلم للنبي صلى الله عليه
وسلم في هذه القصة طلحة ابن عبيد الله ومخبره في تلك القصة ذو اليدين
والسهو منه عليه الصلاة والسلام في قصة ذي اليدين إنما كان في الظهر
أو العصر وفي هذه القصة إنما كان السهو في المغرب لا في الظهر ولا في العصر
وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلم من
اثنتين فقال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق ذو اليدين فقال الناس نعم
فقام صلى الله عليه وسلم فصلى اثنتين أخريين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل
سجوده أو أطول ثم رفع وفي رواية سلمة ابن علقمة قلت لمحمد يعني ابن
سيرين في سجدتي السهو تشهد فقال ليس في حديث أبي هريرة رواه البخاري
ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي والنسائي **قال** الحافظ ابن حجر
لم يقع في غير هذه الرواية لفظ القيام وقد استشكل لأنه صلى الله
عليه وسلم كان قائما وأجيب بأن المراد بقوله فقام أي اعتدل
لأنه كان مستندا إلى الخشبة كما سبق ويفهم من قول محمد بن سيرين عن التشهد
ليس في حديث أبي هريرة أنه ورد في حديث غيره وهو كذلك فقد

رواه ابو داود والترمذي وابن حبان والحاكم من طريق اشعث ابن عبد الملك عن
محمد بن سيرين عن خالد الحذاء عن ابي قلابة عن ابي المهلب عن عمران بن حصين
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم فسهى فسجد سجدتين ثم تشهد ثم سلم
قال الترمذي حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرطهما وقال ابن حبان ما روى
ابن سيرين عن خالد غير هذا الحديث وضعفه البيهقي وابن عبد البر وغيرهما ووهموا
رواية أشعث لمخالفته غيره من الحفاظ عن ابن سيرين فزيادة اشعث شاذة
لكن قد ورد في التشهد في سجود السهو عن ابن مسعود عند ابي داود والنسائي
وعن المغيرة عند البيهقي وفي اسنادهما ضعف فقد يقال ان الاحاديث الثلاثة في التشهد
باجتماعها ترتقي الى درجة الحسن قال العلائي وليس ذلك ببعيد وقد صح ذلك
عن ابن مسعود من قوله اخرجه ابن ابي شيبة انتهى ملخصا من فتح الباري وفي رواية
ابي سفين عن ابي هريرة عند مسلم صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم
من ركعتين فقام ذو اليدين فقال اقصرت الصلاة يا رسول الله ام نسيت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن فقال قد كان بعض ذلك يا رسول
الله وفي رواية ابي داود من طريق حماد ابن زيد عن هشام بن حسان عن ابن سيرين
في هذا الحديث قال فكبر ثم كبر وسجد للسهو وهذا يؤيد من قال لا بد من تكبيرة الاحرام
في سجود السهو بعد السلام والجمهور على الاكتفاء بتكبيرة السجود وهو ظاهر
غالب الاحاديث وقال ابو داود لم يقل احد كبر ثم كبر الا حماد بن زيد فاشار الى
شذوذ هذه الزيادة ويحتمل ان تكون الخشبة المذكورة في هذا الحديث الجذع
الذي كان عليه الصلاة والسلام يستند اليه قبل اتخاذ المنبر وانما وقع الاستفهام
هل قصرت لان الزمان كان زمان النسخ وقوله فقال لم انس ولم تقصر صريح
في نفي النسيان ونفي القصر وفيه تفسير للمراد بقوله في رواية ابي سفين المتقدمة
كل ذلك لم يكن وتأييد لما قاله اصحاب المعاني ان لفظ كل اذا تقدمت وعقبها
النفي كان نفيا لكل فرد لا للمجموع بخلاف ما اذا تأخرت كان يقول لم يكن كل
ذلك ولهذا اجاب ذو اليدين في رواية ابي سفين بقوله قد كان بعض ذلك
واجابه في هذه الرواية بقوله بلى قد نسيت لانه لما نفى الامرين وكان مقررا
عند الصحابة ان السهو غير جائز عليه في الامور البلاغية جزم بوقوع النسيان
لا القصر وهو حجة لمن قال ان السهو جائز على الانبياء فيما طريقه التشريع
قال ابن دقيق العيد وهو قول عامة العلماء والنظار وشذت طائفة فقالوا
لا يجوز على النبي السهو وهذا الحديث يرد عليهم يعني حديث ابن مسعود قال
فيه انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وان كان القاضي عياض نقل الاجماع
على عدم جواز دخول السهو في الاقوال التبليغية وخص الخلاف بالافعال

لكنهم

لكنهم تعقبوه بان من جوز ذلك على انه لا يقر عليه بل يقع له بيان ذلك اما
متصلا بالفعل او بعده كما وقع في هذا الحديث من قوله لم انس ولم تقصر ثم تبين
انه نسي ومعنى قوله لم انس اي في اعتقادي لا في نفس الامر ويستفاد منه ان الاعتقاد
عند فقد اليقين يقوم مقام اليقين وفائدة السهو في مثل ذلك بيان الحكم الشرعي اذا
وقع مثله لغيره واما من منع السهو مطلقا فاجابوا عن هذا الحديث باجوبة فقيل
قوله لم انس نفي للنسيان ولا يلزم منه نفي السهو وهذا قول من فرق بينهما وقد تقدم تضعيفه
ويكفي فيه قوله في هذه الرواية بلى قد نسيت واقره على ذلك وقيل قوله لم انس
على ظاهره وحقيقته وكان يتعمد ما يقع منه من ذلك ليقع التشريع منه بالفعل لكونه
ابلغ من القول وتعقب بحديث ابن مسعود عند البخاري ومسلم بلفظ صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فزاد او نقص شك بعض الرواة والصحيح انه زاد فلما سلم
قيل له يا رسول الله احدث في الصلاة شيء قال وما ذاك قالوا صليت كذا وكذا
قال فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلم فلما اقبل علينا بوجهه
قال انه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به ولكن انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني واذا شك احدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسلم
ثم ليسجد سجدتين ففيه اثبات العلة قبل الحكم بقوله انما انا بشر مثلكم ولم يكتف
باثبات وصف النسيان حتى دفع قول من عساه يقول ليس نسيانه كنسياننا
فقال كما تنسون وبهذا الحديث ايضا يرد قول من قال معنى قوله لم انس انكار اللفظ
الذي نفاه عن نفسه حيث قال اني لا انسى ولكن انسى لأسن وانكار اللفظ
الذي انكره على غيره حيث قال بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا
وقد تعقبوا هذا ايضا بان حديث اني لا انسى لا اصل له فانه من بلاغات مالك
التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد وهي اربعة قاله ابن عبد البر واما الاخير
فلا يلزم من ذم اضافة نسيان اية ذم اضافة نسيان كل شيء فان الفرق بينهما
واضح جدا وقيل ان قوله لم انس راجع الى السلام اي سلمت قصدا بانيا على
ما اعتقادي اني صليت اربعا وهذا جيد وكان ذا اليدين فهم العموم فقال بلى
قد نسيت وكان هذا القول اوقع شكا احتاج معه الى استثبات الحاضرين
وبهذا التقرير يندفع ايراد من استشكل كون ذي اليدين عدلا ولم يقبل
خبره بمفرده فسبب التوقف فيه كونه اخبر عن امر يتعلق بفعل المسؤول
مغايرا لما في اعتقاده وبهذا يجاب من قال ان من اخبر بامر حسي
بحضرة جمع لا يخفى عليهم ولا يجوز عليهم التواطؤ ولا حامل لهم على السكوت
عنه ثم لم يكذبوه انه لا يقطع بصدقه فان سبب عدم القطع كون
خبره معارضا باعتقاد المسؤول خلاف ما اخبر به وفيه ان الثقة اذا

انفرد بزيادة خبر وكان المجلس متحدا وامتنع في العادة غفلتهم عن ذلك انه لا يقبل خبره وفيه جواز البناء على الصلاة لمن اتى بالمنافي سهوا وقال سحنون انما يبني من سلم من ركعتين كما في قصة ذي اليدين لان ذلك وقع على غير القياس فيقتصر به على مورد النص والزم بقصر ذلك على احدى صلاتي العشي فيمنعه مثلا في الصبح والذين قالوا بجواز البناء مطلقا قيدوه بما اذا لم يطل الفصل **وفيه** ان الكلام سهوا لا يقطع الصلاة خلافا للحنفية واستدل به على ان تعمد الكلام لمصلحة الصلاة لا يبطلها **وتعقب** بانه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم الا ناسيا واما قول ذي اليدين له بلى قد نسيت وقول الصحابة له صدق ذو اليدين فانهم تكلموا معتقدين للنسخ في وقت يمكن وقوعه فيه فتكلموا ظانا انهم ليسوا في صلاة كذا قيل وهو فاسد لانهم تكلموا بعد قوله عليه الصلاة والسلام لم تقصر واجيب بانهم لم ينطقوا وانما اومأوا كما عند ابي داود في رواية ساق مسلم اسنادها وهذا اعتمده الخطابي وقال حمل القول على الاشارة مجاز سائغ بخلاف عكسه فينبغي رد الروايات التي فيها التصريح بالقول الى هذه وهو قوي اقوى من قول غيره يحمل على ان بعضهم قال بالنطق وبعضهم بالاشارة لكن يبقى قول ذي اليدين بل نسيت **ويجاب** عنه وعن البقية على تقدير ترجيح انهم نطقوا ان كلامهم كان جوابا للنبي صلى الله عليه وسلم وجوابه لا يقطع الصلاة **وتعقب** بانه لا يلزم من وجوب الاجابة عدم قطع الصلاة واجيب بانه ثبت مخاطبته في التشهد وهو حي بقولهم السلام عليك ايها النبي ولم تفسد الصلاة والظاهر ان ذلك من خصائصه وعن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا فقيل له ازيد في الصلاة فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا فسجد سجدتين بعدما سلم رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي بهذا اللفظ الا ان مسلما لم يقل فيه بعدما سلم وعبد الله هذا هو ابن مسعود ففي هذه الاحاديث السجود بعد السلام **وقد اختلف** في ذلك فقال مالك والمزني وابو ثور من الشافعية بالتفرقة اذا كان السهو بالنقصان او بالزيادة ففي الاول يسجد قبل السلام وفي الزيادة يسجد بعده وزعم ابن عبد البر انه اولى من قول غيره للجمع بين الخبرين **قال** وهو موافق للنظر لانه في النقص جبر فينبغي ان يكون من اصل الصلاة وفي الزيادة ترغيم للشيطان فيكون خارجها **وقال** ابن دقيق العيد لا شك ان الجمع اولى من الترجيح وادعاء النسخ ويترجح الجمع المذكور بالمناسبة المذكورة واذا كانت المناسبة ظاهرة وكان الحكم على وفقها فيعم الحكم جميع محالها فلا تخصص الا بنص **وتعقب** بان كون السجود في الزيادة ترغيما للشيطان فقط ممنوع بل هو جبر ايضا لما وقع من الخلل فانه وان كان زيادة فهو نقص في المعنى وقال الخطابي لم يرجح

من

من فرق بين الزيادة والنقصان الى فرق صحيح وايضا فقصة ذي اليدين وقع فيها السجود بعد السلام وهي عن نقصان واما قول النووي اقوى المذاهب قول مالك ثم احمد فقد قال غيره بل طريق احمد اقوى لانه قال يستعمل كل حديث فيما يرد فيه وما لم يرد فيه شيء يسجد قبل السلام **قال** ولولا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لرأيت كله قبل السلام لانه من شأن الصلاة فيفعله قبل التسليم وعند امامنا الشافعي سجود السهو كله قبل السلام وعند الحنفية كله بعد السلام واعتمد الحنفية حديث ابن مسعود هذا وتعقب بانه لم يعلم بزيادة الركعة الا بعد السلام حين سألوه هل زيد في الصلاة وقد اتفق العلماء في هذه الصورة على ان سجود السهو بعد السلام لتعذره قبله لعدم علمه بالسهو وانما تابعه الصحابة لتجويزهم الزيادة في الصلاة لانه كان زمان توقع النسخ **واجاب** بعضهم بما وقع في حديث ابن مسعود من الزيادة وهي اذا شك احدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين واجيب بانه معارض بحديث ابي سعيد عند مسلم ولفظه اذا شك احدكم في صلاته فلم يدر كم صلى فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل ان يسلم وبه تمسك الشافعية وجمع بعضهم بينهما بحمل الصورتين على حالتين ورجح البيهقي طريقة التخيير في سجود السهو قبل السلام او بعده ونقل الماوردي الاجماع على الجواز وانما الخلاف في الافضل وكذا اطلق النووي وتعقب بان امام الحرمين نقل في النهاية الخلاف في الاجزاء عن المذهب واستبعد القول بالجواز ويمكن ان يقال الاجماع الذي نقله الماوردي والنووي قبل هذه الاراء في المذاهب المذكورة والله اعلم قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله ولو سهى سهوين فاكثر كفاه عند الشافعي ومالك وابي حنيفة واحمد سجدتان للجميع والجمهور انه يسجد للسهو في التطوع كالفرض

الفصل الخامس فيما كان صلى الله عليه وسلم يقوله بعد انصرافه من الصلاة وجلوسه بعدها وسرعة انفتاله بعدها

عن ثوبان كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام رواه مسلم ولم يمكث مستقبل القبلة الا مقدار ما يقول ذلك وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى اقبل على اصحابه فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على انه كان يقوله بعد ان يقبل على اصحابه بوجهه الشريف فقد كان عليه الصلاة والسلام يسرع الالتفات الى المأمومين وكان ينفتل عن يمينه وعن شماله وقال ابن مسعود رايته صلى الله عليه وسلم كثيرا ينصرف عن يساره رواه الشيخان وقال انس اكثر ما رايته

صلى الله عليه وسلم ينصرف عن يمينه رواه مسلم وقالت ام سلمة كان اذا سلم مكث
في مكانه يسيرا قالت نرى والله اعلم لكي ينصرف النساء قبل ان يدركهن الرجال
رواه البخاري وقالت عائشة كان لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك
السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام رواه مسلم وهذا الحديث يتمسك به من قال
ان الدعا بعد الصلاة لا يشرع والجواب ان المراد بالنفي المذكور نفي استمراره
عليه الصلاة والسلام جالسا على هيئته قبل السلام الا بقدر ان يقول ما ذكر وكان يقول
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير اللهم لا مانع لما
اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه الشيخان من حديث المغيرة
بن شعبة وكان يقول باعلا صوته لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شي قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله
الفضل وله الثنا الحسن الجميل لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
رواه مسلم من حديث عبد الله ابن الزبير وعن سعد انه كان يعلم بنيه هولا الكلمات
ويقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهن دبر الصلاة اللهم اني
اعوذ بك من الجبن واعوذ بك من البخل واعوذ بك من ارذل العمر واعوذ بك
من فتنة الدنيا وعذاب القبر رواه البخاري وعن زيد ابن ارقم قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة اللهم ربنا ورب كل شي انا شهيد
انك الرب وحدك لا شريك لك اللهم ربنا ورب كل شي انا شهيد ان محمدا عبدك
ورسولك اللهم ربنا ورب كل شي انا شهيد ان العباد كلهم اخوة اللهم ربنا
ورب كل شي اجعلني مخلصا لك واهلي في كل ساعة من الدنيا والاخرة يا ذا
الجلال والاكرام اسمع واستجب الله اكبر الله الاكبر الله نور السموات والارض
الله الاكبر حسبي الله ونعم الوكيل الله الاكبر الله الاكبر رواه ابو داود واحمد
ورايت في كتاب الهدي لابن القيم واما الدعا بعد السلام من الصلاة
مستقبل القبلة سوا المنفرد والامام والماموم فلم يكن ذلك من هدي
النبي صلى الله عليه وسلم اصلا ولا روي عنه باسناد صحيح ولا حسن وخصص
بعضهم ذلك بصلاتي الفجر والعصر ولم يفعله صلى الله عليه وسلم ولا الخلفا
بعده ولا ارشد اليه امته وانما هو استحسان راه من راه عوضا
من السنة بعدهما قال وغاية الادعية المتعلقة بالصلاة انما فعلها
فيها وامر بها فيها قال وهذا هو اللايق بحال المصلي فانه مقبل على ربه
يناجيه فاذا سلم منها انقطعت المناجاة وانتهى موقفه وقربه
فكيف يترك سواله في حال مناجاته والقرب منه وهو مقبل عليه ثم
يساله اذا انصرف عنه ثم قال لكن الاذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب

لمن

لمن اتى بها ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان يفرغ منها ويدعو بما شا ويكون
دعاوه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر لا لكونه دبر المكتوبة انتهى وقد
كان في خاطري من دعواه النفي مطلقا شي لما سياتي ثم رايت شيخ مشايخنا امام الحفاظ
ابا الفضل ابن حجر تعقبه فقال وما ادعاه من النفي مطلقا مردود فقد ثبت عن معاذ
ابن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ والله اني احبك فلا تدع دبر كل صلاة
ان تقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك اخرجه ابو داود والنسائي وحديث
زيد ابن ارقم سمعته صلى الله عليه وسلم يدعو في دبر الصلاة اللهم ربنا ورب كل شي اخرجه
ابو داود والنسائي وحديث صهيب رفعه كان يقول اذا انصرف من الصلاة اللهم
اصلح لي ديني اخرجه النسائي وصححه ابن حبان وغير ذلك ثم قال فان قيل المراد بدبر الصلاة
قرب اخرها وهو التشهد قلنا قد ورد الامر بالذكر دبر الصلاة والمراد به بعد السلام
اجماعا فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه وقد اخرج الترمذي من حديث ابي امامة قيل
يا رسول الله اي الدعا اسمع قال جوف الليل الاخير ودبر الصلوات المكتوبات
وقال حسن واخرج الطبراني من رواية جعفر ابن محمد الصادق قال الدعا بعد المكتوبة
افضل من الدعا بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة قال وفهم كثير ممن
الحنابلة ان مراد ابن القيم نفي الدعا بعد الصلاة مطلقا فليس كذلك فان حاصل
كلامه انه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وايراده عقب السلام واما اذا
انفتل بوجهه وقدم الاذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الاتيان بالدعا حينيذ انتهى
وكان عليه الصلاة والسلام حين تقام الصلاة في المسجد اذا راهم قليلا جلس واذا
راهم جماعة صلى رواه ابو داود وقال ابو مسعود البدري كان صلى الله عليه وسلم
يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليليني منكم
اولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم رواه مسلم وقال ابن عباس قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي فقمت عن يساره فاخذ بيدي من وراء ظهره فعدلني
كذلك من وراء ظهره الى الشق الايمن رواه البخاري ومسلم وقال انس سقط
صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش شقه الايمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت
الصلاة فصلى بنا قاعدا فصلينا وراءه قعودا فلما قضى الصلاة قال انما جعل
الامام ليوتم به فاذا ركع فاركعوا حتى قال واذا صلى قاعدا فصلوا قعودا
اجمعين زاد بعض الرواة واذا صلى قايما فصلوا قياما رواه البخاري
ومسلم كذا للحميدي ومعاني ساير الروايات متقاربة وزاد البخاري في قوله
اذا صلى جالسا فصلوا جلوسا هو في مرضه القديم وقد صلى في مرضه الذي
مات فيه جالسا والناس خلفه قياما لم يامرهم بالقعود وانما يوخذ بالاخر
فالاخر من امره صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي وابو حنيفة وجمهور

السلف لا يجوز للقادر على القيام ان يصلي خلف القاعد الا قائما واحتجوا بانه
صلى الله عليه وسلم صلى في مرض موته بعد هذا قاعدا وابو بكر والناس خلفه
قياما وان كان بعض العلماء زعم ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه كان هو الامام
وان النبي صلى الله عليه وسلم مقتد به لكن الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان هو
الامام

الباب الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الجمعة

عن انس ابن مالك قال اتى جبريل النبي صلى الله
عليه وسلم بمراة بيضاء فيها نكتة سوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه
فقال هذه الجمعة فضلت بها انت وامتك والناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى
ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد مومن يدعو الله بخير الا استجاب له
وهو عندنا يوم المزيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل وما يوم المزيد فقال
ان ربك اتخذ في الفردوس واديا افيح فيه كثيب من مسك فاذا كان يوم الجمعة
انزل الله ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت
تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزمرد عليها الشهداء والصديقون
فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله انا ربكم قد صدقتكم وعدي
فسلوني اعطكم فيقولون ربنا نسالك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم
ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم ربهم فيه من الخير
وفيه استوى ربك على العرش رواه الشافعي في مسنده وروى مسلم من حديث
ابي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة
فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم
الجمعة وروى البيهقي في الدعوات من حديث انس كان صلى الله عليه وسلم
اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان
وكان يقول ليلة الجمعة ليل اغر ويوم الجمعة يوم ازهر وليوم الجمعة
من الخواص ما يبلغ عشرين ذكرها ابن القيم في الهدي النبوي لا اطيل
بذكرها هنا وليست من غرضي وهو افضل ايام الاسبوع كما ان يوم عرفة افضل
ايام العام وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة ولهذا كان لوقفة الجمعة
يوم عرفة مزية على سائر الايام وقال ابو امامة ابن النقاش يوم الجمعة
افضل ايام الاسبوع ويوم عرفة افضل ايام العام قال وغير هذا لا يسلم قايله
من اعتراض يعجز عن دفعه انتهى وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال نحن الاخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا
الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا
الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد رواه البخاري

وفي رواية ابن عيينة عن ابي الزناد عند مسلم نحن الاخرون ونحن السابقون
اي الاخرون زمانا والاولون منزلة **والمراد** باليوم يوم الجمعة **وقوله**
بيد بفتح البا الموحدة واسكان المثناة من تحت وفتح البا الموحدة واسكان
المثناة من تحت وفتح الدال المهملة اي غير اذا عرف هذا فقوله انما جعل السبت
على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت
فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم لاجله **فان قيل** هل
في العقل وجه يدل على ان يوم الجمعة افضل من السبت والاحد وذلك لان
اهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة ايام وبدى الخلق والتكوين
في يوم الاحد وفي يوم الجمعة فكان الفراغ يوم السبت فقالت اليهود نحن
نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى
مبدى الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا عيدا لنا فهذان اليومان معقولان
فما الوجه في جعل يوم الجمعة عيدا **فالجواب** ان يوم الجمعة هو يوم الكمال
والتمام وحصول الكمال والتمام يوجب الفرح الكامل والسرور العظيم
فجعل يوم الجمعة يوم العيد اولى من هذا الوجه والله اعلم قال ابن بطال
وليس المراد في الحديث انه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فتركوه لانه لا يجوز
لاحد ان يترك ما فرض الله تعالى عليه وهو مومن وانما يدل والله اعلم
انه فرض عليهم يوم من الجمعة ووكل الى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم
فاختلفوا فيه ولم يهتدوا ليوم الجمعة كذا قال لكن قد روى ابن ابي حاتم
عن السدي التصريح بانه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه قالوا **ولفظه** ان
الله فرض على اليهود الجمعة فابوا وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم السبت فجعل
عليهم وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى ادخلوا الباب
سجدا وقولوا حطة وهم القايلون سمعنا وعصينا ويحتمل قوله فهدانا
الله له بان نص لنا عليه وان يراد الهداية اليه بالاجتهاد **ويشهد**
للثاني ما رواه عبد الرزاق باسناد صحيح عن محمد ابن سيرين قال جمع
اهل المدينة قبل ان يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان
تنزل الجمعة فقالت الانصار ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة ايام
وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله
تعالى ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن
زرارة فصلى بهم يومئذ وانزل الله تعالى بعد ذلك اذا نودي
للصلاة من يوم الجمعة وهذا وان كان مرسلا فله شاهد باسناد
حسن اخرجه احمد وابو داود وابن ماجة وصححه ابن خزيمة من

كعب ابن مالك قال كان اول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة اسعد ابن زرارة ومرسل ابن سيرين يدل على ان اوليك
الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد ولا يمنع ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
علمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن من اقامتها ثم ولذلك جمع بهم اول ما قدم المدينة
انتهى **وقال** ابن اسحاق لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة اقام بقبا في
بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثا ويوم الاربعا ويوم الخميس
واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فادركته الجمعة في بني سالم فصلاها
في المسجد الذي في بطن الوادي فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة وذلك
قبل تاسيس مسجده **وكان** صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة حين تميل الشمس
رواه البخاري من حديث انس وفي رواية اذا اشتد البرد بكر بالصلاة واذا
اشتد الحر ابرد بالصلاة يعني الجمعة وفي رواية سهل بن سعد عند البخاري
ومسلم كنا نصلي معه صلى الله عليه وسلم الجمعة ونقيل بعد الجمعة **ثم**
اعلم ان الخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح الا بها **وقال** سعيد بن
جبير هي بمنزلة الركعتين من صلاة الظهر فاذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك
ركعتين من صلاة الظهر ولم يكن يؤذن في زمانه صلى الله عليه وسلم
على المنار وبين يديه وانما كان بلال يؤذن وحده بين يديه صلى الله
عليه وسلم اذا جلس على المنبر كما صرح به ائمة الحنفية والمالكية والشافعية
وغيرهم وعبارة البرهان المرغيناني من الحنفية في هدايته واذا صعد
الامام المنبر جلس واذن المؤذن بين يدي المنبر بذلك جرى التوارث
ولم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الاذان **وعبارة**
ابن الحاجب من المالكية ويحرم السعي عند اذان جلوس الخطبة وهو المعهود
فلما كان عثمان وكثروا امر باذان قبله على الزورا ثم نقله هشام الى
المسجد وجعل الاخر بين يديه انتهى ونحوه قال ابن عبد الحق في تهذيب الطالب
واما قول ابن ابي زيد في رسالته وهذا الاذان الثاني احدثه بنو
امية فقال شارحوه الفاكهاني وغيره يعني الثاني في الاحداث وهو
الاول في الفعل قال وكان بعض شيوخنا يقول الاول هو الثاني والثاني
هو الاول ومنشاوه ما تقدم انتهى وعبارة الزركشي لغيره من الشافعية
ويجلس الامام على المستراح ليستريح من تعب الصعود ثم يؤذن المؤذن
بعد جلوسه فان التاذين كان حين يجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يكن قبله اذان فلما كان زمن عثمان وكثر الناس
امرهم بالتاذين ثانيا ثم يديم الجلوس الى فراغ المؤذن انتهى وعن

السايب

السايب ابن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان زمن عثمان وكثر
الناس زاد النداء الثالث على الزورا رواه البخاري وقال الزورا موضع
بالسوق بالمدينة وفي رواية له ايضا ان التاذين الثاني يوم الجمعة امر
به عثمان حين كثر اهل المسجد وهو يفسر ما فسر به قول ابن ابي زيد السابق
وعند ابن خزيمة كان الاذان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
اذانين يوم الجمعة قال ابن خزيمة قوله اذانين يريد الاذان والاقامة
تغليبا او لاشتراكهما في الاعلام **وللنسائي** كان بلال يؤذن اذا جلس
النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فاذا نزل اقام وفي رواية وكيع عن ابن
ابي ذيب فامر عثمان بالاذان الاول ونحوه للامام الشافعي من هذا الوجه قال
في فتح الباري ولا منافاة بينهما لانه باعتبار كونه مزيدا يسمى ثالثا وباعتبار
كونه مقدما على الاذان والاقامة يسمى اولا واما قوله في رواية البخاري التاذين
الثاني فمتوجه بالنظر الى الاذان الحقيقي لا الاقامة وقال الشيخ خليل في
التوضيح واختلف النقل هل كان يؤذن بين يديه عليه الصلاة والسلام
او على المنار الذي نقله اصحابنا انه كان على المنار نقله ابن القاسم عن مالك
في المجموعة ونقل ابن عبد البر في كافيه عن مالك ان الاذان بين يدي الامام
ليس من الامر القديم وقال غيره هو اصل الاذان في الجمعة وكذلك نقل صاحب
تهذيب المطالب والمازري وفي الاستذكار ان هذا اشتبه على بعض اصحابنا
فانكر ان يكون الاذان يوم الجمعة بين يدي الامام كان في زمنه عليه الصلاة
والسلام وابي بكر وعمر وان ذلك حدث في زمان هشام قال وهذا قول
من قل علمه ثم استشهد بحديث السايب ابن يزيد المروي في البخاري السابق
ثم قال وقد رفع الاشكال فيه ابن اسحاق عن الزهري عن السايب بن
يزيد قال كان يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس
على المنبر يوم الجمعة وابي بكر وعمر انتهى والحكمة في جعل الاذان في هذا
المحل ليعرف الناس بجلوس الامام على المنبر فينصتون له اذا خطب
قاله المهلب قال في فتح الباري وفيه نظر فان في سياق محمد بن
اسحاق عند الطبراني وغيره في هذا الحديث ان بلالا كان يؤذن على
باب المسجد فالظاهر انه كان لمطلق الاعلام لا لخصوص الانصات
والذي يظهر ان الناس اخذوا بفعل عثمان في جميع البلاد اذ ذاك
لكونه كان حينئذ خليفة مطاع الامر لكن ذكر الفاكهي ان اول من احدث
الاذان الاول بمكة الحجاج وبالبصرة زياد وفي تفسير جويبر عن الضحاك

عن معاذ ان عمر امر مؤذنين ان يؤذنا للناس الجمعة خارجا من المسجد حتى يسمع
الناس وامر ان يؤذن بين يديه كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر
ثم قال عمر نحن ابتدعناه لكثرة المسلمين وهذا منقطع بين مكحول ومعاذ ولا
يثبت وقد تواترت الاخبار ان عثمان هو الذي زاده فهو المعتمد وقد روى عبد
الرزاق ما يقوي هذا الاثر عن ابن جريج قال قال سليمان ابن موسى اول من زاد
الاذان بالمدينة عثمان فقال عطا كلا انما كان يدعو الناس ولا يؤذن غير اذان
واحد انتهى لكن عطا لم يدرك عثمان بن عفان فرواية من اثبت ذلك عنه مقدمة
على الكاره ويمكن الجمع بان الذي كان في زمن عمر ابن الخطاب استمر على عهد
عثمان ثم راى ان يجعله اذانا وان يكون على مكان عال ففعل ذلك فنسب
اليه لكونه بالفاظ الاذان وترك ما كان يفعله عمر لكونه مجرد اعلام وروى
ابن ابي شيبة عن ابن عمر قال الاذان الاول يوم الجمعة بدعة فيحتمل ان يكون قال
ذلك على سبيل الانكار وان يكون اراد انه لم يكن في زمنه عليه الصلاة والسلام
لان كلما لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم يسمى بدعة لكن منها ما يكون حسنا ومنها
ما يكون غيره لكن ثم ان فعل عثمان رضي الله تعالى عنه كان اجماعا سكوتيا لانهم
لم ينكروه عليه انتهى واول جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه
كما قدمناه في حديث الهجرة في بني سالم ابن عوف ببطن واديهم فخطبهم
وهي اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله احمده واستعينه
واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واعادي من يكفر به واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله
بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من
العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب
من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد
غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فانه خير ما اوصى به
المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وان يأمره بتقوى الله واحذروا ما حذركم
الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه
عون وصدق على ما تبتغون من الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله
من امره في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره
وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك
يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف
بالعباد هو الذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول
ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم

واجله

واجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن
يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وسخطه وان
تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب
الله فقد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا
كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم
وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة
الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله
يكفيه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه
ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ذكر هذه الخطبة القرطبي في تفسيره وغيره وقد كان صلى الله عليه وسلم يخطب
متوكئا على قوس او عصى وفي سنن ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب
في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا وعند ابي داود
باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم قام متوكئا على قوس او عصا قالوا والحكمة
في التوكي على نحو السيف الاشارة الى ان هذا الدين قام بالسلاح ولهذا قبضه باليمنى
كعادة مريد الجهاد ونازع فيه العلامة ابن القيم في الهدي النبوي وقال
ان الدين لم يقم الا بالقران والوحي انتهى والله اعلم وكان عليه الصلاة
والسلام اذا صعد المنبر سلم رواه ابن ماجة وكان صلى الله عليه وسلم يخطب
قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائما رواه مسلم من رواية جابر بن سمرة وفي
رواية له كانت له صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرا القران ويذكر
الناس وفي حديث ابن عمر عند ابي داود كان عليه الصلاة والسلام يخطب
خطبتين كان يجلس اذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس
ولا يتكلم ثم يقوم فيخطب قال ابن المنذر الذي عليه اهل العلم من علماء
الامصار الخطبة قائما ونقل غيره عن ابي حنيفة ان القيام في الخطبة
سنة وليس بواجب وعن مالك رواية انه واجب فان تركه اساء وصحت
الخطبة وعند الباقين ان القيام شرط يشترط للقادر كالصلاة واستدلوا
بحديث جابر ابن سمرة وبمواظبته صلى الله عليه وسلم على القيام وبمشروعية
الجلوس بين الخطبتين فلو كان القعود مشروعا في الخطبتين ما احتيج
الى الفصل بالجلوس ولان الذي نقل عنه الجلوس وهو معاوية كان معذورا
فعند ابن ابي شيبة من طريق الشعبي ان معاوية انما خطب قاعدا لما
كثر شحم بطنه واستدل الشافعي بوجوب الجلوس بين الخطبتين بما تقدم
وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم

يقول بعد الثنا اما بعد كما قاله البخاري وكان صلى الله عليه وسلم اذا
خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول
صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة هاتين ويقرن بين اصبعيه
السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول
انا اولى بكل مومن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او
ضياعا فالي وعلي رواه مسلم والنسائي من حديث جابر وفي رواية كانت
خطبته صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول على اثر ذلك
وقد علا صوته وذكر نحوه وفي اخرى كان يخطب الناس يحمد الله ويثني عليه
بما هو اهله ثم يقول من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وخير
الحديث كتاب الله ثم ذكر نحو ما تقدم وعن ام هشام بنت حارثة ابن النعمان
قالت ما اخذت ق والقران المجيد الا عن لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقراها كل جمعة على المنبر اذا خطب الناس رواه مسلم وعن الحكم
بن حزن الكلبي قال قدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سابع سبعة او تاسع
تسعة فلبثنا عنده اياما شهدنا فيها الجمعة فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم متوكيا على قوس او قال على عصا فحمد الله واثنى عليه كلمات خفيفات
طيبات مباركات ثم قال ايها الناس انكم لن تفعلوا ولن تطيقوا
كلما امرتكم به ولكن سددوا وابشروا رواه احمد وابو داود وعن يعلى ابن منيه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر ونادوا يا مالك ليقض
علينا ربك رواه البخاري ومسلم وعن ابي الدردا قال خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة فقال توبوا قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال
الصالحة قبل ان تشغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا واكثروا
الصدقة ترزقوا وامروا بالمعروف تخصبوا وانهوا عن المنكر تنصروا
ايها الناس ان اكيسكم اكثركم ذكرا للموت واكرمكم احسنكم استعدادا
له الا ان من علامات العقل التجافي عن دار الغرور والانابة الى
دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتاهب ليوم النشور رواه ابن
ماجة من حديث جابر بن عبد الله مختصرا بنحوه وفي مراسيل ابي داود
عن الزهري قال كان صدر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد
لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من
يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي

الساعة

الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى نسال الله ربنا
ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه **وعنده**
ايضا انه بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول كل ما هو ات قريب
لا بعد لما هو ات يريد الله امرا ويريد الناس امرا ما شا الله كان ولو كره الناس
ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شي الا باذن الله عز وجل
وقال جابر كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يقول بعد ان يحمد الله ويصلي
على انبيايه ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا
الى نهايتكم ان العبد المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله قاض
فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه فلياخذ العبد من نفسه لنفسه
ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات والذي
نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار
اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم وعن عمرو ان النبي صلى الله عليه
وسلم خطب يوما فقال الا ان الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر
الا وان الاخرة اجل صادق يقضي فيها ملك قادر الا وان الخير كله بحذافيره في
الجنة الا وان الشر كله بحذافيره في النار الا فاعملوا وانتم من الله على حذر
واعلموا انكم معروضون على اعمالكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره رواه الشافعي وعند ابي نعيم في الحلية نحوه **واختلف**
هل يجب الانصات ويمنع من جميع انواع الكلام حال الخطبة ام لا وعن الشافعي
في المسالة قولان مشهوران وبناهما بعض الاصحاب على الخلاف في ان الخطبتين
بدل عن الركعتين ام لا فعلى الاول يحرم لا على الثاني والثاني هو الارجح
عندهم فمن ثم اطلق من اطلق منهم اباحة الكلام حتى شنع من شنع عليهم
من المخالفين وعن احمد ايضا روايتان وعندهما ايضا التفرقة بين من
يسمع الخطبة وبين من لا يسمعها واغرب ابن عبد البر فنقل الاجماع على
وجوب الانصات على من سمعها الا عن قليل من التابعين ودخل سليك
الغطفاني وهو صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له صلى الله عليه
وسلم صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين رواه البخاري ومسلم وابو
داود واستدل به على ان الخطبة لا تمنع الداخل من صلاة تحية
المسجد وتعقب بانها واقعة عين لا عموم لها فيحتمل اختصاصها
بسليك ويدل عليه قوله في حديث ابي سعيد عند اهل السنن
جا رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب في هيية بذة فقال له اصليت
قال لا قال صل ركعتين وحض الناس على الصدقة الحديث فامره ان يصلي

ليراه بعض الناس وهو قائم فيتصدق عليه وورد أيضا ما يؤيد الخصوصية
وهو ما أخرجه ابن حبان وهو قوله صلى الله عليه وسلم لسليك في آخر الحديث
لا تعودن لمثلها ومما يضعف الاستدلال به على جواز التحية في تلك الحالة أنهم أطلقوا
أن التحية تفوت بالجلوس فهذا ما اعتل به من طعن في الاستدلال بهذه القصة
على جواز التحية وكله مردود لأن الأصل عدم الخصوصية والتعليل بكونه عليه الصلاة
والسلام قصد التصدق عليه لا يمنع القول بجواز التحية فإن المانعين منها لا يجيزون
التطوع لعلة التصدق قال ابن المنير لو ساغ ذلك لساغ مثله في التطوع
عند طلوع الشمس وسائر الأوقات المكروهة ولا قائل به ومما يدل على أن أمره بالصلاة
لم ينحصر في قصد التصدق معاودته عليه الصلاة والسلام بأمره بالصلاة في الجمعة
الثانية بعد أن حصل له في الجمعة الأولى ثوبين فدخل بهما في الثانية فتصدق بأحدهما
فنهاه صلى الله عليه وسلم عن ذلك أخرجه النسائي وابن خزيمة من حديث أبي سعيد
أيضا ولأحمد وابن حبان أنه كرر أمره بالصلاة ثلاث مرات في ثلاث جمع فدل على أن
قصد التصدق بالصلاة عليه جزء علة لا علة كاملة وأما إطلاق من أطلق أن التحية تفوت
بالجلوس فقد حكى النووي في شرح مسلم عن بعض المحققين أن ذلك في حق العامد العالم
أما الجاهل والناسي فلا وحال هذا الداخل محمول في الأول على أحدهما وفي المرتين
الأخيرتين على النسيان والحامل للمانعين على التأويل المذكور أنهم زعموا أن ظاهره معارض
للأمر بالإنصات والاستماع للخطبة وقد أجاب الحافظ ابن حجر عن ذلك
وغيره من أدلة المانعين بما يطول ذكره ثم قال وهذه الأجوبة التي قدمناها تندفع
من أصلها بعموم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي قتادة إذا دخل أحدكم
المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين متفق عليه وقد ورد أخص منه في حال الخطبة
ففي رواية شعبة عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب إذا جاء أحدكم والإمام يخطب أو قد خرج
فليصل ركعتين متفق عليه ولمسلم من طريق أبي سفيان عن جابر أنه قال ذلك في قصة
سليك ولفظه بعد قوله فاركعهما وتجوز فيهما ثم قال إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام
يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما قال النووي هذا نص لا يتطرق إليه التأويل
ولا أظن عالما يبلغه هذا اللفظ ويعتقده صحيحا فيخالفه وقال العارف أبو
محمد ابن أبي جمرة هذا الذي أخرجه مسلم نص في الباب لا يحتمل التأويل انتهى
وقد قال قوم إنما أمره صلى الله عليه وسلم بسنة الجمعة التي قبلها ومستندهم
قوله عليه الصلاة والسلام في قصة سليك أصليت ركعتين قبل أن تجيء من
البيت ولهذا قال الأوزاعي إن كان صلى في البيت قبل أن يجيء فلا يصلي إذا دخل
المسجد وتعقب بأن المانع من صلاة التحية لا يجيز التنفل حال الخطبة مطلقا

ويحتمل

ويحتمل أن يكون معنى قوله قبل أن تجيء أي إلى الموضع الذي أنت به الآن وفائدة الاستفهام
احتمال أن يكون صلاهما في مؤخر المسجد ثم تقدم ليقرب من سماع الخطبة ويؤيده أن في
رواية مسلم أصليت الركعتين بالألف واللام وهي للعهد ولا عهد هناك أقرب من تحية
المسجد وأما سنة الجمعة التي قبلها فيأتي في الكلام فيها إن شاء الله تعالى **وكانت** صلاته
صلى الله عليه وسلم قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم والترمذي من رواية جابر بن سمرة
زاد في رواية أبي داود يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس وله في أخرى كان لا يطيل
الموعظة يوم الجمعة إنما هو كلمات يسيرات وعن عمرو بن حريث أنه صلى الله عليه وسلم
خطب وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه رواه مسلم قال ابن القيم
في الهدي وكان عليه الصلاة والسلام إذا اجتمع الناس خرج إليهم وحده من غير شاويش
يصيح بين يديه ولا لبس طيلسان ولا طرحة ولا سواد فإذا دخل المسجد سلم عليهم
فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ثم يجلس ويأخذ بلال في الأذان فإذا
فرغ منه قام صلى الله عليه وسلم فخطب من غير فصل بين الأذان والخطبة لا بإيراد خبر
ولا غيره ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وإنما كان يعتمد على قوس أو عصا قبل
أن يتخذ المنبر وكان يأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم بالإنصات انتهى وينظر في
قوله ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وإنما كان يعتمد على قوس أو عصا قبل أن يتخذ
المنبر **وكان** صلى الله عليه وسلم يقرأ بسورة الجمعة في الركعة الأولى وإذا جاءك
المنافقون في الثانية رواه مسلم والترمذي وأبو داود **والحكمة** في قراءته
صلى الله عليه وسلم بسورة الجمعة اشتمالها على وجوب الجمعة وغير ذلك مما
فيها من القواعد والحث على التوكل والذكر وغير ذلك وقراءة سورة المنافقين
لتوبيخ حاضريها منهم وتنبيههم على التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد
لأنهم ما كانوا يجتمعون في مجلس أكثر من اجتماعهم فيها وفي حديث النعمان
بن بشير عند مسلم وكان يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى
وهل أتاك حديث الغاشية وقد اختلف العلماء في العدد الذي تنعقد بهم
الجمعة وللعلماء خمسة عشر قولا أحدها تصح من الواحد نقله ابن حزم
الثاني اثنان كالجماعة وهو قول النخعي وأهل الظاهر الثالث اثنان مع
الإمام عند أبي يوسف ومحمد والليث الرابع ثلاثة معه عند أبي حنيفة
وسفيان الثوري الخامس سبعة عند عكرمة السادس تسعة عند ربيعة
السابع اثنا عشر عنه ربيعة أيضا في رواية الثامن مثله غير الإمام
عند إسحاق التاسع عشرون في رواية ابن حبيب عن مالك العاشر ثلاثون
كذلك الحادي عشر أربعون بالإمام عند إمامنا الشافعي واشترط كونهم
أحرارا بالغين عقلاء مقيمين لا يظعنون صيفا ولا شتاء إلا لحاجة وأن يكونوا

حاضرين من اول الخطبة الى انقضاء الجمعة وحجة الشافعي ما رواه الدارقطني
وابن ماجة والبيهقي في الدلائل عن عبد الرحمن ابن كعب ابن مالك قال كنت قائد ا
ابي حين ذهب بصره فاذا اخرجت به الى الجمعة فسمع الاذان صلى على ابي امامة واستغفر
له فمكث كذلك حينا لا يسمع الاذان في الجمعة الا فعل ذلك فقلت له يا ابت استغفارك
لابي امامة كلما سمعت اذان الجمعة ما هو قال اي بني هو اول من جمع بالمدينة قال قلت له
كم كنتم يومئذ قال اربعون رجلا وقال جابر بن عبد الله مضت السنة ان في كل ثلاثة
اماما وفي كل فما فوق ذلك جمعة خرجه الدارقطني وروى البيهقي عن ابن مسعود
انه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا اربعين رجلا قال شيخ الاسلام زكريا
الانصاري نفع الله بوجوده قال في المجموع قال اصحابنا وجه الدلالة ان الامة اجمعوا
على اشتراط العدد والاصل الظهر فلا تصح الجمعة الا بعدد ثبت فيه توقيف وقد
ثبت جوازها باربعين وثبت صلوا كما رأيتموني اصلي ولم يثبت صلاته لها باقل
من ذلك فلا يجوز باقل منه قال واما خبر انفضاضهم فلم يبق الا اثنا عشر فليس فيه
ان ابتداها كان باثني عشر بل يحتمل عودهم او عود غيرهم مع سماعهم اركان الخطبة
وفي مسلم انفضوا في الخطبة وفي رواية البخاري انفضوا في الصلاة وهي محمولة على
الخطبة جمعا بين الاخبار انتهى الثاني عشر اربعون غير الامام عند الشافعي وبه
قال عمر ابن عبد العزيز وطائفة الثالث عشر خمسون عند احمد في رواية وحكيت
عن عمر ابن عبد العزيز الرابع عشر ثمانون حكاه المازري الخامس عشر جمع كثير
بغير حصر ولعل هذا الاخير ارجحها من حيث الدليل قاله في فتح الباري ●●

الباب ـــ في ذكر تهجده صلوات الله وسلامه عليه قال الله

تعالى له عليه الصلاة والسلام ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي بالقران
والمراد منه الصلاة المشتملة على القران والتهجد في اللغة النوم وعن
ابي عبيدة الهاجد النائم والهاجد المصلي بالليل وعن الازهري الهاجد
النائم وقال المازري التهجد الصلاة بعد الرقاد ثم صلاة اخرى بعد رقدة
كذا وهكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله نافلة لك
اي عبادة زائدة في علو قدرك ويمكن نصره هذا القول بان قوله فتهجد
امر وصيغة الامر للوجوب فوجب كون هذا التهجد واجبا وروى الطبراني
عن ابن عباس ان النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه امر بقيام
الليل وكتب عليه دون امته واسناده ضعيف وقيل معناه زيادة لك
خالصة لان تطوع غيره يكفر ما على صاحبه من ذنب وتطوعه هو صلى
الله عليه وسلم يقع خالصا له لكونه لا ذنب عليه فكل طاعة ياتي بها صلى
الله عليه وسلم سوى المكتوبة انما تكون لزيادة الدرجات وكثرة

الحسنات

الحسنات ولهذا سمي نافلة بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات فهذه
الطاعات يحتاجون اليها لتكفير الذنوب والسيئات وروى من طريق سعد بن
هشام عن عائشة قالت ان الله افترض قيام الليل في اول هذه السورة يعني يا ايها
المزمل فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انزل الله في اخر هذه
السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضته وروى محمد بن نصر في قيام
الليل من طريق سماك عن ابن عباس شاهد الحديث عائشة في ان بين النسخ والايجاب
سنة وحكى الشافعي عن بعض اهل العلم ان اخر السورة نسخ افتراض قيام الليل الا
ما تيسر منه ثم نسخ فرض ذلك بالصلوات الخمس وروى محمد بن نصر من حديث
جابر ان نسخ قيام الليل وقع لما توجهوا مع ابي عبيدة في جيش الخبط وكان ذلك بعد
الهجرة لكن في اسناده علي ابن زيد ابن جدعان وهو ضعيف فوجوب قيام الليل قد نسخ
في حقنا وهل نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم اكثر الاصحاب لا والصحيح نعم ونقله الشيخ
ابو حامد عن النص وقالت عائشة قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفي رواية
حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا قالت فلما بدن وكثر لحمه صلى
جالسا فاذا اراد ان يركع قام ثم ركع رواه البخاري ومسلم والفاء في قوله افلا
اكون للسببية وهي عن محذوف تقديره اترك تهجدي افلا اكون عبدا شكورا
والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه قال ابن بطال في هذا
الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك ببدنه لانه
صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لا يعلم فضلا عمن امن
انه استحق النار انتهى ومحل ذلك كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما لم
يفض ذلك الى الملالة لان حال النبي صلى الله عليه وسلم كانت اكمل الاحوال فكان
لا يمل من عبادة ربه وان اضر ذلك ببدنه بل صح انه عليه الصلاة والسلام
قال وجعلت قرة عيني في الصلاة كما اخرجه النسائي من حديث انس فاما
غيره صلى الله عليه وسلم فاذا خشي الملل ينبغي له ان لا يكد نفسه وعليه
يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله
لا يمل حتى تملوا انتهى لكن ربما دس النفس والشيطان على المجتهد في
العبادة بمثل ما ذكر خصوصا اذا كبر فيقول له قد ضعفت وكبرت فابق
على نفسك لئلا ينقطع عملك بالكلية وهذا وان كان ظاهره جميلا لكن
فيه دسائس فانه ان اطاعه فقد يكون استدراجا يؤول به الى
ترك العمل شيئا فشيئا الى ان ينقطع بالكلية وما ترك سيد المرسلين المغفور
له شيئا من عمله بعد كبره بل كان يصلي بعض ورده جالسا بعد ان كان

يقوم حتى تفطرت قدماه فكيف بمن اثقلت ظهره الذنوب والاوزار ولا
يأمن من عذاب النار ان يغفل حال شبيبته ويتوانا عند ظهور شيبته فينبغي
للانسان ان يستبق قبل حلول مشيبه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك
فان من شاب فقد لاح صبح سواد ليل شعره وقد قال تعالى منذرا لمن دخل في
الصباح ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فكيف لقرب من دخل في الصباح وظهر
كوكب نهاره في افق راسه ولاح قال القرطبي ظن من سأله صلى الله عليه وسلم عن سبب
تحمله المشقة في العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة
فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فافاد لهم ان هناك طريقا اخر للعبادة وهو
الشكر على المغفرة وايصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئا فيتعين كثير الشكر
على ذلك والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي شكورا
ومن ثم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفيه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم
من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه قال العلماء انما الزم الانبياء انفسهم
بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه ابتداهم بها قبل استحقاقها فبذلوا
مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها
العباد والله اعلم انتهى **ذكر سياق صلاته صلى الله عليه وسلم بالليل**
عن شريح بن هانئ قال قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم العشا قط فدخل بيتي الا صلى اربع ركعات او ست ركعات رواه ابو
داود وكان يقوم اذا سمع الصارخ رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة وهو يصرخ
في النصف الثاني وقالت كان عليه الصلاة والسلام ينام اول الليل ويقوم
اخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة
اغتسل والا توضأ وخرج رواه الشيخان وقالت ايضا كان عليه الصلاة والسلام
ربما اغتسل في اول الليل وربما اغتسل في اخره وربما اوتر في اول الليل وربما
اوتر في اخره وربما جهر بالقراءة وربما خفت وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه
وسلم يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى
يصبح رواه ابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية للنسائي كان يصلي العتمة
ثم يسبح ثم يصلي بعدها ما شاء الله من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم
يستيقظ من نومه ذلك فيصلي مثل ما نام وصلاته تلك الاخرة تكون الى
الصبح وعن انس قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الليل مصليا الا رايناه ولا نشاء ان نراه نائما الا رايناه رواه النسائي
وكان اذا استيقظ من الليل قال لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك
استغفرك لذنبي واسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي

بعد

بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب وعنها كان عليه الصلاة والسلام
اذا هب من الليل كبر عشرا وحمد الله عشرا وهلل عشرا وقال سبحان الله وبحمده عشرا
وقال سبحان الملك القدوس عشرا واستغفر عشرا وهلل عشرا ثم قال اللهم اني اعوذ بك
من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة عشرا ثم يفتتح الصلاة رواه ابو داود وقد
روي حديث قيامه بالليل ووتره عائشة وابن عباس قال ابن القيم واذا اختلف
ابن عباس وعائشة في شيء من امر قيامه عليه الصلاة والسلام بالليل فالقول
قول عائشة لكونها اعلم الخلق بقيامه بالليل انتهى فاما حديث ابن عباس فرواه
البخاري ومسلم بلفظ بت عند خالتي ميمونة ليلة والنبي صلى الله عليه
وسلم عندها فتحدث النبي صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد
فلما كان ثلث الليل الاخر او بعضه قعد فنظر الى السما فقرا ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار حتى ختم السورة ثم قام الى القربة فاطلق شناقها
ثم صب في الجفنة ثم توضا وضوءا حسنا بين الوضوئين لم يكثر وقد ابلغ
فقام يصلي فقمت فتوضات فقمت عن يساره فاخذ باذني فادارني عن
يمينه فتتامت صلاته ثلاث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان
اذا نام نفخ فاذنه بلال بالصلاة فصلى ولم يتوضا وكان يقول في دعائه اللهم
اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري
نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وامامي نورا وخلفي نورا واجعلني نورا اد
لبعضهم وفي لساني نورا وذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري وفي رواية
وصلى ركعتين خفيفتين قلت قرا فيهما بام الكتاب في كل ركعة ثم سلم ثم صلى
احدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام فاتاه بلال فقال الصلاة يا رسول الله فقام
فركع ركعتين ثم صلى للناس وفي رواية فقام فصلى ثلاث عشرة ركعة منها ركعتا
الفجر حزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا ايها المزمل وفي رواية فصلى ركعتين
ركعتين حتى صلى ثماني ركعات ثم اوتر بخمس لم يجلس بينهن وفي رواية النسائي
انه صلى احدى عشرة ركعة ثم نام حتى استثقل فرايته ينفخ فاتاه بلال الحديث
وفي اخرى له فتوضا واستاك وهو يقرا هذه الاية حتى فرغ منها ان في خلق
السموات والارض ثم صلى ركعتين ثم عاد فنام حتى سمعت نفخه ثم قام
فتوضا واستاك ثم صلى ركعتين ثم عاد فنام حتى سمعت نفخه ثم قام فتوضا
واستاك ثم صلى ركعتين ثم نام ثم قام فتوضا واستاك وصلى ركعتين واوتر
بثلاث ولمسلم فاستيقظ فتسوك وتوضا وهو يقول ان في خلق السموات
والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين اطال فيهما القيام والركوع والسجود
ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك

ويتوضأ وهو يقرأ هذه الآيات ثم أوتر بثلاث وأما حديث عائشة فعن سعيد
بن هشام قال انطلقت إلى عائشة فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلقه القرآن
قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كنا نعد
له صلى الله عليه وسلم سواكه وطهوره فيبعثه الله متى شاء أن يبعثه من الليل
فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا في الثامنة فيذكر الله ويحمده
ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعو
ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد فتلك إحدى عشرة ركعة
يا بني فلما أسن وأخذه اللحم أوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الأول
فتلك تسع يا بني رواه مسلم وللنسائي كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما
شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيهن إلا عند
الثامنة ويحمد الله تعالى ويصلي ويقعد ويصلي على نبيه ويدعو بينهن ولا يسلم
ثم يصلي التاسعة ويحمد الله ويصلي على نبيه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين
بعد ما يسلم وهو قاعد زاد في أخرى فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني فلما أسن صلى
الله عليه وسلم وأخذه اللحم أوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الأول
ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما سلم فتلك تسع أي بني وفي رواية له فصلى
ست ركعات يخيل إلي أنه سوى بينهن في القراءة والركوع والسجود ثم يوتر بركعة
ثم يصلي ركعتين وهو جالس ثم يضع جنبه وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم
إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين رواه مسلم وأحمد وعنها
كان عليه الصلاة والسلام يصلي بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة
ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة فيسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ
أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فإذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين
له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه
المؤذن للإقامة رواه أبو داود وعنها قالت كان يصلي ثلاث عشرة ركعة
يوتر من ذلك بخمس لا يجلس في شيء إلا في آخرها رواه البخاري ومسلم وفي البخاري
عن مسروق سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت سبعا وتسعا وإحدى عشرة سوى ركعتي الفجر وعنده أيضا عن
القاسم بن محمد عنها كان صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة
منها الوتر وركعتا الفجر قال القرطبي أشكلت روايات عائشة على كثير
من أهل العلم حتى نسب بعضهم حديثها إلى الاضطراب وهذا إنما يتم لو كان الراوي
عنها واحدا وأخبرت عن وقت واحد والصواب أن كل شيء ذكرته من ذلك

محمول

محمول على أوقات متعددة وأحوال مختلفة بحسب النشاط وبيان الجواز انتهى فأما ما أجابت
به مسروقا فمرادها أن ذلك وقع منه في أوقات مختلفة فتارة كان يصلي سبعا وتارة
تسعا وتارة إحدى عشرة **وأما** حديث القاسم فمحمول على أن ذلك كان غالب أحواله
قيل والحكمة في عدم الزيادة على إحدى عشرة أن التهجد والوتر مختص بصلاة الليل
وفرائض النهار الظهر وهي أربع والعصر وهي أربع والمغرب وهي ثلاث وتر النهار
فناسب أن تكون صلاة الليل كصلاة النهار في العدد جملة وتفصيلا **وأما**
مناسبة ثلاث عشرة فبضم صلاة الصبح لكونها نهارية إلى ما بعدها انتهى وعن
زيد بن خالد الجهني أنه قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الليلة قال فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين
ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين
قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين
قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة رواه مسلم وقوله ثم صلى ركعتين وهما
دون اللتين قبلهما أربع مرات هكذا في صحيح مسلم وموطأ مالك وسنن أبي
داود وجامع الأصول لابن الأثير فقد كان قيامه عليه الصلاة والسلام بالليل أنواعا
أحدها ست ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بثلاث كما في حديث ابن عباس
عند مسلم **ثانيها** أنه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ثم يتم ورده إحدى
عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بركعة رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة
ثالثها ثلاث عشرة كذلك رواه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني **رابعها**
ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بخمس سردا متوالية لا يجلس إلا في آخرهن
رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس **خامسها** تسع ركعات لا يجلس فيهن
إلا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعو ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعة
ثم يقعد فيحمده ويدعو ثم يسلم ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم قاعدا رواه
مسلم من حديث عائشة **سادسها** يصلي سبعا كالتسع ثم يصلي بعدها ركعتين
جالسا رواه مسلم أيضا من حديثها **سابعها** كان يصلي مثنى مثنى ثم يوتر
بثلاث لا يفصل بينهن رواه أحمد عنها **ثامنها** ما رواه النسائي عن حذيفة
أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فركع فقال في ركوعه
سبحان ربي العظيم مثل ما كان قائما ثم جلس يقول رب اغفر لي رب اغفر لي
فما صلى إلا أربع ركعات حتى جاء بلال يدعوه إلى الغداة رواه أبو داود ه
ولفظه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فكان يقول
الله أكبر ثلاثا ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم استفتح
فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه وكان يقول في ركوعه

سبحان ربي العظيم ثم رفع راسه من الركوع فكان قيامه نحوا من ركوعه يقول لربي
الحمد ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه فكان يقول في سجوده سبحان ربي الاعلى ثم
رفع راسه من السجود وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوا من سجوده وكان يقول رب اغفر
لي رب اغفر لي فصلى اربع ركعات فقرا فيهن البقرة وال عمران والنسا والمايدة او
الانعام شك شعبة ورواه البخاري ومسلم بلفظ صليت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها
في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النسا فقراها ثم افتتح ال عمران فقراها يقرا
مترسلا اذا مر باية فيها تسبيح سبح واذا مر بسوال سال واذا مر بتعوذ تعوذ ثم
يركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده
زاد في رواية ربنا لك الحمد ثم قام قياما طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي
الاعلى فكان سجوده قريبا من قيامه وزاد النسايي لا يمر باية تخويف او تعظيم لله عز وجل
الا ذكره وقد كانت هيية صلاته عليه الصلاة والسلام ثلاثة احدها انه كان اكثر
صلاته قايما فعن حفصة قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في سبحته قاعدا
حتى كان قبل وفاته بعام فكان يصلي في سبحته قاعدا الحديث رواه مسلم والنسايي
وصححه الترمذي الثاني كان يصلي قاعدا ويركع قاعدا رواه البخاري ومسلم
وغيرهما من حديث عايشة بلفظ واذا قرا وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد
الثالث كان يقرا قاعدا فاذا بقي يسير من قراته قام فركع قايما رواه مسلم
من حديث عايشة ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي جالسا
ويقرا وهو جالس فاذا بقي من قراته قدر ما يكون ثلاثين اية او اربعين اية قام
وقرا وهو قايم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك وعن عايشة
كان صلى الله عليه وسلم يسترها رواه الدارقطني وكان صلى الله عليه وسلم يصلي
ركعتين بعد الوتر جالسا تارة وتارة يقرا فيهما وهو جالس فاذا اراد ان يركع قام
ثم ركع قالت عايشة كان يوتر بواحدة ثم يركع ركعتين يقرا فيهما وهو جالس
فاذا اراد ان يركع قام فركع رواه ابن ماجة وعن ابي امامة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرا فيهما اذا
زلزلت والكافرون رواه احمد واختلف في هاتين الركعتين فانكرهما مالك
وكذا النووي في المجموع وقال احمد لا افعله ولا امنعه انتهى والصواب انه
انما فعلهما بيانا لجواز الصلاة بعد الوتر ولفظه كان لا تقيد دواما ولا اكثرية
هنا غلط من ظنهما سنة راتبة فانه صلى الله عليه وسلم ما داوم عليهما ولا تشبه
السنة ما الزمن حتى يكون للوتر صلاة بعده واما قيامه عليه الصلاة والسلام
ليلة النصف من شعبان فعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت قام

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فاطال السجود حتى ظننت انه قد قبض
فلما رايت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك فرجعت فلما رفع راسه من السجود وفرغ
من صلاته قال يا عايشة او يا حميرا اظننت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد خاس بك
قلت لا والله يا رسول الله ولكن ظننت انك قد قبضت لطول سجودك فقال اتدرين
اي ليلة هذه قلت الله ورسوله اعلم قال هذه ليلة النصف من شعبان ان الله عز وجل
يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويوخر
اهل الحقد كما هم رواه البيهقي من طريق العلا ابن الحرث عنها وقال هذا مرسل جيد
يعني ان العلا لم يسمع من عايشة وقد ورد في فضل ليلة النصف من شعبان احاديث
كثيرة لكن ضعفها الاكثرون وصحح ابن حبان بعضها وخرجه في صحيحه ومن امثلها كما
نبه عليه الحافظ ابن رجب حديث عايشة قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت
فاذا هو بالبقيع رافع راسه الى السما فقال اكنت تخافين ان يحيف الله عليك
ورسوله فقلت يا رسول الله قد ظننت انك قد اتيت بعض نسايك فقال ان
الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سما الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر
غنم كلب رواه احمد وقال الترمذي ان البخاري ضعفه وفي سنن ابن ماجة
باسناد ضعيف عن علي مرفوعا اذا كان ليلة نصف شعبان فقوموا ليلها وصوموا
نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى السما الدنيا فيقول الا من
مستغفر فاغفر له الا من مسترزق فارزقه الا من مبتلى فاعافيه الا كذا الا كذا
حتى يطلع الفجر وقد كان التابعون من اهل الشام كخالد بن معدان ومكحول
يجتهدون ليلة النصف من شعبان في العبادة وعنهم اخذ الناس تعظيمها
ويقال انه بلغهم في ذلك اثار اسراييلية فلما اشتهر ذلك عنهم اختلف الناس فيه
فمنهم من قبله منهم وقد انكر ذلك العلماء من اهل الحجاز منهم عطا وابن ابي مليكة
ونقله عبد الرحمن ابن زيد ابن اسلم عن فقها اهل المدينة وهو قول اصحاب مالك
وغيرهم وقالوا ذلك كله بدعة واجاب علما اهل الشام في صفة احيايها على
قولين احدهما انه يستحب احياوها جماعة في المساجد وكان خالد بن معدان
ولقمان بن عامر يلبسون فيها احسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون
في المسجد ليلتهم تلك ووافقهم اسحاق ابن راهويه على ذلك وقال في قيامها
في المسجد جماعة ليس ذلك ببدعة نقله عنه حرب الكرماني في مسايله والثاني
انه يكره الاجتماع لها في المساجد للصلاة والقصص والدعا ولا يكره ان
يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه وهذا قول الاوزاعي امام اهل الشام وفقيههم
وعالمهم ولا يعرف للامام احمد كلام في ليلة النصف من شعبان ويخرج
في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين عنه في قيام ليلتي العيد

نافلة في رواية لم يستحب قيامها جماعة لانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه فعلها واستحبها في رواية لفعل عبد الرحمن ابن يزيد ابن الاسود لذلك وهو من التابعين وكذلك قيام ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيها شي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه انما ثبت عن طايفة من التابعين من اعيان فقها اهل الشام انتهى ملخصا من اللطايف **واما قوله** تعالى في سورة الدخان انا انزلناه في ليلة مباركة فالمراد بها انزال الله تعالى القران في ليلة القدر كما قال تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران **قال** الحافظ ابن كثير ومن قال انها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فان نص القران انها في رمضان **واما الحديث** الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري اخبرني عثمان بن محمد ابن المغيرة ابن الاخنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى فهو حديث مرسل ومثله لا تعارض به النصوص انتهى **واما قيامه عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان** وهو الذي سمي بالتراويح جمع ترويحة وهي المرة الواحدة من الراحة وسميت بذلك لانهم اول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين فعن عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر من رمضان احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد الميزر رواه البخاري ومسلم وابو داود والنساي ولمسلم قالت كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره وفي العشر الاخر منه ما لا يجتهد في غيره وفي رواية الترمذي كان يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره **وعنها** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فخرج فصلوا بصلاته فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد رايت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج اليكم الا اني خشيت ان تفرض عليكم وذلك في رمضان رواه البخاري ومسلم وابو داود وفي رواية للبخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته فاصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع اكثر منهم فخرج عليه الصلاة والسلام في الليلة الثانية فصلوا بصلاته فلما اصبح الناس يذكرون ذلك فكثر اهل المسجد في الليلة الثالثة فخرج فصلوا بصلاته فلما كان في الليلة الرابعة عجز المسجد عن اهله فلم يخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فطفق رجال منهم يقولون الا يخرج اليهم حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى الفجر اقبل على الناس ثم تشهد فقال اما

بعد

بعد انه لم يخف علي شانكم الليلة ولكني خشيت ان تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها وفي رواية بنحوه ومعناه مختصرا قال وذلك في رمضان **قال** في فتح الباري ظاهر الحديث انه صلى الله عليه وسلم توقع ترتب افتراض الصلاة بالليل جماعة على وجود المواظبة عليها وفي ذلك اشكال وقد بناه بعض المالكية على قاعدتهم في ان الشروع ملزم وفيه نظر **واجاب** المحب الطبري انه يحتمل ان يكون الله عز وجل اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة افترضتها عليهم فاحب التخفيف عنهم **وقيل خشي** ان يظن احد من الامة من مداومته عليها الوجوب **قال** القرطبي ان يظنوه فرضا فيجب عليه العمل به **وقد استشكل** الخطابي اصل هذه الخشية مع ما ثبت في حديث الاسرا من ان الله تعالى قال هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي فاذا امن التبديل كيف يقع الخوف من الزيادة وهذا يدفع صدر الاجوبة المتقدمة **واجاب** عنه الخطابي بان صلاة الليل كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وافعاله الشرعية يجب على الامة الاقتدا به فيها يعني عند المواظبة فترك الخروج اليهم لئلا يدخل في الواجب من طريق الامر بالاقتدا به لا من طريق انشا فرض جديد زايد على الخمس وهذا كما يوجب المرء على نفسه صلاة نذر فتجب ولا يلزم من ذلك زيادة فرض في اصل الشرع **قال** وفيه احتمال اخر وهو ان الله تعالى فرض الصلاة خمسين ثم حط معظمها بشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم فاذا عادت الامة فيما استوهب لها والتزمت ما استعفى لهم نبيهم عليه الصلاة والسلام منه لم يستنكر ان يثبت ذلك فرضا عليهم **قال** الحافظ ابن حجر وتلقى هذين الجوابين عن الخطابي جماعة كابن الجوزي وهو مبني على ان قيام الليل كان واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتدا بافعاله وفي كل من الامرين نزاع **ثم اجاب** بثلاثة اجوبة احدها انه يحتمل ان يكون المخوف افتراض قيام الليل بمعنى جعل التهجد في المسجد جماعة شرطا في صحة التنفل بالليل قال ويومي اليه قوله في حديث زيد ابن ثابت حتى خشيت ان يكتب عليكم ولو كتب عليكم ما قمتم به فصلوا ايها الناس في بيوتكم فمنعهم من التجميع في المسجد اشفاقا عليهم من اشتراطه وامن مع اذنه في المواظبة على ذلك في بيوتهم من افتراضه عليهم وثانيها ان يكون المخوف افتراض قيام الليل على الكفاية لا على الاعيان فلا يكون ذلك زايدا على الخمس بل هو نظير ما ذهب اليه قوم في العيد ونحوها وثالثها احتمال ان يكون المخوف افتراض قيام رمضان خاصة فقد وقع في حديث الباب ان ذلك كان في رمضان وفي حديث سفيان

وتقدم

سنين ابن حبين خشيت ان يفرض عليكم قيام هذا الشهر قال فعلى هذا يرتفع الاشكال
لان قيام رمضان لا يتكرر كل يوم في السنة فلا يكون ذلك قدرا زايدا على الخمس واقوى
هذه الاجوبة الثلاثة في نظري الاول وعن النعمان بن بشير قال قمنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في شهر رمضان ثلاث وعشرين الى ثلث الليل الاول ثم قمنا معه ليلة
خمس وعشرين الى نصف الليل ثم قمنا معه ليلة سبع وعشرين حتى ظننا ان لا ندرك
الفلاح وكانوا يسمونه السحور رواه النسائي **واختلف العلما** هل الافضل في صلاة
التراويح ان تصلى جماعة في المسجد او في البيوت فرادى فقال الشافعي وجمهور اصحابه
وابو حنيفة وبعض المالكية وغيرهم الافضل صلاتها جماعة كما فعله عمر ابن الخطاب
والصحابة واستمر عمل المسلمين عليه لانه من الشعاير الظاهرة فاشبه صلاة العيد
فان قلت قد ذكرت ان الحافظ ابن حجر حمل قوله عليه الصلاة والسلام اني
خشيت ان تفرض عليكم على التجميع في المسجد وقال انه اقوى الاجوبة **فالجواب**
انه صلى الله عليه وسلم لما مات حصل الامن من ذلك ورجح عمر التجميع لما في
الاختلاف من افتراق الكلمة ولان الاجتماع على واحد انشط لكثير من المصلين
وقال مالك وابو يوسف وبعض الشافعية وغيرهم الافضل صلاتها فرادى
في البيوت لقوله عليه الصلاة والسلام افضل صلاة المرء في بيته الا المكتوبة
قالوا وانما فعلها صلى الله عليه وسلم في المسجد لبيان الجواز ولانه كان
معتكفا **واما عدد** الركعات التي كان صلى الله عليه وسلم يصليها في رمضان
فعن ابي سلمة انه سال عايشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة
يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسال عن
حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عايشة فقلت يا رسول الله اتنام
قبل ان توتر قال يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي رواه البخاري
ومسلم واما ما رواه ابن ابي شيبة من حديث ابن عباس كان صلى الله عليه
وسلم يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر فاسناده ضعيف وقد عارضه
حديث عايشة هذا وهي اعلم بحال النبي صلى الله عليه وسلم ليلا من
غيرها وقد كان الامر في زمنه صلى الله عليه وسلم استمر على ان كل واحد
يقوم في رمضان في بيته منفردا حتى انقضى صدرا من خلافة عمر
وفي البخاري ان عمر خرج ليلة الى المسجد فاذا الناس اوزاع متفرقون
يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر لو اني
جمعت هولاء على قارئ واحد لكان امثل ثم عزم فجمعهم على ابي ابن
كعب ثم خرج ليلة اخرى والناس يصلون بصلاة قاريهم فقال عمر نعمت

البدعة هذه والتي تنامون عنها افضل من التي تقومون يريد اخر الليل وكان الناس
يقومون اوله وانما اختار ابيا لانه كان اقراهم كما قال عمر وروى سعيد ابن منصور من
طريق عروة ان عمر جمع الناس على ابي ابن كعب فكان يصلي بالرجال وكان تميم الداري يصلي بالنسا
وفي الموطا امر عمر ابي بن كعب وتميما الداري ان يقوما للناس في رمضان **وروى** البيهقي باسناد
صحيح ان الناس كانوا يقومون على عهد عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه في شهر رمضان
عشرين ركعة قال الحليمي والسر في كونها عشرين ركعة ان الرواتب في غير رمضان عشر ركعات
فضوعفت لانه وقت جد وتشمير **وفي** الموطا بثلاث وعشرين وجمع البيهقي بينهما بانهم
كانوا يوترون بثلاث **وفي** الموطا عن محمد بن يوسف عن السايب ابن يزيد انها
احدى عشرة وعند عبد العزيز احدى وعشرين والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف
الاحوال ويحتمل ان ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراة وتخفيفها فحيث يطيل القراة
تقل الركعات وبالعكس وقد روى محمد بن نصر من طريق داود بن قيس قال ادركت
الناس في امارة ابان ابن عثمان وعمر بن عبد العزيز يعني بالمدينة يقومون بست
وثلاثين ويوترون بثلاث وقال مالك هو الامر القديم عندنا وعن الزعفراني عن الشافعي
رايت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك
ضيق وعنه قال ان اطالوا القيام واقلوا السجود فحسن وان اكثروا السجود واخفوا
القراة فحسن والاول احب الي انتهى وهل يجوز لغير اهل المدينة صلاتها ستا وثلاثين
قال النووي قال الشافعي لا يجوز ذلك لغيرهم لان لاهلها شرفا بهجرته صلى الله
عليه وسلم ومدفنه وخالفه قول الحليمي ومن اقتدى باهل المدينة فقام بست
وثلاثين فحسن ايضا وينبغي ان يسلم من كل ركعتين فلو صلى اربعا بتسليمة لم يصح وفاقا
للقاضي حسين في فتاويه ولو صلى سنة الظهر والعصر اربعا بتسليمة واحدة
جاز والفرق ان التراويح لمشروعية الجماعة اشبهت الفرايض قاله النووي
في فتاويه وصرح به في الروضة وقد كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراة
في قيام رمضان بالليل اكثر من غيره وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان
قال فقرا بالبقرة ثم النسا ثم ال عمران لا يمر باية تخويف الا وقف وسال
قال فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فاذنه بالصلاة اخرجه احمد واخرجه
النسائي وعنده ايضا انه ما صلى الا اربع ركعات وكان للشافعي في رمضان
ستون ختمة يقروها في غير الصلاة

الباب الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم الوتر قد صح عنه صلى الله عليه وسلم

انه اوتر بخمس لم يجلس الا في اخرها لكن احاديث الفصل اكثر واثبت
طرقا واحتج بعض الحنفية لما ذهبوا اليه من تعيين الوصل والاقتصار
على ثلاث بان الصحابة اجمعوا على ان الوتر بثلاث موصولة حسن جايز

واختلفوا فيما زاد او نقص قال فاخذنا بما اجمعوا عليه وتركنا ما اختلفوا فيه
وتعقبه محمد بن نصر المروزي بما رواه من طريق عراك بن مالك عن ابي هريرة
مرفوعا وموقوفا لا توتروا بثلاث تشبهوا بصلاة المغرب وقد صححه الحاكم وعن سليمان
بن يسار انه كره الثلاث في الوتر وقال لا يشبه التطوع بالفريضة انتهى لكن قد روى
الحاكم من حديث عائشة انه كان صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث لا يقعد الا في اخرهن وروى
النسائي من حديث ابي بن كعب نحوه ولفظه يوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون
وقل هو الله احد ولا يسلم الا في اخرهن وبين في عدة طرق ان السور الثلاث بثلاث ركعات
والجمع بين هذا وبين ما تقدم من النهي عن التشبيه بصلاة المغرب ان يحمل النهي على صلاة الثلاث
بتشهدين وقد فعله السلف ايضا وروى محمد بن نصر من طريق الحسن ان عمر كان ينهض في
الثالثة من الوتر بالتكبير ومن طريق المسور بن مخرمة ان عمر اوتر بثلاث لم يسلم
الا في اخرهن ومن طريق طاوس عن ابيه انه كان يوتر بثلاث لا يقعد بينهن
وكان عمر يسلم من الركعة والركعتين في الوتر حتى يامر ببعض حاجته وهذا ظاهره انه
كان يصلي الوتر موصولا فان عرضت له حاجة فصل ثم بنى على ما مضى وفي هذا
رد على من قال لا يصح الوتر الا موصولا واصرح من ذلك ما روى الطحاوي من طريق
سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه انه كان يفصل بين شفعه ووتره بتسليمة واخبر
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله واسناده قوي وقد استدل بعضهم على
تعين الفصل بانه صلى الله عليه وسلم امر به وفعله واما الوصل فورد من فعله
فقط وقد حمل المخالف من الحنفية كل ما ورد من الثلاث على الوصل مع ان كثيرا
من الاحاديث ظاهر في الفصل كحديث عائشة يسلم من كل ركعتين فانه يدخل فيه
الركعتان اللتان قبل الاخيرة فهو كالنص في موضع النزاع وحمل الطحاوي هذا وامثاله
على ان الركعة مضمومة الى الركعتين قبلها ولم يتمسك في دعوى ذلك الا بالنهي
عن البتيراء مع احتمال ان يكون المراد بالبتيراء ان يوتر بواحدة فردة ليس
قبلها شيء وهو اعم من ان يكون مع الوصل او الفصل وقد اختلف السلف
في امرين احدهما مشروعية ركعتين بعد الوتر عن جلوس والثاني فيمن
اوتر ثم اراد ان يتنفل في الليل هل يكتفي بوتره الاول ويتنفل ما شاء
او يشفع وتره بركعة ثم يتنفل ثم اذا فعل هل يحتاج الى وتر اخر ام لا فاما
الاول فوقع عند مسلم من طريق ابي سلمة عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم
كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس وقد ذهب اليه بعض اهل العلم وجعلوا
الامر في قوله اجعلوا اخر صلاتكم بالليل وترا مختصا بمن اوتر اخر الليل
واجاب من لم يقل بذلك بان الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر وحمله النووي
على انه صلى الله عليه وسلم فعله لبيان جواز التنفل بعد الوتر وجواز التنفل

جالسا

جالسا واما الثاني فذهب الاكثر الى انه يصلي شفعا ما اراد ولا ينقض وتره
عملا بقوله عليه الصلاة والسلام لا وتران في ليلة وهو حديث حسن اخرجه النسائي
وابن خزيمة من حديث طلق بن علي وانما يصح نقض الوتر عند من يقول بمشروعية
التنفل بركعة واحدة غير الوتر واختلف السلف ايضا في مشروعية قضاء الوتر
فنفاه الاكثر وفي مسلم وغيره عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نام
من الليل من وجع او غيره فلم يقم من الليل صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة وقال
محمد بن نصر لم نجد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من الاخبار انه قضى الوتر ولا
امر بقضائه وعن عطاء والاوزاعي يقضي ولو طلعت الشمس الى الغروب وهو وجه عند
الشافعية حكاه النووي في شرح مسلم وعن سعيد بن جبير يقضي من القابلة وعن
الشافعي يقضي مطلقا وقالت عائشة اوتر صلى الله عليه وسلم من كل الليل من اوله
واوسطه واخره وانتهى وتره الى السحر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي
والنسائي والمراد باوله بعد صلاة العشاء ويحتمل ان يكون اختلاف وقت الوتر باختلاف
الاحوال فحيث اوتر اوله لعله كان وجعا وحيث اوتر في وسطه لعله كان
مسافرا واما وتره في اخره فكان غالب احواله لما عرف من مواظبته
عليه السلام على الصلاة اخر الليل والسحر قبيل الصبح وحكى الماوردي انه السدس
الاخير وقيل اوله الفجر الاول وفي رواية طلحة بن نافع عن ابن عباس عند ابن خزيمة
فلما انفجر الفجر قام صلى الله عليه وسلم فاوتر بركعة قال ابن خزيمة والمراد الفجر
الاول وروى احمد من حديث معاذ مرفوعا زادني ربي صلاة وهي الوتر وقتها من
العشاء الى طلوع الفجر وفي اسناده ضعف وكذا في حديث خارجة بن حذافة
في السنن وهو الذي احتج به من قال بوجوب الوتر وليس صريحا في الوجوب
واما حديث بريدة رفعه الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا واعاد ذلك
ثلاثا ففي سنده ابو المنيب وفيه ضعف وعلى تقدير قبوله فيحتاج من احتج
به الى ان يثبت ان لفظة حق بمعنى واجب في عرف الشارع وان لفظ واجب
بمعنى ما ثبت من طريق الاحاد والله اعلم وقد كان صلى الله عليه وسلم
يصلي وعائشة راقدة معترضة على فراشه فاذا اراد ان يوتر ايقظها
فتوترت كما في البخاري وهذا يدل على استحباب جعل الوتر اخر الليل سواء
المتهجد وغيره ومحله اذا وثق ان يستيقظ بنفسه او بايقاظ غيره واستدل
به على وجوب الوتر لكونه عليه الصلاة والسلام سلك به مسلك الواجب
حيث لم يدعها نائمة للوتر وايقظها للتهجد وتعقب بانه لا يلزم من
ذلك الوجوب نعم يدل على تاكيد امر الوتر وانه فوق غيره من النوافل
الليلية وفيه استحباب ايقاظ النائم لادراك الصلاة ولا يختص ذلك

بالمزدلفة ولا يخشى خروج الوقت بالشروع ذلك لادراك الجماعة وادراك اول
الوقت وغير ذلك من المندوبات قال القرطبي لا يبعد ان يقال انه واجب في الواجب
مندوب في المندوب لان النائم وان لم يكن مكلفا لكن مانعه سريع الزوال
فهو كالغافل وتنبيه الغافل واجب والله تعالى اعلم وعن علي كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث يقرا فيهن بتسع سور من المفصل يقرا في كل ركعة
بثلاث سور اخرهن قل هو الله احد رواه الترمذي وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما كان يقرا في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
في ركعة ركعة وعن عائشة كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية
بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين رواه ابو داود
ولابي داود وكان اذا سلم قال سبحان الملك القدوس وعند النسائي ثلاثا يطيل
في اخرهن وفي رواية ويرفع صوته بالثالثة وعن علي كان عليه الصلاة والسلام
يقول في اخر وتره اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك
واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك رواه ابو داود والترمذي
والنسائي وابو ماجة قال ابن تيمية سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل والوتر
خاتمته ولذا كان عليه الصلاة والسلام يقرا في سنة الفجر وفي الوتر بسورتي
الاخلاص وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والارادة
وتوحيد الاعتقاد فسورة قل هو الله احد متضمنة لتوحيد الاعتقاد
والمعرفة وما يجب اثباته للرب تعالى من الاحدية والصمدية
المثبتة لجميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص ونفي الولد والوالد والكفؤ
المتضمن لنفي الشبيه والمثيل والنظير المتضمنة اثبات كل كمال ونفي
كل نقص عنه ونفي كل شبيه وهذه هي مجامع التوحيد العلمي والاعتقاد
فلذلك كانت تعدل ثلث القران فان القران مداره على الخبر والانشا
ثلاثة امر ونهي واباحة والخبر نوعان خبر عن الخالق تعالى واسمائه
وصفاته واحكامه وخبر عن خلقه فاخلصت سورة الاخلاص للخبر عنه
وعن اسمائه وصفاته فعدلت ثلث القران وخلصت قاريها المؤمن
بها من الشرك العلمي كما خلصته سورة قل يا ايها الكافرون من الشرك
العملي قاله ابن القيم **واما القنوت** في الركعة الاخيرة من الوتر
في النصف الاخير من شهر رمضان فقال النووي في الاذكار باستحبابه
ولم يذكر لذلك دليلا وقد اخرج ابو داود باسناد فيه رجال لهم
ثقات لكن احدهما منقطع وفي الاخر راو لم يسم ان عمر لما جمع
الناس على ابي ابن كعب قال كان لا يقنت الا في النصف الاخير

من

من رمضان وعن الحسن بن علي قال علمني جدي كلمات اقولهن في الوتر اللهم
اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت
وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت
تباركت ربنا وتعاليت وهذا اللفظ رواية تزيد رواه الطبراني وغيره **الباب**
الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الضحى وهي معدودة اختلف
الرواة هل صلاها النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فمنهم المثبت على النافي جريا على القاعدة
المعروفة لانه تضمن زيادة علم خفيت على النافين قالوا وقد يجوز ان يذهب علم مثل
هذا على كثير من الناس ويوجد عند الاقل ومنهم من رجح رواية النافي لقرينة ولم يعتد
برواية المثبت اما لضعفها او صرفها لمعاني عن صلاة الضحى قال الحاكم وفي الباب
عن ابي سعيد وابي ذر الغفاري وزيد بن ارقم وابي هريرة وبريدة الاسلمي وابي الدرداء
وعبد الله ابن ابي اوفى وعتبان ابن مالك وعتبة ابن عبد الاسلمي ونعيم ابن همار
الغطفاني وابي امامة الباهلي وعائشة بنت ابي بكر وام هانئ وام سلمة كلهم
شهدوا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى انتهى **فاما حديث** ابي سعيد فاخرجه
الحاكم والترمذي عن عطية العوفي عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وقال الترمذي حسن غريب
قال النووي عطية ضعيف فلعله اعتضد واما حديث ابي ذر الغفاري فرواه البزار
واما حديث زيد ابن ارقم فرواه مسلم بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يصلي من الضحى الحديث واما حديث ابي هريرة فرواه البزار في مسنده بلفظ ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يترك صلاة الضحى في سفر ولا غيره واسناده
ضعيف فيه يوسف ابن خالد السمتي ضعيف جدا واما حديث بريدة الاسلمي
فرواه   واما حديث ابي الدرداء فرواه   واما حديث ابن ابي اوفى
فرواه ابن عدي والحاكم بلفظ قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى الضحى ركعتين يوم بشر براس ابي جهل قال بعض العلماء النافين لرواية
المثبتين هذا الحديث صحيح لكنه صلاة شكر وقعت وقت الضحى كشكره يوم فتح
مكة **واما** حديث عتبان ابن مالك فرواه احمد من رواية محمود ابن
الربيع عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بيته سبحة الضحى واما
حديث عتبة ابن عبد فرواه   واما حديث نعيم فرواه
واما حديث ابي امامة فرواه   واما حديث عائشة فرواه مسلم واحمد
وابن ماجة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى اربعا
ويزيد ما شاء الله وعن عبد الله ابن شقيق قال سالت عائشة
هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى قالت لا الا ان يجيء

من مغيبه واما حديث ام هاني فرواه البخاري ومسلم قالت ان النبي
صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات
فلم ار صلاة قط اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود قالت في رواية اخرى
وذلك ضحى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها عام
الفتح ثماني ركعات في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه وللنسائي انها ذهبت
الى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمت
فقال من هذه قلت انا ام هاني فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات
ملتحفا في ثوب واحد ولابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح صلى
سبحة الضحى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين وقد استدل بحديث البخاري ومسلم
على استحباب تخفيف صلاة الضحى وفيه نظر لاحتمال ان يكون السبب فيه التفرغ لمهمات
الفتح لكثرة شغله به وقد ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم انه صلى الضحى فطول فيها
اخرجه ابن ابي شيبة من حديث حذيفة واما حديث ام سلمة فرواه الحاكم من طريق
اسحاق ابن بشر المحاربي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى ثنتي عشرة
ركعة قلت وروي عن ابن جبير ابن مطعم عن ابيه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي الضحى ست ركعات رواه الحاكم ايضا وعن انس ابن مالك قال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلى في السفر سبحة الضحى ثماني ركعات رواه احمد وصححه
ابن خزيمة والحاكم وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى
رواه النسائي في سننه الكبرى واحمد وابو يعلى واسناده جيد وعن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي من الضحى الا يومين يوم يقدم مكة
وعن ابي بكرة عند ابن عدي في الكامل من رواية عمرو بن عبيد عن الحسن عن
ابي بكرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى فجاء الحسن وهو
غلام فلما سجد ركب ظهره الحديث وعمرو بن عبيد متروك وعن جابر بن عبد
الله ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ست ركعات رواه الحاكم قال
الشيخ ولي الدين العراقي وقد ورد فيها احاديث كثيرة صحيحة مشهورة حتى قال
محمد ابن جرير الطبري انها بلغت حد التواتر وقال ابن العربي وهي كانت
صلاة الانبيا قبل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم قال الله تعالى
مخبرا عن داود عليه السلام انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق
فابقى الله تعالى من ذلك في دين محمد صلى الله عليه وسلم العصر ونسخ صلاة
الاشراق واحتج القايلون بالنفي بحديث عايشة ان كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض
عليهم وما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط واني لاسبحها

رواه

رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود وحديث مورق العجلي قال قلت لابن عمر اتصلي
الضحى قال لا قلت فعمر قال لا قلت فابو بكر قال لا قلت فالنبي صلى الله عليه وسلم
قال لا اخاله رواه البخاري وقوله لا اخاله اي لا اظنه وهو بكسر الهمزة وتفتح ايضا
والخا المعجمة وقول الشعبي سمعت ابن عمر يقول ما ابتدع المسلمون افضل من صلاة الضحى وروى
عن مجاهد قال دخلت انا وعروة ابن الزبير المسجد فاذا ابن عمر جالس عند حجرة عايشة
واذا الناس في المسجد يصلون صلاة الضحى فسالناه عن صلاتهم فقال بدعة وروى
ابن ابي شيبة باسناد صحيح عن الحكم ابن الاعرج قال سالت ابن عمر عن صلاة الضحى فقال
بدعة ونعمت البدعة وروى عبد الرزاق باسناد صحيح عن سالم عن ابيه قال لقد
قتل عثمان وما احد يسبحها وما احدث الناس احب الي منها وقد جمع العلما بين هذه
الاحاديث بانه صلى الله عليه وسلم كان لا يداوم على صلاة الضحى مخافة ان تفرض على الامة
فيعجزوا عنها وكان يفعلها كما صرحت به عايشة كما تقدم وكما ذكرته ام هاني وغيرها
وقول عايشة ما رايته صلاها لا يخالف قولها كان يصليها لانه صلى الله عليه وسلم
كان لا يكون عندها في وقت الضحى الا في النادر من الاوقات لانه قد يكون مسافرا
وقد يكون حاضرا وفي الحضر قد يكون في المسجد وقد يكون في بيت من بيوت زوجاته
وغيرهن وما راته صلاها في تلك الاوقات النادرة فقالت ما رايته وعلمت بغير رؤية
انه كان يصليها باخباره صلى الله عليه وسلم او باخبار غيره فروت ذلك وقول
ابن عمر لا اخاله فتوقف وكان سبب توقفه انه بلغه عن غيره انه صلاها ولم يثق
بذلك عن من ذكره واما قوله انها بدعة فمحمول على انه لم تبلغه الاحاديث المذكورة
او اراد انه صلى الله عليه وسلم لم يداوم عليها او ان اظهارها في المساجد بدعة وانما
سنة نافلة في البيوت والله تعالى اعلم وبالجملة فليس في احاديث ابن عمر هذه ما يدفع
مشروعية صلاة الضحى لان نفيه محمول على عدم رؤيته لا على عدم الوقوع في نفس
الامر والذي نفاه صفة مخصوصة كما قدمناه وقد روى ابن ابي شيبة عن ابن مسعود
انه راى قوما يصلونها فانكر عليهم وقال ان كان ولا بد ففي بيوتكم وذهب اخرون
الى استحباب فعلها غبا فيصلي في بعض الايام دون بعض وكان ابن عباس يصليها
يوما ويدعها عشرة ايام وذهب اخرون الى انها انما تفعل لسبب من الاسباب
وانه عليه الصلاة والسلام انما صلاها يوم الفتح من اجل الفتح وكان الامرا يسمونها
صلاة الفتح متمسكين بما قاله عياض وغيره ان حديث ام هاني ليس بظاهر
في انه عليه الصلاة والسلام قصد سنة الضحى وانما فيه انها اخبرت عن وقت
صلاته فقط قال وقد قيل انها كانت قضا عما شغل عنه تلك الليلة
من حزبه فيها وتعقبه النووي بان الصواب صحة الاستدلال به لما رواه
ابو داود من طريق كريب عن ام هاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى

ولمسلم في كتاب الطهارة من طريق ابي مرة عن ام هانئ في قصة اغتسالها الضحى
وروى ابن عبد البر في التمهيد من طريق عكرمة ابن خالد عن ام هانئ قالت قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة فصلى ثماني ركعات فقلت ما هذه الصلاة قال
هذه صلاة الضحى واستدل به على ان اكثر الضحى ثماني ركعات واستبعده السبكي ووجه
بان الاصل في العبادة التوقيف وهذا اكثر ما ورد من فعله عليه الصلاة والسلام
وقد ورد من فعله دون ذلك كحديث ابن ابي اوفى انه عليه الصلاة والسلام صلى الضحى
ركعتين اخرجه ابن عدي واما ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام مما فيه زيادة
على ذلك كحديث انس مرفوعا من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة
اخرجه الترمذي واستغربه وليس في اسناده من اطلق عليه الضعف ومن ثم قال
الروياني اكثرها ثنتا عشرة وقال النووي في شرح المهذب فيه حديث ضعيف كانه
يشير الى حديث انس لكن اذا ضم اليه حديث ابي الدرداء رفعه ومن صلى ثنتي عشرة
ركعة بنى الله له بيتا في الجنة رواه الطبراني وحديث ابي ذر عند البزار وفي اسناده ضعف
ايضا قوي وصلح للاحتجاج **ونقل** الترمذي عن احمد ان اصح شيء ورد في الباب حديث
ام هانئ وهو كما قال ولهذا قال النووي في الروضة افضلها ثمان واكثرها ثنتا عشرة
ففرق بين الاكثر والافضل **واجاب** القائلون بانها لا تفعل الا
لسبب عن قول ابي هريرة المروي في البخاري اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم
بثلاث لا ادعهن حتى اموت بصوم ثلاثة ايام من كل شهر وصلاة الضحى الحديث
بانه قد روي ان ابا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة فامره
بالضحى بدلا عن قيام الليل ولهذا امره ان لا ينام الا على وتر ولم يامر بذلك ابا
بكر ولا عمر ولا سائر الصحابة انتهى قال الحافظ ابن حجر وهذه الوصية
لابي هريرة قد ورد مثلها لابي الدرداء فيما رواه مسلم ولابي ذر فيما رواه النسائي
قال والحكمة في الوصية على المحافظة على ذلك تمرين النفس على جنس الصلاة
والصيام ليدخل في الواجب منهما بانشراح ولينجبر ما لعله يقع من نقص
ومن فوائد صلاة الضحى انها تجزئ عن الصدقة التي تصبح على مفاصل
الانسان الثلاثمائة وستين مفصلا كما اخرجه مسلم من حديث ابي ذر
قال فيه ويجزئ من ذلك ركعتا الضحى وقد ذكر اصحابنا الشافعية انها
افضل التطوع بعد الرواتب لكن قال النووي في شرح المهذب قدم عليها
صلاة التراويح فجعلها في الفضل بين الرواتب والضحى **وحكى** الحافظ ابو الفضل
العراقي في شرح الترمذي انه اشتهر بين العوام ان من صلى الضحى ثم قطعها
يعمى فصار كثير من الناس يتركها اصلا لذلك وليس لما قالوه اصل
بل الظاهر انه مما القاه الشيطان على السنة العوام ليحرمهم الخير الكثير

لاسيما

لاسيما ما وقع في حديث ابي ذر واقتصر في الوصية للثلاثة المذكورين على الثلاثة المذكورة
في الحديث لان الصلاة والصيام اشرف العبادات البدنية ولم يكن المذكورون من
اصحاب الاموال فكان يجزئهم من الصدقة عن السلامى كما في الحديث والله اعلم **وروى** الحاكم
من طريق ابي الخير عن عقبة ابن عامر قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصلي الضحى بسور
منها والشمس وضحاها والضحى ومناسبة ذلك ظاهرة جدا والله اعلم **تنبيه** قال
شيخ الاسلام والحفاظ ابو الفضل ابن حجر قول عائشة في الصحيح ما رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسبح سبحة الضحى يدل على ضعف ما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان صلاة الضحى
كانت واجبة عليه وقد عدها جماعة من العلماء من خصائصه صلى الله عليه وسلم
ولم يثبت ذلك في خبر صحيح **وقول** الماوردي في الحاوي انه صلى الله عليه وسلم واظب
عليها بعد يوم الفتح الى ان مات يعكر عليه ما رواه مسلم من حديث ام هانئ انه لم يصلها
قبل ولا بعد ولا يقال ان نفي ام هانئ لذلك لا يلزم منه العدم لانا نقول يحتاج من اثبته
الى دليل ولو وجد لم يكن حجة لان عائشة ذكرت انه كان اذا عمل عملا اثبته فلا تستلزم
المواظبة على هذا الوجوب عليه انتهى **وقال** ابن العربي في عارضة الاحوذي انا ابو الحسن
الازدي انا ابو طاهر انبانا ابو العباس عبد الله ابن عبد الرحمن العسكري حدثنا الحسين بن علي حدثنا
ابو عثمان حدثنا قيس عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتب علي النحر ولم يكتب عليكم وامرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها ورواه
الدارقطني

القسم الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل واحكامها
وفيه بابان الاول في النوافل المقرونة بالاوقات وفيه فصلان **الاول**
في رواتب الصلوات الخمس والجمعة وفيه فروع **الاول** في احاديث جامعة لرواتب
مشتركة عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين
وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد صلاة العشاء ركعتين وكان لا يصلي
بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي في بيته ركعتين قال واخبرتني حفصة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا سكت المؤذن من الاذان لصلاة الصبح وبدا الصبح
صلى ركعتين خفيفتين قبل ان تقام الصلاة رواه البخاري فهذه عشر ركعات لان الركعتين
بعد الجمعة لا يجتمعان مع الركعتين بعد الظهر الا لعارض بان يصلي الجمعة وسنتها
التي بعدها ثم يتبين له فسادها فيصلي الظهر ويصلي بعدها سنتها كما نبه
عليه الشيخ ولي الدين العراقي واختلف في دلالة كان على التكرار وصحح ابن
الحاجب انها تقتضيه قال وهذا استفدناه من قولهم كان حاتم يقري الضيف
وصحح الامام فخر الدين في المحصول انها لا تقتضيه لا لغة ولا عرفا **وقال**
النووي في شرح مسلم انه المختار الذي عليه الاكثرون والمحققون من
الاصوليين **وذكر** ابن دقيق العيد انها تقتضيه عرفا فعلى هذا في الحديث

دلالة على تكرر هذه النوافل من النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان هذا دابه وعادته
وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته قبل الظهر اربعا ثم يخرج فيصلي
بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين
وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ثم يصلي بالناس العشاء ويدخل
بيتي فيصلي ركعتين وفي اخره وكان اذا طلع الفجر صلى ركعتين الحديث رواه مسلم فهذه
ثنتي عشرة ركعة وعنها كان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة
وفي رواية لم يتركهما سرا وعلانية في سفر ولا حضر ركعتان قبل الصبح وركعتان بعد
العصر رواه البخاري ومسلم **الثاني في ركعتي الفجر قالت** عائشة لم يكن صلى
الله عليه وسلم على شيء من النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر رواه البخاري
ومسلم وابو داود والترمذي ولمسلم لهما احب الي من الدنيا جميعا وكان يصليهما اذا اسكت
المؤذن بعد ان يستنير الفجر ويخففهما رواه الشيخان وهذا لفظ النسائي **واختلف**
في حكمة تخفيفهما فقيل ليبادر الى صلاة الصبح في اول الوقت وبه جزم القرطبي وقيل
ليستفتح صلاة النهار بركعتين خفيفتين كما كان يصنع في صلاة الليل كما تقدم ليدخل
في الفرض او ما يشبهه في الفضل بنشاط واستعداد تام وقد ذهب بعضهم كما تقدم الى اطالة
القراءة فيهما وهو قول اكثر الحنفية ونقل عن النخعي واورد البيهقي فيه حديثا مرفوعا من
مرسل سعيد بن جبير وفي سنده راو لم يسم وخص بعضهم ذلك بمن فاته شيء من قراءته
في صلاة الليل فيستدركها في ركعتي الفجر واخرجه ابن ابي شيبة بسند صحيح عن الحسن
البصري وكان كثيرا ما يقرا في الاولى منهما قولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية التي
في البقرة وفي الاخرة قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله
اشهدوا بانا مسلمون رواه مسلم وابو داود والنسائي من رواية ابن عباس
وفي رواية ابي داود من حديث ابي هريرة قولوا امنا بالله وما انزل الينا في الركعة
الاولى وبهذه الاية ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين
او انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم قال ابو داود
شك الراوي وقال ابو هريرة قرا في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو
الله احد رواه مسلم وابو داود والترمذي وقد روى ابن ماجه باسناد قوي
عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي ركعتين قبل الفجر وكان يقول نعم السورتان يقرا بهما في ركعتي الفجر قل
يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ولابن ابي شيبة من طريق ابن سيرين
عن عائشة كان يقرا فيهما بهما وللترمذي والنسائي من حديث ابن عمر رمقت
النبي صلى الله عليه وسلم شهرا فكان يقرا بهما وقد استدل بعضهم بهذا الحديث
على الجهر بالقراءة في ركعتي الفجر ولا حجة فيه لاحتمال ان يكون ذلك عرف بقراءته

بعض السورة ويدل على ذلك ان في رواية ابن سيرين المذكورة يسر فيهما القراءة وصححه
ابن عبد البر واستدل بعضهم ايضا بهذه الاحاديث المذكورة على انه لا يتعين الفاتحة
لانها لم يذكرها مع سورتي الاخلاص **واجيب** بانه ترك ذكر الفاتحة لوضوح
الامر فيها انتهى **وكان** عليه الصلاة والسلام اذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الايمن
رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة لانه عليه الصلاة والسلام كان يحب التيمن
وقد قيل الحكمة فيه ان القلب من جهة اليسار فلو اضطجع عليه لاستغرق نوما
لكونه ابلغ في الراحة بخلاف اليمين فيكون القلب معلقا فلا يستغرق وهذا انما
يصح بالنسبة الى غيره عليه الصلاة والسلام كما لا يخفى **واما ما روي** ان ابن
عمر راى رجلا يصلي ركعتي الفجر ثم اضطجع فقال ما حملك على ما صنعت قال اردت
ان افصل بين صلاتي فقال له واي فصل افضل من السلام قال قلت انها سنة قال بل
بدعة رواه ابن الاثير في جامعه عن رزين وكذا ما روي من انكار ابن مسعود
ومن قول ابراهيم النخعي انها ضجعة الشيطان كما اخرجهما ابن ابي شيبة فمحمول
على انه لم يبلغهم الامر بفعله وارجح الاقوال مشروعيته للفصل لكن لم يداوم عليه
الصلاة والسلام عليه ولذا احتج الايمة على عدم الوجوب وحملوا الامر الوارد
بذلك عند ابي داود وغيره على الاستحباب وفايدة ذلك الراحة والنشاط لصلاة
الصبح وعلى هذا فلا يستحب ذلك الا للمتهجد وبه جزم ابن العربي **ويشهد** لهذا
ما رواه عبد الرزاق ان عائشة كانت تقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم
يضطجع لسنة ولكنه كان يداب ليلته فيستريح وفي اسناده راو لم يسم **وقيل**
ان فايدتها الفصل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح وعلى هذا فلا اختصاص ومن ثم
قال الشافعي ان السنة تتادى بكل ما يحصل به الفصل من مشي وكلام وغيره
حكاه البيهقي وقال النووي المختار انها سنة لظاهر حديث ابي هريرة وقد قال
ابو هريرة راوي الحديث ان الفصل بالمشي الى المسجد لا يكفي وافرط ابن حزم
فقال يجب على كل احد وجعله شرطا لصحة صلاة الصبح ورد عليه العلماء بعده
حتى طعن ابن تيمية في صحة الحديث لتفرد عبد الواحد بن زياد به وفي
حفظه مقال والحق انه تقوم به الحجة وذهب بعض السلف الى استحبابها
في البيت دون المسجد وهو محكي عن ابن عمر وقواه بعض شيوخنا بانه
لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فعله في المسجد اخرجه ابن
ابي شيبة وقال عليه الصلاة والسلام من لم يصل ركعتي الفجر فليصلهما
بعد ما تطلع الشمس رواه الترمذي من رواية ابي هريرة **الثالث**
في راتبة الظهر عن ابن عمر صليت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها رواه البخاري ومسلم

والترمذي وعن عائشة كان عليه الصلاة والسلام لا يدع اربعا قبل الظهر
وركعتين قبل صلاة الغداة رواه البخاري ايضا فاما ان يقال انه صلى الله
عليه وسلم كان اذا صلى في بيته صلى اربعا واذا صلى في المسجد صلى ركعتين
وهذا اظهر واما ان يقال كان يفعل هذا وهذا فحكى كل من عائشة وابن عمر ما شاهده
والحديثان صحيحان لا مطعن في واحد منهما وقال ابو جعفر الطبري الاربع كانت في كثير
من احواله والركعتان في قليلها انتهى وقد يقال ان الاربع التي قبل الظهر لم تكن سنة الظهر
بل هي صلاة مستقلة كان يصليها بعد الزوال وروى البزار من حديث ثوبان انه صلى الله
عليه وسلم كان يستحب ان يصلي بعد نصف الليل فقالت عائشة يا رسول الله اراك تستحب
الصلاة هذه الساعة قال تفتح فيها ابواب السما وينظر الله تعالى الى خلقه بالرحمة وهي
صلاة كان يحافظ عليها ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وعن عبد الله
ابن السايب كان صلى الله عليه وسلم يصلي اربعا بعد ان تزول الشمس قبل الظهر وقال
انها ساعة تفتح لها ابواب السما واحب ان يصعد لي فيها عمل صالح رواه الترمذي
وروي ايضا احاديث اربع قبل الظهر وبعد الزوال تحسب بمثلهن في السحر وما من
شي الا يسبح الله تعالى تلك الساعة ثم قرا تتفيأ ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله
وهم داخرون فهذه والله اعلم هي الاربع التي ارادت عائشة انه كان لا يدعهن
واما سنة الظهر فالركعتان التي قال ابن عمر ويوضح هذا ان ساير الصلوات سنتها
ركعتان وعلى هذا فتكون هذه الاربعة وردا مستقلا سببه انتصاف وزوال
الشمس وسر هذا والله اعلم ان انتصاف النهار مقابل لانتصاف الليل وابواب السما
تفتح بعد زوال الشمس ويحصل النزول الالهي بعد انتصاف الليل فهما وقتا قرب
ورحمة هذا فيه تفتح ابواب السما وهذا ينزل فيه الرب تبارك وتعالى عن حركة الاجسام
الرابع في سنة العصر عن علي كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر
ركعتين رواه ابو داود وعن علي ايضا كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر
اربع ركعات يفصل بينهن بالتسليم على الملايكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين
والمومنين رواه الترمذي وروي مرفوعا ايضا حديث رحم الله امرا صلى
قبل العصر اربعا وقالت عائشة ما كان صلى الله عليه وسلم ياتيني في يومي
بعد العصر الا صلى ركعتين وفي رواية ما ترك ركعتين بعد العصر عندي
قط رواه البخاري ومسلم ولمسلم ان ابا سلمة سالها عن السجدتين
اللتين كان يصليهما بعد العصر فقالت كان يصليهما قبل العصر ثم انه
شغل عنهما فصلاهما بعد العصر ثم اثبتهما وكان اذا صلى صلاة اثبتها
يعني داوم عليها ولابي داود وقالت كان يصلي بعد العصر ركعتين وينهى
عنهما ويواصل وينهى عن الوصال وقال ابن عباس انما صلى عليه

الصلاة والسلام ركعتين بعد العصر لانه اشتغل بقسمة مال اتاه عن الركعتين
اللتين بعد الظهر فقضاهما بعد العصر ثم لم يعد لهما رواه الترمذي وقالت ام سلمة
سمعته صلى الله عليه وسلم ينهى عنهما ثم رايته يصليهما حين صلى العصر ثم سالته عنهما فقال
انه اتاني اناس من عبد القيس بالاسلام فشغلوني عن الركعتين بعد الظهر فهما هاتان
الحديث وفيه ان ابن عباس قال كنت اضرب مع عمر ابن الخطاب الناس عنهما قال
ابن القيم قضا السنن الرواتب في اوقات النهي عام له ولامته واما المداومة على تلك
الركعتين في وقت النهي فخاص به قال وقد عد هذه من خصايصه انتهى والدليل
عليه رواية عائشة كان يصلي ركعتين بعد العصر وينهى عنهما ويواصل وينهى عن الوصال
لكن قال البيهقي الذي اختص به صلى الله عليه وسلم المداومة على ذلك لا اصل القضا واما
رواية ابن عباس عند الترمذي انه انما صلاهما بعد العصر لانه اشتغل بقسمة مال
اتاه فهو من رواية جرير عن عطا وقد سمع منه بعد اختلاطه وان صح فهو شاهد
لحديث ام سلمة لكن ظاهر قوله ثم لم يعد معارض لحديث عائشة المذكور وفي الدامغ فيحمل
النفي على علم الراوي فانه لم يطلع على ذلك والمثبت مقدم على النافي وكذا ما رواه
النسايي من طريق ابي سلمة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها
بعد العصر ركعتين مرة واحدة الحديث وفي رواية عنها لم اره يصليهما قبل
ولا بعد فيجمع بين الحديثين بانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يصليهما الا في بيته ولذلك
لم يره ابن عباس ولا ام سلمة يشير الى ذلك قول عائشة في رواية وكان لا يصليهما
في المسجد مخافة ان تثقل على امته ومراد عائشة بقولها ما كان في يومي بعد العصر
الا صلى ركعتين من الوقت الذي شغل عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما ولم ترد
انه كان يصلي بعد العصر من اول ما فرضت الصلوات مثلا الى اخر عمره والله اعلم
الخامس في راتبة المغرب عن ابن مسعود قال ما احصي ما سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرا في ذلك الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة
الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد رواه الترمذي وعن ابن عباس
قال كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراة في الركعتين بعد المغرب حتى يتفرق
اهل المسجد رواه ابو داود وكان اصحابه عليه الصلاة والسلام يصلون
ركعتين قبل المغرب قبل ان يخرج اليهم عليه الصلاة والسلام رواه البخاري
ومسلم وابو داود من حديث انس وفي رواية ابي داود قال انس رانا صلى الله
عليه وسلم فلم يامرنا ولم ينهنا وقال عقبة كنا نفعله على عهده صلى الله
عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وظاهره ان الركعتين بعد الغروب وقبل صلاة
المغرب كان امرا قرر اصحابه عليه وعملوا به وهذا يدل على الاستحباب
واما كونه عليه الصلاة والسلام لم يصليهما فلا ينفي الاستحباب بل يدل

على انهما ليسا من الرواتب والى استحبابهما ذهب احمد واسحاق واصحاب الحديث
وعن ابن عمر ما رايت احدا يصليهما على عهده صلى الله عليه وسلم وعن الخلفا الاربعة
وجماعة من الصحابة انهم كانوا لا يصلونهما فادعى بعض المالكية نسخهما وتعقب
بان دعوى النسخ لا دليل عليها ورواية المثبت وهو انس مقدم على رواية
النافي وهو ابن عمر وعن سعيد ابن المسيب انه كان يقول حق على كل مومن اذا اذن المودن
ان يركع ركعتين وعن مالك قول اخر باستحبابهما وهو عند الشافعي وجه رجحه النووي
ومن تبعه وقال في شرح مسلم قول من قال ان فعلهما يودي الى تاخير المغرب عن
اول وقتها خيال فاسد منابذ للسنة ومع ذلك فزمنهما يسير لا تتاخر به الصلاة
عن اول وقتها ومجموع الادلة يرشد الى استحباب تخفيفهما وقال صلى الله عليه
وسلم صلوا قبل المغرب ركعتين لمن شا خشية ان يتخذها الناس سنة رواه ابو داود
قال المحب الطبري لم يرد نفي استحبابهما لانه لا يمكن ان يامر بما لا يستحب بل هذا الحديث
من ادل الادلة على استحبابهما ومعنى قوله سنة اي شريعة وطريقة لازمة
وكان المراد انحطاط مرتبتهما عن رواتب الفرايض ولهذا لم يعدها اكثر الشافعية
في الرواتب واستدركهما بعضهم وتعقب بانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم
واظب عليهما وقال عليه الصلاة والسلام في الصلاة بعد المغرب هذه صلاة
البيوت رواه ابو داود والنساي من حديث كعب ابن عجرة وعنه عليه الصلاة
والسلام من صلى بعد المغرب ركعتين قبل ان يتكلم رفعت صلاته في عليين رواه
ابن رزين السادس في راتبة العشا قالت عايشة ما صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم العشا قط فدخل بيتي الا صلى اربع ركعات او
ست ركعات رواه ابو داود وفي رواية مسلم قالت عايشة ثم يصلي بالناس
العشا فيدخل بيتي فيصلي ركعتين وكذا في حديث ابن عمر عند الشيخين
وتقدما اول هذا القسم والله اعلم الفرع السابع في راتبة
الجمعة عن عبد الله ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين
في بيته وبعد العشا ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف
فيصلي ركعتين رواه البخاري ولم يذكر شيا في الصلاة قبل صلاة الجمعة
قال ابن المنير فيما حكاه في فتح الباري كانه يقول الاصل استوا الظهر
والجمعة حتى يدل دليل على خلافه لان الجمعة بدل الظهر وقال
ابن بطال انما اعاد ابن عمر ذكر الجمعة بعد ذكر الظهر من اجل انه
كان صلى الله عليه وسلم يصلي سنة الجمعة في بيته بخلاف الظهر قال
والحكمة فيه ان الجمعة لما كانت بدل الظهر واقتصر فيها على ركعتين ترك

التنفل

التنفل بعدها في المسجد خشية ان يظن انها التي حذفت انتهى وعلى هذا فينبغي
ان لا يتنفل قبلها ركعتين متصلتين بها في المسجد لهذا المعنى وقد روى ابو داود
وابن حبان من طريق ايوب عن نافع قال كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي
بعدها ركعتين في بيته ويحدث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك
وقد احتج به النووي في الخلاصة على اثبات سنة الجمعة التي قبلها وتعقب
بان قوله وكان يفعل ذلك عايد على قوله ويصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته ويدل
عليه رواية الليث عن نافع عن عبد الله انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فسجد
سجدتين في بيته ثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك
رواه مسلم واما قوله كان يطيل الصلاة قبل الجمعة فان كان المراد بعد
دخول الوقت فلا يصح ان يكون مرفوعا لانه عليه الصلاة والسلام كان يخرج
اذا زالت الشمس فيشتغل بالخطبة ثم بصلاة الجمعة فان كان المراد قبل
دخول الوقت فذلك مطلق نافلة لا صلاة راتبة فلا حجة فيه لسنة الجمعة
التي قبلها بل هو تنفل مطلق وقد انكر جماعة كون الجمعة لها سنة قبلها وبالغوا
في الانكار منهم الامام شهاب الدين ابو شامة لانه لم يكن يوذن للجمعة الا بين
يديه عليه الصلاة والسلام وهو على المنبر فلم يكن يصليها وكذلك الصحابة
لانه اذا خرج الامام انقطعت الصلاة قال ابن العراقي ولم ار في كلام الفقها
من الحنفية والمالكية استحباب سنة الجمعة قبلها انتهى وقد ورد في سنة
التي قبلها احاديث اخرى ضعيفة منها عن ابي هريرة رواه البزار ولفظه
كان يصلي قبل الجمعة ركعتين وبعدها اربعا واقوى ما يتمسك به في مشروعية
الركعتين قبل الجمعة عموم ما صححه ابن حبان من حديث عبد الله ابن الزبير
مرفوعا ما من صلاة مفروضة الا وبين يديها ركعتان قاله في فتح الباري
وعن عطا قال كان ابن عمر اذا صلى الجمعة بمكة تقدم فصلى ركعتين ثم يتقدم
فيصلي اربعا واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فيصلي ركعتين
ولم يصل في المسجد فقيل له فقال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعله رواه ابو داود وفي رواية الترمذي قال رايت ابن عمر
صلى بعد الجمعة ركعتين ثم صلى بعد ذلك اربعا وعن ابن عمر ايضا
قال كان صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة ركعتين رواه النساي
وفي رواية كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته وفي اخرى ان
ابن عمر كان يصلي بعد الجمعة ركعتين يطيل فيهما القراة ويقول
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وتقدم حديث دخول
سليك الغطفاني يوم الجمعة وهو صلى الله عليه وسلم يخطب وقوله

صلى الله عليه وسلم له صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين مع ما فيه من المباحث في صلاة الجمعة **الفصل الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم العيدين وفيه فروع الاول في عدد الركعات عن** ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما ثم اتى النساء وبلال معه فامرهن بالصدقة فجعلت المراة تتصدق بخرصها وسخابها وفي رواية خرج يوم اضحى او فطر وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفطر ركعتين الحديث رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي **الفرع الثاني في عدد التكبير عن عائشة** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر في الفطر والاضحى في الاولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات زاد في رواية سوى تكبيرتي الاحرام والركوع وعن كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كبر في العيدين في الاولى سبعا قبل القراءة وفي الاخرى خمسا قبل القراءة رواه الترمذي وابن ماجة والدارمي **الفرع الثالث في الوقت والمكان** عن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والاضحى الى المصلى فاول شيء يبدا به الصلاة الحديث رواه البخاري ومسلم وفي هذا دليل لمن قال باستحباب الخروج لصلاة العيد الى المصلى وانه افضل من صلاتها في المسجد لمواظبته صلى الله عليه وسلم على ذلك مع فضل مسجده وعلى هذا عمل الناس في الامصار **واما اهل مكة** فلا يصلونها الا في المسجد من الزمن الاول ولاصحابنا الشافعية وجهان احدهما الصحرا افضل لهذا الحديث والثاني وهو الاصح عند اكثرهم المسجد افضل الا ان يضيق قالوا وانما صلى اهل مكة في المسجد لسعته وانما خرج النبي صلى الله عليه وسلم لضيق المسجد فدل على ان المسجد افضل اذا اتسع والمراد بالمصلى المذكور الذي على باب المدينة الشرقي قال ابن القيم ولم يصل العيد بمسجده الا مرة واحدة اصابهم مطر فصلى بهم العيد في المسجد ان ثبت الحديث وهو في سنن ابي داود وابن ماجة انتهى ولفظ ابي داود وعن ابي هريرة قال اصابنا مطر في يوم فطر فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد زاد ابن رزين ولم يخرج بنا الى المصلى **الفرع الرابع في الاذان والاقامة عن** جابر بن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد غير مرة ولا مرتين بغير اذان ولا اقامة رواه مسلم وابو داود والترمذي وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العيد بلا اذان ولا اقامة رواه ابو داود **الفرع الخامس في قراءته صلى الله عليه وسلم في العيدين عن** ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الاضحى والفطر بق والقران المجيد واقتربت

الساعة وانشق القمر رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذي وعن النعمان ابن بشير قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرا بهما رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي **الفرع السادس في خطبته صلى الله عليه وسلم وتقديمه صلاة العيد عليها عن** ابن عمر رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر يصلون العيد قبل الخطبة رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم الفطر فبدا بالصلاة قبل الخطبة وفي رواية قام فبدا بالصلاة ثم خطب الناس فلما فرغ نزل فاتى النساء فذكرهن وهو يتوكا على يد بلال وبلال باسط ثوبه تلقي فيه النساء صدقة وفي اخرى قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد فبدا بالصلاة قبل الخطبة بلا اذان ولا اقامة ثم قام متوكيا على بلال فامر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى اتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال تصدقن فان اكثركن حطب جهنم فقامت امراة من وسط النساء سعفاء الخدين فقالت لم يا رسول الله قال لانكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير قال فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين في ثوب بلال من اقراطهن وخواتيمهن رواه البخاري ومسلم وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البخاري فاول شيء يبدا به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويامرهم فان كان يريد ان يقطع بعثا قطعه او يامر بشيء امر به ثم ينصرف قال ابو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو امير المدينة في اضحى او فطر فلما اتينا المصلى اذا منبر بناه كثير ابن الصلت فاذا مروان يريد ان يرتقيه فقلت له غيرتم والله الحديث ولابن ماجة خطب عليه الصلاة والسلام يوم عيد على رجليه وهذا يشعر بانه لم يكن في المصلى في زمانه عليه الصلاة والسلام منبر ويدل على ذلك قول ابي سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان ومقتضاه ان اول من اتخذه مروان ووقع في المدونة لمالك ان اول من خطب الناس في المصلى على منبر عثمان ابن عفان كلمهم على منبر من طين بناه كثير ابن الصلت لكنه معضل وما في الصحيحين اصح فقد رواه مسلم من طريق داود ابن قيس نحو رواية البخاري ويحتمل ان يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى اعاده مروان

ولم يطلع على ذلك أبو سعيد قال شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله تعالى **الفرع**
السابع في أكله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر قبل خروجه إلى الصلاة
عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات
رواه البخاري وقال قال مرجا بن رجاء حدثني عبيد الله حدثني أنس عن النبي
صلى الله عليه وسلم ويأكلهن وترا ورواه الحاكم من رواية عتبة بن حميد
عنه بلفظ ما خرج يوم فطر حتى يأكل تمرات ثلاثا أو خمسا أو سبعا أو أقل من ذلك
أو أكثر وترا قال المهلب الحكمة في الأكل قبل الصلاة أن لا يظن ظان لزوم الصوم
حتى يصلي العيد فكأنه أراد سد هذه الذريعة قال غيره لما وقع وجوب الفطر
عقب وجوب الصوم استحب تعجيل الفطر مبادرة إلى امتثال أمر الله تعالى ويشعر
بذلك اقتصاره على القليل من ذلك ولو كان لغير الامتثال لأكل قدر الشبع أشار
إلى ذلك ابن أبي جمرة **وقيل** لأن الشيطان الذي يحبس في رمضان لا يطلق إلا
بعد صلاة العيد فاستحب تعجيل الفطر بدارا إلى السلامة من وسوسته والحكمة في استحباب
التمر لما في الحلو من تقوية البصر الذي يضعفه الصوم ولأن الحلو مما يوافق
الإيمان ويعبر به في المنام ويرق القلب ومن ثم استحب بعض التابعين أن
يفطر على الحلو مطلقا كالعسل رواه ابن أبي شيبة عن معاوية بن قرة وابن
سيرين وغيرهما وفي الترمذي والحاكم من حديث بريدة قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم الأضحى حتى يصلي ونحوه
عند البزار عن جابر بن سمرة وروى الطبراني والدارقطني من حديث ابن
عباس قال من السنة أن لا يخرج يوم الفطر حتى يخرج الصدقة ويطعم شيئا
قبل أن يخرج وفي كل من أسانيد الثلاثة مقال وقد أخذ أكثر الفقهاء بما دلت
عليه **قال** ابن المنير وقع أكله صلى الله عليه وسلم في كل من العيدين في الوقت
المشروع لإخراج صدقتهما الخاصة بهما فإخراج صدقة الفطر قبل الغدو
إلى المصلى وإخراج صدقة الأضحية بعد ذبحها فاجتمعا من جهة وافترقا من أخرى
وقال الشافعي في الأم بلغنا عن الزهري قال ما ركب رسول الله صلى
الله عليه وسلم في عيد ولا جنازة قط وفي الترمذي عن علي قال من
السنة أن يخرج إلى العيد ماشيا وفي ابن ماجه عن سعد القرظي أنه صلى الله
عليه وسلم كان يخرج إلى العيد ماشيا **وفيه** عن أبي رافع نحوه وأسانيد
الثلاثة ضعاف وعن أبي هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم
إذا خرج يوم العيد في طريق رجع في غيره رواه الترمذي وقد اختلف
في معنى ذلك على أقوال كثيرة قال الحافظ ابن حجر اجتمع لي منها أكثر من عشرين
وقد لخصتها وبينت الواهي منها **فمن ذلك** أنه فعل ذلك ليشهد له الطريقان

وقيل

وقيل سكانهما من الجن والإنس وقيل ليسوي بينهما في مزية الفضل بمروره أو في التبرك
أو ليشم رائحة المسك من الطريق التي يمر بها لأنه كان معروفا وقيل لأن طريقه
إلى المصلى كانت على اليمين فلو رجع منها لرجع على جهة الشمال فرجع من غيرها وهذا يحتاج
إلى دليل وقيل لإظهار شرائع الإسلام وقيل لإظهار ذكر الله وقيل ليغيظ المنافقين
واليهود وقيل حذرا من كيد الطائفتين أو إحداهما وقيل ليعمهم بالسرور به أو التبرك
بمروره والانتفاع به في قضاء حوائجهم في الاستفتاء أو التعلم والاقتداء أو الاسترشاد
والسلام عليهم وغير ذلك وقيل ليزور أقاربه الأحياء والأموات **وقيل** ليصل رحمه
وقيل ليتفاءل بتغير الحال إلى المغفرة والرضى وقيل كان يتصدق في ذهابه فإذا رجع
لم يبق معه شيء فيرجع في طريق أخرى لئلا يرد من سأله وهذا ضعيف جدا مع احتياجه
إلى دليل **وقيل** فعل ذلك لتخفيف الزحام وهذا رجحه الشيخ أبو حامد وقيل كانت
طريقه التي يتوجه منها أبعد من التي يرجع فيها فأراد تكثير الأجر بتكثير الخطا
في الذهاب وأما في الرجوع فليسرع إلى منزله وهذا اختيار الرافعي **وتعقب**
بأنه يحتاج إلى دليل وبأن أجر الخطا في الرجوع أيضا كما ثبت في حديث أبي بن كعب
عند الترمذي وغيره وقيل لأن الملائكة تقف في الطرقات فأراد أن يشهد له
فريقان منهم **وقال** ابن أبي جمرة هو في معنى قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب
واحد فأشار إلى أنه فعل ذلك حذر إصابة العين انتهى وكان صلى الله عليه وسلم
يخرج الأبكار والعواتق وذوات الخدور والحيض في العيدين فأما الحيض فيعتزلن
المصلى ويشهدن دعوة المسلمين قالت إحداهن يا رسول الله إحدانا لم يكن لها جلباب
قال فلتعرها أختها من جلابيبها رواه البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له ولا
دلالة فيه على وجوب صلاة العيد لأن من جملة من أمر بذلك من ليس بمكلف فظهر
أن القصد منه إظهار شعائر الإسلام بالمبالغة في الاجتماع ولتعم الجميع البركة
وفيه استحباب خروج النساء إلى شهود العيد سواء كن شواب أم لا وذوات هيئات
أم لا لكن نص الشافعي في الأم يقتضي استثناء ذوات الهيئات قال وأحب شهود
العجائز وغير ذوات الهيئات الصلاة وأنا لشهودهن الأعياد أشد استحبابا
وادعى بعضهم النسخ فيه وقال الطحاوي وأمره عليه الصلاة والسلام بخروج
الحيض وذوات الخدور إلى العيد يحتمل أن يكون في أول الإسلام والمسلمون
قليل فأريد التكثير بحضورهن إرهابا للعدو وأما اليوم فلا يحتاج
إلى ذلك وتعقب بأن النسخ لا يثبت بالاحتمال وقد صرح في حديث أم عطية
بعلة الحكم وهو شهودهن الخير ودعوة المسلمين ورجاء بركة ذلك اليوم
وطهرته وقد أفتت به أم عطية بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة ولم
يثبت عن أحد من الصحابة مخالفتها في ذلك وأما قول عائشة لو رأى

النبي صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء لمنعهن المساجد فلا يعارض ذلك لندوره وان سلمنا ان فيه دلالة انها افتت بخلافه مع ان الدلالة منه بان عائشة افتت بالمنع ليست صريحة وفي قول الطحاوي ارهابا للعدو نظر لان الاستنصار بالنساء والتكثر بهن في الحرب دال على الضعف والاولى ان يخص ذلك بمن يؤمن عليها وبها الفتنة فلا يترتب على حضورها محذور ولا تزاحم الرجال في الطرق ولا في الجامع قاله في فتح الباري وكان عليه الصلاة والسلام يخرج العنزة يوم الفطر والاضحى ثم يركزها فيصلي اليها رواه النسائي وغيره واذا علمت هذا فاعلم ان للمؤمنين في هذه الدنيا ثلاثة اعياد عيد يتكرر في كل اسبوع وعيدان ياتيان في كل عام مرة من غير تكرار في السنة فاما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع وهو مترتب على اكمال الصلوات المكتوبات من الله تعالى فيه عيدا واما العيدان اللذان لا يتكرران في كل عام وانما ياتي كل واحد منهما في العام مرة واحدة فاحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مرتب على اكمال صيام رمضان وهو الركن الثالث من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون صيام شهر رمضان المفروض عليهم واستوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنب واخره عتق من النار يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه فشرع الله تعالى لهم عقب صيامهم عيدا يجتمعون فيه على شكر الله تعالى وذكره وتكبيره على ما هداهم له وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة وهو يوم الجوائز يستوفي فيه الصائمون اجر صيامهم ويرجعون بالمغفرة **والعيد** الثاني عيد النحر وهو اكبر العيدين وافضلهما وهو مترتب على اكمال الحج وهو الركن الرابع من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون حجهم غفر لهم وانما يكمل الحج بيوم عرفة فان الوقوف بعرفة ركن الحج الاعظم ويوم عرفة هو يوم العتق من النار فيعتق فيه من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف بها من اهل الامصار من المسلمين فلذلك صار اليوم الذي يليه عيدا لجميع المسلمين في جميع امصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهد لاشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة وشرع للجميع التقرب اليه تعالى بالنسك باراقة دماء ضحاياهم فيكون ذلك اليوم شكرا منهم لهذه النعم والصلاة والنحر الذي يجتمع في عيد النحر افضل من الصلاة والصدقة في عيد الفطر ولهذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل شكره لربه على اعطائه الكوثر ان يصلي لربه وينحر وقد نحر صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر رواه البخاري من حديث انس قال ورايته واضعا قدمه على صفاحهما يقول بسم الله والله اكبر وعن عائشة انه صلى الله عليه وسلم امر بكبش يطا في سواد ويبرك في سواد

فاني

فاتي به ليضحي به قال يا عائشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها بحجر ففعلت ثم اخذها واخذ الكبش فاضجعه ثم ذبحه قال بسم الله اللهم تقبل من محمد وال محمد ومن امة محمد ثم ضحى به رواه مسلم **وعن جابر** قال ذبح النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر كبشين اقرنين املحين موجوءين فلما وجههما قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض على ملة ابراهيم حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وامته بسم الله والله اكبر ثم ذبح رواه البخاري وابو داود وابن ماجة والدارمي وفي رواية لاحمد والترمذي ذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر اللهم ان هذا عني وعن من لم يضح من امتي فهذه اعياد المسلمين في الدنيا وكلها عند اكمال طاعات مولاهم الملك الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من جزيل الاجر والثواب فليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن طاعته تزيد وليس العيد لمن تجمل باللباس والمركوب انما العيد لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد تفرق خلع العتق والمغفرة على العبيد فمن نال له منها شيء فله عيد والا فهو مطرود بعيد **واما اعياد** المؤمنين في الجنة فهي ايام زيارتهم ربهم عز وجل فيزورونه ويكرمهم غاية الاكرام ويتجلى لهم فينظرون اليه فما اعطاهم شيئا هو احب اليهم من ذلك وهو الزيادة فليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه **كما قيل**

ان يوما جامعا شملي بهم ... ذاك عيدي ليس لي عيد سواه

الباب الثاني في النوافل المقرونة بالاسباب وفيه اربعة فصول الفصل الاول في صلاته صلى الله عليه وسلم الكسوف

الكسوف لغة التغير الى السواد يقال كسفت الشمس اذا اسودت وذهب شعاعها عن قبيصة ابن المخارق قال كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فزعا يجر ثوبه وانا معه يومئذ بالمدينة فصلى ركعتين واطال فيهما القيام ثم انصرف وانجلت ثم قال انما هذه الايات يخوف الله بها عباده فاذا رايتموها فصلوا رواه ابو داود والنسائي وفي قوله عليه الصلاة والسلام يخوف الله بها عباده رد على ما يزعم اهل الهيئة ان الكسوف امر عادي لا يتاخر ولا يتقدم اذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف وقد رد عليهم ابن العربي وغيره بما في حديث ابي موسى عند البخاري حيث قال فيه فقام فزعا يخشى ان تكون الساعة قالوا فلو كان الكسوف بالحساب لم يقع الفزع ولو كان بالحساب لم يكن للامر بالعتق والصدقة والصلاة معنى يعني كما في حد

اسماء عند البخاري لفظ امر النبي صلى الله عليه وسلم بالعتاقة في كسوف الشمس
وكما عنده ايضا من حديث عائشة مرفوعا فاذا رايتم ذلك فادعوا الله
وكبروا وصلوا وتصدقوا فان ظاهر الاحاديث ان ذلك يفيد التخويف وان
كلما ذكر من انواع الطاعات يرجى ان يدفع به ما يخشى من اثر ذلك الكسوف
ومما نقض به ابن العربي وغيره ايضا انهم يزعمون ان الشمس لا تنكسف على الحقيقة
وانما يحول القمر بينها وبين اهل الارض عند اجتماعهما في العقدتين فقال هم يزعمون
ان الشمس اضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب الصغير الكبير اذا قابله ام كيف يظلم
الكثير بالقليل لا سيما وهو من جنسه وكيف تحجب الارض نور الشمس وقد وقع في حديث النعمان
ابن بشير وغيره للكسوف سبب اخر غير ما يزعمه اهل الهيئة وهو ما اخرجه
احمد والنسائي وابن ماجه وصححه ابن خزيمة والحاكم بلفظ ان القمر والشمس لا ينكسفان
لموت احد ولا لحياته ولكنهما ايتان من ايات الله وان الله اذا تجلى لشيء من خلقه
خشع له وقد استشكل الغزالي هذه الزيادة وقال انها لم تثبت فيجب تكذيب
ناقلها قال ولو صحت لكان تاويلها اهون من مكابرة امور قطعية لا تصادم
اصلا من اصول الشريعة قال ابن بزيزة وهذا عجيب منه كيف يسلم دعوى الفلاسفة
ويزعم انها لا تصادم الشريعة مع انها مبنية على ان العالم كري الشكل وظاهر الشرع
يعطي خلاف ذلك والثابت من قواعد الشريعة ان الكسوف اثر الارادة القديمة
وفعل الفاعل المختار فيخلق في هذين الجرمين النور متى شاء والظلمة متى شاء من
غير توقف على سبب او ربط باقتران والحديث الذي رده الغزالي قد اثبته غير
واحد من اهل العلم وهو ثابت من حيث المعنى ايضا لان النورية والاضاءة
من عالم الجمال الحسي فاذا تجلت صفة الجلال انطمست الانوار لهيبته ويؤيده
قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا انتهى ويؤيد هذا الحديث ما رويناه
عن طاووس انه نظر الى الشمس وقد انكسفت فبكى حتى كاد ان يموت
وقال هي اخوف لله منا وقال ابن دقيق العيد ربما يعتقد بعضهم
ان الذي يذكره اهل الحساب ينافي قوله يخوف الله بهما عباده وليس
بشيء لان لله افعالا على حسب العادة وافعالا خارجة عن ذلك
وقدرته حاكمة على كل سبب فيقتطع ما شاء من الاسباب والمسببات
بعضها عن بعض واذا ثبت ذلك فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم
قدرته على خرق العادة وانه يفعل ما يشاء اذا وقع شيء غريب حدث
عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد وذلك لا يمنع ان يكون هناك
اسباب تجري عليها العادة الى ان يشاء الله خرقها وحاصله
ان الذي يذكره اهل الحساب ان كان حقا في نفس الامر لا ينافي كون

ذلك

ذلك مخوفا لعباد الله تعالى قاله في فتح الباري وعن ابن عباس قال انخسفت
الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام قياما طويلا نحوا من
قراءة سورة البقرة ثم ركع ركوعا طويلا ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون
القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول ثم رفع ثم سجد
ثم قام قياما طويلا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو
دون الركوع الاول ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الاول
ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا
وهو دون الركوع الاول ثم سجد ثم انصرف وقد تجلت الشمس فقال ان
الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم
ذلك فاذكروا الله فقالوا يا رسول الله رايناك تناولت شيئا في مقامك هذا
ثم رايناك تكعكعت قال اني رايت الجنة والنار فتناولت منها عنقودا
ولو اصبته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا ورايت النار فلم ار منظرا كاليوم
قط افظع ورايت اكثر اهلها النساء قالوا بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل
ايكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو احسنت الى احداهن
الدهر كله ثم رات منك شيئا قالت ما رايت منك خيرا قط رواه البخاري ومسلم
قوله ورايت الجنة والنار قال القاضي عياض يحتمل انه راهما رؤية عين
كشف الله عنهما وازال الحجب بينه وبينهما كما فرج له عن المسجد الاقصى حين
وصفه ويكون قوله عليه الصلاة والسلام في عرض هذا الحائط كما في رواية
جهته وناحيته ويحتمل ان تكون رؤية علم وعرض وحي باطلاعه وتعريفه
من امورهما تفصيلا ما لم يعرفه قبل ذلك اليوم قال القاضي والاول اولى واشبه
بالفاظ الحديث لما فيه من الامور الدالة على رؤية العين كتناوله
العنقود وتاخره مخافة ان يصيبه لفح النار انتهى واستشكل قوله
ولو اصبته مع قوله فتناولت واجيب بحمل التناول على تكلف الاخذ
لا حقيقة الاخذ وقيل المراد تناولت لنفسي ولو اخذته لكم حكاه
الكرماني قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد وقيل المراد بقوله اخذت
وضعت يدي عليه بحيث كنت قادرا على تحويله لكن لم يقدر
لي قطعه ولو اصبته اي لو تمكنت من قطعه ويدل عليه قوله
في حديث عقبة ابن عامر عند ابن خزيمة اهوى بيده ليتناول
شيئا وفي حديث اسماء عند البخاري حتى لو اجترات عليه وكانه لم
يؤذن له في ذلك فلم يجترئ عليه قال ابن بطال لم ياخذ العنقود
لانه من طعام الجنة وهو لا يفنى والدنيا فانية لا يجوز ان يؤكل فيها ما لا

بغتي انتهى وفي حديث اسما بنت ابي بكر عند البخاري ومسلم ومالك والنسائي
قال ما من شي كنت اراه الا رايته في مقامي هذا حتى الجنة والنار ولقد اوحي الي
انكم تفتنون في قبوركم مثلا او قريبا لا ادري اي ذلك قالت اسما من فتنة
المسيح الدجال يقال ما علمك بهذا الرجل فاما المومن او الموقن لا ادري اي ذلك
قالت اسما فيقول هو محمد رسول الله جانا بالبينات والهدى فاجبنا واتبعنا
هو محمد ثلاثا فيقال نم صالحا قد علمنا ان كنت لموقنا واما المنافق او المرتاب
لا ادري اي ذلك قالت اسما فيقول لا ادري سمعت الناس يقولون شيا فقلته
وفي رواية فرايت امراة تخدشها هرة ربطتها حتى ماتت جوعا وعطشا
وفي رواية فرايت عمرو بن مالك يجر قصبه في النار وكان اول من غير دين ابراهيم
ورايت فيها سارق الحاج يعذب قوله قصبه بضم القاف وسكون الصاد اي
امعاه وفي رواية عائشة ثم قال يا امة محمد والله ما من احد اغير من الله من
ان يزني عبده او تزني امته والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
الا هل بلغت اي لو تعلمون من عظم انتقام الله من اهل الجرايم وشدة عقابه
واهوال يوم القيامة ما اعلم وما بعدها كما علمت وترون النار كما رايت في مقامي
هذا وفي غيره لبكيتم كثيرا ولقل ضحككم لتفكركم فيما علمتموه وفي حديث عائشة
عند البخاري فخرج الى المسجد فصف الناس وراه فكبر فاقترا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قراة طويلة ثم كبر فركع ركوعا طويلا ثم قال سمع الله
لمن حمده فقام ولم يسجد وقرا قراة طويلة وهي ادنى من القراة وزاد في
رواية ربنا ولك الحمد واستدل به على استحباب الذكر المشروع في الاعتدال
في اول القيام الثاني من الركعة الاولى واستشكله بعض متاخري
الشافعية من جهة كونه قيام قراة لا قيام اعتدال بدليل اتفاق العلما
ممن قال بزيادة الركوع في كل ركعة على قراة الفاتحة فيه وان كان محمد
بن مسلمة المالكي خالف فيه **والجواب** ان صلاة الكسوف جات
على صفة مخصوصة فلا مدخل للقياس فيها بل كل ما ثبت انه صلى الله
عليه وسلم فعله فيها كان مشروعا لانها اصل براسها وبهذا المعنى رد الجمهور
على من قاسها على صلاة النافلة حتى منع من زيادة الركوع فيها
فصلاة الكسوف اشبه شي بصلاة العيد ونحوها مما يجمع فيه من مطلق
النوافل فامتازت صلاة الجنازة بترك الركوع والسجود وصلاة
العيد بزيادة التكبيرات وصلاة الخوف بزيادة الافعال الكثيرة واستدبار
القبلة وكذلك اختصت صلاة الكسوف بزيادة الركوع فالاخذ به
جامع بين العملين بالنص والقياس بخلاف من لم يعمل به **وقد** نبه ابن

لصلاة

لصلاة الكسوف هيئة تخصها من التطويل الزايد على العادة في القيام وغيره
ومن زيادة ركوع في كل ركعة **وقد وردت** زيادة في ذلك من طرق اخرى فعند
مسلم من وجه اخر عن عائشة واخر عن جابر ان في كل ركعة ثلاث ركوعات
وعنده من وجه اخر عن ابن عباس ان في كل ركعة اربع ركوعات ولابي داود من
حديث ابي بن كعب والبزار من حديث علي ان في كل ركعة خمس ركوعات ولا يخلو اسناد
منها عن علة ونقل ابن القيم في الهدي عن الشافعي واحمد والبخاري انهم كانوا يعدون
الزيادة على الركوعين في كل ركعة غلطا من بعض الرواة فان اكثر طرق الحديث
يمكن رد بعضها الى بعض ويجمعها ان ذلك كان يوم مات ابراهيم عليه السلام واذا اتحدت
القصة تعين الاخذ بالراجح وجمع بعضهم بين هذه الاحاديث بتعدد الواقعة وان
الكسوف وقع مرارا فيكون كل من هذه الاوجه جايزا **وقال** ابن خزيمة وابن المنذر
والخطابي وغيرهم من الشافعية يجوز العمل بجميع ما ثبت من ذلك وهو من الاختلاف
المباح وقواه النووي في شرح مسلم وابدى بعضهم ان حكمة الزيادة في الركوع
والنقص كان بحسب سرعة الانجلا وبطيه فحين وقع الانجلا في اول ركوع اقتصر
على مثل النافلة وحين ابطا زاد ركوعا وحين زاد في الابطا زاد ثالثا وهكذا الى
غاية ما ورد في ذلك وتعقبه النووي وغيره بان ابطا الانجلا وعدمه لا يعلم
في اول الحال ولا في الركعة الاولى وقد اتفقت الروايات على ان عدد الركوع في
الركعتين سوا وهذا يدل على انه مقصود في نفسه منوي من اول الحال انتهى
ملخصا من فتح الباري وعند الامام احمد انه لما سلم حمد الله واثنى عليه وشهد
ان لا اله الا الله وشهد انه عبد الله ورسوله ثم قال ايها الناس انشدكم بالله
ان كنتم تعلمون اني قصرت في شي من تبليغ رسالات ربي لما اخبرتموني ذلك فقام
فقام رجل فقال نشهد انك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لامتك وقضيت
الذي عليك ثم قال وايم الله لقد رايت منذ قمت اصلي ما انتم لاقوه من
امر دنياكم واخرتكم وانه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا اخرهم
الاعور الدجال من تبعه لم ينفعه صالح من عمل وفي البخاري وقالت عائشة
واسما خطب النبي صلى الله عليه وسلم **وقد** اختلف في الخطبة فيه فاستحبها
الشافعي واسحاق واكثر اهل الحديث وقال ابن قدامة لم يبلغنا عن احمد
ذلك وقال صاحب الهداية من الحنفية ليس في الكسوف خطبة لانه لم
ينقل وتعقب بان الاحاديث ثبتت فيه وهي ذات كثرة والمشهور عند
المالكية ان لا خطبة لها مع ان مالكا روى الحديث وفيه ذكر الخطبة واجاب
بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم لم يقصد لها الخطبة بخصوصها وانما اراد ان
يبين لهم الرد على من يعتقد الكسوف لموت بعض الناس وتعقب بما في الاحاديث

الاحاديث الصحيحة من التصريح بالخطبة وحكاية شرائطها من الحمد والثناء والموعظة
وغير ذلك مما تضمنته الاحاديث فلم يقتصر على الاعلام بسبب الكسوف والاصل
مشروعية الاتباع والخصائص لا تثبت الا بدليل انتهى وعن المغيرة ابن شعبة
عند البخاري كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم
فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر
ايتان من ايات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتموهما فصلوا وادعوا
الله وابراهيم هو ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر جمهور اهل السير انه مات في السنة
العاشرة من الهجرة فقيل في ربيع الاول وقيل في رمضان وقيل في ذي الحجة والاكثر
على انها وقعت في عاشر الشهر وقيل في رابعه وقيل في رابع عشره ولا يصح شيء منها
على قول ذي الحجة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذ ذاك بمكة في الحج وقد ثبت
انه شهد وفاته وكانت بالمدينة بلا خلاف نعم قيل انه مات في سنة تسع فان
ثبت صح وجزم النووي بانها كانت في سنة الحديبية فلعل ذلك كان في اواخر
ذي القعدة حين رجع منها وفي هذا الحديث ايضا ابطال ما كان اهل الجاهلية
يعتقدونه من تاثير الكواكب في الارض قال الخطابي كانوا في الجاهلية يعتقدون
ان الكسوف يوجب حدوث تغير في الارض من موت او ضرر فاعلم النبي صلى الله
عليه وسلم انه اعتقاد باطل وان الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس
لهما سلطان في غيرهما ولا قدرة للدفع عن انفسهما وعن عبد الله ابن عمر قال لما كسفت
الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نودي ان الصلاة جامعة رواه البخاري
وقوله ان بفتح الهمزة وتخفيف النون وهي المفسرة وفي رواية له ولمسلم من
حديث عائشة بعث صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى الصلاة جامعة وقال
ابن دقيق العيد هذا الحديث حجة لمن استحب ذلك وقد اجمعوا على انه لا يؤذن
له ولا يقام وروى ابن حبان انه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف الشمس
والقمر ركعتين مثل صلاتكم واخرجه الدارقطني ايضا وفيه رد على من اطلق
كابن رشد انه صلى الله عليه وسلم لم يصل في كسوف القمر ومنهم من اول قوله
اي امر بالصلاة جمعا بين الروايتين وقال ابن القيم في الهدي لم ينقل
انه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف القمر في جماعة لكن حكى ابن حبان في السيرة
له ان القمر خسف في السنة الخامسة فصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه
صلاة الكسوف فكانت اول صلاة كسوف في الاسلام وهذا ان ثبت
انتفى التاويل المذكور وقد جزم به مغلطاي في سيرته المختصرة وتبعه
الحافظ زين العراقي في نظمها وفي البخاري من حديث عائشة جهر النبي
صلى الله عليه وسلم في صلاة الخسوف بقراءته فاذا فرغ من قراءته كبر فركع

واذا

فاذا فرغ من الركعة قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يعاود القراءة في صلاة
الكسوف اربع ركعات في ركعتين واربع سجدات واستدل به على الجهر فيها بالنهار وحمله
جماعة ممن لم يره على كسوف القمر قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد لان الاسماعيلي
روى هذا الحديث من وجه اخر عن الوليد بلفظ كسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي مسند ابي داود الطيالسي انه صلى الله عليه وسلم جهر بالقراءة في صلاة
الكسوف وقد ورد الجهر فيها عن علي مرفوعا وموقوفا اخرجه ابن خزيمة وغيره
وقال به صاحبا ابي حنيفة واحمد واسحاق وابن خزيمة وابن المنذر وغيرهما من
محدثي الشافعية وابن العربي من المالكية وقال الطبري يخير بين الجهر والاسرار
وقال الائمة الثلاثة يسر في الشمس ويجهر في القمر واحتج الشافعي بقول ابن عباس
قرا نحوا من سورة البقرة لانه لو جهر لم يحتج الى التقدير وقد روى الشافعي تعليقا
عن ابن عباس انه صلى بجنب النبي صلى الله عليه وسلم في الكسوف فلم يسمع منه حرفا
ووصله البيهقي من ثلاثة طرق اسانيدها واهية وعلى تقدير صحتها فمثبت
الجهر معه قدر زائد فالاخذ به اولى قال ابن العربي الجهر عندي اولى لانها صلاة
جامعة ينادى لها ويخطب فاشبهت العيد والاستسقاء انتهى ملخصا والله اعلم الفصل
الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الاستسقاء اعلم ان الاستسقاء
طلب السقيا من الله تعالى عند الحاجة اليها كما تقول استعطى اي طلب العطا
ولم يخالف احد من العلماء في سنية الصلاة في الاستسقاء الا ابو حنيفة محتجا باحاديث
الاستسقاء التي ليس فيها صلاة واحتج الجمهور بالاحاديث الثابتة في الصحيحين
وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم صلى الاستسقاء ركعتين واما الاحاديث
التي ليس فيها صلاة فبعضها محمول على نسيان الراوي وبعضها كان في الخطبة
للجمعة ويتعقبه صلاة الجمعة فاكتفى بها ولو لم يصل اصلا كان بيانا لجواز الاستسقاء
بالدعاء بلا صلاة ولا خلاف في جوازه وتكون الاحاديث المثبتة للصلاة مقدمة
لان فيها زيادة علم ولا معارضة بينها والاستسقاء انواع الاول الاستسقاء
بصلاة ركعتين وخطبتين ويتاهب قبله بصدقة وصيام وتوبة واقبال
على الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة الله تعالى قال ابن عباس خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا حتى اتى
المصلى فرقي المنبر فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع
والتكبير ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد رواه الترمذي وغيره وفي حديث
عبد الله وفي حديث عبد الله ابن زيد المازني قال خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى هذا المصلى يستسقي فاستقبل القبلة وقلب رداءه ثم صلى
رواه البخاري ومسلم وفي رواية خرج بالناس الى المصلى يستسقي فصلى بهم

ركعتين جهر فيهما بالقراءة واستقبل يدعو ورفع يديه وحول رداءه حين استقبل
القبلة وفي رواية قال وحول رداءه وجعل عطافه الايمن على عاتقه الايسر وجعل
عطافه الايسر على عاتقه الايمن ثم دعا الله قال الحافظ ابن حجر ولم اقف في شي
من طرق حديث عبد الله ابن زيد على سبب ذلك ولا على صفته صلى الله عليه وسلم
حال الذهاب الى المصلى ولا على وقت ذهابه وقد وقع ذلك في حديث عائشة
عند ابي داود وابن حبان قالت شكى الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قحوط المطر فامر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يوما يخرجون فيه فخرج
حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال انكم شكوتم جدب
دياركم واستيخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد امركم الله ان تدعوه ووعدكم
ان يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين اياك نعبد
واياك نستعين الذي لا اله الا هو يفعل ما يريد اللهم انت الله لا اله الا انت الغني ونحن
الفقرا اليك اللهم انزل علينا الغيث واجعل ما انزلت لنا قوة وبلاغا الى حين ثم
رفع يديه حتى بدا بياض ابطيه ثم حول الى الناس ظهره وقلب او حول رداءه
وهو رافع يديه ثم اقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين فانشا الله سحابا
فرعدت وبرقت ثم امطرت باذن الله فلم يات مسجده حتى سالت السيول
فلما راى ذلك سرعتهم الى الكن ضحك حتى بدت نواجذه فقال اشهد ان الله على
كل شي قدير واني عبد الله ورسوله وقد حكى ابن المنذر الاختلاف في وقتها والراجح
انه لا وقت لها معين وان كان اكثر احكامها كالعيد لكنها تخالفه بانها لا تختص
بيوم معين وهل تصنع بالليل استنبط بعضهم من كونه صلى الله عليه وسلم جهر
بالقراءة فيها بالنهار انها نهارية كالعيد والا فلو كانت تصلى بالليل لاسر فيها
بالنهار وجهر بالليل كمطلق النوافل ونقل ابن قدامة الاجماع على انها
لا تصلى في وقت الكراهة وافاد ابن حبان ان خروجه صلى الله عليه وسلم للاستسقا
كان في شهر رمضان سنة ست من الهجرة وذكر الواقدي ان طول ردائه
صلى الله عليه وسلم كان ستة اذرع في ثلاثة اذرع وطول ازاره اربعة اذرع
وشبرين في ذراعين وشبر كان يلبسهما في الجمعة والعيدين وقد روى ابو داود
عن عباد استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خميصة سودا فاراد
ان ياخذ باسفلها فيجعله اعلاها فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه وقد
استحب الشافعي في الجديد فعل ما هم به صلى الله عليه وسلم من تنكيس الردا
مع التحويل الموصوف وزعم القرطبي تبعا لغيره ان الشافعي اختار في الجديد
تنكيس الردا لا تحويله والذي في الام ما ذكرته والجمهور على استحباب
التحويل فقط ولا ريب ان الذي استحبه الشافعي احوط وعن ابي حنيفة

وبعض

وبعض المالكية لا يستحب شي من ذلك واستحب الجمهور ان يحول الناس بتحويل الامام ويشهد
له ما رواه احمد من طريق اخرى عن عباد في هذا الحديث بلفظ وحول الناس
معه وقال الليث وابو يوسف يحول الامام وحده واستثنى ابن الماجشون النسا
فقال لا يستحب في حقهن واختلف في حكمة هذا التحويل فجزم المهلب بانه للتفاول
بتحويل الحال عما هي عليه وتعقبه ابن العربي بان من شرط الفال ان لا يقصد اليه
قال وانما التحويل اشارة بينه وبين ربه قيل له حول رداك ليتحول حالك
وتعقب بان الذي جزم به يحتاج الى نقل والذي رده ورد فيه حديث رجاله ثقات
اخرجه الدارقطني والحاكم من طريق جعفر بن محمد بن علي عن ابيه عن جابر ورجح الدارقطني
ارساله وعلى كل حال فهو اولى من القول بالظن واستدل بقوله في حديث عائشة ثم صلى
ركعتين بعد قوله فقعد على المنبر على ان الخطبة في الاستسقا قبل الصلاة وهو مقتضى
حديث ابن عباس لكن وقع عند احمد في حديث عبد الله ابن زيد التصريح بانه بدا بالصلاة
قبل الخطبة وكذا في حديث ابي هريرة عند ابن ماجة حيث قال فصلى بنا ركعتين بغير اذان
ولا اقامة والمرجح عند الشافعية والمالكية الثاني ولم يقع في شي من طرق حديث
عبد الله ابن زيد صفة الصلاة المذكورة ولا ما يقرا فيها وقد اخرج الدارقطني من
حديث ابن عباس انه يكبر فيهما سبعا وخمسا كالعيد وانه يقرا فيهما بسبح وهل اتاك
وفي اسناده مقال لكن اصله في السنن بلفظ ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيدين
فاخذ بظاهره الشافعي فقال يكبر فيهما الثاني استسقاوه عليه الصلاة
والسلام في خطبة الجمعة عن انس ان رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب
كان نحو دار القضا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يخطب فاستقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما ثم قال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت
السبل فادع الله يغيثنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم
قال اللهم اغثنا قال انس ولا والله ما نرى في السما من سحابة ولا
قزعة ولا بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورايه سحابة
مثل الترس فلما توسطت السما انتشرت ثم امطرت قال فلا والله ما راينا
الشمس سبتا قال ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم قايم يخطب فاستقبله قايما فقال يا رسول الله هلكت
الاموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا قال فرفع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام والظراب
وبطون الاودية ومنابت الشجر قال فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس
قال شريك فسالت انس ابن مالك اهو الرجل الاول قال لا ادري رواه
مسلم وفي رواية قال فما يشير بيده الى ناحية الا انفرجت حتى رايت

المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا ولم يجئ احد من ناحية الا اخبر
بجود وقوله يغيثنا بفتح اوله يقال غاث الله البلاد يغيثها اذا ارسل عليها
المطر **وقوله** من باب كان نحو دار القضا هي دار عمر ابن الخطاب وسميت
بذلك لانها بيعت في قضا دينه وقوله هلكت الاموال وفي رواية كريمة وابي ذر
عن الكشميهني المواشي وهو المراد بالاموال هنا وفي رواية البخاري هلك الكراع
بضم الكاف وهو يطلق على الخيل وغيرها وفي البخاري ايضا هلكت الماشية هلك
العيال هلك الناس وهو من ذكر العام بعد الخاص **والمراد** بهلاكهم عدم وجود
ما يعيشون به من الاقوات المفقودة بحبس المطر وانقطعت السبل لان الابل
ضعفت لقلة القوت عن السفر او لكونها لا تجد في طريقها من الكلا ما يقيم اودها
والاكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد جمع اكمة بفتحات التراب المجتمع وقيل الجبل الصغير
وقيل ما ارتفع من الارض والظراب بكسر المعجمة جمع ظرب بفتح الظا وكسر الرا الجبل
المنبسط ليس بالعالي وقوله مثل الجوبة بفتح الجيم وسكون الواو وفتح الموحدة هي
الحفرة المستديرة الواسعة والمراد بها هنا الفرجة في السحاب والجود المطر
الغزير وقوله قناة شهرا اي جرى فيه المطر من الماء شهرا وفي هذا دليل على عظم
معجزته عليه الصلاة والسلام وهو ان سخر السحاب له كلما اشار اليها امتثلت
امره بالاشارة دون كلام لان كلامه عليه الصلاة والسلام مناجاة للحق
تعالى واما السحاب فبالاشارة فلولا الامر لها بالطاعة له عليه الصلاة
والسلام لما كان ذلك لانها ايضا جماد ما مورة حيث تسير وحيثما تقيم
واين تقيم ولله در الشاعر الطسي فلقد احسن حيث **قال**

دعوت للخلق عام المحل مبتهلا ۰ افديك بالخلق من داع ومبتهل
صعدت كفيك اذ كف الغمام فما ۰ صوبت الا صوب الواكف الهطل
اراق بالارض ثجا صوب ريقه ۰ فحل بالروض نسج رائق الحلل
زهر من النور حلت روض ارضهم ۰ زهرا من النور صافي النبت مكتمل
من كل غصن نضير مورق خضر ۰ وكل نور نضيد مونق خضل
تحية اخيت الاحيا منضرا ۰ بعد المغيرة تروي السلها الشكل
دامت على الارض سبعا غير مقلعة ۰ لولا دعاك بان تقلع لم تزل

وقوله في الحديث سبتا اي من السبت الى السبت وقوله ثم دخل رجل الظاهر
انه غير الاول لان النكرة اذا تكررت دلت على التعدد وفي رواية ابن اسحاق
فقام ذلك الرجل او غيره وفي رواية فتقشعت عن المدينة فجعلت تمطر حوالينا
وما تمطر بالمدينة قطرة فنظرت الى المدينة وانها لفي مثل الاكليل وهو
بكسر الهمزة وسكون الكاف كل شي دار من جوانبه واشتهر لما يوضع على الراس

فيحيط

فيحيط بها وهو من ملابس الملوك كالتاج وفي رواية له ايضا فالف الله بين السحاب
ومكثت حتى رايت الرجل الشديد تهمه نفسه ان ياتي اهله وفي رواية له ايضا فرايت
السحاب يتمزق كانه الملاء حين تطوى والملاء بضم الميم والقصر وقد تمد جمع ملاءة
وهي ثوب معروف واستدل بهذا الحديث على جواز الاستسقا بغير صلاة مخصوصة
وعلى ان الاستسقا ليس فيه صلاة اصلا فاما الاول فقال به الشافعي واما
الثاني فقال به ابو حنيفة وتعقب بان الذي وقع في هذه القصة مجرد دعا
لا ينافي مشروعية الصلاة لها وقد ثبتت في واقعة اخرى كما تقدم والله اعلم **الثالث**
استسقاؤه صلى الله عليه وسلم على منبر المدينة روى البيهقي في الدلائل من
طريق يزيد ابن عبيد السلمي قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة
تبوك اتاه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس
وهو اصغرهم فنزلوا في دار رملة بنت الحارث من الانصار وقدموا على ابل عجاف وهم
مسنتون فاتوا مقرين بالاسلام فسالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقالوا
يا رسول الله اسنتت بلادنا واجدب جنابنا وغرثت عيالنا وهلكت مواشينا
فادع الله ان يغيثنا وتشفع لنا الى ربك ويشفع ربك اليك فقال سبحان الله
ويلك انا شفعت الى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا الله العظيم وسع
كرسيه السموات والارض فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليضحك من شفعكم وقرب غياثكم فقال
الاعرابي ويضحك ربنا يا رسول الله قال نعم فقال الاعرابي لن نعدم يا رسول
الله من رب يضحك خيرا فضحك صلى الله عليه وسلم فقام صلى الله عليه وسلم فصعد
المنبر فتكلم بكلمات ورفع يديه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع
يديه في شي من الدعا الا في الاستسقا فرفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه
وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك وبهائمك وانشر رحمتك
واحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طبقا واسعا
عاجلا غير اجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا
غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعدا فقام ابو لبابة ابن
عبد المنذر فقال يا رسول الله ان التمر في المرابد فقال صلى الله عليه وسلم
اللهم اسقنا فقال ابو لبابة ان التمر في المرابد ثلاث مرات فقال عليه
الصلاة والسلام اللهم اسقنا حتى يقوم ابو لبابة عريانا يسد ثعلب
مربده بازاره قال فلا والله ما في السما من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد
وسلع من بنا ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما
توسطت السما انتشرت وهم ينظرون ثم امطرت فوالله ما راوا الشمس

سبتا وقام ابو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه فقال
الرجل يا رسول الله يعني الذي سأله ان يستسقي لهم هلكت الاموال وانقطعت
السبل فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه مدا حتى رؤي بياض
ابطيه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الاودية
ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب وله اطيط صوت
الاقتاب يعني ان الكرسي ليعجز عن حمله وعظمته اذ كان معلوما ان اطيط الرحل
بالراكب انما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله وهذا مثل لعظمته تعالى وجلاله
ولم يكن اطيط وانما هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله تعالى **وقوله** طبقا
بفتح الطاء الموحدة اي مالئا للارض مغطيا لها يقال غيث طبق اي عام واسع
والمربد موضع يجفف فيه التمر وثعلبه ثقبه الذي يسيل منه ماء المطر وعن
انس ابن مالك قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اتيناك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط اي ما لنا بعير اصلا لان البعير لا بد ان
يئط وانشد

اتيناك والعذراء يدمى لبانها ... وقد شغلت ام الصبي عن الطفل
والقى بكفيه الفتى لاستكانة ... من الجوع ضعفا ما يمر وما يحلي
ولا شيء مما ياكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا الا اليك فرارنا ... واين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء
ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا غدقا طبقا نافعا غير ضار عاجلا
غير رائث تملأ به الضرع وتنبت به الزرع وتحيي به الارض بعد موتها قال
فما رد صلى الله عليه وسلم يديه الى نحره حتى التقت السماء بابراقها وجاء
اهل البطانة يضجون الغرق فقال عليه الصلاة والسلام حوالينا ولا علينا
فانجاب السحاب عن المدينة حتى احدق بها كالاكليل وضحك صلى الله
عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت
عيناه من ينشدنا قوله فقال علي يا رسول الله كانك تريد قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن ابنائنا والحلائل

فقال اجل رواه البيهقي وقوله تدمى لبانها اي يدمى صدرها لامتهانها
نفسها في الخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من الجدب وشدة الزمان واصل

اللبب

اللبان من الفرس موضع اللبب ثم استعير للناس **وقوله** ما يمر وما يحلي اي ما ينطق
بخير ولا شر من الجوع والضعف وقوله سوى الحنظل العامي نسبة الى العام لانه يتخذ
في عام الجدب كما قالوا للجدب السنة والعلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم
ووبر البعير في سني المجاعة قاله الجوهري والفسل الرذل قال السهيلي **فان قلت**
كيف قال ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ولم يره قط استسقى وانما كان ذلك
منه بعد الهجرة **واجاب** بما حاصله ان ابا طالب اشار الى ما وقع في زمن
عبد المطلب حين استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه وسلم معه وهو غلام انتهى **وقال**
الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه وان لم
يشاهد ذلك فيه انتهى **قلت** وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت
مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب فهلم فاستسق فخرج
ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة فاخذه
ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا
وههنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول
ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه انتهى **الرابع استسقاؤه صلى الله عليه وسلم
بالدعاء من غير صلاة عن** ابن مسعود ان قريشا ابطأوا عن الاسلام فدعا عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام
فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله
فقرأ فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله
تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر وزاد اسباط عن منصور فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا وشكى الناس كثرة
المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن راسه فسقوا الناس
حولهم رواه البخاري **وافاد** الدمياطي ان ابتداء الدعاء على قريش كان عقب طرحهم
على ظهره سلا الجزور وكان ذلك بمكة قبل الهجرة وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك بالمدينة في القنوت كما في حديث ابي هريرة عند البخاري ولا يلزم من ذكر اتحاد
هذه القصص اذ لا مانع ان يدعو عليهم مرارا **والظاهر** ان مجيء ابي سفيان كان
قبل الهجرة لقول ابن مسعود ثم عادوا فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى
يوم بدر ولم ينقل ان ابا سفيان قدم المدينة قبل بدر وعلى هذا فيحتمل ان ابا
طالب كان حاضرا ذلك فلذلك قال وابيض يستسقى الغمام بوجهه لكن ورد
ما يدل على ان القصة وقعت بالمدينة فان لم يحمل على التعدد والا فهو مشكل
وفي الدلائل للبيهقي عن كعب بن مرة او مرة ابن كعب قال دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم على مضر فاتاه ابو سفيان فقال ادع الله لقومك فقد هلكوا

وعلى هذا فكان ابا سفين وكعبا حضرا جميعا فكلمه ابو سفين بشي وكعب بشي فدل
ذلك على اتحاد قصتهما وقد ثبت في هذه ما ثبت في تلك من قوله انك تجري ومن قوله
اللهم حوالينا ولا علينا وسياق كعب ابن مرة يشعر بان ذلك وقع بالمدينة لقوله استنصر
الله فنصرك ولا يلزم من ذلك اتحاد هذه القصة مع قصة انس السابقة فهي واقعة اخرى
لان في رواية انس فلم ينزل عن المنبر حتى مطروا والسائل في هذه القصة غير السائل في
تلك فهما قصتان وقع في كل منهما طلب الدعاء بالاستسقاء ثم طلب الدعاء بالاستصحاء وان
ثبت ان كعب بن مرة اسلم قبل الهجرة حمل قوله استنصرت الله فنصرك على النصر باجابة
دعائه عليهم وزال الاشكال المتقدم والله اعلم انتهى ملخصا من فتح الباري

الخامس استسقاؤه صلى الله عليه وسلم عند احجار الزيت قريبا من الزوراء
وهو خارج باب المسجد الذي يدعى باب السلام نحو قذفة بحجر ينعطف على يمين
الخارج من المسجد وعن عمير مولى ابي اللحم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي رافعا
يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما راسه رواه ابو داود والترمذي **السادس استسقاؤه
عليه الصلاة والسلام في بعض غزواته لما سبقه المشركون الى الماء** فاصاب
المسلمين العطش فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض المنافقين لو كان
نبيا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال او قد قالوها عسى ربكم ان يسقيكم ثم بسط يديه ودعا فما رد يديه
من دعائه حتى اظلهم السحاب وامطروا الى ان سال الوادي فشرب الناس
وارتووا **فصل** عن سالم ابن عبد الله عن ابيه مرفوعا انه كان اذا استسقى قال
اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم ان بالعباد والبلاد والبهائم
والخلق من اللاواء والجهد والضنك ما لا نشكوه الا اليك اللهم انبت لنا
الزرع وادر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وانبت لنا من بركات الارض
اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك
اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا فارسل السماء علينا مدرارا رواه الشافعي
فصل روى ابو الجوزاء قال قحط اهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة
فقالت انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى الى السماء
حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب
وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق وروى ابن ابي
شيبة باسناد صحيح من رواية ابي صالح السمان عن مالك الداري قال
اصاب الناس قحط في زمن عمر ابن الخطاب فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم قد هلكوا فاتي الرجل
في المنام فقيل له ائت عمر وفي رواية عبد الرزاق ان عمر استسقى بالمصلى

فقال

فقال للعباس قم فاستسق وذكر الزبير ابن بكار ان عمر ابن الخطاب استسقى بالعباس
عام الرمادة بفتح الراء وتخفيف الميم وسمي به لما في سنة من الجدب فاغبرت
الارض جدا لعدم المطر وذكر ابن عساكر في كتاب الاستسقاء ان العباس لما استسقى
ذلك اليوم قال اللهم ان عندك سحابا وعندك ماء فانشر السحاب ثم انزل منه
الماء ثم انزله علينا واشدد به الاصل واطل به الفرع وادر به الضرع اللهم
شفعنا اليك عمن لا منطق له من بهائمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعة
بالغة طبقا اللهم لا نرغب الا اليك وحدك لا شريك لك اللهم نشكو اليك سغب
كل ساغب وعدم كل عادم وجوع كل جائع وعري كل عار وخوف كل خائف وفي
رواية الزبير ابن بكار ان العباس لما استسقى به عمر قال انه لم ينزل بلاء الا
بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك وهذه
ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث فارخت السماء
مثل الجبال حتى اخصبت الارض وعاش الناس وعنده ايضا فخطب الناس فقال
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد
فاقتدوا ايها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس فاتخذوه
وسيلة الى الله وفيه فما برحوا حتى سقوا وفي ذلك يقول العباس بن عتبة
ابن ابي لهب

بعمي سقى الله الحجاز واهله ... عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا ... اليه فما ان رام حتى اتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه ... فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

القسم الثالث في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم في السفر وفيه فصول **الاول**
في قصره صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه واحكامها وفيه نوعان الاول **في كم
كان عليه الصلاة والسلام يقصر الصلاة** تقدم هل القصر رخصة او عزيمة
وما استدل به لكل من القولين في اوائل هذا المقصد عن انس ابن مالك قال
صليت الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اربعا وخرج يريد مكة
فصلى بذي الحليفة العصر ركعتين رواه البخاري ومسلم وهذا الحديث مما احتج
به اهل الظاهر في جواز القصر في طويل السفر وقصيره فان بين المدينة وذي
الحليفة ستة اميال ويقال سبعة وقال الجمهور لا يجوز القصر الا في سفر يبلغ
مرحلتين وقال ابو حنيفة وطائفة شرطه ثلاث مراحل واعتمدوا في ذلك
اثارا عن الصحابة واما هذا الحديث فلا دلالة فيه لاهل الظاهر لان المراد
انه صلى الله عليه وسلم حين سافر الى مكة في حجة الوداع صلى الظهر بالمدينة
اربعا ثم سافر فادركته العصر وهو مسافر بذي الحليفة فصلاها ركعتين

وليس المراد ان ذي الحليفة غاية سفره فلا دلالة فيه قطعا والاحاديث المطلقة
مع ظاهر القران متعاضدة على جواز القصر من حين يخرج من البلد فانه حينئذ
يسمى مسافرا وطويل السفر ثمانية واربعون ميلا هاشمية وهي ستة عشر فرسخا وهي اربعة
برد والميل من الارض منتهى البصر لان البصر يميل عنه على وجه الارض حتى يفنى ادراكه
وبذلك جزم الجوهري وقيل حده ان ينظر الى الشخص في ارض مصطحبة فلا يدري اهو
رجل او امراة او هو ذاهب او اتي **قال** النووي الميل ستة الاف ذراع والذراع
اربعة وعشرون اصبعا معترضة وقد حرره غيره بذراع الحديد المستعمل الان بمصر والحجاز
في هذه الاعصار فوجده ينقص عن ذراع الحديد بقدر الثمن فعلى هذا فالميل بذراع
الحديد خمسة الاف ذراع ومائتان وخمسون ذراعا وهذه فائدة جليلة قل من تنبه
لها **وروى** البيهقي عن عطاء ان ابن عمر وابن عباس كانا يصليان ركعتين اي يقصران في اربعة
برد فما فوقها وذكره البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم ورواه بعضهم عن صحيح ابن
خزيمة مرفوعا من رواية ابن عباس وقد كان فرض الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر
عليه الصلاة والسلام فرضت اربعا رواه البخاري من حديث عائشة لكن يعارضه حديث
ابن عباس فرضت الصلاة في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين رواه مسلم وجمع بينهما بما يطول
ذكره ثم بعد ان استقر فرض الرباعية خفف منها في السفر عند نزول قوله تعالى فليس
عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ويؤيده ما ذكره ابن الاثير في شرح المسند ان
قصر الصلاة كان في السنة الرابعة من الهجرة وقيل كان قصر الصلاة في ربيع الاخر من
السنة الثانية ذكره الدولابي وقيل بعد الهجرة باربعين يوما **الفرع الثاني في القصر
مع الاقامة عن** انس قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة
وكان يصلي ركعتين حتى رجعنا الى المدينة قيل له اقمتم بمكة شيئا قال اقمنا بها عشرا
رواه البخاري ومسلم مختصرا قال اقمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة نقصر الصلاة
وعن ابن عباس اقام النبي صلى الله عليه وسلم تسع عشرة يقصر الصلاة فنحن
اذا سافرنا تسعة عشر قصرنا وان زدنا اتممنا رواه البخاري وفي رواية ابي داود
انه صلى الله عليه وسلم اقام سبعة عشر بمكة يقصر الصلاة قال ابن عباس فلو
اقام اكثر اتم والرواية الاولى بتقديم التاء على السين والثانية بتقديم
السين على الموحدة ولابي داود من حديث عمران بن حصين غزوت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الفتح فاقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي الا
ركعتين وله من طريق ابن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال اقام صلى
الله عليه وسلم بمكة عام الفتح خمسة عشر يوما يقصر الصلاة وجمع
البيهقي بين هذا الاختلاف بان من قال تسع عشرة عد يومي الدخول والخروج
ومن قال سبع عشرة حذفهما **و**اما رواية خمس عشرة فضعفها النووي في

الخلاصة

الخلاصة وليس بجيد لان رواتها ثقات ولم ينفرد بها ابن اسحاق **فقد** اخرجها النسائي
من رواية عراك بن مالك عن عبيد الله كذلك فاذا ثبت انها صحيحة فلتحمل على ان
الراوي ظن ان رواية الاصل سبع عشرة فحذف منها يومي الدخول والخروج فذكر انها
خمس عشرة واقتضى ذلك ان رواية تسع عشرة ارجح الروايات **واخذ الشافعي** برواية عمران
ابن حصين لكن محله عنده فيمن لم يزمع الاقامة فانه اذا مضت عليه المدة المذكورة
وجب عليه الاتمام فان الاقامة فيها ورد الحال على اربعة ايام على خلاف بين الصحابة
في دخول يومي الدخول والخروج فيها ولا معارضة بين حديث ابن عباس وحديث انس
لان حديث ابن عباس كان في فتح مكة وحديث انس كان في حجة الوداع وفي حديث
ابن عباس قدم صلى الله عليه وسلم واصحابه يعني مكة لصبح رابعة ولا شك انه خرج
من مكة صبح الرابع عشر فتكون مدة الاقامة بمكة وضواحيها عشرة ايام بلياليها
كما قال انس ويكون مدة اقامته بمكة اربعة ايام سواء لانه قدم في اليوم الرابع
وخرج منها في اليوم الثامن فصلى الظهر في منى ومن ثم قال الشافعي ان المسافر اذا اقام
ببلدة قصر اربعة ايام فالمدة التي في حديث ابن عباس يسوغ الاستدلال بها على
من لم ينو الاقامة بل كان مترددا متى تهيا له فراغ حاجته يرحل والمدة التي في
حديث انس يستدل بها على من نوى الاقامة لانه صلى الله عليه وسلم في ايام الحج كان جازما
بالاقامة تلك المدة ووجه الدلالة من حديث ابن عباس لما كان الاصل في المقيم
الاتمام فلما لم يجئ عنه صلى الله عليه وسلم انه اقام في حال السفر اكثر من
تلك المدة جعلها غاية للقصر والله اعلم **الفصل الثاني وفيه فرعان
ايضا الاول في جمعه صلى الله عليه وسلم عن انس** قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ارتحل قبل ان تزيغ الشمس اخر الظهر الى وقت العصر
ثم نزل فجمع بينهما فاذا زاغت الشمس قبل ان يرتحل صلى الظهر ثم ركب وفي
رواية انه كان اذا اراد ان يجمع بين صلاتين في السفر اخر الظهر حتى يدخل
اول وقت العصر وفي اخرى كان اذا عجل عليه السير يؤخر الظهر الى وقت
العصر فيجمع بينهما ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء رواه البخاري
ومسلم وابو داود وفي رواية للبخاري كان يجمع بين هاتين الصلاتين في السفر
يعني المغرب والعشاء وفي حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يجمع
بين صلاتي الظهر والعصر اذا كان على ظهر سير ويجمع بين المغرب والعشاء
رواه البخاري ولمسلم جمع بين الصلاة في سفرة سافرها في غزوة تبوك فجمع
بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء وله ولمالك وابي داود والنسائي
انهم خرجوا معه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فكان عليه
الصلاة والسلام يجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء جمعا فاخروا

الظهر يوماً ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشا
جميعاً وفي رواية ابي داود والترمذي من حديث معاذ بن جبل كان في غزوة تبوك
اذا زاغت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين الظهر والعصر فان ارتحل قبل ان تزيغ الشمس
اخر الظهر حتى ينزل للعصر وفي المغرب مثل ذلك ان غابت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين
المغرب والعشا وان ارتحل قبل ان تغيب الشمس اخر المغرب حتى ينزل للعشا ثم يجمع
بينهما **الفرع الثاني في جمعه صلى الله عليه وسلم بجمع ومزدلفة**
عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب والعشا بالمزدلفة رواه البخاري ومسلم ومالك
وابو داود زاد البخاري في رواية كل واحد منهما باقامة ولم يسبح بينهما ولمسلم جمع بين المغرب
والعشا بجمع وصلى المغرب ثلاث ركعات وصلى العشا ركعتين وفي حديث ابي ايوب الانصاري
عند البخاري ومسلم جمع في حجة الوداع بين المغرب والعشا في المزدلفة وفي رواية ابن عباس
عند النسائي صلى المغرب والعشا باقامة واحدة وفي رواية جعفر بن محمد عن ابيه عند ابي
داود صلى الظهر والعصر باذان واحد بعرفة ولم يسبح بينهما واقامتين وصلى المغرب
والعشا بجمع باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما **الفصل الثالث**
في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل في السفر عن ابن عمر قال سافرت
مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يصلون الظهر والعصر ركعتين
ركعتين ولا يصلون قبلها ولا بعدها وقال ابن عمر لو كنت مصلياً قبلها او بعدها
لاتممتها رواه الترمذي وفي رواية صحبت النبي صلى الله عليه وسلم
فلم اره يسبح في السفر اي يتنفل للرواتب التي قبل الفرائض وبعدها وهو مستفاد
من قوله في الرواية الاخرى فكان لا يزيد في السفر على ركعتين قال ابن دقيق العيد
وهذا اللفظ يحتمل ان يريد لا يزيد في عدد الفرض فيكون كناية عن نفي الاتمام
والمراد به الاخبار عن المداومة على القصر ويحتمل ان يريد لا يزيد نفلاً ويمكن
ان يريد ما هو اعم من ذلك وفي رواية مسلم صحبت ابن عمر في طريق مكة
فصلى لنا الظهر ركعتين ثم اقبل واقبلنا معه حتى جاء رحله فجلس وجلسنا معه
فحانت منه التفاتة فراى ناساً قياماً فقال ما يصنع هؤلاء قلت يسبحون قال
لو كنت مسبحاً لاتممت قال النووي اجابوا عن قول ابن عمر هذا بان الفريضة محتمة
فلو شرعت تامة لتحتم اتمامها واما النافلة فهي الى خيرة المصلي فطريق
الرفق به ان تكون مشروعة ويخير فيها انتهى وتعقب بان مراد ابن عمر بقوله
لو كنت مسبحاً يعني انه لو كان مخيراً بين الاتمام وصلاة الراتبة لكان الاتمام
احب اليه لكنه فهم من القصر التخفيف فلذلك كان لا يصلي الراتبة ولا يتم وفي
البخاري من حديث ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم يوتر على راحلته وبوب
عليه باب الوتر في السفر واشار به الى الرد على من قال انه لا يسن الوتر في

السفر

السفر وهو منقول عن الضحاك **واما قول** ابن عمر لو كنت مسبحاً في السفر لاتممت كما اخرجه
مسلم فانما اراد به نافلة المكتوبة لا النافلة المقصودة كالوتر وذلك بين من سياق الحديث
المذكور عند الترمذي من وجه اخر بلفظ لو كنت مصلياً قبلها او بعدها لاتممت
وفي حديث عائشة عند البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان لا يدع اربعاً قبل الظهر وركعتين
بعدها فليس بصريح في فعله ذلك في السفر ولعلها اخبرت عن اكثر احواله وهو الاقامة
والرجال اعلم بسفره من النساء واجاب النووي تبعاً لغيره بما لفظه لعل النبي
صلى الله عليه وسلم كان يصلي الرواتب في رحله ولا يراه ابن عمر ولعله تركها
في بعض الاوقات لبيان الجواز انتهى وفي رواية الترمذي من حديث ابن عمر وصليت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر في السفر ركعتين وبعدها ركعتين وفي رواية صليت
معه في الحضر والسفر فصليت معه في الحضر الظهر اربعاً وبعدها ركعتين وصليت معه
في السفر الظهر ركعتين وبعدها ركعتين والعصر ركعتين ولم يصل بعدها شيئاً والمغرب
في الحضر والسفر سواء ثلاث ركعات لا تنقص في حضر ولا سفر وهي وتر النهار وبعدها
ركعتين وفي حديث ابي قتادة عند مسلم في قصة النوم عن صلاة الصبح انه صلى
الله عليه وسلم صلى ركعتين قبل الصبح ثم صلى الصبح كما كان يصلي **و**قول صاحب
الهدي انه لم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى سنة صلاة قبلها ولا
بعدها في السفر الا ما كان من سنة الفجر يرد على اطلاقه ما قدمناه في رواية
الترمذي من حديث ابن عمر وما رواه ابو داود والترمذي من حديث البرا
ابن عازب قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سفراً
فلم اره ترك ركعتين اذا زالت الشمس قبل الظهر وكانه لم يثبت عنده ذلك
لكن استغربه ونقل عن البخاري انه رآه حسناً وقد حمله العلما على سنة الزوال
لا على الراتبة قبل الظهر **الفصل الرابع في صلاته صلى الله عليه
وسلم التطوع في السفر على الدابة** عن ابن عمر كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصلي سبحته حيث ما توجهت به ناقته وفي رواية
كان يصلي وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث كان وجهه وفيه نزل
فاينما تولوا فثم وجه الله وفي رواية رايته صلى الله عليه وسلم يصلي
على حمار وهو موجه الى خيبر وفي رواية كان يوتر على البعير رواه مسلم
وقد اخذ بهذه الاحاديث فقها الامصار في جواز التنفل على الراحلة
في السفر حيث توجهت الا ان احمد وابا ثور كانا يستحبان ان يستقبل
القبلة بالتكبير حال ابتدا الصلاة والحجة لذلك ما في حديث انس عند ابي
داود انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يتطوع في السفر استقبل
بناقته القبلة ثم صلى حيث توجهت ركابه **وذهب** الجمهور الى جواز

التنفل على الدابة سواء كان السفر طويلا او قصيرا الا مالكا فخصه بالسفر الطويل وحجة
ان هذه الاحاديث انما وردت في اسفاره صلى الله عليه وسلم ولم ينقل عنه صلى
الله عليه وسلم انه سافر سفرا قصيرا فصنع ذلك **و**قوله يصلي على حمار قال النووي قال
الدارقطني وغيره هذا غلط من عمرو بن يحيى المازني وانما المعروف في صلاته
عليه الصلاة والسلام على راحلته او بعيره **والصواب** ان الصلاة على الحمار من فعل انس
كما ذكره مسلم ثم قال وفي تغليط رواية عمرو نظر لانه ثقة نقل شيئا محتملا فلعله كان
الحمار مرة والبعير مرة او مرات لكن قد يقال انه شاذ مخالف رواية الجمهور والشاذ
مردود انتهى وعن يعلى بن مرة عن ابيه عن جده انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في مسيره فانتهوا الى مضيق فحضرت الصلاة فمطروا السماء من فوقهم والبلة من
اسفل منهم فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فصلى بهم يومي ايماء يجعل
السجود اخفض من الركوع رواه البيهقي **القسم الرابع في ذكر صلاته صلى الله عليه**
وسلم صلاة الخوف عن جابر قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
اذا كنا بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه
وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة
فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فغمد السيف وعلقه فاقيمت الصلاة فصلى بطائفة
ركعتين ثم تاخروا وصلى بالطائفة الاخرى ركعتين فكان النبي صلى الله عليه
وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان رواه البخاري ومسلم ولمسلم فصففنا
صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة
فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع
راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه
فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم
السجود وقام الى الصف المؤخر تاخر الصف المقدم ثم ركع النبي
صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا
ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى
فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم
السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم
النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا ولمسلم والبخاري ايضا من حديث
يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى معه صلى الله عليه وسلم
يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت وطائفة وجاه العدو فصلى
بالذين معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو

وجاءت

وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا
واتموا لانفسهم ثم سلم بهم قال مالك وذلك احسن ما سمعت في صلاة الخوف
وما ذهب اليه مالك من ترجيح هذه الكيفية وافقه الشافعي واحمد على ترجيحها
لسلامتها من كثرة المخالفة ولكونها احوط لامر الحرب وعن سالم بن عبد الله بن عمر
عن ابيه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فوازينا العدو
فصاففنا لهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا فقامت طائفة معه واقبلت
طائفة على العدو وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه وسجد سجدتين
ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصل فجاءوا فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين
رواه وفي حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلاة الظهر في
الخوف ببطن نخل فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم ثم جاءت طائفة اخرى فصلى بهم
ركعتين ثم سلم رواه البغوي في شرح السنة **وعنه** انه صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجنان
وعسفان فقال المشركون لهؤلاء صلاة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم وامهاتهم وهي
العصر فاجمعوا امركم فتميلوا عليهم ميلة واحدة وان جبريل اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فامره ان يقسم اصحابه شطرين فيصلي بهم وتقوم طائفة اخرى وراءهم
وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فتكون لهم ركعة ولرسول الله صلى الله عليه وسلم
ركعتان رواه الترمذي والنسائي **قال** ابن حزم وقد صح فيها يعني صلاة الخوف
اربعة عشر وجها وبينها في جزء مفرد وقال ابن العربي في القبس جاء فيها روايات
كثيرة اصحها ستة عشر رواية مختلفة ولم يبينها **وقال** النووي نحوه
في شرح مسلم ولم يبينها ايضا وقد بينها الحافظ زين الدين العراقي في شرح
الترمذي وزاد وجها اخر فصارت سبعة عشر وجها لكن يمكن ان تتداخل
وقال صاحب الهدي اصولها ست صفات وبلغها بعضهم اكثر وهؤلاء كلما
راوا اختلاف الرواة في قصة جعلوا ذلك وجها من فعله صلى الله عليه
وسلم وانما هو من اختلاف الرواة انتهى وهذا هو المعتمد واليه اشار
الحافظ العراقي بقوله يمكن تداخلها **وقد حكى** ابن القصار المالكي
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها عشر مرات وقال ابن العربي اربعا
وعشرين وقال الخطابي صلاها عليه الصلاة والسلام في ايام مختلفة
واشكال متباينة يتحرى فيها ما هو الاحوط للصلاة والابلغ للحراسة فهي
على اختلاف صورها متفقة المعنى انتهى وفي كتب الفقه تفصيل
لها كثيرة وفروع يطول ذكرها حكاه في فتح الباري **القسم الخامس**
في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم على الجنازة وفيه فروع اربعة

الاول في عدد التكبيرات عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى
النجاشي اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر عليه اربع
تكبيرات رواه البخاري ومسلم وعند الترمذي من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه
وسلم كبر على جنازة فرفع يديه في اول تكبيرة ووضع اليمنى على اليسرى الفرع
الثاني في القراءة والدعا نقل ابن المنذر عن ابن مسعود والحسن بن علي
وابن الزبير والمسور بن مخرمة مشروعية قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة وبه
قال الشافعي واحمد واسحاق ونقل عن ابي هريرة وابن عمر ليس فيها قراءة وهو
قول مالك والكوفيين وروى عبد الرزاق والنسائي باسناد صحيح عن ابي
امامة بن سهل بن حنيف قال السنة في الصلاة على الجنازة ان يكبر ثم يقرا
بام القران ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعا للميت ولا يقرا
الا في الاولى وفي البخاري عن سعد عن طلحة قال صليت خلف ابن عباس
على جنازة فقرا فاتحة الكتاب وقال لتعلموا انها سنة وليس فيه بيان محل قراءة
الفاتحة وقد وقع التصريح بذلك في حديث جابر عند الشافعي بلفظ وقرا بام الكتاب
بعد التكبيرة الاولى كما ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي وعن ابن عباس
قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقرا بفاتحة الكتاب رواه
الترمذي وقال لا يصح هذا والصحيح عن ابن عباس قوله من السنة وهذا مصير
منه الى الفرق بين الصيغتين ولعله اراد الفرق بالنسبة الى الصراحة والاحتمال
وعن عوف بن مالك صلى الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظنا من رسوله
دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله
واغسله بالما والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض
من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من
زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار قال عوف
حتى تمنيت ان اكون انا ذلك الميت لدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه
مسلم وعن واثلة ابن الاسقع قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك
وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وانت اهل الوفا والحق
اللهم اغفر له وارحمه انك انت الغفور الرحيم رواه ابو داود وعن ابي هريرة
قال كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على جنازة قال اللهم اغفر لحينا وميتنا
وشاهدنا وغايبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وانثانا اللهم من احييته منا
فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا
اجره ولا تفتنا بعده رواه احمد وابو داود والترمذي وعنه سمعته صلى

الله عليه وسلم يقول اللهم انت ربها وانت خلقتها هديتها الى الاسلام وقبضت
روحها وانت اعلم بسرها وعلانيتها جينا شفعا فاغفر لها رواه ابو داود
الفرع الثالث في صلاته صلى الله عليه وسلم على القبر عن ابي هريرة
ان امراة سودا كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسال عنها فقالوا ماتت قال افلا اذنتموني قال فكانهم صغروا امرها فقال
دلوني على قبرها فدلوه فصلى عليها رواه البخاري ومسلم زاد ابن حبان فقال
في رواية حماد بن سلمة عن ثابت ان هذه القبور مملوءة ظلمة على اهلها وان
الله ينورها بصلاتي عليهم واشار الى ان بعض المخالفين احتج بهذه الزيادة على
ان ذلك من خصايصه صلى الله عليه وسلم ثم ساق من طريق خارجة بن زيد
ابن ثابت عن عمه يزيد ابن ثابت نحو هذه القصة وفيها ثم اتى القبر فصففنا
خلفه وكبر عليه اربعا قال ابن حبان في ترك انكاره عليه الصلاة والسلام الصلاة
على من صلى معه على القبر بيان جواز ذلك لغيره وانه ليس من خصايصه وتعقب
بان الذي يقع بالتبعية لا ينهض دليلا للاصالة وعن عقبة ابن عامر انه
صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت ثم انصرف
وفي رواية صلى على قتلى احد بعد ثماني سنين كالمودع للاحيا والاموات رواه
ابو داود والنسائي ورواه الشيخان ايضا بلفظ خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته
على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال اني فرط لكم الحديث وفيه الصلاة على الشهدا
في حرب الكفار وقد اختلف العلما في هذه المسالة فذهب مالك والشافعي
واحمد واسحاق والجمهور الى انه لا يصلى عليهم وذهب ابو حنيفة الى الصلاة
عليهم كغيرهم وبه قال المزني وهو رواية عن احمد اختارها الخلال وحجة الجمهور
انه عليه الصلاة والسلام لم يصل على قتلى احد كما رواه البخاري في صحيحه
عن جابر واما هذه الصلاة فالمراد بها الدعا وليس المراد بها صلاة الجنازة
المعهودة قال النووي اي دعا لهم بدعا صلاة الميت وان هذه الصلاة
مخصوصة بشهدا احد فانه لم يصل عليهم قبل دفنهم كما هو المعهود في صلاة الجنازة
وانما صلى عليهم في القبور بعد ثمان سنين والحنفية لا يقولون الصلاة على القبر
مطلقا ولو كانت الصلاة عليهم واجبة لما تركها في الاول ثم ان الشافعية
اختلفوا في معنى قولهم لا يصلى على الشهيد فقال اكثرهم معناه تحرم
الصلاة عليه وهو الصحيح عندهم وقال اخرون معناه لا تجب الصلاة عليهم
لكن تجوز وذكر ابن قدامة ان كلام احمد في الرواية التي قال فيها يصلى
عليهم يشير الى انها مستحبة غير واجبة قال ابن القاسم صاحب مالك
ان ملة يصلي على الشهيد فيما اذا كان المسلمون الذين هم غزوا الكفار

فان كان الكفار هم الذين غزوا المسلمين فيصلي عليهم **الفرع الرابع في صلاته
صلى الله عليه وسلم على الغايب** عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال توفي
اليوم رجل صالح من الحبش فهلم فصلوا عليه قال فصففنا فصلى النبي صلى الله
عليه وسلم ونحن وراه رواه البخاري ومسلم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
نعى النجاشي اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر اربع تكبيرات
رواه الشيخان ايضا وعند البخاري من طريق ابن عيينة عن ابن جريج فقوموا فصلوا
على اخيكم اصحمة وبهذا الحديث استدل من منع الصلاة على الميت في المسجد وهو
قول الحنفية والمالكية لكن قال ابو يوسف ان اعد المسجد للصلاة على الموتى
لم يكن للصلاة فيه عليهم باس قال النووي ولا حجة فيه لان الممتنع عند الحنفية
ادخال الميت المسجد لا مجرد الصلاة عليه حتى لو كان الميت خارج المسجد جازت الصلاة
عليه لمن هو داخله وقال ابن بزيزة وغيره استدل به بعض المالكية وهو باطل لانه
ليس فيه صيغة نهي ولاحتمال ان يكون خرج بهم الى المصلى لامر غير المعنى المذكور
وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام صلى على سهيل بن بيضا في المسجد فكيف
يترك هذا التصريح لامر محتمل بل الظاهر انه انما خرج بالمسلمين الى المصلى لقصد
تكثير الجمع الذين يصلون عليه ولاشاعة كونه مات على الاسلام فقد كان بعض
الناس لم يدر بكونه اسلم فقد روى ابن ابي حاتم في التفسير والدارقطني في
الافراد والبزار كلاهما عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشي
قال بعض اصحابه صلى على علج من الحبشة فنزلت وان من اهل الكتاب لمن
يومن بالله وما انزل اليكم الاية وله شاهد من حديث ابي سعيد عند الطبراني
في معجمه الكبير وزاد فيه ان الذي طعن بذلك كان منافقا وقد قال باب
الصلاة على الجنازة بالمصلى والمسجد وروى حديث ابن عمر ان اليهود جاؤوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامراة زنيا فامر بهما فرجما
قريبا من موضع الجنائز عند المسجد وحكى ابن بطال عن ابن حبيب ان مصلى
الجنائز بالمدينة كان لاصقا بالمسجد النبوي من ناحية المشرق انتهى فان
ثبت ما قال والا فيحتمل ان يكون المراد بالمسجد هنا المصلى المتخذ للعيدين
والاستسقاء لانه لم يكن عند المسجد النبوي مكان مهيا للرجم ودل
حديث ابن عمر المذكور على انه كان للجنائز مكان معد للصلاة عليها فقد
يستفاد منه ان ما وقع من الصلاة على بعض الجنائز في المسجد كان لامر
عارض او لبيان الجواز واستدل به على مشروعية الصلاة على الجنائز في
المسجد ويقويه حديث عائشة ما صلى صلى الله عليه وسلم على سهيل
بن بيضا الا في المسجد اخرجه مسلم وبه قال الجمهور وحمل المانعون

الصلاة

الصلاة على سهيل بانه كان خارج المسجد والمصلون داخله وذلك جائز اتفاقا
وفيه نظر لان عائشة استدلت بذلك لما انكروا عليها امرها بالمرور بجنازة
سعد على حجرتها لتصلي عليه وقد سلم لها الصحابة بذلك فدل على انها حفظت
ما نسوه وقد روى ابن ابي شيبة وغيره ان عمر صلى على ابي بكر في المسجد وان
صهيبا صلى على عمر في المسجد زاد في رواية ووضعت الجنازة في المسجد تجاه
المنبر وهذا يقتضي الاجماع على جواز ذلك وقد استدل ايضا بحديث قصة
النجاشي على مشروعية الصلاة على الميت الغايب عن البلد وبذلك قال
الشافعي واحمد وجمهور السلف حتى قال ابن حزم لم يات عن احد من الصحابة منعه
وعن الحنفية والمالكية لا يشرع ذلك وعن بعض اهل العلم انما يجوز ذلك في
اليوم الذي يموت فيه الميت او ما قرب منه لا ما اذا طالت المدة حكاه ابن عبد البر وقال
ابن حبان انما يجوز ذلك لمن في جهة القبلة فلو كان بلد الميت مستدبر القبلة مثلا
لم يجز قال المحب الطبري لم ار ذلك لغيره وقد اعتذر من لم يقل بالصلاة على الغايب
عن قصة النجاشي بامور منها انه كان بارض لم يصل عليه بها احد فتعينت الصلاة
عليه لذلك ومن ثم قال الخطابي لا يصلى على الغايب الا اذا وقع موته بارض ليس بها
من يصلي عليه واستحسنه الروياني من الشافعية ومنها قول بعضهم كشف له صلى الله
عليه وسلم عنه حتى راه وعبر عنه القاضي عياض بقوله في الشفا ورفع له
النجاشي حتى صلى عليه فيكون صلاته عليه الصلاة والسلام عليه كصلاة الامام
على ميت راه ولم يره المأمومون ولا خلاف في جوازها قال ابن دقيق العيد
وهذا يحتاج الى نقل ولا يثبت بالاحتمال وتعقبه بعض الحنفية بان الاحتمال
كاف في مثل هذا وكان مستند هذا القايل ما ذكره الواحدي في اسباب النزول
بغير اسناد عن ابن عباس قال كشف للنبي صلى الله عليه وسلم عن سرير
النجاشي حتى راه وصلى عليه ولابن حبان من حديث عمران ابن حصين فقام
وصفوا خلفه وهم لا يظنون الا ان جنازته بين يديه ومن الاعتذارات
ايضا ان ذلك خاص بالنجاشي لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم
صلى على ميت غايب غيره قاله المهلب وكانه لم يثبت عنده قصة معاوية
ابن معاوية الليثي واستند من قال بتخصيص النجاشي بذلك الى ما تقدم
من اشاعة انه مات مسلما او استيلاف قلوب الملوك الذين اسلموا
في حياته قال النووي لو فتح هذا الباب لانسد كثير من ظواهر الشرع مع
انه لو كان شي مما ذكروه لتوفرت الدواعي على نقله وقال ابن العربي
قال المالكية ليس ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم قلنا وما عمل به محمد
صلى الله عليه وسلم تعمل به امته يعني لان الاصل عدم الخصوصية قالوا

قالوا طويت له الارض واحضرت الجنازة بين يديه قلنا ان ربنا عليه لقادر
وان نبينا لاهل لذلك ولكن لا تقولوا الا ما رويتم ولا تخترعوا احاديث من عند
انفسكم ولا تحدثوا الا بالثابتات ودعوا الضعاف فانها سبيل الى اتلاف
ما ليس له تلاف وقال الكرماني قولهم رفع الحجاب عنه ممنوع ولئن سلمنا
فكان غائبا عن الصحابة الذين صلوا عليه مع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا
من فتح الباري **النوع الثالث في ذكر سيرته صلى الله عليه وسلم في
الزكاة وهي في اللغة النماء والتطهير والمال ينمي بها من** حيث لا يرى
وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب وقيل ينمي اجرها عند الله تعالى وسميت في الشرع
زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها **وقيل** لانها تزكي صاحبها وتشهد بصحة ايمانه
وهي قيد النعمة وسميت الصدقة صدقة لانها دليل لتصديق صاحبها وصحة
ايمانه بظاهره وباطنه وقد فهم من شرعه صلى الله عليه وسلم ان الزكوة
وجبت للمواساة وان المواساة لا تكون الا في مال له بال وهو النصاب ثم جعلها
صلى الله عليه وسلم في الاموال النامية وهي اربعة اصناف الذهب والفضة
اللذان بهما قوام العالم والثاني الزروع والثمار والثالث بهيمة الانعام
الابل والبقر والغنم والرابع اموال التجارة على اختلاف انواعها وحد صلى
الله عليه وسلم نصاب كل صنف بما يحتمل المواساة فنصاب الفضة خمس
اواق وهي مائتا درهم بنص الحديث والاجماع فاما الذهب فعشرون مثقالا
واما الزروع والثمار فخمسة اوسق واما الغنم فاربعون شاة والبقر
ثلاثون بقرة والابل خمس ورتب صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب
بحسب المؤنة والتعب في المال فاعلاها واقلها تعبا الركاز وفيه الخمس
لعدم التعب فيه ولم يعتبر له حولا بل اوجب فيه الخمس متى ظفر به ويليه
الزروع والثمار فان سقي بماء السماء ونحوه ففيه العشر والا فنصفه
ويليه الذهب والفضة والتجارة وفيها ربع العشر لانه يحتاج الى العمل فيه
جميع السنة ويليه الماشية فانه يدخلها الاوقاص بخلاف الانواع السابقة
ولما كان نصاب الابل لا يحتمل المواساة من جنسه اوجب فيها شاة فاذا
صارت الخمس خمسا وعشرين احتمل نصابها واحدا فكان هو الواجب ثم انه
قدر سن هذا الواجب في الزيادة والنقصان بحسب كثرة الابل وقلتها
وفي كتابه صلى الله عليه وسلم الذي كتبه في الصدقة ولم يخرجه الى عماله
حتى قبض في خمس من الابل شاة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث
شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس
وثلاثين فاذا زادت واحدة ففيها ابنة لبون الى خمس واربعين

فان

فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان زادت واحدة ففيها جذعة الى
خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين فان زادت واحدة
ففيها حقتان الى عشرين ومائة فاذا كانت الابل اكثر من ذلك ففي كل خمسين
حقة وفي كل اربعين ابنة لبون وفي الغنم في كل اربعين شاة شاة الى عشرين
ومائة فاذا زادت واحدة فشاتان الى المائتين فان زادت على المائتين ففيها
ثلاث شياه الى ثلثمائة فان كانت الغنم اكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة
ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ المائة رواه ابو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد
الله بن عمر **وفرض** صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر وصاعا من شعير
على العبد والحر والذكر والانثى والصغير والكبير من المسلمين وامر بها ان تؤدى قبل
خروج الناس الى الصلاة رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وفي رواية ابي
داود من حديث ابن عباس فرض صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم
من اللغو والرفث وطعمة للمساكين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم
نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها فجزاها ثمانية اجزاء رواه ابو داود من
حديث زياد بن الحارث الصدائي وهذه الثمانية الاجزاء يجمعها صنفان من الناس
احدهما من يأخذ لحاجة فيأخذ بحسب شدة الحاجة وضعفها وكثرتها وقلتها
وهم الفقراء والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل والثاني من يأخذ لمنفعته
وهم العاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمون لاصلاح ذات البين والغزاة
في سبيل الله فان لم يكن الآخذ محتاجا ولا فيه منفعة للمسلمين فلا سهم له في الزكاة
واعلم ان الانبياء لا تجب عليهم الزكاة لانهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم الزكاة
فيه وانما تجب عليك زكاة ما انت له مالك والانبياء كانوا يشهدون ما في ايديهم
من ودائع الله لهم يبذلونه في اوان بذله ويمنعونه في غير محله ولان الزكوة
انما هي طهرة لما عساه ان يكون ممن وجبت عليه لقوله تعالى خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء عليهم الصلاة والسلام مبرؤون من الدنس
لوجود العصمة ولهذا لم يوجب ابو حنيفة على الصبيان زكاة لعدم دنس
المخالفة والمخالفة لا تكون الا بعد جريان التكليف وذلك بعد البلوغ
واذا كان اهل المعرفة بالله المشاهدون لاحديته لا يشهدون لهم مع الله
ملكا كما هو المشهور من حكاياتهم فما ظنك بالانبياء والرسل واهل التوحيد
والمعرفة انما غرفوا من بحارهم واقتبسوا من انوارهم انتهى ملخصا من
كتاب التنوير للعارف الكبير ابي الفضل ابن عطاء الله الشاذلي اذاقنا الله
حلاوة مشربه **تنبيه** ما حكي ان الامام الشافعي واحمد بن حنبل
كانا جالسين اذ اقبل شيبان الراعي فقال احمد ابن حنبل للشافعي

اريد ان اسئل هذا المشار اليه في هذا الزمن فقال الشافعي لا تفعل فقال
لا بد من ذلك فقال يا شيبان ما تقول فيمن نسي اربع سجدات من اربع ركعات
فقال يا احمد هذا قلب غافل عن الله يجب ان يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك
فخر احمد مغشيا عليه ثم افاق فقال ما تقول فيمن له اربعون شاة ما زكاتها
فقال على مذهبنا او على مذهبكم فقال وهما مذهبان قال نعم اما على مذهبكم
ففي الاربعين شاة شاة واما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيئا **فقد**
نقل شيخنا في المقاصد الحسنة عن ابن تيمية ان ذلك باطل باتفاق اهل المعرفة
لان الشافعي واحمد لم يدركا شيبان الراعي والله اعلم انتهى **وقد كان** صلى الله
عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة فقال اللهم صل على ال فلان فاتاه ابو اوفي
بصدقة فقال اللهم صل على ال ابي اوفي رواه البخاري ومسلم واختلف في اول
وقت فرض الزكاة فذهب الاكثرون الى انه وقع بعد الهجرة **وقيل** كان في السنة
الثامنة قبل فرض رمضان واشار اليه النووي في باب السير من الروضة وجزم
ابن الاثير في التاريخ بان ذلك كان في التاسعة وفيه نظر لما في حديث ضمام
بن ثعلبة وحديث وفد عبد القيس ومخاطبة ابي سفيان مع هرقل وكان في اول
السابعة وقال فيها يامرنا بالزكاة وقوى بعضهم ما ذهب اليه ابن الاثير بما وقع
في قصة ثعلبة بن حاطب المطولة ففيها لما انزلت اية الصدقة بعث النبي
صلى الله عليه وسلم عاملا فقال ما هذه الا جزية او اخت الجزية والجزية
انما وجبت في التاسعة فتكون الزكاة في التاسعة لكنه حديث ضعيف لا يحتج
بمثله وادعى ابن خزيمة في صحيحه ان فرضها كان قبل الهجرة **واحتج** بما اخرجه
من حديث ام سلمة في قصة هجرتهم الى الحبشة وفيها ان جعفر بن ابي طالب
قال للنجاشي في جملة ما اخبره به عن النبي الذي يامرنا بالصلاة والزكاة والصيام
انتهى وفي الاستدلال بذلك نظر لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت بعد ولا صيام
رمضان فيحتمل ان تكون مراجعة جعفر لم تكن في اول ما قدم على النجاشي وانما
اخبره بذلك بعد مدة قد وقع فيها ما ذكر من فريضة الصلاة والصيام
وبلغ ذلك جعفرا فقال يامرنا يعني بامته وهو بعيد جدا **واولى** ما حمل
عليه حديث ام سلمة هذا ان سلم من قدح في اسناده ان المراد بقول جعفر
يامرنا بالصلاة والزكاة والصيام اي في الجملة ولا يلزم من ذلك ان يكون
المراد بالصلاة الصلوات الخمس ولا بالصيام صيام شهر رمضان ولا
بالزكاة هذه الزكاة المخصوصة ذات النصاب والحول والله اعلم **ومما**
يدل على ان فرض الزكاة كان قبل التاسعة حديث انس في قصة
ضمام بن ثعلبة وقوله انشدك الله آلله امرك ان تاخذ هذه الصدقة

من

من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا وكان قدوم ضمام سنة خمس وانما الذي وقع في
التاسعة بعث العمال لاخذ الصدقات وذلك يستدعي تقدم فريضة الزكاة قبل ذلك
ومما يدل على ان فرض الزكاة وقع بعد الهجرة اتفاقهم على ان صيام رمضان انما فرض
بعد الهجرة لان الاية الدالة على فرضيته مدنية بلا خلاف **وثبت** عند احمد وابن خزيمة
والنسائي وابن ماجة والحاكم من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال امرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر قبل ان تنزل الزكاة ثم نزلت فريضة الزكاة فلم
يامرنا ولم ينهنا ونحن نفعله اسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح الا ابا عمار الراوي
عن قيس بن سعد وقد وثقه احمد وابن معين وهو دال على ان فرض صدقة الفطر
كان قبل فرض الزكاة فيقتضي وقوعها بعد فرض رمضان قاله الحافظ ابو الفضل
ابن حجر رحمه الله **وكان** صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها رواه البخاري
من حديث عائشة واذا اتي بطعام سال عنه اهدية ام صدقة فان قيل صدقة
قال لاصحابه كلوا ولم ياكل وان قيل هدية ضرب بيده فاكل معهم رواه البخاري
ومسلم من حديث ابي هريرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة هل عندكم شيء فقالت
لا الا شيء بعثت به الينا نسيبة من الشاة التي بعثت لها من الصدقة قال انها
بلغت محلها رواه البخاري وقوله محلها بكسر الحاء اي زال عنها حكم الصدقة وصارت
حلالا لنا واتي بلحم قد تصدق به على بريرة فقال هو عليها صدقة ولنا هدية رواه
البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وفي حديث عائشة عند البخاري ومسلم
دخل صلى الله عليه وسلم وعلى النار برمة تفور فدعا بالغداء فاتي بخبز وادم
من ادم البيت فقال الم ار برمة على النار تفور قالوا بلى يا رسول الله لكنه لحم تصدق
به على بريرة واهدت الينا منه وانت لا تاكل الصدقة فقال هو صدقة
عليها وهدية لنا **النوع الرابع في ذكر صيامه صلى الله عليه وسلم** اعلم ان
المقصود من الصيام امساك النفس عن خسيس عاداتها وحبسها عن شهواتها
وفطمها عن مالوفاتها فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الابرار
والمقربين وهو لرب العالمين من بين سائر اعمال العاملين كما قال تعالى في
الحديث الالهي الذي رواه مسلم كل عمل ابن ادم له الا الصيام فهو لي وانا
اجزي به فاضافه تعالى اليه اضافة تشريف وتكريم كما قال تعالى ناقة الله
مع ان العالم كله له سبحانه وقيل لانه لم يعبد غيره به فلم يعظم الكفار
في عصر من الاعصار معبودا لهم بالصيام وان كانوا يعظمونه بصورة الصلاة
والسجود وغيرهما قال في شرح تقريب الاسانيد واعترض بما يقع من عباد
النجوم واصحاب الهياكل والاستخدامات فانهم يتعبدون لها بالصيام
واجيب بانهم لا يعتقدون انها فعالة بانفسها وقيل لان الصوم بعيد من

من الرياء بخلافه بخلاف الصلاة والحج والغزو وغير ذلك من العبادات
الظاهرات قال في فتح الباري معنى النفي في قولهم لا رياء في الصوم انه لا يدخله الرياء
بفعله وان كان قد يدخله الرياء بالقول كمن يصوم ثم يخبر بانه صائم فقد يدخل
الرياء من هذه الحيثية فدخول الرياء في الصوم انما يقع من جهة الاخبار بخلاف بقية الاعمال
فان الرياء يدخلها بمجرد فعلها انتهى وعن شداد بن اوس مرفوعا من صام يرائي
فقد اشرك رواه البيهقي وقيل لانه ليس للصائم ونفسه فيه حظ وقيل لان الاستغناء
عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب تعالى فلما تقرب الصائم اليه
بما يوافق صفاته اضافه اليه قال القرطبي معناه ان اعمال العباد مناسبة لاحوالهم
الا الصيام فانه مناسب لصفة من صفات الحق كانه تعالى يقول ان الصائم يتقرب
الي بامر هو متعلق بصفة من صفاتي او لكون ذلك من صفات الملائكة او لانه تعالى
هو المنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته بخلاف غيره من العبادات فقد اظهر
سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها ولذا قال في بقية الحديث وانا اجزي به
وقد علم ان الكريم اذا اخبر بانه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى ذلك سعة العطاء ولقد جوزي
الصائم هذا الجزاء لانه ترك شهوته وطعامه وشرابه من اجل معبوده والمراد بالشهوة
في الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب ويحتمل ان يكون من العام
بعد الخاص لكن وقع في رواية عند ابن خزيمة يدع لذته من اجلي ويدع زوجته
من اجلي **واشرح** منه ما روي من الطعام والشراب والجماع من اجلي وللصيام
تاثير عجيب في حفظ الاعضاء الظاهرة وقوى الجوارح الباطنة وحميتها عن
التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الردية المانعة له من صحتها
فهي من اكبر العون على التقوى كما اشار اليه تعالى بقوله كتب عليكم الصيام كما
كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال عليه الصلاة والسلام كما في البخاري
الصوم جنة وهي بضم الجيم الوقاية والستر اي ستر من النار وبه جزم ابن عبد
البر وفي النهاية اي يقي صاحبه مما يؤذيه من الشهوات وقال القاضي عياض
من الاثام وقد اتفقوا على ان المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من
المعاصي قولا وفعلا **وقد اختلف** هل الصوم افضل من الصلاة فقيل الصوم
افضل الاعمال البدنية لحديث النسائي عن ابي امامة قال اتيت النبي صلى
الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بامر اخذه عنك قال عليك
بالصوم فانه لا عدل له والمشهور تفضيل الصلاة وهو مذهب الشافعي
وغيره لقوله عليه الصلاة والسلام واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة رواه
ابو داود وغيره ثم ان الكلام في صيامه صلى الله عليه وسلم على قسمين

القسم الاول في صيامه صلى الله عليه وسلم شهر رمضان وفيه فصول

الاول

الاول فيما كان صلى الله عليه وسلم يخص به رمضان من العبادات وتضاعف
جوده عليه الصلاة والسلام فيه **اعلم** ان رمضان مشتق من الرمض وهو شدة الحر
لان العرب لما ارادوا ان يضعوا اسماء الشهور وافق ان الشهر المذكور شديد الحر
فسموه بذلك كما سمي الربيعين لموافقتهما زمن الربيع او لانه يرمض الذنوب اي يحرقها
وهو ضعيف لان التسمية به ثابتة قبل الشرع ورمضان افضل الاشهر كما حكاه الاسنوي
عن قواعد الشيخ عز الدين ابن عبد السلام **قال** النووي وقولهم انه من اسماء الله تعالى
ليس بصحيح فان كان قد جاء فيه اثر ضعيف واسماء الله تعالى توقيفية لا تثبت الا بدليل
صحيح انتهى **وقد اختلف** السلف هل فرض صيام قبل رمضان ام لا فالجمهور وهو المشهور
عند الشافعية انه لم يجب قط صوم قبل صوم رمضان وفي وجه وهو قول الحنفية
اول ما فرض يوم عاشوراء فلما نزل رمضان نسخ وسياتي ادلة الفريقين
في الكلام على صوم عاشوراء ان شاء الله تعالى **وقد كان** فرض رمضان في السنة الثانية
من الهجرة كما تقدم فتوفي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات
ولما كان شهر رمضان موسم الخيرات ومنبع الجود والبركات لان نعم الله تعالى فيه
تزيد على غيره من الشهور كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر فيه من العبادات
وانواع القربات الجامعة لوجوه السعادات من الصدقة والاحسان والصلاة والذكر
والاعتكاف ونحو ذلك من العبادات ما لا يخص به غيره من الشهور **وكان** جوده صلى
الله عليه وسلم يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور كما ان جود ربه تعالى يتضاعف
فيه ايضا فان الله تعالى جبله على ما يحبه من الاخلاق الكريمة **وفي حديث** ابن عباس
عند الشيخين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس واجود ما يكون في رمضان
حين يلقاه جبريل فيدارسه القران فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه
جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة فمجموع ما ذكر في هذا الحديث من الوقت وهو
شهر رمضان والمنزول وهو القران والنازل به وهو جبريل والمذاكرة وهي مدارسة
القران حصل له عليه الصلاة والسلام المزيد في الجود والمرسلة المطلقة يعني
انه في الاسراع بالجود اسرع من الريح وعبر بالمرسلة اشارة الى دوام هبوبها
بالرحمة والى عموم النفع بجوده صلى الله عليه وسلم كما تعم الريح المرسلة ما تهب
عليه **ووقع** عند الامام احمد في اخر هذا الحديث لا يسأل شيئا الا اعطاه وقد كان
ابتداء نزول القران في شهر رمضان وكذا نزوله الى سماء الدنيا جملة واحدة
كان في رمضان كما ثبت في حديث ابن عباس فكان جبريل عليه الصلاة يتعاهده
صلى الله عليه وسلم في كل سنة فيعارضه بما نزل من رمضان الى رمضان فلما كان
العام الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم عارضه به مرتين كما ثبت في الصحيح
عن فاطمة رضي الله عنها قال في فتح الباري وفي معارضة جبريل النبي صلى

الله عليه وسلم بالقرآن في شهر رمضان حكمتان احداهما تعاهده والثانية تبقية
ما لم ينسخ منه ورفع ما نسخ فكان شهر رمضان ظرفا لانزاله جملة وتفصيلا وعرضا واحكاما
وفي المسند عن واثلة ابن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم في اول
ليلة من شهر رمضان وانزل الانجيل لثلاث عشرة من شهر رمضان وانزلت التوراة لست من
رمضان وانزل القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان **وقد دل** الحديث على استحباب مدارسة
القرآن في رمضان والاجتماع عليه وعرض القرآن على من هو احفظ منه وفي حديث ابن عباس
ان المدارسة بينه صلى الله عليه وسلم وبين جبريل كانت ليلا وهو يدل على استحباب
الاكثار من تلاوة القرآن في رمضان ليلا لان الليل تنقطع فيه الشواغل وتجتمع فيه الهمم
ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر **وقد كان** صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه
بقدوم رمضان كما اخرجه الامام احمد والنسائي عن ابي هريرة ولفظه قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان يقول قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك
كتب عليكم صيامه تفتح فيه ابواب السماء وتغلق فيه ابواب وتغل فيه الشياطين فيه
ليلة خير من الف شهر من حرم خيرها حرم **قال** بعض العلماء هذا الحديث اصل في تهنئة
الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان **وروي** انه صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان
فكان اذا دخل رجب وشعبان قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان رواه
الطبراني وغيره من حديث انس وكان عليه الصلاة والسلام اذا رأى هلال رمضان
قال هلال رشد وخير هلال رشد وخير امنت بالذي خلقك رواه امنت بالذي
خلقك رواه النسائي من حديث انس وروي انه عليه الصلاة والسلام كان يقول
اذا دخل شهر رمضان اللهم سلمني من رمضان وسلم رمضان لي وسلمه مني سلمه مني
اي سلمني منه حتى لا يصيبني فيه ما يحول بيني وبين صومه من مرض او غيره وسلمه
لي حتى لا يغم هلاله علي في اوله واخره فيلتبس علي الصوم والفطر وسلمه مني بان يعصمني
فيه من المعاصي وهذا منه عليه الصلاة والسلام تشريع لامته

الفصل الثاني في صيامه عليه الصلاة والسلام برؤية الهلال عن عائشة
كان صلى الله عليه وسلم يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم
لرؤية رمضان فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام رواه ابو داود وقال صلى
الله عليه وسلم اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم
فاقدروا له رواه مسلم قوله فان غم عليكم اي حال بينكم وبينه غيم فاقدروا
له من التقدير اي قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما ويؤيده قوله
في الرواية السابقة فان غم عليه صلى الله عليه وسلم عد ثلاثين وهو مفسر
لاقدروا له ولهذا لم يجتمعا في رواية وتذكره رواية فاقدروا له ثلاثين **قال**
المازري حمل جمهور الفقهاء قوله عليه الصلاة والسلام اقدروا على ان المراد

اكمال

اكمال العدة ثلاثين كما فسره في حديث آخر قال ولا يجوز ان يكون المراد حساب
المنجمين لان الناس لو كلفوا به لشق عليهم لانه لا يعرفه الا افراد والشرع انما
يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم انتهى وهذا مذهبنا ومذهب مالك وابي حنيفة
وجمهور السلف والخلف وفيه دليل لانه لا يجوز صوم يوم الشك ولا يوم الثلاثين من شعبان
عن رمضان اذا كانت ليلة الثلاثين ليلة غيم **وقال** الامام احمد بن حنبل في طائفة اي
اقدروا له تحت السحاب فيجوزون صوم ليلة الغيم عن رمضان بل قال احمد بوجوبه
وقال ابن سريج وجماعة منهم مطرف ابن عبد الله وابن قتيبة واخرون معناه اقدروا
بحسب المنازل

الفصل الثالث في صومه صلى الله عليه وسلم بشهادة العدل الواحد عن ابن عمر قال تراءى الناس الهلال فاخبرت رسول الله صلى الله عليه
وسلم اني رأيته فصام وامر الناس بصيامه رواه ابو داود وصححه ابن حبان **وعن**
ابن عباس قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت هلال رمضان فقال
اتشهد ان لا اله الا الله قال نعم قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال يا بلال اذن في الناس
فليصوموا رواه ابو داود والترمذي والنسائي والمراد في قوله عليه الصلاة والسلام
في الحديث السابق اذا رأيتموه رؤية بعض المسلمين ولا يشترط رؤية كل انسان بل يكفي جميع
الناس رؤية عدل على الاصح في مذهبنا وهذا في الصوم واما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل
واحد على هلال شوال عند جميع العلماء الا ابا ثور فجوزه بعدل **قال** الاسنوي اذا قلنا
بالواحد في الصوم فالخلاف انه لا يتعدى الى غيره فلا يقع به الطلاق والعتق المعلقين
بحلول رمضان ولا يحل به الدين المؤجل ولا يتم به حول الزكاة كذا اطلقه الرافعي هنا
نقلا عن البغوي واقره وتبعه عليه في الروضة وصورته فيما اذا سبق التعليق
على الشهادة فان وقعت الشهادة اولا وحكم الحاكم بدخول رمضان ثم جرى
التعليق فان الطلاق والعتق يقعان كذا نقله القاضي حسين في تعليقه
عن ابن سريج قال الرافعي في الباب الثاني من كتاب الشهادات انه القياس انتهى

الفصل الرابع فيما كان يفعله صلى الله عليه وسلم وهو صائم
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم رواه
البخاري ومسلم وابو داود والترمذي **واعلم** ان الجمهور على عدم الفطر بالحجامة
مطلقا وعن علي وعطاء والاوزاعي واحمد واسحاق وابي ثور يفطر الحاجم
والمحجوم واوجبوا عليهما القضاء وشذ عطاء فاوجب الكفارة ايضا وقال
بقول احمد من الشافعية ابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان وقال الترمذي
كان الشافعي يقول ذلك ببغداد واما بمصر فمال الى الرخصة انتهى وقال
الشافعي في اختلاف الحديث بعد ان اخرج حديث شداد كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرأى رجلا يحتجم لثمان عشرة خلت من رمضان فقال

وهو اخذ بيدي افطر الحاجم والمحجوم ثم ساق حديث ابن عباس احتجم وهو صايم قال
وحديث ابن عباس امثلهما اسنادا فان توقي احد الحجامة كانت احب الي احتياطا والقياس
مع حديث ابن عباس والذي احفظ عن الصحابة والتابعين وعامة اهل العلم انه لا يفطر
احد بالحجامة واول بعضهم حديث افطر الحاجم والمحجوم على ان المراد به انهما سيفطران كقوله
تعالى اني اراني اعصر خمرا اي ما يوول اليه ولا يخفى بعد هذا التاويل وقال البغوي
في شرح السنة معناه تعرضا للافطار اما الحاجم فلانه لا يامن من وصول شي من الدم
الى جوفه عند مصه واما المحجوم فلانه لا يامن من ضعف قوته بخروج الدم فيوول امره
الى ان يفطر وقيل معنا افطرا فعلا مكروها وهو الحجامة فصارا كانهما غير متلبسين بالعبادة
وقال ابن حزم صح حديث افطر الحاجم والمحجوم بلا ريب لكن وجدنا من حديث ابي سعيد رخص
النبي صلى الله عليه وسلم في الحجامة للصايم واسناده صحيح فوجب الاخذ به لان الرخصة
انما تكون بعد العزيمة تدل على نسخ الفطر بالحجامة سوا كان حاجما او محجوما انتهى
والحديث المذكور اخرجه النسائي وابن خزيمة والدارقطني ولفظه اول ما كرهت الحجامة
للصايم ان جعفر ابن ابي طالب احتجم وهو صايم فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
افطر هذان ثم رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد في الحجامة للصايم وكان
انس يحتجم وهو صايم وكلهم من رجال البخاري الا ان في المتن ما ينكر لان فيه ان ذلك
كان في الفتح وجعفر كان قتل قبل ذلك ومن احسن ما ورد في ذلك ما رواه عبد
الرزاق وابو داود عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصايم وعن المواصلة ولم يحرمهما ابقا
على اصحابه واسناده صحيح والجهالة بالصحابي لا تضر ورواه ابن ابي شيبة عن وكيع عن
الثوري بلفظ عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انما نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن الحجامة للصايم وكرهها للضعيف لئلا يضعف انتهى ملخصا من فتح الباري
والله اعلم وقالت عايشة وكان صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه وهو صايم
ثم ضحكت رواه البخاري ومسلم وابو داود وقالت وكان املككم لاربه اي لحاجته
يعني انه كان غالبا لهواه قال ابن الاثير اكثر المحدثين يروونه بفتح الهمزة
والرا يعنون به الحاجة وبعضهم يرويه بكسر الهمزة وسكون الرا وله تاويلان
احدهما انه الحاجة يقال فيها الارب والارب والاربة والماربة والثاني اراد
به العضو وعنت به من الاعضا الذكر خاصة انتهى ومذهب الشافعي والاصحاب
ان القبلة ليست محرمة على من لم تحرك شهوته لكن الاولى تركها واما
من حركت شهوته فهي حرام في حقه على الاصح عند اصحابنا وقوله فضحكت
قيل يحتمل ضحكها التعجب ممن خالف في هذا وقيل تعجبت من نفسها اذ حدثت
بمثل هذا مما يستحيي من ذكر النسا مثله للرجال ولكنها الجاتها الضرورة

في

في تبليغ العلم الى ذكر ذلك وقد يكون خجلا لاخبارها عن نفسها بذلك او تنبيها
على انها صاحبة القصة ليكون ذلك ابلغ في الثقة بها او سرورا بمكانها من النبي
صلى الله عليه وسلم ومحبته لها وروى ابن ابي شيبة عن شريك عن هشام في هذا الحديث
فضحكت فظننا انها هي وروى ابن ابي شيبة عن شريك عن هشام في هذا الحديث فضحكت
فظننا انها هي وروى النسائي عنها قالت اهوى الي النبي صلى الله عليه وسلم
ليقبلني فقلت اني صايمة فقال وانا صايم فقبلني وقد روى ابو داود عن عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها ويمص لسانها وهو صايم واسناده ضعيف ولو صح
فهو محمول على انه لم يبتلع ريقه الذي خالط ريقها وكان عليه الصلاة والسلام
يكتحل بالاثمد وهو صايم رواه البيهقي من رواية محمد بن عبد الله ابن ابي رافع عن ابيه عن جده
ثم قال ان محمدا هذا ليس بالقوي وتعقبه الحاكم واخرج له في مستدركه وقالت
ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من جماع لا حلم ثم لا يفطر ولا يقضي رواه
البخاري ومسلم قال القرطبي في هذا فايدتان احداهما انه كان يجامع في رمضان ويوخر
الغسل الى بعد طلوع الفجر بيانا للجواز الثانية ان ذلك كان من جماع لا من احتلام
لانه كان لا يحتلم اذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه وقال غيره في قولها من
غير احتلام اشارة الى جواز الاحتلام عليه والا لما كان لاستثنائه معنى ورد بان
الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه واجيب بان الاحتلام يطلق على الانزال
وقد يقع الانزال بغير روية شي في المنام واردت بالتقييد بالجماع المبالغة في الرد
على من زعم ان من فعل ذلك عمدا افطر انتهى وقال عامر ابن ربيعة رايته صلى الله عليه
وسلم يستاك وهو صايم ما لا اعد ولا احصي رواه ابو داود والترمذي

الفصل الخامس في وقت افطاره عليه الصلاة والسلام

عن عبد الله ابن ابي اوفى
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في شهر رمضان فلما غابت الشمس قال
يا بلال انزل فاجدح لنا قال يا رسول الله ان عليك نهارا قال انزل فاجدح
لنا قال فنزل فجدح فاتى به فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال بيده
اذا غابت الشمس من ها هنا وجا الليل من ها هنا فقد افطر الصايم رواه البخاري
ومسلم والجدح بجيم ثم حا مهملة خلط الشي بغيره والمراد خلط السويق
بالماء وتحريكه حتى يستوي ومعنى الحديث انه صلى الله عليه وسلم واصحابه
كانوا صياما فلما غربت الشمس امره عليه الصلاة والسلام بالجدح ليفطر
فراى المخاطب اثار الضيا والحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس وظن ان
الفطر لا يحصل الا بعد ذهاب ذلك واحتمل عنده انه صلى الله عليه وسلم
لم يرها فاراد تذكيره واعلامه بذلك ويويد هذا قوله ان عليك نهارا
لتوهمه ان ذلك الضوء من النهار الذي يجب صومه وهو معنى قوله في الرواية

الاخرى لو اسيت وتكريره المراجعة لغلبة اعتقاده على ان ذلك مهذا والجزم الكل
مع تجويزه انه عليه الصلاة والسلام لم ينظر الى ذلك الضوء تنظرا تاما فقصد زيادة
الاعلام ببقاء الضوء والله اعلم **الفصل السادس فيما كان صلى الله
عليه وسلم يفطر عليه** عن انس كان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل ان يصلي على رطبات
فان لم يجد رطبات فتمرات فان لم يجد تمرات حسا حسوات من ماء رواه ابو
داود انما خص عليه الصلاة والسلام الفطر بما ذكر لان اعطاء الطبيعة الشي
الحلو مع خلو المعدة ادعى الى قبوله وانتفاع القوى به لا سيما قوة البصر وايضا
الماء فان الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس فان رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذا
بعده ولهذا كان الاولى بالظمآن الجائع ان يبدي بشرب قليل من الماء ثم ياكل بعده
قاله ابن القيم **الفصل السابع فيما كان يقوله صلى الله عليه وسلم
عند الافطار** عن معاذ بن زهرة بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
افطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت وهو حديث مرسل ومعاذ هذا ذكره
البخاري في التابعين لكن قال معاذ ابو زهرة وتبعه ابن ابي حاتم وابن حبان
في الثقات وذكره يحيى ابن يونس الشيرازي في الصحابة وغلطه جعفر المستغفري قال
الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون الحديث موصولا ولو كان معاذ تابعيا لاحتمال
ان يكون الذي بلغه له صحابيا قال وبهذا الاعتبار اورده ابو داود في السنن وبالاعتبار
الاخر اورده في المراسيل وخرج ابن السني والطبراني في المعجم الكبير بسند واهي
جدا عن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم قال اذا افطر اللهم لك صمت
وعلى رزقك افطرت فتقبل مني انك انت السميع وعن ابن عمر كان صلى الله
عليه وسلم اذا افطر قال ذهب الظما وابتلت العروق وثبت الاجر
ان شاء الله رواه ابو داود وزاد ابن رزين الحمد لله في اول الحديث وفي كتاب
ابن السني عن معاذ بن زهرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افطر
قال الحمد لله الذي اعانني فصمت ورزقني فافطرت **الفصل
الثامن في وصاله صلى الله عليه وسلم** عن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال قالوا انك تواصل قال اني لست
كهيئتكم اني اطعم واسقى رواه مسلم وللبخاري انه صلى الله عليه وسلم
واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يواصلوا قالوا انك تواصل قال اني لست كهيئتكم اني اظل اطعم
واسقى وفي رواية انس واصل صلى الله عليه وسلم في اخر شهر رمضان
فواصل ناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال لو مد لنا الشهر لواصلنا
وصالا يدع المتعمقون تعمقهم انكم لستم مثلي اني اظل يطعمني ربي

ويسقيني

ويسقيني وفي رواية لا تواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كاحد منكم
اني اطعم واسقى رواه البخاري ومسلم والمتعمقون هم المتشددون في الامر
المجاوزون الحدود في قول او فعل وفي رواية سعيد ابن منصور وابن ابي شيبة
من مرسل الحسن اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وعن عائشة قالت نهاهم
صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم قالوا انك تواصل فقال اني لست كهيئتكم
اني يطعمني ربي ويسقيني رواه البخاري ومسلم الا ان البخاري قال نهى ولم يقل
نهاهم وعن ابي هريرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال
في الصوم فلما ابوا ان ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم يوما ثم راوا الهلال
فقال لو تاخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين ابوا ان ينتهوا رواه البخاري والوصال
هو عبارة عن صوم يومين فصاعدا من غير اكل وشرب بينهما **قال** شيخ الاسلام
الحافظ ابن حجر وقد اختلف في معنى قوله يطعمني ربي ويسقيني فقيل هو على
حقيقته وانه صلى الله عليه وسلم كان يوتى بطعام وشراب من عند الله كرامة
له في ليالي صيامه وتعقب بانه لو كان كذلك لم يكن مواصلا وبان قوله
اظل يدل على وقوع ذلك بالنهار فلو كان الاكل والشرب حقيقة لم يكن صائما
واجيب بان الراجح من الروايات لفظ ابيت دون اظل وعلى تقدير
ثبوتها فليس محمولة على مطلق الكون الا على حقيقة اللفظ لان المحدث عنه هو الامساك
ليلا لا نهارا واكثر الروايات انما هو ابيت فكان بعض الرواة عبر عنها باظل
نظرا الى اشتراكهما في مطلق الكون يقولون كثيرا اضحى فلان كذا ولا يريدون
تخصيص ذلك بوقت الضحى ومنه قوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه
مسودا فان المراد مطلق الوقت ولا اختصاص لذلك بنهار دون ليل
وليس حمل الطعام والشراب على المجاز باولى من حمل لفظ اظل على المجاز
وعلى التنزل فلا يضر شي من ذلك لان ما يوتى به الرسول على سبيل الكرامة
من طعام الجنة وشرابها لا يجري عليه احكام المكلفين فيه كما غسل
صدره الشريف في طست من الذهب مع ان استعمال اواني الذهب الدنيوية
محرمة وقال ابن المنير الذي يفطر شرعا انما هو الطعام المعتاد
واما الخارق للعادة كالمحضر من الجنة فعلى غير هذا المعنى وليس
تعاطيه من جنس الاعمال وانما هو من جنس الثواب كاكل اهل الجنة
في الجنة والكرامة لا تبطل العادة وقال غيره لا مانع من حمل الطعام
والشراب على حقيقتهما واكله وشربه في الليل لا يقطع وصاله خصوصية
له بذلك فكانه قال لما قيل له انك تواصل قال اني لست في ذلك كهيئتكم
اي على صفتكم في ان من اكل منكم او شرب انقطع وصاله بل انما يطعمني

ربي ويسقيني ولا ينقطع بذلك مواصلتي فطعامي وشرابي على غير طعامكم وشرابكم صورة
ومعنى قال الجمهور هو مجاز عن لازم الطعام والشراب وهو القوة فكانه قال يعطيني
قوة الآكل والشارب ويفيض علي ما يسد مسد الطعام والشراب ويقوي على انواع
الطاعة من غير ضعف في القوة او المعنى ان الله تعالى يخلق فيه من الشبع والري ما يغنيه
عن الطعام والشراب ولا يحس بجوع ولا عطش والفرق بينه وبين الاول انه على الاول يعطى
القوة من غير شبع ولا ري بل مع الجوع والظمأ وعلى الثاني يعطى القوة مع الشبع والري
ورجح الاول بان الثاني ينافي حال الصايم ويفوت المقصود من الصوم والوصال
لان الجوع هو روح هذه العبادة بخصوصها قال القرطبي ويبعده ايضا النظر الى حاله عليه
الصلاة والسلام فانه كان يجوع اكثر مما يشبع ويربط على بطنه الحجر وعنى كما قاله ابن القيم
في الهدي وابن رجب في اللطايف ان يكون المراد به ما يغذيه الله به من معارفه
وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه ونعيمه بحبه والشوق اليه
وتوابع ذلك من الاحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الارواح وقرة العين وبهجة
النفوس فللروح والقلب بها اعظم غذاء واجله وانفعه وقد يغني هذا الغذاء عن
غذاء الاجسام مدة من الزمان كما قيل

لها احاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزاد
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها روح القدوم فتحيى عند ميعاد

ومن له ادنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء
الحيواني ولا سيما الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قد قرت عينه بمحبوبه وتنعم بقربه
والرضى عنه والطاف محبوبه مكرمة له غاية الاكرام مع المحبة التامة افليس هذا من اعظم
غذاء لهذا المحب فكيف بالحبيب الذي لا شيء اعظم منه ولا اجل ولا اجمل ولا اكمل ولا
اعظم احسانا افليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا ولهذا قال
اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني انتهى وحكى النووي في شرح المهذب كما قاله
في شرح تقريب الاسانيد ان معناه ان محبة الله تشغلني عن الطعام والشراب
قال والحب البالغ يشغل عنهما انتهى فان قلت لم اثر اسم الرب دون اسم الذات
المقدسة في قوله يطعمني ربي دون ان يقول يطعمني الله اجيب
بان التجلي باسم الربوبية اقرب الى العباد من الالهية لانه تجلي عظمة
لا طاقة للبشر بها وتجلي الربوبية تجلي رحمة وشفقة وقد اختلف الناس
في الوصال هل هو جائز او محرم او مكروه فقالت طائفة انه جائز ان
قدر عليه وهذا يروى عن عبد الله ابن الزبير وغيره من السلف وكان ابن
الزبير يواصل الايام وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح انه كان يواصل
خمسة عشر يوما وذكر معه من الصحابة ايضا اخت ابي سعيد ومن التابعين

عبد الرحمن ابن ابي نعم وعامر بن عبد الله ابن الزبير وابراهيم بن يزيد التيمي وابا الجوزا
كما نقله ابو نعيم في الحلية ومن حجتهم انه عليه الصلاة والسلام واصل باصحابه بعد النهي
فلو كان النهي للتحريم لما اقرهم على فعله فعلم انه اراد بالنهي الرحمة لهم والتخفيف عنهم كما
صرحت به عايشة في حديثها فمن لم يشق عليه ولم يقصد موافقة اهل الكتاب ولا رغب عن
السنة في تعجيل الفطر لم يمنع من الوصال ومن ادلة الجواز ايضا اقدام الصحابة عليه
بعد النهي فدل على انهم فهموا ان النهي للتنزيه لا للتحريم والا لما اقدموا عليه وقال الاكثرون
لا يجوز الوصال وبه قال مالك وابو حنيفة والشافعي واصحابه على كراهته ولهم في
هذه الكراهة وجهان اصحهما انها كراهة تحريم والثاني للتنزيه واختار ابن وهب
واحمد ابن حنبل واسحق جواز الوصال الى السحر لحديث ابي سعيد عند البخاري انه صلى
الله عليه وسلم قال لا تواصلوا فايكم اراد ان يواصل فليواصل الى السحر وهذا الوصال لا يترتب
عليه شيء مما يترتب على غيره لانه في الحقيقة بمنزلة عشايه الا انه يوخره لان الصايم
له في اليوم والليلة اكلة فاذا اكلها في السحر كان قد نقلها من اول الليل الى اخره
وكان اخف لجسمه في قيام الليل ولا يخفى ان محل ذلك ما لم يشق على الصايم والا
فلا يكون قربة وقد صرح في الحديث بان الوصال من خصايصه صلى الله عليه وسلم
فقال اني لست كهيئتكم وفي الصحيحين من حديث عمر ابن الخطاب قال صلى الله عليه
وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وغربت الشمس فقد افطر قالوا فجعل مفطرا حكما
بدخول وقت الفطر وان لم يفطر وذلك يحيل الوصال شرعا واحتج الجمهور
لعموم النهي في قوله صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا واجابوا عن قوله رحمة بانه
لا يمنع ذلك كونه منهيا عنه للتحريم وسبب تحريمه الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا
ما يشق عليهم واما الوصال بهم يوما ثم يوما فاحتمل للمصلحة في تاكيد زجرهم
وبيان الحكمة في نهيهم والمفسدة المترتبة على الوصال وهي الملل من العبادة
والتعرض للتقصير في وظايف الدين من اتمام الصلاة بخشوعها واذكارها وساير
الوظايف المشروعة في نهاره وليله واجابوا ايضا بقوله عليه الصلاة والسلام
اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصايم
اذ لم يجعل الليل محلا لسوى الفطر فالصوم فيه مخالف لوضعه وروى
الطبراني في الاوسط من حديث ابي الدرداء ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه
وسلم ان الله قد قبل وصالك ولا يحل لاحد بعدك ولكن اسناده ليس
بصحيح ولا حجة فيه **الفصل التاسع في سحوره صلى الله عليه
وسلم** عن ابي هريرة عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر
فقال انها بركة اعطاكم الله اياها فلا تدعوه رواه النسائي وعن

العرباض بن سارية قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السحور في رمضان فقال هلم الى الغداء المبارك رواه ابو داود والنسائي وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند السحر يا انس اني اريد الصيام اطعمني شيئا فاتيته بتمر واناء فيه ماء وذلك بعد ما اذن بلال قال يا انس انظر رجلا يأكل معي فدعوت زيد بن ثابت فجاء فقال اني قد شربت شربة سويق وانا اريد الصيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اريد الصيام فتسحر معه ثم قام فصلى ركعتين ثم خرج الى الصلاة رواه النسائي وعن زر بن حبيش قلنا لحذيفة اي ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو النهار الا ان الشمس لم تطلع رواه النسائي ايضا وعن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة قال انس بن مالك قلت كم كان قدر ما بينهما قال قدر خمسين اية رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والمراد اية متوسطة لا طويلة ولا قصيرة ولا بطيئة قال ابن ابي جمرة كان صلى الله عليه وسلم ينظر ما هو الارفق بامته فيفعله لانه لو لم يتسحر لاتبعوه فشق على بعضهم ولو تسحر في جوف الليل لشق على بعضهم ايضا ممن يغلب عليه النوم فقد يفضي الى ترك الصبح او يحتاج الى المجاهدة بالسهر وقال القرطبي فيه دلالة على ان الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر فهو معارض لقول حذيفة هو النهار الا ان الشمس لم تطلع انتهى **واجاب** في فتح الباري بان لا معارضة بل يحمل على اختلاف الحال انتهى فليس في رواية واحد منهما ما يشعر بالمواظبة

الفصل العاشر في افطاره صلى الله عليه وسلم في السفر وصومه

عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح الى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم وصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس ثم شرب فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس قد صام فقال اولئك العصاة اولئك العصاة زاد في رواية فقيل له ان الناس قد شق عليهم الصيام وانما ينتظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر رواه مسلم وعن ابن عباس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا باناء من ماء فشرب نهارا ليراه الناس وافطر حتى قدم مكة وكان ابن عباس يقول صام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وافطر فمن شاء صام ومن شاء افطر رواه البخاري ومسلم ولمسلم ان ابن عباس كان لا يعيب على من صام ولا على من افطر فقد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وافطر قال النووي رحمه الله اختلف العلماء في صوم رمضان في السفر فقال بعض اهل الظاهر لا يصح صوم رمضان في السفر فان صامه لم ينعقد ويجب قضاؤه لظاهر الاية والحديث ليس من البر الصيام في السفر وفي الحديث الاخر اولئك العصاة وقال جماهير العلماء وجميع اهل الفتوى

بجواز

بجواز صومه في السفر وينعقد ويجزيه **واختلفوا** في ان الصوم افضل ام الفطر ام هما سواء فقال مالك وابو حنيفة والشافعي والاكثرون الصوم افضل لمن اطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرورة فان تضرر به فالفطر افضل **واحتجوا** بصومه صلى الله عليه وسلم ولانه يحصل به براءة الذمة في الحال وقال سعيد بن المسيب والاوزاعي واحمد واسحاق وغيرهم الفطر افضل مطلقا وحكاه بعض اصحابنا قولا للشافعي وهو غريب واحتجوا بما سبق لاهل الظاهر وبقوله صلى الله عليه وسلم هي رخصة من الله فمن اخذ بها فحسن ومن احب ان يصوم فلا جناح عليه وظاهره ترجيح الفطر واجاب الاكثرون بان هذا كله فيمن يخاف ضررا او يجد مشقة كما هو صريح في الاحاديث واعتمدوا حديث ابي سعيد الخدري قال كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم يرون ان من وجد قوة فصام فان ذلك حسن ويرون ان من وجد ضعفا فافطر فان ذلك حسن وهذا صريح في ترجيح مذهب الاكثرين وتفضيل الصوم لمن اطاقه بلا ضرورة ولا مشقة ظاهرة وقال بعض العلماء الفطر والصوم سواء لتعادل الاحاديث والصحيح قول الاكثرين والله اعلم

القسم الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم غير شهر رمضان وفيه فصول

الفصل الاول في سرده عليه الصلاة والسلام صوم ايام من الشهر وفطره اياما

عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسرد الصوم فيقال لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم رواه النسائي وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر حتى نظن ان لا يصوم منه ثم يصوم حتى نظن ان لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته ولا نائما الا رايته وفي رواية ما كنت احب ان اراه من الشهر صائما الا رايته ولا مفطرا الا رايته ولا من الليل قائما الا رايته ولا نائما الا رايته رواه البخاري ولمسلم كان يصوم حتى يقال صام صام ويفطر حتى يقال افطر افطر وعن ابن عباس قال ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا غير رمضان وكان يصوم حتى يقول القائل والله لا يفطر ويفطر حتى يقول القائل والله لا يصوم رواه البخاري ومسلم والنسائي وزاد ما صام شهرا متتابعا غير رمضان منذ قدم المدينة وفي هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يصم الدهر ولا قام الليل كله وكانه ترك ذلك لئلا يقتدى به فيشق على الامة وان كان قد اعطي من القوة ما لو التزم ذلك لاقتدر عليه لكنه سلك من العبادات الطريقة الوسطى فصام وافطر وقام ونام

الفصل الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم عاشورا

وهو بالمد على المشهور واختلف في تعيينه فعن الحكم بن الاعرج قال انتهيت الى ابن عباس وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت

لما اخبرني عن صوم عاشوراء فقال اذا رايت هلال المحرم فاعدد واصبح يوم التاسع
صائما قلت هكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم رواه مسلم قال النووي
هذا تصريح من ابن عباس بان مذهبه ان عاشوراء هو اليوم التاسع من المحرم ويتاوله
على انه ماخوذ من اظماء الابل فان العرب تسمي اليوم الخامس من ايام الورود ربعا وكذا باقي
الايام على هذه النسبة فيكون التاسع عشرا انتهى لكن تاول ابن المنير قوله اذا اصبحت من تاسعه
فاصبح صائما بانه اراد العاشر لانه لا يصبح صائما بعد ان اصبح من تاسعه الا اذا نوى
الصوم من الليلة المقبلة وهي الليلة العاشرة انتهى وذهب جماهير العلماء من السلف
والخلف الى ان عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم وممن قال ذلك سعيد بن المسيب
والحسن البصري ومالك واحمد واسحاق وخلائق وهذا ظاهر الاحاديث ومقتضى اللفظ
واما تقدير اخذه من الاظماء فبعيد ثم ان حديث ابن عباس يرد عليه لقوله ان النبي صلى
الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء فقالوا له يا رسول الله يوم تعظمه اليهود والنصارى
فقال صلى الله عليه وسلم اذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال
فلم يات العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا تصريح بان الذي
كان يصومه ليس هو التاسع فتعين كونه العاشر قاله النووي وقال القرطبي عاشوراء
معدول عن عاشرة للمبالغة والتعظيم وهو في الاصل صفة لليلة العاشرة لانه
ماخوذ من العشر الذي هو اسم للعقد واليوم مضاف اليها فاذا قيل يوم عاشوراء
فكانه قيل يوم الليلة العاشرة الا انهم لما عدلوا به عن الصفة غلبت عليه الاسمية
فاستغنوا عن الموصوف فحذفوا الليلة وعلى هذا فيوم عاشوراء هو اليوم العاشر
من شهر الله المحرم وهذا قول الخليل وغيره وقال ابن المنير الاكثر على ان يوم عاشوراء
هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية وقال ابن
القيم من تامل مجموع روايات ابن عباس تبين له زوال الاشكال وسعة علم ابن عباس
فانه لم يجعل يوم عاشوراء اليوم التاسع بل قال للسائل صم اليوم التاسع واكتفى بمعرفة
السائل ان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر الذي يعده الناس يوم عاشوراء فارشد
السائل الى صوم التاسع معه واخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصومه
كذلك فاما ان يكون فعل ذلك وهو الاولى واما ان يكون حمل فعله على الامر به وعزمه
عليه في المستقبل وهو الذي روى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيام يوم
عاشوراء يوم العاشر وكل هذه الاثار عنه يصدق بعضها بعضا انتهى فليتامل
وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة كان يوم عاشوراء يصومه
قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية
فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء
فمن شاء صامه ومن شاء تركه رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي واستفيد

من

من هذه الرواية تعيين الوقت الذي وقع فيه الامر بصيام عاشوراء وهو قدومه
المدينة ولا شك ان قدومه عليه الصلاة والسلام كان في ربيع الاول فحينئذ كان الامر بذلك
في اول السنة الثانية وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الامر بصوم
عاشوراء الا في سنة واحدة ثم فوض الامر في صومه الى راي المتطوع فعلى تقدير صحة قول
من يدعي انه كان قد فرض فقد نسخ فرضه بهذه الاحاديث الصحيحة واما صيام قريش
لعاشوراء فلعلهم تلقوه من الشرع السالف ولذا كانوا يعظمونه بكسوة الكعبة وقد روي
عن عكرمة انه سئل عن ذلك فقال اذنبت قريش ذنبا في الجاهلية فعظم في صدورهم فقيل
لهم صوموا عاشوراء يكفر ذلك قاله في فتح الباري وعن ابن عمر ان اهل الجاهلية كانوا يصومون يوم
عاشوراء وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عاشوراء يوم من ايام الله فمن شاء صامه
رواه البخاري ومسلم وابو داود وفي رواية وكان عبد الله لا يصومه الا ان يوافق صومه وعن
سلمة ابن الاكوع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اسلم يوم عاشوراء فامره
ان يؤذن في الناس من كان لم يصم فليصم ومن كان اكل فليتم صيامه الى الليل رواه مسلم
قال النووي واختلفوا في حكم صوم عاشوراء في اول الاسلام حين شرع صومه
قبل صوم رمضان فقال ابو حنيفة كان واجبا واختلف اصحاب الشافعي فيه
على وجهين اشهرهما عندهم انه لم يزل سنة من حين شرع ولم يكن واجبا قط في هذه الامة
ولكنه كان متاكد الاستحباب فلما نزل صوم رمضان صار مستحبا دون ذلك الاستحباب
والثاني كان واجبا كقول ابي حنيفة وتظهر فائدة الخلاف في اشتراط نية الصوم
الواجب من الليل فابو حنيفة لا يشترطها ويقول كان الناس مفطرين اول يوم
عاشوراء ثم امروا بصيامه بنية من النهار ولم يؤمروا بقضائه بعد صومه
واصحاب الشافعي يقولون كان مستحبا فصح بنية من النهار وتمسك ابو حنيفة
بقوله امر بصيامه والامر للوجوب وبقوله فلما فرض شهر رمضان قال من شاء
صامه ومن شاء تركه ويحتج الشافعية بقوله هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله
عليكم صيامه والشافعية يقولون ايضا معنى قوله في حديث ام سلمة فامر
ان يؤذن في الناس من كان لم يصم فليصم الخ ان من كان نوى الصوم فليتم
صومه ومن كان لم ينو الصوم ولم ياكل او اكل فليمسك بقية يومه لحرمة
اليوم واحتج ابو حنيفة بهذا الحديث لمذهبه ان صوم الفرض يجب بنية
في النهار ولا يشترط تبييتها قال لانهم نووا في النهار واجزاهم واجاب
الجمهور عن هذا الحديث بان المراد امساك بقية النهار لا حقيقة الصوم
والدليل على هذا انهم اكلوا ثم امروا بالاتمام وقد وافق ابو حنيفة
وغيره على ان شرط اجزاء النية في النهار في الفرض والنفل ان لا يتقدمها
مناف للصوم من اكل وغيره انتهى وقال الحافظ شيخ الاسلام ابو الفضل

ابن حجر يؤخذ من مجموع الأحاديث انه كان واجبا لثبوت الامر بصومه ثم تأكيد الامر
بذلك ثم زيادة التأكيد بالنداء العام ثم زيادته بامر من اكل بالامساك ثم زيادته
بامر الامهات ان لا يرضعن فيه الاطفال وبقول ابن مسعود الثابت في مسلم لما فرض
رمضان ترك عاشورا مع العلم بانه ما ترك استحبابه بل هو باق فدل على ان المتروك
وجوبه واما قول بعضهم المتروك تأكد استحبابه والباقي مطلق استحبابه فلا يخفى
ضعفه بل تأكد استحبابه باق ولا سيما مع استمرار الاهتمام به حتى في عام وفاته صلى
الله عليه وسلم حيث قال لئن عشت لاصومن التاسع والعاشر ولترغيبه في صومه وانه
يكفر السنة فاي تأكيد ابلغ من هذا انتهى وعن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة فراى اليهود تصوم عاشورا فقال ما هذا قالوا يوم صالح نجى الله
فيه موسى وبني اسرائيل من عدوهم فصامه فقال انا احق بموسى منكم فصامه وامر
بصيامه وفي رواية فقال لهم ما هذا اليوم الذي تصومونه قالوا هذا يوم عظيم
نجى الله فيه موسى وقومه واغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامر بصيامه وفي اخرى نحن نصومه تعظيما له رواه البخاري
ومسلم وابو داود وقد اجاب صاحب زاد المعاد وغيره عما استشكله بعضهم
في هذا الحديث وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قدم المدينة في شهر ربيع
الاول فكيف يقول ابن عباس انه قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشورا
بانه ليس في الحديث ان يوم قدومه وجدهم يصومونه فانه انما قدم يوم الاثنين
في ربيع الاول ثاني عشره ولكن اول علمه بذلك ووقوع القصة في اليوم الذي بعد
قدومه المدينة لم يكن وهو بمكة وقال في الفتح غايته ان في الكلام حذفا تقديره
قدم عليه الصلاة والسلام المدينة فاقام الى يوم عاشورا فوجد اليهود فيه صياما
ويحتمل ان اوليك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشورا بحساب السنين الشمسية فصادف
يوم عاشورا بحسابهم اليوم الذي قدم فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وهذا
التاويل مما يترجح به اولوية المسلمين واحقيتهم بموسى لاضلالهم اليوم المذكور
وهداية المسلمين له ولكن سياق الحديث تدفع هذا التاويل والاعتماد على التاويل
الاول وقد استشكل ايضا رجوعه عليه الصلاة والسلام الى خبر اليهود وهو غير
مقبول واجاب المازري بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه
بصدقهم فيما قالوه او تواتر عنده النقل بذلك حتى حصل له العلم بذلك
قال القاضي عياض ردا على المازري قد روى مسلم ان قريشا كانت تصومه
فلما قدم المدينة صامه فلم يحدث له بقول اليهود حكم يحتاج الى الكلام
عليه وانما هي صفة حال وجواب سؤال فقوله صامه ليس فيه انه ابتدأ

صومه

صومه حينئذ ولو كان هذا حملناه على انه اخبر من اسلم من علمائهم كابن سلام
وغيره قال وقد قال بعضهم يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه بمكة ثم ترك
صيامه حتى علم ما عند اهل الكتاب منه فصامه قال وما ذكرناه اولى بلفظ الحديث
قال النووي المختار قول المازري ومختصر ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه
كما يصومه قريش في مكة ثم قدم المدينة فوجد اليهود يصومونه فصامه ايضا بوحي
او تواتر او اجتهاد لا بمجرد اخبار احادهم انتهى وقال القرطبي لعل قريشا كانوا
يستندون في صومه الى شرع من مضى كابراهيم وصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحتمل ان يكون بحكم الموافقة لهم كما في الحج واذن الله له في صيامه على انه فعل خير
فلما هاجر ووجد اليهود يصومونه وسألهم وصامه وامر بصيامه احتمل ان يكون ذلك
استئلافا لليهود كما استألفهم باستقبال قبلتهم ويحتمل غير ذلك وعلى كل حال فلم يصمه
اقتداء بهم فانه كان يصومه قبل ذلك وكان في ذلك الوقت الذي يحب فيه
موافقة اهل الكتاب فيما لم ينه عنه ولا سيما اذا كان فيه ما يخالف اهل الاوثان
فلما فتحت مكة واشتهر اهل الاسلام احب مخالفة اهل الكتاب ايضا كما في حديث
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وامر بصيامه
قالوا يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال صلى الله عليه وسلم
فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يات العام
المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لئن بقيت الى قابل
لاصومن التاسع رواه ايضا وهذا دليل الشافعي واصحابه واحمد واسحاق القائلين
باستحباب صوم التاسع والعاشر جميعا لانه صلى الله عليه وسلم صام العاشر ونوى
صوم التاسع قال النووي قال بعض العلماء ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر
ان لا يتشبه باليهود في افراد العاشر وفي الحديث اشارة الى هذا وقيل للاحتياط
في صوم عاشورا والاول اولى انتهى وفي رواية البزار من حديث ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم عاشورا صوموه وخالفوا
فيه اليهود وصوموا قبله يوما وبعده يوما ولاحمد نحوه فمراتب صومه
ثلاثة ادناها ان يصام وحده واكملها ان يصام يوما قبله ويوما بعده
ويلي ذلك ان يصام التاسع والعاشر وعليه اكثر الاحاديث وقال
بعضهم عند ظهور القصد مخالفة اهل الكتاب في هذه العبادة وذلك
يحصل باحد امرين اما بنقل العاشر الى التاسع واما بصيامهما معا
والله اعلم وفي البخاري من حديث ابي موسى قال كان يوم عاشورا
تعده اليهود عيدا قال صلى الله عليه وسلم فصوموه انتم وهذا ظاهر
ان الباعث على الامر بصومه محبة مخالفة اليهود حتى يصام ما يفطرون

فيه لا ان يوم العيد لا يصام وحديث ابن عباس يدل على ان الباعث على صيامه موافقتهم
على السبب وهو شكر الله تعالى على نجاة موسى لكن لا يلزم من تعظيمهم له واعتقادهم
بانه عيد انهم كانوا لا يصومونه فلعله كان من جملة تعظيمهم ان يصوموه وقد ورد
ذلك صريحا في حديث مسلم كان اهل خيبر يصومون يوم عاشورا ويتخذونه عيدا ويلبسون
نساهم فيه حليهم وشارتهم وهو بالشين المعجمة اي هيئتهم الحسنة وتحصل مما ورد في صيامه
صلى الله عليه وسلم عاشوراء اربعة احوال احدها انه كان يصومه بمكة ولا يامر الناس بصيامه
كما تقدم في حديث عايشة عند الشيخين وغيرهما كان عاشورا يوما يصومه قريش في الجاهلية
وكان صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه الحديث الثانية انه صلى
الله عليه وسلم لما قدم المدينة وراى صيام اهل الكتاب وتعظيمهم له وكان يحب موافقتهم
فيما لم يومر به صامه وامر الناس بصيامه واكد الامر بصيامه والحث عليه حتى كانوا
يصومونه اطفالهم كما تقدم في حديث ابن عباس عند الشيخين وغيرهما الثالثة
انه لما فرض صوم شهر رمضان ترك صلى الله عليه وسلم صيامه وقال ان عاشورا
يوم من ايام الله فمن شا صامه ومن شا تركه ولهذا لحديث عايشة السابق
الحالة الرابعة انه صلى الله عليه وسلم عزم في اخر عمره ان لا يصومه مفردا بل
يضم اليه يوما اخر مخالفة لاهل الكتاب في صيامه كما قدمناه وقد روى مسلم من حديث
ابي قتادة مرفوعا ان صوم عاشورا يكفر سنة وان صيام يوم عرفة يكفر سنتين
وظاهره ان صيام يوم عرفة افضل من صيام يوم عاشورا وقد قيل الحكمة في ذلك
ان يوم عاشورا منسوب الى موسى ويوم عرفة منسوب الى النبي صلى الله عليه
وسلم فلذلك كان افضل والله اعلم واما ما روي من وسع على عياله
في يوم عاشورا وسع الله عليه السنة كلها فرواه الطبراني والبيهقي في الشعب وفي
فضايل الاوقات وابو الشيخ عن ابن مسعود والاولان فقط عن ابي سعيد
والثاني فقط في الشعب عن جابر وابي هريرة وقال ان اسانيدها كلها ضعيفة
ولكن اذا ضم بعضها الى بعض افاد قوة بل قال العراقي في اماليه لحديث ابي
هريرة طرق صحح بعضها ابن ناصر الحافظ واورده ابن الجوزي في الموضوعات
من طريق سليمان ابن ابي عبد الله عنه وقال سليمان مجهول وسليمان ذكره ابن حبان
في الثقات فالحديث حسن على رايه قال وله طرق عن جابر على شرط مسلم
اخرجها ابن عبد البر في الاستذكار من رواية ابي الزبير عنه ورواه هو
والدارقطني في الافراد بسند جيد عن عمر موقوفا عليه والبيهقي في الشعب
من جهة محمد ابن المنتشر قال كان يقال فذكره الفصل
الثالث في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان عن عايشة
رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر

قط

قط الا شهر رمضان وما رايته في شهر اكثر منه صياما في شعبان رواه البخاري ومسلم
وفي اخرى لهما لم يكن يصوم شهرا اكثر من شعبان فانه كان يصومه كله وفي رواية
الترمذي كان يصومه الا قليلا بل كان يصومه كله وفي رواية ابي داود كان احب
الشهور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصومه شعبان ثم يصله برمضان وللنسائي
كان يصوم شعبان او عامة شعبان وفي اخرى له كان يصوم شعبان الا قليلا وفي اخرى
له ايضا كان يصوم شعبان كله قال الحافظ ابن حجر اي يصوم معظمه ونقل
الترمذي عن ابن المبارك انه قال جايز في كلام العرب اذا صام اكثر الشهر ان يقول صام
الشهر كله ويقال قام فلان ليلته اجمع ولعله قد تعشى واشتغل ببعض امره قال الترمذي
كان ابن المبارك جمع بين الحديثين في ذلك وحاصله ان الرواية الاولى مفسرة للثانية
مخصصة لها وان المراد بالكل الاكثر وهو مجاز قليل الاستعمال واستبعده الطيبي
وقال يحمل على انه كان يصوم شعبان كله تارة ويصوم معظمه اخرى لئلا يتوهم انه
واجب كله كرمضان وقال ابن المنير اما ان يحمل قول عايشة على المبالغة والمراد الاكثر
واما ان يجمع بان قولها الثاني متاخر عن قولها الاول فاخبرت عن اول امره انه
كان يصوم اكثر شعبان واخبرت ثانيا عن اخر امره انه كان يصومه كله انتهى ولا
يخفى تكلفه والاول هو الصواب واختلف في الحكمة في اكثاره صلى الله عليه وسلم
من صوم شعبان فقيل كان يشتغل عن صيام الثلاثة ايام من كل شهر لسفر وغيره
فتجتمع فيقضيها في شعبان اشار الى ذلك ابن بطال وفيه حديث ضعيف اخرجه الطبراني
في الاوسط من طريق ابن ابي ليلى عن اخيه عيسى عن ابيه عن عايشة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من كل شهر فربما اخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة
فيصوم شعبان وابن ابي ليلى ضعيف وقيل كان لصنع الحديث وقيل كان يصنع
ذلك لتعظيم رمضان وورد فيه حديث اخرجه الترمذي من طريق صدقة
ابن موسى عن ثابت عن انس قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصوم
افضل بعد رمضان قال شعبان لتعظيم رمضان قال الترمذي حديث غريب
وصدقة عندهم ليس بذلك القوي لكن يعارضه ما روى مسلم من حديث ابي هريرة
مرفوعا افضل الصوم بعد رمضان صوم المحرم والاولى في ذلك ما جا في
حديث اصح مما اخرجه النسائي وابو داود واخرجه ابن خزيمة عن اسامة
ابن زيد قال قلت يا رسول الله لم ارك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم
من شعبان قال ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو
شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين فاحب ان يرفع عملي وانا صايم
فبين صلى الله عليه وسلم وجه صيامه لشعبان دون غيره من الشهور
بقوله انه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان يشير الى انه

لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام وشهر الصيام اشتغل الناس بهما فصار مغفولا
عنه وكثير من الناس يظن ان صيام رجب افضل من صيامه لانه شهر حرام وليس كذلك
وفي احياء الاوقات المغفول عنها بالطاعة فوايد **منها** ان يكون اخفى واخفاء النوافل
واسرارها افضل ولا سيما الصيام فانه سر بين العبد وربه **ومنها** انه اشق على النفوس
لان النفوس تتاسى بما تشاهد من احوال بني الجنس فاذا كثرت يقظة الناس وطاعتهم
سهلت الطاعات واذا كثرت الغفلات واهلها تاسى بهم عموم الناس فيشق على النفوس المستيقظين
طاعتهم لقلة من يقتدي بهم **وقد روي** في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان معنى اخر
وهو انه تنسخ فيه الاجال فروي باسناد فيه ضعف عن عايشة قالت كان اكثر صيام
النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان فقلت يا رسول الله ارى اكثر صيامك في شعبان قال
ان هذا الشهر يكتب فيه لملك الموت من يقبض فانا احب ان لا ينسخ اسمي الا وانا صايم
وقد روي مرسلا وقيل انه اصح **وقد قيل** في صوم شعبان معنى اخر وهو ان صيامه
كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صيامه على مشقة وكلفة بل يكون قد
تمرن على الصيام واعتاده ووجد بصيام شعبان قبل رمضان حلاوة الصوم
ولذته فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط **واعلم** انه لا تعارض بين هذا
وبين النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم او يومين وكذا ما جاء في النهي عن صوم
نصف شعبان الثاني فان الجمع بينهما ظاهر بان يحمل النهي على من لم يدخل تلك
الايام في صيام اعتاده **واجاب** النووي عن كونه عليه الصلاة والسلام
لم يكثر الصوم في المحرم مع قوله ان افضل الصيام ما يقع فيه بانه يحتمل ان يكون
ما علم ذلك الا في اخر عمره فلم يتمكن من كثرة الصوم في المحرم او اتفق له فيه
من الاعذار كالسفر ما منعه من كثرة الصوم في المحرم واما شهر رجب بخصوصه
وقد قال بعض الشافعية انه افضل من ساير الشهور وضعفه النووي وغيره فلم يعلم
انه صح انه صلى الله عليه وسلم صامه بل روي من حديث ابن عباس بما لا يصح وقفه
انه نهى عن صيامه ذكره ابن ماجه لكن في سنن ابي داود انه صلى الله عليه وسلم
ندب الى الصوم من الاشهر الحرم ورجب احدها وفي حديث مجيبة الباهلية
عن ابيها وعمها انه صلى الله عليه وسلم قال له صم من المحرم واترك قالها
ثلاثا وفي رواية مسلم عن عثمان بن حكيم الانصاري قال سالت سعيد بن جبير
عن صوم رجب ونحن يومئذ في رجب فقال سمعت ابن عباس يقول كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول
لا يصوم والظاهر ان مراد سعيد بهذا الاستدلال على انه لا نهي عنه ولا ندب
فيه بعينه بل له حكم باقي الشهور **وفي اللطايف** روى عن الكتاني
انبانا تمام الرازي حدثنا القاضي يوسف حدثنا محمد بن اسحاق السراج

حدثنا

حدثنا يوسف بن موسى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا حبيب المعلم
عن عطاء بن عروة قال لعبد الله بن عمر هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب قال
نعم ويشرفه قالها ثلاثا اخرجه ابو داود وغيره **وعن ابي قلابة** قال ان في الجنة
قصرا لصوام رجب قال البيهقي ابو قلابة من كبار التابعين لا يقوله الا عن بلاغ والله
اعلم **الفصل الرابع في صومه صلى الله عليه وسلم عشر ذي الحجة والمراد**
بها الايام التسعة من اول ذي الحجة عن هنيدة بن خالد عن امراته عن بعض ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة رواه ابو داود **وعن** عايشة قالت ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم صايما في العشر قط رواه مسلم والترمذي وهذا يوهم كراهة
صوم العشر وليس فيها كراهة بل هي مستحبة استحبابا شديدا لا سيما يوم التاسع منها
وهو يوم عرفة وقد ثبت في صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام
العمل الصالح فيها افضل منه في هذه يعني العشر الاول من ذي الحجة **واستدل**
به على فضل صيام عشر ذي الحجة لاندراج الصوم في العمل **واستشكل** بتحريم
الصوم يوم العيد **واجيب** بانه محمول على الغالب والله اعلم ويتاول
قولها يعني عايشة لم يصم العشر انه لم يصمه لعارض من مرض او سفر او غيرهما
او انها لم تره صايما فيه ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس الامر ويدل
عليه حديث هنيدة بن خالد الذي ذكرته **قال** الحافظ ابن حجر وقد وقع
في رواية القاسم بن ابي ايوب ما من عمل ازكى عند الله ولا اعظم اجرا من
خير يعمله في عشر الاضحى وفي حديث جابر في صحيح ابي عوانة وابن حبان ما من
ايام افضل عند الله من ايام عشر ذي الحجة فقد ثبتت الفضيلة لايام عشر
الحجة على غيرها من ايام السنة **وتظهر** فايدة ذلك فيمن نذر الصيام او
علق عملا من الاعمال بافضل الايام فلو افرد يوما منها تعين يوم عرفة
لانه على الصحيح افضل ايام العشر المذكور فان اراد افضل ايام الاسبوع تعين
يوم الجمعة جمعا بين الحديث السابق وبين حديث ابي هريرة مرفوعا خير يوم
طلعت عليه الشمس يوم الجمعة رواه مسلم اشار الى ذلك كله النووي في
شرحه وقال الداوودي لم يرد عنه عليه الصلاة والسلام ان هذه الايام
خير من يوم الجمعة لانه قد يكون فيها يوم الجمعة يعني فيلزم تفضيل الشيء
على نفسه **وتعقب** بان المراد كل يوم من ايام العشر افضل من غيره
من ايام السنة سواء كان يوم الجمعة ام لا ويوم الجمعة فيه افضل من يوم
الجمعة في غيره لاجتماع الفضيلتين فيه والذي يظهر ان السبب في امتياز
عشر ذي الحجة لمكان اجتماع امهات العبادات فيه وهي الصلاة والصيام

والصدقة والحج ولا يأتي ذلك في غيرها وعلى هذا هل يختص الفضل بالحاج او يعم المقيم فيه احتمال انتهى وقال ابو امامة ابن النقاش **فان قلت** ايما افضل عشر ذي الحجة او العشر الاواخر من رمضان **فالجواب** ان ايام عشر ذي الحجة افضل لاشتماله على اليوم الذي ما روي الشيطان في يوم غير يوم بدر ادحر ولا اغيظ ولا احقر منه فيه وهو يوم عرفة ولكونه يكفر صيامه سنتين ولاشتماله على اعظم الايام عند الله حرمة وهو يوم النحر الذي سماه الله تعالى يوم الحج الاكبر وليالي عشر رمضان الاخير افضل لاشتمالها على ليلة القدر التي هي خير من الف شهر **ومن** تامل هذا الجواب وجده كافيا شافيا اشار اليها الفاضل المفضل في قوله ما من ايام العمل فيهن احب الى الله من عشر ذي الحجة لحديث فتامل قوله ما من ايام دون ان يقول ما من عشر ونحوه ومن اجاب بغير هذا التفصيل لم يدل بحجة صحيحة صريحة قط

الفصل الخامس في صومه صلى الله عليه وسلم ايام الاسبوع

عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صيام يوم الاثنين والخميس رواه الترمذي والنسائي وعن قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي رواه مسلم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال تعرض الاعمال على الله تعالى يوم الاثنين والخميس فاحب ان يعرض عملي وانا صائم رواه الترمذي **وعن** اسامة ابن زيد قلت يا رسول الله انك تصوم حتى لا تكاد تفطر وتفطر حتى لا تكاد تصوم الا يومين ان دخلا في صيامك والا صمتهما قال اي يومين قلت الاثنين والخميس قال تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين فاحب ان يعرض عملي وانا صائم رواه النسائي وروى علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال يكتب كلما تكلم به من خير وشر حتى انه ليكتب قوله اكلت وشربت وذهبت وجئت ورايت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان فيه من خير او شر والقي سايره هذا عرض خاص في هذين اليومين غير العرض العام كل يوم فان ذلك عرض خاص دائم بكرة وعشيا ويدل على ذلك ما في صحيح مسلم عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل الليل الحديث وعن ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة ايام الاثنين والخميس من هذه الجمعة والاثنين من المقبلة وفي رواية اول اثنين من الشهر ثم الخميس الذي يليه رواه النسائي وعن عائشة كان يصوم من الشهر السبت والاحد

ومن

ومن الشهر الاخر الثلاثا والاربعا والخميس رواه الترمذي وعن كريب مولى ابن عباس قال ارسلني ابن عباس وناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ام سلمة اسالها اي الايام كان النبي صلى الله عليه وسلم اكثرها صياما قالت السبت والاحد ويقول انهما عيدا المشركين وانا احب ان اخالفهما رواه احمد والنسائي وفيه محمد بن عمر ولا يعرف حاله ويرويه عنه ابنه عبد الله بن محمد بن عمر ايضا **وعن** عبد الله بن بسر عن اخته الصماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم فان لم يجد احدكم الا لحا عنبة او عود شجرة فليمضغه رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجة والدارمي قال بعضهم لا تعارض بين هذا وبين حديث ام سلمة فان النهي عن صومه انما هو عن افراده وعلى ذلك ترجم ابو داود فقال باب النهي ان يخص يوم السبت بالصوم وحديث صيامه انما هو مع يوم الاحد قالوا ونظير هذا انه نهى عن افراد يوم الجمعة بالصوم دون ان يصوم يوما قبله ويوما بعده **قال** النووي واما قول مالك في الموطا لم اسمع احدا من اهل العلم والفقه ومن يقتدي به ينهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن وقد رايت بعض اهل العلم يصومه واراه كان يتحراه فهذا الذي قاله هو الذي راه وقد راى غيره خلاف ما راى هو والسنة مقدمة على ما راه هو وغيره وقد ثبت النهي عن صوم يوم الجمعة فيتعين القول به ومالك معذور فانه لم يبلغه **قال** الداودي من اصحاب مالك لم يبلغ مالكا هذا الحديث ولو بلغه لم يخالفه قالوا واستحباب الفطر يوم الجمعة ليكون اعون له على وظايف العبادات المشروعة في الجمعة وادائها بنشاط وانشراح لها والتذاذ بها من غير ملل ولا سامة كالحاج بعرفة **فان قلت** لو كان كذلك لم يزل النهي والكراهة بصوم يوم قبله او بعده لبقاء المعنى **والجواب** انه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله او بعده ما يجبر ما قد يحصل من فتور او تقصير في وظايف يوم الجمعة بسبب صومه والله اعلم

الفصل السادس في صومه صلى الله عليه وسلم الايام البيض

وهي التي يكون فيها القمر من اول الليل الى اخره وهي ثلاث عشرة واربع عشرة وخمس عشرة وليس في الشهر يوم ابيض كله الا هذه الايام لان ليلها ابيض ونهارها ابيض فصح قول من قال الايام البيض على الوصف واليوم الكامل هو النهار بليلته وفيه رد لقول الجواليقي من قال الايام البيض على الوصف واليوم الكامل هو النهار بليلته فجعل البيض صفة الايام فقد اخطا والله اعلم وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر ايام البيض في حضر ولا سفر رواه النسائي وعن حفصة اربع لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدعهن صيام عاشوراء والعشر وايام البيض

من كل شهر وركعتي الفجر رواه احمد وعن معاذة العدوية انها سالت عائشة اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة ايام قالت نعم فقلت لها من اي ايام الشهر كان يصوم قالت لم يكن يبالي من اي ايام الشهر يصوم رواه مسلم **قال** بعضهم لعله صلى الله عليه وسلم لم يواظب على ثلاثة معينة لئلا يظن تعيينها قال وقد جعل الله تعالى صيام هذه الثلاثة ايام من الشهر بمنزلة صيام الدهر لان الحسنة بعشر امثالها وقد روى اصحاب السنن وصححه ابن خزيمة من حديث ابن مسعود قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من غرة كل شهر **وقد تحصل** ان صيامه صلى الله عليه وسلم في الشهر على اوجه **احدها** انه كان يصوم اول الاثنين من الشهر ثم الخميس ثم الخميس الذي يليه رواه النسائي **الثاني** كان يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الاخر الثلاثا والاربعا والخميس رواه الترمذي **الثالث** ايام البيض ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر **الرابع** انه كان يصوم ثلاثة غير معينة كما روته معاذة عن عائشة عند مسلم **الخامس** انه كان يصوم ثلاثة من اول الشهر واختاره جماعة منهم الحسن وهو ما رواه اصحاب السنن من حديث ابن مسعود **قال** القاضي عياض واختار النخعي صوم ثلاثة ايام من اخر الشهر لتكون كفارة لما مضى واختار اخرون اول يوم من الشهر والعاشر والعشرين وقيل انه صيام مالك ابن انس **وقال** ابن شعبان من المالكية اول يوم من الشهر والحادي عشر والحادي والعشرين ونقل ذلك عن ابي الدرداء وهو موافق لما رواه النسائي من حديث عبد الله ابن عمرو صم من كل عشرة ايام يوما **وحكى** الاسنوي عن الماوردي انه يستحب ان يصوم الايام السود وهي السابع والعشرون واليومان بعده ويترجح البيض بكونها وسط الشهر ووسط الشي اعدله ولان الكسوف غالبا يقع فيها وقد ورد الامر بمزيد العبادة اذا وقع فاذا اتفق الكسوف صادف الذي يعتاد صيام البيض صايما فيتهيا له ان يجمع بين انواع العبادات من الصوم والصلاة والصدقة بخلاف من لم يصمها فانه لا يتهيا له استدراك صيامها ورجح بعضهم صيام الثلاثة في اول الشهر لان المرء لا يدري ما يعرض له من الموانع والله اعلم

النوع الخامس في ذكر اعتكافه صلى الله عليه وسلم واجتهاده في العشر الاخير من رمضان وتحريه ليلة القدر

اعلم ان الاعتكاف في اللغة الحبس والمكث واللزوم وفي الشرع المكث في المسجد من شخص مخصوص بصفة مخصوصة ومقصوده وروحه عكوف القلب على الله وجمعيته عليه والفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه فيصير انسه بالله بدلا عن انسه بالخلق ليكون ذلك انسه يوم الوحشة في القبر حين لا انيس له ولبس بو احيا جماعا

الاعلى

الاعلى من نذره وكذا من شرع فيه فقطعه عامدا عند قوم **واختلف** في اشتراط الصوم له ومذهب الشافعي انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف بل يصح اعتكاف المفطر وقال مالك وابو حنيفة والاكثرون يشترط الصوم فلا يصح اعتكاف المفطر **واحتج** الشافعي باعتكافه صلى الله عليه وسلم في العشر الاول من شوال رواه البخاري ومسلم وبحديث عمر انه قال يا رسول الله اني نذرت ان اعتكف ليلة في الجاهلية فقال اوف بنذرك رواه البخاري ومسلم والليل ليس محلا للصوم فدل انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف **واتفق** العلماء على مشروطية المسجد للاعتكاف الا محمد بن عمر ابن لبابة المالكي فاجازه في كل مكان **و**اجاز الحنفية للمراة ان تعتكف في مسجد بيتها وهو المكان المعد للصلاة فيه وفيه قول قديم للشافعي **و**ذهب ابو حنيفة واحمد الى اختصاصه بالمساجد التي تقام فيها الصلوات وخصه ابو يوسف بالواجب منه واما النفل ففي كل مسجد **وقال** الجمهور بعمومه في كل مسجد الا لمن تلزمه الجمعة فاستحب له الشافعي في الجامع وشرطه مالك لان الاعتكاف عنده ينقطع بالجمعة ويجب بالشروع عند مالك وخصه طايفة من السلف كالزهري بالجامع مطلقا واومى اليه الشافعي في القديم وخصه حذيفة ابن اليمان بالمساجد الثلاثة وعطا بمسجد مكة والمدينة **و**ابن المسيب بمسجد المدينة **و**اتفقوا على انه لا حد لاكثره **واختلفوا** في اقله فمن شرط فيه الصيام قال اقله يوم ومنهم من قال يصح مع شرط الصيام في دون اليوم حكاه ابن قدامة وعن مالك يشترط عشرة ايام وعنه يوم او يومان ومن لم يشترط الصوم قالوا اقله ما ينطلق عليه اسم لبث ولا يشترط القعود واتفقوا على فساده بالجماع **وقد** كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة وعن ابي هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه رواه البخاري وعن ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الاول من رمضان ثم اعتكف العشر الاوسط في قبة تركية ثم اطلع راسه فقال اني اعتكفت العشر الاول التمس هذه الليلة يعني ليلة القدر ثم اعتكفت العشر الاوسط ثم اتيت فقيل لي انها في العشر الاواخر فمن اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر فقد رايت هذه الليلة ثم انسيتها وقد رايتني اسجد في ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر قال فمطرت السما تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وجهه اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين رواه الشيخان **وفي حديث** عبادة ابن الصامت انه صلى الله

عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون
خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة رواه البخاري ولمسلم من حديث
عبد الله بن انيس انه صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني
في صبيحتها اسجد في ماء وطين قال فمطرت ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا وان اثر
الماء والطين في جبهته وانفه وفي سنن ابي داود عن ابن مسعود مرفوعا اطلبوها
في ليلة سبع عشرة واخرج الطبراني مرفوعا من حديث ابي هريرة التمسوا ليلة القدر
في ليلة سبع عشرة او تسع عشرة او احدى وعشرين او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين
او سبع وعشرين او تسع وعشرين وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافا كثيرا وافرده
بعضهم بالتاليف وقد جمع الحافظ ابو الفضل ابن حجر كلام العلماء في ذلك اكثر من
اربعين قولا كساعة الجمعة ومذهب الشافعي انحصارها في العشر الاخير كما نص عليه
الشافعي فيما حكاه عنه الاسنوي وعن المحاملي في التجريد انها تلتمس في جميع الشهر
وتبعه عليه الشيخ ابو اسحاق في التنبيه فقال وتطلب ليلة القدر في جميع شهر
رمضان ثم الغزالي في كتبه وتردد صاحب التقريب في جواز كونها في النصف
الاخير كذا نقله عنه الامام وضعفه وحكاه ابن الملقن في شرح العمدة وفي المفهم
للقرطبي حكاية قول انها ليلة النصف من شعبان ودليل الاول حديث ابي سعيد
الذي قدمناه قال النووي وميل الشافعي الى انها ليلة الحادي والعشرين او الثالث
والعشرين فاما الحادي والعشرين فلقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابي سعيد
فقد رايت هذه الليلة وقد رايتني اسجد في ماء وطين من صبيحتها وفيه فبصرت
عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته اثر الماء والطين من
صبيحة احدى وعشرين واما الثالث والعشرين فلحديث عبد الله بن انيس
المتقدم انفا وجزم جماعة من الشافعية بانها ليلة الحادي والعشرين لكن
قال السبكي انه ليس مجزوما به عندهم لاتفاقهم على عدم حنث من علق يوم العشرين
عتق عبده بليلة القدر انه لا يعتق بمضي تلك الليلة بل بانقضاء الشهر على الصحيح
بناء على انها في العشر الاخير وعن ابن خزيمة من اصحابنا انها تنتقل في كل سنة
الى ليلة من ليالي العشر وحاصله قولان ووجه واختاره النووي في الفتاوي
وفي شرح المهذب وهو راي ابن خزيمة وجزم ابن حبيب من المالكية ونقله عن
الجمهور وحكاه صاحب العدة من الشافعية ووجه ان ليلة القدر
خاصة بهذه الامة ولم تكن في الامم قبلهم وهو معترض بحديث ابي ذر عند
النسائي حيث قال فيه قلت يا رسول الله اتكون مع الانبياء فاذا ماتوا
رفعت قال بل هي باقية وعمدتهم قول مالك في الموطا بلغني ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تقاصر اعمار امته عن اعمار الامم الماضية فاعطاه الله

ليلة

ليلة القدر وهذا محتمل للتاويل فلا يدفع الصريح في حديث ابي ذر كما قاله الحافظ ابن
كثير في تفسيره وابن حجر في فتح الباري قال وقد ظهر لليلة القدر علامات منها
في صحيح مسلم عن ابي بن كعب ان الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها ولابن خزيمة
من حديث ابن عباس مرفوعا ليلة القدر لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها
حمراء ضعيفة ولاحمد من حديث عبادة ابن الصامت مرفوعا انها صافية كان فيها
قمرا ساطعا ساكنة صاحية لا حر فيها ولا برد ولا يحل لكوكب ان يرمى به فيها وان من اماراتها
ان الشمس في صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان
ان يخرج معها حينئذ وروى البيهقي في فضائل الاوقات ان المياه المالحة تعذب
في تلك الليلة وقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاخير من رمضان
ما لا يجتهد في غيره رواه مسلم من حديث عائشة وفي البخاري عنها كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره واحيا ليله وايقظ اهله
وجزم عبد الرزاق بان شد مئزره هو اعتزال النساء وحكاه عن الثوري وقال
الخطابي يحتمل ان يراد به الجد في العبادة كما يقال شددت لهذا الامر مئزري
اي تشمرت له ويحتمل ان يراد به التشمير والاعتزال معا ويحتمل ان يراد به الحقيقة
والمجاز فيكون المراد شد مئزره حقيقة فلم يحله واعتزل النساء وتشمر للعبادة
وقوله واحيا ليله اي سهره فاحياه بالطاعة واحيا نفسه بسهره فيه
لان النوم اخو الموت واضافه الى الليل اتساعا لان النائم اذا حيي باليقظة
حيي ليله بحياته وهو نحو قوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا اي لا تناموا فتكونوا كالاموات
فتكون بيوتكم كالقبور وقد كان عليه الصلاة والسلام يخص العشر
الاخير باعمال لا يعملها في بقية الشهر فمنها احياء الليل كله فيحتمل ان المراد
احياء الليل كله ويشهد له حديث عائشة من وجه ضعيف واحيا الليل كله
وفي المسند عنها ايضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلط
العشرين بصلاة ونوم فاذا كان العشر شمر وشد المئزر وفي حديث ضعيف
عن انس عند ابي نعيم كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان قام
ونام فاذا كان اربعا وعشرين لم يذق غمضا ويحتمل ان يراد باحياء
الليل احياء غالبه وقد قال الشافعي في القديم من شهد العشاء والصبح في جماعة
ليلة القدر فقد اخذ بحظه منها وروي في حديث مرفوع عن ابي هريرة من
صلى العشاء الاخرة في جماعة في رمضان فقد ادرك ليلة القدر رواه ابو
الشيخ ومنها انه كان يوقظ اهله للصلاة في ليالي العشر دون غيره من
الليالي ومنها تاخير الفطور الى السحور ففي انس وعائشة انه صلى الله
عليه وسلم كان في ليالي العشر يجعل عشاءه سحورا ولفظ حديث

عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا كان رمضان قام ونام فاذا دخل العشر شد المئزر واجتنب النساء واغتسل بين الاذانين وجعل العشاء سحورا اخرجه ابن ابي عاصم ولفظ حديث انس كان اذا دخل العشر من رمضان طوى فراشه واعتزل النساء وجعل عشاءه سحورا واسناد الاول مقارب والثاني فيه حفص بن غياث وقال فيه ابن عدي انه من انكر ما لقيت له لكن يشهد له حديث الوصال المخرج في الصحيح كما قدمته **ومنها** اعتكافه عليه الصلاة والسلام بين العشائين المغرب والعشاء روي من حديث علي وفي اسناده ضعف

النوع السادس في ذكر حجته وعمرته صلى الله عليه وسلم اعلم ان الحج حلول بحضرة المعبود ووقوف بساحة الجود ومشاهدة لذلك المشهد العلي الرحماني والمقام بحضرة العبد الرباني **فلا ينبغي** ان تعس الكون بتلك الاماكن بشرف وعلو وان التردد في تلك المواطن فخار وسمو فان المحال المحترمة لم تزل تفرع على الحال فيها من جمال وصفها بفيض عام وحسبك في هذا ما يحكى عن مجنون بني عامر

رأى المجنون في البيداء كلبا * فجر عليه للاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه * وقالوا لم منحت الكلب نيلا
فقال دعوا الملام فان عيني * رأته مرة في حي ليلى

فينبغي للعبد ان يهتم بامر الحج ويبادر اليه وينهض فاتر عزمه انهاضا يحثه عليه ولا يتوانا في عمل ادراك ساعات القرب بايام المغفرة ولا يتكاسل عن البدار فيفرط فيه للفوات بركوب عمياء المخاطرة روى ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال من اراد الحج فليتعجل رواه ابو داود وفي حديث علي بن ابي طالب عنه صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا الحديث رواه الترمذي وخطب عليه الصلاة والسلام فقال ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا رواه مسلم والنسائي من حديث ابي هريرة وفي رواية النسائي من حديث ابن عباس مرفوعا ان الله كتب عليكم الحج فقال الاقرع بن حابس التميمي كل عام يا رسول الله فقال لو قلت نعم لوجبت الحديث فوجوب الحج معلوم من الدين بالضرورة **وقد** اجمعوا على انه لا يتكرر الا لعارض كالنذر واختلفوا هل هو على الفور او على التراخي فقال الشافعي وابو يوسف وطائفة هو على التراخي الى ان ينتهي الى حال يظن فواته لو اخره عنها **وقال** مالك وابو حنيفة واخرون هو على الفور واختلفوا ايضا في وقت ابتداء فرضه **فقيل** قبل الهجرة وهو شاذ وقيل بعدها ثم اختلف في سنته فالجمهور على انها سنة ست لانه نزل فيها قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله وهذا مبني على ان المراد بالاتمام ابتداء

الفرض

الفرض ويؤيده قراءة علقمة ومسروق وابراهيم النخعي بلفظ واقيموا رواه الطبراني باسانيد صحيحة عنهم **وقيل** المراد بالاتمام الاكمال بعد الشروع وهذا يقتضي تقدم فرضه قبل ذلك وقد وقع في قصة ضمام ذكر الامر بالحج وكان قدومه على ما ذكر الواقدي سنة خمس وهذا يدل ان ثبت على تقدمه على سنة خمس او وقوعه فيها **وقالت** طائفة انه تاخر نزول فرضه الى التاسعة والعاشرة **و**احتجوا بان سورة آل عمران نزل عام الوفود وفيه قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصالحهم على اداء الجزية والجزية نزلت عام تبوك سنة تسع وفيها نزل صدر سورة آل عمران وناظر اهل الكتاب ودعاهم الى التوحيد ويدل عليه ان اهل مكة وجدوا في انفسهم بما فاتهم من التجارة من المشركين الى ان انزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس الاية فاعاضهم الله من ذلك بالجزية ونزول هذه الايات والمناداة بها انما كان في سنة تسع وبعث الصديق يؤذن بذلك في مكة في موسم الحج واردفه بعلي وفي الترمذي من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حجج حجتين قبل ان يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة فساق ثلاثا وستين بدنة وجاء علي من اليمن ببقيتها فيها جمل لابي جهل في انفه برة من فضة فنحرها الحديث وعن ابن عباس حج صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر ثلاث حجج اخرجه ابن حبان والحاكم وهو مبني على عدد وفود الانصار الى العقبة بمنى بعد الحج وهذا لا يقتضي نفي الحج قبل ذلك **وقد** اخرج الحاكم بسند صحيح الى الثوري ان النبي صلى الله عليه وسلم حج قبل ان يهاجر حججا **وقال** ابن الجوزي حج حججا لا يعلم عددها وقال ابن الاثير كان عليه الصلاة والسلام يحج كل سنة قبل ان يهاجر وقال جابر في حديثه الطويل كما في رواية مسلم مكث صلى الله عليه وسلم تسع سنين لم يحج ثم اذن في العاشرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس ان ياتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله فخرجنا معه حتى اتينا ذا الحليفة فولدت اسماء بنت عميس محمد بن ابي بكر فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصنع فقال اغتسلي واستثفري بثوب واحرمي فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب القصواء حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل من شيء عملنا به وفي رواية عند النسائي قال جابر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من ذي القعدة وخرجنا معه حتى اذا اتى ذا الحليفة الحديث وكان خروجه عليه الصلاة والسلام من المدينة بين الظهر والعصر فنزل بذي الحليفة فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر

وكان نساؤه كلهن معه فطاف عليهن كلهن تلك الليلة ثم اغتسل غسلا ثانيا
لاحرامه غير غسل الجماع الاول وفي الترمذي عن خارجة بن زيد عن ابيه تجرد صلى الله عليه
وسلم لاهلاله واغتسل وفي الصحيحين ان عائشة طيبته بذريرة وفي رواية قالت كاني
انظر الى وبيص الطيب في مفارقه عليه الصلاة والسلام وهو محرم وفي رواية قالت طيبته
عند احرامه ثم طاف في نسائه ثم اصبح محرما زاد في رواية ينضخ طيبا وفي رواية طيبته
طيبا لا يشبه طيبكم تعني ليس له بقاء وهذا يدل على استحباب التطيب عند ارادة الاحرام
وانه لا باس باستدامته بعد الاحرام ولا يضر بقاء لونه ورائحته وانما يحرم في الاحرام
ابتداؤه وهذا مذهب الشافعي وابي حنيفة وابي يوسف واحمد بن حنبل وحكاه الخطابي
عن اكثر الصحابة وحكاه النووي عن جمهور العلماء من السلف والخلف وذهب مالك
الى منع التطيب قبل الاحرام بما تبقى رائحته بعده لكنه قال ان فعل فقد اساء ولا فدية عليه
وعن عائشة قالت كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يحرم غسل راسه بخطمي واشنان
رواه الدارقطني وفي حديث انس عند ابي داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم
صلى الظهر ثم ركب راحلته فلما علا على جبل البيداء اهل وفي رواية ابن عمر عند
البخاري ومسلم وغيرهما ما اهل الا من عند المسجد يعني مسجد ذي الحليفة وفي رواية
ما اهل الا من عند الشجرة حين قام به بعيره وفي رواية حين وضع رجله في الغرز
واستوت به راحلته قائما اهل من عند مسجد ذي الحليفة وفي رواية جابر عند
ابي داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم لما اراد الحج اذن في الناس فاجتمعوا
له فلما اتى البيداء احرم وفي حديث ابن جبير عند ابي داود قال قلت لابن عباس
عجبت لاختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في اهلال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين اوجب فقال اني لاعلم الناس بذلك انها انما كانت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة واحدة فمن هناك اختلفوا خرج صلى الله
عليه وسلم حاجا فلما صلى في مسجده بذي الحليفة ركعتيه اوجبه في مجلسه
فاهل بالحج حين فرغ من ركعتيه فسمع ذلك منه اقوام فحفظته عنه ثم ركب
فلما استقلت به ناقته اهل وادرك ذلك منه اقوام وذلك ان الناس انما
كانوا ياتون اليه ارسالا فسمعوه حين استقلت به ناقته يهل فقالوا انما
اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقلت به ناقته ثم مضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما علا على شرف البيداء اهل وادرك ذلك منه اقوام
فقالوا انما اهل حين علا على شرف البيداء وايم الله لقد اوجب في مصلاه
واهل حين استقلت به ناقته واهل حين علا على شرف البيداء قال سعيد
بن جبير فمن اخذ بقول عبد الله بن عباس اهل في مصلاه اذا فرغ من ركعتيه
وهو مذهب ابي حنيفة والصحيح من مذهب الشافعي ان الافضل ان يحرم

اذا

اذا انبعثت به راحلته قال ابن القيم ولم ينقل عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى للاحرام
ركعتين غير فرض الظهر انتهى قلت ثبت في الصحيحين عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم
كان يركع بذي الحليفة ركعتين ثم اهل قال النووي فيه استحباب صلاة ركعتين عند ارادة الاحرام
ويصليهما قبل الاحرام ويكونان نافلة هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة الا ما حكاه
القاضي وغيره عن الحسن البصري انه يستحب كونهما بعد صلاة فرض قال لانه روي
ان هاتين الركعتين كانتا صلاة الصبح والصواب ما قاله الجمهور وهو ظاهر الحديث
وقد اختلفت روايات الصحابة في حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع هل كان مفردا
او قارنا او متمتعا وروي كل منها في البخاري ومسلم وغيرهما **واختلف** الناس
في ذلك على ستة اقوال احدها انه حج مفردا لم يعتمر معه **الثاني** حج متمتعا تمتعا حل
منه ثم احرم بعده بالحج كما قاله القاضي ابو يعلى وغيره **الثالث** انه حج متمتعا تمتعا
لم يحل منه لاجل سوق الهدي ولم يكن قارنا **الرابع** انه حج قارنا قرانا طاف له طوافين
وسعى له سعيين **الخامس** انه حج حجا مفردا اعتمر بعده من التنعيم **السادس** انه صلى الله
عليه وسلم حج قارنا بالحج والعمرة ولم يحل حتى حل منهما جميعا وطاف لهما طوافا واحدا
وسعيا واحدا وساق الهدي **واختلفوا** ايضا في احرامه على ستة اقوال **احدها**
انه لبى بالعمرة وحدها واستمر عليها **الثاني** انه لبى بالحج وحده واستمر عليه **الثالث**
انه لبى بالحج مفردا ثم ادخل عليه العمرة **الرابع** انه لبى بالعمرة وحدها ثم ادخل عليها الحج
الخامس انه احرم احراما مطلقا لم يعين فيه نسكا ثم عينه بعد احرامه **السادس**
انه لبى بالحج والعمرة معا وقد اطنب ابو جعفر الطحاوي الحنفي في الكلام على ذلك فانه
تكلم عليه في زيادة على الف ورقة كما ذكره عنه جماعة من العلماء وبينه ابن حزم
في حجة الوداع بيانا شافيا ومهده المحب الطبري تمهيدا بالغا واشار اليه القاضي
عياض والنووي في شرحيهما لمسلم ونقحه الحافظ ابن حجر وسوى الكثير من مباحثه
استيفاء شافيا والذي ذهب اليه الشافعي في جماعة انه صلى الله عليه وسلم
حج حجا مفردا لم يعتمر معه واحتج بما في الصحيحين ان عائشة قالت خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من اهل بعمرة ومنا
من اهل بحج وعمرة ومنا من اهل بالحج وحده واهل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحج فهذا التقسيم والتنويع صريح في اهلاله بالحج وحده ولمسلم عنها انه
صلى الله عليه وسلم اهل بالحج وحده ولمسلم ايضا عن ابن عباس اهل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالحج ولابن ماجه عن جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم افرد الحج وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم افرد الحج رواه البخاري
قالوا وهؤلاء لهم ترجيح في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة
سياقا لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خروجه صلى الله

عليه وسلم من المدينة الى اخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح
عنه انه كان اخذا بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانكر على من
رجح قول انس على قوله وقال كان انس يدخل على النساء وهن منكشفات الرؤوس واني
كنت تحت ناقته صلى الله عليه وسلم يمسني لعابها اسمعه يلبي بالحج واما عائشة فقربها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف وكذا اطلاعها على باطن امره وظاهره
وفعله في خلواته وعلانيته مع كثرة فهمها وعظم فطنتها واما ابن عباس فمحله
من العلم والفقه في الدين والفهم الثاقب معروف مع كثرة بحثه وتحفظه احوال رسول
الله صلى الله عليه وسلم التي لم يحفظها غيره واخذه اياها من كبار الصحابة واحتجوا
ايضا بان الخلفاء الراشدين واظبوا على الافراد مع انهم الائمة الاعلام وقادة الاسلام
والمقتدى بهم فكيف يظن بهم المواظبة على ترك الافضل وبانه لم ينقل عن احد منهم
كراهة الافراد وقد نقل عنهم كراهية التمتع والجمع بينهما حتى فعله علي رضي الله تعالى
عنه لبيان الجواز وبان الافراد لا يجب فيه دم بالاجماع بخلاف التمتع والقران
وذهب النووي الى ان الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا قال ويؤيده
انه صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في تلك السنة بعد الحج قال ولا شك ان القران
افضل من الافراد الذي لا يعتمر في سنته عندنا ولم ينقل احد ان الحج وحده افضل
من القران انتهى وقد صرح القاضي حسين والمتولي بترجيح الافراد ولو لم يعتمر في تلك
السنة قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر وتترجح رواية من روى القران
بامور منها ان معه زيادة علم على من روى الافراد والتمتع وبان من روى الافراد
والتمتع اختلف عليه في ذلك واشهر من روى عنه الافراد عائشة وقد ثبت عنها
انه اعتمر مع حجته وابن عمر وقد ثبت عنه انه صلى الله عليه وسلم بدا بالعمرة ثم اهل
بالحج وجابر وقد روي عنه انه اعتمر مع حجته ايضا وبان القران رواه عنه
صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة لم يختلف عليهم فيه وبانه لم يقع في
شيء من الروايات النقل عنه من لفظه انه قال افردت ولا تمتعت بل صح انه
قال لولا ان معي الهدي لاحللت وايضا فان من روى القران لا يحتمل
حديثه التاويل الا بتعسف بخلاف من روى الافراد فانه محمول على اول
الحال وينتفي التعارض ويؤيده ان من جاء عنه الافراد جاء عنه صورة
القران ومن روى عنه التمتع فانه محمول على سفر واحد للنسكين
ويؤيده ان من جاء عنه التمتع لما وصفه وصفه بصورة القران لانهم
اتفقوا على انه لم يحل من عمرته حتى اتم عمل جميع الحج وهذه احدى صور
القران وايضا فان رواية القران جاءت عن بضعة عشر صحابيا انتهى
وعدهم ابن العربي سبعة عشر عائشة ام المؤمنين وعبد الله ابن عباس وعمر

ابن

الخطاب وعلي ابن ابي طالب وعثمان بن عفان باقراره لعلي وعمران بن الحصين
والبراء ابن عازب وحفصة ام المؤمنين وابو قتادة وابن ابي اوفى وابو طلحة والهرماس
ابن زياد وام سلمة وانس بن مالك وسعد ابن ابي وقاص وجابر وابن عمر قال فهؤلاء سبعة
عشر صحابيا منهم من روى فعله ومنهم من روى لفظ احرامه ومنهم من روى خبره عن
نفسه ومنهم من روى امره به فان قيل كيف يجعلون منهم ابن عمر وجابر وعائشة وابن
عباس وعائشة تقول اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وفي لفظ افرد الحج ر
والاول في الصحيحين والثاني في مسلم وهذا ابن عمر يقول لبى بالحج وحده ذكره البخاري
وهذا ابن عباس يقول اهل بالحج رواه مسلم وهذا جابر يقول افرد الحج رواه ابن
ماجة قيل ان كانت الاحاديث عن هؤلاء تعارضت وتساقطت فان احاديث
الباقين لم تتعارض فهب ان احاديث من ذكرتم لا حجة فيها على القران ولا على الافراد فما الموجب
للعدول عن احاديث الباقين مع صراحتها وصحتها فكيف واحاديثهم يصدق بعضها بعضا
ولا تعارض بينها انتهى وبهذا يقتضي رفع الشجار عن ذلك والمصير الى انه صلى الله عليه
وسلم كان قارنا ومقتضى ذلك ان يكون القران افضل من الافراد والتمتع وهو قول
جماعة من الصحابة والتابعين وبه قال ابو حنيفة واسحاق ابن راهويه واختاره
من الشافعية المزني وابن المنذر وابو اسحاق المروزي ومن المتاخرين الشيخ
تقي الدين السبكي وبحث مع النووي في اختياره انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا وان
الافراد مع ذلك افضل مستندا الى انه صلى الله عليه وسلم اختار الافراد اولا ثم
ادخل عليه العمرة لبيان جواز الاعتمار في اشهر الحج لكونهم كانوا يعتقدونه من
افجر الفجور ولتعقبه بان البيان قد سبق منه صلى الله عليه وسلم في عمره الثلاث
فانه احرم بكل منها في ذي القعدة عمرة الحديبية التي صد عن البيت فيها
وعمرة القضية وعمرة الجعرانة ولو كان اراد باعتماره مع حجته بيان الجواز
فقط مع ان الافضل خلافه لاكتفى في ذلك بامره اصحابه ان يفسخوا حجهم الى
العمرة انتهى ومذهب الشافعي ومالك وكثيرين ان افضلها الافراد ثم التمتع ثم
القران فان قلت اذا كان الراجح انه عليه الصلاة والسلام كان قارنا
فلم رجح الشافعية والمالكية الافراد على القران فقد اجاب
عن ذلك النووي في شرح المهذب بان ترجيح الافراد لانه عليه الصلاة
والسلام اختاره اولا وانما ادخل عليه العمرة لمصلحة بيان جواز
الاعتمار في اشهر الحج وكانت العرب تعتقده من افجر الفجور كما ذكرته
وقد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى ان التمتع افضل
وهو مذهب احمد لكونه صلى الله عليه وسلم تمناه فقال لولا اني
سقت الهدي لاحللت ولا يتمنى الا الافضل واجيب بانه انما تمناه

تطييبا لقلوب اصحابه لحزنهم على فوات موافقته والا فالافضل ما اختاره
الله تعالى له واستمر عليه صلى الله عليه وسلم واما القايلون بانه صلى الله عليه وسلم
لبى بالعمرة واستمر عليها **فحجتهم** حديث ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال
تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج **وقال** ابن شهاب
عن عروة ان عايشة اخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع
الناس معه بمثل الذي اخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سعد ابن ابي وقاص في المتعة
صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه **واجيب** بان التمتع عندهم
يتناول القران ويدل له ما في الصحيحين عن سعيد ابن المسيب اجتمع علي وعثمان بعسفان
فكان عثمان ينهى عن المتعة فقال علي ما تريد الى امر فعله رسول الله صلى الله عليه
وسلم تنهى عنه فقال عثمان دعنا منك فقال اني لا استطيع ان ادعك فلما راى علي
ذلك اهل بهما جميعا فهذا يبين ان من جمع بينهما كان متمتعا عندهم وان هذا هو
الذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقه عثمان على انه صلى الله عليه
وسلم فعله لكن النزاع بينهما هل ذلك الافضل في حقنا ام لا فقد اتفق علي وعثمان
على انه عليه الصلاة والسلام تمتع وان المراد بالتمتع عندهم القران وايضا فانه
عليه الصلاة والسلام قد تمتع تمتع قران باعتبار ترفهه بترك احد السفرين انتهى
وفي فتح الباري عن احمد ان من ساق الهدي فالقران له افضل ليوافق فعل
النبي صلى الله عليه وسلم ومن لم يسق الهدي فالتمتع له افضل ليوافق ما تمناه
وامر به اصحابه انتهى **واما** من قال انه صلى الله عليه وسلم حج مفردا ثم اعتمر
عقبه من التنعيم او غيره فهو غلط لم يقله احد من الصحابة ولا التابعين
ولا الايمة الاربعة ولا احد من اهل الحديث قاله ابن تيمية واما من قال انه حج
متمتعا حل فيه من احرامه ثم احرم يوم التروية بالحج مع سوق الهدي **فحجته**
حديث معاوية انه صلى الله عليه وسلم قصر عن راسه بمشقص على المروة
وحديثه في الصحيحين ولا يمكن ان يكون هذا الا في غير حجة الوداع لان معاوية
اسلم بعد الفتح والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن زمن الفتح محرما ولا يمكن ان يكون
في عمرة الجعرانة لوجهين احدهما انه في بعض الفاظ الحديث الصحيح وذلك
في حجته الثاني ان في رواية النساي باسناد صحيح وذلك في ايام العشر وهذا
انما كان في حجته وهذا مما انكره الناس على معاوية وغلطوه فيه واصاب
فيه ما اصاب ابن عمر في قوله انه اعتمر في رجب كما سياتي وساير الاحاديث
الصحيحة كلها تدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يحل من احرامه الى
يوم النحر وبذلك اخبر عن نفسه بقوله لولا ان معي الهدي لاحللت

وقوله

وقوله اني سقت الهدي وقرنت فلا احل حتى انحر وهذا اخبر عن نفسه
لا يدخله الوهم ولا الغلط بخلاف خبر غيره عنه قاله في زاد المعاد **واما اختلاف**
الروايات عنه صلى الله عليه وسلم في اهلاله هل هو بالحج او بالعمرة او القران والجمع بينهما
فكل يؤول بما يناسب مذهبه الذي قدمته قال البغوي والذي ذكره الشافعي في كتاب
اختلاف الاحاديث كلاما موجزه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم
المفرد والقارن والمتمتع وكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف
الكل اليه على معنى انه امر بها واذن فيها ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى
الامر به كما يجوز اضافته الى الفاعل له كما يقال بنى فلان دارا ويريد انه امر ببنايها
كما روي انه عليه الصلاة والسلام رجم ماعزا وانما امر برجمه ثم احتج بانه عليه
الصلاة والسلام كان افرد الحج انتهى وقال الخطابي نحوه وقال النووي كان صلى الله
عليه وسلم مفردا ثم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على الحج فصار قارنا فمن روى
الافراد فهو الاصل يعني حمله على ما اهل به في اول الحال ومن روى القران اراد ما استقر
عليه امره ومن روى التمتع اراد به التمتع اللغوي والارتفاق فقد ارتفق
بالقران كارتفاق المتمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وقال غيره اراد
بالتمتع ما امر به غيره قالوا وبهذا الجمع تنتظم الاحاديث كلها ويزول عنها
الاضطراب والتناقض وقالت طايفة انما احرم صلى الله عليه وسلم قارنا منه
واحتجوا باحاديث صحيحة صريحة تزيد على العشرين منها حديث انس في صحيح مسلم
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بهما لبيك عمرة وحجا ورواه عن
انس ستة عشر نفسا من الثقات كلهم متفقون عن انس ان لفظ النبي
صلى الله عليه وسلم كان اهلالا بحج وعمرة معا واما من قال انه عليه الصلاة
والسلام اهل بالعمرة وادخل عليها الحج فحجته ما في البخاري من حديث ابن
عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج
واهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدا صلى الله عليه وسلم فاهل
بالعمرة ثم اهل بالحج فقد تقدم في الاحاديث الكثيرة الصريحة انه صلى الله عليه وسلم
بدا بالاهلال بالحج ثم ادخل عليه العمرة وهذا عكسه والمشكل في هذا الحديث قوله بدا فاهل
بالعمرة ثم اهل بالحج واجيب عنه بان المراد به صورة الاهلال اي لما ادخل العمرة
على الحج لبى بهما فقال لبيك بعمرة وحج معا ومذهب الشافعي انه لو ادخل العمرة على الحج
قبل الطواف صح وصار قارنا فلو احرم بالحج ثم ادخل عليه العمرة ففيه قولان للشافعي
اصحهما لا يصح احرامه بالعمرة لان الحج اقوى منها لاختصاصه بالوقوف والرمي والمبيت
لا يزيد عليه شي الغوي انتهى وعن ابن عباس قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر
بذي الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم

عنها وقلدها نعلين رواه مسلم وابو داود وفي رواية الترمذي قلده نعلين واشعر الهدي
في الشق الايمن بذي الحليفة واماط عنه الدم وفي رواية لابي داود بمعناه وقال سلت
الدم بيده وفي اخرى باصبعه وعند النسائي اشعر بدنه من الجانب الايمن وسلت الدم
عنه وقلدها نعلين وكان جمله صلى الله عليه وسلم على رحل رث يساوي اربعة دراهم
رواه الترمذي في الشمايل وابن ماجه من حديث انس والطبراني في الاوسط من حديث ابن
عباس وعن اسما بنت ابي بكر قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا حتى اذا
كنا بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلنا فجلست عايشة الى جنب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجلست الى جنب ابي بكر وكانت زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزمالة ابي بكر واحدة مع غلام لابي بكر فجلس ابو بكر ينتظر ان يطلع عليه فطلع عليه
وليس معه بعيره فقال له ابو بكر اين بعيرك قال اضللته البارحة قال ابو بكر بعير
واحد تضله وطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول انظروا
الى هذا المحرم ما يصنع وما يزيد على ذلك ويتبسم رواه ابو داود وخرج معه اصحابه
لا يعرفون الا الحج كما قالت عايشة فبين لهم عليه الصلاة والسلام وجوه الاحرام وجوز
لهم الاعتمار في اشهر الحج فقال من احب ان يهل بعمرة فليهل ومن احب ان يهل بحج فليهل
رواه البخاري لاحد منا فليهل بعمرة ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الابواء او ودان
اهدى له الصعب ابن جثامة حمارا وحشيا فرده عليه فلما راى ما في وجهه
قال انا لم نرده عليك الا انا حرم رواه البخاري ومسلم وله في رواية حمار وحش وفي
اخرى من لحم حمار وحش وفي رواية عجز حمار وحش يقطر دما وفي رواية شق حمار وحش
وفي رواية عضوا من لحم صيد ورواه ابو داود وابن حبان من طريق عطا عن ابن عباس
انه قال يا زيد ابن ارقم هل علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره واتفقت
الروايات كلها انه رده عليه الا ما رواه ابن وهب والبيهقي من طريقه باسناد حسن
من طريق عمرو ابن امية ان الصعب اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم عجز حمار وحش وهو
بالجحفة فاكل منه واكل القوم قال البيهقي ان كان هذا محفوظا فلعله رد الحي وقبل اللحم
قال في فتح الباري وفي هذا الجمع نظر فان كانت الطرق محفوظة فلعله رده حيا
لكونه صيد لاجله ورد اللحم تارة لذلك وقبله تارة اخرى حيث علم انه لم يصده لاجله
وقد قال الشافعي في الام ان كان الصعب اهدى حمارا حيا فليس للمحرم ان يذبح حمار وحش
حي وان كان اهدى لحما فقد يحتمل ان يكون علم انه صيد له فرده عليه ونقل الترمذي
عن الشافعي انه رده لظنه انه صيد من اجله فتركه على وجه التنزه ويحتمل ان يحمل
القبول المذكور في حديث عمرو ابن امية على وقت اخر وهو حال رجوعه صلى الله
عليه وسلم من مكة ويؤيده انه جازم فيه بوقوع ذلك في الجحفة وفي غيرها من
الروايات بالابوا او بودان وقال القرطبي يحتمل ان يكون الصعب احضر الحمار

مذبوحا

مذبوحا فمن قال لحم حمار اراد ما قدمه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من حمار
اطلق واراد بعضه مجازا قال ويحتمل انه اهدى له حيا فلما رده عليه ذكاه واتاه بعضو
منه ظانا انه انما رده عليه لمعنى يختص بجملته فاعلمه بامتناعه ان حكم الجزء حكم الكل
قال والجمع مهما امكن اولى من توهيم بعض الرواة قال النووي قال الشافعي واخرون يحرم
تملك الصيد بالبيع والهبة ونحوهما وفي ملكه اياه بالارث خلاف واما لحم الصيد
فان صاده او صيد له فهو حرام سوا صيد له باذنه او بغير اذنه وان صاده حلال لنفسه
ولم يقصد المحرم ثم اهدى من لحمه للمحرم او باعه لم يحرم عليه هذا مذهبنا وبه قال مالك
واحمد وابو داود وقال ابو حنيفة لا يحرم عليه ما صيد له بغير اعانة منه وقالت طايفة
لا يحل له لحم الصيد اصلا سوا صاده او صاده غيره له قصده او لم يقصده فيحرم مطلقا
حكاه القاضي عياض عن علي وابن عمر وابن عباس لقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرما قالوا والمراد بالصيد المصيد ولظاهر حديث الصعب بن جثامة فانه صلى الله
عليه وسلم رده وعلل رده بانه محرم ولم يقل بانك صدته لنا واحتج الشافعي وموافقوه
بحديث ابي قتادة المذكور في صحيح مسلم فانه صلى الله عليه وسلم قال في الصيد الذي صاده
ابو قتادة وهو حلال قال للمحرمين هو حلال فكلوه وفي الرواية الاخرى قال فهل معكم منه
شي قالوا معنا رجله فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلها ولما مر صلى الله
عليه وسلم بوادي عسفان قال يا ابا بكر اي واد هذا قال وادي عسفان قال لقد
مر به هود وصالح على بكرين احمرين خطمهما الليف وازرهما العبا وارديتهما النمار
يلبون يحجون البيت العتيق رواه احمد وفي رواية مسلم من حديث ابن عباس لما مر
بوادي الازرق قال كاني انظر الى موسى من الثنية واضعا اصبعيه في اذنيه مارا بهذا
الوادي وله جوار الى الله بالتلبية ووادي الازرق خلف امج بفتح الهمزة والميم
والجيم قرية ذات مزارع بينه وبين مكة ميل واحد ولم يعين في رواية البخاري
الوادي ولفظه اما موسى كاني انظر اليه اذ انحدر من الوادي يلبي قال
المهلب هذا وهم من بعض رواته لانه لم يات في اثر ولا خبر ان موسى حي وانه سيحج
وانما اتى ذلك عن عيسى فاشتبه على الراوي ويدل عليه قوله في الحديث الاخر
ليهلن ابن مريم بفج الروحا انتهى وهو تغليط للثقات بمجرد التوهم وقد ذكر البخاري
الحديث في اللباس من صحيحه بزيادة ذكر ابراهيم فيه فيقال ان الراوي قد غلط
فزاده وفي رواية مسلم المتقدمة ذكر يونس فيقال ان الراوي الاخر قد غلط
فزاد يونس وتعقب ايضا ان توهيم المهلب للراوي وهم منه والا فاي فرق
بين موسى وعيسى لانه لم يثبت ان عيسى منذ رفع نزل الى الارض وانما ثبت
انه سينزل واجيب بان المهلب اراد ان عيسى لما ثبت انه سينزل كان
كالمحقق فقال كاني انظر اليه ولهذا استدل المهلب بحديث ابي هريرة الذي

به ليهلوا بن هريرة بالحج وقد اختلف في معنى قوله كأني انظر اليه فقيل ان ذلك رؤيا
منام تقدمت له فأخبر عنها لما حج عندما تذكر ذلك ورؤيا الانبياء وحي وقيل هو على الحقيقة
لان الانبياء احياء عند ربهم يرزقون فلا مانع ان يحجوا في هذه الحالة كما في مسلم عن انس انه
رأى موسى عليه الصلاة والسلام قائما يصلي في قبره قال القرطبي حببت اليهم العبادة فهم
يتعبدون بما يجدونه من دواعي انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر ويؤيده
ان عمل الاخرة ذكر ودعا لقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم الآية لكن تمام هذا التوجيه
ان يقال المنظور اليه هي ارواحهم فلعلها مثلت له صلى الله عليه وسلم في الدنيا كما مثلت له
صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا واما اجسادهم فهي في القبور قال ابن المنير وغيره يجعل
الله لروحه مثالا ويرى في اليقظة كما يرى في النوم وقيل كأنه مثلت احوالهم التي كانت
في الحياة الدنيا كيف تعبدوا وكيف حجوا وكيف لبوا ولهذا قال كأني وقيل انه اخبر بالوحي
عن ذلك فلشدة قطعه به قال كأني انظر اليه انتهى وقد ذكرت في مقصد الاسرا من ذلك
ما يكفي ويشفي والله الموفق ولما نزل صلى الله عليه وسلم بسرف خرج الى اصحابه
فقال من لم يكن معه هدي فاحب ان يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه الهدي
فلا وحاضت عائشة فدخل عليها صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك يا هنتاه
قالت سمعت قولك لاصحابك فمنعت العمرة قال وما شأنك قالت لا اصلي قال فلا يضرك
انما انت امرأة من بنات ادم كتب الله عليك ما كتب عليهن فكوني في حجتك فعسى الله
ان يرزقكيها رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وفي رواية قالت خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر الا الحج حتى جئنا سرف فطمثت فدخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا ابكي فقال ما يبكيك فقلت والله لوددت اني لم اكن خرجت العام فقال
ما لك لعلك نفست قلت نعم قال هذا شيء كتبه الله على بنات ادم افعلي ما يفعل
الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت حتى تطهري الحديث وقد اختلف فيما احرمت به عائشة
كما اختلف هل كانت متمتعة ام مفردة واذا كانت متمتعة فقيل انها كانت اولا
احرمت بالحج وهو ظاهر هذا الحديث وفي حجة الوداع في المغازي عند البخاري من طريق
هشام بن عروة عن ابيه قالت وكنت ممن اهل بعمرة وزاد احمد من وجه اخر عن الزهري
ولم اسق هديا وفي رواية ابي الاسود عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم نلبي لا نذكر حجا ولا عمرة ويحمل في الجمع ان يقال اهلت عائشة بالحج مفردة كما
صنع غيرها من الصحابة ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يفسخوا الحج الى العمرة ففعلت
عائشة ما صنعوا فصارت متمتعة ثم دخلت مكة وهي حائض لم تقدر على الطواف
لاجل الحيض امرها ان تحرم بالحج قال القاضي عياض واختلف في الكلام على حديث
عائشة فقال مالك ليس العمل على حديث عروة عن عائشة عندنا قديما ولا حديثا
قال ابن عبد البر يريد ليس العمل عليه في رفض العمرة وجعلها حجا بخلاف جعل الحج عمرة

فائدة

فانه وقع للصحابة واختلف في جوازه من بعدهم لكن اجاب جماعة من العلماء عن ذلك
باحتمالات بأن معنى قوله ارفضي عمرتك اي اتركي التحلل منها وادخلي عليها الحج فتصير
قارنة ويؤيده قوله في رواية لمسلم وامسكي عن العمرة اي اعمالها وانما قالت عائشة
وارجع بحج لاعتقادها ان افراد العمرة بالعمل افضل كما وقع لغيرها من امهات المؤمنين
واستبعد هذا التاويل لقولها في رواية عطاء عنها وارجع انا بحجة ليس معها عمرة اخرجه
احمد وهو يقوي قول الكوفيين ان عائشة تركت العمرة وحجت مفردة وتمسكوا في ذلك
بقوله لها دعي عمرتك وفي رواية ارفضي عمرتك ونحو ذلك واستدلوا به لذلك على ان للمرأة اذا
اهلت بالعمرة متمتعة فحاضت قبل ان تطوف ان تترك العمرة وتهل بالحج مفردا كما صنعت
عائشة لكن في رواية عطاء عنها ضعف والرافع للاشكال في ذلك ما رواه مسلم من حديث
جابر ان عائشة اهلت بعمرة حتى اذا كانت بسرف حاضت فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
اهلي بالحج حتى اذا طهرت طافت بالكعبة وسعت فقال قد حللت من حجك وعمرتك
قالت يا رسول الله اني اجد في نفسي اني لم اطف بالبيت حين حججت قال فاعمرها من التنعيم
ولمسلم من طريق طاوس عنها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم طوافك يسعك لحجك
وعمرتك فهذا صريح في انها كانت قارنة لقوله قد حللت من حجك وعمرتك وانما اعمرها
من التنعيم تطييبا لقلبها لكونها لم تطف بالبيت لما دخلت معتمرة وقد وقع في رواية لمسلم
وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا هويت الشيء تابعها عليه ثم قال صلى الله عليه وسلم
لاصحابه من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا وانما قال لهم
هذا القول بعد احرامهم بالحج وفي منتهى سفرهم ودنوهم من مكة بسرف كما جاء في رواية
عائشة او بعد طوافه بالبيت كما جاء في رواية جابر ويحتمل تكرار الامر بذلك في الموضعين وان
العزيمة كانت اخرا حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة وفي رواية قالت عائشة فمنا من
اهل بعمرة ومنا من اهل بحج حتى قدمنا مكة فقال صلى الله عليه وسلم من احرم بعمرة ولم
يهد فليحلل ومن احرم بعمرة واهدى فلا يحل حتى ينحر هديه ومن احرم بحج فليتم حجه
وهذا الحديث ظاهر في الدلالة لابي حنيفة واحمد وموافقيهما في ان المعتمر المتمتع
اذا كان معه الهدي لا يتحلل من عمرته حتى ينحر هديه يوم النحر ومذهب مالك
والشافعي وموافقيهما انه اذا طاف وسعى وحلق حل من عمرته وحل له كل شيء في
الحال سواء ساق هديا ام لا واحتجوا بالقياس على من لم يسق الهدي وبانه تحلل
من نسكه فوجب ان يحل له كل شيء كما لو تحلل المحرم بالحج واجابوا عن هذه الرواية
بانها مختصرة من الرواية التي ذكرها مسلم عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فاهللنا بعمرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا فهذه الرواية
مفسرة للمحذوف من الرواية التي احتج بها ابو حنيفة ومتابعوه ومن احرم بعمرة

فليهلل بالحج ولا يحل حتى ينحر هديه ولا بد من هذا التأويل لأن القصة واحدة والراوي
متغير فتعين الجمع بين الروايتين على ما ذكر والله أعلم **ولما بلغ سيدنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم** ذي طوى بضم الطاء وفتحها وقيدها الأصيلي بالكسر عند آبار الزاهر بات
بها بين الثنيتين فلما أصبح صلى الغداة ثم اغتسل رواه البخاري ولمسلم أنه كان عليه
الصلاة والسلام ينزل بذي طوى يبيت به فيصلي صلاة الصبح حين يقدم إلى مكة ومصلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك على أكمة خشنة غليظة ليس في المسجد الذي بني ثم ولكن من أسفل
ذلك على أكمة خشنة غليظة وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم دخلها من أعلاها
وفي حديث ابن عمر في الصحيح كان صلى الله عليه وسلم يدخل من الثنية العليا يعني أعلا
مكة من كداء بفتح الكاف والمد قال أبو عبيدة لا ينصرف وهذه الثنية التي ينزل منها
إلى المعلاة مقبرة مكة وهي التي يقال لها الحجون بفتح الحاء المهملة وضم الجيم ولم يقع أنه
صلى الله عليه وسلم دخل مكة ليلا إلا في عمرة الجعرانة فإنه صلى الله عليه وسلم أحرم من
الجعرانة ودخل مكة ليلا فقضى أمر العمرة ثم رجع ليلا فأصبح بالجعرانة كما رواه أصحاب
السنن الثلاثة من حديث محرش الكعبي وعن عطاء قال إن شئتم فادخلوا ليلا إنكم لستم
كرسول الله صلى الله عليه وسلم إنه كان إماما فأحب أن يدخلها نهارا ليراه الناس
رواه النسائي **ثم دخل عليه الصلاة والسلام** مكة لأربع خلون من ذي الحجة ودخل
المسجد الحرام ضحى من باب بني عبد مناف وهو باب بني شيبة والمعنى فيه أن باب الكعبة
بجهة ذلك الباب والبيوت تؤتى من أبوابها وأيضا فلأن جهة باب الكعبة أشرف
الجهات الأربع كما قاله ابن عبد السلام في القواعد وكان عليه الصلاة والسلام إذا رأى البيت
قال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا رواه الثوري عن أبي سعيد
الشامي عن مكحول وروى الطبراني عن حذيفة بن أسيد كان عليه الصلاة والسلام
إذا نظر إلى البيت قال اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا ومهابة وزد
من شرفه وعظمه ممن حجه واعتمره تعظيما وتشريفا وبرا ومهابة ولم يركع عليه
الصلاة والسلام تحية المسجد إنما بدأ بالطواف لأنه تحية البيت كما صرح به كثير
من أصحابنا وليس بتحية المسجد ثم استلم صلى الله عليه وسلم الحجر أي الأسود
وفي رواية جابر عند البخاري استلم الركن والاستلام افتعال من السلام
أي التحية قاله الجوهري وقيل من السلام بالكسر أي الحجارة والمعنى أنه يومي
بعصاه إلى الركن حتى يصيبه وكانت محجنة الرأس وهي المراد في الحديث بالمحجن
واعلم أن للبيت أربعة أركان الأول له فضيلتان كون الحجر الأسود فيه وكونه
على قواعد إبراهيم وللثاني الثانية فقط وليس للآخرين شيء منهما فلذلك
يقبل الأول ويستلم الثاني فقط ولا يقبل الآخران ولا يستلمان وروى الفاكهي
عن ابن عمر قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع

شفتيه عليه طويلا وكان إذا استلم الركن قال بسم الله والله أكبر وكلما أتى الحجر قال الله أكبر
رواه الطبراني وفي الصحيح طاف صلى الله عليه وسلم طائفا على بعيره لا على قدميه نفسه عن عائشة
طاف عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع على بعيره وفيه عن أبي الطفيل أنه عليه الصلاة
والسلام يطوف بالبيت على بعيره **وقد** اختلف في علة ذلك فروى أبو داود من حديث ابن عباس
أنه صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكي فطاف على راحلته وفي حديث جابر عند مسلم أنه صلى الله
عليه وسلم طاف راكبا ليراه الناس وليسألوه **فيحتمل** أن يكون فعل ذلك للأمرين قال ابن بطال
فيه جواز دخول الدواب التي يؤكل لحمها المسجد إذا احتيج إلى ذلك لأن بولها لا ينجسه بخلاف
غيرها من الدواب وتعقب بأنه ليس في الحديث دلالة على عدم الجواز مع الحاجة
بل ذلك دائر مع التلويث وعدمه فحيث يخشى التلويث يمتنع الدخول وقد قيل إن ناقته
عليه الصلاة والسلام كانت منوقة أي مدربة معلمة فيؤمن منها ما يحذر من التلويث
قال بعضهم وهذا الآن والله أعلم في طواف الإفاضة لا في طواف القدوم فإن جابرا حكى
عنه الرمل في الثلاثة الأول وذلك لا يكون إلا مع المشي ولم ينقل أحد رملت به راحلته
وإنما قالوا رمل أي بنفسه وقال الشافعي أما سبعه الذي طاف لمقدمه فعلى قدميه انتهى
ولما استلم صلى الله عليه وسلم الحجر مضى على يمينه فرمل ثلاثا ومشى أربعا وكان
ابتداء الرمل في عمرة القضية لما قدم صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة وقد وهنتهم
حمى يثرب فقال المشركون إنه يقدم عليكم غدا قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها شدة
فجلسوا مما يلي الحجر وأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا
بين الركنين ليرى المشركون جلدهم فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد
وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس ولما
كان في حجة الوداع رمل صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكانت سنة مستقلة قال
الطبري قد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام رمل ولا مشرك يومئذ بمكة يعني في
حجة الوداع فعلم أنه من مناسك الحج إلا أن تاركه ليس تاركا لعمل بل لهيئة مخصوصة
فكان كرفع الصوت بالتلبية فمن لبى خافضا صوته لم يكن تاركا للتلبية بل
لصفتها فلا شيء عليه انتهى فلو ترك الرمل في الثلاث لم يقضه في الأربع
لأن هيئتها السكينة فلا تتغير والله أعلم **ولما فرغ صلى الله عليه وسلم**
من طوافه أتى المقام فقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فصلى ركعتين
والمقام بينه وبين البيت فقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله
أحد ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من
الصفا قرأ إن الصفا والمروة من شعائر الله أبدأ بما بدأ الله به فبدأ
بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت واستقبل القبلة فوحد الله وكبره
وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دعا بين ذلك قال
مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة حتى انصبت قدماه في بطن الوادي رمل حتى إذا صعدنا
مشى حتى أتى المروة وفي حديث أبي الطفيل عند مسلم وأبي داود قال قلت لابن عباس أخبرني عن الطواف
بين الصفا والمروة راكبا أسنة هو فإن قومك يزعمون أنه سنة قال صدقوا وكذبوا
قلت وما قولك صدقوا وكذبوا قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون
هذا محمد هذا محمد حتى خرج العواتق من البيوت قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يضرب الناس بين يديه فلما كثر عليه ركب والمشي والسعي أفضل هذا لفظ رواية مسلم وفي أوله
ذكر الرمل في طواف البيت وعند أبي داود أن قريشا قالت زمن الحديبية دعوا محمدا
وأصحابه حتى يموتوا موت النغف فلما صالحوه على أن يحجوا العام المقبل فيقيموا
ثلاثة أيام فقدم عليه الصلاة والسلام فقال لأصحابه ارملوا بالبيت وفيه طاف صلى
الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على بعيره لأن الناس كانوا لا يدفعون عنه صلى الله
عليه وسلم ولا يصرفون عنه فطاف على بعيره ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله
أيديهم الحديث وكان صلى الله عليه وسلم إذا وصل إلى المروة رقي عليها واستقبل البيت
وكبر الله ووحده وفعل كما فعل على الصفا حتى إذا كان آخر طوافه على المروة قال لو أني
استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه
هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة ابن جعشم فقال يا رسول الله ألعامنا هذا
أم لأبد فشبك صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في أخرى وقال دخلت العمرة في الحج
هكذا مرتين لا بل لأبد أبد وهذا معنى فسخ الحج إلى العمرة قال النووي وقد اختلف
في هذا الفسخ هل هو خاص بالصحابة تلك السنة خاصة أم باق لهم ولغيرهم إلى
يوم القيامة فقال أحمد وطائفة من أهل الظاهر ليس خاصا بل هو باق إلى
يوم القيامة فيجوز لكل من أحرم بالحج وليس معه هدي أن يقلب إحرامه
عمرة ويتحلل بأعمالها وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وجماهير العلماء من
السلف والخلف هو مختص بهم في تلك السنة لا يجوز بعدها وإنما أمروا به تلك السنة
ليخالفوا ما كان عليه الجاهلية من تحريم العمرة في أشهر الحج ومما يستدل به للجماهير
حديث أبي ذر في مسلم كانت المتعة في الحج لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة
يعني فسخ الحج إلى العمرة وفي النسائي عن الحارث بن بلال عن أبيه قال قلت
يا رسول الله أرأيت فسخ الحج إلى العمرة لنا خاصة أم للناس عامة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بل لنا خاصة قالوا وأما الذي في حديث سراقة
ألعامنا هذا أم للأبد فقال لا بل لأبد أبد فمعناه جواز الاعتمار في أشهر الحج
والقران كما سبق تفسيره فالحاصل من مجموع طرق الأحاديث أن العمرة في
أشهر الحج جائزة إلى يوم القيامة وكذلك القران وأن فسخ الحج إلى

العمرة

العمرة مختص بتلك السنة والله أعلم انتهى وفي رواية للنسائي أيضا لا تصلح المتعتان
إلا لنا خاصة يعني متعة النساء ومتعة الحج ومتعة النساء هي نكاح المرأة إلى أجل
كان ذلك مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم أبيح يوم فتح مكة ثم نسخ في أيام الفتح واستمر
تحريمه إلى يوم القيامة وقد كان فيه خلاف في العصر الأول ثم ارتفع وأجمعوا على تحريمه
وكان صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بمنزله الذي نزل فيه بالمسلمين بظاهر مكة
يقصر الصلاة فيه وكانت مدة إقامته بمكة قبل الخروج إلى منى أربعة أيام ملفقة
لأنه قدم في الرابع وخرج في الثامن فصلى بها إحدى وعشرين صلاة من أول ظهر الرابع
إلى آخر عصر الثامن ومن يوم دخوله عليه الصلاة والسلام مكة وخروجه يوم النفر
الثاني من منى إلى الأبطح عشرة أيام سواء وقدم علي من اليمن على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له بما أهللت فقال بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لولا أن معي الهدي لأحللت رواه الشيخان من حديث أنس وفي حديث البراء عند الترمذي
والنسائي دخل علي على فاطمة رضي الله عنها فوجدها قد نضحت البيت بنضوح
فتغضب فقالت ما لك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه فأحلوا
قال قلت لها إني أهللت بإهلال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيته
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف وأني صنعت قال وقال لي انحر من
البدن سبعا وستين أو ستا وستين وأمسك لنفسك ثلاثا وثلاثين أو أربعا وثلاثين
وأمسك لي من كل بدنة منها بضعة وفي رواية جابر عند مسلم فوجد فاطمة ممن حل
ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت فأنكر ذلك عليها فقالت أبي أمرني بهذا فقال
صدقت صدقت ما قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم إني أهل بما أهل
به رسولك قال فإن معي الهدي فلا تحل قال فكان جماعة الهدي الذي قدم
به علي من اليمن والذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة قال فحل الناس
كلهم وقصروا إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدي فلما كان يوم
التروية وكان يوم الخميس ضحى ركب صلى الله عليه وسلم وتوجه بالمسلمين إلى
منى وقد أحرم بالحج من كان أحل منهم وصلى صلى الله عليه وسلم بمنى الظهر
والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وأمر بقبة
من شعر فضربت له بنمرة فسار وعلى طريق ضب ولا تشك قريش إلا أنه واقف
عند المشعر الحرام بالمزدلفة كما كانت قريش تصنع في الجاهلية وكانت
الحمس وهم من قريش ومن دان دينهم يقفون بالمزدلفة ويقولون
نحن قطين الله أي جيران بيته فلا نخرج من حرمه وكان الناس
كلهم يقفون بعرفات وذلك قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس
وعن جبير بن مطعم قال أضللت حمارا لي في الجاهلية فوجدته بعرفة

فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفات مع الناس فلما أسلمت عرفت أن الله
وفقه لذلك وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية يقف مع الناس بعرفة
على جمل له ثم يصبح مع قومه بالمزدلفة فيقف معهم ويدفع إذا دفعوا الحديث ولما بلغ
صلى الله عليه وسلم عرفة وجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت
الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فركب فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال إن دماءكم
وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا كل شيء من أمر الجاهلية
تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة
ابن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع
من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن
بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن
فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد
تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون
قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها
إلى الناس اللهم اشهد ثلاث مرات ثم أذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى
العصر ولم يصل بينهما شيئا وهذا الجمع المذكور مختص بالمسافر عند الجمهور وعن مالك والأوزاعي
وهو وجه للشافعية أن الجمع بعرفة وجمع للنسك فيجوز لكل أحد قال الإسنوي فلا يجوز إلا
للمسافر بلا خلاف قال الشافعي والأصحاب إذا خرج الحاج يوم التروية ونووا الذهاب
إلى أوطانهم عند فراغ مناسكهم كان لهم القصر من حين خروجهم ولما فرغ صلى الله
عليه وسلم من صلاته ركب حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات
وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وكان أكثر دعائه صلى الله عليه وسلم
يوم عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيرا مما نقول اللهم لك صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي ولك رب تراثي اللهم إني أعوذ بك من عذاب
القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح رواه
الترمذي من حديث علي وفي رواية ذكرها رزين كان أكثر دعائه عليه الصلاة والسلام
يوم عرفة بعد قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له اللهم لك الحمد كالذي تقول اللهم
لك صلاتي ونسكي ومماتي وإليك مآبي وعليك يا رب ثوابي اللهم إني أعوذ بك من
عذاب القبر ومن وسوسة الصدر ومن شتات الأمر ومن شر كل ذي شر وفي الحديث
أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون لا إله إلا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وكان من دعائه في عرفة أيضا كما في
الطبراني الصغير من حديث ابن عباس اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم
سري وعلانيتي لا يخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير

الوجل

الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال
المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك
عبرته وذل لك جسده ورغم أنفه لك اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا
رحيما يا خير المسؤولين ويا خير المعطين وأتاه صلى الله عليه وسلم ناس من أهل نجد
وهو بعرفة فسألوه كيف الحج فأمر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع
الفجر فقد أدرك الحج أيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه
رواه الترمذي وفي رواية جابر عند أبي داود قال صلى الله عليه وسلم بعرفة وقفت هاهنا
وعرفة كلها موقف وهناك أنزلت عليه اليوم أكملت لكم دينكم الآية كما في
الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهناك سقط رجل من المسلمين
عن راحلته وهو محرم فمات فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفن في ثوبيه
ولا يمس بطيب وأن يغسل بماء وسدر ولا يغطى رأسه ولا وجهه وأخبر أن الله
يبعثه يوم القيامة يلبي رواه البخاري ومسلم أي يبعث على هيئته التي مات عليها
واستدل بذلك على بقاء إحرامه خلافا للمالكية والحنفية قال النووي يتأول
هذا الحديث على أن النهي عن تغطية وجهه ليس لكون المحرم لا يجوز له تغطية وجهه
بل هو صيانة للرأس فإنهم لو غطوا وجهه لم يؤمن أن يغطوا رأسه انتهى قال
الحافظ ابن حجر وكان وقوع المحرم المذكور عند الصخرات من عرفة والله أعلم
ولما غربت الشمس بحيث ذهبت الصفرة قليلا حين غاب القرص أفاض صلى
الله عليه وسلم من عرفة وأردف أسامة خلفه وقد شنق للقصواء الزمام
حتى إن رأسها ليصيب مورك رحلها ويقول بيده أيها الناس السكينة
السكينة كلما أتى حبلا من الحبال أرخى لها قليلا حتى تصعد وأفاض من طريق
المأزمين وفي رواية ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام سمع وراءه زجرا شديدا
وضربا للإبل فأشار بسوطه وقال أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع
يعني بالإسراع وفي رواية أبي داود أفاض من عرفة وعليه السكينة ورديفه
أسامة فقال أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بإيجاف الخيل
والإبل فما رأيتها رافعة يديها عادية حتى أتى جمعا وفي رواية أسامة
ابن زيد عند الشيخين كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص قال هشام
والنص فوق العنق وأخرج الطبراني في المعجم عن سالم بن عبد الله عن
أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من عرفات وهو يقول
• إليك تعدو قلقا وضينها • مخالفا دين النصارى دينها •
قال في النهاية والحديث مشهور بابن عمر من قوله والقلق الانزعاج
والوضين بالضاد المعجمة حزام الرحل ولما كان في أثناء الطريق

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبال ثم توضأ وضوءًا خفيفًا فقلت له الصلاة
يا رسول الله قال الصلاة أمامك فركب حتى أتى مزدلفة وهي المسماة بجمع بفتح الجيم وسكون
الميم وسميت لأن آدم اجتمع فيها مع حوا وازدلف إليها أي دنى منها وعن قتادة أنها
سميت جمعًا لأنه يجمع فيها بين صلاتين وقيل لأن الناس يجتمعون فيها ويزدلفون إلى
الله أي يتقربون إليه بالوقوف فيها انتهى فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها المغرب
والعشاء بها كل واحدة منهما بإقامة ولا صلى إثر واحدة منها وفي رواية فأقام المغرب ثم أناخ
الناس في منازلهم ولم يحلوا حتى أقام العشاء الآخرة فصلى ثم حلوا وترك عليه الصلاة
والسلام قيام الليل تلك الليلة ونام حتى أصبح لما تقدم له من الأعمال بعرفة من الوقوف من
الزوال إلى بعد الغروب واجتهاده عليه الصلاة والسلام في الدعاء وسيره بعد الغروب
إلى المزدلفة واقتصر فيها على صلاة المغرب والعشاء قصرًا ورقد بقية ليلته مع كونه
عليه الصلاة والسلام كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ولكنه أراح نفسه الشريفة
لما تقدم له من الأعمال في عرفة ولما هو بصدده يوم النحر من كونه نحر بيده المباركة
ثلاثًا وستين بدنة وذهب إلى مكة لطواف الإفاضة ورجع إلى منى كما نبه عليه في شرح
تقريب الأسانيد وعن عباس بن مرداس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لأمته
عشية عرفة بالمغفرة فأجيب إني قد غفرت لهم ما خلا المظالم فإني آخذ للمظلوم
منه قال أي رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب
عشيته فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل قال فضحك صلى الله
عليه وسلم أو قال تبسم فقال أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بأبي أنت وأمي
إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي أضحكك أضحك الله سنك قال إن
عدو الله إبليس لما علم أن الله قد استجاب دعائي وغفر لأمتي أخذ التراب فجعل
يحثوا على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكني ما رأيت من جزعه رواه ابن ماجه
ورواه أبو داود من الوجه الذي رواه به ابن ماجه ولم يضعفه وقد جاء في
بعض الروايات عن غير العباس ما يبين أن المراد من الأمة من وقف بعرفة
وقال الطبري إنه محمول بالنسبة إلى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها
وقد رواه البيهقي بنحو رواية ابن ماجه ثم قال وله شاهد كثيرة فإن صح بشواهده
ففيه الحجة وإن لم يصح فقد قال الله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وظلم بعضهم
بعضًا دون الشرك انتهى وقال الترمذي في الحديث الصحيح من حج فلم يرفث ولم
يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وهو مخصوص بالمعاصي المتعلقة
بحقوق الله تعالى دون العباد ولا يسقط الحقوق أنفسها فمن كان عليه
صلاة أو كفارة ونحوها من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه لأنها حقوق
لا ذنوب إنما الذنب تأخيرها فنفس التأخير يسقط بالحج لا هي أنفسها

فلو

فلو أخرها بعده تجدد إثم آخر فالحج المبرور يسقط إثم المخالفة لا الحقوق وقال ابن
تيمية من اعتقد أن الحج يسقط ما وجب عليه من الحقوق كالصلاة يستتاب وإلا قتل
ولا يسقط حق الآدمي بالحج إجماعًا انتهى والله أعلم **واستأذنت** سودة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة جمع وكانت ثقيلة فأذن لها فقالت عائشة فليتني كنت استأذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنته سودة وفي رواية فاستأذنته أن تدفع قبل
حطمة الناس وكانت امرأة بطيئة فأذن لها أن تدفع قبل حطمة الناس قالت عائشة
فلأن أكون استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنته أحب إلي من مفروح به
رواه البخاري وفي رواية أبي داود والنسائي أرسل صلى الله عليه وسلم بأم سلمة
ليلة النحر فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت فكان ذلك اليوم اليوم الذي
يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عندها **وعند** مسلم بعث أم حبيبة
من جمع بليل وفي رواية البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس كان أرسلني صلى الله
عليه وسلم مع ضعفة أهله فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة وفي الموطأ والصحيحين
والنسائي عن أسماء أنها نزلت ليلة جمع عند المزدلفة فقامت تصلي ساعة ثم قالت
يا بني هل غاب القمر قلت لا ثم صلت ساعة ثم قالت هل غاب القمر فقلت نعم
قالت فارتحلوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن للظعن بالنساء في الرواح
وقد اختلف السلف في ترك المبيت بالمزدلفة فقال علقمة والنخعي والشعبي
من تركه فاته الحج وقال عطاء والزهري وقتادة والشافعي والكوفيون وإسحاق عليه
دم ومن بات بها لم يجز له الدفع قبل النصف وقال مالك إن مر بها فلم ينزل فعليه
دم وإن نزل فلا دم عليه متى دفع انتهى **ولما طلع الفجر** صلى صلى الله عليه وسلم
الفجر حين تبين الصبح بأذان وإقامة وفي سنن البيهقي والنسائي بإسناد صحيح
على شرط مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال للفضل ابن العباس غداة يوم النحر
التقط لي حصى فالتقط حصيات مثل حصى الخذف وهو بالمعجمتين ولم
يكسرها كما يفعل من لا علم عنده وفي رواية للنسائي قال عليه الصلاة والسلام
لابن عباس غداة يوم النحر وهو عليه الصلاة والسلام على راحلته هات
القط لي فلقطت حصيات مثل حصى الخذف فلما وضعهن قال بأمثال
هؤلاء والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين قال العلماء في
هذا الحديث دليل على استحباب أخذ الحصيات بالنهار وهو رأي البغوي
قال ويكون ذلك بعد صلاة الصبح ونص عليه الشافعي في الأم والإملاء لكن
الجمهور كما قال الرافعي على استحباب الأخذ بالليل لفراغهم فيه وهل يستحب
أن يلتقط جميع ما يرمي به في الحج وبه جزم في التنبيه وأقره عليه
النووي في تصحيحه ولكن الأكثرون كما قال الرافعي على استحباب الأخذ

ليوم النحر خاصة ونص عليه الشافعي ايضا قال في شرح المهذب والاحتياط ان يزيد
فربما سقط منه شي انتهى **ثم ركب** النبي صلى الله عليه وسلم القصوى حتى اتى المشعر
الحرام فرقي عليه فاستقبل القبلة فحمد الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى
اسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس وفي رواية عن جابر وكان المشركون لا يفيضون حتى
تطلع الشمس وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ذلك فنفر قبل طلوع الشمس وفي حديث
علي عند الطبري فلما اصبح صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة غدا فوقف على قزح واردف
الفضل ثم قال هذا الموقف وكل المزدلفة موقف حتى اذا اسفر دفع وفي رواية جابر
واردف صلى الله عليه وسلم الفضل ابن العباس وكان رجلا حسن الشعر ابيض
وسيما فلما دفع صلى الله عليه وسلم مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الاخر
ينظر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الاخر وفي رواية كان الفضل
رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امراة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل
ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل
الى الشق الاخر قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت
ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة
الوداع رواه الشيخان وقد روي ايضا من حديث عبد الله ابن عباس لكن رجح
البخاري رواية الفضل لانه كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ وكان عبد
الله بن عباس تقدم الى منى مع الضعفة فكان الفضل حدث اخاه بما شاهده
في تلك الحالة ويحتمل ان يكون سوال الخثعمية وقع بعد رمي جمرة العقبة
فحضره عبد الله بن عباس فنقله تارة عن اخيه لكونه صاحب القصة
وتارة عما شاهده **ويؤيده** ما في الترمذي ان السوال المذكور وقع
عند المنحر بعد الفراغ من الرمي وان العباس كان شاهدا وفيه انه عليه
الصلاة والسلام لوى عنق الفضل فقال العباس يا رسول الله لويت عنق
ابن عمك قال رايت شابا وشابة فلم امن عليهما الشيطان فظاهر هذا ان
العباس كان حاضرا لذلك فلا مانع ان يكون ابنه عبد الله ايضا كان معه
وفي هذا الحديث دلالة على جواز النيابة في الحج عمن لا يستطيع من الاحيا
خلافا لمالك في ذلك ولمن قال لا يحج عن احد مطلقا كابن عمر ونقل ابن المنذر وغيره
الاجماع على انه لا يجوز ان يستنيب من يقدر على الحج بنفسه في الحج الواجب
واما النفل فيجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي وعن احمد روايتان
انتهى وفي رواية ابن عباس ان اسامة قال كنت ردف النبي صلى
الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة

الي

الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة
رواه الشيخان وغيرهما وفي رواية جابر فلما اتى عليه الصلاة والسلام بطن محسر حرك
ناقته واسرع السير قليلا قال الاسنوي سببه ان النصارى كانت تقف فيه كما قاله الرافعي
او العرب كما قاله في الوسيط فامر بمخالفتهم قال وظهر لي فيه معنى اخر وهو انه مكان
نزل فيه العذاب على اصحاب الفيل القاصدين هدم البيت فاستحب فيه الاسراع لما
ثبت في الصحيح امره المار على ديار ثمود ونحوهم بذلك وقال غيره وهذه كانت عادته
صلى الله عليه وسلم في المواضع التي نزل فيها باس الله باعدائه وسمي وادي محسر لان الفيل
حسر فيه اي اعيي وانقطع عن الذهاب انتهى **ثم** سلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطى
التي تخرج الى الجمرة الكبرى حتى اتى التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة
رمى من بطن الوادي وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وكان رميه
صلى الله عليه وسلم يوم النحر كما قاله جابر في رواية مسلم والترمذي وابو داود والنسائي
وفي رواية ام الحصين عند ابي داود رايت اسامة وبلالا احدهما اخذ بخطام ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة
وفي رواية النسائي ثم خطب فحمد الله واثنى عليه وذكر قولا كثيرا وعن ام جندب
رايته عليه الصلاة والسلام يرمي الجمرة من بطن الوادي وهو راكب يكبر مع كل حصاة
ورجل من خلفه يستره فسالت عن الرجل فقالوا الفضل ابن العباس وازدحم الناس
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس لا يقتل بعضكم بعضا واذا رميتم الجمرة فارموا
بمثل حصى الخذف وفي هذا دليل على جواز استظلال المحرم بالمحمل ونحوه وقد مر
انه عليه الصلاة والسلام ضربت له قبة من شعر بنمرة وفي رواية جابر عند مسلم
وابي داود قال رايته صلى الله عليه وسلم يرمي على راحلته يوم النحر وهو يقول
خذوا عني مناسككم لعلي لا احج بعد حجتي هذه وفي رواية قدامة عند الترمذي
رايته يرمي الجمار على ناقة له صهباء ليس ضرب ولا طرد ولا اليك اليك
انتهى **ثم انصرف** صلى الله عليه وسلم الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة ثم
اعطى عليا فنحر ما غبر واشركه في هديه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت
في قدر فطبخت فاكلا من لحمها وشربا من مرقها وفي رواية جابر عند مسلم
نحر عليه الصلاة والسلام عن نسائه بقرة وقالت عائشة نحر صلى الله عليه
وسلم عن ال محمد في حجة الوداع بقرة واحدة رواه ابو داود ثم اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله بمنى ثم قال للحلاق خذ واشار
بيده الى جانبه الايمن ثم الايسر ثم جعل يعطيه الناس وفي رواية انه
قال للحلاق ها واشار بيده الى الجانب الايمن فقسم شعره بين من يليه
ثم اشار الى الحلاق الى الجانب الايسر فحلقه فاعطاه ام سليم وفي اخرى

فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالأيسر فصنع مثل
ذلك ثم قال ها هنا أبو طلحة فدفعه إليه وفي أخرى رمى جمرة العقبة
ثم انصرف إلى البدن فنحرها والحجام جالس وقال بيده عن رأسه فحلق الشق
الأيمن فقسمه بين من يليه ثم قال احلق الشق الآخر فقال أين أبو طلحة فأعطاه
إياه رواه الشيخان وعند الإمام أحمد أنه استدعى الحلاق فقال له وهو قائم
على رأسه بالموسى ونظر في وجهه وقال يا معمر أمكنك رسول الله صلى الله عليه
وسلم من شحمة أذنه وفي يدك الموسى قال فقلت له أما والله يا رسول الله إن
ذلك لمن نعمة الله علي ومنه قال أجل وقال البخاري وزعموا أن الذي حلق النبي
صلى الله عليه وسلم معمر بن عبد الله بن نضلة بن عوف انتهى وهو عند ابن خزيمة
في صحيحه وعند الإمام أحمد وقلم صلى الله عليه وسلم أظفاره وقسمها بين الناس
وعنده أيضا من حديث محمد بن زيد أن أباه حدثه أنه شهد النبي صلى الله
عليه وسلم عند المنحر ورجل من قريش وهو يقسم أضاحي فلم يصبه شيء ولا صاحبه
فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في ثوبه فأعطاه فقسم منه على رجال
وقلم أظفاره فأعطاه صاحبه وكان يخضب بالحناء والكتم وأفاد ابن خزيمة
في صحيحه أن الذي حلقه صلى الله عليه وسلم معمر بن عبد الله بن نضلة وعن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله
وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين
قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمقصرين رواه الشيخان وليس فيه تعيين
هل قاله صلى الله عليه وسلم في الحديبية أو في حجة الوداع قالوا ولم يقع في شيء من طرقه التصريح
بسماع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ولو وقع لقطعنا بأنه كان في حجة
الوداع لأنه شهدها ولم يشهد الحديبية **وقد وقع تعيين** الحديبية من حديث
جابر بن عبد الله عند أبي قرة في السنن ومن طريقه الطبراني في الأوسط
ومن حديث مسور بن مخرمة عند ابن إسحاق في المغازي وورد تعيين حجة
الوداع من حديث أبي مريم السلولي عند أحمد وابن أبي شيبة ومن حديث أم
الحصين عند مسلم ومن حديث قارب بن الأسود الثقفي عند أحمد وابن أبي شيبة
وحديث أم عمارة عند الحارث والأحاديث التي فيها تعيين حجة الوداع
أكثر عددا وأصح إسنادا ولهذا قال النووي عقب أحاديث ابن عمر وأبي
هريرة وأم الحصين هذه الأحاديث تدل على أن هذه الواقعة كانت
في حجة الوداع قال وهو الصحيح المشهور وقيل كانت في الحديبية وجزم إمام
الحرمين في النهاية أن ذلك كان في الحديبية ثم قال النووي ولا يبعد أن يكون ذلك
في الموضعين انتهى وكذا قال ابن دقيق العيد إنه الأقرب قال في فتح الباري

بل

بل هو المتعين لتظافر الروايات بذلك في الموضعين إلا أن السبب في الموضعين مختلف
فالذي في الحديبية كان بسبب توقف من توقف من الصحابة عن الإحلال لما
دخل عليهم من الحزن لكونهم منعوا من الوصول إلى البيت مع اقتدارهم في أنفسهم على ذلك
فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم وصالح قريشا على أن يرجع من العام المقبل فلما أمرهم
بالإحلال توقفوا وأشارت أم سلمة أن يحل هو صلى الله عليه وسلم قبلهم ففعل فتبعوه
فحلق بعض وقصر بعض فكان من بادر إلى الحلق أسرع إلى امتثال الأمر ممن اقتصر على
التقصير **وقد وقع** التصريح بهذا السبب في حديث ابن عباس فإن في آخره عند
ابن ماجه وغيره أنهم قالوا يا رسول الله ما بال المحلقين ظاهرت لهم بالترحم قال لأنهم
لم يشكوا وأما في تكرير الدعاء للمحلقين في حجة الوداع فقال ابن الأثير في النهاية كان
أكثر من حج معه صلى الله عليه وسلم لم يسق الهدي فلما أمرهم أن يفسخوا الحج إلى العمرة
ثم يتحللوا منها ويحلقوا رؤوسهم شق عليهم ثم لما لم يكن لهم بد من الطاعة كان
التقصير في أنفسهم أخف من الحلق ففعله أكثرهم فرجح صلى الله عليه وسلم فعل من حلق لكونه
أبين في امتثال الأمر انتهى **قال** الحافظ ابن حجر وفيما قاله نظر وإن تابعه
عليه غير واحد لأن المتمتع يستحب في حقه أن يقصر في العمرة ويحلق في الحج إذا كان
ما بين النسكين متقاربا وقد كان ذلك في حقهم كذلك **والأولى** ما قاله الخطابي
وغيره أن عادة العرب أنها كانت تحب توفير الشعور والتزين بها وكان الحلق
فيهم قليلا وربما كانوا يرونه من الشهرة ومن زي الأعاجم فلذلك كرهوا
الحلق واقتصروا على التقصير انتهى وفي رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال
يا رسول الله لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر قال اذبح ولا حرج فجاء رجل آخر فقال
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أشعر فحلقت قبل أن أرمي فقال ارم ولا حرج
قال فما سئل عن شيء قدم ولا أخر إلا قال افعل ولا حرج رواه مسلم وفي رواية حلقت
قبل أن أرمي وفي رواية وقف صلى الله عليه وسلم على راحلته فطفق ناس
يسألونه فيقول القائل منهم يا رسول الله إني لم أكن أشعر أن الرمي قبل النحر
فنحرت قبل الرمي فقال صلى الله عليه وسلم فارم ولا حرج قال فما سمعته يسأل
يومئذ عن أمر مما ينسى المرء ويجهل من تقديم بعض الأمور قبل بعض وأشباهها
إلا قال صلى الله عليه وسلم افعلوا ولا حرج وفي رواية أنه عليه الصلاة
والسلام بينا هو قائم يخطب يوم النحر فقام إليه رجل فقال ما كنت
أحسب أن كذا وكذا قبل كذا وكذا وفي رواية حلقت قبل أن أنحر نحرت
قبل أن أرمي وأشباه ذلك وفي رواية حلقت قبل أن أذبح ذبحت قبل أن أرمي
ومن المعروف أن الترتيب أولى وذلك أن وظائف يوم النحر بالاتفاق

اربعة اشيا رمي جمرة العقبة ثم نحر الهدي او ذبحه ثم الحلق او التقصير ثم طواف
الافاضة ثم السعي بعده **وقد تقدم** انه صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة ثم نحر
ثم حلق **وقد اجمع** العلما على مطلوبية هذا الترتيب واجمعوا ايضا على جواز تقديم
بعضها على بعض الا انهم اختلفوا في وجوب الدم في بعض المواضع **ومذهب** الشافعي
وجمهور السلف والعلما وفقها الحديث الجواز وعدم وجوب الدم لقوله عليه
الصلاة والسلام للسايل لا حرج فهو ظاهر في رفع الاثم والفدية معا لان اسم الضيق
يشملهما وقال الطحاوي ظاهر الحديث يدل على التوسعة في تقديم بعض هذه الاشيا على
بعض الا انه يحتمل ان يكون قوله لا حرج اي لا اثم في ذلك وهو كذلك لمن كان ناسيا
او جاهلا واما من تعمد المخالفة فتجب عليه الفدية **وتعقب** بان وجوب الفدية
يحتاج الى دليل ولو كان واجبا لبينه صلى الله عليه وسلم حينئذ لانه وقت الحاجة
فلا يجوز تاخيره عنه **وتمسك** الامام احمد بقوله في الحديث لم اشعر وعا في رواية
يونس عند مسلم وصالح عند احمد فما سمعته يومئذ يسال عن امر مما ينسى المرء ويجهل
من تقديم بعض الامور قبل بعضها الا قال افعل ولا حرج بانه ان كان ناسيا او جاهلا
فلا شي عليه وان كان عالما فلا قال ابن دقيق العيد ما قاله احمد قوي من جهة
ان الدليل دل على وجوب اتباع الرسول في الحج لقوله خذوا عني مناسككم
وهذه الاحاديث المرخصة من تقديم ما وقع عنه تاخيره قد قرن بقول السايل
لم اشعر فيختص الحكم بهذه الحالة وتبقى حالة العمد على اصل وجوب الاتباع
في الحج انتهى **وعن** ابي بكرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر
قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا
عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
مضر الذي بين جمادى وشعبان وقال اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت
حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس ذو الحجة قلنا بلى قال فاي بلد
هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس
البلدة قلنا بلى قال فاي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى
ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماكم واموالكم
واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون
ربكم فيسالكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض
الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغايب فرب
مبلغ اوعى من سامع رواه الشيخان **وفي** رواية للبخاري فودع الناس سبب ص
ووقع في طريق ضعيفة عند البيهقي من حديث ابن عمر ذكره ولفظه انزلت
سورة اذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط

ايام

ايام التشريق وعرف انه الوداع فامر براحلته القصوى فرحلت له فركب فوقف
بالعقبة واجتمع اليه الناس فقال يا ايها الناس فذكر الحديث وفيه دلالة على
مشروعية الخطبة يوم النحر وبه اخذ الشافعي ومن تبعه وخالف في ذلك المالكية
والحنفية قالوا خطب الحج ثلاثة سابع ذي الحجة ويوم عرفة بها وثاني يوم النحر
بمنى ووافقهم الشافعي الا انه قال بدل ثاني النحر ثالثه لانه اول النفر وزاد خطبة
رابعة وهي يوم النحر **قال** وبالناس حاجة اليها ليعلموا اعمال ذلك اليوم
من الرمي والذبح والحلق والطواف وتعقبه الطحاوي بان الخطبة المذكورة
ليست من متعلقات الحج لانه لم يذكر فيها شيا من امور الحج وانما ذكر فيها وصايا عامة
ولم ينقل احد انه علمهم فيها شيا من الذي يتعلق بيوم النحر فعلمنا انها لم تقصد لاجل الحج
وقال ابن بطال انما فعل ذلك من اجل تبليغ ما ذكره لكثرة الجمع الذي اجتمع
من اقاصي الدنيا فظن الذي راه انه خطب قال واما ما ذكره الشافعي
ان بالناس حاجة الى تعليمهم اسباب التحلل المذكور فليس بمتعين لان الامام يمكنه
ان يعلمهم اياها يوم عرفة **واجيب** بانه صلى الله عليه وسلم نبه في الخطبة
المذكورة على تعظيم يوم عرفة وعلى تعظيم ذي الحجة وعلى تعظيم البلد الحرام **وقد
جزم** الصحابة المذكورون بتسميتها خطبة فلا يلتفت لتاويل غيرهم وما ذكره من
امكان تعليمهم ما ذكر يوم عرفة يعكر عليه في كونه يرى مشروعية الخطبة ثاني يوم
النحر وكان يمكن ان يعلموا ذلك يوم عرفة بل يمكن ان يعلموا يوم التروية جميع
ما ياتي به من اعمال الحج لكن لما كان في كل يوم اعمال ليست في غيره شرع تجديد
التعليم بحسب تجدد الاسباب واما قول الطحاوي انه لم ينقل انه علمهم شيا من
اسباب التحلل فلا ينفي وقوع ذلك او شي منه في نفس الامر بل قد ثبت في حديث
عبد الله ابن عمرو ابن العاص انه شهد النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم النحر
وذكر فيه السوال عن تقديم بعض المناسك على بعض فكيف ساغ للطحاوي هذا
النفي المطلق انتهى وقد روى ابو داود والنسايي عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت اسماعنا
حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا فطفق يعلمهم مناسكهم حتى
بلغ الجمار فوضع اصبعيه السبابتين ثم قال بحصى الخذف ثم امر المهاجرين
فنزلوا في مقدم المسجد وامر الانصار ان ينزلوا من ورا المسجد قال
ثم نزل الناس بعد وفي رواية عبد الرحمن بن معاذ عن رجل من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله
عليه وسلم الناس بمنى ونزلهم منازلهم فقال لينزل المهاجرون
هاهنا واشار الى ميمنة القبلة والانصار هاهنا واشار الى

على ميسرة القبلة ثم قال لينزل الناس حولهم وعن ابي نجيح عن ابيه عن رجلين من
بني بكر قالا راينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بين اوسط ايام التشريق ونحن
عند راحلته وهي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خطب بمنى رواه ابو داود
وعن رافع ابن عمرو المزني قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس
بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلي يعبر عنه والناس بين قاعد وقائم رواه
ابو داود ايضا وعن ربيعة ابن عبد الرحمن بن حصين قال حدثتني جدتي سراء بنت
نبهان وكانت ربة بيت في الجاهلية قالت خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الروس
فقال اي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال اليس اوسط ايام التشريق وفي رواية
انه خطب اوسط ايام التشريق رواه ابو داود ايضا ثم ركب صلى الله عليه وسلم قبل
الظهر فافاض الى البيت فطاف طواف الافاضة وهو طواف الزيارة والركن والصدر
وفي البخاري ويذكر عن ابي حسان عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور
البيت ايام منى ووصله الطبراني من طريق قتادة عنه وقال ابن المديني في العلل
روى عن قتادة حديثا غريبا لا نحفظه عن احد من اصحاب قتادة الا من حديث هشام
فنسخته من كتاب ابنه معاذ بن هشام ولم اسمعه منه عن ابيه عن قتادة حدثني ابو
حسان عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة
ايام منى الحديث واتى صلى الله عليه وسلم زمزم وبني عبد المطلب يسقون عليها
فقال انزعوا بني عبد المطلب فلولا ان يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم
فناولوه دلوا فشرب منه وفي رواية ابن عباس فشرب وهو قائم وفي رواية
فحلف عكرمة ما كان يومئذ الا على بعير لكن لم يعين فيها حجة الوداع ولا غيرها انما
التعيين في رواية جابر عند مسلم واختلف اين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر
يومئذ ففي رواية جابر عند مسلم انه عليه الصلاة والسلام صلى بمكة وكذا
قالت عائشة وفي حديث ابن عمر في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم افاض
يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى فرجح ابن حزم في كتاب حجة الوداع له قول
عائشة وجابر وتبعه على ذلك جماعة لانهما اثنان وهما اولى من الواحد
لان عائشة اخص الناس به ولها من القرب والاختصاص ما ليس لغيرها ولان
سياق جابر لحجته صلى الله عليه وسلم من اولها الى اخرها اتم سياق واحفظ
للقصة وضبطها حتى ضبط جزئياتها حتى امرا منها لا يتعلق بالمناسك وهو
نزوله عليه الصلاة والسلام في الطريق فبال عند الشعب وتوضأ وضوءا
خفيفا فمن ضبط هذا القدر فهو بضبط مكان صلاته الظهر يوم النحر اولى
وايضا فان حجة الوداع كانت في اذار وهو تساوي الليل والنهار وقد
دفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس الى منى وخطب بها الناس ونحر بدنه

وقسمها

وقسمها وطبخ له من لحمها واكل منه ورمى الجمرة وحلق راسه وتطيب ثم افاض وطاف
وشرب من ماء زمزم ووقف عليهم وهم يسقون وهذه اعمال يظهر منها انها لا تنقضي
في مقدار يمكن معه الرجوع الى منى بحيث يدرك الظهر في فصل اذار ووجهت
طائفة اخرى قول ابن عمر لا يحفظ عنه في حجته صلى الله عليه وسلم انه صلى الفرض
بجوف مكة بل انما كان يصلي بمنزله بالمسلمين مدة مقامه فان حديث ابن عمر
متفق عليه وحديث جابر من افراد مسلم فحديث ابن عمر اصح منه فان رواته احفظ
واشهر وبان حديث عائشة قد اضطرب في وقت طوافه فروي عنها انه طاف نهارا
وفي رواية عنها انه اخر الطواف الى الليل وفي رواية عنها انه افاض من اخر
يومه فلم تضبط فيه وقت الافاضة ولا مكان الصلاة وايضا فان حديث ابن
عمر اصح منه بلا نزاع لان حديث ابن عمر اصح منه بلا نزاع لان حديث عائشة من رواية
محمد بن اسحاق عن عبد الرحمن ابن القاسم وابن اسحاق مختلف في الاحتجاج به ولم
يصرح بالسماع بل عنعنه فلا يقدم على حديث عبد الله بن عمر انتهى ثم رجع
صلى الله عليه وسلم الى منى فمكث بها ليالي ايام التشريق يرمي الجمرة اذا زالت
الشمس كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف عند الاولى والثانية
فيطيل القيام ويتضرع ويرمي الثالثة فلا يقف عندها رواه ابو داود
من حديث عائشة وعن ابن عمر عند الترمذي كان صلى الله عليه وسلم اذا رمى
الجمار مشى اليها ذاهبا وراجعا وفي رواية ابي داود وكان يستقبل القبلة في
الجمرتين الدنيا والوسطى ويرمي جمرة العقبة من الوادي الحديث واستاذنه
صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب ان يبيت بمكة ليالي منى من
اجل السقاية فاذن له رواه البخاري من رواية ابن عمر وفي رواية الاسماعيلي
رخص للعباس ان يبيت بمكة ليالي منى من اجل سقايته وفيه دليل على
وجوب المبيت بمنى وانه من مناسك الحج لان التعبير بالرخصة يقتضي ان
مقابلها العزيمة وان الاذن وقع للعلة المذكورة واذا لم توجد او ما في
معناها لم يحصل الاذن وبالوجوب قال الجمهور وفي قول للشافعي وهو رواية
عن احمد وهو مذهب الحنفية انه سنة ووجوب الدم بتركه مبني على هذا الخلاف
ولا يحصل المبيت الا بمعظم الليل وهل يختص الاذن بالسقاية وبالعباس
الصحيح العموم والعلة في ذلك اعداد الماء للشاربين وجزم الشافعي
الحاق من له مال يخاف ضياعه او امر يخاف فوته او مريض يتعهده باهل
السقاية كما جزم الجمهور بالحاق الرعاء خاصة وهو قول احمد قالوا ومن ترك
المبيت بغير عذر وجب عليه دم من كل ليلة ثم افاض صلى الله عليه
وسلم بعد الظهر يوم الثلاثاء بعد ان اكمل رمي ايام التشريق ولم يتعجل

في يومين الى المحصب وهو الابطح وحده ما بين الجبلين الى المقبرة وهو خيف بني
كنانة فوجد ابا رافع قد ضرب قبته هناك وكان على ثقله قال ابو رافع لم يأمرني
صلى الله عليه وسلم ان انزل الابطح حين خرج من منى ولكني جئت فضربت قبته
فجاء فنزل رواه مسلم وفيه وفي البخاري عن انس انه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر والعصر
يوم النفر بالابطح وفيهما من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من الغد يوم
النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني بذلك
المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب ان لا
يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس التحصيب
ليس بشيء انما هو منزل نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ليس التحصيب من امر
المناسك الذي يلزم فعله لكن لما نزل صلى الله عليه وسلم به كان النزول به مستحبا
اتباعا له لتقريره على ذلك وقد فعله الخلفاء بعده وعن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة بالمحصب ثم ركب الى
البيت فطاف به رواه البخاري وهذا هو طواف الوداع ومذهب الشافعي
انه واجب يلزم بتركه دم على الصحيح وهو قول اكثر العلماء وقال مالك وداود وابن المنذر
سنة لا شيء بتركه واختلف في المراة اذا حاضت بعد ما طافت طواف الافاضة
هل عليها طواف الوداع ام لا وكان ابن عباس يرخص لها ان تنفر اذا حاضت
وكان ابن عمر يقول في اول امره انها لا تنفر ثم قال في اخر امره ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم رخص لهن رواه الشيخان وعن عائشة ان صفية بنت
حيي حاضت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احابستنا
هي قالوا انها قد افاضت قال فلا اذن ومعنى قوله احابستنا هي اي مانعتنا
من التوجه من مكة في الوقت الذي اردنا التوجه فيه ظنا منه صلى الله
عليه وسلم انها ما طافت طواف الافاضة وانما قال ذلك لانه كان
لا يتركها ويتوجه ولا يأمرها بالتوجه معه وهي باقية على احرامها فيحتاج
الى ان يقيم حتى تطهر وتطوف وتحل الحل الثاني وفي رواية فحاضت
صفية فاراد النبي صلى الله عليه وسلم منها ما يريد الرجل من اهله
فقالت يا رسول الله انها حائض قال احابستنا هي الحديث وهذا
مشكل لانه صلى الله عليه وسلم ان كان علم انها طافت طواف الافاضة
فكيف يقول احابستنا هي وان كان ما علم فكيف يريد وقاعها قبل
التحلل الثاني واجيب عنه بانه صلى الله عليه وسلم ما اراد ذلك
منها الا بعد ان استأذنه نساؤه في طواف الافاضة فاذن لهن
فكان بانيا على انها قد حلت فلما قيل له انها حائض جوز ان يكون

قد وقع لها قبل ذلك حتى منعها من طواف الافاضة فاستفهم عن ذلك فاعلمته
عائشة انها طافت معهن فزال عنه ما خشيه من ذلك انتهى وقالت عائشة
يا رسول الله تنطلقون بحج وعمرة وانطلق بحج فامر عبد الرحمن بن ابي بكر ان يخرج معها
الى التنعيم فاعتمرت بعد الحج رواه الشيخان وفي رواية لمسلم انها وقفت المواقف
كلها حتى اذا طهرت طافت بالكعبة والصفا والمروة ثم قال لها يعني رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد حللت من حجك وعمرتك جميعا فقالت يا رسول الله اني اجد في نفسي
اني لم اطف بالبيت حين حججت قال فاذهب بها يا عبد الرحمن فاعمرها من التنعيم
وذلك ليلة الحصبة زاد في رواية وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا هويت
الشيء تابعها عليه وقد كانت عائشة قارنة لانها كانت قد اهلت بالعمرة فحاضت
فامرها فادخلت عليها الحج وصارت قارنة واخبرها ان طوافها بالبيت
وبين الصفا والمروة قد وقع عن حجها وعمرتها فوجدت في نفسها ان يرجع
صواحباتها بحج وعمرة مستقلين فانهن كن متمتعات ولم يحضن ولم يقرن وترجع
هي بحجة في ضمن عمرتها فامر اخاها ان يعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها ثم
ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فخرج من كدى بضم الكاف مقصور
وهي عند باب شبيكة بقرب شعب الشاميين من ناحية قعيقعان واختلف
في المعنى الذي لاجله خالف صلى الله عليه وسلم بين طريقيه فقيل ليتبرك
به كل من في طريقيه وقيل الحكمة في ذلك المناسبة لجهة العلو عند الدخول لما
فيه من تعظيم المكان وعكسه الاشارة الى فراقه وقيل لان ابراهيم عليه
الصلاة والسلام لما دخل مكة دخل منها وقيل غير ذلك وفي صحيح مسلم وغيره
من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم لقي ركبا بالروحاء فقال من القوم
فقالوا المسلمون يا رسول الله فرفعت امراة صبيا لها في محفة وقالت
يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر ولما وصل صلى الله عليه وسلم
ذي الحليفة بات بها قال بعضهم ان نزوله لم يكن قصدا وانما كان اتفاقا
حكاه القاضي اسماعيل في احكامه عن محمد بن الحسن وتعقبه والصحيح
انه كان قصدا لئلا يدخل المدينة ليلا فلما راى المدينة كبر ثلاثا وقال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دخل المدينة نهارا
من طريق المعرس بفتح الراء المشددة وبالمهملتين وهو مكان معروف
وكل من المعرس والشجرة التي بات بها صلى الله عليه وسلم في ذهابه الى
مكة على ستة اميال من المدينة انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره والله

سبحانه وتعالى أعلم **وأما عمره صلى الله عليه وسلم** فالعمرة في اللغة الزيارة ومع **ومذهب** الشافعي وأحمد وغيرهما أنها واجبة كالحج والمشهور عن المالكية أنها تطوع وهو قول الحنفية **وقد** اعتمر صلى الله عليه وسلم أربع عمر ففي الصحيحين وسنن الترمذي وأبي داود عن قتادة قال سألت أنسا كم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حج حجة واحدة واعتمر أربع عمر عمرة في ذي القعدة وعمرة الحديبية وعمرة مع حجته وعمرة الجعرانة إذ قسم غنيمة حنين وهذا لفظ رواية الترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية الصحيحين اعتمر أربع عمر كلها في ذي القعدة إلا التي مع حجته عمرة الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة مع حجته **وعن** محرش الكعبي أنه صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلا معتمرا فدخل مكة ليلا فقضى عمرته ثم خرج من ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت فلما زالت الشمس من الغد خرج في بطن سرف حتى جامع الطريق طريق جمع ببطن سرف فمن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس رواه الترمذي وقال حسن غريب وعن ابن عمر قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يحج رواه أبو داود وعن عروة ابن الزبير قال كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة وإنا لنسمع صوتها بالسواك تستن قال فقلت يا أبا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب قال نعم فقلت لعائشة أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن قالت وما يقول قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب فقالت يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب وما اعتمر عمرة إلا وإنه لمعه قال عروة وابن عمر يسمع فما قال لا ولا نعم سكت وفي رواية أبي داود عن عروة عن عائشة قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرتين في ذي القعدة وعمرة في شوال وفي رواية له عن مجاهد قال سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمرتين فبلغ عائشة فقالت لقد علم ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثا سوى التي قرنها بحجة الوداع **وقد ذكرت** الاختلاف فيما كان عليه الصلاة والسلام محرما به في حجة الوداع والجمع فيما اختلف فيه من ذلك والمشهور عن عائشة أنه عليه الصلاة والسلام كان مفردا وحديثها هذا يشعر بأنه كان قارنا وكذا ابن عمر قد أنكر على أنس كونه قال إنه عليه الصلاة والسلام كان قارنا مع أن حديثه هذا المتقدم يدل على أنه كان قارنا لأنه لم ينقل أنه عليه الصلاة والسلام اعتمر مع حجته ولم يكن متمتعا لأنه عليه الصلاة والسلام اعتذر عن ذلك بكونه ساق الهدي واحتاج بعضهم إلى تأويل ما وقع عن عائشة وابن عمر هنا فقال إنما يجوز نسبة العمرة الرابعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار أنه أمر الناس بها وعملت بحضرته لا أنه صلى الله عليه وسلم اعتمرها بنفسه وأنت إذا تأملت ما تقدم من أقوال الأئمة في حجته صلى الله عليه وسلم من الجمع استغنيت عن هذا التأويل المتعسف قال بعض العلماء

المحققين

المحققين وفي عدهم عمرة الحديبية التي صد عنها صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنها عمرة تامة وفيه إشارة إلى رجحة قول الجمهور أنه لا يجب القضاء على من صد عن البيت خلافا للحنفية ولو كانت عمرة القضية بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة وإنما سميت عمرة القضية والقضاء لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا فيها لا أنها وقعت قضاء عن العمرة التي صد عنها إذ لو كان كذلك لكانت عمرة واحدة وأما حديث أبي داود عن عائشة أنه اعتمر في شوال فإن كان محفوظا فلعله يريد عمرة الجعرانة حين خرج في شوال ولكن إنما أحرم بها في القعدة **وأنكر** ابن القيم أن يكون صلى الله عليه وسلم اعتمر في رمضان لكن قد أخرج الدارقطني من طريق العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد عن أبيه عن عائشة قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة في رمضان فأفطر وصمت وقصر وأتممت وقال إسناده حسن لكن يمكن حمله على أن قولها في رمضان متعلق بقولها خرجت ويكون المراد سفر فتح مكة فإنه كان في رمضان واعتمر عليه الصلاة والسلام في تلك السنة من الجعرانة لكن في ذي القعدة كما تقدم **وأما قول** ابن القيم في الهدي أيضا ولم يكن في عمره صلى الله عليه وسلم عمرة واحدة خارجا من مكة كما يفعله كثير من الناس اليوم وإنما كانت عمره كلها داخلا إلى مكة **وقد أقام** بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة لم ينقل عنه أحد أنه اعتمر خارجا من مكة في تلك المدة أصلا فالعمرة التي فعلها وشرعها هي عمرة الداخل إلى مكة لا عمرة من كان بها فيخرج إلى الحل ليعتمر ولم يفعل هذا على عهده أحد قط إلا عائشة وحدها انتهى **فيقال** عليه بعد أن فعلته عائشة بأمره فدل على مشروعيته وروى الفاكهي وغيره من طريق محمد بن سيرين قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لأهل مكة التنعيم ومن طريق عطاء قال من أراد العمرة ممن هو من أهل مكة أو غيرها فليخرج إلى التنعيم أو إلى الجعرانة فليحرم منها فثبت بذلك أن ميقات العمرة الحل وأن التنعيم وغيره في ذلك سواء والله أعلم

النوع السابع من عباداته عليه الصلاة والسلام في ذكر نبذة من أدعيته وأذكاره وقراءته

واختلف هل الدعاء أفضل أم تركه والاستسلام للقضاء أفضل فقال الجمهور الدعاء أفضل وهو من أعظم العبادات ويؤيده ما أخرجه الترمذي من حديث أنس رفعه الدعاء مخ العبادة وقد تواترت الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم بالترغيب في الدعاء والحث عليه وأخرج الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم عنه صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وقال عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه إني لا أحمل هم الإجابة ولكن هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء علمت أن الإجابة معه وفي هذا يقول القائل

لو لم ترد نيل ما أرجو وآمله ... من جود كفك ما عودتني الطلبا

فالله سبحانه وتعالى يحب تذلل عبيده بين يديه وسؤالهم إياه وطلبهم حوائجهم منه وشكواهم إليه وعياذهم به منه وفرارهم منه إليه كما قيل

قالوا اشكوا اليه ما ليس يخفى عليه فقلت ربي يرضى ذل العبيد اليه
وقالت طائفة الافضل ترك الدعا والاستسلام للقضا واجابوا عن قوله
تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم بان اخرها دل على ان المراد بالدعا هو العبادة
قال الشيخ تقي الدين السبكي الاولى حمل الدعا في الاية على ظاهره واما قوله بعد ذلك
عن عبادتي فوجه الربط ان الدعا اخص من العبادة فمن استكبر عن العبادة استكبر
عن الدعا وعلى هذا فالوعيد انما هو في حق من ترك الدعا استكبارا ومن فعل ذلك
كفر واما من تركه لمقصد من المقاصد فلا يتوجه اليه الوعيد المذكور وان كنا نرى
ان ملازمة الدعا والاستكثار منه ارجح من الترك لكثرة الادلة الواردة فيه وقال
القشيري في الرسالة اختلف اي الامرين اولى او السكوت والرضى فقيل الدعا وهو
الذي ينبغي ترجيحه لكثرة الادلة ولما فيه من اظهار الخضوع والافتقار وقيل
السكوت والرضى اولى لما في التسليم من الفضل انتهى وشبهتهم ان الداعي لا يعرف
ما قدر له فدعاؤه ان كان على وفق القدرة فهو تحصيل الحاصل وان كان على خلاف
ذلك فهو معاند واجيب بانه اذا اعتقد انه لا يقع الا ما قدر الله تعالى كان اذعانا لا معاندة
وفائدة الدعا تحصيل الثواب بامتثال الامر ولاحتمال ان يكون المدعو به
موقوفا على الدعا لان الله تعالى خلق الاسباب ومسبباتها انتهى وقد ارشد صلى
الله عليه وسلم امته لكيفية الدعا فقال اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثنا
عليه وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شا رواه الترمذي من حديث
فضالة ابن عبيد وقال عليه الصلاة والسلام في رجل يدعو اوجب ان ختم بامين
رواه ابو داود وقال لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت
وليعزم على المسالة فانه لا مكره له رواه البخاري وغيره ومعنى الامر بالعزم
الجد فيه وان يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشية الله تعالى وان كان
مامورا في جميع ما يريد فعله ان يعلقه بمشية الله تعالى وقيل معنى العزم ان
يحسن الظن بالله في الاجابة فانه يدعو كريما وقد قال ابن عيينة لا يمنعن
احدا الدعا ما يعلم من نفسه يعني من التقصير فان الله تعالى قد اجاب دعا
شر خلقه وهو ابليس حين قال انظرني الى يوم يبعثون وقال عليه الصلاة والسلام
يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي رواه الشيخان وغيرهما
وكان عليه الصلاة والسلام يستحب الجوامع من الدعا ويدع ما سوى ذلك
رواه ابو داود من حديث عائشة والجوامع التي تجمع الاغراض الصالحة والمقاصد
الصحيحة او تجمع الثنا على الله تعالى واداب المسالة وكان صلى الله عليه
وسلم يقول في دعائه اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي
التي فيها معاشي واصلح لي اخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة

لي

لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر رواه مسلم من حديث ابي هريرة وكان
يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما الحمد لله على كل حال واعوذ بالله
من حال اهل النار رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم متعني بسمعي وبصري
واجعلهما الوارث مني وانصرني على من ظلمني وخذ منه بثاري رواه الترمذي من حديث
ابي هريرة ايضا وكان اكثر دعائه ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب
النار رواه الشيخان من حديث انس وكان يقول رب اعني ولا تعن علي وانصرني ولا
تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني وانصرني على من بغى علي رب اجعلني لك شاكرا لك ذاكرا
لك راهبا لك مطواعا لك مخبتا اليك اواها منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي
واجب دعوتي وثبت حجتي وسدد لساني واهد قلبي واسلل سخيمة صدري رواه الترمذي
وكان يقول اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت اللهم
اعوذ بعزتك لا اله الا انت ان تضلني انت الحي الذي لا يموت والجن والانس يموتون رواه
الشيخان عن ابن عباس وكان يقول اللهم اني اسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى رواه
مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي
في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي
ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت
المؤخر وانت على كل شي قدير رواه الشيخان من حديث ابي موسى وكان اكثر دعائه يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك رواه الترمذي من حديث ام سلمة وكان يقول اللهم عافني في جسدي
وعافني في سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش
الكريم والحمد لله رب العالمين رواه الترمذي وكان يقول اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج
والبرد ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس رواه النسائي وكان يقول اللهم
اني اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بقوم فتنة
فاقبضني اليك غير مفتون رواه في الموطا وكان يدعو اللهم فالق الاصباح وجاعل
الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين واغنني من الفقر ومتعني بسمعي
وبصري وقوتي وتوفني في سبيلك رواه في الموطا وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ
فيقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك
من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات رواه الشيخان من حديث انس
وفي رواية ابي داود اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن وضلع الدين وغلبة
الرجال وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الجذام والبرص والجنون ومن
سيئ الاسقام رواه ابو داود والنسائي من حديث انس وكان يقول اللهم اني اعوذ
بك من شر ما عملت ومن شر ما لم اعمل رواه مسلم من حديث عائشة وكان
يقول اللهم اني اعوذ بك من قلب لا يخشع ودعا لا يسمع ومن نفس لا تشبع ومن

ومن علم لا ينفع اعوذ بك من هذه الاربع رواه الترمذي والنسائي من حديث ابن عمرو ابن
العاص وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاة نقمتك
وجميع سخطك رواه مسلم وابو داود من حديث ابن عمرو ابن العاص ايضا وكان
يقول اللهم اني اعوذ بك من الفقر والقلة والذلة واعوذ بك من ان اظلم او اظلم
رواه ابو داود من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الشقاق والنفاق
وسوء الاخلاق رواه ابو داود من حديث ابي هريرة ايضا وكان يقول اللهم اني اعوذ بك
من الجوع فانه بئس الضجيع واعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة رواه ابو
داود والنسائي من حديث ابي هريرة ايضا وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من غلبة
الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء رواه النسائي وكان يقول اللهم اني اعوذ بك
من الهدم والهرم واعوذ بك من التردي ومن الغرق والحرق والهدم واعوذ بك
من ان يتخبطني الشيطان عند الموت واعوذ بك من ان اموت في سبيلك مدبرا
واعوذ بك ان اموت لديغا رواه ابو داود والنسائي من حديث ابي اليسر وكان
يتعوذ من عين الجن والانس فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما وترك ما سوى ذلك
رواه النسائي وكان اذا خاف قوما قال اللهم نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من
شرورهم رواه ابو داود وكان يعوذ الحسن والحسين ويقول ان اباكما كان يعوذ
بها اسماعيل واسحاق اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل
عين لامة رواه البخاري والترمذي وقد استشكل صدور هذه الادعية ونحوها
منه صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
ووجوب عصمته واجيب بانه امتثل ما امره الله به من تسبيحه وسواله المغفرة
في قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ويحتمل ان يكون قاله على سبيل التواضع
والاستكانة والخضوع والشكر لربه تعالى لما علم انه قد غفر له ويحتمل ان
يكون سواله ذلك لامته وللتشريع والله اعلم وكان عليه الصلاة والسلام
يقول عند الكرب وهو ما يدهم الانسان مما ياخذ بنفسه ويحزنه ويغمه يدعو
لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب السموات والارضين رب العرش العظيم
رواه البخاري وفي رواية لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش
العظيم لا اله الا الله رب السموات والارضين ورب العرش الكريم قال الطيبي
صدر هذا الثنا بذكر الرب ليناسب كشف الكرب لانه مقتضى التربية ومنه
التهليل المشتمل على التوحيد وهذا اصل التنزيهات الجلالية والعظمة
التي تدل على تمام القدرة والحلم الذي يدل على العلم اذ الجاهل لا يتصور منه
حلم ولا كرم وهما اصل الاوصاف الاكرامية انتهى وكان عليه الصلاة والسلام
اذا اهمه امر رفع راسه الى السما وقال سبحان الله العظيم رواه الترمذي من حديث

ابي

ابي هريرة فان قلت هذا ذكر ليس فيه دعا فالجواب ان التعرض للطلب تارة
يكون بذكر اوصاف العبد من فقره وحاجته وتارة بذكر اوصاف السيد من وحدانيته
والثنا عليه وقد قال امية ابن ابي الصلت في مدح عبد الله ابن جدعان

ااذكر حاجتي ام قد كفاني ۔ حباوك ان شيمتك الحباء
اذا اثنى عليك المرء يوما ۔ كفاه من تعرضك الثناء

قال سفيين الثوري فهذا مخلوق حين نسب الى الكرم اكتفى بالثنا جمعا فكيف بالخالق
وكان عليه الصلاة والسلام اذا كربه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث رواه ابو
داود من حديث انس وقال عليه الصلاة والسلام ما كربني امر الا تمثل لي جبريل فقال
يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا رواه الطبراني عن ابي هريرة وتقدم في
المقصد التاسع مزيد لذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الضالة اللهم راد الضالة
وهادي الضلالة انت تهدي من الضلالة اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فانها
من عطايك وفضلك رواه الطبراني في الصغير من حديث ابن عمر وكان صلى الله عليه وسلم
يدعو هكذا بباطن كفيه وظاهرهما رواه ابو داود عن انس وقال ابو موسى الاشعري
كما عند البخاري دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه حتى رايت بياض ابطيه
وعنده ايضا من حديث ابن عمر رفع صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اني ابرا اليك مما
صنع خالد لكن في حديث انس لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في شي من دعايه
الا في الاستسقا وهو حديث صحيح ويجمع بينه وبين ما تقدم بان الرفع في الاستسقا
يخالف غيره اما بالمبالغة الى ان تصير اليدان في حذو الوجه مثلا وفي الدعا الى
حذو المنكبين ولا يعكر على ذلك انه ثبت في كل منهما حتى يرى بياض ابطيه بل يجمع
بان تكون روية البياض في الاستسقا ابلغ منها في غيره واما ان الكفين في الاستسقا
يليان الارض وفي الدعا يليان السما قال الحافظ عبد العظيم المنذري وبتقدير
عدم الجمع فجانب الاثبات ارجح انتهى وروى الامام احمد والحاكم وابو داود انه
صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه اذا دعا حذو منكبيه وفي رواية ابن ماجه
ويبسطهما وهذا يقتضي ان يكونا متفرقتين مبسوطتين لا كهيئة الاغتراف وقال
الحافظ ابن حجر غالب الاحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعا
انما المراد بها مد اليدين وبسطهما عند الدعا وروى ابن عباس كان
صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه رواه الطبراني
في الكبير بسند ضعيف ومسح بهما وجهه اما في القنوت في الصلاة فالاصح
لا لعدم وروده فيه قال البيهقي لا احفظ فيه عن احد من السلف شيا وان
روي عن بعضهم في الدعا خارج الصلاة وقد روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

خبر ضعيف مستعمل عند بعضهم خارجها فاما فيها فيعمل به ما لم يثبت فيه خبر ولا اثر ولا قياس
والاولى ان لا يفعله وقد دعا صلى الله عليه وسلم لانس فقال اللهم اكثر ماله وولده
وبارك له فيما اعطيته رواه البخاري وفي الادب المفرد له عن انس قال قالت ام سليم
وهي ام انس خويدمك الا تدعو له فقال اللهم اكثر ماله وولده واطل حياته واغفر له
وفي الصحيح ان انسا كان في الهجرة ابن تسع سنين وكانت وفاته سنة احدى وتسعين
فيما قيل وقيل سنة ثلاث وله مائة وثلاث سنين قال خليفة وهو المعتمد واكثر ما قيل
في سنه انه بلغ مائة سنة وسبع سنين واقل ما قيل فيه بلغ تسعا وتسعين سنة
واما كثرة ولده فروى مسلم قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي
ليتعادون على نحو المائة اليوم وورد في حديث رواه الشيخان ان انسا قال اخبرتني
ابنتي امينة اي بضم الهمزة وفتح الميم وسكون المثناة التحتية بعدها نون انه دفن
من صلبي الى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرون وقال ابن قتيبة في المعارف
كان بالبصرة ثلاث ما ماتوا حتى راى كل واحد منهم من ولده مائة ذكر لصلبه
ابو بكرة وخليفة وبدر وزاد غيره رافعا وهو المهلب ابن ابي صفرة واخرج ابن سعد
عن انس قال دعا لي النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكثر ماله وولده واطل عمره واغفر
له فقد دفنت من صلبي مائة وانين وان ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت
حتى سئمت الحياة وارجوا الرابعة واخرج الترمذي عن ابي العالية في ذكر انس
وكان له بستان يوتي في كل سنة الفاكهة مرتين وكان فيه ريحان تفوح منه
روائح المسك ورجاله ثقات ودعا عليه الصلاة والسلام لعبد الله ابن
ربيعة السلولي ان يبارك له في ولده فولد له ثمانون ذكرا رواه ابن عساكر وارسل
عليه الصلاة والسلام الى علي يوم خيبر وكان ارمد فتفل في عينيه وقال اللهم اذهب
عنه الحر والبرد قال فما وجدت حرا ولا بردا منذ ذلك اليوم ولا رمدت عيناي
وبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى اليمن قاضيا فقال يا رسول الله لا علم لي
بالقضا فقال ادن مني فدنوت منه فضرب بيده على صدره وقال اللهم اهد
قلبه وثبت لسانه قال علي فوالله ما شككت في قضاء بين اثنين رواه ابو
داود وغيره وعاد صلى الله عليه وسلم عليا من مرض فقال اللهم
اشفه اللهم عافه ثم قال قم قال علي فما عاد لي ذلك الوجع بعد رواه
الحاكم وصححه البيهقي وابو نعيم ومرض ابو طالب فعاده النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي ادع ربك الذي تعبد ان يعافيني فقال
اللهم اشف عمي فقام ابو طالب كانما نشط من عقال فقال يا ابن اخي
ان ربك الذي تعبد ليطيعك قال وانت يا عماه لئن اطعت الله ليطيعنك
رواه ابن عدي والبيهقي وابو نعيم من حديث انس وتفرد به الهيثم وهو •

ضعيف

ضعيف ودعا عليه الصلاة والسلام لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين
اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التاويل رواه البغوي وابن سعد وفي البخاري اللهم علمه
الكتاب فكان عالما بالكتاب حبر الامة بحر العلم رئيس المفسرين ترجمان القران
وكونه في الدرجة العليا والمحل الاقصى لا يخفى وقال النابغة الجعدي لما قال •

• ولا خير في حلم اذا لم يكن له • بوادر تحمي صفوه ان يكدرا •
• ولا خير في حلم اذا لم يكن له • حليم اذا ما اورد الامر اصدرا •

لا يفضض الله فاك اي لا اسقط الله اسنانك وتقديره لا يسقط الله اسنان فيك فحذف
المضاف قال فاتى عليه اكثر من مائة سنة وكان من احسن الناس ثغرا ورواه البيهقي وقال فيه
فلقد رايته ولقد اتى عليه نيف ومائة ما ذهب له سن وفي رواية ابن ابي اسامة وكان من
احسن الناس ثغرا واذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعند ابن السكن فرايت اسنان
النابغة ابيض من البرد لدعوة صلى الله عليه وسلم وسقاه عليه الصلاة والسلام عمرو
ابن اخطب ماء في قدح فرار برنيه شعرة بيضا فاخذها فقال اللهم جمله فبلغ ثلاثا وتسعين
سنة وما في لحيته وراسه شعرة بيضا رواه الامام احمد من طريق ابي نهيك قال ابو نهيك
فرايته ابن اربع وتسعين سنة وليس في لحيته شعرة بيضا وصححه ابن حبان والحاكم
واخرج البيهقي عن انس ان يهوديا اخذ من لحية النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم جمله
فاسودت لحيته بعد ما كانت بيضا قال عبد الرزاق ابن معمر عن قتادة قال حلب يهودي
للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة فقال اللهم جمله فاسود شعره حتى صار اشد سوادا من كذا وكذا
قال معمر وسمعت غير قتادة يذكر انه عاش تسعين سنة فلم يشب اخرجه ابن ابي
شيبة وابو داود في المراسيل والبيهقي وقال مرسل شاهد لما قبله وقال عليه الصلاة
والسلام لابن الحمق الخزاعي وقد سقاه عليه الصلاة والسلام اللهم متعه بشبابه
فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضا رواه ابو نعيم وغيره وجاءته فاطمة رضي الله
عنها وقد علاها الصفرة من الجوع فنظر اليها صلى الله عليه وسلم ووضع يده على
صدرها ثم قال اللهم مشبع الجاعة لا تجع فاطمة بنت محمد قال عمران بن حصين فنظرت
اليها وقد علاها الدم على الصفرة في وجهها ولقيتها بعد فقالت ما جعت يا عمران
ذكره يعقوب ابن سليمان الاسفرايني في دلائل الاعجاز ودعا عليه الصلاة والسلام
لعروة ابي الجعد البارقي فقال اللهم بارك له في صفقة يمينه قال فما اشتريت
شيئا قط الا ربحت فيه وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل وضرب في صدره اللهم
ثبته واجعله هاديا مهديا قال فما وقعت عن فرسي بعد وقال لسعد بن
ابي وقاص اللهم اجب دعوته فكان مجاب الدعوة رواه البيهقي والطبراني
في الاوسط ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة رواه الشيخان عن انس زاد البيهقي
من وجه اخر قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا

او قصة الحديث قال القاضي عياض وقد فتح الله عليه ومات فخفر الذهب في تركته بالفوس
حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت
احداهن لانه طلقها في مرض موته على ثمانين الفا وادي بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشيه
في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعماية بعير
وردت عليه تحمل من كل شي فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها **وذكر** الطبري
مما عزاه للصفوة عن الزهري انه تصدق بشطر ماله اربعة الاف ثم تصدق باربعين الف
دينار ثم حمل على خمسماية فرس في سبيل الله ثم حمل على الف وخمسماية راحلة في سبيل الله
وكان عامة ماله من التجارة **ودعا عليه الصلاة والسلام** على مضر فقحطوا حتى
اكلوا العلهز وهو الدم بالوبر حتى استعطفه قريش ولما تلى عليه الصلاة والسلام والنجم
اذا هوى قال عتبة ابن ابي لهب كفرت برب النجم فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فخرج عتبة مع اصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بالشام زار اسد فجعلت فرايصه
ترعد فقيل له من اي شي ترتعد فوالله ما نحن وانت في هذا الا سوي فقال ان محمدا دعا علي
ولا والله ما اظلت هذه السما من ذي لهجة اصدق من محمد ثم وضعوا العشا فلم يدخل يده
فيه حتى جا النوم فاحاطوا به واحاطوا انفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم ونامو فجا الاسد
يستنشق رووسهم رجلا رجلا حتى انتهى فضغمه ضغمة وهو يقول الم اقل لكم ان محمدا
اصدق الناس ومات ذكره يعقوب الاسفرايني وتقدم في ذكر اولاده عليه الصلاة والسلام
قصة بنحو هذه وعن مازن الطاي وكان بارض عمان قلت يا رسول الله اني امرو مولع
بالطرب وشرب الخمر والنسا ولحت علينا السنون فاذهبن الاموال واهزلن
الذراري والرجال وليس لي ولد فادع الله ان يذهب عني ما اجد ويأتيني بالحيا
وليهب لي ولدا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب ما زن فاذهب
الله عني كلما اجد واخصبت عمان وتزوجت اربع حراير ووهب الله لي حيان
ابن مازن رواه البيهقي **وقال صلى الله عليه وسلم** لبسر ابن راعي العير من
اشجع وهو ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فما وصلت
يده الى فيه بعد **ولما نزل عليه الصلاة والسلام** بتبوك صلى الى نخلة
فمر رجل بينه وبينها فقال صلى الله عليه وسلم قطع صلاتنا قطع الله اثره
فاقعد لم يقم رواه ابو داود والبيهقي لكن سنده ضعيف واكل رجل عنده
بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع قال لا استطعت فما رفعها الى فيه
بعد والرجل بسر بضم الموحدة وسكون المهملة ابن عير بفتح المهملة وسكون
المثناة التحتية وطلب عليه الصلاة والسلام معاوية فقيل له انه ياكل فقال
في الثانية لا اشبع الله بطنه فما شبع بطنه ابدا رواه البيهقي من حديث ابن عباس
وكان معاوية رديفه يوما فقال يا معاوية ما يليني منك قال بطني

قال

222

قال اللهم املاه علما وحلما رواه البخاري في تاريخه **وقال** لابن مروان اللهم اطل شقاه
وبقاه فادركه شيخا كبيرا يتمنى الموت **وكم** له صلى الله عليه وسلم من دعوات مستجابات وقد
افرد القاضي عياض بابا في الشفا ذكر فيه طرفا منها وكذا الامام يوسف بن يعقوب الاسفرايني
في كتابه دلايل الاعجاز فكم اعطاه الله تعالى الى سوله واعطاه من ثمرة دعايه بمرة سوله
واما حديث ابي هريرة عند البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة
مستجابة يدعو بها فاريد ان اختبي دعوتي شفاعة لامتي في الاخرة **فقد استشكل**
ظاهره بما ذكرته ولما وقع لنبينا ولكثير من الانبيا صلى الله عليهم وسلم من الدعوات المجابة
فان ظاهره ان لكل نبي دعوة مجابة فقط **واجيب** بان المراد بالاجابة في الدعوة
المذكورة القطع بها وما عدا ذلك من دعواتهم فهو على رجا الاجابة **وقيل** معنى قوله
قوله لكل نبي دعوة اي افضل دعواته ولهم دعوات اخرى لكل نبي منهم دعوة مستجابة
في امته اما باهلاكه واما بنجاته واما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها
ما لا يستجاب **وقيل** لكل نبي منهم دعوة تخصه لدنياه او لنفسه كقول نوح رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا وقول زكريا فهب لي من لدنك وليا يرثني وقول سليمان
رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي واما قول الكرماني في شرحه على البخاري
فان قلت هل جاز ان لا يستجاب دعا النبي صلى الله عليه وسلم **قلت** لكل نبي دعوة
مستجابة واجابة الباقي في مشية الله تعالى فقال العيني هذا السوال لا يعجبني فان
فيه بشاعة وانا لا اشك ان جميع دعوات النبي صلى الله عليه وسلم مستجابة **وقوله**
لكل نبي دعوة مستجابة لا ينفي ذلك لانه ليس بمحصور انتهى **ولم ينقل** انه صلى الله
عليه وسلم دعا بشي فلم يستجب وفي هذا الحديث بيان فضيلة نبينا صلى الله
عليه وسلم على ساير الانبيا حيث اثر امته على نفسه واهل بيته بدعوته المجابة
فلم يجعلها دعا عليهم بالهلاك كما وقع لغيره من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين **وظاهر** الحديث يقتضي انه عليه الصلاة والسلام اخر الدعا والشفاعة
ليوم القيامة فذلك اليوم يدعو ويشفع ويحتمل ان يكون المؤخر ليوم القيامة
ثمرة تلك الدعوة وشفاعتها واما طلبها فحصل من النبي صلى الله عليه
وسلم في الدنيا حكاه صاحب مزيد الفتح **وقد امر الله النبي صلى الله
عليه وسلم** بالترقي في مراتب التوحيد بقوله فاعلم انه لا اله الا الله
فانه ليس امرا بتحصيل ذلك العلم لانه عالم بذلك ولا بالثبات لانه معصوم
فتعين ان يكون للترقي في مراتبه ومقاماته اشارة الى ان العلم به تعالى
والسير اليه لا نهاية له ابدا فجميع العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية
في العالم تنشطر في سلك تحقيقها وتستمر في افنان طواياها ولا
اكتفى بعلمها له صلى الله عليه وسلم في الاية والكل كله في مصحح التوحيد

وتجريده وتكميله وقد قال تعالى له عليه الصلاة والسلام واذكر اسم ربك واذكر
ربك في نفسك تضرعا وخيفة لانه لا بد في اول السلوك من الذكر باللسان مدة ثم يزول
الاسم ويبقى المسمى فالدرجة الاولى هي المرادة بقوله واذكر اسم ربك والمرتبة الثانية
هي المرادة بقوله واذكر ربك وفي استيفا مباحث ذلك طول يخرج عن الغرض **وقد**
تقدم جملة من اذكاره عليه الصلاة والسلام متفرقة في الوضوء والصلاة والحج وغير ذلك
وقد كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله ويتوب اليه في اليوم والليلة اكثر من سبعين مرة
كما رواه عنه ابو هريرة عند البخاري وظاهره انه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة ويحتمل
ان يكون المراد انه صلى الله عليه وسلم يقول هذا اللفظ بعينه ويرجح الثاني ما اخرجه
النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول استغفر
الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه في المجلس قبل ان اقوم مائة مرة وله
من رواية محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في المجلس رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور مائة مرة **ويحتمل**
ان يريد بقوله في حديث ابي هريرة اكثر من سبعين مرة المبالغة ويحتمل ان يريد العدد بعينه
ولفظ اكثر مبهم فيمكن ان يفسر بحديث ابن عمر المذكور وانه يبلغ المائة وقد وقع في طريق
اخرى عن ابي هريرة من رواية معمر عن الزهري بلفظ اني لاستغفر الله في اليوم مائة
مرة واخرج النسائي ايضا من رواية محمد بن عمرو عن ابي سلمة بلفظ اني لاستغفر الله
واتوب اليه كل يوم مائة مرة واخرج النسائي ايضا من طريق عطا عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الناس فقال يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب اليه
في اليوم مائة مرة واستغفاره عليه الصلاة والسلام تشريع لامته او من ذنوبهم وقيل غير
ذلك وتقدم ما ينتظر في سلك ذلك **فان قلت** ما كيفية استغفاره عليه الصلاة
والسلام **فالجواب** انه ورد في حديث شداد ابن اوس عند البخاري رفعه سيد الاستغفار
ان تقول اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك
ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه
لا يغفر الذنوب الا انت من قالها من النهار موقنا بها فمات قبل ان يمسي فهو
من اهل الجنة ومن قالها من الليل موقنا بها فمات قبل ان يصبح فهو من اهل
الجنة فتعين ان هذه الكيفية هي الافضل وهو صلى الله عليه وسلم لا يترك الافضل
واما قراءته عليه الصلاة والسلام وصفتها فكانت مدا يمد بسم
الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم رواه البخاري عن انس ونعتتها ام سلمة قراءة
مفسرة حرفا حرفا رواه ابو داود والنسائي والترمذي وقالت ايضا كان عليه
الصلاة والسلام يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف ثم يقول الرحمن
الرحيم ثم يقف رواه الترمذي وقالت حفصة كان يرتل السورة حتى تكون اطول
من

من اطول منها رواه مسلم وقال البراء كان يقرا في العشاء والتين والزيتون فما سمعت احدا
احسن صوتا او قراءة منه صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان فقد كانت قراءته عليه الصلاة والسلام
ترتيلا لا هذا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع قراءته اية اية **وكان**
يمد عند حروف المد وكان يتغنى بالقراءة ويرجع صوته بها احيانا كما رجع يوم الفتح في قراءة
انا فتحنا لك فتحا مبينا **وحكى** عبد الله ابن مغفل ترجيعه آ آ آ ثلاث مرات ذكره
البخاري واذا جمعت هذا الحديث الى قوله زينوا القران باصواتكم وقوله ليس منا من لم
يتغن بالقران وقوله ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقران اي استمع
الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقران اي يتلوه يجهر به يقال منه اذن ياذن اذنا
بالتحريك علمت ان هذا الترجيع منه عليه الصلاة والسلام كان اختيارا لا اضطرارا لهز
الناقة له فان هذا لو كان لاجل هز الناقة لما كان داخلا تحت الاختيار ولم يكن عبد الله
بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتاسى به وهو يرى هز الراحلة له حتى ينقطع
صوته ثم يقول كان يرجع في قراءته فينسب الترجيع الى فعله ولو كان من هز الراحلة لم
يكن فعلا فلا يسمى ترجيعا **وقد استمع** عليه الصلاة والسلام ليلة لقراءة ابي موسى
الاشعري فلما اخبره بذلك قال لو كنت اعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا اي حسنته
وزينته بصوتي تزيينا وبهذا الحديث يرد على من قال ان قوله زينوا القران باصواتكم
من باب المقلوب اي زينوا اصواتكم بالقران فان القران لا وجه له قال ابن الاثير
ويؤيده ذلك تاييدا لا شبهة فيه حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لكل شيء حلية وحلية القران حسن الصوت والله اعلم وقد اختلف العلماء
في هذه المسالة اختلافا كثيرا يطول ذكره وفصل النزاع في ذلك ان يقال ان التطريب
والتغني على وجهين احدهما ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا
تمرين وتعليم بل اذا خلي وذلك وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب
والتلحين فهذا جائز وان اعان طبيعته على فضل تزيين وتحسين كما قال ابو موسى
للنبي صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا والحزين ومن هاجه الطرب
والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة ولكن النفوس
تقبله وتستحليه وتستملحه لموافقته الطبع وعدم التكلف والتصنع فهو مطبوع
لا متطبع وكلف لا متكلف فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويسمعونه
وهو التغني المحمود وهو الذي يتاثر به التالي والسامع **والوجه الثاني**
ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ليس في الطبائع السماحة به بل لا يحصل الا بتكلف
وتصنع وتمرين كما يتعلم اصوات الغنا بانواع الالحان البسيطة والمركبة
على ايقاعات مخصوصة واوزان مخترعة لا تحصل الا بالتعلم والتكلف فهذه هي
التي كرهها السلف وعابوها وانكروا القراءة بها **و**بهذا التفصيل يزول

الاشتباه ويتبين الصواب من غيره وكل من علم احوال السلف يعلم قطعا انهم براء من القراءة
بالحان الموسيقاء المتكلفة التي هي على ايقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة
وانهم اتقى لله من ان يقروا بها او يسوغوها ويعلم قطعا انهم كانوا يقراون بالتحزين والتطريب
ويحسنون اصواتهم بالقران ويقراونه بشجا تارة وتطريبا اخرى وهذا امر في الطباع ولم
ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له بل ارشد اليه وندب اليه صلى الله عليه وسلم
واخبر عن استماع الله لمن قراه وقال ليس منا من لم يتغن بالقران وليس المراد الاستغنا
به عن غيره كما ظنه بعضهم ولو كان كذلك لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى والمعروف
في كلام العرب ان التغني انما هو الغنا الذي هو حسن الصوت بالترجيع قال الشاعر

• تغن بالشعر اما كنت قائله • ان الغنا لهذا الشعر مضمار •

وروى ابن ابي شيبة عن عقبة ابن عامر مرفوعا تعلموا القران وغنوا به واكتبوه الحديث
والله اعلم وقد صح انه صلى الله عليه وسلم سمع ابا موسى الاشعري يقرا فقال لقد
اوتي هذا مزمارا من مزامير ال داود يعني من مزامير داود نفسه كما ذكره اهل المعاني
وفي طريق اخرى كما تقدم ان ابا موسى قال يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك
تحبيرا قال ابن المنير فهذا يدل على انه كان يستطيع ان يتلو بحسن من المزامير عند المبالغة
في التحبير لانه قد يتلو بتلوها وما بلغ الحد فكيف لو بلغ حد استطاعته وقد كان داود عليه
الصلاة والسلام اذا اراد ان يحكم على بني اسرائيل يجوع سبعة ايام لا ياكل ولا يشرب ولا ياتي النسا
ثم يامر سليمان فينادي في الضواحي والنواحي والاكام والاودية والجبال ان داود يجلس يوم
كذا ثم يخرج له منبر الى الصحرا فيجلس عليه وسليمان قائم على راسه ثم ياتي الانس والجن
والطير والوحش والهوام والعذارى والمخدرات يسمعون الذكر فياخذ في الثناء على
الله بما هو اهله فتموت طائفة من المستمعين ثم ياخذ في النياحة على المذنبين فتموت
طائفة فاذا استحر الموت بالخلق قال له سليمان يا نبي الله قد استحر الموت بالناس
وقد مزقت المستمعين كل ممزق فيخر داود مغشيا عليه فيحمل على سريره الى بيته وينادي
منادي سليمان ايها الناس من كان له مع داود قريب او حميم فليجئ بسرير فيقوده فكانت
المراة تاتي بالسرير فتقف على زوجها او ابنها او اخيها فتدخل به المدينة فاذا
افاق داود في اليوم الثاني قال يا سليمان ما فعل عباد بني اسرائيل فيقول له سليمان
قد مات فلان وفلان وهلم جرا فيضع يده داود على راسه وينوح ويقول
يا رب داود اغضبان انت على داود وحتى انه لم يمت بمن مات خوفا منك وشوقا
اليك فلا يزال ذلك دابه الى المجلس الاخر وقام داود عليه الصلاة والسلام على
ذكر ما شاء الله ولا تظن بما ذكرته من حال بني اسرائيل انهم في ذلك اعلا
من هذه الامة فاما المزامير فحسبك ما ذكر من حال ابي موسى الاشعري رضي
الله تعالى عنه واما الموت من الموعظة شوقا وخوفا قلنا فيه طريقان

ولم

احدهما

سكن

احدهما ان نقول ان القوة التي اوتيتها هذه الامة تقاوم الاحوال الواردة عليها فتبقيها
الحياة ولا نعني القوة الجسمانية بل القوة الروحانية والتاييدات الالهية فلفرط قوة
هذه الامة ان شاء الله تعالى تقارب سلفها الصالح بين حال سماع الموعظة وحال عدم
سماعها لتوالي احوال الذكر واطوار اليقين وقد قال بعضهم لو كشف الغطا ما ازددت
يقينا فتماسك قوة السلف عند واردات الاحوال هو الذي فرق بينهم وبين من قبلهم
الا ترى ان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وهما اصحاب المزامير لم يتفق لهما الموت
كما اتفق لمن مات وما ذاك من تقصيرهما في الخوف والشوق ولكن من القوة الربانية التي
امدهما ولا خلاف بان داود عليه الصلاة والسلام وان لم يمت من الذكر افضل ممن مات من امته
واما تواجد عليه لكونه لم يمت فذلك من التواضع الذي يزيده شرفا لا من التقصير على احاد
التقصير على احاد امته بالارتفاع عنهم درجات وزلفى والى هذه القوة الالهية اشار ابو
بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقد راى اناسا يبكون من الموعظة فقال هكذا كنا
حتى قست القلوب عبر عن القوة بالقسوة تواضعا ورتبته رحمه الله محفوظة ومنزلته
مرفوعة والطريق الثاني ان نقول قد روى ما لا يحصى كثرة عن هذه الامة مثل
ما اتفق في مجلس داود عليه الصلاة والسلام من موت المستمعين للذكر في مجلس السماع
فذ مما وجدنا لابي اسحاق الثعلبي جزءا في قتلى القران رويناه وعندي من ذلك جملة
اربعين ونيف بل قد روي عن كثير من المريدين انهم ماتوا بمجرد النظر الى المشايخ كما حكي
ان مريدا لابي تراب النخشبي كان يتجلى له الحق تعالى في كل يوم مرات فقال له ابو تراب
لو رايت ابا يزيد لرايت امرا عظيما فلما ارتحل المريد مع شيخه ابي تراب النخشبي لابي يزيد
ووقع بصر المريد عليه وقع ميتا فقال له ابو تراب يا ابا يزيد نظرة منك قتلته وقد
كان يجد وجدية الحق فقال له ابو يزيد قد كان صاحبك صادقا وكان الحق يتجلى له على
قدر مقامه فلما راني تجلى له على قدري فلم يطق فمات واصطلاح اهل الطريق في
التجلي معروف وعاقله رتبة من المعرفة جليلة عليه ولم يكونوا يعنون بالتجلي رؤية
البصر التي قيل فيها لموسى عليه الصلاة والسلام على خصوصه لن تراني والتي ينزل فيها
على العموم لا تدركه الابصار واذا فهمت ان مرادهم الذي اشتهر هو المعنى الذي
جعل منه الناس على الناس في الدنيا ووعد الخواص به في الاخرى فلا ضير بعد
ذلك عليك ولا طريق لسوء الظن بالقوم البتة والله متولي السرائر انتهى
ملخصا واذا علمت هذا فاعلم ان السماع في طريق القوم معروف وفي الجواذب
الى المحبة معدود موصوف وقد نقل اباحته ابو طالب في القوت عن جماعة
من الصحابة كعبد الله ابن جعفر وابن الزبير والمغيرة ابن شعبة ومعاوية وكذا
عن الجنيد والسري وذي النون واحتج له الغزالي في الاحيا بما يطول ذكره
حضورها في اوقات السرور المباحة تاكيدا له وتهييجا كعرس وقدوم غايب

وولية وعقيقة وحفظ قران وختم درس او كتاب او تاليف وفي الصحيحين
من حديث عائشة ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في ايام منى تدففان وتضربان
ورسول الله صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف عليه الصلاة والسلام
عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وفي رواية دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعندي جاريتان تغنيان بغنا بعاث بضم الموحدة والعين المهملة اخره مثلثة اسم حصن
للاوس وبالمعجمة تصحيف اي بيشدان الاشعار التي قيلت يوم بعاث وهو حرب كانت بين
الانصار فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه صلى الله عليه وسلم فقال دعهما وتعقب
بان في الحديث الاخر عند البخاري عن عائشة وليستا بمغنيتين فنفت عنهما من طريق
ما اثبتته لهما باللفظ لان الغنا يطلق على رفع الصوت وعلى الترنم وعلى الحدا ولا يسمى
فاعله مغنيا وانما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير وتهييج وتشويق لما فيه
من تعريض بالفواحش او تصريح قال القرطبي قولها يعني عائشة ليستا بمغنيتين اي
ليستا ممن يعرف الغنا كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك قال وهذا انها تحرز عن
الغنا المعتاد عند المشتهرين به وهو الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن وهذا اذا
كان في شعر فيه وصف محاسن النسا او الخمر او غيرها من الامور المحرمة لا يختلف في
تحريمه قال واما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه لكن
النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب الى الخير حتى لقد ظهرت في كثير منهم فعلات
المجانين والصبيان حتى رقصوا بحركات متطابقة وتقطعات متلاحقة وانتهى
التواقح بقوم منهم الى ان جعلوها من باب القرب وصالح الاعمال وان ذلك يثمر سني
الاحوال وهذا على التحقيق من اثار الزندقة انتهى والحق ان السماع اذا وقع
بصوت حسن لشعر متضمن للصفات العلية والنعوت النبوية المحمدية عريا عن
الالات المحرمة والحظوظ الحسية الغبية والشبه الدنية واثار كامن المحبة
الشريفة العلية ضبط السامع نفسه ما امكنه بحيث لا يرفع صوته بالبكا ولا يظهر
التواجد وهو يقدر على ضبط نفسه ما امكنه مع العلم بما يجب لله ولرسوله ويستحل
لئلا ينزل ما يسمعه على ما لا يليق كان من الحسن في غاية ولتمام تزكية النفس نهاية
لعدم تركه والاشتغال بما هو اعلا اسلم لخوف الشبهة وللخروج من الخلاف الا نادرا
وقد نقل عن الامام الشافعي ومالك وابي حنيفة وجماعة من العلما الفاظ
تدل على التحريم ولعل مرادهم بما كان فيه تهييج شيطاني واذا كان النظر
في السماع باعتبار تاثيره في القلوب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا
تحريم بل يختلف ذلك باختلاف الاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم
ما في القلب وهو لمن سر تقي بربه ترقيه مثير لكامن في النفوس حسن

الازل

الازل حين خاطبنا الحق تعالى بقوله الست بربكم فما كان في القلب من رقة ووجد
وحقيقة فهو من حلاوة ذلك الخطاب والاعضا كلها ناطقة بذكره مستطيبة لاسمه
فالسماع من اكبر مصايد النفوس واذا اقترن بالحان ذا المناسبة وكان الشعر متضمنا
لذكر المحبوب الحق برز الكامن وذاعت الاسرار سيما في ارباب البدايات وقد شوهد
تاثير السماع حتى في الحيوانات الغير الناطقة من الطيور والبهايم فقد شوهد تدلي
الطيور من الاغصان علوا وتدلي لنغمات الفايقة والالحان الرايقة وهذا الجمل مع
بلادة طبعه يتاثر بالحدا تاثيرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه
في سماعه المسافة الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراه اذا طالت
عليه البوادي واعياه الاعيا تحت الحمل اذا سمع مناد الحدا يمد عنقه ويصغي الى
الحادي ويسرع في سيره وربما اتلف نفسه من شدة السير وثقل الحمل وهو لا يشعر به لكثرة
نشاطه وقد حكي فيما ذكره في الاحيا عن ابي بكر الدينوري ان عبدا اسود قتل جمالا كثيرة
بطيب نغمته اذ حداها وكانت محملة احمالا ثقيلة فقطعت مسيرة ثلاثة ايام في ليلة
واحدة وانه حدى على جمل غيرها بحضرته فهام الجمل وقطع حباله وحصل له هو ما غشيه
عن حسه حتى خر لوجهه فتاثير السماع محسوس ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج بعيد العلاج
زايد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال اذا كانت هذه البهايم تتاثر بالنغمات فتاثير
النفوس الانسانية اولى ومن قال

نعم لولا كمن ما ذكر العقيق • ولا جابت له الفلوات نوق •
نعم اسعى الكرى عن جفوني • تداني الحي وبعد الطريق •
اذا كانت تحن لكم المطايا • فماذا يفعل الصب المشوق •

فتزيد السماع تلطيف السر ومن ثم وضع العارف الكبير سيدي علي الوفوي
حزبه المشهور على الالحان والاوزان اللطيفة تنشيطا لقلوب المريدين وترويحا
لاسرار السالكين فان النفوس كما قدمناه لها حظ من الالحان فاذا قبلت
هذه الواردات السنية الفايضة من الموارد النبوية المحمدية بهذه النغمات
الفايقة والاوزان الرايقة تشربتها العروق واخذ كل عضو نصيبه من ذلك
المدد الوفوي المحمدي فاثمرت خطاب الازل بما سقيته من موارد هذه
اللطايف عوارف المعارف تنبيه زعم بعضهم ان السماع ادعى للوجد
من التلاوة واظهر تاثيرا واحتج عن ذلك ان جلال القران لا تحتمله القوى البشرية
المحدثة ولا تحتمل صفاتها المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه لدهشت
وتصدعت وتحيرت والالحان مناسبة للطبايع بنسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق
والشعر نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات
من الاشارات واللطايف شاكل بعضها بعضا فكان اقرب الى الحظوظ واخذ

على القلوب بمشاكلة المخلوق قاله ابو نصر السراج ٥ المقصد العاشر
في اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته الى حضرة قدسه
لديه صلى الله عليه وسلم وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله
في الاخرة بفضائل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلو الدرجات
وتشريفه بخصائص الزلفى في مشهد مشاهد الانبيا والمرسلين وتحميده
بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسودد في مجمع جامع الاولين والآخرين
وترقيه في جنة عدن ارقى مدارج السعادة وتعاليه في يوم المزيد اعلى معالي
الحسنى وزيادة وفيه ثلاثة فصول الفصل الاول في اتمامه تعالى نعمته
عليه بوفاته ونقلته الى حضرة قدسه لديه صلى الله وسلم عليه
اعلم اوصلني واياك بجميل تاييده واوصلنا بلطفه وتسديده ان هذا الفصل
مضمونه ليسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجائع لاثارة الاحزان ويلهب
نيران الموجدة على اكباد ذوي الايمان ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه
من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الانبيا حتى خير واول ما اعلم النبي
صلى الله عليه وسلم من انقضاء عمره باقتراب اجله بنزول سورة اذا جاء نصر الله
والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل
الناس في دينك الذي دعوتهم اليه افواجا فقد اقترب اجلك فتهيا للقائنا
بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل منك مقصود ما امرت به من اداء الرسالة
والتبليغ وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا وقد قيل ان
هذه السورة آخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم بمنى في حجة الوداع
وقيل عاش بعدها احدا وثمانين يوما وعند ابن ابي حاتم من حديث ابن عباس
عاش بعدها تسع ليال وعن مقاتل سبعا وعن بعضهم ثلاثا ولابي يعلى من حديث
ابن عمر نزلت هذه السورة في اوسط ايام التشريق في حجة الوداع فعرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه الوداع وفي حديث ابن عباس عند الدارمي لما نزلت اذا
جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال نعيت
الي نفسي فبكت قال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي فضحكت الحديث وروى
الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح
نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فاخذ باشد ما كان قط اجتهادا
في امر الآخرة وللطبراني ايضا من حديث جابر لما نزلت هذه السورة قال النبي
صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت الي نفسي فقال له جبريل وللآخرة خير لك من
الاولى وروي في حديث ذكره ابن رجب في اللطائف انه تعبد حتى صار كالشن
البالي وكان عليه الصلاة والسلام يعرض القرآن كل عام على جبريل مرة

فعرضه

فعرضه ذلك العام مرتين وكان عليه الصلاة والسلام يعتكف العشر الاواخر من
رمضان كل عام فاعتكف ذلك العام عشرين واكثر من الذكر والاستغفار وقالت
ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم في آخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجي الا قال
سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقلت له انك تدعو بدعا لم تكن تدعو به
قبل اليوم فقال ان ربي اخبرني اني سارى علما في امتي واني اذا رايته ان اسبح بحمده
واستغفره ثم تلا هذه السورة واخرج ابن مردويه من طريق مسروق
عن عائشة نحوه وروى الشيخان من حديث عقبة ابن عامر قال صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحيا والاموات
ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض
واني لانظر اليه وانا في مقامي هذا فاني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني
لست اخشى عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا فيها
وزاد بعضهم فتقتتلون فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم وعن ابي سعيد الخدري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه
زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر رضي الله تعالى عنه
وقال يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا
الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين ان يؤتيه
زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول فديناك بآبائنا وامهاتنا
قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان ابو بكر اعلمنا به فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر فلو كنت
متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لا تبقى
في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة ابي بكر رضي الله تعالى عنه رواه البخاري
ومسلم ولمسلم من حديث جندب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
قبل ان يموت بخمس ليال وكان ابا بكر رضي الله تعالى عنه فهم الرمز الذي
اشار به النبي صلى الله عليه وسلم من قرينة ذكره ذلك في مرض موته فاستشعر منه
انه اراد نفسه فلذلك بكى وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب اجله
في آخر عمره فانه لما خطب في حجة الوداع قال للناس خذوا عني مناسككم فلعلي
لا القاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع فلما رجع
عليه الصلاة والسلام من حجه الى المدينة جمع الناس بما يدعى خما في طريقه بين مكة
والمدينة فخطبهم وقال ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان يأتيني رسول
ربي فاجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته قال الحافظ
ابن رجب وكان ابتداء مرضه عليه الصلاة والسلام في اواخر شهر صفر وكانت

مدة مرضه ثلاثة عشر يوما في المشهور وكانت خطبته المذكورة في حديث ابي سعيد
الذي قدمته في ابتدا مرضه الذي مات فيه فانه خرج كما رواه الدارمي وهو معصوب
الراس بخرقة حتى اهوى الى المنبر فاستوى عليه فقال والذي نفسي بيده اني لانظر
الى الحوض في مقامي هذا ثم قال ان عبدا عرضت عليه الدنيا الى اخره ثم هبط عنه
فما روي عليه حتى الساعة فلما عرض صلى الله عليه وسلم على المنبر باختياره
اللقا على البقا ولم يصرح خفي المعنى على كثير ممن سمع ولم يفهم المقصود غير صاحبه
الخصيص به ثاني اثنين اذ هما في الغار وكان اعلم الامة بمقاصد الرسول صلى الله
عليه وسلم فلما فهم المقصود من هذه الاشارة بكى وقال بل نفديك باموالنا والفنا
واولادنا فسكن الرسول صلى الله عليه وسلم جزعه واخذ في مدحه والثنا عليه على المنبر
ليعلم الناس كلهم فضله فلا يقع عليه اختلاف في خلافته فقال ان امن الناس علي
في صحبته وماله ابو بكر رضي الله تعالى عنه ثم قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا
من الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لما كان صلى الله عليه
وسلم لا يصلح له ان يخالل المخلوق فان الخليل من جرت محبة خليله منه مجرى الروح
ولا يصلح هذا البشر كما قيل •

• قد تخللت مسلك الروح مني • وبذا سمي الخليل خليلا •

اثبت له اخوة الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم لا يبقى في المسجد خوخة الا
سدت الا خوخة ابي بكر اشارة الى ان ابا بكر هو الامام بعده فان الامام يحتاج
الى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين
المصلين ثم اكد هذا المعنى بامره صريحا ان يصلي بالناس ابو بكر فروجع في ذلك
وهو يقول مروا ابا بكر ان يصلي بالناس فروجع في ذلك وهو يقول مروا ابا
بكر ان يصلي بالناس فولاه امامة الصلاة ولذا قال الصحابة عند بيعة ابي
بكر رضي الله تعالى عنه رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا افلا نرضاه
لدنيانا وكان ابتدا مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة كما ثبت
في رواية معمر عن الزهري وفي سيرة ابي معشر كان في بيت زينب بنت جحش
وفي سيرة سليمان التيمي كان في بيت ريحانة والاول هو المعتمد وذكر الخطابي
انه ابتدا به يوم الاثنين وقيل يوم السبت وقال الحاكم ابو احمد يوم الاربعا
واختلف في مدة مرضه فالاكثر انها ثلاثة عشر يوما وقيل اربعة عشر
وقيل اثنا عشر وذكرها في الروضة وصدر بالثاني وقيل عشرة ايام وبه جزم
سليمان التيمي في مغازيه واخرجها البيهقي باسناد صحيح وفي البخاري قالت عايشة
لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد وجعه استاذن ازواجه ان
يمرض في بيتي فاذن له فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الارض بين

العباس ابن عبد المطلب وبين رجل اخر قال عبيد الله فاخبرت عبد الله بالذي قالت
عايشة فقال لي عبد الله بن عباس هل تدري من الرجل الاخر الذي لم تسم عايشة
قال قلت لا قال ابن عباس هو علي ابن ابي طالب الحديث وفي رواية مسلم عن عايشة
تخرج بين الفضل ابن العباس ورجل اخر وفي اخرى رجلين احدهما اسامة وعند الدارقطني
اسامة والفضل وعند ابن حبان في اخرى بريرة ونوبه بضم النون وسكون الواو ثم
موحدة قيل وهو اسم امة وقيل عبد وعند ابن سعد من وجه اخر الفضل وثوبان
وجمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها بان خروجه تعدد فيتعدد من اتكى عليه
وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم قال للنساء اني لا استطيع ان
ادور في بيوتكن فان شئتن اذنتن لي رواه احمد وفي رواية هشام بن عروة عن
عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اين انا غدا اين انا غدا يريد يوم عايشة
وذكر ابن سعد باسناد صحيح عن الزهري ان فاطمة هي التي خاطبت امهات المومنين
بذلك فقالت انه يشق عليه الاختلاف وفي رواية ابن ابي مليكة عن عايشة ان دخوله
عليه الصلاة والسلام بيتها كان يوم الاثنين وموته يوم الاثنين الذي يليه وفي مرسل ابي
جعفر عند ابن ابي شيبة انه صلى الله عليه وسلم قال اين اكون انا غدا كررها فعرفن
ازواجه انما يريد عايشة فقلن يا رسول الله قد وهبنا ايامنا لاختنا عايشة وفي رواية
هشام ابن عروة عن ابيه عند الاسماعيلي كان يقول اين انا حرصا على بيت عايشة فلما كان
يومي اذن له نساوه ان يمرض في بيتي وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم من جنازة بالبقيع وانا اجد صداعا في راسي وانا اقول وارأساه قال
بل انا وارأساه ثم قال ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك
ودفنتك فقالت لكاني بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتي فاعرست
فيه ببعض نسايك فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم بدا في وجعه الذي مات فيه رواه
احمد والنساي وفي البخاري قالت عايشة وارأساه فقال صلى الله عليه وسلم ذاك لو
كان وانا حي فاستغفر لك وادعو لك فقالت عايشة واثكلياه والله اني
لاظنك تحب موتي فلو كان ذلك لظللت اخر يومك معرسا ببعض ازواجك
فقال صلى الله عليه وسلم بل انا وارأساه لقد هممت او اردت ان ارسل الى
ابي بكر وابنه فاعهد ان يقول القايلون او يتمنى المتمنون ثم قلت يابى الله
ويدفع المومنون او يدفع الله ويابى المومنون وقوله بل انا وارأساه
اضراب يعني دعي ذكر ما تجدينه من وجع راسك واشتغلي بي فان قلت
اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه وروى احمد في الزهد عن طاووس
انه قال انين المريض شكوى وجزم ابو الطيب وابن الصباغ وجماعة من
الشافعية ان انين المريض مكروه قلت تعقبه النووي فقال هذا ضعيف

او بالطرفان المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود وهذا لم يثبت فيه ذلك ثم احتج بحديث
عائشة هذا ثم قال فلعلهم ارادوا بالكراهة خلاف الاولى فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر
اولى انتهى قال في فتح الباري ولعلهم اخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى يدل على ضعف
اليقين وتشعر بالتسخط للقضا وتورث شماتة الاعدا واما اخبار المريض صديقه
او طبيبه عن حاله فلا باس به اتفاقا فليس ذكر الوجع شكاية فكم من ساكت وهو
ساخط وكم من شاك وهو راض فالمعول في ذلك على عمل القلب اتفاقا لا على نطق
اللسان وقد تبين كما نبه عليه في اللطايف ان اول مرضه عليه الصلاة والسلام كان
صداع الراس والظاهر انه كان مع حمى فان الحمى اشتدت به فكان يجلس في مخضب
حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن الحديث ويصب عليه الما من سبع قرب لم
تحلل اوكيتهن يتبرد بذلك وفي البخاري قالت عائشة لما دخل بيتي واشتد وجعه
قال اهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن لعلي اعهد الى الناس فاجلسناه في
مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب
حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن الحديث وقد قيل في الحكمة في هذا العدد
ان له خاصية في دفع ضرر السم والسحر وسياتي ان شا الله تعالى انه عليه الصلاة
والسلام قال هذا اوان انقطاع ابهري من السم وتمسك بعض من انكر نجاسة
سور الكلب وزعم ان الامر بالغسل منه سبعا انما هو لدفع السمية التي في ريقه وكانت
عليه صلوات الله وسلامه عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من
فوقها فقيل له في ذلك فقال انا كذلك يشدد علينا البلا ويضاعف لنا الاجر رواه
ابن ماجة وابن ابي الدنيا والحاكم وقال صحيح الاسنا وكلهم من رواية ابي سعيد الخدري
وقالت عائشة ما رايت احدا كان اشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن عبد الله قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت يا رسول
الله انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت
ذلك ان لك الاجرين قال اجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه اذى شوكة فما فوقها
الا كفر الله به سياته كما تحط الشجرة ورقها رواه البخاري والوعك بفتح الواو وسكون
العين المهملة وقد تفتح الحمى وقيل الم الحمى وقيل ارعادها الموعوك وتحريكها
اياه وعن الاصمعي الوعك الحر فان كان محفوظا فلعل الحمى سميت وعكا لحرارتها
قال ابو هريرة ما من وجع يصيبني احب الي من الحمى انها تدخل في كل مفصل من
ابن ادم وان الله تعالى يعطي كل مفصل قسطا من الاجر واخرج النسائي وصححه
الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان اخت حذيفة قالت اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم في نسا نعوده فاذا سقا يقطر عليه من شدة الحمى فقال ان من
اشد الناس بلا الانبيا ثم الذين يلونهم وفي حديث عائشة انه صلى الله عليه

وسلم كان بين يديه علبة او ركوة فيها ما فجعل يدخل يديه في الما فيمسح
بهما وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات الحديث رواه البخاري وروي ايضا
عن عروة انه صلى الله عليه وسلم قال ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر
فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم وفي رواية ما زالت الاكلة بخيبر
تعاودني والاكلة بالضم اللقمة التي اكل من الشاة وبعض الرواة يفتح الالف وهو خطا
لانه عليه الصلاة والسلام لم ياكل منها الا لقمة واحدة قاله ابن الاثير ومعنى الحديث
انه نقض عليه سم الشاة التي اهدتها له اليهودية فكان ذلك يثور عليه احيانا
والابهر عرق مستبطن بالصلب يتصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه وقد كان
ابن مسعود وغيره يرون انه صلى الله عليه وسلم مات شهيدا من السم وعند
البخاري ايضا قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى نفث
على نفسه بالمعوذات ومسح بيده فلما اشتكى وجعه الذي مات فيه طفقت
انا انفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث وامسح بيد النبي صلى الله عليه
وسلم وفي رواية مالك وامسح بيده رجا بركتها ولمسلم فلما مرض مرضه الذي
مات فيه جعلت انفث عليه وامسح بيد نفسه لانها كانت اعظم بركة من
يدي واطلقت على السور الثلاثة المعوذات تغليبا وفي البخاري عن عائشة دخل عبد
الرحمن بن ابي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وانا مسندته الى صدري ومع عبد
الرحمن سواك رطب يستن به فابده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فاخذت
السواك فقضمته ونفضته وطيبته ثم دفعته الى النبي صلى الله عليه
وسلم فاستن به فما رايته استن استنانا قط احسن منه الحديث وقولها
فابده بتشديد الدال المهملة اي مد نظره اليه وقولها فقضمته بكسر الضاد
المعجمة اي لطوله ولازالة المكان الذي تسوك به عبد الرحمن ثم طيبته اي
لينته بالما وفي رواية ايضا قالت ان من نعم الله تعالى علي ان جمع ريقي
وريقه عند موته دخل عبد الرحمن وبيده سواك وانا مسندة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرايته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت
اخذه فاشار براسه ان نعم وفي رواية مر عبد الرحمن وفي يده جريدة
رطبة فنظر اليه صلى الله عليه وسلم فظننت ان له بها حاجة فاخذتها
فمضغت راسها ونفضتها ودفعتها اليه فاستن بها كاحسن ما كان
مستنا ثم ناولنيها فسقطت يده او سقطت من يده فجمع الله بين
ريقي وريقه في اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة وفي حديث خرجه
العقيلي انه صلى الله عليه وسلم قال لها في مرضه ايتيني بسواك
رطب فامضغيه ثم ايتيني به امضغه لكي يختلط ريقي بريقك

لكي يهون عليه عند الموت قال الحسن لما كرهت الانبيا الموت هون الله
عليهم ذلك بلقا الله تعالى وبكلما احبوا من تحفة او كرامة حتى ان نفس احدهم
لتنزع من بين جنبيه وهو يحب لذلك كما قد مثل له وفي المسند عن عايشة
ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انه ليهون علي اني رايت بياض كف عايشة
في الجنة وخرج ابن سعد وغيره مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال لقد رايتها في الجنة
حتى ليهون علي بذلك موتي كاني ارى كفيها يعني عايشة فقد كان عليه الصلاة والسلام
يحب عايشة حبا شديدا حتى لا يكاد يصبر عنها فمثلت له بين يديه في الجنة
ليهون عليه موته فان العيش انما يطيب باجتماع الاحبة وقد سأله صلى الله عليه
وسلم رجل فقال اي الناس احب اليك فقال عايشة فقال من الرجال قال ابوها
ولهذا قال لها في ابتدا مرضه لما قالت وا راساه وددت ان ذلك كان وانا
حي فاصلي عليك وادفنك فعظم ذلك عليها وظنت انه يحب فراقها وانما
كان عليه الصلاة والسلام يريد تعجيلها بين يديه ليقرب اجتماعهما ويروى
انه كان عنده صلى الله عليه وسلم في مرضه سبعة دنانير فكان يامرهم بالصدقة
ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها في كفه وقال ما ظن محمد بربه
لو لقي الله وعنده هذه ثم تصدق بها كلها رواه البيهقي انظر اذا كان سيد المرسلين
وحبيب رب العالمين المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكيف حال من لقي
الله تعالى وعنده دما المسلمين واموالهم المحرمة وما ظنه بربه سبحانه وتعالى
وفي البخاري من طريق عروة عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت دعا النبي صلى
الله عليه وسلم فاطمة رضي الله تعالى عنها في شكواه الذي قبض فيه فسارها
بشي فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت فسالناها عن ذلك فقالت سارني
النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني
فاخبرني اني اول اهله يتبعه فضحكت وفي رواية مسروق عن عايشة اقبلت
فاطمة تمشي كان مشيتها مشية النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بابنتي
ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله ثم سارها وللبخاري وابي داود والترمذي والنسائي
وابن حبان والحاكم من طريق عايشة بنت طلحة عن عايشة قالت ما رايت
احدا اشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها
وقعودها من فاطمة وكانت اذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
قام اليها وقبلها واجلسها في مجلسه وكان اذا دخل عليها فعلت ذلك
فلما مرض دخلت عليه فاكبت عليه فقبلته واتفقت الروايات
على ان الذي سارها به اولا فبكت هو اعلامه اياها انه ميت في مرضه
ذلك واختلفوا فيما سارها به فضحكت ففي رواية عروة انه اخباره اياها

بانها اول اهله لحوقا به وفي رواية مسروق انه اخباره اياها انها سيدة نسا اهل
الجنة وجعل كونها اول اهله لحوقا به مضموما الى الاول وهو الراجح فان حديث
مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة وهو من الثقات الضابطين فمما
زاده مسروق من قول عايشة فقلت ما رايت كاليوم فرحا اقرب من حزن فسالتها
عن ذلك فقالت ما كنت لافشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اسر الي ان جبريل كان يعارضني القران
كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا اراه الا حضر اجلي وانك اول اهل بيتي
لحوقا بي وفي رواية عايشة بنت طلحة من الزيادة ان عايشة لما رات بكاها وضحكها
قالت ان كنت لاظن ان هذه المراة من اعقل النسا فاذا هي من النسا ويحتمل تعدد القصة
وفي رواية عن عروة الجزم بانه ميت من وجعه ذلك بخلاف رواية مسروق ففيها انه ظن
ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من معارضة القران وقد يقال لا منافاة بين الخبرين
الا بزيادة ولا يمتنع ان يكون اخباره بكونها اول اهله لحوقا به سببا لبكائها وضحكها
معا باعتبارين فذكر كل من الراويين ما لم يذكره الاخر وقد روى النسائي من طريق
ابي سلمة عن عايشة في سبب البكا انه ميت وفي سبب الضحك الامرين الاخيرين ولابن
سعد من رواية ابي سلمة عنها ان سبب البكا موته وسبب الضحك لحاقها به وعند
الطبراني من وجه اخر عن عايشة انه قال لفاطمة ان جبريل اخبرني انه ليس
امراة من نسا المومنين اعظم رزية منك فلا تكوني ادنى امراة منهن صبرا وفي
الحديث اخباره صلى الله عليه وسلم بما سيقع فوقع كما قال صلى الله عليه وسلم
فانهم اتفقوا على ان فاطمة رضي الله تعالى عنها كانت اول من مات من اهل
بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده حتى من ازواجه عليه الصلاة
والسلام وقد كان صلى الله عليه وسلم من شدة وجعه يغمى عليه في مرضه ثم
يفيق واغمي عليه مرة فظنوا ان وجعه ذات الجنب فلدوه فجعل يشير اليهم
ان لا يلدوه فقالوا كراهية المريض للدوا فلما افاق قال الم انهكم ان تلدوني
فقالوا كراهية المريض للدوا فقال لا يبقى احد في البيت الا لد وانا انظر
الا العباس فانه لم يشهدكم رواه البخاري واللدود هو ما يجعل في جانب
الفم من الدوا فاما ما يصب في الحلق فيقال له الوجور وفي الطبراني
من حديث العباس انهم اذابوا قسطا بزيت ولدوه به وفي قوله لا يبقى احد
في البيت الا لد الى اخره مشروعية القصاص فيما يصاب به الانسان
وفيه نظر لان الجميع لم يتعاطوا ذلك وانما فعل بهم ذلك عقوبة لهم لتركهم
امتثال نهيه عما نهاهم عنه قال ابن العربي اراد ان لا ياتوا يوم
القيامة وعليهم حقه فيقعوا في خطيئة عظيمة وتعقب بانه يمكن ان

يبيح العفو لانه كان لا ينتقم لنفسه والذي يظهر انه اراد بذلك تاديبهم لئلا
يعودوا فكان ذلك تاديبا لا قصاصا ولا انتقاما قيل وانما كره اللد مع انه
كان يتداوى لانه تحقق انه يموت في مرضه ومن تحقق ذلك كره له التداوي قال
الحافظ ابن حجر وفيه نظر والذي يظهر ان ذلك قبل التخيير والتحقق وانما انكر
التداوي لانه كان غير ملائم لدائه لانهم ظنوا ان به ذات الجنب فداووه
بما يلائمها ولم يكن به ذلك كما هو ظاهر في سياق الخبر وعند ابن سعد قال كانت تاخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاصرة فاشتدت به فاغمي عليه فلما افاق قال كنتم
ترون ان الله يسلط علي ذات الجنب ما كان الله ليجعل لها علي سلطانا
لا يبقى احد في البيت الا لد فما بقي احد في البيت الا لد ولددنا ميمونة وهي صائمة
وروى ابو يعلى بسند ضعيف فيه ابن لهيعة من وجه اخر عن عائشة رضي الله تعالى
عنها انه صلى الله عليه وسلم مات من ذات الجنب **وجمع** بينهما بان ذات الجنب
تطلق بازاء مرضين احدهما ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن والاخر ريح محتقن
بين الاضلاع فالاول هو المنفي هنا وقد وقع في رواية الحاكم في المستدرك ذات
الجنب من الشيطان والثاني هو الذي اثبت هنا وليس فيه محذور كالاول وفي
حديث ابن عباس عند البخاري لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت
رجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال
بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القران حسبنا
كتاب الله فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا
لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قوموا فكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية
ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب
لاختلافهم و **قال المازري** انما جاز للصحابة الاختلاف في هذا
الكتاب مع صريح امره لهم بذلك لان الاوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب
فكانه ظهر منه قرينة دلت على ان الامر ليس على التحتم بل على الاختيار فاختلف
اجتهادهم وصمم عمر رضي الله تعالى عنه على الامتناع لما قام عنده من
القرائن بانه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عن غير قصد جازم **وقال
النووي** اتفق العلماء على ان قول عمر حسبنا كتاب الله من قوة فقهه
ودقيق نظره لانه خشي ان يكتب امورا ربما عجزوا عنها فيستحقوا
العقوبة لكونها منصوصة واراد ان لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء
وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر اشارة الى تصويبه واشار بقوله
حسبنا الله الى قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ولا يعارض كتاب

ذلك

ذلك قول ابن عباس ان الرزية الى اخره لان عمر كان افقه منه قطعا ولا يقال
ان ابن عباس لم يكتف بالقران مع انه حبر القران واعلم الناس بتفسيره وتاويله
ولكنه اسف على ما فاته من البيان بالتنصيص عليه لكونه اولى من الاستنباط
والله سبحانه وتعالى اعلم ولما اشتد به صلى الله عليه وسلم وجعه قال مروا ابا
بكر فليصل بالناس فقالت له عائشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل رقيق اذا قام مقامك
لا يسمع الناس من البكاء قال مروا ابا بكر فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها
فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس رواه الشيخان وابو حاتم
واللفظ له وفي رواية ان ابا بكر رجل اسيف وفي نسخة بن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها
عند البخاري مري عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مه انكن لانتن صواحب يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت حفصة لعائشة
ما كنت لاصيب منك خيرا **والاسيف** بوزن فعيل وهو بمعنى فاعل من الاسف
وهو شدة الحزن والمراد به رقيق القلب **ولابن حبان** من رواية عاصم عن
شقيق عن مسروق عن عائشة في هذا الحديث قال عاصم والاسيف الرقيق
الرحيم **وصواحب** جمع صاحبة والمراد بهن مثل صواحب يوسف في اظهار خلاف
ما في الباطن ثم ان هذا الخطاب وان كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهي
عائشة رضي الله تعالى عنها ووجه المشابهة بينهما في ذلك ان زليخا استدعت النسوة
واظهرت لهن الاكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهو ان ينظرن الى حسن
يوسف ويعذرنها في محبته وان عائشة رضي الله تعالى عنها اظهرت ان سبب
ارادتها صرف الامامة عن ابيها كونه لا يسمع الماموين القراءة لبكائه ومرادها
زيادة على ذلك وهو ان لا يتشاءم الناس به **وقد صرحت** هي بذلك كما عند البخاري
في باب وفاته عليه الصلاة والسلام فقالت راجعته وما حملني على كثرة مراجعته
الا انه لم يقع في قلبي ان يحب الناس بعده رجلا قام مقامه ابدا والا كنت ارى انه
لن يقوم احد مقامه الا تشاءم الناس به **ونقل** الدمياطي ان الصديق صلى بالناس
سبع عشرة صلاة وقد ذكر الفاكهاني في الفجر المنير ما عزاه لسيف الدين ابن عمر
في كتاب الفتوح ان الانصار لما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد
وجعا طافوا بالمسجد فدخل العباس فاعلمه عليه الصلاة والسلام بمكانهم واشفاقهم
ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي ابن ابي طالب
كذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل والعباس امامه والنبي
صلى الله عليه وسلم معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة
من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال ايها الناس
بلغني انكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث الله فاخلد

فيكم الا اني لاحق بربي عز وجل وانكم لاحقون به فاوصيكم بالمهاجرين الاولين
خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل يقول والعصر ان الانسان لفي خسر
الى اخرها وان الامور تجري باذن الله تعالى ولا يحملنكم استبطا امر على استعجاله
فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة احد ومن غالب الله تعالى غلبه ومن خادع الله خدعه
فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا
فانهم الذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم في الثمار
الم يوسعوا لكم في الديار الم يوثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان
يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني
فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض الا فمن احب ان يرده علي غدا
فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل
القسم فاذا بر الناس برهم ائمتهم واذا فجر الناس عقوهم وفي حديث انس عند البخاري
قال مر ابو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا
ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا فدخل احدهما على النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على راسه حاشية برد فصعد
المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار
فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم
وتجاوزوا عن مسيئهم وقوله كرشي وعيبتي اي موضع سري اراد انهم بطانته
وموضع امانته والذي يعتمد عليهم في اموره واستعار الكرش والعيبة لذلك
لان المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يجمع ثيابه في عيبته وقيل اراد بالكرش
الجماعة اي جماعتي قاله في النهاية وذكر الواحدي بسند وصل بعبد الله بن مسعود
قال نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق
جمعنا في بيت عائشة فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم
نصركم رفعكم الله اواكم الله اوصيكم بتقوى الله واستخلفه الله عليكم
واحذركم الله اني لكم منه نذير مبين ان لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فانه
قال لي ولكم تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين وقال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين قلنا يا رسول الله
متى اجلك قال قد دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة الماوى قلنا يا رسول
الله من يغسلك قال رجال اهل بيتي الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله
فيم نكفنك قال في ثيابي هذه وان شئتم في ثياب بياض مصر او حلة
يمنية قلنا يا رسول الله من يصلي عليك قال اذا انتم غسلتموني وكفنتموني
فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من

يصلي

يصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة
ثم ادخلوا علي فوجا فوجا فصلوا علي وسلموا تسليما وليبدأ بالصلاة علي رجال
اهل بيتي ثم نساؤهم ثم انتم واقرؤوا السلام على من غاب من اصحابي ومن تبعني
على ديني من يومي هذا الى يوم القيامة قلنا يا رسول الله ومن يدخلك قبرك قال اهلي
مع ملائكة ربي وكذا رواه الطبراني في الدعا وهو واه جدا وقالت عائشة
رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم
يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى او يخير فلما اشتكى وحضره القبض
وراسه على فخذي غشي عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال
اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت انه حديثه الذي كان يحدثنا
وفي رواية انها اصغت اليه قبل ان يموت وهو مسند الي ظهره يقول اللهم
اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى رواه البخاري من طريق الزهري عن عروة
وما فهمته لعله عائشة رضي الله تعالى عنها من قوله عليه الصلاة والسلام اللهم
الرفيق الاعلى انه خير نظير فهم ابيها رضي الله تعالى عنه من قوله عليه الصلاة
والسلام ان عبدا خيره الله ما بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ان
العبد المراد به هو النبي صلى الله عليه وسلم حتى بكى كما قدمته ذكره الحافظ
ابن حجر وعند احمد من طريق المطلب ابن عبد المطلب بن عبد الله عن
عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما من نبي
يقبض الا يرى الثواب ثم يخير ولاحمد ايضا من حديث ابي مويهبة قال قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح خزائن الارض والخلد ثم
الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة
وعند عبد الرزاق من مرسل طاووس رفعه خيرت بين ان ابقى
حتى ارى ما يفتح على امتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل وفي رواية ابي
بردة ابن ابي موسى عن ابيه عند النسائي وصححه ابن حبان فقال
اسال الله الرفيق الاعلى الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل
وظاهره ان الرفيق الاعلى المكان الذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين
وقال ابن الاثير في النهاية جماعة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يسكنون
اعلى عليين وقيل المراد به الله سبحانه وتعالى يقال الله رفيق بعباده
من الرفق والرافة انتهى وقيل المراد به حضرة القدس وفي كتاب
روضة التعريف بالحب الشريف لما تجلى له الحق تعالى ضعفت
العلائق بينه وبين المحسوسات والحظوظ الضرورية وزاد في
معالي الترقي الى البشرية كانت احواله في زيادة الترقي ولذلك روي

انه عليه الصلاة والسلام قال كل يوم لا ازداد فيه قربا من الله فلا بورك لي في طلوع
شمسه وكلما فارق مقاما واتصل بما هو اعلا منه لمح الاول بعين النقص ما دعلى ظهر
المحبة ونجت المطية لقطع هذه المراحل والمقامات والاحوال والسفر الى حضرة
ذي الجلال والاتصال بالمحبوب الذي كل شي هالك الا وجهه **وقال** السهيلي الحكمة في
اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب
حتى يستفاد منها الرخصة لغيره انه لا يشترط ان يكون الذكر باللسان لان بعض الناس قد يمنعه
من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر انتهى ملخصا قال الحافظ ابن رجب وقد
روي ما يدل على انه قبض ثم راى مقعده من الجنة ثم ردت اليه نفسه ثم خير ففي المسند
قالت تعني عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي الا تقبض نفسه ثم يرى
الثواب ثم ترد اليه فيخير بين ان ترد اليه الى ان يلحق فكنت قد حفظت ذلك فاني
لمسندته الى صدري فنظرت اليه حتى مالت عنقه فقلت قضى قالت فعرفت الذي
قال فنظرت اليه حين ارتفع فنظر فقلت اذن والله لا يختارنا فقال مع الرفيق
الاعلى في الجنة مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا وفي البخاري من حديث عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط
حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى ويخير فلما اشتكى وحضره القبض وراسه
على فخذ عائشة غشي عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم
في الرفيق الاعلى ونبه السهيلي على ان النكتة في الاتيان بهذه الكلمة
بالافراد الاشارة الى ان اهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد وفي صحيح
ابن حبان عنها قالت اغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه في حجري
فجعلت امسحه وادعو له بالشفا فلما افاق قال اسال الله الرفيق الاعلى
مع جبريل وميكائيل واسرافيل ولما احتضر صلى الله عليه وسلم واشتد
به الامر قالت عائشة ما رايت الوجع على احد اشد منه على النبي صلى الله
عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ما فيدخل يده في القدح ثم يمسح
وجهه بالما ويقول اللهم اعني على سكرات الموت وفي رواية فجعل يقول
لا اله الا الله ان للموت سكرات قال بعض العلما فيه ان ذلك من شدة الالم
والاوجاع لرفعة منزلته وقال الشيخ ابو محمد المرجاني تلك السكرات
سكرات الطرب الا ترى الى قول بلال حين قال له اهله وهو في السياق
واكرباه ففتح عينيه وقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه فاذا
كان هذا طربه وهو في هذه الحال بلقاء محبوبه وهو النبي صلى الله
عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقاء النبي صلى الله عليه وسلم كريم تعالى

قال

فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهذا موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه
وفي حديث مرسل ذكره الحافظ ابن رجب انه عليه الصلاة والسلام قال اللهم
انك تاخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل فاعني عليه وهونه علي وعند
الامام احمد والترمذي من طريق القاسم عنها قالت رايته وعنده قدح فيه
ما وهو يموت فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالما ثم يقول اللهم اعني
على سكرات الموت **ولما تغشاه الكرب** قالت فاطمة رضي الله تعالى عنها
واكرب ابتاه فقال ليس على ابيك كرب بعد اليوم رواه البخاري **قال الخطابي**
زعم من لا يعد من اهل العلم ان المراد بقوله عليه الصلاة والسلام لا كرب على ابيك
بعد اليوم ان كربه كان شفقة على امته لما علم من وقوع الاختلاف والفتن
بعده وهذا ليس بشي لانه كان يلزم ان تنقطع شفقته على امته بعد موته
والواقع انها باقية الى يوم القيامة لانه مبعوث الى من جا بعده واعمالهم تعرض
عليه وانما الكلام على ظاهره وان المراد بالكرب ما كان يجده عليه الصلاة
والسلام من شدة الموت **وكان** عليه الصلاة والسلام فيما يصيب جسده
من الالام كالبشر ليتضاعف له الاجر انتهى وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه
وسلم قال لفاطمة رضي الله تعالى عنها انه قد حضر من ابيك ما الله سبحانه
وتعالى بتارك منه احدا الموافاة يوم القيامة وفي البخاري من حديث انس
ابن مالك ان المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وابو بكر رضي
الله تعالى عنه يصلي لهم لم يفجاهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد كشف ستر حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها ينظر اليهم وهم في صفوف
الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص ابو بكر رضي الله تعالى عنه على عقبيه
ليصل الصف وظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يخرج
الى الصلاة قال انس رضي الله تعالى عنه وهم المسلمون ان يفتتنوا في
صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار اليهم بيده صلى
الله عليه وسلم ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر وفي
رواية ابي اليمان عن شعيب عند البخاري في الصلاة فتوفي
من يومه وفي رواية ابي معمر عنده ايضا وكلها في حديث انس لم
يخرج الينا صلى الله عليه وسلم ثلاثا فاقيمت الصلاة فذهب
ابو بكر رضي الله تعالى عنه يتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه
وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما نظرنا منظرا قط كان اعجب الينا من وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا فاوما رسول الله صلى الله

صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى الحجاب الحديث رواه
الشيخان وعنه أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه
حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة المصحف ثم تبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا الحديث رواه مسلم وقد جزم موسى بن عقبة
عن ابن شهاب بأنه صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس وكذا لأبي
الأسود عن عروة وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال لما بقي من أجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال يا محمد إن الله قد أرسلني إليك
إكراما لك وتفضيلا لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك
فقال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا ثم أتاه في اليوم الثاني
فقال له مثل ذلك ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل يا محمد هذا ملك الموت
يستأذن عليك ولم يستأذن على نبي قبلك ولا يستأذن على نبي بعدك قال ائذن له
فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله إن الله عز وجل
أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمرني إن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها
وإن أمرتني أن أتركها تركتها فقال جبريل عليه السلام يا أحمد إن الله قد اشتاق
إلى لقائك قال صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت لما أمرت به فقال جبريل
يا رسول الله هذا آخر موطئي من الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه
فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا صوتا من ناحية
البيت السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون
أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا
من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المصاب من حرم الثواب
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال علي أتدرون من هذا هو الخضر
عليه الصلاة والسلام رواه البيهقي في دلائل النبوة وفي تخريج أحاديث الإحياء
للحافظ العراقي وذكر التعزية المذكورة عن ابن عمر مما ذكره في الإحياء وإن
النووي أنكر وجود الحديث المذكور في كتب الحديث وقال إنما ذكره الأصحاب
ثم قال العراقي قد رواه الحاكم في المستدرك من حديث أنس ولم يصححه
ولا يصح ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس أيضا قال لما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل أشعر
المنكبين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل
على أصحابه فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت

الحديث

الحديث وفيه ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا
أحدا فقال أبو بكر لعل هذا الخضر جاء يعزينا ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث
علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع
بين علي بن الحسين وبين جده علي والمعروف عن علي بن الحسين مرسلا من غير ذكر علي
كما رواه الشافعي في الأم وليس فيه ذكر الخضر عليه الصلاة والسلام **قال** السهيلي قوله
إن الله تعالى اشتاق إلى لقائك معناه قد أراد لقاءك بأن يردك من دنياك إلى معادك
زيادة في قربك وكرامتك انتهى وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما قال جاء ملك الموت إلى النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه ورأسه في حجر علي
فاستأذن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له علي ارجع فإنا مشاغيل
عنك فقال صلى الله عليه وسلم هذا ملك الموت ادخل راشدا فلما دخل قال إن
ربك يقرئك السلام فبلغني أن ملك الموت لم يسلم على أهل بيت قبله ولا يسلم
بعده **وقالت** عائشة رضي الله تعالى عنها توفي صلى الله عليه وسلم في بيتي في
يومي بين سحري ونحري وفي رواية بين حاقنتي وذاقنتي رواه البخاري والحاقنة
بالحاء المهملة والقاف والنون أسفل من الذقن والذاقنة طرف الحلقوم
والسحر بفتح السين وسكون الحاء المهملتين هو الصدر والنحر بفتح النون وسكون
الحاء المهملة والمراد أنه صلى الله عليه وسلم توفي ورأسه بين حنكها وصدرها
وهذا لا يعارضه ما أخرجه الحاكم وابن سعد من طرق أنه صلى الله عليه وسلم مات
ورأسه في حجر علي رضي الله تعالى عنه لأن كل طريق منها كما قال الحافظ ابن
حجر لا يخلو من شيء فلا يلتفت لذلك والله سبحانه وتعالى أعلم قال السهيلي
ووجدت في بعض كتب الواقدي أن أول كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه
وسلم وهو مسترضع عند حليمة الله أكبر وآخر كلمة تكلم بها الرفيق الأعلى
وروى الحاكم من حديث أنس أن آخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم جلال ربي
الرفيع **ولما توفي صلى الله عليه وسلم** كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه غائبا
بالسنح يعني العالية عند زوجته بنت خارجة وكان عليه الصلاة والسلام
قد أذن له في الذهاب إليها فسل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول
إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى عليه الصلاة والسلام فلبث عن قومه
أربعين ليلة والله إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم فأقبل
أبو بكر رضي الله تعالى عنه من السنح حين بلغه الخبر إلى بيت عائشة
رضي الله تعالى عنها فدخل فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجثا يقبله ويبكي ويقول توفي والذي نفسي بيده صلوات الله

عليك يا رسول الله ما اطيبك حيا وميتا ذكره الطبري في الرياض وقالت
عائشة رضي الله تعالى عنها اقبل ابو بكر رضي الله تعالى عنه على فرس له من مسكنه
بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله تعالى عنها
فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى ببردة فكشف عن وجهه واكب عليه
فقبله ثم بكى وقال بابي انت وامي لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التي كتبت عليك
فقد متها رواه البخاري واختلف في قول ابي بكر رضي الله تعالى عنه لا يجمع الله عليك
موتتين فقيل هو على حقيقته واشار بذلك الى الرد على من زعم انه سيحيى فيقطع ايدي رجال
لانه لو صح ذلك للزم ان يموت موتة اخرى فاخبر انه اكرم على الله من ان يجمع عليه موتتين
كما جمعهما على غيره كالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وكالذي مر على قرية وهذا اصح
الاجوبة واسلمها وقيل اراد لا يموت موتة اخرى في القبر كغيره اذ يحيى ليسال ثم يموت
وهذا جواب الداودي وقيل لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك وقيل كنى
بالموت الثاني عن الكرب اي لا يلقى بعد كرب هذا الموت كربا اخر قاله في فتح الباري
وعنها ان عمر رضي الله تعالى عنه قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجا ابو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بابي انت
وامي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين ابدا ثم خرج
فقال ايها الحالف على رسلك فلما تكلم ابو بكر رضي الله تعالى عنه جلس عمر
رضي الله تعالى عنه فحمد الله ابو بكر واثنى عليه وقال الا من كان يعبد محمدا صلى
الله عليه وسلم فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله عز وجل فان الله حي لا يموت
وقال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية
قال فنشج الناس يبكون رواه البخاري فقال نشج الباكي اذا غص بالبكا في حلقه
من غير انتحاب وعن سالم بن عبيد الاشجعي قال لما مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فاخذ بقائم
سيفه وقال لا اسمع احدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا
قال فقال الناس يا سالم اطلب لنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فخرجت الى المسجد فاذا بابي بكر رضي الله تعالى عنه فلما رايته اجهشت بالبكا
فقال يا سالم امات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه يقول لا اسمع احدا يقول مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فاقبل ابو بكر رضي الله تعالى
عنه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فوضع البرد عن
وجهه ووضع فاه على فيه واستنشا الريح ثم سجاه والتفت الينا
فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية وقال انك ميت

وانهم

وانهم ميتون يا ايها الناس من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فان محمدا قد مات
ومن كان يعبد الله عز وجل فان الله حي لا يموت قال عمر رضي الله تعالى عنه فوالله
لكاني لم اتل هذه الاية قط خرجه الحافظ ابو احمد حمزة ابن الحارث كما ذكره الطبري
في الرياض له وقال خرج الترمذي معناه بتمامه واستنشا الريح شمها اي شم ريح الموت
وعند احمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سجيت النبي صلى الله عليه وسلم ثوبا فجا عمر والمغيرة
ابن شعبة رضي الله تعالى عنهما فاستاذنا فاذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال
واغشياه ثم قاما فقال المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يموت حتى يفني الله عز وجل المنافقين ثم جا ابو بكر رضي الله تعالى عنه فرفعت
الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عند البخاري ان ابا بكر رضي الله تعالى
عنه خرج وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يكلم الناس فقال اجلس يا عمر
فابى ان يجلس فاقبل اليه الناس وتركوا عمر فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه اما
بعد من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله
عز وجل فان الله حي لا يموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
قال والله لكان الناس لم يعلموا ان الله عز وجل انزل الاية حتى تلاها ابو بكر رضي
الله تعالى عنه فتلقاها الناس منه كلهم فما اسمع بشرا من الناس الا يتلوها
وفي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عند ابن ابي شيبة ان ابا بكر مر بعمر وهو يقول
ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين قال
وكانوا اظهروا الاستبشار ورفعوا رؤوسهم فقال ايها الرجل ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد مات الم تسمع الله سبحانه وتعالى يقول انك ميت وانهم ميتون
وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ثم اتى المنبر الحديث قال القرطبي ابو عبد
الله المفسر وهذا ادل دليل على شجاعة الصديق رضي الله تعالى عنه فان الشجاعة
حدها ثبوت القلب عند حلول المصايب ولا مصيبة اعظم من موت النبي صلى
الله عليه وسلم فظهرت عنده ذلك شجاعته وعلمه قال الناس لم يمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم واضطرب الامر فكشفه الصديق رضي الله تعالى عنه
بهذه الاية فرجع عمر رضي الله تعالى عنه عن مقالته التي قالها كما ذكره
الوايلي ابو نصر عبد الله في كتاب الابانة عن انس بن مالك رضي الله
تعالى عنه انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول حين بويع
ابو بكر رضي الله تعالى عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى
على منبره عليه الصلاة والسلام تشهد ثم قال اما بعد فاني قلت لكم
امس مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله ما وجدت المقالة التي

قلت لكم في كتاب الله عز وجل ولا في عهد عهده الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني
كنت ارجو ان يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا اي يكون اخرنا موتا
او كما قال فاختار الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم الذي عنده على الذي عندكم
وهذا الكتاب الذي هدى الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم فخذوا به
تهتدوا لما هدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو نصر المقالة التي
قالها ثم رجع عنها هي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ولن يموت حتى يقطع
ايدي وارجل وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه وخشي الفتنة وظهور المنافقين
فلما شاهد قوة يقين الصديق الاكبر ونفوهه بقول الله عز وجل كل نفس ذائقة
الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج يتلوها في سكك المدينة كانها
لم تنزل قط الا ذلك اليوم انتهى **وقال** ابن المنير لما مات صلى الله عليه وسلم
طاشت العقول **فمنهم** من خبل **ومنهم** من اقعد فلم يطق القيام ومنهم من
اخرس فلم يطق الكلام ومنهم من اضني **وكان** عمر رضي الله تعالى عنه ممن خبل
وكان عثمان رضي الله تعالى عنه ممن اخرس يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاما
وكان علي رضي الله تعالى عنه ممن اقعد فلم يستطع حراكا واضني عبد الله بن انيس
رضي الله تعالى عنه فمات كمدا **وكان** اثبتهم ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على
النبي صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا
وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبيا فعظمت عن الصفة وجللت
عن البكا ولو ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك
ولنكن من بالك ووقع في حديث ابن عباس وعايشة رضي الله تعالى عنهم عند
البخاري ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما مات
كما قدمناه وكذا في رواية غيره وفي رواية يزيد بن بابنوس عنها عند احمد
انه اتاه من قبل راسه فحدر فاه فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم رفع راسه
فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال واصفياه ثم رفع راسه فحدر فاه وقبل
جبهته وقال واخليلاه وعند ابن ابي شيبة عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
فوضع فاه على جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله ويبكي
ويقول بابي انت وامي طبت حيا وميتا وعن عايشة رضي الله تعالى عنها
ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته
فوضع فاه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه
واصفياه اخرجه ابن عرفة العبدي كما ذكره الطبري قال ولا تضاد بين
هذا على تقدير صحته وبين ما تقدم مما تضمن بيانه بان يكون قد قال

ذلك

ذلك من غير انزعاج ولا قلق خافضا به صوته ثم التفت اليهم وقال لهم ما قال واخرج
البيهقي وابو نعيم من طريق الواقدي عن شيوخه انهم شكوا في موته صلى الله عليه وسلم
قال بعضهم قد مات وقال بعضهم لم يمت فوضعت اسما بنت عميس يدها بين كتفيه
عليه الصلاة والسلام فقالت قد توفي قد رفع الخاتم من بين كتفيه فكان هذا
الذي قد عرف به موته صلى الله عليه وسلم واخرجه ابن سعد عن الواقدي ايضا
ولما توفي عليه الصلاة والسلام قالت فاطمة رضي الله تعالى عنها يا ابتاه اجاب
ربا دعاه يا ابتاه من جنة الفردوس ماواه يا ابتاه من الى جبريل ننعاه رواه البخاري
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ويقال قيل الصواب الى جبريل ننعاه جزم بذلك
سبط ابن الجوزي في مرات الزمان قال والاول موجه فلا معنى لتغليط الرواة
بالظن وزاد الطبراني يا ابتاه من ربه ما ادناه وقد عاشت فاطمة رضي الله تعالى
عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة اشهر فما ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه • وان كان من ليلى على الهجر طاويا

واخرج ابو نعيم عن علي قال لما قبض صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت الى السما باكيا
والذي بعثه بالحق نبيا لقد سمعت صوتا من السما ينادي وا محمداه الحديث كل المصايب
قد تهون عند هذه المصيبة في سنن ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه
ايها الناس ان احد من الناس او من المومنين اصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته
بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فان احدا من امتي لن يصاب بمصيبة بعدي
اشد عليه من مصيبتي **وقال** ابو الجوزا كان الرجل من اهل المدينة اذا اصابته
مصيبة جا اخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله تعالى فان في رسول الله
اسوة حسنة ويعجبني قول القايل

اصبر لكل مصيبة وتجلد • واعلم بان المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها • نوب تنوب اليوم تكشف في غد
واذا اتتك مصيبة تشجى بها • فاذكر مصابك بالنبي محمد

ولبعضهم رحمه الله تعالى القايل

تذكرت لما فرق الدهر بيننا • فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا • فمن لم يمت في يومه مات في غد

كادت الجمادات تتصدع من الم مفارقته صلى الله عليه وسلم فكيف قلوب
المومنين ولما فقده الجذع الذي كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه
وصاح وكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال هذه خشبة تحن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتم احق ان تشتاقوا اليه وروي ان بلالا
رضي الله تعالى عنه لما كان يوذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل

دفنه فاذا قال اشهد ان محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن صلى
الله عليه وسلم ترك بلال الاذان ما امر عيش من فارق الاحباب خصوصا من
كانت رويته حياة الالباب

لو ذاق طعم الفراق رضوى لكان من وجده يميد
قد حملوني عذاب شوق يعجز عن حمله الحديد

وقد كانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف وقت دخول
المدينة في هجرته حين اشتد الضحى ودفن يوم الثلاثا وقيل ليلة الاربعا فعند ابن
سعد في الطبقات عن علي رضي الله تعالى عنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الاثنين ودفن يوم الثلاثا وعنده ايضا عن عكرمة توفي يوم الاثنين فحبس بقية
يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل وعنده ايضا عن عثمان بن محمد الاخنس
توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الاربعا وروي ايضا عن ابي بن عباس
عن سهل عن ابيه عن جده توفي يوم الاثنين والثلاثا حتى دفن يوم الاربعا
وعنده ايضا عن صالح ابن كيسان عن ابن شهاب توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس
ورثته عمته صفية رضي الله تعالى عنها بمراثي كثيرة منها قولها

الا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما ابكي النبي لفقده ولكنني اخشى من الهرج آتيا
كان على قلبي لذكر محمد وما خفت من بعد النبي المكاويا
افاطم صلى الله رب محمد على جدث امسى بيثرب ثاويا
فدا لرسول الله امي وخالتي وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو ان رب الناس ابقى نبينا سعدنا ولكن امره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية وادخلت جنات من العدن راضيا
ارى حسنا ايتمته وتركته يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه ابو سفيان ابن الحارث رضي الله تعالى عنه فقال

ارقت فبت ليلتي لا يزول وليل اخي المصيبة فيه طول
واسعدني البكاء وذاك فيما اصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قيل قد قبض الرسول
واضحت ارضنا مما عراها تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا يروح به ويغدو جبرائيل
وذاك احق ما سالت عليه نفوس الناس او كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا بما يوحى اليه وما يقول

ويهدينا

ويهدينا فلا نخشى ضلالا علينا والرسول لنا دليل
افاطم ان جزعت فذاك عذر وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر ابيك سيد كل قبر وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق رضي الله تعالى عنه بقوله

لما راينا نبينا متجدلا ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه والعظم مني ما حييت كسير
اعتيق ويحك ان حبك قد ثوى فالصبر عنك لما لقيت يسير
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي غيبت في جدث علي صخور
فلتحدثن بدايع من بعده تعيى بهن جوانح وصدور

ورثاه الصديق رضي الله تعالى عنه ايضا بقوله

ودعنا الوحي اذ وليت عنا فودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا تضمنه القراطيس الكرام

واخرج ابن عساكر عن ابي ذويب الهذلي رضي الله تعالى عنه قال بلغنا ان النبي صلى الله
عليه وسلم عليل فاوجس اهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان قرب
السحر نمت فهتف بي هاتف وهو يقول

خطب اجل اناخ بالاسلام بين النخيل ومعقد الاطام
قبض النبي محمد فعيوننا تذري الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السما فلم ار الا سعد الذابح فتعلمت ان النبي
صلى الله عليه وسلم قبض او هو ميت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكا كضجيج
الحجيج اذا اهلوا بالاحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولقد احسن حسان رضي الله تعالى عنه بقوله يرثيه عليه الصلاة والسلام

كنت السواد لناظري فعمي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت احاذر

ولما تحقق عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه موته صلى الله عليه وسلم
بقول ابي بكر ورجع الى قوله قام وهو يبكي بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان
لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع
لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم
بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك
طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبيا وذكرك في اولهم فقال تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول

الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم في اطباقها
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول الخبر ذكره ابو العباس العصار في
شرحه لبردة الابوصيري **ونقله** عن الرشاطي في كتابه اقتباس الانوار والتماس
الازهار وذكره ابن الحاج في المدخل وساقه بتمامه والقاضي عياض في الشفا لكنه ذكر بعضه
ويقع في كثير من نسخ الشفا روي عن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال في كلام
بكى به النبي صلى الله عليه وسلم بتشديد الكاف من بكى والصواب فيها التخفيف
لان هذا الكلام انما سمع من عمر رضي الله تعالى عنه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم
كما تقدمت وبينت عليه في حاشية الشفا والله سبحانه وتعالى اعلم **ويؤيد**
هذا قوله في الخبر نفسه بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم
يتبع نوح في كثرة سنه وطول عمره فلقد امن بك الكثير وما امن معه الا القليل ورثاه
حسان ابن ثابت رضي الله تعالى عنه بقوله

بطيبة رسم للرسول ومعهد ۞ منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحي الايات من دار حرمة ۞ بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح ايات وباقي معالم ۞ وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها ۞ من الله نور يستضا ويوقد
معارف لم تطمس على العهد ايها ۞ اتاها البلى فالاي منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده ۞ وقبرا بها واراه في الترب ملحد
اطالت وقوفا تذرف العين جهدها ۞ على طلل القبر الذي فيه احمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت ۞ بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا ۞ عليه بنا من صفيح منضد
تهيل عليه الترب ايد واعين ۞ عليه وقد غارت بذلك اسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة ۞ عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم ۞ وقد وهنت منهم ظهور واعضد
يبكون من تبكي السموات يومه ۞ ومن قد بكته الارض فالناس اكمد
وهل عدلت يوما رزية هالك ۞ رزية يوم مات فيه محمد

ومن عجيب ما اتفق ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انهم لما ارادوا
غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري انجرد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا
القى الله سبحانه وتعالى عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه في صدره ثم كلمهم
مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو اغسلوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعليه ثيابه فقاموا وغسلوه وعليه قميصه يصبون الما فوق

القميص

237

القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلائل النبوة **وروي** ابن ماجة بسند جيد عن علي
رضي الله تعالى عنه يرفعه اذا انا مت فاغسلوني بسبع قرب من بيري بير غرس **قال**
في النهاية بفتح الغين المعجمة وسكون الرا والسين المهملة وقد روي ابن النجار انه عليه
الصلاة والسلام قال رايت الليلة اني اصبحت على بير من الجنة فاصبح على بير غرس فتوضا
منها وبزق فيها **وغسل** صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات الاولى بالماء القراح والثانية
بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه
وقثم واسامة وشقران مولاه صلى الله عليه وسلم يصبون الماء واعينهم معصوبة من وراء
الستر لحديث علي رضي الله تعالى عنه لا يغسلني الا انت فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه
رواه البزار والبيهقي واخرج البيهقي عن الشعبي قال غسل علي رضي الله تعالى عنه النبي صلى الله
عليه وسلم فكان يقول وهو يغسله صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي طبت حيا وميتا
واخرج ابو داود وصححه الحاكم عن علي رضي الله تعالى عنه قال غسلته صلى الله عليه وسلم
فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم ار شيا وكان طيبا حيا وميتا وفي رواية ابن
سعد وسطعت ريح طيبة لم يجد واامثلها قط قيل وجعل علي رضي الله تعالى عنه على
يده خرقة وادخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضوا
منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عودا وندا **وذكر** ابن الجوزي انه
روي عن جعفر ابن محمد قال كان الما يستنقع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم
فكان علي يحسوه واما ما روي ان عليا لما غسله عليه الصلاة والسلام امتص
ما في محاجر عينيه فشربه وانه ورث بذلك علم الاولين والاخرين فقال النووي
ليس بصحيح وفي حديث عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كفن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة اثواب بيض سحولية اخرجه النساي من رواية
عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة واتفق عليه الائمة الستة من طريق هشام
بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها بزيادة من كرسف ليس فيها
قميص ولا عمامة وليس قوله من كرسف عند الترمذي ولا ابن ماجة وزاد مسلم
اما الحلة فانما شبه على الناس فيها انها اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة
وكفن في ثلاثة اثواب بيض سحولية فاخذها عبد الله ابن ابي بكر
رضي الله تعالى عنهما فقال لاحبسنها حتى اكفن فيها نفسي ثم قال لو رضيها
الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم لكفنه فيها فباعها فتصدق بثمنها
وفي رواية له ادرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلة يمنية كانت
لعبد الله ابن ابي بكر رضي الله تعالى عنهما ثم نزعت عنه وذكر الحديث
بطوله **وفي رواية** اصحاب السنن الاربعة فذكر لعائشة رضي الله تعالى
عنها قولهم في ثوبين وبرد حبرة فقالت قد اتي بالبرد ولكنهم ردوه ولم

يكفنوه فيه قال الترمذي حسن صحيح وفي رواية البيهقي في ثلاثة اثواب سحولية
جدد والسحولية بفتح السين وضمها قال النووي والفتح اشهر وهو رواية الاكثرين
وفي النهاية تبعا للهروي فالفتح منسوب الى السحول وهو القصار لانه يسحلها
اي يغسلها او الى سحول وهي قرية باليمن واما بالضم فهو جمع سحل وهو الثوب ه
الابيض النقي ولا يكون الا من قطن وفيه شذوذ لانه نسب الى الجمع وقيل ان اسم
القرية بالضم والكرسف بضم الكاف واسكان الراء وضم السين المهملتين والفاء القطن
وقال الترمذي روي في كفن النبي صلى الله عليه وسلم روايات مختلفة وحديث
عائشة رضي الله تعالى عنها اصح الاحاديث في ذلك والعمل عليه عند اكثر اهل العلم من
الصحابة وغيرهم وقال البيهقي في الخلافيات قال ابو عبد الله يعني الحاكم تواترت الاخبار
عن علي ابن ابي طالب وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وعبد الله ابن المغفل في
تكفين النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة **وعن**
عبد الله ابن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كفن في سبعة اثواب وقد روى هذا الحديث احمد في مسنده
وذكر ابن حزم ان الوهم فيه من ابن عقيل او ممن بعده ه **وقد اختلف** في معنى
قوله ليس فيها قميص ولا عمامة فالصحيح ان معناه انه ليس في الكفن قميص ولا
عمامة اصلا والثاني ان معناه انه كفن في ثلاثة اثواب خارج عن القميص والعمامة
قال الشيخ ابن دقيق العيد والاول الظاهر في المراد وذكر النووي في شرح مسلم ان الاول تقي الدين
تفسير الشافعي وجمهور العلماء قال وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث وقال
ان الثاني ضعيف فلم يثبت انه صلى الله عليه وسلم كفن في قميص وعمامة انتهى وترتب
على هذا اختلافهم في انه هل يستحب ان يكون في الكفن قميص وعمامة ام لا
فقال مالك والشافعي واحمد يستحب ان تكون الثلاثة لفائف ليس فيها قميص ولا
عمامة **واختلفوا** في زيادة القميص والعمامة او غيرهما على اللفائف الثلاثة
لتصير خمسة فذكر الحنابلة انه مكروه وقال الشافعية انه جائز غير مستحب
وقال المالكية انه يستحب للرجال والنساء وهو في حق النساء آكد قالوا والزيادة
الى السبعة غير مكروهة وما زاد عليها سرف وقال الشافعية والحنفية ان الاثواب
الثلاثة ازار وقميص ولفافة وقد اجمع المسلمون على وجوبه وهو فرض كفاية
فيجب في ماله فان لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته واختلف
اصحابنا في المتزوجة اذا كان لها مال هل يجب تكفينها من مالها او هو على
زوجها فذهب الى الاول الرافعي في الشرح الصغير والمحرر والنووي في المنهاج
وذهب الى الثاني الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة وشرح المهذب
وقال فيه قيد الغزالي وجوب الكفن على الزوج بشرط اعسار المراة وانكره

عليه

عليه النووي ومتى كانت معسرة فتكفينها على زوجها قطعا ثم ان الواجب ثوب واحد
وهو حق الله سبحانه وتعالى لا تنفذ وصية الميت باسقاطه بخلاف الثاني والثالث
فانه حق الميت تنفذ فيه وصيته باسقاطهما **وفي هذا الحديث** ايضا دلالة على ان
القميص الذي غسل فيه النبي صلى الله عليه وسلم نزع عنه عند تكفينه قال النووي
في شرح مسلم وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لانه لو ابقي مع رطوبته
لافسد الاكفان **قال واما الحديث** الذي في سنن ابي داود عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة اثواب الحلة ثوبان وقميصه
الذي توفي فيه فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به لان يزيد ابن زياد احد رواته
مجمع على ضعفه لا سيما وقد خالف بروايته الثقات وفي حديث ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما عند ابن ماجة لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع
على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه صلوات الله عليه وسلم ارسالا يصلون عليه
حتى اذا فرغوا ادخلوا النساء حتى اذا فرغن ادخلوا الصبيان ولم يؤم الناس على رسول
الله صلى الله عليه وسلم احد وفي رواية ان اول من صلى عليه صلى الله عليه وسلم
الملائكة افواجا ثم اهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم نساؤه آخرا وروي انه لما صلى
اهل بيته لم يدر الناس ما يقولون فسالوا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فامرهم
ان يسالوا عليا رضي الله تعالى عنه فقال لهم قولوا ان الله وملائكته يصلون على
النبي الاية لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين
والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين
على محمد ابن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب
العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام ذكره
الشيخ زين الدين ابي الحسن المراغي في كتابه تحقيق النصرة ثم قالوا اين ندفنه
فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما هلك نبي قط الا يدفن حيث تقبض روحه وقال علي رضي الله تعالى
عنه وانا سمعته ايضا وحفر ابو طلحة رضي الله تعالى عنه لحد رسول الله صلى
الله عليه وسلم في موضع فراشه حيث قبض **وقد اختلف** فيمن ادخله قبره
واصح ما روي انه نزل في قبره عمه العباس وعلي وقثم ابن العباس والفضل
ابن العباس وكان اخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم ابن
العباس وروي انه بني في قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية
كان يتغطى بها فرشها شقران في القبر وقال والله لا يلبسها احد بعدك
قال النووي وقد نص الشافعي وجميع اصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة
وضع قطيفة او مضربة او مخدة ونحو ذلك تحت الميت في القبر

وشذ البغوي من اصحابنا فقال في كتابه التهذيب لا باس بذلكر لهذا الحديث
والصواب كراهيته لذلكر كما قاله واجابوا عن هذا الحديث بان شقران انفرد
بفعل ذلكر ولم يوافقه احد من الصحابة ولا علموا بذلكر وانما فعله شقران
لما ذكرناه من كراهيته ان يلبسها احد بعد النبي صلى الله عليه وسلم انتهى
وفي كتاب تحقيق النصرة قال ابن عبد البر اخرجت يعني القطيفة من القبر
لما فرغوا من وضع اللبنات التسع حكاه ابن زبالة ولما دفن صلى الله
عليه وسلم جاءت فاطمة رضي الله عنها فقالت كيف طابت انفسكم ان تحثوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم التراب واخذت من تراب القبر الشريف فوضعته على عينيها
وانشات تقول

ماذا على من شم تربة احمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصايب لو انها صبت على الايام عدن لياليا

قال رزين ورش قبره الشريف صلى الله عليه وسلم رشه بلال ابن رباح بقربة
بدا من قبل راسه حكاه ابن عساكر وجعل عليه من حصباء العرصة حمرا وبيضا
ورفع قبره من الارض قدر شبر وفي حديث عايشة رضي الله تعالى عنها عند البخاري
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله
اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيايهم مساجد لولا ذلكر ابرز قبره غير انه
خشي او خشي ان يتخذ مسجدا كذا في رواية ابي عوانة عن هلال خشي او خشي
على الشك وفي رواية الضم مبهمة يمكن ان تفسر بانها هي التي منعت من ابرازه
والهاء ضمير الشان وكانها ارادت نفسها ومن وافقها على ذلكر وهذا يقتضي
انهم فعلوا باجتهاد بخلاف رواية الفتح فانها تقتضي ان النبي صلى الله عليه
وسلم هو الذي امرهم بذلكر وقوله لابرز قبره اي لكشف قبره صلى الله عليه
وسلم ولم يتخذ عليه الحايل والمراد الدفن خارج بيته وهذا قالته
عايشة رضي الله تعالى عنها قبل ان يوسع المسجد ولهذا لما وسع المسجد
جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتاتى لاحد ان يصلي الى جهة القبر
الكريم مع استقبال القبلة وفي البخاري ايضا من حديث ابي بكر ابن عياش
عن سفيان التمار انه حدثه انه راى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنما
اي مرتفعا زاد ابو نعيم في المستخرج وقبر ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما
كذلكر واستدل به على ان المستحب تسنيم القبور وهو قول ابي حنيفة
ومالكر واحمد والمزني وكثير من الشافعية وادعى القاضي حسين اتفاق
الاصحاب عليه وتعقب بان جماعة من قدماء الشافعية استحبوا التسطيح
كما نص عليه الشافعي وبه جزم الماوردي واخرون وقول سفيان التمار

لاحجة

239

لا حجة فيه كما قال البيهقي لاحتمال ان قبره صلى الله عليه وسلم في الاول لم يكن مسنما
فقد روى ابو داود والحاكم من طريق القاسم ابن محمد ابن ابي بكر قال دخلت على
عايشة رضي الله تعالى عنها فقلت يا امه اكشفي لي عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطية مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء زاد
الحاكم فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدما وابا بكر رضي الله تعالى عنه راسه
بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله تعالى عنه راسه عند رجلي النبي صلى
الله عليه وسلم وهذا كان في خلافة معاوية فكانها كانت في الاول مسطحة ثم لما
بني جدار القبر في امارة عمر ابن عبد العزيز على المدينة من قبل الوليد ابن عبد الملكر صيروها
مرتفعة وقد روى ابو بكر الاجري في كتاب صفة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من طريق
اسحاق ابن عيسى ابن بنت داود ابن ابي هند عن غنيم بن بسطام المديني قال رايت
قبر النبي صلى الله عليه وسلم في امارة عمر ابن عبد العزيز فرايته مرتفعا نحوا من اربع اصابع
ورايت قبر ابي بكر وراء قبره صلى الله عليه وسلم ورايت قبر عمر وراء قبر ابي بكر رضي
الله تعالى عنهما اسفل منه ثم الاختلاف في ذلكر في ايهما افضل لا في اصل الجواز ورجح المزني
التسنيم من حيث المعنى بان التسطيح يشبه ما يصنع للجلوس بخلاف المسنم ورجح
التسطيح ما رواه مسلم من حديث فضالة ابن عبيد انه امر بقبر فسوي ثم قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بتسويتها وعن هشام ابن عروة عن ابيه
لما سقط عليهم الحايط يعني حايط حجرة النبي صلى الله عليه وسلم في زمان الوليد
ابن عبد الملكر اخذوا في بنايه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا انها قدم النبي صلى
الله عليه وسلم فما وجدوا احدا يعلم ذلكر حتى قال لهم عروة والله ما هي قدم النبي
صلى الله عليه وسلم ما هي الا قدم عمر رضي الله تعالى عنه رواه البخاري ايضا والسبب
في ذلكر ما رواه الاجري من طريق شعيب ابن اسحاق عن هشام بن عروة قال
اخبرني ابي قال كان الناس يصلون الى القبر الشريف فامر عمر ابن عبد العزيز برفع
حتى لا يصل اليه احد فلما هدم بدت قدم بساق وركبة ففزع عمر بن عبد العزيز
فاتاه عروة فقال هذا ساق عمر رضي الله تعالى عنه وركبته فسري عن عمر بن عبد
العزيز وروى الاجري قال رجاء ابن حيوة قبر ابي بكر رضي الله تعالى عنه
عند وسط النبي صلى الله عليه وسلم وعمر خلف ابي بكر رضي الله تعالى عنهما
راسه عند وسطه وهذا ظاهره يخالف حديث القاسم فان امكن الجمع
والا فحديث القاسم اصح واما ما اخرجه ابو يعلى من وجه اخر عن عايشة
رضي الله تعالى عنها ابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره فسنده ضعيف
انتهى ملخصا من فتح الباري وقد اختلف اهل السير وغيرهم في صفة القبور
المقدسة على سبع روايات اوردها ابن عساكر في تحفة الزاير ونقل

اهل السير عن سعيد ابن المسيب قال بقي في البيت موضع قبر في السهوة الشرقية
يدفن فيه عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام ويكون قبره الرابع وفي المنتظم
لابن الجوزي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام الى الارض فيتزوج ويولد له
ويمكث خمسا واربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري واقوم انا وعيسى
ابن مريم من قبر واحد بين ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما كذا ذكره في تحقيق
النصرة والله سبحانه وتعالى اعلم **فان قلت** تقدم انه عليه الصلاة والسلام
توفي يوم الاثنين ودفن يوم الاربعا فلم اخر دفنه عليه الصلاة والسلام وقد قال عليه
الصلاة والسلام لاهل بيت اخروا دفن ميتهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه **فالجواب**
لما ذكر من عدم اتفاقهم على موته او لانهم كانوا لا يعلمون حيث يدفن **قال**
قوم في البقيع وقال اخرون في المسجد وقال قوم يحمل الى ابيه ابراهيم عليهما الصلاة
والسلام حتى يدفن عنده **حتى قال** العالم الاكبر صديق الامة سمعته يقول ما دفن
نبي الا حيث يموت ذكره ابن ماجة والموطا كما تقدم وفي رواية الترمذي ما قبض
الله تعالى نبيا الا في الموضع الذي يحب ان يدفن فيه ادفنوه في موضع فراشه
او لانهم اشتغلوا في الخلاف الذي وقع بين المهاجرين والانصار في البيعة فنظروا
فيها حتى استقر الامر في الخلافة ونظامها فبايعوا ابا بكر رضي الله تعالى عنهم
ثم بايعوه بالغد بيعة اخرى عن ملاء منهم **وكشف** الله سبحانه وتعالى به
الكرب من اهل الردة ثم رجعوا بعد ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم
فنظروا في دفنه فغسلوه وكفنوه ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت
الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة كالزينة المدينة يوم قدوم الملك اذا كان
عرش الرحمن قد اهتز لموت بعض اتباعه فرحا واستبشارا لقدوم روحه
فكيف بقدوم روح الارواح **ولما قدم صلى الله عليه وسلم** المدينة لعبت
الحبشة بحرابهم فرحا بقدومه كما رواه ابو داود من حديث انس رضي الله
تعالى عنه وفي رواية الدارمي قال انس ما رايت يوما كان احسن ولا اضوا من
يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وما رايت يوما
كان اقبح ولا اظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية الترمذي لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة اضاء منه كل شي فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها
كل شي وما نفضنا ايدينا من التراب وانا لفي دفنه حتى انكرنا قلوبنا
ومن اياته عليه الصلاة والسلام بعد موته ما ذكر من حزن حماره عليه
حتى تردى في بير وكذا ناقته فانها لم تاكل ولم تشرب حتى ماتت **ومن**
ذلك

ذلك ظهور ما اخبر به انه كاين بعد موته مما لا نهاية له ولا عد يحصيه مما ذكر بعضه
في المقصد الثامن وفي حديث ابي موسى عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله
سبحانه وتعالى اذا اراد بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها
واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا
امره **وانما كان** قبض النبي صلى الله عليه وسلم قبلها خيرا لانهم اذا قبضوا قبلها انقطعت
اعمالهم واذا اراد الله تعالى بهم خيرا جعل خيرهم مستمرا بابقائهم محافظين على ما امروا به
من العبادات وحسن المعاملات نسلا بعد نسل وعقبا بعد عقب **الفصل الثاني في زيارة
قبره الشريف ومسجده المنيف اعلم** ان زيارة قبره الشريف من اعظم القربات وارجا
الطاعات والسبيل الى اعلا الدرجات ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الاسلام
وخالف الله سبحانه وتعالى ورسوله وجماعة العلماء الاعلام **وقد اطلق** بعض المالكية وهو ابو
عمران الفاسي كما ذكره في المدخل عن تهذيب الطالب لعبد الحق انها واجبة قال ولعله
اراد وجوب السنن المؤكدة وقال القاضي عياض انها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة
مرغب فيها وروى الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي ورواه عبد الحق في احكامه الوسطى
والصغرى وسكت عليه وسكوته عن الحديث فيهما دليل على صحته وفي المعجم الكبير للطبراني
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من جاءني زائرا لا تعمله الا زيارتي كان حقا
علي ان اكون له شفيعا يوم القيامة وصححه ابن السكن وروى عنه صلى الله عليه وسلم من وجد سعة
ولم يغد الي فقد جفاني ذكره ابن فرحون في مناسكه والغزالي في الاحيا ولم يخرجه العراقي
بل اشار الى ما اخرجه ابن النجار في تاريخ المدينة مما هو في معناه عن انس بلفظ
ما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر ولابن عدي في الكامل وابن
حبان في الضعفا والدارقطني في العلل وغرايب مالك واخرين كلهم عن ابن عمر رضي الله
تعالى عنهما مرفوعا من حج ولم يزرني فقد جفاني ولا يصح وعلى تقدير ثبوته فليتامل
قوله فقد جفاني فانه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لان الجفا اذى والاذى حرام بالاجماع
فتجب الزيارة اذ ازالة الجفا واجبة وهي بالزيارة فالزيارة واجبة حينيذ **وبالجملة**
فمن تمكن من زيارته ولم يزره فقد جفاه وليس من حقه علينا ذلك **وعن** حاطب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زارني بعد موتي فكانما زارني في
حياتي ومن مات باحد الحرمين بعث من الامنين رواه البيهقي عن رجل
من ال حاطب لم يسمه عن حاطب وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبري او قال من زارني كنت له شفيعا
او شهيدا رواه البيهقي وغيره عن رجل من ال عمر لم يسمه عن عمر وعن انس بن مالك
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني محتسبا الى المدينة

كان في جواري يوم القيامة رواه البيهقي أيضا قال العلامة زين الدين ابن الحسين المراغي
وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته صلى الله عليه وسلم قربة للأحاديث الواردة
في ذلك ولقوله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول الآية لأن تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع بموته ولا يقال إن استغفار
الرسول لهم إنما هو في حال حياته وليست الزيارة كذلك لما أجاب به بعض أئمة المحققين
أن الآية دلت على تعليق وجدان الله سبحانه وتعالى توابا رحيما بثلاثة أمور المجيء واستغفارهم
واستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين
والمؤمنات لأنه صلى الله عليه وسلم قد استغفر للجميع قال الله تعالى واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة
الله سبحانه وتعالى ورحمته وقد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي
مطلوبة بالعموم والخصوصية لما سبق ولأن زيارة القبور تعظيم وتعظيمه صلى الله عليه
وسلم واجب ولهذا قال بعض العلماء لا فرق في زيارته صلى الله عليه وسلم بين الرجال والنساء
وإن كان محل الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال وفي النساء خلاف الأشهر في مذهب
الشافعي الكراهة قال ابن حبيب من المالكية ولا تدع زيارة قبره صلى الله عليه وسلم والصلاة
في مسجده فإن فيه من الرغبة ما لا غنى بك ولا بأحد عنه وينبغي لمن نوى الزيارة أن ينوي
مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه لأنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد
الرحال إلا إليها وهو أفضلها عند مالك وليس لشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة فضل
لأن الشرع لم يجئ به وهذا الأمر لا يدخله قياس لأن شرف البقعة إنما يعرف بالنص الصريح
عليه وقد ورد النص في هذه دون غيرها وقد صح أن عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد
للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فالسفر إليه قربة لعموم الأدلة ومن نذر الزيارة
وجبت عليه كما جزم به ابن كج من أصحابنا وعبارته إذا نذر زيارة قبر النبي صلى الله
عليه وسلم لزمه الوفاء وجها واحدا انتهى ولو نذر إتيان المسجد الأقصى للصلاة
فيه لزمه ذلك على الأصح عندنا وبه قال المالكية والحنابلة لكنه يخرج بالصلاة
في المسجد الحرام وصحح النووي أيضا أنه يخرج عنه بالصلاة في مسجد المدينة قال
ونص عليه الشافعي رحمه الله تعالى في البويطي وبه قال الحنفية والحنابلة وللشيخ
تقي الدين ابن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية
المحمدية وأنه ليس من القرب بل بضد ذلك ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شفاء السقام
شفى صدور المؤمنين وحكى الشيخ ولي الدين العراقي أن والده كان معادلا للشيخ
زين الدين عبد الرحمن بن رجب الدمشقي في التوجه إلى بلد الخليل عليه الصلاة
والسلام فلما دنا من البلد قال نويت الصلاة في مسجد الخليل عليه الصلاة والسلام
ليحترز عن شد الرحال لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة ابن تيمية قال فقلت نويت

بل بضد ذلك

زيارة

زيارة قبر الخليل عليه الصلاة والسلام ثم قلت له أما أنت فقد خالفت النبي صلى الله عليه
وسلم لأنه قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد وقد شددت الرحل إلى مسجد رابع وأما أنا
فاتبعت النبي صلى الله عليه وسلم لأنه قال زوروا القبور قال فبهت وينبغي لمن أراد الزيارة
أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه فإذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به
فليزد الصلاة عليه والتسليم وليسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعه بزيارته ويسعده بها
في الدارين وليغتسل وليلبس أنظف من ثيابه وليترجل ماشيا باكيا لما رأى وفد عبد القيس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقوا أنفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وسارعوا إليه فلم ينكر ذلك
عليهم صلوات الله وسلامه عليه روينا مما ذكره القاضي عياض في الشفا أن أبا الفضل الجوهري
لما ورد إلى المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وأنبئت أن العلامة أبا عبد الله بن رشيد قال لما قدمنا المدينة سنة أربع وثمانين
وستمائة كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله ابن أبي القاسم ابن الحكيم وكان أرمد فلما دخلنا
ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الأكوار وقوي الشوق لقرب المزار فأحس بالشفاء فنزل
وبادر إلى المشي على قدميه احتسابا لتلك الآثار وإعظاما لمن حل تلك الديار فأنشد لنفسه
في وصف الحال لمن حل فقال

ولما رأينا من ربوع حبيبنا ... بيثرب أعلاما أثرن لنا الحبا
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا ... شفينا فلا بأسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها ... ومن بعدها عنا أذيلت لنا قربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن حل فيها أن نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاته ... ونلثم من حب لواطئه التربا
وإن بقائي دونه لخسارة ... ولو أن كفي تملك الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه ... يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلي لا تعدد كثرة ... وبعدي عن المختار أعظمها ذنبا

ولما كنت سائرا لقصد الزيارة في ربيع الآخر سنة اثنين وتسعين وثمانمائة ولاح لنا
عند الصباح جبل سلع فرح الأرواح المبشر بقرب المزار من أشرف الديار تسابق الزوار إليه
وتعالوا بالصعود عليه استعجالا لمشاهدة تلك الآثار واقتباسا لمشاهدة تلك
الأنوار فبرقت لوامع الأنوار النبوية وهبت عرف نسمات المعارف المحمدية فطبنا
وعجبنا إذ شهدنا أعلام أشرف البرية

ألامع برق يغتدي ويروح ... أم النور من أرض الحجاز يلوح
وريح الصبا هبت بطيب عرفتهم ... أم الروض في وجه الصباح يفوح

اذا لاح ذاك الحي هبت فانها   حياة لمن يغدو ولها ويروح
ترفق بنا يا حادي العيس والتفت   فللنور بين الواديين وضوح
فما هذه الا ديار محمد   وذاك سناها يغتدي ويروح
والا فما للركب زاد اشتياقهم   فكل من الشوق الشديد يصيح
وانت مطايا الركب حتى كانها   حمام على قضب الاراك تنوح
وقد مدت الاعناق شوقا وطرفها   الى النور من تلك الديار طموح
رات دار من تهوى فزاد اشتياقها   وبدمعها في الوجنتين سفوح
اذا العيس يا حادي الغرام لم تطق   خفاء فما للصب ليس يبوح

ولما قربنا من المدينة واعلامها وتدانينا من معانيها ورباها الكريمة واكامها وانتشقنا عرف لطايف ازهارها وبدت لنواظرنا بوارق انوارها وترادفت واردات المنح والعطايا ونزل القوم عن المطايا فانشدت متمثلا فقلت

اتيتك زائرا ووددت اني   جعلت سواد عيني امتطيه
ومالي لا اسير على الماقي   الى قبر رسول الله فيه

ولما وقع نظري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاض من الفرح سابق العبرات حتى اصابت بعض الترب والجدرات

ايها المغرم المشوق هنيا   ما اناله من لذيذ التلاقي
قل لعينيك تهملان سرورا   طالما اسعداك يوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا   وجميع الاشجان والاشواق
وامر العين ان تفيض انهمالا   وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم وانت محب   ما بقا الدموع في الاماق

وكان ممن اتصل بما انت اذكره فقطر خيرا لا تسال عن الخبر ويستحب صلاة ركعتين قبل الزيارة قيل وهذا اذا لم يكن مروره من جهة وجه الشريف عليه الصلاة والسلام فان كان استحب الزيارة قبل التحية قال في تحقيق النصرة وهو استدراك حسن قاله بعض شيوخنا وفي منسك ابن فرحون فان قلت المسجد انما شرف باضافته الى النبي صلى الله عليه وسلم فينبغي البداة بالوقوف عنده صلى الله عليه وسلم قلت قال ابن حبيب في اول كتاب الصلاة حدثني مطرف عن مالك عن يحيى ابن سعيد عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال قدمت من سفر فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم عليه وهو بفناء المسجد فقال ادخلت المسجد فصليت فيه قلت لا قال فاذهب فادخل المسجد وصل فيه ثم ائت فسلم علي قال ورخص بعضهم في تقديم الزيارة على الصلاة قال ابن الحاج وكل ذلك واسع ولعل هذا الحديث لم يبلغهم والله سبحانه وتعالى اعلم انتهى وينبغي للزاير ان يحضر

من

من الخشوع ما استطاعه وليكن مقتصدا في سلامه بين الجهر والاسرار وفي البخاري ان عمر رضي الله تعالى عنه قال لرجلين من الطايف لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ضربا ترفعان اصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا وروي عن عايشة رضي الله تعالى عنها انها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا توذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وما عمل علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه مصراعي داره الا بالمناصع توقيا لذلك نقله ابن زبالة فيجب الادب معه صلى الله عليه وسلم كما في حياته وينبغي للزاير ان يتقدم الى القبر الشريف من جهة القبلة وان جا من جهة رجلي الصاحبين فهو ابلغ في الادب من الاتيان من جهة راسه المكرم ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم بان يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار ولا عبرة بالقنديل الكبير اليوم لان هناك عدة قناديل وقد روي ان مالكا لما ساله ابو جعفر المنصور العباسي يا ابا عبد الله استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعو ام استقبل القبلة وادعو فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه الصلاة والسلام الى الله عز وجل يوم القيامة لكن رايت منسوبا للشيخ تقي الدين ابن تيمية في منسكه ان هذه الحكاية كذب على مالك وان الوقوف عند القبر بدعة قال ولم يكن احد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم يقف عنده ويدعو لنفسه ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده صلى الله عليه وسلم قال ومالك من اعظم الايمة كراهية لذلك وينبغي ان يقف عند محاذاة اربعة اذرع ملازما الادب والخشوع والتواضع غاض البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته وليستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه كما هو في حال حياته اذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لامته ومعرفته باحوالهم ونياتهم وعزايمهم وخواطرهم وذلك عنده جلي لا خفا به فان قلت هذه الصفات مختصة بالله سبحانه وتعالى فالجواب ان من انتقل الى عالم البرزخ من المومنين يعلم احوال الاحيا غالبا وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور في مظنة ذلك من الكتب وقد روي ابن المبارك عن سعيد ابن المسيب ليس من يوم الا ويعرض على النبي صلى الله عليه وسلم اعمال امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد عليهم ويمثل الزاير وجهه الكريم عليه الصلاة والسلام في ذهنه ويحضر قلبه جلال رتبته وعلو منزلته وعظيم حرمته وان اكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ما كانوا يخاطبونه الا كاخي السرار تعظيما لما عظم الله تعالى من شانه وقد روي ابن النجار ان امراة سالت عايشة رضي الله تعالى عنها ان اكشفي لي عن

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته فبكيت حتى نمت وحكي عن ابي الفضايل الحموي
احد خدام الحجرة المقدسة انه شاهد شخصا من الزوار الشيوخ اتا باب مقصورة الحجرة
الشريفة فطاطا راسه نحو القبة فحركوه فاذا هو ميت وكان ممن شهد جنازته فمن القول
الزاير بخضوع قلب وغض طرف وصوت وسكون جوارح واطراق السلام عليك يا رسول الله
السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك
يا صفوة الله السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا قايد
الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الطيبين الطاهرين السلام عليك وعلى ازواجك
الطاهرات امهات المومنين السلام عليك وعلى اصحابك اجمعين السلام عليك وعلى ساير
الانبيا وساير عباد الله الصالحين جزاك الله يا رسول الله افضل ما جزا نبيا ورسولا عن امته
وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون اشهد ان لا اله الا الله
واشهد انك عبده ورسوله وامينه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت
الامانة ونصحت الامة وجاهدت في الله حق جهاده ومن ضاق وقته عن ذلك او عن حفظه
فليقل ما تيسر منه او مما يحصل به الغرض وفي التحفة ان ابن عمر وغيره من السلف كانوا
يقتصرون ويوجزون في هذا جدا فعن مالك ابن انس امام دار الهجرة وناهيك به خبرة
بهذا الشان من رواية ابن وهب عنه يقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
وعن نافع عن ابن عمر انه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد ثم اتى القبر المقدس فقال
السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه وينبغي ان
يدعو ولا يتكلف السجع فانه يودي الى الاخلال بالخشوع وقد حكى جماعة منهم الامام
ابو نصر ابن الصباغ في الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو
ابن معاوية ابن عمرو بن عتبة ابن ابي سفين صخر بن حرب وتوفي في سنة ثمان وعشرين
ومايتين وذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن عن محمد
بن حرب الهلالي قال اتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته وجلست بحذايه فجا اعرابي
فزاره ثم قال يا خير الرسل ان الله تعالى انزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
وقد جيتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وانشا يقول •

• يا خير من دفنت بالقاع اعظمه • فطاب من طيبهن القاع والاكم •
• نفسي الفدا لقبر انت ساكنه • فيه العفاف وفيه الجود والكرم •

ووقف اعرابي على قبره الشريف وقال اللهم انك امرت بعتق العبد وهذا حبيبك
وانا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسال
العتق لك وحدك هلا سالت لجميع الخلق فاذهب فقد اعتقناك من النار

• ان الملوك اذا شابت عبيدهم • في رقهم اعتقوهم عتق ابرار •

وانت

• وانت يا سيدي اولى بذا كرما • قد شبت في الرق فاعتقني من النار •

وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يا رب انا زرنا
قبر نبيك فلا تردنا خايبين فنودي يا هذا ما اذنا لك في زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع
انت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا
انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملايكته يصلون على النبي وقال
صلى الله عليك وسلم يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له
حاجة قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره والاولى ان ينادي يا رسول الله وان كانت الرواية
يا محمد انتهى وقد نبهت على ذلك مع مزيد بيان في كتاب لوامع الانوار في الادعية والاذكار
فان اوصاه احد بابلاغ السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فليقل السلام عليك يا رسول
الله من فلان ثم يتنقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على ابي بكر رضي الله تعالى عنه لان راسه
بحذا منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جزم به رزين وغيره وعليه الاكثر فيقول
السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين السلام عليك يا من ايد الله تعالى به يوم الردة الدين
جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم يتنقل عن يمينه
قدر ذراع فيسلم على عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه فيقول السلام عليك يا امير المومنين
السلام عليك يا من ايد الله به الدين جزاك الله تعالى عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم
ارض عنه وارض عنا به ثم يرجع الى موقفه الاول قبالة وجه سيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد السلام على سيدنا ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فيحمد الله تعالى ويمجده
ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويكثر الدعا والتضرع ويجدد التوبة في حضرته الكريمة
ويسال الله سبحانه وتعالى بجاهه ان يجعلها توبة نصوحا ويكثر من الصلاة والسلام على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة حيث يسمعه فيرد عليه وقد روى ابو داود
من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يسلم علي الا رد الله تعالى
علي روحي حتى ارد عليه السلام وعند ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة مرفوعا من
صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي غايبا بلغته وعن سليمان بن سحيم مما ذكره
القاضي عياض في الشفا قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت
يا رسول الله هولاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم
ولا شك ان حياة الانبيا عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مستمرة ونبينا
صلى الله عليه وسلم افضلهم واذا كان كذلك فينبغي ان تكون حياته صلى الله عليه
وسلم اكمل واتم من حياة سايرهم فان قال سقيم الطبع ردي الفهم لو كانت
حياته صلى الله عليه وسلم مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى كما قال
الا رد الله علي روحي يجاب عن ذلك باجوبة احدها ان هذا اعلام بثبوت
وصف الحياة دايما لثبوت رد السلام دايما فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم

واللازم يجب وجوده عند ملزومه او ملزوم ملزومه فوصفه لانه ثابت دائما لان ملزوم
ملزومه ثابت دائما وهذا من لطائف سحر البيان في اثبات المقصود باجل انواع البلاغة
واجل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى ومنها ان ذلك عبارة عن
اقبال خاص والتفات روحاني يحصل من الحضرة النبوية الى عالم الدنيا وقوالب الاجساد
الزائلة وتنزل الى دائرة البشرية حتى يحصل عنه ذلك رد السلام وهذا الاقبال يكون عاما
تاما حتى لو كان المسلمون في كل لمحة اكثر من الف الف لوسعهم ذلك الاقبال النبوي
والالتفات الروحاني ولقد رايت من ذلك ما لا استطيع ان اعبر عنه ولقد احسن من
شبه كيف يرد النبي صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه من مشارق الارض ومغاربها في
آن واحد فانشد قول ابي الطيب ..

كالشمس في وسط السما ونورها . يغشى البلاد مشارقا ومغاربا .

ولا ريب ان حاله صلى الله عليه وسلم في البرزخ افضل واكمل من حال الملائكة هذا سيدنا
عزرائيل عليه الصلاة والسلام يقبض مائة الف روح في وقت واحد ولا يشغله قبض عن
قبض وهو مع ذلك مشغول بالعبادة لله سبحانه وتعالى مقبل على التسبيح والتقديس فنبينا صلى الله
عليه وسلم حي يصلي ويعبد ربه ويشاهده لا يزال في حضرة اقترابه متلذذا بسماع خطابه
وقد تقدم الجواب عن قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون في اواخر الكفاية من المقصد
الرابع وقد روى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان ايام الحرة لم يؤذن في
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبرح سعيد ابن المسيب من المسجد وكان لا يعرف
وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكره ابن النجار
وابن زبالة بلفظ قال سعيد يعني ابن المسيب فلما حضرت الظهر سمعت الاذان
في القبر فصليت ركعتين ثم سمعت الاقامة فصليت الظهر ثم ذلك الاذان والاقامة
في القبر لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليالي ايام الحرة وقد روى البيهقي وغيره من
حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الانبيا احيا في قبورهم يصلون
وفي رواية ان الانبيا لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي
الله سبحانه وتعالى حتى ينفخ في الصور وله شواهد في صحيح مسلم منها قوله صلى الله
عليه وسلم مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره وفي حديث ابي ذر في قصة المعراج انه لقي
الانبيا في السموات وكلموه وكلمهم وقد ذكرت مزيد بيان لذلك في حجة الوداع من
مقصد عباداته وفي ذكر الخصائص الكريمة في مقصد معجزاته وفي مقصد الاسرا والمعراج
وهذه الصلوات والحج والعبادة من الانبيا ليس هي بسبيل التكليف انما هو على سبيل التلذذ
ويحتمل ان يكونوا في البرزخ ينسحب عليهم حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة
الاجور من غير خطاب بتكليف وبالله التوفيق واذا ثبت بشهادة قوله تعالى ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون حياة الشهيد

ثبتت

ثبتت للنبي صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى والذي عليه جمهور العلما ان الشهدا احيا
حقيقة وهل ذلك للروح فقط او للجسد معها بمعنى عدم البلا له فيه قولان وقد صح عن
جابر ان اباه وعمرو بن الجموح وكانا ممن استشهد باحد ودفنا في قبر واحد حتى حفر السيل قبرهما
فوجدا لم يتغيرا وكان احدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت
يده عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكان بين ذلك وبين احد ست واربعين سنة
وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال في شهدا احد والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد
الى يوم القيامة الا ردوا عليه رواه البيهقي عن ابي هريرة وقد قال ابن شهاب بلغنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الغرا واليوم الازهر فانهما يؤديان
عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا رواه ابو داود وابن ماجة ونقل ابن زبالة عن الحسن
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كلمه روح القدس لم يؤذن للارض ان تاكل من لحمه
وقد ثبت ان نبينا صلى الله عليه وسلم مات شهيدا من الاكلة يوم خيبر من شاة مسمومة
سما قاتلا من ساعته حتى مات منه بشر بن البرا وصار بقاؤه صلى الله عليه وسلم معجزة فكان به
الم السم يتعاهده الى ان مات به ولذا قال في مرض موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني
حتى كان الان قطعت ابهري والابهران عرقان يخرجان من القلب يتشعب منهما الشرايين
كما ذكره في الصحاح قال العلما فجمع الله سبحانه وتعالى له بذلك بين النبوة والشهادة انتهى وقد
اختلف في محل الوقوف للدعا فعند الشافعية انه قبالة وجهه كما ذكرته وقال ابن فرحون
من المالكية اختلف اصحابنا في محل الوقوف للدعا ففي الشفا قال مالك في رواية ابن وهب
اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف وجهه الى القبر الشريف لا الى القبلة وقد سال الخليفة
المنصور مالكا فقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه الصلاة
والسلام الى يوم القيامة وقال مالك في المبسوط لا ارى ان يقف عند القبر يدعو ولكن
يسلم ويمضي قال ابن فرحون ولعل ذلك اختلاف قول والذي امر المنصور بذلك لانه
يعلم ما يدعو به ويعلم اداب الدعا بين يديه صلى الله عليه وسلم فامن عليه من سوء
الادب فافتاه بذلك وافتى العامة ان يسلموا وينصرفوا لئلا يدعوا تلقا وجهه
الكريم ويتوسلوا به في حضرته الى الله العظيم فيما لا ينبغي الدعا به او فيما يكره او
يحرم فمقاصد الناس وسرائرهم مختلفة واكثرهم لا يقوم باداب الدعا ولا يعرفها
فلذلك امرهم مالك بالسلام والانصراف انتهى ورايت مما نسب للشيخ تقي
الدين بن تيمية في منسكه ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة ولا يصلي عليها ولا
يقبلها فان هذا كله منهي عنه باتفاق الائمة ومالك من اعظم الائمة كراهية لذلك
والحكاية المروية عنه انه امر المنصور ان يستقبل القبر وقت الدعا كذب على مالك
كذا قال والله سبحانه وتعالى اعلم انتهى واما قول الابوصيري في بردة المديح

لا طيب يعد تربا ضم أعظمه ... طوبى لمنتشق منه وملتثم

فقال شارحها العلامة ابن مرزوق وغيره كانه اشارة الى النوعين المستعملين في الطيب لانه انما يستعمل بالشم واليه اشار بقوله لمنتشق واما بالتضمخ واليه اشار بملتثم **قال** والقاري لكن لتعفير جبهته وانفه بتربته حال السجود في مسجده عليه الصلاة والسلام فليس المراد تقبيل القبر الشريف فانه مكروه ونقل الزركشي عن السيرافي ان طوبى الطيب ولذا قال ابن مرزوق طوبى فعلى من الطيب وهذا مبني على ان المراد ان تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك اشكال لانه كذلك في نفس الامر ادركه من ادركه ام لا واما باعتبار اعتقاد المومن في ذلك فان المومن لا يعد الشم رايحة تربته عليه الصلاة والسلام شيئا من الطيب **فان قلت** لو كان المراد الحقيقة الحسية لادركه ذلك كل احد **فالجواب** لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل احد بل حتى توجد الشرائط وتنتفي الموانع وعدم الادراك لا يدل على عدم المدرك وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فالمزكوم لا يدرك رايحة المسك مع ان رايحة المسك قائمة بالمسك لم تنتف **ولما كانت** احوال القبر من الامور الاخروية لا جرم لا يدركها من الاحياء الا من كشف الله تعالى له الغطاء من الاولياء المقربين لان متاع الاخرة باق ومن في الدنيا فان والفاني لا يتمتع بالباقي للتضاد ولا ريب عند من له ادنى تعلق بشريعة الاسلام ان قبره عليه الصلاة والسلام روضة من رياض الجنة بل افضلها **واذا كان** القبر كما ذكرناه وقد حوى جسمه الشريف عليه الصلاة والسلام الذي هو اطيب الطيب فلا مرية انه لا طيب يعد تراب قبره المقدس ورحم الله تعالى ابا العباس احمد بن محمد العزفي حيث يقول في قصيدته التي اولها

اذا ما حدى الحادي باجمال يثرب ... فكتب المطايا فوق خدي كعبق

ثم قال بعد ابيات

فما عبق الريحان الا وتربها ... اجل من الريحان طيبا واعبق

وله ايضا

زاحت ركايبهم تبدي روايحها ... طيبا فيا طيبا لوفد اشاحا

نسيم قبر النبي المصطفى لهم ... روح اذا انشروا من ذكره فاحا

ولله در القايل

فاح الصعيد بجسمه فكانه ... روض نسيم تعرفه المتارج

ما جسمه مما تغيره الثرى ... والروح منه كالصباح الابلج

وقال ابن بطال في قوله عليه الصلاة والسلام المدينة ينضح طيبها هو مثل ضربه للمومن المخلص الساكن فيها الصابر على لاوايها مع فراق الاهل والتزام المخافة من العدو فلما باع نفسه من الله سبحانه وتعالى والتزم هذا الامر بان صدقه ونصح

ايمانه وقوي لاغتباطه بسكنى المدينة وبقربه من رسوله صلى الله عليه وسلم كما ينصع ريح الطيب وفيها يزيد عبقا على سائر البلاد خصوصية خصها الله تعالى بها بلدة رسوله عليه الصلاة والسلام الذي اختارها وتربتها المباشرة جسده الطيب المطهر **وقد جاء** في الحديث ان المومن يقبر في التربة التي خلق منها فكانت بهذا تربة المدينة افضل الترب كما انه عليه الصلاة والسلام افضل البشر فلهذا والله سبحانه وتعالى اعلم يتضاعف ريح الطيب فيها على سائر البلاد انتهى **وينبغي** للزائر ان يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم فجدير بمن استشفع به ان يشفعه الله سبحانه وتعالى **واعلم** ان الاستغاثة هي طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث منه فلا فرق بين ان يعبر بلفظ الاستغاثة او التوسل او التشفع او التوجه او التجوه لانهما من الجاه والوجاهة ومعناه علو القدر والمنزلة **وقد يتوسل** بصاحب الجاه الى من هو اعلى منه ثم ان كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره في تحقيق النصرة ومصباح الظلام واقع في كل حال قبل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة **فاما** الحالة الاولى فحسبك ما قدمته في المقصد الاول من استشفاع ادم عليه الصلاة والسلام به لما اخرج من الجنة وقول الله سبحانه وتعالى له يا ادم لو استشفعت الينا بمحمد صلى الله عليه وسلم في اهل السموات والارض لشفعناك وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عند الحاكم والبيهقي وغيرهما واذ سالتني بحقه فقد غفرت لك ورحم الله سبحانه وتعالى ابن جابر حيث قال

به قد اجاب الله ادم اذ دعي ... ونجي في بطن السفينة نوح

وما ضرت النار الخليل لنوره ... ومن اجله نال الفداء ذبيح

رضي الله تعالى عنه وصحح اسناده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اقترف ادم الخطيئة قال يا رب اسالك بحق محمد صلى الله عليه وسلم لما غفرت لي قال الله تعالى يا ادم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال يا رب انك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت راسي فرايت قوايم العرش مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لا تضيف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله سبحانه وتعالى صدقت واذ سالتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك ذكره الطبري وزاد فيه وهو اخر الانبياء من ذريتك **واما التوسل** به بعد خلقه في مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام عند القحط وعدم الامطار وكذلك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك مما ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقاء **ومن ذلك** استغاثة ذوي العاهات به صلى الله عليه وسلم وحسبك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريرا اتاه

صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني قال فامره ان يتوضأ ويحسن وضوءه
ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم
نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك عز وجل في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في وصححه
البيهقي وزاد فقام وقد ابصر **واما التوسل به** صلى الله عليه وسلم بعد موته في البرزخ
فهو اكثر من ان يحصى او يدرك باستقصاء وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام
للشيخ ابي عبد الله ابن النعمان طرف من ذلك ولقد كان حصل لي داء اعيا دواؤه الاطباء
واقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الاولى
سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله تعالى شرفا ومن علي بالعود اليها في عافية
بلا محنة فبينا انا نائم اذا برجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء لداء احمد ابن القسطلاني
من الحضرة الشريفة بعد الاذن الشريف النبوي ثم استيقظت فلم اجد والله شيئا مما كنت اجده وحصل
الشفاء ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ووقع لي ايضا في سنة خمس وثمانين وثمانمائة في طريق
مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر اذ صرعت خادمتي غزال الحبشية واستمر بها
اياما فاستشفعت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فاتاني آت في منامي ومعه الجني
الصارع لها فقال لقد ارسله لك النبي صلى الله عليه وسلم فعاتبته وحلفته ان لا
يعود اليها ثم استيقظت وليس بها قلبة كانما نشطت من عقال ولا زالت في عافية
من ذلك حتى فارقتها بمكة سنة اربع وتسعين وثمانمائة والحمد لله رب العالمين **واما
التوسل به** صلى الله عليه وسلم في عرصات القيامة فمما قام عليه الاجماع وتواترت
به الاخبار في حديث الشفاعة فعليك ايها الطالب ادراك السعادة الموصل لحسن الحال
في حضرة الغيب والشهادة بالتعلق باذيال عطفه وكرمه والتطفل على موائد
نعمه والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف فهو الوسيلة الى نيل المعالي
واقتناص المرام والمفزع يوم الجزع والهلع لكافة الرسل الكرام واجعله اماما
فيما نزل بك من النوازل واماما فيما تحاول من القرب والمنازل فانك تظفر من المراد
باقصاه وتدرك رضى من احاط بكل شيء علما واحصاه واجتهد ما دمت بطيبة
الطيبة حسب طاقتك في تحصيل انواع القربات ولازم قرع ابواب السعادات باظافير
الطلبات وارق في مدارج العبادات ونحو سرادقات المرادات ۞

۞ تمتع ان ظفرت بنيل قرب ۞ وحصل ما استطعت من ادخار ۞
۞ فها انا قد اعدت لكم عطائي ۞ وها قد صرت عندي في جواري ۞
۞ فخذ ما شئت من كرم وجود ۞ ونل ما شئت من نعم غزار ۞
۞ فقد وسعت ابواب التداني ۞ وقد قربت للزوار داري ۞
۞ فمتع ناظريك بنا جمالي ۞ تجلى للقلوب بلا استتار ۞

ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم خصوصا بالروضة التي ثبت

انها

انها روضة من رياض الجنة كما رواه البخاري **قال** ابن ابي جمرة معناه تلك البقعة
بعينها في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة **ويحتمل** ان يكون المراد ان العمل فيها يوجب
لصاحبه روضة في الجنة قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا يعني احتمال كونها تنتقل الى الجنة وكون
العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال ولكل وجه منهما دليل يعضده ويقويه من
جهة النظر والقياس **اما الدليل** على ان العمل فيها يوجب روضة في الجنة فلانه اذا كانت
الصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام بالف مما سواها من المساجد فلهذه البقعة زيادة على باقي
البقع كما كان للمسجد زيادة على غيره **واما الدليل** على كونها بعينها في الجنة وكون المنبر
ايضا على الحوض كما اخبر عليه الصلاة والسلام فان الجذع في الجنة والجذع في البقعة نفسها فالعلة
التي اوجبت للجذع الجنة هي في البقعة سواء عليهما اذ كره بعد ان شاء الله سبحانه وتعالى والذي
اخبر بهذا الخبر ينبغي الحمل على اكمل الوجوه وهو الجمع بينهما لانه قد تقرر من قواعد الشرع
ان البقع المباركة ما فائدة بركتها والاخبار بها لنا الا لتعميرها بالطاعات فان الثواب
فيها اكثر وكذلك الايام المباركة ايضا فعلى هذا يكون الموضع روضة من رياض الجنة الان ويعود
روضة كما كان في موضعه ويكون للعامل فيه روضة في الجنة وهو الاظهر لوجهين احدهما العلو
منزلته عليه الصلاة والسلام ولما خص الخليل عليه الصلاة والسلام بالحجر من الجنة خص
الحبيب عليه الصلاة والسلام بالروضة من الجنة **وهاهنا بحث** لم جعلت هذه البقعة
من بين سائر البقع روضة من رياض الجنة فان قلنا تعبد فلا بحث وان قلنا لحكمة فحينئذ
يحتاج الى البحث والاظهر انها لحكمة ومعلوم انه قد سبق في العلم الرباني باظهار الله عز وجل
فضله على جميع خلقه وان كل من كان منه بنسبة ما من جميع المخلوقات يكون له تفضيل
على جنسه كما استقرئ في كل اموره من بدء ظهوره عليه الصلاة والسلام الى حين وفاته
في الجاهلية ولهذا ملك قومها ما كان من شان امه وما نالها من بركته مع الجاهلية الجهلاء
حسب ما هو مذكور معلوم ومثل ذلك حليمة السعدية وحتى الاتان وحتى البقعة التي
تحمل الاتان بدا بها عليها تخضر من حينها وما هو من ذلك كله معلوم وكان مشيه عليه
الصلاة والسلام حيث ما مشى ظهرت البركات مع ذلك كله وحيث وضع عليه الصلاة
والسلام يده المباركة ظهر في ذلك كله من الخيرات والبركات حسا ومعنى كما هو منقول معروف
ولما شاءت القدرة انه عليه الصلاة والسلام لا بد له من بيت ولا بد له من منبر وانه
بالضرورة يكثر تردده عليه الصلاة والسلام بين المنبر والبيت نالت الحرمة التي اعطيت الكائنات
من مشية واحدة بمباشرة او بواسطة حيوان او غيره تظهر البركة والخير فكيف مع
كثرة تردده عليه الصلاة والسلام في البقعة الواحدة مرارا في اليوم الواحد طول
عمره من وقت هجرته الى حين وفاته فلم يبق لها من الترفيع بالنسبة الى عالمها
اعلاها وصفا وهو ان تكون من الجنة وتعود اليها وهي الان منها وللعامل فيها مثلها
فلو كانت مرتبة يمكن ان تكون ارفع من هذه في هذه الدار لكانت لهذه اعلا مرتبة

مما ذكرناه في فضلها فان احتج محتج لافضلية بان يقول ينبغي ان يكون ذلك للمدينة
بكمالها لانه عليه الصلاة والسلام كان يطؤها بقدمه مرارا فالجواب انه قد حصل للمدينة
تفضيل لم يحصل لغيرها من ذلك ان ترابها شفا كما اخبر عليه الصلاة والسلام مع ما شاركته
فيه البقعة المكرمة من منعها من الدجال وتلك الفتن العظام وانه صلى الله عليه وسلم
اول ما يشفع لاهلها يوم القيامة وان ما كان بها من الوبا والحمى دفع عنها وانه بورك في
طعامها وترابها واشيا كثيرة فكان التفضيل لها بنسبة ما اشرنا اليه او كان ترداده
عليه الصلاة والسلام للمسجد لنفسه اكثر مما في المدينة لغيرها وتردده عليه الصلاة والسلام
فيما بين المنبر والبيت اكثر مما سواه من سائر المسجد فالبحث تاكد بالاعتراض لان نفحات البركة
متتابعة لتكرار سلوكه وخطواته المباركة فالقرب من تلك النسبة المرتفعة لا خفا
فيه الا على من هو اعمى البصيرة فالمدينة ارفع المدن والمسجد ارفع المساجد والبقعة ارفع
البقع قضية معلومة وحجة ظاهرة موجودة انتهى وقال الخطابي المراد من هذا الحديث الترغيب
في سكنى المدينة وان من لازم ذكر الله عز وجل في مسجده آل به الى روضة الجنة وسقي يوم القيامة
من الحوض انتهى وتقدم في الخصايص من مقصد المعجزات مزيد لذلك وعند مسلم
من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة
في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وقد اختلف
العلما في المراد بهذا الاستثنا على حسب اختلافهم في مكة والمدينة ايهما افضل فمذهب
سفيان بن عيينة والشافعي واحمد في اصح الروايتين عنه وابن وهب ومطرف وابن حبيب
الثلاثة من المالكية وحكاه الساجي عن عطا ابن ابي رباح والمكيين والكوفيين وحكاه
ابن عبد البر عن عمر وعلي وابن مسعود وابي الدردا وجابر وابن الزبير وقتادة وجماهير
العلما ان مكة افضل من المدينة وان مسجد مكة افضل من مسجد المدينة لان الامكنة
تشرف بفضل العبادات فيها على غيرها مما تكون العبادة فيه مرجوحة وقد حكى ابن
عبد البر انه روي عن مالك ما يدل على ان مكة افضل الارض كلها قال ولكن المشهور عن
اصحابه في مذهبه تفضيل المدينة انتهى قال وقال مالك المدينة ومسجدها افضل
ومما احتج به اصحابنا لتفضيل مكة حديث عبد الله ابن الحمرا انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته يقول والله انك لخير ارض الله واحب
الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت قال الترمذي حسن صحيح وقال ابن عبد
البر هذا اصح الآثار عنه صلى الله عليه وسلم قال وهذا قاطع في محل الخلاف انتهى
فعند الشافعي والجمهور معناه الا المسجد الحرام فان الصلاة فيه افضل من الصلاة
في مسجدي وعند مالك وموافقيه الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجدي تفضله
بدون الالف وعن عبد الله ابن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في
مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة

في المسجد الحرام افضل من مائة صلاة في هذا رواه احمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه
وزاد يعني في مسجد المدينة والبزار ولفظه وصلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة
فيما سواه الا المسجد الحرام فانه يزيد عليه مائة قال المنذري واسناده صحيح ايضا ومما
يستدل به المالكية ما ذكره ابن حبيب في الواضحة انه صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي
كالف صلاة فيما سواه وجمعة في مسجدي كالف جمعة فيما سواه ورمضان في مسجدي
كالف رمضان فيما سواه ومذهب عمر ابن الخطاب وبعض الصحابة واكثر المدنيين كما قاله
القاضي عياض ان المدينة افضل وهو احد الروايتين عن احمد واجمعوا على ان الموضع الذي
ضم اعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة كما قاله
ابن عساكر والباجي والقاضي عياض والتاج السبكي كما ذكره والسيد السمهودي في
فضايل المدينة عن ابن عقيل الحنبلي انها افضل من العرش وصرح الفاكهاني بتفضيلها
على السموات ولفظه واقول انا وافضل من بقاع السموات ايضا قال ولم ار من تعرض
لذلك والذي اعتقده لو ان ذلك عرض على علما الامة لم يختلفوا فيه وقد جاء ان السموات
شرفت بمواطي قدميه بل لو قال قائل ان جميع بقاع الارض افضل من جميع بقاع السما لشرفها
لكونه صلى الله عليه وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو عندي الظاهر المتعين انتهى وحكاه
بعضهم عن الاكثر من خلق الانبيا عليهم الصلاة والسلام منها ودفنهم فيها لكن قال النووي
ان الجمهور على تفضيل السما على الارض اي ما عدا ما ضم الاعضا الشريفة وقد استشكل
ما ذكر من الاجماع على افضلية ما ضم اعضاءه الشريفة على جميع بقاع الارض ويؤيده
ما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام في تفضيل بعض الاماكن على بعض من ان الاماكن والازمان
كلها متساوية ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قائمة بهما قال ويرجع تفضيلهما الى ما ينيل
فيهما من فضله وكرمه والتفضيل الذي فيهما ان الله سبحانه وتعالى يجود على عباده بتفضيل
اجر العاملين فيهما انتهى ملخصا لكن تعقبه الشيخ تقي الدين السبكي بما حاصله ان
الذي قاله لا ينبغي ان يكون التفضيل لامر آخر فيهما وان لم يكن عمل لان قبر النبي صلى
الله عليه وسلم ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله من المحبة ولساكنه
ما تقصر العقول عن ادراكه وليس لمكان غيره فكيف لا يكون افضل وليس محل عمل
لنا لانه ليس مسجدا ولا له حكم المسجد بل هو مستحق للنبي صلى الله عليه وسلم وايضا
فقد تكون الاعمال مضاعفة فيه باعتبار ان النبي صلى الله عليه وسلم حي كما تقرر
وان اعماله مضاعفة اكثر من كل احد فلا يختص التضعيف باعمالنا نحن قال
ومن فهم هذا انشرح صدره لما قاله القاضي عياض من تفضيل ما ضم اعضاءه
الشريفة صلى الله عليه وسلم باعتبارين احدهما ما قيل ان كل احد يدفن
في الموضع الذي خلق منه والثاني تنزل الرحمة والبركات عليه واقبال الله
تعالى ولو سلمنا ان الفضل للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلى الله عليه وسلم

انتهى وقد روى ابو يعلى عن ابي بكر انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبض
نبي الا في احب الامكنة اليه ولا شك ان احبها اليه احبها الى ربه تعالى لان حبه
تابع لحب ربه جل وعلا وما كان احب الى الله فكيف لا يكون افضل وقد قال عليه الصلاة
والسلام اللهم ان ابراهيم قد دعاك لمكة واني ادعوك للمدينة بمثل ما دعا ابراهيم
لمكة ومثله معه ولا ريب ان دعا النبي صلى الله عليه وسلم افضل من دعا ابراهيم لان
فضل الدعا على قدر فضل الداعي وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم حبب الينا المدينة
كحبنا مكة او اشد وفي رواية بل اشد وقد اجيبت دعوته حتى كان يحرك دابته اذا
راها من حبها وروى الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي
فاسكني في احب البقاع اليك اي في موضع تصيره كذلك فيجتمع فيه الحبان قيل منعه ابن
عبد البر ولو سلمت صحته فالمراد احب اليك بعد مكة لحديث ان مكة خير بلاد الله
وفي رواية احب ارض الله الى الله ولزيادة التضعيف لمسجد مكة وتعقبه العلامة السيد
السمهودي بان ما ذكره لا يقتضي صرفه عن ظاهره اذ القصد به الدعا لدار هجرته بان يصيرها
الله كذلك وحديث ان مكة خير بلاد الله محمول على ما قبل الامر قبل ثبوت الفضل
للمدينة واظهار الدين وافتتاح البلاد منها حتى مكة فقد اتاها الله تعالى وانالها
ما لم يكن لغيرها من البلاد فظهر اجابة دعوته وصيرورتها احب مطلقا بعد ولهذا
افترض الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم الاقامة بها وحث هو
صلى الله عليه وسلم على الاقتدا به في سكناها والموت بها فكيف لا تكون افضل
قال واما مزيد المضاعفة فاسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك فالصلوات الخمس بمنى
للمتوجه لعرفة افضل منها بمسجد مكة وان انتفت عنها المضاعفة اذ في الاتباع
ما يربو عليها ومذهبنا شمول المضاعفة للتطوع مع تفضيله بالمنزل ولهذا قال
عمر رضي الله تعالى عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة مع قوله بتفضيل المدينة ولم
يصب من اخذ من قوله بمزيد المضاعفة تفضيل مكة اذ غايته ان للمفضول
مزية ليست للفاضل مع ان دعاه صلى الله عليه وسلم بمزيد تضعيف البركة
بالمدينة على مكة شامل للامور الدينية ايضا وقد يبارك في العدد القليل
فيربو نفعه على الكثير ولهذا استدل به على تفضيل المدينة وان اريد من
حديث المضاعفة الكعبة فقط فالجواب ان الكلام فيما عداها فلا يرد
شي مما جا في فضلها لانها بمكة من مواضع الشك لتعلقه بها ولذا قال
عمر لعبد الله المخزومي انت القايل لمكة خير من المدينة فقال عبد الله هي حرم الله
وامنه وفيها بيته فقال عمر لا اقول في حرم الله وبيته شيا ثم كرر عمر قوله
الاول فاعاد جوابه فقال له لا اقول في حرم الله وبيته شيا فاشار الى عبد الله
فانصرف وقد عوضت المدينة عن العمرة ما صح في اتيان مسجد قبا وعن

الحج

الحج ما جا في فضل الزيارة والمسجد والاقامة بعد النبوة بالمدينة وان كانت اقل من مكة
على القول به فقد كانت سببا لاعزاز الدين واظهاره وتنزل اكثر الفرايض واكمال الدين
حتى كثر تردد جبريل عليه السلام بها ثم استقر بها صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة ولهذا
قيل لمالك ايما احب اليك المقام هنا يعني بالمدينة او مكة فقال هاهنا وكيف لا اختار
المدينة وما بها طريق الا سلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل ينزل عليه من رب العالمين
في اقل من ساعة وروى الطبراني حديث المدينة خير من مكة وفي رواية للجندي افضل من
مكة وفيه محمد ابن عبد الرحمن الرداد ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان يخطي وقال
ابو زرعة لين وقال ابن عدي رواياته ليست محفوظة وقال ابو حاتم ليس بالقوي وفي الصحيحين
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القرى يقولون يثرب
وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد اي امرني الله تعالى بالهجرة اليها ان
كان قاله عليه الصلاة والسلام بمكة او بسكناها ان كان قاله بالمدينة وقال القاضي
عبد الوهاب لا معنى لقوله تاكل القرى الا رجوح فضلها عليها اي على القرى وزيادتها على غيرها
وقال ابن المنير يحتمل ان يكون المراد بذلك غلبة فضلها على غيرها اي ان الفضايل تضمحل
في جنب عظيم فضلها حتى تكون عدما وهذا ابلغ من تسمية مكة ام القرى لان الامومة لا ينمحي
معها ما هي له ام لكن يكون لها حق الامومة انتهى ويحتمل ان يكون المراد غلبة اهلها
على القرى والاقرب حمله عليهما اذ هو ابلغ في الغرض المسوق له انتهى ما قاله السيد السمهودي
وقد اطلت في الاحتجاج لتفضيل المدينة على مكة وان كان مذهب امامنا الشافعي
رحمه الله تعالى تفضيل مكة لان هوى كل نفس اين حل حبيبها

على الربع العامرية وقفة • ليملي علي الشوق والدمع كاتب •
ومن مذهبي حب الديار لاهلها • وللناس فيما يعشقون مذاهب •

على ان للعلم في ارجا تفضيل المدينة مجالا واسعا ومقالا جامعا لكن الرغبة في الاختصار
تطوي اطراف بساطه والرهبة في الاكثار تصد عن تطويله وافراطه وقد
استنبط العارف ابن ابي جمرة من قوله عليه الصلاة والسلام المروي
في البخاري ليس من بلد الا سيطاه الدجال الا مكة والمدينة التساوي بين مكة
والمدينة قال وظاهر هذا الحديث يعطي التسوية بينهما في الفضل لان جميع الارض يطاها
الدجال الا هذين البلدين فدل على تسويتهما في الفضل قال ويوكد ذلك ايضا
من وجوه النظر لانه ان كانت خصت المدينة بمدفنه عليه الصلاة والسلام
واقامته بها ومسجده فقد خصت مكة بمسقطه عليه الصلاة والسلام ومبعثه
منها وهي قبلته فمطلع الشمس ذاته الكريمة المباركة مكة ومغربها المدينة واقامته
بعد النبوة على المشهور من الاقاويل بمكة مثل اقامته عليه الصلاة والسلام بالمدينة
عشر سنين في كل واحدة منهما كذا قال وانت اذا تاملت قوله عليه الصلاة

والسلام نبيا رواه مسلم من حديث سعد يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه
وقريبه هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج
احد رغبة عنها الا اخلف الله فيها خيرا منه ظاهر ذلك ان فيه اشعارا بذم الخروج من المدينة
بل نقل الشيخ محب الدين الطبري عن قوم انه عام ابدا مطلقا وقال انه ظاهر اللفظ
وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على
لاواء المدينة وشدتها احد من امتي الا كنت له شفيعا يوم القيامة او شهيدا **وفيه**
عن سعيد مولى المهري انه جاء الى ابي سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره في الجلاء من المدينة
وشكى اليه اسعارها وكثرة عياله واخبره انه لا صبر له على جهد المدينة ولاوائها فقال
ويحك لا آمرك بذلك اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصبر احد على لاوائها
الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة **واللاواء** بالمد الشدة والجوع واو في قوله الا
كنت له شفيعا او شهيدا الاظهر انها ليست للشك لان هذا الحديث رواه جابر ابن عبد
الله وسعد ابن ابي وقاص وابن عمر وابو سعيد وابو هريرة واسماء بنت عميس وصفية بنت ابي
عبيد عنه بهذا اللفظ ويبعد اتفاق جميعهم او رواتهم على الشك وتطابقهم فيه على
صيغة واحدة بل الاظهر انه قاله عليه الصلاة والسلام ويكون او للتقسيم ويكون شهيدا
لبعض اهل المدينة وشفيعا لباقيهم اما شفيعا للعاصين وشهيدا للمطيعين واما شهيدا
لمن مات في حياته وشفيعا لمن مات بعده او غير ذلك وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة
للمذنبين او للعالمين في القيامة وعلى شهادته على جميع الامم فيكون
لتخصيصهم بهذا كله علو مرتبة او زيادة منزلة وحظوة **واذا قلنا** او للشك
فان كانت اللفظة الصحيحة شهيدا اندفع الاعتراض لانها زائدة على الشفاعة
المدخرة لغيرهم وان كانت اللفظة الصحيحة شفيعا فاختصاص اهل المدينة
بهذا مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الامة ان هذه شفاعة اخرى غير العامة
ويكون هذه الشفاعة لاهل المدينة بزيادة الدرجات او تخفيف الحساب
او بما شاء الله تعالى من ذلك او باكرامهم يوم القيامة بانواع الكرامات لكونهم
على منابر او في ظل العرش او الاسراع بهم الى الجنة او غير ذلك من خصوص
الكرامات كيف لا يتحمل المشقات من يحب ان يتمتع بسيد اهل الارض والسموات
وينال ما وعده به من جزيل المثوبات وجسيم الهبات وانجاز وعده الصادق
وبشفاعته وشهادته وبلوغ قصده في المحيا والممات وكم عسى يكون شدة
المدينة ولاواها والى متى تستمر مشقتها وبلواها لو تاملت يا هذا لوجدت
في البلاد ما هو في الشدة وشظف العيش مثلها او اشق منها واهلها مقيمون
فيها وربما يوجد منهم من هو قادر على الانتقال فلا ينتقل وقوي على الرحلة
فلا يرتحل ويؤثر وطنه مع امكان الارتحال والقدرة على الانتقال على

ان

ان المدينة مع شظف العيش بها في غالب الاحيان قد وسع الله تعالى فيها على
بعض السكان حتى من اصحابنا من غير اهلها ممن استوطنها وحسن فيها حاله وتنعم
بها باله دون سائر البلدان فان رزق الله تعالى على المرء بمقدار ذلك دفنا لك والا فالصبر
لمرها ولو لم يمن وفقه الله تعالى صبره في اقامته بها ولو على احر من الجمر فيتجرع
مرارة غصتها ليجتلي عروس منصتها ويلقى بزرا من لاوائها اليوقي بذلك من
مصايب الدنيا وبلاياها **وقد** روى البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الايمان ليارز الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها اي ينقبض وينضم ويلتجي
مع انها اصل في انتشاره فكل مؤمن له من نفسه سائق اليها في جميع الازمان لحبه في ساكنها
صلى الله عليه وسلم فاكرم بسكانها ولو قيل في بعضهم ما قيل فقد حظوا بشرف المجاورة لهذا
الحبيب الجليل **فقد ثبت** لهم حق الجوار وان عظمت اساتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار
وقد عمم عليه الصلاة والسلام في قوله ما زال جبريل يوصيني بالجار ولم يخص جارا دون
جار كما احتج به بعض من رمى بعض عوامهم السنية بالابتداع وترك الاتباع فانه اذا ثبت
ذلك في شخص منهم فلا يترك اكرامه ولا ينتقص احترامه فانه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار
ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار كيف ما دار بل يرجى ان يختم له بالحسنى ويمنح
بهذا القرب الصوري قرب المعنى

فيا ساكني اكناف طيبة كلكم • الى القلب من اجل الحبيب حبيب

ولله در ابن جابر رحمه الله تعالى حيث قال

هنيئا لكم يا اهل طيبة قد حقا • فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم الى سواها • وان جار الزمان ولو شقا
فكم ملك رام الوصول لمثلها • وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكم نلتم عناية ربكم • فها انتم في بحر نعمته غرقا
تردون رسول الله في كل ساعة • ومن يره فهو السعيد به حقا
متى جيتموه لا يغلق الباب دونكم • وباب ذوي الاحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم • ولا يمنع الاحسان حرا ولا رقا
بطيبة مثواكم واكرم مرسل • يلاحظكم فالدهر يجري لكم رفقا
وكم نعمة لله فيها عليكم • فشكرا ونعم الله بالشكر تستبقى
امنتم من الدجال فيها فحولها • ملائكة يحمون من دونها الطرقا
كذلك من الطاعون انتم بمامن • فوجه الليالي لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا الا لوجه حبيبكم • وان جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموتا تحت رحماه انتم • وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقى
فيا راحلا عنها لدنيا يريدها • اتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى

أتخرج من حرز النبي وحوزه * إلى غيره تشفيه شكك قد خفا
لئن سرت تبغي من كريم إعانة * فأكرم من خير البرية ما تلقى
هو الرزق مقسوم فليس بزائد * ولو سرت حتى كدت تخترق الأفقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه * ومن عاجل قد ضاق بين الورى رزقا
تعيش في حمى خير الأنام ومت به * إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقى
إذا مت فيما بين قبر ومنبر * بطيبة فاعرف أين منزلك الأرقى
لقد أسعد الرحمن جار محمد * ومن جار في ترحاله فهو الأشقى

وقد روى الترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى الترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها ورواه الطبراني في الكبير من حديث سبيعة الأسلمية وفي البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة المسيح الدجال ولا الطاعون وفيه عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان قال في فتح الباري وقد استشكل عدم دخول الطاعون المدينة مع كونه شهادة وكيف قرن بالدجال ومدحت المدينة بعدم دخولهما وأجيب بأن كون الطاعون شهادة ليس المراد بوصفه بذلك ذاته وإنما المراد أن ذلك يترتب عليه وينشأ عنه لكونه سببه فإذا استحضر ما تقدم في المقصد الثامن من أنه طعن الجن حسن مدح المدينة بعدم دخوله إياها فإن فيه إشارة إلى أن كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة ومن اتفق دخوله فيها لا يتمكن من طعن أحد منهم وقد أجاب القرطبي في المفهم عن ذلك فقال المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها كطاعون عمواس والجارف وهذا الذي قاله يقتضي أنه دخلها في الجملة وليس كذلك فقد جزم ابن قتيبة في المعارف وتبعه جمع منهم الشيخ محيي الدين النواوي في الأذكار بأن الطاعون لم يدخل المدينة أصلا ولا مكة أيضا لكن نقل جماعة أنه دخل مكة الطاعون في العام الذي كان في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بخلاف المدينة فلم يذكر أحد أنه وقع الطاعون بها أصلا وأجاب بعضهم بأنه عليه الصلاة والسلام عوضهم عن الطاعون بالحمى لأن الطاعون يأتي مرة بعد مرة والحمى تتكرر في كل حين فيتعادلان في الأجر ويتم المراد من عدم دخول الطاعون قال الحافظ ابن حجر ويظهر لي جواب آخر بعد استحضار الذي أخرجه أحمد من رواية أبي عسيب بمهملتين آخره موحدة بوزن عظيم رفعه أتاني جبريل بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام وهو أن الحكمة في ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة

كان

كان في قلة من أصحابه عددا ومددا وكانت المدينة وبيئة كما في حديث عائشة ثم خير صلى الله عليه وسلم في أمرين يحصل بكل منهما الأجر الجزيل فاختار الحمى حينئذ لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج إلى جهاد الكفار وأذن له في القتال كانت قضية استمرار الحمى بالمدينة تضعف أجساد الذين يحتاجون إلى التقوية لأجل الجهاد فدعى بنقل الحمى من المدينة إلى الجحفة فعادت المدينة أصح بلاد الله بعد أن كانت بخلاف ذلك ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون حصلت له بالقتل في سبيل الله ومن فاته ذلك حصلت له بالحمى التي هي حظ المؤمن من النار ثم استمر ذلك بالمدينة تمييزا لها عن غيرها لتحقق إجابة دعوته وظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره في هذه المدة المتطاولة فكان منع دخول الطاعون من خصائصها ولوازم دعائه صلى الله عليه وسلم بالصحة وقال بعضهم هذا من المعجزات المحمدية لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن قرية وقد امتنع الطاعون من المدينة هذه الدهور الطويلة انتهى ملخصا والله سبحانه وتعالى أعلم ومن خصائصها أن غبارها شفاء من الجذام والبرص بل من كل داء كما رواه رزين العبدري في جامعه من حديث سعد زاد في حديث ابن عمر وعجوتها شفاء من السم ونقل البغوي عن ابن عباس في قوله تعالى لنبوئنهم في الدنيا حسنة أنها المدينة وذكر ابن النجار تعليقا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن وروى الطبراني في الأوسط بسند لا بأس به عن أبي هريرة يرفعه المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومثوى الحلال والحرام وبالجملة فكل المدينة ترابها وطرقها وفجاجها ودورها وما حولها قد شملته بركته صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يتبركون بدخوله منازلهم ويدعونه إليها وإلى الصلاة في بيوتهم ولذلك امتنع مالك رحمه الله تعالى من ركوب دابة بالمدينة وقال لا أطأ بحافر دابة في عراص كان صلى الله عليه وسلم يمشي فيها بقدميه صلى الله عليه وسلم وينبغي أن يأتي مسجد قباء للصلاة فيه والزيارة فقد كان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا وفي رواية له يأتيه كل سبت يزوره فيصلي فيه ركعتين وعنده أيضا أن ابن عمر كان يأتيه كل سبت ويقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت وعند الترمذي وابن ماجة والبيهقي من حديث أسيد بن ظهير الأنصاري يرفعه صلاة في مسجد قباء كعمرة قال الترمذي حسن غريب وقال المنذري لا نعرف لأسيد حديثا صحيحا غير هذا ورواه أحمد وابن ماجة من حديث سهل بن حنيف بلفظ من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة وصححه الحاكم وينبغي أيضا بعد زيارته صلى الله عليه وسلم أن يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة والآثار المباركة والمساجد التي صلى فيها

الصحابة

عليه الصلاة والسلام التماسا لبركته ويخرج الى البقيع لزيارة من فيه فان اكثر
ممن توفي من صحابته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته مدفونون بالبقيع وكذلك
سادات اهل البيت والتابعين ويروى عن مالك انه قال مات بالمدينة من الصحابة
عشرة الاف وكذا اكثر امهات المومنين سوى خديجة فانها بمكة وميمونة فانها بسرف
وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج اخر الليل الى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم
مومنين رواه مسلم قال ابن الحاج في المدخل وقد فرق علماونا بين الافاقي والمقيم في التنفل
بالطواف والصلاة فقالوا الطواف في حق الافاقي افضل والتنفل في حق المقيم افضل قال وما
نحن بسبيله من باب اولى فيكون معظم خروجه الى زيارة اهل البقيع ومن كان مسافرا فليغتنم
مشاهدته عليه الصلاة والسلام وحكي عن العارف ابن ابي جمرة انه لما دخل المسجد
النبوي لم يجلس الا الجلوس في الصلاة وانه لم يزل واقفا بين يديه صلوات الله وسلامه
عليه وكان قد خطر له ان يذهب الى البقيع فقال الى اين اذهب فقال هذا باب
الله المفتوح للسائلين والطالبين والمنكرين انتهى وروى ابن النجار مرفوعا
مقبرتان مضيئتان لاهل السما كما تضي الشمس والقمر لاهل الدنيا بقيع الغرقد
ومقبرة بعسقلان وعن كعب الاحبار قال نجدها في التوراة يعني مقبرة المدينة كفتة
محفوفة بالنخيل موكل بها ملايكة كلما امتلات اخذوا فكفاوها في الجنة واخرج
ابو حاتم من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق عنه
الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي البقيع فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة حتى يحشرون
بين الحرمين الفصل الثالث في تفضيله عليه الصلاة والسلام في الاخرة
بفضايل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلو الدرجات وتمييزه بالشفاعة
والمقام المحمود المغبوط عليه من الاولين والاخرين وانفراده بالسودد في مجمع
مجامع الانبيا والمرسلين وترقيه في جنة عدن ارقى مدارج السعادة ۝
وتعاليه في يوم المزيد في اعلا معالي الحسنى وزيادة اعلم ان الله سبحانه وتعالى
لما فضل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في البداء بان جعله اول الانبيا في
الخلق واولهم في الاجابة في عالم الذر يوم الست بربكم فضله ختم كمال الفضايل
في العود فجعله اول من تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع واول من يوذن
له بالسجود واول من ينظر الى رب العالمين والخلق محجوبون عن رويته اذ ذاك
واول الانبيا يقضي بين امته واولهم اجازة على الصراط بامته واول داخل الجنة
وامته اول الامم دخولا اليها وزاده من لطايف التحف ونفايس الطرف ما لا عين
ولا بعد فمن ذلك انه يبعث راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود ولواء الحمد تحته
ادم فمن دونه من الانبيا واختصاصه ايضا بالسجود لله تعالى امام العرش
وما يفتحه الله تعالى عليه في سجوده من التحميد والثناء عليه بما لم يفتحه على احد قبله

ولا يفتحه على احد بعده زيادة في كرامته وقربه ويكلمه الله تعالى له يا محمد ارفع راسك
وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع ولا كرامة فوق هذا الا النظر اليه سبحانه وتعالى
ومن ذلك تكراره في الشفاعة وسجوده ثانية وثالثة وتجديد الثنا عليه والتحميد بما
يفتح الله عليه من ذلك ويكلمه الله تعالى له في كل سجدة يا محمد ارفع راسك وقل تسمع واشفع
تشفع فعلا المنزل على ربه الكريم علية الرفيع عنده المحبب ذكر سنه تزاياده وتكريما
وتبجيلا وتعظيما ومن ذلك قيامه عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام
غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون وشهادته بين الانبيا واممهم واتيانهم اليه يسالونه الشفاعة
ليخرجهم من غمهم وكربهم وطول وقوفهم وشفاعته في اقوام قد امر بهم الى النار ومنها
الحوض الذي ليس في الموقف اكثر واردا منه وان المومنين كلهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته
ومنها انه يشفع في رفع درجات اقوام لا تبلغها اعمالهم وهو صاحب الوسيلة
التي هي اعلا منزلة في الجنة الى غير ذلك مما يزيده تعالى به جلالة وتعظيما وتبجيلا
وتكريما على روس الاشهاد من الاولين والاخرين والملايكة اجمعين ذلك فضل الله يوتيه
من يشا والله ذو الفضل العظيم فاما تفضيله صلى الله عليه وسلم باولية انشقاق القبر
المقدس ففي مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد
ولد ادم يوم القيامة وانا اول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وفي حديث
ابي سعيد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم
القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا
اول من تنشق عنه الارض ولا فخر رواه الترمذي وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي اهل البقيع فيحشرون ثم
انتظر اهل مكة حتى احشر بين الحرمين قال الترمذي حسن صحيح ورواه ابو حاتم
وقال حتى يحشر ونتقدم وعن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يصعق الناس
حين يصعقون فاكون اول من قام فاذا موسى اخذ بالعرش فما ادري اكان فيمن صعق
وفي رواية فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان
موسى فيمن صعق فافاق قبلي او كان ممن استثنى الله سبحانه وتعالى رواه البخاري
والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتا او راى شيا يفزع منه ولم يبين ان هذه
الرواية من الطريقين محل الافاقة من اي الصعقتين ووقع في رواية الشعبي
عن ابي هريرة في تفسير سورة الزمر اني اول من يرفع راسه بعد النفخة الاخيرة
والمراد بقوله ممن استثنى الله قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض
الا من شا الله وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع ان الموتى لا احساس
لهم فقيل المراد الذين يصعقون هم الاحيا واما الموتى فهم ممن استثنى الله تعالى
في قوله الا من شا الله اي الا من سبقت له الموت قبل ذلك فانه لا يصعقوا الى هذا

جنح القرطبي ولا يعارضه ما ورد في الحديث ان موسى ممن استثنى الله لان الانبيا احياء عند
الله تعالى وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق
السماء والارض وتعقبه القرطبي بانه صرح صلى الله عليه وسلم بانه يخرج من قبره فيلقى
موسى وهو متعلق بالعرش وهذا انما هو عند نفخة البعث انتهى ووقع في رواية ابي سلمة
عند ابن مردويه انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيامة فانفض التراب عن راسي
فاتي قائمة العرش فاجد موسى قائما عندها فلا ادري انفض التراب قبلي او كان ممن استثنى
الله واختلف في المستثنى من هو على عشرة اقوال فقيل الملائكة وقيل الانبياء وبه قال البيهقي
في تاويل الحديث في تجويزه بان يكون موسى ممن استثنى الله قال ووجهه عندي انهم احياء
كالشهداء فاذا نفخ في الصور الاولى صعقوا ثم لا يكون موتا في جميع الا في ذهاب
الاستشعار وقيل الشهداء واختاره الحليمي قال وهو مروي عن ابن عباس فان الله تعالى
يقول احياء عند ربهم يرزقون وضعف غيره من الاقوال وقال ابو العباس القرطبي صاحب
المفهم الصحيح انه لم يات في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل وتعقبه تلميذه في التذكرة
فقال قد ورد حديث ابي هريرة بانهم الشهداء وهو الصحيح وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سال جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية من الذين لم يشا
الله ان يصعقوا قال هم الشهداء صححه الحاكم وقيل حملة العرش وجبريل وميكائيل
وملك الموت ثم يموتون واخرهم ملك الموت وقيل هم الحور العين والولدان
في الجنة وتعقب بان حملة العرش ليسوا من سكان السموات والارض لان العرش
فوق السموات كلها وبان جبريل وميكائيل وملك الموت من الصافين المسبحين وبان
الحور العين والولدان من الجنة وهي فوق السموات ودون العرش وهي بانفرادها
عالم مخلوق للبقاء فلا شك انها بمعزل عما خلق للفناء ثم انه وردت الاخبار بان
الله تعالى يميت حملة العرش وملك الموت وميكائيل ثم يحييهم واما اهل الجنة فلم يات
عنهم خبر ولا اثر والاظهر انها دار خلود فالذي يدخلها لا يموت فيها ابدا مع كونه
قابلا للموت فالذي خلق فيها اولى ان لا يموت فيها ابدا فان قلت كل شيء هالك الا وجهه
يدل على ان الجنة تفنى ثم تعاد ليوم الجزاء وتموت الحور العين ثم يحيون
اجيب بانه يحتمل ان يكون معنى قوله كل شيء هالك اي انه قابل للهلاك فيهلك
ان اراد الله به ذلك الا هو سبحانه وتعالى فانه قديم والقديم لا يمكن ان
يفنى انتهى ملخصا من تذكرة القرطبي ويؤيد القول بعدم موت الحور العين
قولهن نحن الخالدات فلا نموت كما في الحديث من قولهن الخلود الكاين
بعد القيامة ولا يقال انه لا خصوصية فيه والا ومنافاة المشتركة لا تنتبه لها بها
والله سبحانه وتعالى اعلم وفي كتاب العظمة لابي الشيخ ابن حيان من طريق وهب
ابن منبه من قوله خلق الله تعالى الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة

ثم

ثم قال للعرش خذ الصور فتعلق به ثم قال كن فكان اسرافيل فامره ان ياخذ الصور
فاخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة فذكر الحديث وفيه ثم
تجتمع الارواح كلها في الصور ثم يامر الله اسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل روح في جسدها
فعلى هذا فالنفخ ينفخ في الصور ولا يصل النفخ بالروح الى الصور وهي الاجساد فاضافة
النفخ الى الصور الذي هو القرن حقيقة والى الصور التي هي الاجساد مجاز وفي صحيح
مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا ورفع ليتا
ثم يرسل الله تعالى مطرا كانه الطل فتنبت منه اجساد الناس ثم ينفخ فيه اخرى
فاذا هم قيام ينظرون والليت بكسر اللام وبالمثناة التحتية ثم الفوقية صفحة
العنق وهما ليتان واصغى امال واخرج البيهقي بسند قوي عن ابن مسعود موقوفا ثم
يقوم ملك الصور بين السماء والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى لله خلق في السموات
والارض الا من شاء ربك ثم يكون بين النفختين ما شاء الله ان يكون واخرج ابن المبارك
في الرقائق من مرسل الحسن بين النفختين اربعين سنة الاولى يميت الله بها كل حي والاخرى
يحيي الله بها كل ميت ونحوه عند ابن مردويه من حديث ابن عباس وهو ضعيف
وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا
وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا مستشفعهم اذا حبسوا وانا
مبشرهم اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي
وانا اكرم ولد ادم على ربي يطوف علي الف خادم كانهم بيض مكنون او لؤلؤ
منثور رواه الدارمي وقال الترمذي حديث غريب ولم يقل وانا امامهم لان
دار الاخرة ليست دار تكليف وفي حديث رواه صاحب كتاب حادي الارواح ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي
بالاذان وفي كتاب ذخائر العقبى للطبري مما عزاه لتخريج الحافظ السلفي
من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبعث الانبياء على
الدواب ويحشر صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة على ناقتي العضباء والقصواء
واحشر انا على البراق خطوها عند اقصى طرفها ويحشر بلال على ناقة من نوق
الجنة واخرجه الطبراني والحاكم بلفظ تحشر الانبياء على الدواب وابعث على البراق
ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادي بالاذان محضا وبالشهادة
حقا حتى اذا قال اشهد ان محمدا رسول الله شهد له المومنون من الاولين
والاخرين وعند ابن زنجويه في فضائل الاعمال عن كثير بن مرة الحضرمي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند
قبره حتى توافي به المحشر وانا على البراق اختصصت به من دون الانبياء
يومئذ ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة فينادي على ظهورها بالاذان

خفافا فاذا اسمعت الانبيا واممها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قالوا ونحن
نشهد على ذلك وذكر الشيخ زين الدين المراغي مما عزاه لابن النجار في تاريخ المدينة عن
كعب الاحبار انه دخل على عايشة رضي الله تعالى عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملايكة حتى يحفون بالقبر يضربون
باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون
الف ملك يحفون بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون
الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملايكة
يزفونه صلى الله عليه وسلم وفي نوادر الاصول للحكيم الترمذي من حديث ابن عمر قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمينه على ابي بكر وشماله على عمر فقال هكذا انبعث يوم القيامة
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن
يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري رواه الترمذي وفي رواية
جامع الاصول عنه انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى وفي رواية كعب حلة خضرا
وفي البخاري من حديث ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم تحشرون حفاة عراة غرلا كما بدانا
اول خلق نعيده وان اول الخلايق يكسى ابراهيم واخرجه البيهقي وزاد واول من يكسى
من الجنة ابراهيم يكسى حلة من الجنة ويوتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ثم يوتى
بي فاكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر وفيه انه يجلس على الكرسي عن يمين العرش
ولا يلزم من تخصيص ابراهيم عليه الصلاة والسلام بانه اول من يكسى ان يكون افضل
من نبينا صلى الله عليه وسلم على انه يحتمل ان يكون نبينا عليه الصلاة والسلام
خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها والحلة التي يكساها يومئذ حلة الكرامة
بقرينة اجلاسه عند ساق العرش فتكون اولية ابراهيم في الكسوة بالنسبة
لبقية الخلق واجاب الحليمي بانه يكسى ابراهيم ثم يكسى نبينا عليهما
الصلاة والسلام على ظاهر الخبر لكن حلة نبينا صلى الله عليه وسلم اعلى واكرم فيجبر
بنفاستها ما فات من الاولية وفي حديث ابي سعيد عند ابي داود وصححه ابن حبان
انه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها وعند الحارث
ابن ابي اسامة واحمد بن منيع فانهم يبعثون في اكفانهم ويتزاورون
في اكفانهم وجمع بينه وبين ما في البخاري بان بعضهم عاريا وبعضهم كاسيا
او يخرجون كلهم عراة ثم يكسى الانبيا واول من يكسى ابراهيم عليه الصلاة والسلام
او يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتدا الحشر
فيحشرون عراة ثم يكون اول من يكسى ابراهيم وحمل بعضهم حديث ابي سعيد
على الشهدا فيكون ابو سعيد سمعه في الشهيد فحمله على العموم وانما رواه

الطبري

الطبري في الرياض النضرة وعزاه للامام احمد في المناقب عن مخدوج بن زيد الذهلي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي اما علمت يا علي انه اول من يدعى به يوم القيامة
بي فاقوم عن يمين العرش في ظله فاكسى حلة خضرا من حلل الجنة ثم يدعى بالنبيين بعضهم
على اثر بعض فيقومون سماطين عن يمين العرش ويكسون حللا خضرا من حلل الجنة الا وان امتي
اول الامم يحاسبون يوم القيامة ثم ابشر اول من يدعى بك فيدفع لك لوائي وهو لوا
الحمد تسير به بين السماطين ادم وجميع خلق الله تعالى يستظلون بظل لوائي يوم القيامة
وطوله مسيرة الف سنة وسنانه ياقوتة حمرا قبضته فضة بيضا زجه
درة خضرا له ثلاث ذوايب من نور ذوابة في المشرق وذوابة في المغرب والثالثة
في وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثاني الحمد لله
رب العالمين الثالث لا اله الا الله محمد رسول الله كل سطر الف سنة وعرضه مسيرة الف
سنة فتسير باللوا والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتى تقف بيني وبين ابراهيم
عليه الصلاة والسلام في ظل العرش ثم تكسى حلة من الجنة والسماطان من الناس والنخل الجانبان
ورواه ابن سبع في الخصايص قال سال عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
لوا الحمد ما صفته قال طوله مسيرة الحديث نقل الحافظ قطب الدين الحلبي كما نقله
عنه المحب ابن الهايم انه موضوع بين الوضع قال والله تعالى اعلم بحقيقة لوا الحمد
وفي حديث ابي سعيد عند الترمذي بسند حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه
الا تحت لوائي الحديث واللوا الراية وفي عرفهم لا يمسكها الا صاحب الجيش ورئيسه ويحتمل
ان تكون بيد غيره باذنه وتكون تابعة له ومتحركة بحركته تميل معه حيث مال لانه
يمسكها بيده اذ هذه الحالة اشرف وفي استعمال العرب عند الحروب انما يمسكها صاحبها
ولا يمنعه ذلك من القتال بها بل يقاتل بها ممسكا لها اشد القتال ولهذا لا يليق بامساكها
كل احد بل مثل علي رضي الله تعالى عنه لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه
الله ورسوله وانما اضاف اللوا الى الحمد الذي هو الثنا على الله تعالى بما هو اهله
لان ذلك هو منصبه في ذلك الموقف دون غيره من الانبيا وقد اختلف في هيئة
حشر الناس ففي البخاري من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحشر الناس على ثلاث طرايق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على
بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث
قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث
امسوا رواه الشيخان وقد مال الحليمي الى ان هذا الحشر يكون عند الخروج
من القبور وجزم به الغزالي وقيل انهم يخرجون من القبور بالوصف المذكور في
حديث ابن عباس عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم تحشرون

حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ثم يفترق
حالهم من ثم إلى الموقف كما في حديث أبي هريرة ويحشر الكافر على وجهه قال رجل يا رسول الله
كيف يحشر على وجهه قال الذي أمشاه على الرجلين قادر على أن يمشيه على وجهه يوم
القيامة أخرجه الشيخان وفي حديث أبي ذر عند النسائي مرفوعا أن الناس يحشرون ثلاثة
أفواج فوجا راكبين طاعمين كاسين وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم وفوجا يمشون ويسعون
وفي حديث سهل بن سعد يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي
ليس فيها علم لأحد رواه الشيخان وفي حديث عقبة بن عامر عند الحاكم رفعه تدنو الشمس
من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبتيه
ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ منكبه ومنهم من يبلغ فاه
وأشار بيده ومنهم من يغطيه عرقه فضرب بيده على رأسه وله شاهد عند مسلم من حديث
المقداد بن الأسود وليس بتمامه وفيه تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم
كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق وهذا ظاهر في أنهم يستوون في
وصول العرق إليهم ويتفاوتون في وصول العرق إليهم ويتفاوتون في حصوله فيهم
فإن قلت الشمس محلها السماء وقد قال الله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب
والألف واللام في السماء للجنس بدليل والسموات مطويات بيمينه فما طريق الجمع
فالجواب يجوز أن تقام بنفسها دانية من الرؤوس في المحشر
ليتزايد هول وكرب عافانا الله تعالى من كل مكروه قال ابن أبي جمرة ظاهر الحديث
يقتضي تعميم الناس بذلك ولكن دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم
الأكثر ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله فأشدهم الكفار ثم أصحاب الكبائر
ثم من بعدهم وأخرج أبو يعلى وصححه ابن حبان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين قال مقدار نصف يوم من خمسين ألف
سنة فيهون على المؤمن كتدلي الشمس إلى أن تغرب وأخرج أحمد وابن حبان نحوه
من حديث أبي سعيد والبيهقي في البعث عن أبي هريرة يحشر الناس قياما أربعين
سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وفي البخاري
من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم
القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا وعند البيهقي من حديث
ابن مسعود إذا حشر الناس قاموا أربعين عاما شاخصة أبصارهم إلى السماء
لا يكلمهم والشمس على رؤوسهم حتى يلجم العرق كل بر وفاجر وفي حديث أبي سعيد عند أحمد
أنه يخفف الوقوف عن المؤمن حتى يكون كصلاة فريضة مكتوبة وسنده حسن
وللطبراني من حديث ابن عمرو ويكون ذلك اليوم أقصر على المؤمن من ساعة من
نهار وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن الذي يلجمه العرق الكافر

اخرجه

أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن وعنه قال يشتد كرب الناس ذلك اليوم حتى يلجم الكافر
العرق قيل له فأين المؤمنون قال على كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام وبسند قوي عن
أبي موسى قال الشمس فوق رؤوس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلهم وأخرج ابن المبارك في
الزهد وابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال تعطى الشمس يوم القيامة
حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرسخ العرق
في الأرض قامة ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل زاد ابن المبارك في روايته ولا يضر حرها يومئذ
مؤمنا ولا مؤمنة قال القرطبي المراد من يكون كامل الإيمان لما يدل عليه حديث المقداد
وغيره أنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم وفي رواية عند أبي يعلى وصححها ابن حبان أن الرجل
ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول يا رب أرحني ولو إلى النار وهو كالصريح في أن ذلك
كله في الموقف ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها وذلك أن النار
تحف بأرض الموقف وتدنو الشمس من الرؤوس قدر ميل فكيف تكون حرارة تلك الأرض
وماذا يرون من العرق مع أن كل أحد لا يجد إلا قدر موضع قدميه فكيف حال هؤلاء في
عرقهم مع تنوعهم فيه إن هذا لمما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة ويقتضي الإيمان
بأمور الآخرة وأن ليس للعقل فيه مجال ولا يعترض ذلك بعقل ولا قياس ولا عادة وإنما
يؤخذ بالقبول قال رحمه الله شدة هذا الازدحام والانضمام والالتحاق والالتصاق
والاجتماع واجتماع الإنس والجن ومن يجمع معهم من سائر أصناف الحيوانات وانضغاطهم وتدانيهم
واختلاطهم وقرب الشمس منهم وما يزداد في حرها ويتضاعف في وهجها ولا ظل لأحد إلا ظل عرشه
مما قد منع مع ما انضاف إلى ذلك من حر الأنفاس لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما
غشيها من الكرب ولا ريب أن هذا موجب لحصول العطش في ذلك اليوم وكثرة
الالتهاب والماء ثم أعز موجود وأعظم مفقود فلا منهل سوى ورود الحوض
صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه ولا مشرب لأمته
سواه ولا يرده إلا هم أمته والشربة منه كأس ورد تروي الظما وتشفي من
الصدا وتذهب بكل أذى لا يظمأ شاربها ولا يسقم بعدها أبدا وفي حديث أنس
عند البزار من شرب منه أي من الحوض شربة لم يظمأ أبدا ومن لم يشرب منه لم
يرو أبدا زاد في حديث أبي أمامة عند أحمد وابن حبان ولم يسود وجهه أبدا
وفي حديث ثوبان عند الترمذي وصححه الحاكم أكثر الناس عليه ورودا فقراء المهاجرين
وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الشيخين حوضي مسيرة شهر ماؤه
أطيب من اللبن ورائحته أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب
منه شربة لم يظمأ أبدا قال القرطبي في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره
إلى أن الحوض يكون بعد الصراط وذهب آخرون إلى العكس والصحيح أن للنبي
صلى الله عليه وسلم حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط والآخر داخل

الجنة وكل منهما يسمى الكوثر ونقل شيخ الحفاظ ابن حجر بان الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه
يصب في الحوض ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه فغاية ما يوجد من كلام القرطبي
ان الحوض يكون قبل الصراط لان الناس يردون الموقف عطاشا فيرد المومنون الحوض وتتساقط
الكفار في النار بعد ان يقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كانها سراب فيقال الا تردون
فيظنونها ماء فيتساقطون فيها وفي حديث ابي ذر فيما رواه مسلم ان الحوض يشخب
فيه ميزابان من الجنة وهو حجة على القرطبي لا له لان الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف
والجنة والمومنون يمرون عليه لدخول الجنة فلو كان الحوض دونه لحالت النار بين
الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض وظاهر الحديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب
فيه الماء من النهر الذي داخلها وقال القاضي عياض ظاهر قوله صلى الله عليه
وسلم من شرب منه لم يظمأ بعدها ابدا يدل على ان الشرب منه يقع بعد الحساب
والنجاة من النار ولا فظاهر حال من لا يظمأ ان لا يعذب بالنار ولكن يحتمل
ان من يقدر عليه التعذيب منهم ان لا يعذب فيها بالظما بل بغيره وعن انس
قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيامة فقال انا فاعل
ان شاء الله قلت فاين اطلبك قال اول ما تطلبني على الصراط قلت فان لم القك
على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم القك عند الميزان
قال فاطلبني عند الحوض فاني لا اخطئ هذه الثلاثة مواطن رواه الترمذي وقال
حسن غريب وفي حديث ابن مسعود عند احمد يدعو بي فيكسوني فالبسها فاقوم عن
يمين العرش مقاما لا يقومه احد فيغبطني به الاولون والاخرون قال ويفتح لهم من
الكوثر الى الحوض الحديث وقد تبين في حديث عمرو بن العاص عند البخاري ان الحوض
مسيرة شهر وزاد في رواية مسلم من هذا الوجه وزواياه سواء وهذه الزيادة كما
قال في فتح الباري تدفع تاويل من جمع بين مختلف الاحاديث في تقدير مسافة الحوض
على اختلاف العرض والطول وفي حديث ابي سعيد عند ابن ماجه رفعه ان لي حوضا
ما بين الكعبة وبيت المقدس وفي حديث ابي بردة عند الطبراني وابن حبان في صحيحه
ما بين ناحيتي حوضي كما بين ايلة وصنعاء مسيرة شهر عرضه كطوله وفي حديث
انس عند الشيخين كما بين صنعاء والمدينة وفي حديث عتبة ابن عبد السلمي عند ابن
حبان في صحيحه ما بين صنعاء الى بصرى وفي حديث ابي امامة عند الطبراني
ما بين عدن وعمان بفتح المهملة وتخفيف الميم وقال ابن الاثير في النهاية
في حديث الحوض عرضه من مقامي الى عمان هي بفتح العين وتشديد الميم مدينة
قديمة بالشام من ارض البلقاء فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين
انتهى وهذه المسافة كلها متقاربة وظن بعضهم انه وقع اضطراب في ذلك وليس
كذلك واجاب النووي عن ذلك بانه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع

العرش

المسافة

الصحيح

المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت بالحديث فلا معارضة وحاصله يشير الى انه اخبر اولا
بالمسافة اليسيرة ثم اعلم بالمسافة الطويلة فاخبر بها كان الله تفضل عليه
باتساعه شيئا بعد شيء فيكون الاعتماد على ما يدل على اطولها مسافة فان قلت
هل لكل نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام غير نبينا صلى الله عليه وسلم حوض هناك
يقوم عليه كنبينا صلى الله عليه وسلم فالجواب انه اشتهر اختصاص نبينا
عليه الصلاة والسلام بالحوض قال القرطبي في المفهم مما يجب على كل مكلف ان يعلمه ويصدق
به ان الله تعالى قد خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه
وصفته وشرابه في الاحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي
اذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على الثلاثين منهم في
الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت رواته
ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين امثالهم ومن بعدهم اضعاف اضعافهم
وهلم جرا واجمع على اثباته السلف واهل السنة من الخلف انتهى لكن اخرج الترمذي
من حديث سمرة رفعه ان لكل نبي حوضا واشار الى انه اختلف في وصله وارساله وان
المرسل اصح والمرسل اخرجه ابن ابي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف
من امته الا وانهم يتباهون ايهم اكثر تبعا واني لارجو ان اكون اكثرهم تبعا واخرجه
الطبراني من وجه اخر عن سمرة موصولا مرفوعا مثله وفي سنده لين واخرج ابن ابي الدنيا
ايضا من حديث ابي سعيد رفعه وكل نبي يدعو امته ولكل نبي حوض فمنهم من ياتيه
الفئام ومنهم من ياتيه العصبة ومنهم من ياتيه الواحد ومنهم من ياتيه الاثنان
ومنهم من لا ياتيه احد واني لاكثر الانبياء تبعا يوم القيامة وفي اسناده لين
فان ثبت فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه
فانه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان عليه به في سورة انا اعطيناك
الكوثر انتهى ملخصا من فتح الباري والفئام كما في الصحاح الجماعة من
الناس لا واحد له من لفظه والعامة تقول فيام بلا همزة وفي رواية
مسلم من حديث ابي هريرة رفعه قال ترد على امتي الحوض وانا اذود
الناس عنه كما يذود الرجل عن ابله قالوا يا رسول الله تعرفنا قال نعم
لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون علي غرا محجلين من اثار الوضوء والسول
والحكمة في الذود المذكور انه صلى الله عليه وسلم يريد ان يرشد كل احد
الى حوض نبيه كما تقدم ان لكل نبي حوضا فيكون هذا من جملة انصافه
عليه الصلاة والسلام ورعاية اخوانه من النبيين عليهم الصلاة والسلام لا انه
يطردهم بخلا عليهم بالماء ويحتمل ان يكون يطرد من لا يستحق الشرب من

الحوض والله سبحانه وتعالى اعلم وفي حديث الشراة صلى الله عليه وسلم قال الحوض في اربعة
اركان الاول بيد ابي بكر الصديق والثاني بيد عمر الفاروق والثالث بيد عثمان ذي
النورين والرابع بيد علي ابن ابي طالب فمن كان محبا لابي بكر مبغضا لعمر لا يسقيه ابو بكر
ومن كان محبا لعلي مبغضا لعثمان لا يسقيه علي رواه ابو سعيد في شرف النبوة والغيلاني
والله سبحانه وتعالى اعلم واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام
المحمود فقد قال تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اتفق المفسرون على ان
كلمة عسى من الله واجب قال اهل المعاني لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا
في شيء ثم حرمه كان عارا والله سبحانه وتعالى اكرم من ان يطمع احدا في شيء ثم لا يعطيه
ذلك وقد اختلف في تفسير المقام المحمود على اقوال احدها انه الشفاعة قال
الواحدي اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه
الاية هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وقال الامام ابن الخطيب اللفظ مشعر بذلك لان
الانسان انما يصير محمودا اذا احمده حامد والحمد انما يصير محمودا اذا احمده حامد واحد
انما يكون مقاما انعم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم فحمدوه على ذلك الانعام
وذلك الانعام لا يجوز ان يكون هو تبليغ الدين وتعليمهم الشرع لان ذلك كان حاصلا
في الحال وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يدل على انه يحصل للنبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم ان حمد الانسان على سعيه في
التخلص عن العقاب اعظم من سعيه في زيادة من الثواب لا حاجة به اليها لان احتياج
الانسان في دفع الالام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل المنافع الزائدة التي
لا حاجة الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من قوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا هو الشفاعة في اسقاط العذاب على ما هو مذهب اهل السنة
ولما ثبت ان لفظ الاية مشعر بهذا المعنى قويا ثم وردت الاخبار الصحيحة
في تقرير هذا المعنى كما في البخاري حديث ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة وفيه ايضا عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل امة تتبع نبيها
يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الي فذلك المقام المحمود فاذا
ثبت هذا فيجب حمل اللفظ عليه قال ومما يؤيد هذا الدعاء المشهور وابعثه مقاما
محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون ونصب قوله مقاما على الظرفية
اي وابعثه يوم القيامة فاقمه مقاما محمودا او على انه مفعول به وضمن
معنى ابعثه معنى اقمه ويجوز ان يكون حالا بعد حال اي ابعثه ذا مقام
قال الطيبي وانما نكره لانه افخم واجزل اي مقاما محمودا بكل لسان
وقول النووي ان الرواية ثبتت بالتنكير وانه كان حكاية للفظ

القرآن متعقب بانه جاء في هذه الرواية بعينها بالتعريف عند النسائي قال ابن الجوزي
الاكثر على ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة وادعى الامام فخر الدين الاتفاق عليه القول
الثاني حذيفة يجمع الله تعالى الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول
مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس
اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا منك الا
اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا هو المراد من قوله سبحانه
وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا رواه الطبراني قال ابن منده حديث
مجمع على صحة اسناده وثقة رجاله قال الرازي والقول الاول اولى لان سعيه في
الشفاعة يفيد اقدام الناس على حمده فيصير محمودا واما ما ذكر من الدعاء فلا يفيد
الا الثواب اما الحمد فلا فان قيل لم لا يجوز ان يقال انه سبحانه وتعالى يحمده على هذا
القول فالجواب لان الحمد في اللغة مختص بالثناء المذكور في مقابلة الانعام
فقط فان ورد لفظ الحمد في غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز القول الثالث
مقام تحمد عاقبته قال الامام فخر الدين وهذا ايضا ضعيف للوجه الذي ذكرناه
القول الرابع هو اجلاسه عليه الصلاة والسلام على العرش وقيل على الكرسي وحكي
ابن مسعود انه قال يقعد الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش
وعن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش وعن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش
قال الواحدي وهذا قول رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادي بفساد هذا
التفسير ويدل عليه وجوه الاول ان البعث ضد الاجلاس يقال بعثت البارك والقاعد
فانبعث ويقال بعث الله سبحانه وتعالى الميت اي اقامه من قبره فتفسير
البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد وهو فاسد والثاني يوجب انه سبحانه
وتعالى لو كان جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد صلى الله عليه وسلم لكان
محدودا متناهيا ومن كان كذلك فهو محدث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
والثالث انه سبحانه وتعالى قال مقاما محمودا ولم يقل مقعدا والمقام
موضع القيام لا موضع القعود والرابع اذا قيل ان السلطان بعث فلانا
فهم منه انه ارسله الى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع
نفسه فثبت ان هذا القول ساقط لا يميل اليه الا قليل العقل عديم الدين
انتهى وتعقب القول الثاني بانه سبحانه وتعالى يجلس على العرش كما اخبر
جل وعلا عن نفسه المقدسة بلا كيف وليس اقعاد محمد صلى الله عليه وسلم
على العرش موجبا له صفة الربوبية او مخرجا له عن صفة العبودية بل هو رفع
لمحله وتشريف له على خلقه واما قوله معه فهو بمنزلة قوله تعالى ان الذين
عند ربك ورب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكل هذا ونحوه عائد على

الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة لا الى المكان وقال شيخ الاسلام
ابو الفضل العسقلاني قول مجاهد يجلسه معه على العرش ليس بمدفوع لا من جهة العقل
ولا من جهة النقل ولا من جهة النظر وقال ابن عطية هو كذلك اذا حمل على ما يليق
به قال وبالغ الواحدي في رد هذا القول ونقل النقاش عن ابي داود صاحب السنن
انه قال من انكر هذا فهو متهم وقد جاء عن ابن مسعود عند الثعلبي وعن ابن عباس
عند ابي الشيخ قال ان محمدا يوم القيامة يجلس على كرسي الرب عز وجل بين يدي الرب فيحتمل
ان تكون الاضافة اضافة تشريف وعلى ذلك يحمل ما جاء عن مجاهد وغيره ويحتمل
ان يكون المراد بالمقام المحمود الشفاعة كما هو المشهور وان يكون الاجلاس هو المنزلة
المعبر عنها بالوسيلة كذا قاله بعضهم ويحتمل ان يكون اجلاسه علامة الاذن في الشفاعة
واختلف في فاعل احمد من قوله تعالى محمودا فالاكثر على ان المراد به اهل الموقف
وقيل النبي صلى الله عليه وسلم اي انه يحمد عاقبة ذلك المقام بتهجده بالليل
والاول ارجح لما ثبت من حديث ابن عمر بلفظ مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم
ويجوز ان يحمل على اعم من ذلك اي مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق
في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات واستحسن هذا ابو حيان وايده بانه
نكرة فدل على انه ليس المراد مقاما مخصوصا انتهى فان قلت اذا
قلنا بالمشهور ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة فاي شفاعة هي فالجواب
ان الشفاعة التي وردت في الاحاديث في المقام المحمود نوعان النوع الاول العامة
في فصل القضا والثاني في الشفاعة في اخراج المذنبين من النار لكن الذي يتجه
رد هذه الاقوال كلها الى الشفاعة العامة فان اعطاه لوا الحمد وثناءه على ربه
وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه كل ذلك صفات للمقام المحمود الذي
يشفع فيه ليقضي بين الخلق واما شفاعته في اخراج المذنبين من النار فمن
توابع ذلك وقد انكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في اخراج من ادخل من المذنبين
وتمسكوا بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله تعالى ما للظالمين من حميم
ولا شفيع يطاع واجاب اهل السنة بان هذه الاية في الكفار وقال
القاضي عياض مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا لصريح
قوله سبحانه وتعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا
وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا المفسر بها عند الاكثرين كما قدمته وقد جاءت الاثار التي بلغ مجموعها
التواتر بصحة الشفاعة في الاخرة لمذنبي المومنين وعن ام حبيبة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي
وسفك بعضهم دما بعض وسبق لهم من الله عز وجل ما سبق للامم قبلهم

فسالت

فسالت الله سبحانه وتعالى ان يوتيني شفاعة يوم القيامة ففعل وفي حديث ابي
هريرة لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها واريد ان اختبي دعوتي شفاعة
لامتي في الاخرة وفي رواية اني خبأت دعوتي شفاعة لامتي وهذا من مزيد
شفقته علينا وحسن تصرفه صلى الله عليه وسلم جعل دعوته المجابة في اهم اوقات
حاجاتنا فجزاه الله سبحانه وتعالى عنا افضل الجزا وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة قال شفاعتي لمن يشهد ان لا اله الا
الله مخلصا يصدق بها لسانه قلبه وعن ابي زرعة عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون
مم ذلك يجمع الله سبحانه وتعالى الاولين والاخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر
من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون ما انتم فيه الا ترون
ما بلغتم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم عز وجل فيقول بعض الناس لبعض ايتوا
ابوكم ادم فياتونه فيقولون يا ادم انت ابو البشر خلقك الله سبحانه وتعالى بيده
ونفخ فيك من روحه وامر الملايكة فسجدوا لك واسكنك الجنة الا تشفع لنا الى ربك
عز وجل الا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فقال ان ربي عز وجل غضب اليوم غضبا لم
يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح عليه الصلاة والسلام فياتون نوحا عليه الصلاة
والسلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله سبحانه وتعالى
عبدا شكورا الا ترى الى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك عز وجل الا
ترى الى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي عز وجل غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولا يغضب بعده مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي
نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم
فياتون ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيقولون انت نبي الله وخليله
من اهل الارض اشفع لنا الى ربك عز وجل الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم
ان ربي عز وجل غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده
مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى
غيري اذهبوا الى موسى صلى الله عليه وسلم فياتون موسى عليه الصلاة والسلام
فيقولون يا موسى انت رسول الله عز وجل فضلك الله سبحانه وتعالى
برسالته وبكلامه على الناس الا ترى الى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك
عز وجل فيقول ان ربي عز وجل غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولن يغضب بعده مثله واني قد قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى صلى الله عليه وسلم فياتون

عيسى عليه الصلاة والسلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه وكلمت الناس في المهد الا ترى الى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك عز وجل
فيقول عيسى عليه الصلاة والسلام ان ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى
محمد صلى الله عليه وسلم فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم
الانبيا وقد غفر الله عز وجل لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر الا ترى ما نحن فيه اشفع
الى ربك عز وجل فاتي تحت العرش ساجدا لربي عز وجل ثم يفتح الله سبحانه وتعالى علي من
محامده وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعط
واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقال يا محمد ادخل من امتك
من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوى ذلك من
الابواب الحديث رواه البخاري ومسلم **قال في فتح الباري وقد استشكل** قوله لنوح
عليه الصلاة والسلام انت اول الرسل من اهل الارض فان ادم عليه الصلاة والسلام
نبي مرسل وكذا شيث وادريس وهم قبل نوح ومحصل الاجوبة عن ذلك ان الاولية
مقيدة بقوله اهل الارض لان ادم ومن ذكر معه لم يرسلوا الى اهل الارض وان
الثلاثة كانوا انبيا ولم يكونوا رسلا **والى هذا** جنح ابن بطال في حق ادم عليه الصلاة
والسلام **وتعقبه** القاضي عياض بما صححه ابن حبان من حديث ابي ذر فانه كالصريح
في انه كان مرسلا وفيه التصريح بانزال الصحف على شيث عليه السلام وهو من علامات
الارسال ومن الاجوبة ان رسالة ادم عليه الصلاة والسلام كانت الى بنيه وهم موحدون
ليعلمهم شريعته **ونوح** عليه الصلاة والسلام رسالته كانت الى قوم كفار يدعوهم
الى التوحيد **وذكر** الغزالي في كتاب كشف علوم الاخرة ان بين اتيان اهل الموقف
ادم واتيانهم نوحا عليهما الصلاة والسلام الف سنة وكذا بين كل نبي ونبي الى نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ولم اقف لذلك على اصل قال ولقد اكثر في
هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصول لها فلا يغتر بشي منها **ووقع في**
رواية حذيفة ان الخليل عليه الصلاة والسلام قال لست بصاحب ذاك انما
كنت خليلا من ورا ورا بفتح الهمزة بلا تنوين ويجوز البنا على الضم للقطع
على الاضافة نحو من قبل ومن بعد واختاره ابو البقا قال الاخفش يقال
لقيته من وراء بالضم وقال

٥ اذا انا لم اومن عليك ولم يكن ٥ لقاوك الا من وراء وراء ٥

ويجوز فيها النصب والتنوين جوازا جيدا قاله ابو عبد الله الابي ومعناه
المراكن في التقريب والادلال بمنزلة الحبيب صلى الله عليه وسلم وقيل مراده
ان الفضل الذي اعطيته كان بسفارة جبريل عليه الصلاة والسلام ولكن

ايتوا

ايتوا موسى صلى الله عليه وسلم الذي كلمه الله عز وجل بلا واسطة وكرر ورا اشارة
الى نبينا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الروية والسماع بلا واسطة فكانه قال
انا من ورا موسى الذي هو من ورا محمد صلى الله عليه وسلم **وسبق** مزيد لذلك في الخصائص
واما ما ذكره من الكلمات الثلاث فقال البيضاوي الحق انها انما كانت في معاريض
الكلام لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استصغارا لنفسه عن الشفاعة لان
من كان اعرف بالله عز وجل واقرب اليه منزلة كان اعظم خوفا **واما قوله** عن عيسى
عليه الصلاة والسلام انه لم يذكر ذنبا فوقع في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عند احمد
والنسائي اني اتخذت الها من دون الله **وفي حديث** النضر ابن انس عن ابيه حدثني
نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اني لقائم انتظر امتي عند الصراط اذ جا عيسى عليه الصلاة
والسلام فقال يا محمد هذه الانبيا عليهم الصلاة والسلام تجي اليك يسالونك لتدعو الله
عز وجل ان يفرق جمع الامم الى حيث شا لعظم ما هم فيه فافادت هذه الرواية تعيين
موقف النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ وان هذا الذي وصف من كلام اهل الموقف
كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار **وان عيسى** عليه الصلاة والسلام هو الذي
يخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم وان جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام يسالونه في
ذلك **وفي حديث** سلمان عند ابن ابي شيبة ياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون
يا نبي الله انت فتح الله عز وجل بك وختم وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وجيت في هذا اليوم وترى ما نحن فيه فقم فاشفع لنا الى ربنا عز وجل فيقول انا
صاحبكم فيجوس الناس حتى ينتهي الى باب الجنة **فان قلت** ما الحكمة في انتقاله
صلى الله عليه وسلم من مكانه الى الجنة **اجيب** بان ارض الموقف
لما كانت مقام عرض وحساب كانت مقام مخافة واشفاق ومقام
الشافع يناسب ان يكون مكان اكرام **وفي حديث** ابي ابن كعب عند ابي يعلى
رفعه فاسجد له عز وجل سجدة يرضى بها عني ثم امتدحه بمدحة يرضى بها
عني وفي حديث ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فينطلق اليه جبريل فيخر
ساجدا قدر جمعة فيقال يا محمد ارفع راسك وفي رواية النضر ابن انس
فاوحى الله عز وجل الى جبريل عليه الصلاة والسلام ان اذهب الى محمد صلى
الله عليه وسلم فقل له ارفع راسك وعلى هذا المعنى يقول لي على لسان
جبريل عليه السلام والظاهر انه صلى الله عليه وسلم يلهم التحميد
قبل سجوده وبعده وفيه ويكون في كل مكان ما يليق به فانه ورد
في رواية فاقوم بين يديه فيلهمني بمحامد لا اقدر عليها ثم اخر ساجدا
وفي رواية البخاري فارفع راسي فاحمد ربي عز وجل بتحميد يعلمني وفي
رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عند الشيخين فاتي تحت العرش

فاقع ساجدا لربي عز وجل ثم يفتح الله عز وجل علي من محامده وحسن الثناء عليه
شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثم قال يا محمد ارفع راسك الحديث وفي رواية البخاري من حديث
قتادة عن انس ثم اشفع فيحد لي حدا ثم اخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال الطيبي
اي يبين لي كل طور من اطوار الشفاعة حدا اقف عنده فلا اتعداه مثل ان يقول
شفعتك في من اخل بالجماعة ثم في من اخل بالصلاة ثم في من شرب الخمر ثم في من زنا وهكذا
على هذا الاسلوب **والذي يدل** عليه سياق الاخبار ان المراد به تفضيل مراتب المخرجين
في الاعمال الصالحة كما وقع عند احمد عن يحيى القطان عن سعيد ابن ابي عروبة وفي رواية
ثابت عند احمد فاقول اي رب امتي امتي فيقول اخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة
وفي حديث سلمان فيشفع في كل من كان في قلبه مثقال حبة من حنطة ثم شعيرة ثم حبة
خردل فذلك المقام المحمود وفي رواية ابي سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم
في قلبه مثقال دينار من خير قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين **واما قوله**
في رواية انس عند البخاري فاخرجهم من النار فقال الكرماني قد كان راوي هذا
الحديث ركب شيئا على غير اصله وذلك ان اول الحديث ذكر الشفاعة في الاراحة من
كرب الموقف وفي اخره ذكر الشفاعة في الاخراج من النار يعني وذلك انما يكون بعد
التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار
ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في الاخراج وهو اشكال قوي **وقد اجاب**
عنه النووي ومن قبله القاضي عياض بانه قد وقع في حديث حذيفة وابي هريرة
رضي الله تعالى عنهما فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم ويؤذن له في الشفاعة وترسل
معه الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا اي يقفان في ناحيتي
الصراط قال القاضي عياض فبهذا يتصل الكلام لان الشفاعة التي لجا الناس
اليه فيها هي لاراحة الناس من كرب الموقف ثم تجي الشفاعة في الاخراج انتهى
والمعنى في قيام الامانة والرحم لعظم شانهما وفخامة ما يلزم العباد من
رعاية حقهما يوقفان للامين والخائن والواصل والقاطع فيحاجان عن المحق
ويشهدان على المبطل وقد وقع في حديث ابي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف الامر
باتباع كل امة ما كانت تعبد ثم تمييز بين المنافقين من المؤمنين ثم حلول
الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه فكان الامر باتباع كل امة ما كانت
تعبد هو اول فصل القضاء والاراحة من كرب الموقف وبهذا تجتمع متون
الاحاديث وتترتب معانيها انتهى فظهر انه صلى الله عليه وسلم اول
ما يشفع ليقضي بين الخلق وان الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط
تقع بعد ذلك وان العرض والميزان وتطاير الصحف تقع في هذا الموطن
ثم ينادي لتتبع كل امة ما كانت تعبد فيسقط الكفار في النار ثم يميز

بين

بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق ثم يؤذن في نصب
الصراط والمرور عليه فيطفأ نور المنافقين فيسقطون في النار ايضا ويمر
المؤمنون عليه الى الجنة فمن العصاة من يسقط ويوقف بعض من نجا عند القنطرة
للمقاصصة بينهم ثم يدخلون الجنة **وقد قال** النووي ومن قبله القاضي عياض
الشفاعات خمس الاولى في الاراحة من الموقف الثانية في ادخال قوم الجنة بغير
حساب **الثالثة** في ادخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ان لا يعذبوا
الرابعة في اخراج من ادخل النار من العصاة **الخامسة** في رفع الدرجات
انتهى **فاما الاولى** وهي التي لاراحة الناس من هول الموقف فيدل عليها حديث
ابي هريرة وغيره المتقدم وحديث انس عند البخاري **ولفظه** يجمع الله سبحانه وتعالى
الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا عز وجل حتى يريحنا من مكاننا
فياتون ادم فيقولون انت الذي خلقك الله سبحانه وتعالى بيده ونفخ فيك
من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربك عز وجل فيقول لست
هناكم ويذكر خطيئته ايتوا نوحا وذكر انبيا ثم الانبيا عليهم الصلاة والسلام
واحدا واحدا الى ان قال فياتوني فاستاذن على ربي فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني
ما شاء الله ثم يقال لي ارفع راسك سل تعطه وقل تسمع واشفع تشفع فارفع راسي
فاحمد ربي عز وجل بتحميد يعلمني الحديث **واما الثانية** وهي ادخال قوم الجنة
بغير حساب فيدل عليها ما في اخر حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عند البخاري
ومسلم الذي قدمته فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقال يا محمد
ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة **قال**
ابو حاتم وهم السبعون الالف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا يرفع لهم ميزان
ولا ياخذون صحفا انما هي براءة مكتوبة لا اله الا الله محمد رسول الله هذه براءة فلان
ابن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا شقاء بعدها ابدا فما مر عليه شيء اسر عليه
من ذلك المقام **واما الثالثة** وهي ادخال قوم حوسبوا ان لا يعذبوا فيدل
على ذلك قوله في حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه عند مسلم ونبيكم على الصراط
يقول رب سلم **واما الرابعة** وهي في اخراج من ادخل النار من العصاة
فدلائلها كثيرة وقد روى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه مرفوعا
يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة ويسمون
الجهنميين **واما الخامسة** وهي في رفع الدرجات فقال النووي في الروضة
انها من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لذلك مستندا فالله سبحانه
وتعالى اعلم **وقد ذكر** القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته صلى الله
عليه وسلم لعمه ابي طالب في تخفيف العذاب لما ثبت في الصحيح ان

العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك
فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي
الصحيح ايضا من طريق ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة
فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وزاد بعضهم سابعة وهي شفاعة
لاهل المدينة لحديث سعد رفعه لا يثبت احد على لاوائها الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة
وتعقبه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بان متعلقها لا يخرج عن واحد من الخمس الاول
وبانه لو عد مثل ذلك لعد حديث عبد الملك بن عباد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اول من اشفع له اهل المدينة ثم اهل مكة ثم اهل الطائف رواه البزار واخرى لمن
زار قبره الشريف صلى الله عليه وسلم واخرى لمن اجاب المؤذن ثم صلى عليه صلى الله عليه
وسلم واخرى في التجاوز عن تقصير الصلحاء لكن قال الحافظ ابن حجر انها مندرجة في الخامسة
وزاد القرطبي انه اول شافع في دخول امته الجنة قبل الناس وزاد في فتح
الباري اخرى فيمن استوت حسناته وسيئاته ان يدخل الجنة لما اخرجه
الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد
برحمة الله عز وجل والظالم لنفسه واصحاب الاعراف يدخلون بشفاعة صلى الله
عليه وسلم وارجح الاقوال في اصحاب الاعراف انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم
وشفاعة اخرى وهي شفاعته فيمن قال لا اله الا الله ولم يعمل خيرا قط لرواية
الحسن عن انس رضي الله تعالى عنه فيقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا
الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار من قال
لا اله الا الله قال الوارد على الخمسة اربعة وما عداها لا يرد كما لا ترد الشفاعة في
التخفيف عن صاحبي القبرين وغير ذلك لكونه من جملة احوال الدنيا انتهى فان قلت
فاي شفاعة ادخرها صلى الله عليه وسلم لامته اما الاولى فلا تختص بهم بل هي لاراحة
الجمع كلهم وهي المقام المحمود كما تقدم وكذلك باقي الشفاعات الظاهر انه شاركهم
فيها بقية الامم فالجواب بانه يحتمل ان المراد الشفاعة العظمى التي
لكن راحة من هول الموقف وهي وان كانت غير مختصة بهذه الامة لكنهم اصل فيها
وغيرهم لهم تبع ولهذا كان اللفظ المنقول عنه صلى الله عليه وسلم فيها انه قال
يا رب امتي امتي فدعي بهم فاحب وكانت غيرهم تبعا لهم في ذلك ويحتمل ان
تكون الشفاعة الثانية وهي التي في ادخال قوم الجنة بغير حساب هي المختصة
بهذه الامة فان الحديث الوارد فيها يدخل من امتي الجنة سبعون الفا
الحديث ولم ينقل ذلك في بقية الامم ويحتمل ان يكون المراد مطلق الشفاعة
المشتركة بين الشفاعات الخمس وكون غير هذه الامة يشاركونهم فيها او في بعضها
لا ينافي ان يكون عليه الصلاة والسلام اخر دعوته شفاعة لامته فلعله

لا يشفع

لا يشفع لغيرهم من الامم بل يشفع لهم انبياؤهم ويحتمل ان يكون لغيرهم تبعا كما تقدم مثله
في الشفاعة العظمى والله سبحانه وتعالى اعلم وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اني لارجو ان اشفع يوم القيامة عدد ما على الارض من شجرة ومدرة رواه احمد
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن اخر الامم واول من يحاسب
يقال اين الامة الامية ونبيها فنحن الاخرون الاولون رواه ابن ماجة وفي حديث ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما عند ابي داود الطيالسي مرفوعا فاذا اراد الله سبحانه وتعالى
ان يقضي بين خلقه نادى مناد اين محمد وامته فاقوم وتتبعني امتي غرا محجلين من اثر
الطهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن الاخرون الاولون واول من يحاسب وتفرج
لنا الامم عن طريقنا وتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبياء كلها وقد صح ان اول
ما يقضى بين الناس في الدماء رواه البخاري وللنسائي مرفوعا اول ما يحاسب عليه العبد
الصلاة واول ما يقضى بين الناس في الدماء وفي البخاري عن علي بن ابي طالب رضي
الله تعالى عنه انه قال انا اول من يجثو يوم القيامة بين يدي الرحمن عز وجل للخصومة
يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش قال ابو ذر وفيهم
نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم الاية وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل
عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه
وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
وفي البخاري من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من نوقش الحساب عذب وروى البزار عن انس بن مالك
رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج لابن ادم يوم القيامة
ثلاثة دواوين ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان
فيه النعم من الله سبحانه وتعالى عليه فيقول لاصغر نعمة احسبه قال في
ديوان النعم خذي ثمنك من عمله الصالح فتستوعب عمله الصالح فاذا اراد
الله عز وجل ان يرحم عبدا قال يا عبدي قد ضاعفت حسناتك وتجاوزت
عن سيئاتك احسبه قال ووهبت لك نعمي وروى الامام احمد بسند حسن
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا وعن انس
رضي الله تعالى عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رأيناه
ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ما اضحكك
يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة
عز وجل فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله سبحانه وتعالى

كيف تضنع باخيك ولم يبق من حسناته شيء قال يا رب فليحمل من اوزاري وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس ان يحمل عنهم من اوزارهم فقال الله عز وجل للطالب ارفع بصرك فانظر فقال يا رب ارى مداين من ذهب وفضة مكللة باللولو لاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن فقال يا رب ومن يملك ذلك قال انت تملكه قال بماذا قال بعفوك عن اخيك قال يا رب فاني قد عفوت عنه قال الله سبحانه وتعالى فخذ بيد اخيك وادخل الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله عز وجل يصلح بين المسلمين رواه الحاكم والبيهقي في البعث كلاهما عن عباد ابن ابي شيبة الحبطي عن سعيد ابن انس عنه فقال الحاكم صحيح الاسناد كذا قال وقد نقل لو ان رجلا له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة حتى يرضي خصمه وقيل يوخذ بدانق سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم ذكره القشيري في التحبير ثم بعد انقضاء الحساب يكون وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع وجاءت السنة بلفظ الافراد والجمع فقيل ان صورة الافراد محمولة على ان المراد الجنس جمعا بين الكلامين وقال بعضهم يحتمل ان يكون تعددها بتعدد الاعمال فيكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله وذهبت طائفة الى انها ميزان واحد يوزن بها للجميع وانما ورد في الاية بصيغة الجمع للتفخيم وليس المراد حقيقة العدد وهو نظير قوله كذبت قوم نوح المرسلين والمراد رسول واحد وهذا هو المعتمد وعليه الاكثرون واختلف في كيفية وضع الميزان والذي جاء في الاخبار ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش ثم يوتى بالميزان فيوضع بين يدي الله سبحانه وتعالى فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة وكفة السيئات مقابل النار ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول واختلف ايضا في الموزون نفسه فقال بعضهم توزن الاعمال نفسها وهي وان كانت اعراضا الا انها تجسم يوم القيامة فتوزن وقيل الموزون صحائف الاعمال ويدل له حديث البطاقة المشهور وقد رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله تعالى عنهما يرفعه بلفظ ان الله سبحانه وتعالى يستخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم

فيخرج

فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله سبحانه وتعالى شيء فان قلت ان من شان الميزان ان يوضع في كفة شيء وفي الاخرى ضده فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة والذي يقابل شهادة التوحيد الكفر ويستحيل ان ياتي عبد واحد بالكفر والايمان معا حتى يوضع الايمان في كفة والكفر في اخرى اجاب الترمذي الحكيم بانه ليس المراد وضع شهادة التوحيد في كفة الميزان وانما المراد وضع الحسنة المترتبة على النطق بهذه الكلمة مع سائر الحسنات ويدل لما قاله قوله عليه الصلاة والسلام بلى ان لك عندنا حسنة ولم يقل لك عندنا ايمانا وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن لا اله الا الله امن الحسنات هي فقال من اعظم الحسنات اخرجه البيهقي وغيره ويجوز كما قاله القرطبي في التذكرة ان تكون هذه الكلمة هي اخر كلامه في الدنيا كما في حديث معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفي التحبير للقشيري قيل لبعضهم في المنام ما فعل الله سبحانه وتعالى بك قال وزنت حسناتي فرجحت السيئات على الحسنات فسقطت صرة في كفة الحسنات فرجحت فحللت الصرة فاذا فيها كف تراب القيته في قبر مسلم وفي الخبر اذا خفت حسنات المومن اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة الميزان التي فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المومن للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن وجهك وما احسن خلقك فمن انت فيقول انا نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وهذه صلاتك علي وقد وفيتك اياها احوج ما تكون اليها ذكره القشيري في تفسيره وذكر الغزالي يوتى برجل يوم القيامة فما يجد حسنة يرجح بها ميزانه وقد اعتدلت بالسوية فيقول الله سبحانه وتعالى له رحمة منه اذهب في الناس فالتمس من يعطيك حسنة ادخلك بها الجنة فما يجد احدا يكلمه في ذلك الامر الا قال انا احوج لذلك منك فييأس فيقول له رجل لقد لقيت الله عز وجل فما وجدت في صحيفتي الا حسنة واحدة وما اظنها تغني عني شيئا خذها هبة فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول الله تبارك وتعالى له ما بالك وهو اعلم فيقول يا رب اتفق لي من امري كيت وكيت قال فينادي الله سبحانه وتعالى بصاحبه الذي وهب له الحسنة فيقول له سبحانه وتعالى كرمي اوسع من كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا الى الجنة وكذا استوت كفتا الميزان لرجل فيقول الله سبحانه وتعالى له لست من اهل الجنة ولا من اهل النار فياتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان مكتوب اف فترجح على الحسنات لانها كلمة عقوبة فيومر به الى النار قال فيطلب ان يرد الى الله سبحانه

وتعالى فيقول الله سبحانه وتعالى ردوه فيقول له ايها العبد العاق لاي شيء تطلب
الرد الي فيقول الهي اني ما رأيت النار وكنت عاقا لابي وهو سائر الى النار فشفعني فضعف
على العذاب وانقذه منها قال فيضحك الله سبحانه وتعالى ويقول عققته في الدنيا
وبررته في الآخرة خذ بيد ابيك فانطلقا الى الجنة وقد روي حذيفة ان صاحب
الميزان يوم القيامة جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الذي يزن الاعمال يوم القيامة
واختلف ايضا في كيفية الرجحان والنقص فقال بعضهم الراجح ان الموزون في
الآخرة يصعد عكس ما في الدنيا واستشهد لذلك بقوله سبحانه وتعالى اليه يصعد
الكلم الطيب الآية قال الزركشي وهو غريب مصادم لقوله سبحانه وتعالى فاما من
ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وهل توزن الاعمال كلها او خواتيمها وحكي
عن وهب ابن منبه انه قال انما يوزن من الاعمال خواتيمها واستدل بقوله
عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بخواتيمها وذكر الحافظ ابو نعيم عن نافع عن ابن عمر
رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قضى لاخيه المومن
حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له وقال بعض اهل العلم فيما حكاه
القرطبي في التذكرة ولن يجوز احد الصراط حتى يسأل في سبع قناطر فاما القنطرة
الاولى فيسأل عن الايمان بالله عز وجل وهي شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها
مخلصا جاز ثم يسأل في القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ثم
يسأل في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسأل
في القنطرة الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسأل في القنطرة الخامسة
عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامتين جاز الى القنطرة السادسة فيسأل عن الغسل
والوضوء فان جاء بهما تامين جاز ثم يسأل في القنطرة السابعة وليس في القناطر
اصعب منها فيسأل عن ظلامات الناس وفي حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
صلى الله عليه وسلم ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون انا وامتي اول من
يجوز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل عليهم الصلاة والسلام ودعوى الرسل يومئذ
اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها
الا الله سبحانه وتعالى فتخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من
يخردل الحديث رواه البخاري وفي حديث حذيفة وابي هريرة رضي الله تعالى عنهما
عند مسلم ونبيكم قائم على الصراط يقول يا رب سلم سلم حتى تعجز اعمال العباد
حتى يأتي الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب
معلقة مأمورة باخذ من امرت به فمخدوش ناج ومكردس في النار
وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار اليها في الحديث حفت النار بالشهوات
فالشهوات موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوة سقط في النار قاله ابن

العربي

العربي ويوخذ من قوله فمخدوش الخ ان المارين على الصراط ثلاثة اصناف ناج بلا خدش
وهالك من اول وهلة ومتوسط بينهما مصاب ثم ينجو وفي حديث المغيرة عند الترمذي
شعار المومنين على الصراط رب سلم رب سلم ولا يلزم من هذا كون هذا الكلام شعار المومنين
ان ينطقوا به بل ينطق به الرسل عليهم الصلاة والسلام يدعون للمومنين بالسلامة فيسمى
ذلك شعارا لهم وفي حديث ابن مسعود فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل
الجبل العظيم يسعى بين ايديهم الحديث وفيه فيمرون على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرفة العين
ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح
ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه
يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب
جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله الذي
اعطاني ما لم يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ رأيتها الحديث رواه ابن ابي الدنيا والطبراني
وروى مسلم قال ابو سعيد بلغني ان الصراط احد من السيف وادق من الشعر وفي رواية
ابن منده من هذا الوجه قال سعيد ابن هلال بلغني ووصله البيهقي عن انس رضي الله تعالى
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مجزوما به وفي سنده لين ولابن المبارك من مرسل
عبيد ابن عمير ان الصراط مثل السيف وبجنبتيه كلاليب انه ليوخذ بالكلوب الواحد
اكثر من ربيعة ومضر واخرجه ابن ابي الدنيا من هذا الوجه وفيه والملائكة على جنبتيه
يقولون رب سلم سلم وعن الفضيل ابن عياض بلغنا ان الصراط مسيرة خمس عشرة الف
سنة خمسة الاف صعود وخمسة الاف هبوط وخمسة الاف مستوي ادق من الشعر
واحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله سبحانه وتعالى
ذكره ابن عساكر في ترجمته قال في فتح الباري وهذا معضل لا يثبت قال
وعن سعيد ابن هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعرة على بعض الناس ولبعض
الناس مثل الوادي الواسع اخرجه ابن المبارك وهو مرسل او معضل وقد
ذهب بعضهم الى ان المراد من قوله سبحانه وتعالى وان منكم الا واردها
الجواز على الصراط لانه ممدود على النار وروي عن ابن عباس وابن مسعود
وكعب الاحبار انهم قالوا الورود المرور على الصراط وقيل الورود الدخول
وعن ابن سمية قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مومن وقال
بعضنا يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر ابن عبد الله
رضي الله تعالى عنهما فقلت له انا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا
فقلت انا اختلفنا في ذلك فقال بعضنا لا يدخلها مومن وقال بعضنا
يدخلونها جميعا فاهوى باصبعيه الى اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا

دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم عليه الصلاة والسلام
حتى ان للنار او قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين رواه
احمد والبيهقي باسناد حسن واخرج ابن الجوزي كما ذكره القرطبي في التذكرة رفعه الزالون
على الصراط كثير والكثير من يزل عنه النساء واذا صار الناس على طريق الصراط نادى
ملك من تحت العرش يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط فليقف كل عاص منكم
وظالم فيا لها من ساعة ما اعظم خوفها واشد حرها يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفا
مهينا ويتاخر عنها من كان فيها عظيما مكينا ثم يؤذن لجميعهم بعد ذلك في الجواز على
الصراط على قدر اعمالهم فاذا عصف الصراط بامة محمد صلى الله عليه وسلم نادوا وامحمداه
وامحمداه فيبادر عليه الصلاة والسلام من شدة اشفاقه عليهم وجبريل عليه الصلاة
والسلام مركبه اخذ بحجزته فينادي صلى الله عليه وسلم رافعا صوته امتي امتي لا اسالك
اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون
رب سلم سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت الاوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين
والشمال والزبانية تتلقاهم بالسلاسل والاغلال وينادونهم اما نهيتم عن كسب
الاوزار اما انذرتم كل الانذار اما جاءكم النبي المختار ذكره ابن الجوزي في كتابه روضة
المشتاق وقد جاء في حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم
قال من احسن الصدقة في الدنيا مر على الصراط رواه ابو نعيم وفي حديث
من بنى المسجد بيته ضمن الله سبحانه وتعالى بالروح والرحمة والجواز على الصراط
الى الجنة وروى القرطبي عن ابن المبارك عن عبد الله بن سلام اذا كان يوم
القيامة جمع الله سبحانه وتعالى الانبياء عليهم الصلاة والسلام نبيا نبيا وامة امة
ويضرب الجسر على جهنم وينادي اين احمد وامته فيقوم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس
الله سبحانه وتعالى ابصار اعدائه فيتهافتون في النار يمينا وشمالا ويمضي
النبي صلى الله عليه وسلم والصالحون معه فتتلقاهم الملائكة فيدلونهم على
الطريق على يمينك على شمالك حتى ينتهي الى ربه عز وجل فيوضع له كرسي عن
يمين العرش ثم يتبعه عيسى عليه الصلاة والسلام على مثل سبيله وتتبعه
امته برها وفاجرها فاذا كانوا على الصراط طمس الله عز وجل ابصار اعدائهم
فيتهافتون يمينا وشمالا الحديث واعلم ان في الاخرة صراطين احدهما مجاز
لاهل المحشر كلهم الا من دخل الجنة بغير حساب او يلتقطه عنق النار فاذا خلص
من خلص من الصراط الاكبر حبسوا على صراط اخر لهم ولا يرجع الى النار احد من هؤلاء
ان شاء الله سبحانه وتعالى لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم
وقد روى البخاري من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه

قال

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة
بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا
ونقوا اذن لهم في دخول الجنة والذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى في الجنة بمنزله
بمنزله في الدنيا واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بانه اول من يقرع باب الجنة
واول من يدخلها ففي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن انس رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم القيامة وانا اول
من يقرع باب الجنة وفيه ايضا من حديث انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول
محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك ورواه الطبراني وزاد فيه قال فيقوم الخازن
ويقول لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك فقيامه صلى الله عليه وسلم فيه
اظهار لمزيته ومرتبته وانه لا يقوم في خدمة احد بعده بل خزنة الجنة يقومون
في خدمته وهو كالملك عليهم وقد اقامه الله سبحانه وتعالى في خدمة عبده ورسوله
محمد صلى الله عليه وسلم وروى سهل ابن ابي صالح عن زياد المهري عن انس بن مالك
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من ياخذ بحلقة
الجنة ولا فخر وهو في مسند الفردوس لكن من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه
وعن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد
ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وما من نبي ادم
فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع
الناس ثلاث فزعات فياتون ادم عليه الصلاة والسلام فذكر الحديث الى ان قال
فياتوني فانطلق معهم قال ابن جدعان قال انس رضي الله تعالى عنه فكاني
انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاخذ بحلقة باب الجنة
فاقعقعها فيقول من هذا فيقال محمد صلى الله عليه وسلم فيفتحون
لي فيرحبون بي فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله عز وجل من
الثناء والحمد فيقال ارفع راسك الحديث رواه الترمذي وقال حسن وفي
حديث سلمان فياخذ بحلقة الباب وهي من ذهب فيقرع الباب فيقال
من هذا فيقول محمد صلى الله عليه وسلم فيفتح وفي حديث الصور ان المؤمنين
اذا انتهوا الى باب الجنة تشاوروا فيمن يستاذن لهم في الدخول
فيقصدون ادم عليه الصلاة والسلام ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى
ثم عيسى ثم محمدا صلى الله عليه وسلم كما فعلوا عند العرصات عند
استشفاعهم الى الله عز وجل في فصل القضاء ليظهر شرف نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم على سائر البشر كلهم في المواطن كلها وروي

ابو هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا انا اول من يفتح له باب الجنة الا انه امراة تبادرني
فاقول لها ما لك وما انت فتقول انا امراة قعدت على يتامى لي رواه ابو يعلى ورواته
لا باس بهم قال المنذري اسناده حسن ان شاء الله سبحانه وتعالى وقوله تبادرني
اي لتدخل معي او تدخل في اثري ويشهد له حديث انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا
وقال باصبعيه السبابة والوسطى رواه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله
تعالى عنهما قال ابن بطال حق على من سمع هذا الحديث ان يعمل به ليكون رفيق النبي
صلى الله عليه وسلم في الجنة ولا منزلة في الجنة افضل من ذلك انتهى ويحتمل ان يكون المراد
قرب المنزلة حالة دخول الجنة كما في الحديث قبل ووجه التشبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
من شانه ان يبعث الى قوم لا يعقلون امر دينهم فيكون كافلا لهم ومرشدا وكذلك
كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل امر دينه بل ولا دنياه ويعلمه ويحسن ادبه وعن
ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج
حتى اذا دنا منهم سمعهم وهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من
خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال
اخر عيسى روح الله وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم
وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى كلمه الله وهو كذلك وعيسى روح الله
وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل
لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح الله سبحانه وتعالى فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين
ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر رواه الترمذي وعن انس بن مالك رضي
الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول خروجا اذا
بعثوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وقائدهم اذا وفدوا وشافعهم اذا حبسوا
وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وانا
اكرم ولد ادم على ربي عز وجل ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم اللؤلؤ المكنون
رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون الاولون يوم القيامة
ونحن اول من يدخل الجنة رواه مسلم وعنه رضي الله تعالى عنه ايضا
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن الاخرون الاولون يوم القيامة
نحن اول الناس دخولا الجنة فهذه الامة اسبق الناس خروجا من
الارض واسبقهم الى اعلا المكان في الموقف واسبقهم الى ظل العرش واسبقهم
الى فصل القضاء واسبقهم الى الجواز على الصراط واسبقهم الى دخول الجنة
وهي اكثر اهل الجنة روى عبد الله ابن الامام احمد من حديث ابي هريرة

رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال صلى الله
عليه وسلم انتم ربع اهل الجنة انتم نصف اهل الجنة انتم ثلثا اهل الجنة قال
الطبراني تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري وفي حديث بهز ابن حكيم رفعه
اهل الجنة عشرون ومائة صف انتم منها ثمانون وعن عمر ابن الخطاب رضي
الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على
الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي قال الدارقطني
غريب عن الزهري فان قلت ما تقول في الحديث الذي صححه الترمذي من
حديث بريدة ابن الحصيب رضي الله تعالى عنه قال اصبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدعى بلالا رضي الله تعالى عنه فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة
ما دخلت الجنة قط الا سمعت خشخشتك امامي الحديث اجاب
عنه ابن القيم بان تقدم بلال رضي الله تعالى عنه بين يديه صلى الله عليه وسلم
انما هو لانه كان يدعو الى الله عز وجل اولا بالاذان ويتقدم اذانه بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم
قال وقد روي في حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة
وبلال رضي الله تعالى عنه بين يديه ينادي بالاذان فتقدمه بين يديه
صلى الله عليه وسلم كرامة له صلى الله عليه وسلم واظهار لشرفه وفضله
لا سبقا من بلال رضي الله تعالى عنه له صلى الله عليه وسلم وروى ابن ابي شيبة
من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتاني جبريل فاخذ بيدي فاراني باب الجنة الذي تدخل منه امتي
فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله وددت اني كنت معك
حتى انظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم اما انك يا ابا بكر اول من يدخل
الجنة من امتي وقد دل هذا الحديث على ان لهذه الامة بابا مختصا يدخلون
منه الجنة دون سائر الامم فان قلت من اي ابواب الجنة يدخل النبي
صلى الله عليه وسلم فالجواب انه قد ذكر الترمذي الحكيم ابواب الجنة كما
نقله عنه القرطبي في التذكرة فذكر باب محمد صلى الله عليه وسلم قال وهو
باب الرحمة وهو باب التوبة فان قلت كم عدد ابواب الجنة فاعلم
ان في حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عند الشيخين مرفوعا من
انفق زوجين في سبيل الله دعي من ابواب الجنة يا عبد الله
هذا خير فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من
اهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب
الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان وروى الترمذي من

حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ما منكم من احد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم
قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له من ابواب الجنة الثمانية
زيادة من قال القرطبي وهو يدل على ان ابواب الجنة اكثر من ثمانية قال وانتهى عددها
الى ثلاثة عشر بابا كذا قال **فان قلت** اي الجنان يسكنها النبي صلى الله عليه وسلم
فاعلم يسمعني الله سبحانه وتعالى واياك التمتع بذاته القدسية في الحضرة الفردوسية
ان الله سبحانه وتعالى قد اتخذ من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب
من عرشه وغرسها بيده فهي سيدة الجنان والله يختار من كل نوع اعلاه وافضله
كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمدا صلى الله عليه وسلم ومن البلاد [illegible]
ويختار وفي الطبراني من حديث ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينزل الله سبحانه وتعالى في اخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة
الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينظر في الساعة
الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه فيها احد غيره الا الانبياء
والشهداء والصديقون وفيها ما لم يره احد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط اخر ساعة
من الليل فيقول الا من يستغفرني فاغفر له الا سائل يسألني فاعطيه
الا داع يدعوني فاستجيب له حتى يطلع الفجر وفي حديث انه رأى جنة عدن
ومنازل المسلمين ورأى منازله فوق منازلهم **وروى** ابو الشيخ عن سمرة بن عطية
قال خلق الله عز وجل جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات فيقول
ازدادي طيبا لاوليائي ازدادي حسنا لاوليائي فتأمل هذه العناية كيف جعل
الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده ولافضل ذريته اعتناء وتشريفا
واظهارا لفضل ما خلقه بيده وشرفه وتمييزه بذلك عن غيره وروى الدارمي
عن عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله ثلاثة
اشياء بيده خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم
قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث وفيه ابو معشر نجيح بن عبد الرحمن
تكلم فيه وروى الدارمي ايضا عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما خلق الله تعالى
اربعة اشياء بيده العرش والقلم وعدن وادم عليه الصلاة والسلام ثم قال لسائر
الخلق كن فكان وعنده ايضا عن ميسرة قال ان الله تعالى عز وجل لم يمس شيئا
من خلقه غير ثلاث خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده
فجنة عدن اعلا الجنان وسيدتها وهي قصبة الجنة وفيها الكثيب الذي يقع
فيه الرؤية وعليها ثمانية اسوار بين كل سورين جنة فالتي تلي جنة
عدن من الجنان جنة الفردوس واصل البستان وهي اوسط الجنات
التي دون جنة عدن وافضلها ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى

وهي

وهي التي يأوي اليها جبريل والملائكة وعن مقاتل تأوي اليها ارواح الشهداء ثم دار السلام
لانها دار السلامة من كل مكروه ثم دار المقامة واعلم ان للجنة اسماء عديدة باعتبار
صفاتها ومسماها واحد باعتبار ذاتها فهي مترادفة من هذا الوجه ومختلفة باعتبار
صفاتها فاسم الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من نوع
النعيم والسرور وقرة العين وهذه اللفظة مشتقة من الستر ومنه سمي البستان جنة
لانه يستر داخله بالاشجار والجنان كثيرة جدا كما قال صلى الله عليه وسلم لام حارثة لما
قتل ببدر وقد قالت له يا رسول الله الا تخبرني عن حارثة فان كان في الجنة صبرت
وان كان غير ذلك اجتهدت في البكاء عليه يا ام حارثة انها جنان في الجنة وان
ابنك قد اصاب الفردوس الاعلى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فذكرهما
ثم قال ومن دونهما جنتان فهذه اربع وقال عليه الصلاة والسلام جنتان من ذهب
انيتهما وما فيهما وجنتان من فضة انيتهما وما فيهما رواه الشيخان من حديث ابي موسى
الاشعري وقد قسم بعضهم الجنان بالنسبة الى الداخلين فيها ثلاثة جنة اختصاص
الهي وهي التي يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا الحلم ومن اهلها اهل الفترات ومن لم
يصل اليه دعوة رسول الجنة الثانية جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة من المؤمنين
وهي الاماكن التي كانت معينة لاهل النار لو دخلوها والجنة الثالثة جنة
الاعمال وهي التي ينزل الناس فيها باعمالهم فمن كان افضل من غيره في وجوه التفاضل
كان له من الجنة اكثر وسواء كان الفاضل دون المفضول او لم يكن غير انه فضله في
هذا المقام لهذه الحالة فما من عمل من الاعمال الا وله جنة ويقع التفاضل فيها
بين اصحابها بحسب ما تقتضي احوالهم قال صلى الله عليه وسلم يا بلال بم سبقتني
الى الجنة الحديث فعلم انها كانت جنة مخصوصة ونعيم خاص بما له من حظه
وقد يجمع الواحد من الناس في الزمان الواحد اعمالا من العبادات فيوجد
في الزمان الواحد وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك فقد تبين ان نيل
المنازل والدرجات في الجنات بالاعمال واما الدخول فلا يكون الا برحمة الله
سبحانه وتعالى كما في البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل الجنة احد بعمله قالوا
ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله تعالى برحمة اي
يلبسنيها ويسترني بها ماخوذ من غمد السيف وهو غلافه وعند الامام
احمد باسناد حسن من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه لن
يدخل الجنة احد الا برحمة الله عز وجل قالوا ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدني الله عز وجل برحمة منه وقال بيده فوق راسه
يعني ان الجنة انما تدخل برحمة الله تعالى وليس عمل العبد مستقلا بدخولها

وإن كان سببا ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله تعالى وتلك الجنة
التي أورثتموها بما كنتم تعملون ونفى صلى الله عليه وسلم دخولها بالأعمال في قوله
لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولا تنافي بين الأمرين لما ذكره سفيان وغيره قال
كانوا يقولون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمة الله واقتسام المنازل
والدرجات بالأعمال ويدل له حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن أهل الجنة إذا دخلوها
نزلوا فيها بفضل أعمالهم رواه الترمذي قال ابن بطال يحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل
فيها بالأعمال فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال ويحمل الحديث على دخول
الجنة والخلود فيها ثم أورد على هذا الجواب سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
بأن دخول الجنة أيضا بالأعمال وأجاب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث والتقدير ادخلوا
منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون وليس المراد بذلك أصل الدخول ثم قال ويجوز أن
يكون الحديث مفسرا للآية والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله سبحانه
وتعالى لكم وتفضله عليكم لأن اقتسام منازل الجنة برحمة الله عز وجل وكذا أصل دخول
الجنة برحمته حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من
رحمته وفضله وقد تفضل الله سبحانه وتعالى عليهم ابتداء بإيجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم
وأشار إلى نحوه القاضي عياض فقال وإن من رحمة الله سبحانه وتعالى توفيقه للعمل
وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله وإنما هو بفضل الله سبحانه وتعالى
ورحمته وقال غيره لا تنافي بين ما في الآية والحديث لأن الباء التي أثبتت الدخول هي باء
السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلا والباء التي
نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلا للآخر نحو اشتريت
منه بكذا فأخبر أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد وأنه لولا رحمة الله تعالى
لعبده لما دخل الجنة لأن العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب بمجرده دخول الجنة
ولا يكون عوضا لها لأنه لو وقع على الوجه الذي يحبه الله سبحانه وتعالى لا يقاوم نعمة
الله عز وجل بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة فلو طالبه بحقه لبقيت عليه من
الشكر على تلك النعمة بقية لم يقم بها فلذلك لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه
لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا من أعمالهم كما في حديث أبي بن كعب
عند أبي داود وابن ماجه وهذا فصل الخطاب مع الجبرية النفاة للحكمة والتعليل
القائلين بأن القيام بالعبادة ليس إلا لمجرد الأمر من غير أن يكون سببا للسعادة في
معاش ولا معاد ولا نجاة المعتقدين أن النار ليست سببا للإحراق ولا الماء للإرواء
والتبريد والقدرية الذين ينفون نوعا من الحكمة والتعليل القائلين بأن
العبادات شرعت أثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم وإنما هي بمنزلة استيفاء
الأجير أجرته محتجين بأن الله سبحانه وتعالى يجعلها عوضا كما في قوله تعالى

ادخلوا

ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبقوله عليه الصلاة والسلام حاكيا عن ربه سبحانه وتعالى
يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها **وهؤلاء** الطائفتان متقابلتان
أشد التقابل وبينهما أعظم التباين **فالجبرية** لم تجعل للأعمال ارتباطا بالجزاء البتة
والقدرية جعلت ذلك كله البتة **والقدرية** جعلت ذلك كله بمحض الأعمال وثمنا لها
والطائفتان جائرتان منحرفتان عن الصراط المستقيم الذي فطر الله سبحانه وتعالى
عليه عباده وجاءت به رسله ونزلت به كتبه وهو أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب
والعقاب مقتضيات لهما كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها وأن الأعمال الصالحة
من توفيق الله سبحانه وتعالى ومنه وصدقته على عبده أن أعانه عليها ووفقه
لها وخلق فيه إرادتها والقدرة عليها وحببها إليه وزينها في قلبه وكره إليه أضدادها
ومع هذا فليست ثمنا لجزائه وثوابه بل غايتها أن تكون شكرا له سبحانه وتعالى إن قبلها
سبحانه ولهذا نفى صلى الله عليه وسلم دخول الجنة بالعمل ردا على القدرية القائلين بأن
الجزاء بمحض الأعمال وثمنا لها **وأثبت** سبحانه وتعالى دخول الجنة بالعمل ردا على الجبرية
الذين لم يجعلوا للأعمال ارتباطا بالجزاء فتبين أنه لا تنافي بينهما إذ توارد النفي والإثبات
ليس على معنى واحد فالمنفي استحقاقها بمجرد الأعمال وكون الأعمال ثمنا وعوضا لها ردا
على القدرية والمثبت الدخول بسبب العمل ردا على الجبرية والله يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم وقال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر يحمل الحديث على أن العمل من حيث هو عمل لا يستفيد
به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولا وإذا كان كذلك فأمر القبول إلى الله سبحانه وتعالى
وإنما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه وعلى هذا فمعنى قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
أي تعملون من العمل المقبول ولا يضر هذا أن تكون الباء للمصاحبة أو للإلصاق أو المقابلة
ولا يلزم من ذلك أن تكون سببية **قال** ثم رأيت النووي جزم بأن ظاهر الآيات
أن دخول الجنة بسبب الأعمال والجمع بينها وبين الحديث أن التوفيق للأعمال والهداية
للإخلاص فيها وقبولها إنما هو برحمة الله سبحانه وتعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل
بمجرد العمل وهو مراد الحديث **ويصح** أنه دخل بسبب العمل وهو من رحمة الله
سبحانه وتعالى انتهى وروى الدارقطني عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال نعم الرجل أنا لشرار أمتي فقالوا فكيف أنت لخيارها قال أما خيارهم
فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرار أمتي فيدخلون الجنة بشفاعتي ذكره عبد
الحق في العاقبة **وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالكوثر**
وهو على وزن فوعل من الكثرة سمي به هذا النهر العظيم لكثرة مائه وآنيته
وعظم قدره وخيره فقد نقل المفسرون في تفسير الكوثر أقوالا تزيد على
العشرة ذكرت منها في المقصد السادس من هذا الكتاب وأولاها قول
ابن عباس إنه الخير الكثير لعمومه لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي

صلى الله عليه وسلم ثلاثا مع ان معدا عنه فقد روى مسلم وابو داود والنسائي من طريق محمد بن فضيل وعلي بن مسهر كلاهما عن المختار بن فلفل عن انس رضي الله تعالى عنه واللفظ لمسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا في المسجد اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما قلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عز وجل الحديث لكن فيه اطلاق الكوثر على الحوض **وقد جاء** مصرحا في حديث عند البخاري ان الكوثر هو النهر الذي يصب في الحوض وعند احمد ويفتح نهر الكوثر الى الحوض وعند مسلم يغت فيه يعني الحوض ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والاخر من ورق **وقوله** يغت بالغين المعجمة اي يصب وفي البخاري من حديث قتادة عن انس رضي الله تعالى عنه قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء اتيت على نهر حافتاه قباب اللولو مجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر ورواه ابن جرير عن شريك ابن ابي نمر قال سمعت انس بن مالك رضي الله تعالى عنه يحدثنا قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم مضى به جبريل فاذا هو بنهر عليه قصر من لولو وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال يا جبريل ما هذا النهر قال الكوثر الذي خبا لك ربك **وروى** احمد عن انس رضي الله تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال نهر في الجنة اعطانيه ربي عز وجل لهو اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل **وعن** ابي عبيدة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قال سالتها عن قوله سبحانه وتعالى انا اعطيناك الكوثر قالت نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطياه عليه در مجوف انيته كعدد النجوم رواه البخاري **وقوله** شاطياه اي حافتاه وقوله در مجوف اي القباب التي على جوانبه وروي الغشاي بلفظ قالت نهر في بطنان الجنة قلت وما بطنان الجنة قالت وسطها حافتاه قصور اللولو والياقوت ترابه المسك وحصباه اللولو والياقوت **وبطنان** بضم الموحدة وسكون المهملة بعدها نون وسط بفتح المهملة والمراد به اعلاها اي ارفعها قدرا او المراد اعدلها وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللولو وماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل رواه احمد وابن ماجة قال الترمذي حسن صحيح وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله سبحانه وتعالى انا اعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة عمقه سبعون الف فرسخ ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل شاطياه اللولو والزبرجد والياقوت خص الله سبحانه وتعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم قبل الانبياء رواه ابن ابي الدنيا موقوفا وعن انس رضي الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر

قال

قال نهر في الجنة اعطانيه الله عز وجل يعني في الجنة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل شاطياه اللولو والزبرجد والياقوت خصه الله سبحانه وتعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم قبل الانبياء رواه ابن ابي الدنيا موقوفا وعن انس رضي الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال نهر في الجنة اعطانيه الله عز وجل يعني في الجنة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق البخت او الجزر قال عمر رضي الله تعالى عنه انها لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم منها رواه الترمذي وقال حسن والجزر بضم الجيم والزاي جمع جزور وهو البعير قال الحافظ ابن كثير قد تواتر يعني حديث الكوثر من طرق تفيد القطع عند كثير من ائمة الحديث **وكذلك** احاديث الحوض **قال** وهكذا اروي عن انس رضي الله تعالى عنه وابي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف الكوثر نهر في الجنة **واما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة**

فروى مسلم من حديث عبد الله ابن عمرو ابن العاص رضي الله تعالى عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله عز وجل لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله سبحانه وتعالى وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة قال الحافظ عماد الدين ابن كثير الوسيلة علم على اعلا منزلة في الجنة **وقال غيره** الوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب يقال توسلت اي تقربت **وتطلق** على المنزلة العلية كما قال في هذا الحديث فانها منزلة في الجنة على انه يمكن ردها الى الاول فان الواصل الى تلك المنزلة قريب من الله عز وجل فيكون كالقربة التي يتوسل بها ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق عبودية لربه عز وجل واعلمهم به واشدهم له خشية واعظمهم له محبة كانت منزلته اقرب المنازل الى الله سبحانه وتعالى وهي اعلا درجة في الجنة وامر صلى الله عليه وسلم امته ان يسالوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الايمان وايضا فان الله سبحانه وتعالى قدرها له باسباب منها دعا امته له بها بما نالوه على يده من الهدى والايمان **واما الفضيلة** فهي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل ان تكون منزلة اخرى او تفسيرا للوسيلة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة رواه في المسند وذكره ابن ابي الدنيا وقال درجة ليس في الجنة اعلا منها فسلوا الله تعالى ان يؤتينيها على رؤس الخلائق وروى ابن مردويه عن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سالتم الله عز وجل

فسلوا الي الوسيلة قالوا يا رسول الله من يسكن معك قال علي وفاطمة والحسن والحسين
لكن قال الحافظ عماد الدين ابن كثير انه حديث غريب منكر من هذا الوجه وعند ابي
حاتم من حديث علي رضي الله تعالى عنه ايضا انه قال على منبر الكوفة ايها الناس
ان في الجنة لولوتين احداهما بيضا والاخرى صفرا فاما الصفرا فانها الى بطنان
العرش والمقام المحمود من اللولوة البيضا سبعون الف غرفة كل بيت منها ثلاثة
اميال وغرفها وابوابها واسرتها وسكانها من عرق واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد
صلى الله عليه وسلم واهل بيته والصفرا فيها مثل ذلك هي لابراهيم عليه الصلاة والسلام
واهل بيته وهو اثر غريب كما نبه عليه الحافظ ابن كثير ايضا وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما في قوله سبحانه وتعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال اعطاه الله سبحانه وتعالى
الف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم رواه ابن جرير وابن ابي حاتم من
طريقه **ومثل** هذا لا يقال الا عن توقيف فهو في حكم المرفوع **خاتمة** عن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك
لاحب الي من نفسي وانك لاحب الي من اهلي وانك لاحب الي من ولدي واني لاكون
في البيت فاذكرك فما اصبر حتى اتيك فانظر اليك فاذا ذكرت موتي وموتك عرفت
انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين واني ان دخلت الجنة خشيت ان لا اراك فلم
يرد عليه شيا حتى نزل عليه جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه الاية ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا
والصالحين وحسن اولئك رفيقا رواه ابو نعيم **وقال الحافظ** ابو عبد الله المقدسي
لا اعلم باسناد هذا الحديث باسا كذا نقله في حادي الارواح **وذكره** البغوي
في معالم التنزيل بلفظ نزلت يعني الاية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه
ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي من وجع ولا مرض غير اني اذا لم اراك استوحشت
وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين
واني ان دخلت الجنة في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا
فنزلت هذه الاية وكذا ذكره ابن ظفر في ينبوع الحياة لكن قال ان الرجل هو عبد
الله ابن زيد الانصاري رضي الله تعالى عنه الذي راى الاذان وليس المراد ان
يكون من اطاع الله سبحانه وتعالى واطاع الرسول صلى الله عليه وسلم
مع النبيين والصديقين الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة
بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل
واحد منهم من روية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد

بعضهم

بعضهم بعضا واذا ارادوا الروية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية
وقد ثبت في الصحيحين من حديث انس رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله متى الساعة
قال وما اعددت لها قال لا شي الا اني احب الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم قال
انت مع من احببت قال انس رضي الله تعالى عنه فما فرحنا بشي فرحنا بقوله صلى الله عليه
وسلم انت مع من احببت قال انس رضي الله تعالى عنه فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم
وابا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وارجو ان اكون معهم بحبي اياهم **وفي الحديث** الالهي الذي
رواه حذيفة رضي الله تعالى عنه عند الطبراني بسند غريب انه سبحانه وتعالى قال
ما تقرب الي عبد بمثل ادا ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث
وفيه من الزيادة على حديث البخاري ويكون من اوليائي واصفيائي ويكون جاري
مع النبيين والصديقين والشهدا في الجنة **فلله** دره من نعمة بالغة ونعمة على الحبيب
سابغة فالمحب يرتقي في درجات الجنات على اهل المقامات بحيث ينظر اليه كما ينظر
الى الكوكب الغابر في افق السموات لعلو رتبته وقرب منزلته من حبيبه ومعيته
معه وان المرء مع من احب ولكل عمل جزا وجزاء المحبة المحبة والوصول والقرب من المحبوب
ورويت امراة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله سبحانه وتعالى
بك قالت غفر لي فقيل لها بماذا قالت بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وشهوتي النظر اليه نوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحيي ان نذله بعتابنا
بل نجمع بينه وبين من يحبه وانظر قوله سبحانه وتعالى طوبى لهم وحسن مآب
وان طوبى اسم شجرة في الجنة غرسها الله سبحانه وتعالى بيده تنبت الحلي والحلل
وان اغصانها من وراء سور الجنة وان اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم
وفي دار كل مومن منها غصن فما من جنة من الجنان الا وفيها من شجرة طوبى
ليكون سر كل نعيم ونصيب كل ولي من سره عليه الصلاة والسلام وانه صلى
الله عليه وسلم ملا الجنة فلا ولي يتنعم في جنته الا والرسول صلى الله عليه
وسلم متنعم بتنعمه لان الولي ما وصل الى ما وصل اليه من النعيم الا باتباعه
لنبيه صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة قايما به في تنعمه **وكذلك**
ابليس ملا النار فلا عذاب لاحد من اهلها الا وابليس لعنه الله سبحانه وتعالى
شريك في تعذيبه ومشاركه له فيه **وفي البحر** لابي حيان عند تفسير قوله سبحانه
وتعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا قيل هي عين في دار رسول
الله صلى الله عليه وسلم تتفجر الى دور الانبيا عليهم الصلاة والسلام والمومنين
واذا علمت هذا فاعلم ان اعظم نعيم الجنة واكمله التمتع بالنظر الى
وجه الرب تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وقرة العين
بالقرب من الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مع الفوز

بكرامة الرضوان التي هي اكبر من الجنان وما فيها كما قال سبحانه وتعالى ورضوان من الله اكبر ولا ريب ان الامر اجل مما يخطر ببال الاويد وربه خيال ولا سيما عند فوز المحبين في روضة الانس وحظيرة القدس بمعية محبوبهم الذي هو غاية مطلوبهم فاي نعيم واي لذة واي قرة عين واي فوز يدانى تلك المعية ولذتها وقرة العين بها وهل فوق نعيم قرة العين بمعية الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم نعيم فلا شي والله اجل ولا اكمل ولا اجمل ولا اجلا ولا احلا ولا اعلى ولا اغلى من حضرة يجتمع فيها المحب باحبابه في مشهد مشاهد الاكرام حيث يتجلى لهم حبيبهم ومعبودهم الاله الحق جل جلاله خلف حجاب واحد في اسمه الجميل اللطيف فينفهق عليهم نور يسري في ذواتهم فيبهتون من جمال الله تعالى وتشرق ذواتهم بنور ذاك الجمال الاقدس بحضرة الرسول الاداسم فيقول لهم الحق جل جلاله سلام عليكم عبادي ومرحبا بكم اهلا وداد انتم الموسوق الامنون لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون انتم اوليائي وجيراني واحبابي انا الله الجواد الغني وهذه داري قد اسكنتموها وجنتي قد ابحتكموها وهذه يدي مبسوطة ممدودة عليكم وانا ربكم انظر اليكم لا اصرف نظري عنكم انا كم جليسوا وانيس فارفعوا الي حوايجكم فيقولون ربنا حاجتنا اليك النظر الى وجهك الكريم والرضا عنا فيقول لهم جل جلاله هذا وجهي فانظروا اليه وابشروا فاني عنكم راض ثم يرفع الحجاب ويتجلى لهم فيخرون سجدا فيقول لهم ارفعوا رؤسكم فليس هذا موضع سجود يا عبادي ما دعوتكم الا لتستمتعوا بمشاهدتي يا عبادي قد رضيت عنكم فلا اسخط عليكم ابدا فما احلاها من كلمة وما الذها من بشرى فعند ها يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن واحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ان ربنا لغفور شكور **وهذا يدل** على ان جميع العبادات تزول في الجنة الا عبادة الشكر ولكن التسبيح والتهليل **والذي يدل** عليه الحديث الصحيح انهم يلهمون ذلك كما الهام النفس كما في مسلم من حديث جابر رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياكل اهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس يعني تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الانفاس فليس عن تكليف والزام وانما هو تيسير والهام **ووجه** التشبيه ان تنفس الانسان لابد له منه ولا كلفة ولا مشقة في فعله فكذلك يكون ذكر الله سبحانه وتعالى على السنة اهل الجنة وسر ذلك ان قلوبهم قد تنورت بمعرفته وابصارهم قد تمتعت برؤيته وقد غمرتهم سوابغ نعمه وامتلأت افئدتهم بمحبته ومخاللته فالسنتهم ملازمة لذكره وقد اخبر سبحانه وتعالى عن شانهم في ذلك بقوله سبحانه

وتعالى

وتعالى عن شانهم في ذلك بقوله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وقوله سبحانه وتعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين **قال مولفه** وجامعه احمد ابن الخطيب القسطلاني عامله الله سبحانه وتعالى بما يليق بكرمه **فهذا** اخر ما جرى به قلم المدد من هذه المواهب اللدنية وسطرته يد الفيض من المنح المحمدية وذلك وان كثر لقليل في جنب شرفه الشامخ ويسير مما اكرمه الله سبحانه وتعالى به من فضله الراسخ ولو تتبعنا ما منحه الله سبحانه وتعالى به من مواهبه وشرفه به من مناقبه لما وسعت بعض بعضه الدفاتر وكلت دونه مرامه الاقلام وجفت المحابر وضاقت عن جمعه الكتب وعجزت عن حمله النجب

وعلى تفنن واصفيه لنعته ۰ يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف ۰

والى الله سبحانه وتعالى اضرع ان يجعل خالصا لوجهه الكريم مخلصا من شوائب الريا ودواعي التعظيم وان ينفعني به والمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات في الحياة وبعد الممات وان يلان وقف عليه من فاضل انا لله سبحانه وتعالى ببصيرته وجبل على الانصاف سريرته ان يصلح بحلمه عثاري وزللي وييد لبسداد فضله خطائي وخللي فالكريم يقيل العثار ويقبل الاعتذار خصوصا عن مثلي مع قصر باعه في هذه الصناعة وكساد سوقه بما لديه من مزجات البضاعة وبما ابتلي به من سوء الدنيا الدنية والعوارض البدنية وتحمل من الاثقال التي لو حملها رضوى لتضعضع او اترثت على ثبير لخشع وتصدع لكنني احذت عقلة الظلام الغاسق والليل الواسق فسرقته من ايدي العوايق والنيل بعين السارق واستخرجت مغاليق المعاني بمفاتيح فتح الباري واستخرجت من مطالب كنوز العلوم لقابلية ادراكي بحمد الله سبحانه وتعالى على ما الغم والهم وعلمني ما لم اكن اعلم مصليا مسلما على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم اشرف انبيائه وافضل مبلغ لانبائه وعلى اله واصحابه واحبابه وخلفائه صلاة لا ينقطع مددها ولا يفنى امدها والله سبحانه وتعالى اسال ان ينفع به جيلا بعد جيل وحسبنا الله ونعم الوكيل واستودع الله سبحانه وتعالى نفسي وديني وخواتيم عملي وما انعم به علي ربي عز وجل وهذا الكتاب وان ينفعني به والمسلمين وان يرد بي واحبابي الى الحرمين الشريفين على احسن وجه واتمه ويرزقني الاقامة بهما في عافية بلا محنة وان يطيل عمري في طاعته ويلبسني اثواب عافيته ويجمع لي وللمسلمين بين خيري الدنيا والاخرة ويصرفني سواهما ويجعل وفاتي ببلد رسوله صلى الله عليه وسلم ويمتعنا من المدد المحمدي بما منح به عباده الصالحين مع رضوانه ويمتعنا بلذة النظر الى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق فانه سبحانه وتعالى اذا استودع

شيا حفظه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكان
الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة في يوم الخميس المبارك تاسع شهر ربيع الأول
من شهور سنة ثلاثة وتسعين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة
والسلام على يد أفقر الورا وأذل الفقرا الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير
الراجي عفو ربه القدير علي البدوي البولاقي الشاذلي غفر الله له ولوالديه ولمن وجد
عيبا أو غلطا أو تحريفا وأصلحه ولمن قرأها أو كتب منها ودعا له ولمن سترخلته
ولجميع المسلمين والمسلمات في الحياة وبعد الممات وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين
ورضي الله تعالى عن العلما
العاملين وعن أهل
طاعته أجمعين
آمين

وإن تجد عيبا فسد الخللا جل من لا فيه عيب وعلا

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين